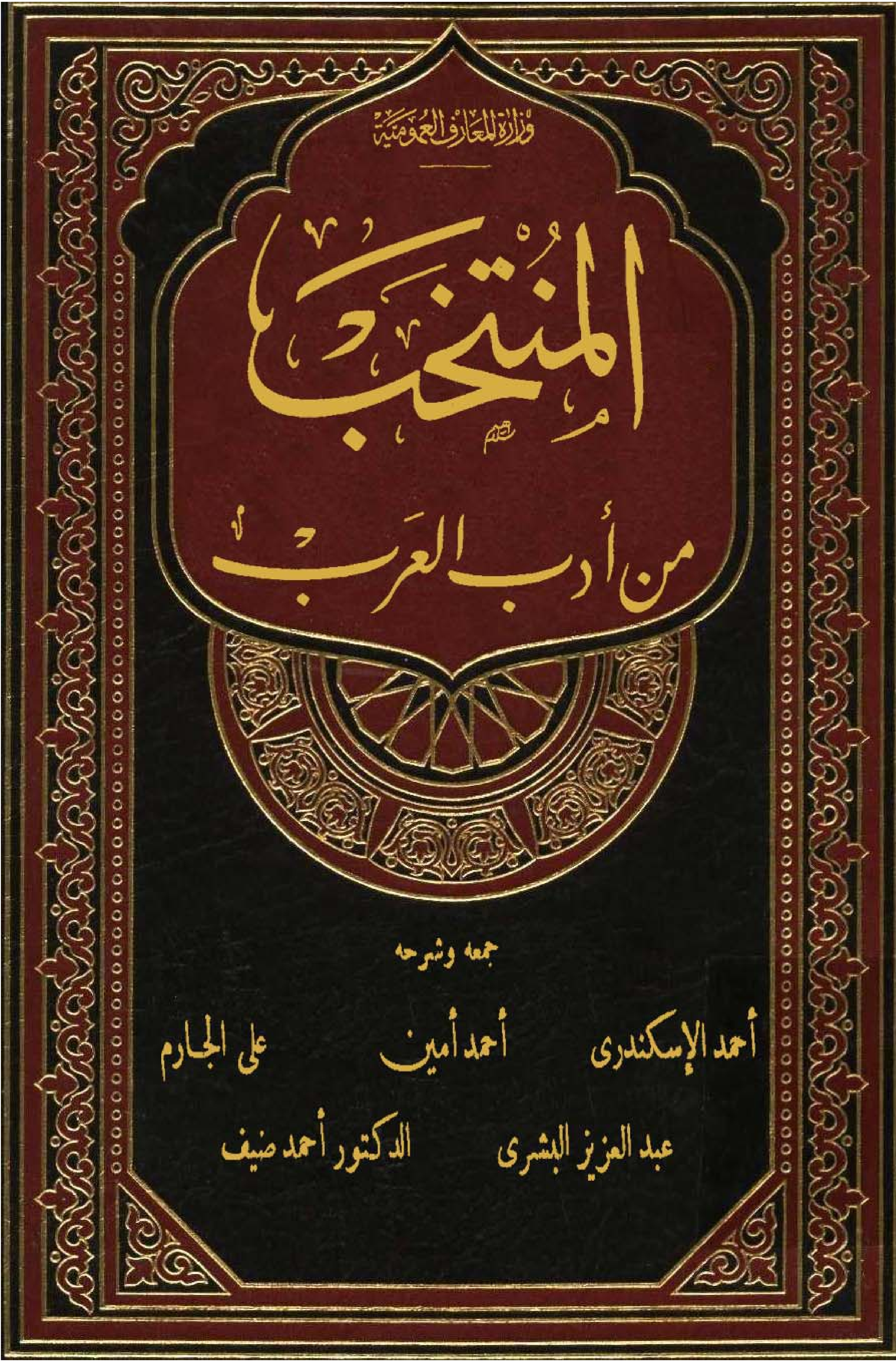

وزارة المعارف العمومية
المنتخب
من أدب العرب
جمعه وشرحه
أحمد الإسكندرى
أحمد أمين
على الجارم
عبد العزيز البشرى
الدكتور أحمد ضيف

وزارة المعارف العمومية



الجزء الأول

للسنة الأولى الثانوية

جمعه وشرحه

احمد الاسكندرى — احمد امين — على الجارم

عبد العزيز البشرى — الدكتور احمد ضيف

١٩٥٤

مطابع
دار الكتاب العربي بمصر
محمد حلمي المنياوي

فهرس الكتاب

صفحة

(١) النـــثر

(ب) الشعر

صفحة

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله تعالى وسلم على سيدِنا محمدٍ خاتم النبيين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد ، فقد عدلت وزارة المعارف مناهج الأدب العربى ، كما أخذتْ غيرها بفنون التعديل . وكان تاريخ الأدب يُدرس فى المدارسِ الثانويةِ مبتدِئًا من حيثُ يبتدئ الأدب ، ويظَلُّ مسترسلا إلى هذا العصرِ الذى نعيش فيه . فاجتمع رأيُها على أن يبدأ تدريسه فى هذه المدارِس من هذا العصرِ لأن أدبه هو الحاضرُ لهم ، الملابِس لِحسهم ، المترجِمُ عما يحيط بهم . فإذا انتهوْا منه ، ترقَّوْا إلى العصر الذى فوقه ، فإنه أدنى إليهم ، وأَحْضَرُ منْ سواهُ لهم . هكذا . وكذلك وضعنا كتابَ : « تاريخ الأدبِ العربىِّ » ، وعلى هذا النحو حرَّرناه .

ولقد دعا ذلك ، بالضرورة ، إلى تغييرِ الوضع فيما كنا قد اخترناه من النصوصِ الأدبيةِ فى كتابِ : « المنتخب من أدب العرب » وخاصَّةً بعد إذْ فُرض تاريخُ الأدب ، وفى هذه المناهج الجديدة ، على طُلَّاب السنتين : الأولى ، والثانية . ولم يكن لهما فيه حظٌّ كبير ولا صغير .

وقد أخرجنا هذا المنتخبَ الجديدَ فى أربعةِ أجزاء ، لكلِّ سنةٍ من سِنِي التعليم الثانوىّ جزءٌ مقسوم .

وقد حرصنا أشد الحرص ، فى هذا الكتابِ أيضاً ، على أمرَين نرى أن لهما خطراً عظيما :

(الأوّل) أن تكون النصوص التى نختارها لكلِّ عصرٍ من عصور الأدب العربىّ مرآةً صافية ، وصورةً صادقة واضحة للحياة الأدبية فى هذا العصر ، على اختلافِ فروعها ، وافتراقِ نزعاتِ الشعراء والكُتّاب والأدباء فيها ، بحيث يستطيع المعلِّم أن يعتمد عليه فى تصوير ما يدرِّس للمتعلمين من تاريخ الأدب ، ويستطيع المتعلمون أن يجدوا فيه مِصْدَاقَ ما يسمعون من الأساتذة ، ويقرءون من الكتب من حقائقِ هذا التاريخ .

(الثانى) أن يكونَ ما اخترناه ، على صحة تمثيله للعصور الأدبية ، وصدق تصويره لشخصيّات الأدباء ، ومذاهبهم فى الأدب ، فى جملته جميلا رائقاً ، وجزْلاً رائعاً ، خفيف الموقع من الأسماع ، لطيفَ المسلَك إلى النفوس ، يستطيع أن يبعثَ فى قلوبِ الشبابِ حبَّ لغتهم وأدبها ، ويرغِّبَهُم فى الاستزادَة منهما ، والتفقُّهِ فيهما : وتوخَّيْنَا ، إلى ذلك كلِّه ، أن يكونَ جُلُّ ما اخترناه من الشعر والنثر سهلاً يسيراً ، يلائم حالَةَ الشباب وطاقَتهم .

على أننا : فوقَ هذا ، ضبطنا الجزء الأوَّلَ بالشكل الكاملِ ، وتوسُّلا إلى أخذِ المبتدئينَ بالمنطق الصحيح للجديدِ عليهم من فَصيح العربية ، كما تَحَرَّيْنَا شرحَ كلِّ ما يَغْرُبُ عليهم من مفردات اللغة ، حتى لاتختلط المعانى على أذهانهم على أنه كلما علت بهم السنون تَخَفَّفْنَا من هذا وهذا بقَدَر ، طوعاً لسنَّة التدريج .

ونحن نرجو أن نكونَ قد وُفِّقْنا من ذلك إلى ما قصدناه ، والله وحدَه ولى التوفيق .

عصر النهضة الحديثة

(أ) النــــثر

١ ــ الشيخ عبد الرحمن الجبرتى[1]

قال فى كتابه « عجائب الآثار فى التراجم والأخبار » عند الكلام على الحملة الفرنسية سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف :

وهى أوّلُ سِنِى المَلَاحِم[2] العظيمة ، والحْوَادث الجْسيمة[3] ، والوقائع النَّازِلة ، والنوازل الهائلة ، وتَضَاعُف الشرور ، وترادف الأمور[4] ، وتوالى المِحَن ، واختلالِ الزَّمن ، وانعِكاس المطبُوع ، وانقلاب الموضوع ، وَتتَابُعِ الأهْوَال ، واختِلَاف الأحْوَال ، وفَسَاد التَّدبير ، وحصُول التَّدمير ، وعُمُوم الخرَاب ، وَتواتُر الأسباب : « وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصلِحُونَ » .

---

(١) هو مؤرخ مصرى ، ولد بمصر وتعلم بالأزهر . ونسبته إلى جبرت وهى الزيلع فى بلاد الحبشة . عينه نابليون حين احتلاله مصر كاتبا فى الديوان وكان مفتى الحنفية فى عهد محمد على باشا ؛ وأشهر مؤلفاته التاريخ المعروف باسمه ، قيد فيه حوادث مصر سنة ١١٠٠ هـ إلى سنة ١٢٣٦ هـ . وقد مات سنة ١٢٤٠ هـ . بعد أن كف بصره من كثرة البكاء على ابن له قتل .

(٢) الملاحم : جمع ملحمة ؛ وهى الحرب العظيمة .

(٣) الجسيمة : العظيمة

(٤) ترادف : تتابع .

في يوم الأحد العاشر من شهر محرَّم الحرَام من هذه السنة ، وردت مكاتبَاتٌ على يد السُّعاةِ من ثَغْرِ الإسْكَنْدَرِيَّة ، ومضمونُها أن في يوم الخميس ثامنِه حَضَرَ إلَى الثَّغْرِ عِدَّةُ مَرَاكبَ من مَرَاكبِ الإنجليز ، وَوَقَفَتْ عَلَى البُعْد بحَيْثُ يرَاهَا أَهْلُ الثَّغر ، وَبعْدَ قَلِيلٍ حَضَرَ خَمْسَةَ عشرَ مَرْكبًا أيضًا ، فَانتَظَرَ أَهْلُ الثَّغرِ مَا يُرِيدونَ ، وإذا بِقَاربٍ صغيرٍ واصل من عندهم وفيهِ عَشَرَةُ أَنفارٍ فوصَلُوا البَرَّ واجتمعوا بكبار البلد ، والرئيسُ إذْ ذَاكَ فِيها والمشارُ إليهِ بالإِبْرَامِ والنَّقْض ، السيد محمد كريم الآتي ذِكْرُهُ ، فَكَلَّمُوهُمْ واسْتَخْبَرُوهُمْ عن غَرَضِهِمْ ، فأخبروا أنهم إنكليز ، حَضَرُوا للتفتيش عَلَى الفرَنْسِيس لأنهم خرجوا بعِمارةٍ[1] عظيمة ، يُرِيدُون جِهَةً من الجِهَات ، ولا ندرى أَيْنَ قَصْدُهُمْ ، فرُبَّمَا دَهَمُوكُمْ ، فلا تَقْدِرون على دَفْعِهِمْ ، وَلا تتمكنوا[2] من مَنْعِهِم ، فلم يقْبَلِ السيدُ محمد كريم منهم هذا القول ؛ وَظَنَّ أنها مَكيدَة ، وَجَاوَبُوهُمْ بكلام خَشِنٍ ؛ فقالت رُسُلُ الإنكليز : نحنُ نقفُ بِمَراكِبنا في البحر ، محافظِينَ عَلَى الثَّغر ، لا نَحْتَاجُ منكم إلا الإمْدَادَ بالماء وَالزَّاد بثَمَنِهِ ، فلم يجيبوهم لذلكَ ، وقالوا : هذه بلادُ السُّلْطَان ، وليسَ للفرَنْسِيس وَلا غَيْرِهِمْ عليها سبيل فاذهبُوا عنَّا ، فعندها عادت رُسُلُ الإنكليز ، وَأَقْلَعُوا في البَحْر ، ليَمْتَارُوا[3] من غَيْرِ الإسكَنْدَرِيَّة ، وَلِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كانَ مَفْعُولًا ؛ ثم إنَّ

---

(١) يريد أسطولا .
(٢) هكذا في الأصل ، والصواب : ولا تتمكنون .
(٣) ليجلبوا الميرة ؛ وهي الزاد .

أَهْلَ الثَّغْر أَرْسَلُوا إِلَى كاشِف البُحَيْرَة لِيَجْمَعَ العُرْبان ، وَيأْتى مَعَهُمْ للمحافَظَة بالثَّغْر ، فلمَّا قُرِئَتْ هذه المكاتَبَاتُ بِمِصْرَ حَصَلَ بها اللَّغطُ الكثيرُ من النَّاس ، وتحدَّثوا بذلك فيما بَيْنَهُمْ ، وَكَثُرَتِ المقَالاتُ(١) والأراجيف(٢).

٢ — من كتاب للشيخ حسن العطار(٣)

أَمَّا بعْدُ ، فَإِنَّ أَحْسَنَ وَشْيٍ(٤) رَقَمَتْهُ(٥) الأَقْلام ، وَأَبْهى زَهْرٍ تَفَتَّحَتْ عَنْهُ الأَكْمَام(٦) عَاطِرُ سَلامٍ يَفُوحُ بِعَبِيرِ(٧) المَحَبَّة نَفْحُهُ(٨) وَيُشْرِقُ فى سَمَاء الطُّرُوس(٩) صبْحُه .

سَلامٌ كَزَهْر الرَوْض أَوْ نَفْحة الصَّبا
أَوِ الرَّاح تجْلَى فِى يَدِ الرَّشإِ الأَلْمى(١٠)

---

(١) المقالات : الأقوال .

(٢) الأراجيف : الأقوال تقال على جهة التخيل والظن أو الكذب والادعاء .

(٣) هو الشيخ الأكبر حسن بن محمد العطار . كان من علماء الأزهر ، وزار أهم الممالك الإسلامية ، وصار بعد محررا للوقائع المصرية أول ظهورها ، ثم صار شيخا للازهر الشريف وكان ، على علمه ؛ شاعرا كاتباً بليغا ؛ توفى سنة ١٢٥٠ هـ .

(٤) الوشى : المحسن بالألوان . يريد به هنا : زخرفة الكلام .

(٥) رقمته : خطته

(٦) الأكمام : جمع كم بكسر الكاف وتشديد الميم وهو غلاف الزهرة التى تنشق منه

(٧) العبير : أخلاط من الطيب .

(٨) نفحه : رائحته :

(٩) الطروس : الأوراق ، واحدها طرس بكسر الطاء .

(١٠) الراح : الخمر تجلى : بالبناء للمجهول تكشف وتدار مشرقة . الرشأ : ولد الظبية والألمى : المسود الشفة ؛ وهذه الصفة من مظاهر الحسن عند العرب .

سَلَامٌ عَاطِرُ الْأَرْدَانِ[١] ، تَحْمِلُهُ الصَّبَا سَارِيَةً عَلَى الرَّنْدِ[٢] وَالْبَانِ[٣] ، إِلَى مَقَامِ حَضْرَةِ الْمُخْلِصِ الْوِدَادِ ، الَّذِي هُوَ عِنْدِي بِمَنْزِلَةِ الْعَيْنِ وَالْفُؤَادِ ، صَاحِبِ الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ ، حِلْيَةِ الزَّمَانِ الَّذِي حَلَّى بِهَا مِعْصَمَهُ وَجِيدَهُ .

٣ — رفاعة بك رافع الطهطاوى[٤]

من كلام له فى حُبِّ الوطن :

إِنَّ حُبَّ الْوَطَنِ مِنَ الْإِيمَانِ ، وَمِنْ طَبْعِ الْأَحْرَارِ إِحْرَازُ الْحَنِينِ إِلَى الْأَوْطَانِ . وَمَوْلِدُ الْإِنْسَانِ عَلَى الدَّوَامِ مَحْبُوبٌ ، وَمَنْشَؤُهُ مَأْلُوفٌ لَهُ وَمَرْغُوبٌ . وَلِأَرْضِكَ حُرْمَةُ وَطَنِهَا ، كَمَا لِوَالِدَتِكَ حَقُّ لَبَنِهَا . وَالْكَرِيمُ لَا يَجْفُو أَرْضًا بِهَا قَوَابِلُهُ[٥] ، وَلَا يَنْسَى دَارًا فِيهَا قَبَائِلُهُ . فَإِنِّي وَإِنْ أَلْبَسَتْنِي الْمَحْرُوسَةُ نِعَمًا ، وَرَفَعَتْ لِي بَيْنَ أَمْثَالِي عَلَمًا[٦] . وَكَانَتْ أُمَّ الْوَطَنِ الْعَامِّ ؛ وَوَلِيَّةَ الْآلَاءِ وَالْإِنْعَامِ ، وَأُحِبُّهَا حُبًّا جَمًّا ، لِأَنَّهَا وَلِيَّةُ النَّعْمَا . وَقَضَيْتُ فِيهَا الْأَرْبَعِينَ مُجَاوِرًا « كِرَامَ السَّجَايَا وَالْبُحُوزَ الطَّوَامِيَا » . فَلَا زِلْتُ أَتَشَوَّقُ إِلَى وَطَنِي

---

(١) الأردان : جمع ردن بضم الراء ؛ وهو طرف الكم .

(٢) الرند : نبات طيب الرائحة .

(٣) البان : شجر معتدل القوام يستخرج من حبه دهن طيب .

(٤) ولد بطهطا ؛ مدينة بمديرية جرجا ؛ وربى بالأزهر وفرنسا ؛ وشغل مناصب تعليمية وسواها وألف عدة كتب . وهو على الجملة من بناة النهضة الحديثة فى العلم والأدب . وتوفى سنة ١٢٩٠ هـ .

(٥) القوابل : جمع قابلة . وهى التى تتلقى الولد عند ولادته .

(٦) العلم بفتحتين : الراية ؛ يريد أنها أعظمت شأنه وأكرمت محله .

الْخُصُوصِيِّ وَأَتَشَوَّفُ[١] ؛ وَأَتَطَلَّعُ إِلَى أَخْبَارِهِ السَّارَّةِ وَأَتَعَرَّفُ . وَلَا أُسَاوِى بِطَهْطَا الْخَصْبَةِ سِوَاهَا ، فِى الْقِيَامِ بِالْحُقُوقِ وَإِكْرَامِ مَثْوَاهَا .

مَنَازِلُ لَسْتُ أَهْوَى غيرها سُقِيتْ حَيًا يَعُمُّ ، وَخُصَّتْ بِالتَّحِيَّاتِ[٢]

وَأَمْنَحُهَا زَمَنًا بَعْدَ زَمَنِ الزِّيَارَةِ ، وَأُجَدِّدُ فِيهَا مِنْ هِبَاتِ الْحُكُومَةِ الْعِمَارَةَ ، وَأَبْذُلُ فِى مَحَبَّتِهَا النَّفِيسَ لِتَحْصِيلِ الْأَرَاضِى لِلزَّرْعِ وَالْغَرْسِ ، وَأَفْتَخِرُ بِهَا كَمَا افْتَخَرَ عِصَامٌ بِالنَّفْسِ[٣] ، وَأُنْشِدُ قَوْلَ الْحَافِظِ كَمَالِ الدِّينِ الْأُدْفُوِىّ .

أَحِنُّ إِلَى أَرْضِ الصَّعِيدِ وَأَهْلِهِ وَيَزْدَادُ وَجْدِى حِينَ تَبْدُو قِبَابُهَا
وَتَذْكُرُهَا فِى ظُلْمَةِ اللَّيْلِ مُهْجَتِى فَتَجْرِى دُمُوعًا إِذْ يَزِيدُ الْتِهَابُهَا

٤ — لعبد الله باشا فكرى[٤]

سَلَامٌ يُعَبِّرُ عَنِ الْوِدَادِ طِيبُ عَبِيرِهِ[٥] ، وَيُخْبِرُ عَنْ إِخْلَاصِ الْفُؤَادِ لُطْفُ تَعْبِيرِهِ ، وَثَنَاءٌ عَلَى مَحَاسِنِ تِلْكَ الشَّمَائِلِ[٦] ، أَرَقُّ مِنْ نَسَمَاتِ الشَّمَائِلِ[٧] ، وَتَحِيَّةٌ

---

(١) تشوف إلى الشيء : تطلع إليه فى شغف .

(٢) الحيا : المطر . يدعو لها بالخصب والرخاء .

(٣) يشير إلى قول الشاعر :

نفس عصام سودت عصاما وعلمتـه الـكر والإقداما
وصيرته ملـكا هماما

(٤) انظر ترجمته فى الشعر .

(٥) عبيرالزهر : رائحته الطيبة .

(٦) الخلايا والسجايا .

(٧) جمع شمال : اسم ريح .

بهيَّةٌ تُباهي الخمائلَ[١] ، بنفحات أَوْرادِها[٢] ، وأَدْعيةٌ مَرْضِيَّةٌ جعلَتْها الألسِنةُ خَيْرَ أَوْرَادِهَا[٣] ، وَسُؤَالٌ عَنِ المزاجِ الزَّاهر ، وصحة الخاطِرِ الباهر ، لَا زِلْتُمْ مَحَلَّ نعْمَةٍ يتَّصِلُ عَلى مَدى الْأَيَّامِ بقاؤُهَا ، وَيَزِيدُ عَلَى مَرِّ الشُّهُورِ وَالْأَعْوَامِ بَهاؤُهَا وَلَا بَرِحَتْ ثُغُورُ الإِقْبالِ إِلَيْكُمْ بَوَاسِم ، وَرِياحُ الآمالِ لَدَيْكُمْ نَوَاسِم[٤] .

وَبعْدُ ، فَإِنّ بي مِنَ الْأَشْوَاقِ ، مَا تضعف عن حَمْلِهِ إِلَى حِمَاكُمُ الْأَوْرَاق ، وَمِنَ التَّأَسُّف عَلَى مَا حُرِمْتُهُ من لقْيَاكُمْ ، وَالتَّلَهُّفِ إِلَى مطَالَعَةِ أَنْوَارِ مُحَيَّاكُمْ مَا يَقْصُرُ عَنْ وَصْفه لِسَانُ الْيرَاعَة[٥] ، وَيُقتَصَرُ دُونَ وَصْفِهِ بيَانُ الْبرَاعة ، وَيَضِيقُ عَنْهُ نِطَاقُ الْعِبَارَة ، وَلَا ينْفَسِحُ لَهُ مَيْدَانُ الْإِشَارَة .

ومن كتاب له أيضاً إِلَى بعْض أصحابه :

كتبْتُ وَالذهنُ فاتر[٦] ، منْ وَهْنِ الدَّفاتر ، وَالتَّبْييض وَالتَّسْوِيد وَالتَّقْييد وَالتَّسْدِيد ، وَالتَّرْجَمَة وَكَثْرَتِهَا ؛ وَالهِمَّة وَفتْرَتِهَا ، وَالمَاهِيَّة[٧] وَقِلَّتِهَا ، وَالنَّفْس وَذِلَّتِهَا ، وَرَاتِبي لَا يكْفِي أُجْرَةَ الْبيْت ، وَلَا يَفِي ثَمَنَ الماءِ وَالزَّيْت ، وَبالْأَمْس وَعَدَ الْوَكيلُ بالزِّيادَة وَاعْتَذَرَ اليومَ بالْأَصيل[٨] عَلَى الْعادَة ، عَلَى أنه لو حَصَلَتْ

---

(١) الخمائل : جمع خميلة وهى الشجر الكثير الملتف .

(٢) الأوراد : الورود .

(٣) الأوراد : مايتلوه الناسك من الأذكار .

(٤) نسمت الريح : تحركت وهبت .

(٥) البراعه : القلم ؛ وهى فى الأصل : القصبة .

(٦) الفترة : الضعف ؛ فالذهن الفاتر : المتعب المكدود .

(٧) الماهية فى اصطلاح المناطقة : حقيقة الشىء ؛ واستعملها العامة بمعنى المرتب .

(٨) الأصيل : يريد به الرئيس .

زِيادَةٌ فَلِزَيْدٍ وَعَمْرو ، إلى آخر الزُّمَر ، وَلِلهِ الأَمْرُ . أَحْوالٌ مُتَبَدِّدَة ، وَنُفوسٌ متبلِّدَة ، وَأَشْغَالٌ مُتَعَدِّدَة ، وَإِخْوَانٌ خُوَّان(١) ، وَخِلاّنٌ غيلان ، وَرِفاق ، وَمَا أَجْمَلَ الفراق ! وقلت :

إلَامَ أُعَانِي الصَّبْرَ والدهرُ غادرُ　　وحتَّى مَتَى أَشْكُو وَمَالِي عَاذرُ
ولو أنني أشكو عَظائمَ شِدَّتِي　　لَمَيْت ، لرَقَّتْ لى الْعِظامُ النَّوَاخِرُ

وسألتَ عن فلانٍ وفلان ، وَهَيَّان بن بَيَّان(٢) ، مِمَّنْ يَنْتَسِبُ للعلم وَأهلِه ، وَيَتَظاهَرُ بشِعارِ فَضْله ، ولو كان الْعِلْمُ بِلِحْيَةٍ تَعْظُمُ وَتُطَوَّلُ ، وَشَوَارِبَ تُحَفُّ وَتُسْتَأْصَل ، وَعُيُونٍ عَلَى مَا بها من غَمَصٍ وَرَمَصٍ تُكَحَّل . . . فَهُمْ أَعلمُ مَن أَقلّتْهُ الْغَبْرَاء ، وَأَفْقهُ مَنْ أَظَلَّتْهُ الخضراء(٣) ، وإن كان للعلم غيرُ هذه الآلات فما لهم سوى هذه الحالات .. يا قوم : أهذا النحوُ وإعرابه ، والصرفُ وأبوابُه والعرُوضُ وأوزانه وَأَبْحُرُه ، وَالْمَعَانى وَإِنْشَاؤُهُ وَخَبَرُه ، وَالبيانُ وَفَرَائدُه وَالبديعُ وَشواهدُه وَهذه العلومُ الموضوعةُ ، والأسفارُ المحمولةُ ، وَالدُّروسُ المأهولةُ(٤) ، وَالأصواتُ الْمَهُولَةُ ، لمجرَّدِ مَعْرِفَةِ ضَرْبِ زيدٍ لعَمْرو ، وَقتالِ خالدٍ لبكر . وَأنّ قالَ أصلُها قوَل ، ثم لا يدرى ما حَصَل ، وَالطّويلُ من فعولن مفاعيلن ، ثم لا يعْلَم ، كيف يُنْظَم ، والفصل والوصل ، وَلا أَصْلَ وَلا فَصْل ، والحقيقةُ والمجاز ، وليس لهما مَجاز ، وَالتوريةُ وَالْجِناس ، مما يُحْفَظ

---

(١) خوان : جمع خائن .
(٢) هيان بن بيان : اسم لمن لا يعرف ولا يعرف أبوه :
(٣) الخضراء : السماء .
(٤) الغاصة بالتلاميذ .

وَلا يُقاس إذاً والله تكون تلك الفُنون ، من أفانِين[1] الجُنُون ، وَيكون المَيلُ إلَيْها ، وَالإقبالُ عليها ، عَملا حابطاً[2] ، وَشُغلا ساقِطاً ، وَهوَساً عاطِلا ، وَوَسْوَاساً باطلا ، ويكون واضِعُوها أَسَاءوا النَّاس ، وأخطأوا القياس ، وَبَنَوْا على غيرِ أساس ، كَلَّا إنما وَضَعُواهذه القواعد ، وَشَرَعُوا للنَّاس تلك الموارد[3] ، لِيَتَكلَّموا بكلامِ العرب مثلَ ما تَكلَّمتْ وَيَفْهموا من ألفاظها كالذى فَهِمَتْ وَيُترْجِمُوا عن سَرائِرِ الضَّمائِرِ كما تَرْجَمتْ ، وَيَنْثُرُوا وَيَنْظِموا كما نثرتْ وَنَظَمَتْ . وقد كانت هذه العربُ التى أودع اللهُ الفصاحة لِسَانَها ، وَشَرَّف بسيدِنا النَّبيِّ والقرآن العربىِّ مَكَانَها ، تتكلم بهذه اللغة العَلِيَّة ، على الفِطْرَةِ الأَصْلِيَّة ، والسَّجِيَّةِ الجِبِلِّيَّة ، من غير هذه القواعد والأُصول ، وتلك الأبواب ، والفصول ، وكانت تَعتَدُّ البلاغةَ مبلغَ عُلاهَا ، وَتعتَقِدُ الفصاحةَ من مَحاسِنِ حُلاهَا ؛ إلى أَنْ خَلَفَ هذا الخلَف ، فظنُّوا تلك الوسائلَ مقاصِد ، ليس بعدها غايةٌ لقاصِد ، وحَسِبُوا هذه الكُتُبَ تُقْصَد لذاتِها ، وَيُكْتَفَى بالتعبُّد بكلماتها ، فوقفوا عندَها ، ولم يَتجاوزوها ، لما بَعْدَها ، واتخذوا الأَدَبَ وَراءَهم ظِهْرِيًّا[4] ، وجعلوا النظم والنثر شيئاً فَرِيًّا[5] .

---

(١) أفانين : أنواع .

(٢) حابطا : باطلا .

(٣) الموارد : مواضع الماء يستقى منها . شرعوها . فتحوها .

(٤) أى نبذوه .

(٥) أى إدًّا .

٥ — السيد عبد الله النديم[١]

من رسالة طويلة ، تعمَّد فيها أن يقتبس الفاصلة الثانية من آى الذكر الحكيم : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ ، اشْتَبَه المُراقِبُ[٢] بِالَّلاه[٣] ، واستُبْدِلَ الحُلْوُ بالمُرِّ ، وقدِّم الرَّقيقُ عَلَى الحُرِّ ، وبِيعَ الدُّرُّ بالخَزَف[٤] والخَزُّ[٥] بالخَشَف[٦] ، وأظْهَرَ كلُّ لَئِيم كِبْرَه ، إن فى ذَلكَ لعِبْرَة : سَمْعاً سَمْعاً ، فالوشَاةُ إنْ سَعَوْا لَا يَعْقِلُوا ، وَيُحِبُّون أنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ، فَكَيْف تَشْتَرُونَ مِنْهُم القَارَ[٧] فى صِفَةِ العَنْبَر ، وَقَدْ بَدَت الْبَغْضَاءُ مِنْ أفْوَاهِهِم وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَر ، وَكَيْفَ تَسْمَعُ الْأَحْبَابُ لِمَنْ نَهَى مِنْهُمْ وَزَجَر ، وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فيه مُزْدَجَر[٨] عَجِبْتُ لَهُمْ وَقَدْ دَخَلُوا دَارَنَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ . فَلَمَّا أَحَسُّوا بأسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُون[٩] . وَأَنْتَ يا عَزِيزَ الْعَلْيَا ، وَوَحِيدَ الدُّنْيا ، قَدْ بَيَّنْتُ لَكَ فِعْلَهُمْ ،

---

(١) انظر ترجمته فى الشعر .

(٢) يريد بالمراقب : من يراقب الله تعالى ويخشى عذابه .

(٣) اللاه : اللاهى ؛ وهذا جناس .

(٤) الخزف : الفخار .

(٥) الخز بفتح الخاء : الحرير يخلط بالصوف .

(٦) الخشف : الردىء من الصوف .

(٧) القار : الزفت .

(٨) ازدجره كزجره : منعه ونهاه .

(٩) البأس . القوة . وركض : جرى وعدا .

فبما رحمة[١] من الله لِنتَ لهم. ولكنهم صمّوا فى عميم طَوْلك[٢]، ولو كنتَ فظًّا[٣] غليظَ القلب لانفضّوا من حولك. أتراهم يعقلون كلامك أم يفهمون؟ لعَمْرك[٤] إنهم لفى سكرتهم يعمهون[٥]. لهم قلوب لا يدرون بها للحسد قرارًا، لو اطّلعت عليهم لولّيت منهم فرارًا. كيف يسعى العاذلُ بين النديم وإلفه، وقد خلت النُّذُر[٦] من بين يديه ومن خلفه. فياسادتى: دعُونِ من المُعجب والمُطرب، ليس البرَّ أن تولّوا وجوهكم قِبَلَ المشرق والمغرب. واجعلوا سيف ثباتكم للعُذّال مسلولا، وأوفوا بالعهد إنّ العهد كان مسئولا.

٦ — السيد جمال الدين الأفغانى[٧]

كتب إلى عبد الله باشا فكرى يعتب عليه وقد بلغه أن رجلا ذمَّه أمام الخديو على مسمع من فكرى باشا فسكت ولم يدافع عنه[٨]:

مولاى! إنْ نسبتُك إلى هوادةٍ فى الحقِّ وأنتَ — تقدّست جِبِلّتُك[٩] — فُطِرْتَ عليه وتخوضُ الغَمَرات إليه: فقد بعت يقينى بالشك؛ وإن توهمتُ فيك

---

(١) فبما رحمة: فبرحمة؛ وما للتوكيد.

(٢) طولك بفتح الطاء: إحسانك.

(٣) الفظ: الجافى النفس السيء الخلق.

(٤) لعمرك بفتح العين وسكون الميم وضم الراء: وحياتك.

(٥) يعمهون: يتحيرون.

(٦) النذر بضمتين: جمع نذير بمعنى الإنذار.

(٧) هو محمد بن صفتر ولد فى أسعد أباد وتنقل فى بلاد الهند وأفغانستان، ثم رحل إلى الآستانة؛ ثم نفى منها فجاء مصر ونفخ فيها من روحه؛ وأسس نهضة إصلاحية فى الدين والسياسة وتتلمذ له فيها الشيخ محمد عبده وغيره، نفى من مصر؛ ثم قصد باريس وأنشأ فيها مع الشيخ محمد عبده جريدة «العروة الوثقى» ثم دعى إلى الآستانة وبها مات سنة ١٣١٥ هـ.

(٨) قد تبين للسيد بعد ذلك أن فكرى باشا دافع عنه فى ذلك المقام أبلغ دفاع.

(٩) أى طهر أصلك وطبعك.

حَيَدَانًا(١) عَنِ الرُّشْد ، وَجَوْرًا عَنِ الْقَصْدِ ، وَأَنَا مُوقِنٌ أَنَّكَ لَا زِلْتَ عَلَى السَّدَاد غَيْرَ مُفْرِط وَلاَ مُفَرِّط(٢) فَقَدْ اسْتَبْدَلْتُ عِلْمِى بِالْجَهْل — وَلَوْ قُلْتُ : إِنَّكَ مِنَ الَّذِينَ تَأْخُذُهُمْ فِي الْحَقِ لَوْمَةُ لائم ، وَتَصُدُّهُمْ عَنِ الصِّدْق خَشْيَةُ ظَالِم ، وَأَنْتَ تَصْدَعُ بِهِ(٣) غَيْرَ وَانٍ وَلاَ ضَجِرٍ ، وَلَوْ أَلَبَ(٤) الْبَاطِلُ الْكَوَارِثَ الْمُرْدِيَةَ ، وَأَجْرَى عَلَيْكَ الْخُطُوبَ الْمُوبِقَة ، لَكَذَبْتُ نفْسِى وَكَذَّبَنِى مَنْ يَسْمَعُ مَقَالَتِى لأَنَّ الْعَالِمَ وَالْجَاهِل وَالْفَطِنَ وَالْغَبِيَّ كُلَّهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى طَهَارَة سَجِيَّتِك . وَنَقَاوَة سَرِيرَتِكَ ، وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ الْفَضَائِلَ حَيْثُ أَنْت ، وَالحَقُّ مَعَكَ أَيْنَمَا كُنْت ، لاَ تُفَارِقُ الْمَكَارِمَ وَلَوْ اضْطُرِرْت وَأَنْتَ مَجْبُولٌ عَلَى الْخَيْرِ لاَ يَحُومُ حَوْلَكَ شَرٌّ أَبَدًا ، وَلاَ تَصْدُرُ عَنْكَ نَقِيصَةٌ قَصْدًا ، وَلاَ تَهِنُ(٥) فِى قَضَاءِ حَقّ ، وَلا تَنِي عَنْ شَهَادَةِ صِدْق — وَمَعَ هَذَا وَهَذَا وَذَاكَ إِنَّكَ مَعَ عِلْمِكَ بِوَاقِع أَمْرِى ، وَعِرْفَانِكَ بِسَرِيرَتِى وَسِرِّى ، أَرَاكَ مَا ذُدْتَ عَنْ حَقٍّ كَانَ وَاجِبًا عَلَيْكَ حِمَايَتُه ، وَلاَ صُنْتَ عَهْدًا كَانَتْ عَلَيْكَ رِعَايَتُه ، وَكَتَمْتَ الشَّهَادَةَ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّى مَا أَضْمَرْتُ لِلْخِدِيوِ وَلاَ لِلْمِصْرِيِّينَ شَرًّا ، وَلاَ أَسْرَرْتُ لأَحَدٍ فِى خَفِيَّات ضَمِيرِى ضَرًّا ، وَتَرَكْتَنِى وَأَنْيَابَ النَّذْل اللَّئِيم (فُلاَنٍ) حَتَّى نَهَشَنِى نَهْشَ السَّبُعِ الْهَرِم الْعِظَام ، ضَغِينَةً مِنْهُ عَلَى السَّيِّد إِبْرَاهِيمَ اللَّقَانِيِّ وَإِغْرَاءً مِنْ أَعْدَائِى أَحْزَابِ (فُلاَن) ، مَا هَكَذَا الظَّنُّ بِك ، وَلاَ الْمَعْرُوفُ مِنْ رُشْدِكَ وَسَدَادِكَ

---

(١) الحيدان : الميل .

(٢) الإفراط فى الشيء : المغالاة فى الأخذ فيه . والتفريط : إهماله كل الإهمال .

(٣) تصدع به : تجهر به .

(٤) ألب : جمع .

(٥) تهن : تضعف .

وَلاَ يُطَاوِعُنِي لِسَانِي — وَإِنْ كانَ قَلْبِي مُذْعِناً بِعُظْمِ مَنْزِلَتِكَ فِي الْفَضَائِلِ، مُقِرًّا بِشَرَفِ مَقَامِكَ فِي الْـكَمَالاَتِ — أَنْ أَقُولَ : عَفَا اللهُ عَمَّا سَلَفَ إِلاَّ أَنْ، تَصْدَعَ بِالْحَقِّ، وَتقيمَ الصِّدْقَ، وَتُظهِرَ الشَّهادَةَ إِزاحَةً لِلشُّبْهَةِ، وَإِدْحاضاً لِلْباطِلِ، وَإِخْزَاءً لِلشَّرِّ وَأَهْلِه، وَأَظنُّكَ قَدْ فعلْتَ أَدَاءً لفَرِيضَةِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ، ثُمَّ إِنِّي يا مَوْلاَيَ أَذْهَبُ الآنَ إِلَى لَنْدَنَ وَمِنْهَا إِلَى بَارِيسَ مُسَلِّماً عَلَيْكُمْ، وَدَاعِياً لَـكُمْ — وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَعَلَى أَخِي الْفَاضِلِ الْبَارِّ أَمِينِ بك .

٨ صفر سنة ١٣٠٠ — جمال الدين الأفغانى

٧ — لأديب إسحاق[1]

أوروبا والشرق

كتب تحت هذا العنوان :

قضِيَ عَلَى الشَّرْقِ أَنْ يَهْبِطَ بَعْدَ الارْتِفَاعِ، وَيذِلَّ بَعْدَ الامْتِنَاعِ[2] وَيكُونَ هَدَفاً[3] لِسِهَامِ الْمَطَامِعِ وَالْمَطَالِبِ، تَعْبَثُ بِهِ أَيْدِي الأَجَانِبِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ . فَمِنْهُمْ مَنْ يُغِيرُ عَلَيْهِ بِحُجَّةِ الْغَيْرةِ عَلَى الإِنْسَانِيَّةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَدَاخَلُ فِيهِ بِدَعْوَى إِقامَةِ الْمَدَنِيَّةِ . وَلَمْ نَرَ مِنْهُمْ مَنْ صَدَقَ فِي دَعْوَاهُ، بَلْ كُلُّهُمْ تَابِعٌ فِي ذَلِكَ قَصْدَهُ وَهَوَاهُ .

---

(١) ولد بدمشق وتعلم فى مدارس المرسلين العربية والفرنسية ، وأجاد الأدب العربى واشتغل بالسياسة والصحافة وأنشأ جريدة مصر واتصل بجمال الدين الأفغانى . وتوفى سنة ١٨٨٥ م . ويمتاز أسلوبه بالإرسال الممزوج بالسجع مع السهولة .

(٢) الامتناع : الرفعة والتمنع على صروف الزمن أن تنال منه شيئاً .

(٣) الهدف : بفتحتين مرمى السهام .

٨ — نجيب الحدّاد(١)

كتب فى إرضاء الناس :

« عبارةٌ لو وُضِعَتْ فى كتُبِ اللُّغة لكانَتْ أُخْتَ المسْتَحِيل فى المَعْنَى ، ومُرَادِفَ النَّجْم فى الْبُعْد ، وَشبْهَ الْكِبْرِيت الأَحْمَر(٢) فى النُّدْرَة والْقِلَّة . وَإِن شئْتَ فقُلْ : إرْضَاءِ النَّاس كَلِمَةٌ تُقَالُ ، وَلا تُخَال ، حَتَّى يُصَاغ مِنَ الْخَاتَم خلْخَالٌ . وَمَنْ لا يَقْدرُ أَنْ يُرْضِىَ الْوَاحِدَ الْفَرْدَ فى جَمِيعِ أَخْلاقِهِ ، كَيْفَ يَقْدرُ عَلَى أَنْ يُرْضِىَ الْجَمِيع ؟ . . . » .

ومن كلامه الجارى مجرى الحكم :

مَنْ جارَ عَلَى صِبَاه ، جارَتْ عَلَيْه شَيْخُوخَته .

مَهْمَا اجْتَهَدَت الْمَرْأَةُ فى أَنْ تُقَلِّدَ الرَّجُل ، فَجُلُّ مَا تَصِلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا لا تَصِيرُ رَجُلًا ، وَلا تَعُودُ امْرَأَة !

مِنْ غَرِيب طَبَائِع الإِنْسَان أَنَّهُ يُحِبُّ الْعَدَالَةَ مَظْلوماً ، وَيَكْرَهُهَا ظَالِمًا ، وَيَطْلُبُ الْحُرِّيَّةَ مَرْءُوساً ، وَيُنْكِرُهَا رَئِيساً !

---

(١) كاتب رقيق ، وشاعر مجيد ، اشتغل بالتحرير فى الصحف ، وترجمة الروايات ، وأسلوبه رصين ، وألفاظه مختارة .

(٢) الكبريت الأحمر : يضرب به المثل فى القلة والندرة .

٩ — مصطفى بك نجيب(١)

كتب يصف نظارة ويشكر من أهداها :

وَرَدَ الكِتَابُ المُطَرَّزُ بحُلَى الكَرَم ، المُحَلَّى بجميل النِّعَم ، واستلمت(٢) الهدِيَّة ، فَسلمت يدٌ أهدتها ، وحُفظت السَّجَايَا الَّتى لمحاسن الأعمال هداتها ، وَدَامَتْ رحابٌ لمثل هذه الحسنات فيها مجالٌ ، وللمحسنات بهاءٌ وجمالٌ ، وللآمال محطُّ رحال ؛ وللمقاصد كعبة إقبال ، وطابت نفسٌ تعالى الله أن تماثلها نفسُ عصام(٣) ، فإنها نسخت آية الكرِّ والإقدام ، بآية الجود والإكرام ، وفعلت فى القلوب بالعطاء والنوال ، ما قصَّرت عنه الرِّماحُ الطِّوال ، وتأمَّلتها فأرتنى ما لا عينٌ رأت ، وأظهرت من محاسن المناظر ما أضمرت ، وقرَّبت كلَّ منظور بعيد ، وتلت (فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد)(٤) ، وصفا وقتى بصفائها ، فلم أشته شيئاً إلا جمعت بينه وبينى ، وصحَّ علينا قولُ القائل : (رأيتُ بعينها ورأت

---

(١) هو مصطفى بن محمد نجيب . شاعر كاتب ، يمتاز بسهولة الأسلوب ، ورشاقة العبارة ، وإيراد أبرع النكات فى شعره ونثره . وقد نشأ فى معية الخديوى ؛ ثم تحول إلى وزارة الداخلية فشغل فيها منصباً كبيراً حتى مات رحمه الله ، وهو صاحب رسائل « أحلام الأحلام » وكتاب « حماة الإسلام » الذى نشر منجما فى جريدة اللواء . وتوفى سنة ١٣٢٠ هـ .

(٢) لقد جارى الكاتب أهل العصر فى استعمال هذه الكلمة ؛ والاستلام لا يكون إلا للحجر الأسود .

(٣) اسم رجل أنشأ نفسه ويضرب به المثل ؛ قال النابغة الذبيانى يمدحه :

نفس عصام سودت عصاما * وعلمته الكر والإقداما
* وصيرته ملكا هماما *

(٤) حديد : قوى نفاذ .

بِعَيْنِى) ، ثم سَرَّحْتُ نَظَرِى فِى الْأَطْلَالِ وَالرُّسُوم(١) حَتَّى نَظَرْتُ نَظْرَةً فِى النُّجُوم ، فلم تُخْفِ عَنِّى شَجَرًا وَلَا مَدرا(٢) ولا نَجْمًا ، وَلَا قمرًا :

يَزِيدُكَ وَجْهُهُ حُسْنًا إِذَا مَا زِدْتَهُ نَظَرًا

بِبَهَاء ، يُخَيَّلُ لِى أَنَّهَا صِيغَتْ مِنْ ضِيَاء ، فلو كانَتْ فى يَدِ ذَلِكَ الظَّمْآن — أستغفرُ اللهَ — لمـا كانَ يَحْسِب أَنَّ السَّرَابَ مَاء ، استغربَتْهَا العُقُول حَتَّى صَارَ لِـكُلِّ إِنْسَانٍ فِيهَا نظر ، واطَّلَعَتْ عَلَى تفاوُت النَّاس فجاءَتْ لِـكل بَصَرٍ بقدَر ، وَنَالَ بِهَا كلٌّ قَصْدَهُ وَمَرَامَهُ ، وَاسْتَوَى عِنْدَهَا « أَعْمَى وَأَعْشَى ثُمَّ ذُو بَصَرٍ وَزَرْقَاء(٣) الْيَمَامَة » ، فَلَوْ كانَتْ عَيْنًا لَـكَشَفَتْ حَقَائِقَ الضَّمَائِر ، ونُظِر بها تَقَلُّبُ القلوبِ وحَقِيقَةُ الْبَصَائِر . شَهِدَ لَهَا الْجَمْعُ بِالْفَضْلِ لَمَّا ظَهَرَ لِـكُلِّ إِنْسَانٍ لَدَيْهَا حَالَةُ ضَعْفِه ، وعَظَّمَ مِقْدَارَهَا كُلُّ فَرْدٍ وَرَفَعَهَا — رَغْبَةً مِنْهُ أَوْ رَغْمًا — عَلَى أَنْفِه ، وَلَا عَيْبَ فِيهَا غَيْرَ أَنِّى نَظَرْتُ بِهَا فِى سَمَاءِ فَضْلِكَ الْبَاهِر ، وَأُفُقِ شَرَفِكَ الطَّاهِر ، فلم يَنْكَشِفْ لِى بِها الجُودُ لِآخِر ، لَا زَالَ كَرَمُكَ بَعِيدًا حَدُّهُ عَلَى كُلِّ ناظِرٍ وَبَاصِر ، وَفَضْلُ مَنَاهِلِكَ غَايَةً تَقْصِدُهَا الأَوَائِلُ وَالأَوَاخِر .

---

(١) الأطلال والرسوم ما بقى من آثار الديار بعد أن تركها أهلها .
(٢) المدر : التراب المتلبد ؛ أو الطين .
(٣) امرأة يمانية يقال إنها كانت تبصر على مسيرة ثلاثة أيام .

١٠ — للشيخ محمد عبده[1] « من رسالة التوحيد »

القرآن

جاءنا الخبرُ المتواترُ الذى لا تتطرَّق إليهِ الرِّيبَة أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم كانَ فى نشأَتهِ وأُمِّيَّتِهِ عَلَى الحال التى ذكرْنا ، وتَواتَرتْ أَخْبار الأمم كافّةً عَلَى أنّهُ جاءَ بِكِتابٍ قالَ إنّه أُنْزِلَ عليْهِ ، وأَنَّ ذلكَ الكتابَ هُوَ القرآنُ المكْتُوبُ فى المصَاحف المحفوظ صُدُور فى مَنْ عنِيَ بحفْظه مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْيوْم

كتابٌ حوَى من أخبار الأُمم الماضية ما فيهِ مُعْتَبرٌ[2] للأَجيال الحاضِرَة والْمُسْتَقْبلَة ؛ نقَّبَ عَلَى الصحيح مِنْهَا ، وغادرَ الأباطيلَ التى أَلْحَقتها الأوْهَامُ بِها ، وَنبَّهَ عَلَى وُجُوه العبرة فيها . حَكَى عن الأَنبياءِ ما شاءَ اللهُ أن يَقُصَّ علَيْنا من سِيَرِهم ، وما كان بَيْنَهُمْ وبينَ أُمَمِهم ، وبرَّأهُمْ مِمَّا رَمَاهُمْ بِهِ أَهْلُ دِينهِمْ الْمُعْتَقِدُونَ برسالاتهم . آخَذَ[3] العلماء مِنَ الْمِلَل المختلفة عَلَى ما أفْسَدوا من عقائدهم ، وما خَلَطُوا فى أحْكامِهم ، وما حَرَّفُوا[4] بالتأويل فى كُتُبِهم ، وشَرَعَ لِلنَّاس أحكاماً تَنْطَبِق عَلَى مَصَالحهم ، وظَهَرَت الفائدَةُ فى العَمَل بِها والمحافظَةِ عَلَيْها ، وقامَ بها العَدْل ، وانتَظم بها شَمْلُ الجماعة

---

(١) ولد الشيخ العالم الأديب محمد عبده فى محلة نصر إحدى قرى مديرية البحيرة ، ودرس بالأزهر العلوم العقلية والأدبية والدينية ، واتصل بجمال الدين الأفغانى ، وكان أكثر الناس انتفاعا به ، ثم نفى عقب الثورة العرابية ؛ ولكنه عاد إلى مصر وتولى التدريس والقضاء فى المحاكم الأهلية ثم الإفتاء مجتهداً محققاً وقد توفى سنة ١٣٢٣ هـ بعد أن ترك آثاراً ثمينة وطبقة من أنبه الطبقات المصرية .

(٢) معتبر : عبرة وموعظة . (٣) آخذ : حاسب .

(٤) التحريف : التغيير ؛ ووضع شىء مكان شىء .

ما كانت عِنْدَ حَدِّ ما قَرَّره[1] ، ثم عَظُمت المَضَرَّةُ فى إهمالها وَالانحِرَاف عنها أو البُعْد بها عن الرُّوح الذى أودعَتْه[2] ففاقَتْ بذلكَ جميعَ الشرائعِ الوَضْعِيَّة[3] كما يتبَيَّنُ لِلنَّاظر فى شرائعِ الأُمَم . ثمَّ جاءَ بعد ذلك بحِكَم ومواعظ وآداب تَخْشَعُ لها القلوب ، وتَهَشُّ[4] لاستقبالها العُقول ، وتَنْصَرِفُ وَرَاءَهَا الْهِمَم ، انْصِرَافَهَا فى السَّبيل الأَمَمِ[5] .

نَزَلَ القرآن فى عَصْرٍ اتَّفَقَ الرُّوَاةُ وتواتَرَت الأخبارُ عَلَى أنه أَرْقَى الأعْصار عِنْدَ العرب وَأَغْزَرُها مادَّةً فى الفَصاحة ، وَأَنَّهُ المُمتازُ بينَ جميع ما تقدَّمَهُ بِوَفْرَةِ رجالِ البلاغة ، وَفُرْسان الْخَطابَة ، وَأَنْفَسُ ما كانَتْ العربُ تَتَنافَسُ فيهِ مِنْ ثِمار العقْلِ ، وَنَتائِج الفطن وَالذَّكاءِ هُوَ الْغَلَبُ[6] فى القَول ، وَالسَّبْقُ إلى إصابة مكان الْوِجْدان من القُلوب ، وَمَقَرِّ الإِذْعَان مِنَ العُقول ، وَتَفَانيهِمْ فى الْمُفاخَرَةِ بذلك مِمَّا لا يُحْتاجُ إلى الإطالةِ فى بيانه .

تَوَاتَرَ الْخَبَرُ كَذَلك بما كان منهم من الحِرْص عَلَى مُعارضَة النَّبِيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّم ، وَانْتِماسِهِمُ الْوَسائِلَ قَريبَها وبَعيدَها ، لإِبْطَال دَعْوَاه ، وَتَكْذيبِهِ فى الإِخْبَار عن الله ، وَإِتْيانِهِمْ فى ذلكَ عَلَى مبْلَغ اسْتِطَاعَتِهِمْ ، وكانَ فيهِمُ الملوكُ الَّذين تحملهم عِزَّةُ الْمُلْك عَلَى مُعانَدتِهِ ، وَالأُمَراءُ الَّذِينَ يَدْعُوهُم

(١) يريد مادامت قائمة على حدوده ، عاملة بأحكامه .

(٢) أودعته : حفظت فيه .

(٣) الشرائع الوضعية : القوانين التى تسنها الحكومات .

(٤) تهش : ترتاح وتسر .

(٥) الأمم بفتح الهمزة والميم : البين الواضح .

(٦) الغلب : التغلب .

السُّلطانُ إلى مناوَأتِه(١) وَالْخُطباءِ وَالشُّعَراءِ وَالْكُتَّابُ الّذِينَ يَشْمَخُونَ بِأنُوفِهِم عن مُتابعتِه ، وقد اشْتَدَّ جميعُ أولئكَ في مُقاوَمتِه(٢) ، وانْهَالُوا بِقُوَاهُمْ عَلَيْهِ اسْتِكْبارًا عن الْخُضُوع ، وَتَمَسُّكاً بِما كانُوا عَلَيْهِ مِنْ أَدْيان آبائهمْ ، وَحَمِيَّةً(٣) لِعقائدِهِمْ وَعقائد أسْلافِهِمْ ، وهو مع ذلك يُخَطِّئُ آرَاءَهُمْ ، وَيُسَفِّهُ أَحْلامهُمْ(٤) ، وَيحْتَقِرُ أَصْنامَهُمْ ، وَيدْعُوهم إلى ما لم تَعْهَدْهُ أَيَّامُهُمْ ، ولم تخفق لمثله أَعْلامُهُمْ ، وَلَا حُجَّةَ لَهُ بَيْنَ يدَيْ ذلكَ كلِّه إلَّا تحدِّيهِمْ(٥) بالإتيان بمِثْلِ أَقْصَرِ سورةٍ من ذلك الكتاب ، أَوْ بعشرِ سُوَرٍ مِنْ مِثْله ، وكانَ في اسْتِطاعَتِهِمْ أَنْ يَجْمَعُوا إِلَيْهِ مِنَ الْعُلَماءِ وَالْفُصَحاءِ والْبُلغاءِ مَا شاءُوا لِيأتُوا بِشَيْءٍ مِنْ مِثْلِ مَا أَتَى بِهِ لِيُبْطِلُوا الْحُجَّةَ ، وَيُفحِمُوا(٦) صاحِبَ الدَّعْوَة .

جاءَنا الخبرُ المتواترُ أن مع طُول زَمَن التَّحدِّي ، وَلَجاج(٧) الْقَوْمِ في التَّعدِّي ، أُصِيبُوا بالْعجْز ، ورجعوا بالْخَيْبَة ، وَحقَّتْ لِلْكِتاب العَزيزِ الكلمةُ العُلْيا عَلَى كُلِّ كلام .

وله يصف نهج البلاغة :

أَوْفَى لِي حُكْمُ الْقَدَرِ بالاطِّلاعِ عَلَى كتاب « نَهْجِ البَلاغَة » صُدْفَةً بلا تَعمُّل أَصَبْتُهُ عَلَى تَغَيُّر حَالٍ(٨) ، وَتبَلْبُل بالٍ ، وَتزَاحُمِ أَشْغالٍ(٩) ، وَعُطْلَةٍ مِنْ أَعْمالٍ ،

---

(١) مناوأته : محاربته . (٢) مقاومته : صده .
(٣) الحمية : الغيرة . (٤) الأحلام : جمع حلم ؛ وهو العقل .
(٥) التحدى : طلب الإتيان بالشيء مع إظهار العجز عنه .
(٦) يفحمونه : يجعلونه يعيا عن النطق والمقاومة .
(٧) اللجاج : — هنا — المتابعة . (٨) تبلبل البال . اضطرابه .
(٩) الأشغال : جمع شغل ؛ وهو ما يشغل النفس ؛ أى تزاحم الهموم وشواغل النفس .

فحسبتُهُ للتسلية ، وجعلتُهُ للتخلية . فتصفَّحتُ بعض صفحاته ، وتأمَّلتُ جملا من عباراته ، من مواضع مختلفات ، ومواضيع متفرِّقات . وكان يُخيَّلُ لي في كلِّ مقامٍ أن حروباً شبَّتْ وغارات شُنَّتْ ، وأنَّ للبلاغة دولةً وللفصاحة صولةً ، وأنَّ للأوهامِ عرامة[١] ، وللرِّيَب دعارة[٢] . وأنَّ جحافلَ الخطابة[٣] ، وكتائبَ[٤] الذرابة[٥] ، في عقود النِّظام ، وصفوف الانتظام ، تُنافحُ[٦] بالصَّفيح[٧] الأبلج[٨] ، والقويم الأملج[٩] وتمتلجُ[١٠] المُهجَ[١١] ، برواضع الحُجج . وتفلُّ دعارةَ الوساوس ، وتُصيبُ مقاتلَ الخوانس[١٢] فما أنا إلَّا والحقُّ منتصر ، والباطلُ منكسر ، ومَرَجُ الشَّكِّ في خمود ، وهَرْجُ[١٣] الرَّيب في رُكود ، وأنَّ مُدبِّرَ تلكَ الدَّولة ، وباسلَ تلكَ الصَّولة هُوَ حاملُ لوائها الغالب أميرُ المُؤمنينَ عليُّ بنُ أبي طالب ، بلْ كُنتُ كلما انتقلتُ منْ موضعٍ إلى موضعٍ أُحسُّ بتغيُّرِ المشاهد ، وتحوُّل المعاهد :

---

(١) عرامة — بفتح العين — : شدة وشراسة .
(٢) الدعارة — بفتح الدال وكسرها — الفجور وسوء الخلق .
(٣) الجحافل : جمع جحفل — بفتح الجيم — وهو الجيش الكثير .
(٤) الكتائب : جمع كتيبة — بفتح الكاف — وهي القطعة من الجيش .
(٥) الذرابة — بفتح الذال — : الفصاحة .
(٦) تنافح : تدافع .
(٧) الصفيح : السيوف ؛ وأراد بها هنا : المفرد .
(٨) الأبلج : الأبيض اللامع .
(٩) يريد بالقويم الأملج : الرمح المعتدل الأسمر .
(١٠) تمتلج : تمتص .
(١١) المهج : جمع مهجة — بضم الميم — وهي دم القلب .
(١٢) لعله يريد بالخوانس ما يجول في النفس من خواطر السوء .
(١٣) المرج — بفتح الراء — القلق والاضطراب ؛ وإنما تسكن الراء إذا قرنت بالهرج . والهرج — بسكون الراء — الفتنة .

فَتَارَةً كُنْتُ أَجِدُنِى فِى عَالَمٍ يَعْمُرُهُ مِنَ الْمَعَانِى أَرْوَاحٌ عَالِيَةٌ فِى حُلَلٍ مِنَ الْعِبَارَاتِ الزَّاهِيَةِ ، تَطُوفُ عَلَى النُّفُوسِ الزَّاكِيَةِ(١) ، وَتَدْنُو مِنَ الْقُلُوبِ الصَّافِيَةِ ، تُوحِى إِلَيْهَا رَشَادَهَا وَتُقَوِّمُ مِنْهَا مُنْآدَهَا(٢) ، وَتَنْفِرُ بِهَا عَنْ مَدَاحِضِ الْمَزَالِّ(٣) ، إِلَى جَوَادِّ(٤) الْفَضْلِ وَالْكَمَالِ ، وَطَوْرًا كَانَتْ تَنْكَشِفُ لِى الْجُمَلُ عَنْ وُجُوهٍ بَاسِرَةٍ(٥) ، وَأَنْيَابٍ كَاشِرَةٍ وَأَرْوَاحٍ فِى أَشْبَاحِ النُّمُورِ ، وَمَخَالِبِ النُّسُورِ ، وَقَدْ تَحَفَّزَتْ لِلْوِثَابِ ، ثُمَّ انْقَضَّتْ لِلاخْتِلَابِ ، فَخَلَبَتِ الْقُلُوبَ عَنْ هَوَاهَا ، وَأَخَذَتِ الْخَوَاطِرَ دُونَ مَرْمَاهَا ، وَاغْتَالَتْ فَاسِدَ الْأَهْوَاءِ ، وَبَاطِلَ الْآرَاءِ . وَأَحْيَانًا كُنْتُ أَشْهَدُ أَنَّ عَقْلاً نُورَانِيًّا ، لَا يُشْبِهُ خَلْقًا جُسْدَانِيًّا ، فَصَلَ عَنِ الْمَوْكِبِ الْإِلٰهِىِّ(٦) ، وَاتَّصَلَ بِالرُّوحِ الْإِنْسَانِىِّ ، فَخَلَعَهُ عَنْ غَاشِيَاتِ الطَّبِيعَةِ وَسَمَا بِهِ إِلَى الْمَلَكُوتِ الْأَعْلَى ، وَنَمَا(٧) بِهِ إِلَى مَشْهَدِ النُّورِ الْأَجْلَى ، وَسَكَنَ بِهِ إِلَى عُمَّارِ جَانِبِ التَّقْدِيسِ ، بَعْدَ اسْتِخْلَاصِهِ مِنْ شَوَائِبِ التَّلْبِيسِ وَآنَاتٍ(٨) كَأَنِّى أَسْمَعُ خَطِيبَ الْحِكْمَةِ ، يُنَادِى بِأَعْلِيَاءِ الْكَلِمَةِ ، وَأَوْلِيَاءِ أَمْرِ الْأُمَّةِ ، يُعَرِّفُهُمْ مَوَاقِعَ الصَّوَابِ وَيُبَصِّرُهُمْ مَوَاضِعَ الارْتِيَابِ وَيُحَذِّرُهُمْ مَزَالِقَ الاضْطِرَابِ ، وَيُرْشِدُهُمْ إِلَى دَقَائِقِ السِّيَاسَةِ ، وَيَهْدِيهِمْ طَرِيقَ الْكِيَاسَةِ ، وَيَرْتَفِعُ بِهِمْ إِلَى مِنَصَّاتِ(٩) الرِّيَاسَةِ ، وَيُصْعِدُهُمْ شَرَفَ التَّدْبِيرِ ، وَيُشْرِفُ بِهِمْ عَلَى حُسْنِ الْمَصِيرِ .

---

(١) الزاكية : المطهرة . (٢) المنآد : المعوج .
(٣) المداحض : جمع مدحضة — بفتح الميم — وهى المزلقة والمزلة .
(٤) الجواد — بتشديد الدال — جمع جادة ؛ وهى معظم الطريق أو وسطه .
(٥) باسرة : متقطبة . (٦) فصل عنه — بصيغة البناء للفاعل — خرج عنه . (٧) نما به : ارتفع .
(٨) آنات : أوقات . (٩) المنصات : جمع منصة — بكسر الميم — وهى الكرسى .

١١ – إبراهيم بك المويلحى (١)

يَشْكُو بلسان حاجٍّ ما رأى إحْدَى السِّنِينَ فى الحج من فَتْك الْوَبَاء (٢) بالْحُجَّاجِ وَإهْمالِ السُّلْطات شَأْنَهُ وَشَأْنَهُمْ

ترجمت إلى التركية وعرضت على السلطان عبد الحميد :

كذا فَلْيَجِلّ (٣) الخطبُ ولْيَفْدح (٤) الأمْرُ   وَلَيْسَ لعَيْنٍ لم يَفِضْ ماؤُهَا عُذْرُ

يقول الشاعرُ البيتَ الْجَزْلَ من الشِّعْر لغرضٍ له حَقِير ، ثم يتركه ويأتى من بَعده مَنْ يَضَعُه مَوْضِعَه اللائقَ به من حوادث الزَّمان . وإنَّ هذا البَيْتَ لا يَحل مَحلَّهُ فى رثاءِ واحدٍ من الناس، وإنما يقال لِيُبكَى به ما أصاب الْمُسْلِمِين فى مكَّة هذا العام ، وَلا غَرْوَ (٥) أن تَرْتَعِدَ اليَدُ وَيَقِفَ الْقَلَم ، وَيَتلعثم اللِّسان عند وصْف ما فعلَتْه الْمَنِيَّة حين قامت تَفْتِكُ فى الأَرْوَاح ، وَتَهتك فى الأشباح (٦) ، حتى فُرِشت الأزِقَّةُ بالموتَى ، وَأقامت منهم كُثْبانًا (٧) تشهد عَلَى عَجْزِ الْقَوْمِ عَنْ تَدارُكِ الأُمُور .

---

(١) أصل أجداده من مرفأ المويلح ببلاد العرب ؛ وقد انحدروا إلى مصر من زمان بعيد . وقد نشأ إبراهيم فى بيت حسب وغنى ، وكان أبوه من كبار التجار يتجر فى الحرير ؛ فنزع إبراهيم ، مع معالجته التجارة ، إلى الأدب فقرأ كثيراً من كتب المتقدمين ، وكان من أوائل من استظهروها ؛ حتى برع فى الأدب ؛ وحذق الفرنسية والتركية ، وجود التاريخ القديم والحديث ، واتصل بالأفاضل المبرزين فى عصره وشرع لوناً من البيان يجمع بين جزالة الأسلوب وفحولة اللفظ ، وبين الوقوع على المعانى الغريبة ؛ والاستشهاد بالأمثلة الدقيقة ، فكان فى بيانه نسيج وحده ، وهو يعد بحق من أوائل من بعثوا النهضة الأدبية فى العصر الحديث . وقد أصدر جريدة نزهة الأفكار ، ثم جريدة مفتاح الشرق وحرر فيها وفى كثير من الصحف التى كانت قائمة فى عهده . وتوفى سنة ١٩٠٦ م (١٣٢٣ هـ) .

(٢) الوباء : المرض العام ينزل بالبلد فيصيب أهلها ويتفشاهم .

(٣) فليجل : فليعظم . (٤) فدح الأمر : ثقل وصعب احتماله . (٥) لا غرو : لاعجب .

(٦) المراد من الأشباح هنا : الأجسام (٧) الكثبان : جمع كثيب . وهو التل من الرمال .

ولقد رأيتُ من المناظر المُدهشة ما تتصاغر عنده عظيماتُ النوائب ، وتتضاءل لديه جسيماتُ المصائب ، فمن ذلك أني رأيتُ شابًّا عليه شارةُ[١] الحشمة والنجابة ، يتخبّط في التراب ولا يستطيع إشارةً ولا كلامًا ، وإنما كان يطلبُ بعينيه المملوءتين بالدمع أن يدنو منهُ أحدُ المارّة فدنوتُ منهُ فوجدتُهُ قد مات . فأبكاني موتهُ غريبًا عن أهلِهِ وقومه على تلك الحالة المؤلمة ، فطلبتُ بالأجرة مَنْ يدفنُه فلم أجدْ أحدا ، على إفراط حُبّ المال في هذا البلد . فكتبتُ ورقةً وأرسلتُها إلى قاضي مكّة أسألهُ المعونة على دفن هؤلاء الغُرباء المطروحين تحت أقدام النّاس في الطريق ، فأجابني بأن هذا لا يعلق[٢] بشيء من وظيفته ، ولا يخُصّهُ الاشتغالُ به ! فسألتُ عن غيره من أصحاب الحلّ والعقد[٣] ، فوجدتُهم قد طاروا إلى الطائف وتركوا مكّة للقتل العامّ .

وبينا أنا حيران في وسط هذه المقبرة المكشوفة ، إذ لاحتْ منّي التفاتة إلى الموتى فرأيتُ وليتني لم أر ، امرأةً اختطفتها المنيّة من بنتٍ لها صغيرةٍ لم تبلغْ سنّ التمييز بين النّوم والموت ، وقد شرعتْ تلك الصغيرةُ تحرّك أُمّها بيديها لإيقاظها ، وتبكي لعدم إجابتها ، بعيونٍ تقسّمتْ نظراتُها بين السّماء والأرض ، وتعدُها في خلال تلك النّظرات المُبهمة أنّها لا تعودُ لشيءٍ كانتْ نهتها عنهُ ، بعبارات تستخرجُ الحُنُوّ[٤] والشفقة من القلوب الصّخريّة .

---

(١) الشارة : العلامة والدلالة . (٢) يعلق : يتصل . أي ليس من شأنه .
(٣) المراد أهل التصرف في الأمور ، وهم رجال الحكومة . (٤) الحنو : الحنان .

فأَمْسَكتُ بالبِنْت وَلا أقدرُ أنْ أَصِفَ لكَ كَيْفَ فَصَلْتُها عن رِمَّة[1] أُمّها ، وكيف كان حالُها وَحالُ مَنْ يَرَاهَا عند آخر نظرَةٍ نظرَتْها إلَى وَالدتِها وَكافلتِها[2]

ثم قَفَلْنَا إلى جُدَّةَ مُشتّتين ، فَعلِمْنا أنَّ الدَّوْلة قد أَرسلتْ وَابُورًا لِنَقْلِ الحُجّاج ، وليتها لم ترْسلْ فإنّ قبطانَ الوابُور كانَ أَشَدَّ قَسْوَةً عَلَى الحُجّاج من المَوْت : أَمرَ أوّلًا بإلْقاء قسْم مِمّا كانَ مَعَهُمْ مِنَ الأَزْوَاد[3] . فى البحر يدعوى المحافظة عَلَى الصِّحَّة . ثُمَّ أَخَذَ يَبيعُ لَهُمْ ثانيًا ، وَهم فى اللُّجَّة[4] مما احْتَكَرَهُ مِنَ القُوتِ ، بيْعَ القَحْط اليُوسُفِى[5] . ولما لم يَبْقَ معهم من النَّقْد شىء ، شرع يَبيعُ لهم بما مَعَهُم من الهَدَايا وَالسُّبَح ، وكان الجَبَّارُ لا يُحبُّ أَنْ يَسْمَعَ بمريض فى السفينة ، ولهذا اضْطرَّ كثير أنْ يَكْتُمُوا أَمراضهم . وما زلنا معه عَلَى شَفَا[6] الخَطَر إلى أَنْ وَصَلْنَا إلى الطُّور ، فلقينا هُنَاكَ مِنْ كِبْرِياءِ الأَطِبَّاء وَعظَمَتِهِمْ ما تَمَنَّيْنا له أن نكونَ طُعْمًا[7] للحيتان ، فإنَّهُمْ كانوا يأنفُون أَنْ يَمَسُّوا أيْدِيَ الحُجاج بأيديهم ؛ وَكانوا يَكْتَفُونَ بالنَّظَر الشَّزْر[8] إليْهمْ . وكثيرًا ما كانوا يَعترِضُونَ عَلَى الحُجَّاج . فاعتقدت أَنَّ الخيرَ ارْتَفعَ إلى السَّماءِ ، وَأَنَّ الأرضَ أَصْبحَتْ قَاعًا صَفْصَفًا[9] من نَوْعِ الإنْسان ، وَأَنَّ الذين نَرَاهُم هم شَيَاطِينُ عَلَى صُورةَ البَشَر ؟

---

(١) الرمة : الجثة . (٢) الكافلة : التى تكفله وتقوم على أمره .
(٣) الأزواد : جمع زاد . وهو مايتخذ من الطعام للسفر .
(٤) أى فى عرض البحر . (٥) القحط الذى أصاب مصر ، وذكر فى القرآن فى سورة يوسف .
(٦) الشفا : حرف كل شىء . (٧) الطعم : الطعام .
(٨) النظر الشزر : هو النظر بجانب العين دليلا على الإعراض أو الغضب .
(٩) الصفصف : المستوى المطمئن . والمراد : أنها خالية لا أحد بها .

وَقُصَارَى القول إننا فى زمن أصبحَ القابضُ عَلَى دينه فيه كالقابِض عَلَى الجمر فلا حولَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بالله .

ومن كتاب له :

« أَكْتُبُ كِتَابِى هَذَا إِلَيْك ، وَنفسى تَنْظُرُ إِلَى نَفْسِكَ فى عُلُوِّهَا وَارْتِفَاعِهَا نَظَرَ السُّلَحْفَاةِ إِلَى الْأَجْدَلِ[1] فَوْقَ شُرُفَاتِ الْمِجْدَلِ[2] ، وَتُحَدِّثُنى : لَوْ مُدَّ لِى طَرِيقٌ قُضْبَانُه مِنَ الذَّهَب لَا الْحَدِيد وَمَرْكَبَاتُهُ مِنَ الْيَوَاقِيت ، وَسَائِقُ آلَتِه جِبْرَائِيلُ ، لِيُبْلِغَنِى بَلَدًا أُسَاكِنُ فيه هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ ، لَفَضَّلْتُ الْجُلُوس حَيْثُ أَنَا الآن ، أَكْتُبُ لك هَذَا الْكِتَاب تَحْتَ ظِلِّ هٰذِهِ الشجَرَةِ لَا أَظْلِمُ وَلَا أُظْلَمُ ! »

١٢ — الشيخ إبراهيم اليازجى[3]

كتب يعزِّى بعض أصدقائه :

مَنْ عَلِمَ أَنَّ الْقَضَاءَ وَاقِع ، وَأَنَّ الْأَعْمَارَ رَهَائِنُ الْمَصَارِع[4] ، فَلَمْ يَصْحَبْ دَهْرَهُ عَلَى غِرَّة[5] ، وَلَمْ يَفْتُرْ[6] ، مِنَ الأقْدَارِ بِفَتْرَة[7] ، لَمْ تَكْبُرْ عَلَيْه الرَّزِيئَة[8]

---

(١) الأجدل : الصقر . (٢) المجدل : بكسر الميم وفتح الدال : القصر .

(٣) يعد إبراهيم اليازجى من خير علماء اللغة والنحو والأدب فى هذا العصر . أصدر باسمه مجلتى البيان والضياء . وله مؤلفات محكمة فى علوم اللغة والنقد اللغوى . توفى سنة ١٣٢٤ هـ .

(٤) المصارع : المهالك . (٥) الغرة بكسر الغين : الغفلة .

(٦) يفتر : يسكن .

(٧) الفترة بفتح الفاء : الهدنة وما بين النوبتين من الحمى .

(٨) الرزيئة : المصيبة .

إِذَا اغتالَتْ ، وَلَمْ يَطمَئِنَّ إِلَى السَّلامَةِ وَإِن طَالَتْ[١] ؛ فَإِنَّ للدَّهْرِ رَقْدَةً وَهَبَّةً[٢] ، وَإِنَّ لِلَّيَالِي كَمْنَةً[٣] وَوَثْبَة . وَمِثْلُكَ مَنْ أَدْرَكَ مَبَادِئَ الأُمُورِ وَمَصَايِرَهَا[٤] ، وَعَرَفَ مَوَارِدَ الْحَيَاةِ وَمَصَادِرَهَا . وَإِنَّمَا الْمَوْتُ طَوْرٌ مِنْ أَطْوَارِ الْوُجُود ، وَآخِرُ أَعْمَالِ الْحَيَاةِ فِي الْمَوْجُود . وَلَا أَزِيدُكَ عِلْمًا بِالْكَوْنِ وَشَرَائِعِه ، وَالْكَائِنِ وَطَبَائِعِه . إِنَّمَا هِيَ ذِكْرَى لِمَنْ فَجَأَهُ الرُّزْءُ فَشَغَلَه ، وَحَلَّ بِسَاحَتِهِ الْقَضَاءُ فَأَذْهَلَه . وَحَسْبِي مِنَ التَّعْزِيَةِ عِلْمِي بِمَا عِنْدَكَ مِنْ مَوَارِدِ الْعِلْمِ الْمُبَاح ، وَمِنَ التَّأْسِيَةِ[٥] مَا تَعلَمُهُ مِنْ حَالِ مُخَاطِبِكَ وَهُوَ سَائِلُ الْجِرَاح . وَمَا أَخْلَقَنِي[٦] بِأَنْ أَقُولَ : إِنَّ رُزْءَكَ هَذَا قَدْ زَادَنِي شَجَنًا عَلَى أَشْجَانِي[٧] ، وَنَكَأَ[٨] مَا تَمَاثَلَ[٩] مِنْ قَرْحَةِ أَحْزَانِي . وَلَكِنِّي قَدْ صَيَّرَنِي الدَّهْرُ إِلَى حَالٍ لَا تَعْمَلُ فِيهَا حَال ، وَلَا أُبَالِي مَعَهَا بِسَلْمٍ وَلَا قِتَال ، فَكَأَنَّمَا إِيَّايَ عَنَى أَبُو الطَّيِّبِ حَيْثُ قَال :

رَمَانِي الدَّهْرُ بِالْأَرْزَاءِ[١٠] حَتَّى ... فُؤَادِي فِي غِشَاءٍ[١١] مِنْ نِبَالِ[١٢]

فَصِرْتُ إِذَا أَصَابَتْنِي سِهَامٌ ... تَكَسَّرَتِ النِّصَالُ عَلَى النِّصَالِ[١٣]

---

(١) يريد أن من صاحب الزمان على حذر ولم يأمن له ، وإن طال أمد السلامة ، لم تعظم عليه المصيبة إذا حلت لأنها دائماً داخلة فى حسابه .

(٢) الهبة بتشديد الباء المفتوحة : النهوض من النوم .

(٣) يريد بالكمنة السكون .

(٤) مصاير الأمور : غاياتها .

(٥) التأسية : التصبير والتعزية .

(٦) ما أخلقنى : ما حقنى وأولانى .

(٧) الشجن بفتح الشين والجيم : الهم والحزن ، وجمعه أشجان .

(٨) نكأ القرحة : قشرها قبل أن تبرأ .

(٩) تماثل : قارب البرء .

(١٠) الأرزاء : جمع رزء ، وهو المصيبة .

(١١) الغشاء : الغطاء .

(١٢) النبال : جمع نبلة ، وهى السهم .

(١٣) النصال : جمع نصل بفتح النون وسكون الصاد ، وهو حديدة السهم وطرفه .

وكتب إلى صديق له :

مَهْمَا زِدْتَنِى مِنْ جَمِيلِكَ الْمَأْلُوف ، وَصَنِيعِكَ(١) الْمَعْرُوف . فمَا أَزِيدُكَ عَلَى مَايَنْطِقُ بِهِ لِسَانُ حَالِى مِنَ الاعْتِرَاف بِتَطَوُّلِكَ(٢) ، وَالثناءِ عَلَى تَفَضُّلِك ، لَاسِيما فيما أَبْدَيْتَ مِنَ الْحَفَاوَة(٣) وَاللُّطْفِ فِى جَانِبِ أَخِى وَأَخِيكَ النَّازِلِ فِى كَنَفِ(٤) تَدْبِيرِكَ ، الْمَوْكُولِ إِلَى حُسْنِ رَأْيِك ، وَهِيَ يَدٌ(٥) لَكَ حَمَلْتُ جَمِيلَهَا عَلَى عَاتِقِى(٦) فَوْقَ مَا أَثْقَلَتْه أَيَادِيكَ السَّابِقَةُ ، وَأَلْطَافُكَ(٧) السَّالِفَة . وَإِنِّى لَآمُلُ لَهُ بِمُؤَازَرَتِك(٨) نجْحاً لَا يَعْتَرِضُهُ إِخْفَاقُ مَسْعًى ، وَفَوْزًا لَا يَصْدُرُ(٩) عَنْهُ طَيْشُ رَأْى . وَأَسْأَلُ اللهَ لَكَ وَلَهُ السلامةَ وَالتَّوْفِيقَ بِمَنِّه(١٠) وَطَوْلِه(١١) .

١٣ — مصطفى باشا كامل(١٢)

من خطبة له :

أَيُّهَا السادة : إِنَّكُمْ بِاجْتِمَاعِكُمُ اليومَ هذا الاجتماعَ الوطنيَّ تَرْفَعُونَ كَثِيراً من مَقَامِ الوطنيةِ المصريَّةِ وَتُخَفِّفُونَ من آلامِ مصرَ العزيزةِ التى قاسَتْ

(١) الصنيع المكرمة . (٢) التطول : التفضل .
(٣) الحفاوة بالرجل : إكرامه وإظهار السرور به
(٤) الكنف بفتح الكاف والنون : الظل والجانب . والمراد هنا : الرعاية .
(٥) اليد : النعمة . (٦) العاتق : مابين المنكب والعنق .
(٧) الألطاف ، جمع لطف ، بفتح اللام والطاء ، وهو الإحسان والإتحاف .
(٨) المؤازرة : المعاونة . (٩) يصدر عنه : أى لايكون منه .
(١٠) المن : المنة . (١١) الطول : الفضل .
(١٢) خطيب وسياسى وزعيم مصرى ، تعلم الحقوق واشتغل بالسياسة ، وانصرف إلى مقاومة الاحتلال الانجليزى بخطبه ومقالاته وكتبه . أنشأ جريدة اللواء وجريدتين أخريين : إحداهما بالفرنسية ، والأخرى بالانجليزية . وتنقل فى بلدان أوربا داعياً للوطن وكان فصيحاً مؤثراً فى كتابته وخطابته ، مات شاباً سنة ١٣٢٦ هـ (سنة ١٩٠٨ م) .

وَتقاسى أَشَدَّ العَذاب عَلَى مَشْهَدٍ منكُمْ يا أعزَّ بَنيها وَيا نُخْبَةَ أنجابِها . فَكل اجتماعٍ وَطنىٍّ تُذْكرُ فيهِ مصرُ ويطالَبُ بحقوقها ، وَيُعلنُ أبناؤها إخْلاصَهُمْ لها ، هو فى الحقيقة مرهَمٌ لِجراحها وَدواءٌ لدائِها فاذكروها ما استطعتم ، فَإِنَّ فى ذكراها ذكرى آلامِها ، وَذِكْرى الآلامِ تجرُّ حتماً إلى ذِكْرِ عَوامِل الشِّفاء . اذْكرُوهَا كما يذْكر الولَدُ الحنُونُ أُمَّهُ الشَّفيقَة ، وَهىَ عَلَى سَريرِ المَرَضِ وَالْعَناء . اذكروها بآلامِها وَإِنْ كانَ غيرُكم يَذْكُرُ بلادَهُ بِمَجْدِهَا وَرِفْعَةِ شأنِها . اذكرُوهَا فإنَّكُمْ ما دُمْتمْ مُقدِّرين لمَصائِبها عارفينَ بِحَقِيقَةِ آلامِهَا ، دَامَ لأمَلُ وَطيدًا[1] فى سَلامتها وَدام الرَّجاء . اذْكرُوها ، فَمِنَ المستحيل أن يَرَى العاقلُ النارَ فى داره ، والداءَ فِى شَخْصِ أمِّه ، وَيُهْمِلُ النَّار وَيُهْمِلُ الدَّاء . . !

ثم قال وهُناكَ فئةٌ من المصريين لا أُنكرُ إخْلاصَ رجالها للوطن العزيز ، وَلكِنْ أنكرُ عليهم اليأسَ الذى يتظاهرُون به فى كلِّ وَقْتٍ وَفى كلِّ مكان . فهم ما عمِلوا وَلا يعملون لِلْبلاد عملا نافعاً ، وَلـكنَّهُمْ جعلوا اليأسَ علّةَ عَدمِ العمل وَعلَّةَ الكسل ! فإنْ سألتهُم لِمَ لا تقُومُونَ بعملٍ عُمُومىٍّ نافع للبلاد ؟ أجابوكَ « نحْنُ يائِسُونَ من مُسْتَقْبَلِ الوطَن ، معتقدُونَ ظلمَةَ الأيام الآتية » فبالله كيف يستطيعُ طبيبٌ أن يحْكُمَ عَلَى عليلٍ بعدم الشفاء قبل أن يفحص داءهُ وَيُعطِيَهِ الدواء ؟ عَلَى أننا نرى الكثيرَ مِنَ الأطباءِ لا ييأس أبداً من شفاء المريض حتى فى آخر لحظة مِنْ حياته . فكيف

(١) وطيداً : ثابتاً قوياً

ييأَسُ رجالٌ من بنى مصْرَ مِنْ مستقبل البلاد ؟ وَهُمْ إنْ كانُوا قد خَبَرُوا داء مصر فيعلمُ اللهُ وَيعلمُ الناس أَنَّهُمْ إِلَى اليوم ما قَدَّمُوا لها الدَّوَاءَ .

كيف نَيْأَسُ مِنَ المستقبل ، وَالمستقبلُ بِيَدِ اللهِ وَحْدَه ، وَكثيراً ما تَأْتِي الحوادثُ بخلافِ الْمُنْتَظَرِ وَبغيْرِ حِساب ؟

هي النفوسُ الصغيرةُ التي يُخْلَقُ عِنْدَها الأَمَلُ بكلمةٍ أَوْ بتِلِغْرَافٍ ! ثم يستولى عليها اليأسُ بِكلِمَةٍ أَوْ بتِلِغْرَاف ! أَمَّا النُّفُوسُ الْعالِيَةُ الْكبيرةُ فيدومُ فيها الأَمَلُ مَا دَامَ الدمُ فِي الْعُرُوقِ وَما دَامت الحياة .

وَأَيُّ حَيَاةٍ تَرْضَاها النفوسُ الشريفة مع اليأس ، أَيَجْمَعُ المرءُ فِي جِسْمٍ وَاحِدٍ الموْتَ وَالحياة ؟ إذ اليأسُ مَوْتٌ حقيقٌ وَأَيُّ مَوْت ؟

كيف نَيْأَسُ وَنَحْنُ جميعاً عَالِمُونَ بأَنَّ ما يَظْهَرُ طويلاً فِي حَياة الْأَفْرَاد هوَ قصيرٌ فِي حَيَاة الشعوب ، فعشرٌ من السَّنَوَات فِي حياة الإنسان طَوِيلَةٌ حَقًّا ، وَلكنَّها فِي حَياة الأمة قصيرةٌ جدًّا ، عَلَى أنه إذا كان اليائسون مُعتقدين بصحة أَفكارهم ، فعارٌ عليهم أن يقومُوا فِي الأمة بوظيفة تثبيط همم الآملين ، والآملون في البلاد كثيرون ، بل الأُمَّةُ كلُّها مُؤَمِّلَةٌ خَيْرًا فِي المستقبل . وَإن لم تَظهر إِلَى الآن أعمالُ الآملينَ فستظهرُ بَعْدَ قليل ، وَسَتَرَى الأمة المصرية وَأُمَمُ الْعَالَمِ أَجْمَعُ أَنَّ للوطنِ المصريِّ أَبْنَاءً مُخْلِصِينَ يقدِّرُونَ الْوَطَنِيَّة قدْرَهَا ، وَيَعْرِفُونَ لِمِصْرَ حُقُوقَهَا .

وَلَا غَرْوَ فَإِنّ سُبُلَ خِدْمَة الْوَطَن عَدِيدَة ، وَإِنَّ أَهَمَّهَا إِعْلَانُ الحقيقة فى كُلّ بلد وَفى كُلّ زَمَان . فالْحُرِّيةُ بنتُ الحقيقَة ، وما انْتَشَرَت الحقيقة فى أُمَّةٍ إلَّا وارتفعتْ كلمتُهَا ، وَعَلا شَأْنُهَا . فالحقيقةُ نُورٌ سـاطعٌ إِذَا انتَشَرَ اختَفَى الظُّلم وَالظُّلمة ، وانتشرت الْحُرِّيَةُ وَالْعَدْل . فـكما أن الأفرادَ لَا تُسْلَبُ حُقُوقُهمْ ، وَلا يَتَعدَّى اللُّصُوصُ عَلَى أَمْتِعَتِهِمْ ، إلَّا فى ظَلام اللَّيْلِ الحالك ، فـكذلك شأن الأمم ، لا تُسْلَبُ حقوقُها ، وَلَا يَعْتَـدِى العَدُوُّ عَلَى أَمْلاكها إلَّا إذَا كانَتْ الحقيقةُ مَجْهُولَةً فيها ، وكانت هى عائشَةً فى الْجَهْلِ والظلام .

ومن خطبة له ألقاها بالإسكندرية فى ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٠٧ م :

« بِلادى ! بلادى ! لك حُبِّى وَفُؤَادى ، لَكِ حيَاتى وَوُجُودى ، لَكِ دَمِى وَنَفْسِى ، لكِ عَقْلِى وَلِسانى ، لَكِ لُبِّى وَجنَانى ، فأَنْتِ أَنْتِ الْحَيَاةُ ، وَلَا حَيَاةَ إلَّا بِكِ يامِصْر !

« يَقُولُ الْجُهلاءُ وَالْفُقَرَاءُ فى الإِدْرَاكِ إنِّى مُتَهَوِّرٌ[1] فى حُبِّهَا ، وَهَلْ يَسْتَطِيعُ مِصْرِيٌّ أَنْ يَتَهَوَّرَ فى حُبِّ مِصْر ؟ إنَّهُ مَهْمَا أَحَبَّهَا ، فَلا يَبْلُغُ الدَّرَجَةَ الَّتى يَدْعُو إليها جَمَالُهَا وَجَلالُهَا وَتَارِيخُهَا ، وَالْعَظَمَةُ اللَّائِقَةُ بِهَا .

«أَلا أَيُّهَا اللَّائِمُونَ ! انْظُرُوها وَتَأَمَّلُوها ،وَطُوفُوها ،وَاقْرَءُوا صُحُفَ مَاضِيهَا وَاسْأَلُوا الزَّائِرِينَ لها مِنْ أَطْرَافِ الأَرْض : هَلْ خَلَقَ اللهُ وَطَنَاً أَعْلَى مَقاماً ،

---

(١) التهور : الوقوع فى الأمور بغير مبالاة ، ويريد به هنا : التهالك والمبالغة والإفراط .

وَأَسْمى شأنًا، وَأَجْمل طَبِيعَةً، وَأَجلّ آثارًا، وَأَغنى تربَةً[١]، وَأَصْفى سَمَاءً، وَأَعْذب مَاءً، وَأَدْعَى لِلْحبِّ وَالشَّغَف[٢] منْ هٰذا الْوَطن الْعَزيز؟

اسْأَلوا الْعَالم كُلَّهُ يُجِبْكُم بِصَوْت وَاحِد: إِنَّ مِصْر جَنَّةُ الدُّنيا، وَإِنَّ شَعْبَهَا الَّذِي يَسْكُنُهَا وَيَتَوَارَثُهَا لأَكْرَمُ الشُّعُوب إِذَا أعزَّها، وَأَكْبَرُها جِنَايَةً عَلَيْهَا وَعَلَى نَفْسِهِ إِذَا تَسَامَحَ فى حَقِّها، وَسَلَّم أَزِمَّتَهَا[٣] لِلأَجْنَبى.

إِنِّى لَوْ لَمْ أُولَدْ مِصْرِيًّا لَوَدِدْتُ أنْ أكُونَ مِصْرِيًّا؟

قَدْ يَرَى السُّفهاء وَالطَّائِشُون أَنَّ الانْتِسَابَ لِشَعْبٍ مُسْتَعْبَدٍ كالشَّعْب الْمِصْرِيِّ مِمَّا لا يَليقُ بِإِنْسان، وَلكنْ أَىُّ شرفٍ يَطْمعُ فيهِ الْحُرُّ أَكْبَرُ مِنَ الْعَمَلِ لإِحْيَاءِ الأُمَّةِ الَّتى سَبَقَتْ الأُمَمَ كافَّةً فى الْعِلْمِ وَالْمَدنيَّة وَالأَدَب؟ أَى رِفْعَةٍ يَسْعَى الشَّرِيفُ إِلَيْهَا أَسْمى مِنْ إِنْهَاضِ شَعْبٍ كانَ أُسْتاذَ الشُّعُوب الْبَشَرِيَّة، وَمُرَبِّى الْعَالَمِ كُلِّهِ! أَىُّ سُؤْددٍ[٤] تَرْمِى النُّفُوسُ الأَبِيَّةُ إِلَيْهِ أَعْلَى مِنْ إِخْرَاجِ الْوَطن الْمِصْرىِّ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّور، وَإِحْلالِهِ الْمَحَلَّ الأَوَّلَ بَيْنَ الأَوْطَان الأُخْرَى الَّتى كَانَتْ فِى الدُّجُنَّة[٥] الحالِكةِ[٦] يَوْمَ كانَتْ بِلادُنا مَشْرِقًا لِلعِرْفَان؟

---

(١) التربة: التراب ويراد بها الارض وجودتها.

(٢) الشغف: شدة الحب وتمكنه.

(٣) الأزمة: جمع زمام، وهو الحبل تقود به، والمراد بأزمة مصر هنا: شئونها العامة.

(٤) السؤدد: الشرف والمجد.

(٥) الدجنة: الظلمة.

(٦) الحالكة: الشديدة الظلام.

لَيْتَ شِعْرِى(١) ! أَىُّ لَذَّةٍ وَسَعَادَةٍ وَمُكَافَأَةٍ يَطْلُبُهَا الْوَطَنِىُّ الْمِصْرِىُّ أَكْبَرُ مِنَ اشْتِرَاكِهِ فِى هَذَا الْعَمَلِ الْخَطِيرِ الَّذِى هُوَ أَجَلُّ عَمَلٍ يَرَاهُ الْعَالَمِ فِى الْقَرْنِ الْعِشْرِين ؟

إِنَّ الْمَكْسَبَ الأَدَبِىَّ لِلْوَطَنِىِّ الْمِصْرِىِّ مِنْ هَذِهِ الْخِدْمَةِ يَرْبُو عَلَى أَتْعَابِهِ(٢) وَمَجْهُودَاتِهِ بِكَثِير .

١٤ — الشيخ أحمد مفتاح(٣)

كتب فى التَّهادِى :

الْهَدِيَّة (عَمرَكَ اللهُ بِالمَعْرُوف) تَبْسُطُ يَدَ الْمَوَدَّة وَتَدِرُّ أَخْلَافَ الْقُرَب(٤) ، وَتَغْرِسُ بَيْنَ الْمُتَحَابِّين مِنَ الائْتِلَاف ، بِقَدْرِ مَا تَقْطَعُ بَيْنَهُمَا مِنَ شَجَرِ الْخِلَاف . وَمَا أَنَا فِيمَا أُهْدِيهِ إِلَيْكَ إِلَّا كَمُسْتَبْضِعٍ تَمْرًا إِلَى أَرْضِ خَيْبَر(٥) ، أَوْ كَالْوَاهِبِ الْمَاءَ لِلْبَحْر ، وَالضَّوْءَ لِلْبَدْر ، وَالْمُلْكَ لِسُلَيْمَان ، وَالْمَالَ لِقَارُونَ ، وَالْحِلْمَ لِأَحْنَف ، وَالذَّكَاءَ لِإِيَاس وَالتَّفْسِيرَ لِابْن عَبَّاس . وَمَا ذَاكَ إِلَّا كِتَابٌ كَمَا تَرَاه ضَرَبَ فِى الإِحْكَام بِسَهْم ، وَوَعَى مِنَ الأَحْكَام مَا خَلَتْ مِنْهُ مُفْعَمَات الأَسْفَار ؛ وَمُوجِزَاتُ الرَّسَائِل ، فَهُوَ كَمَا قِيلَ :

« كلُّ الصَّيْدِ فِى جَوْفِ الْفَرَا » :

---

(١) ليت شعرى : ليتنى أشعر . (٢) أتعاب : جمع تعب .

(٣) يتصل نسبه بالعرب ؛ نشأ بمصر ودرس بالأزهر : وعنى بالأدب ، ثم دخل دار العلوم حتى إذا خرج منها اشتغل فى الصحافة والتدريس بدار العلوم . وكانت وفاته سنة ١٣٢٩ هـ . وله عدة مؤلفات ، وطريقته فى الكتابة تخضع للسجع القصير مع القصد فى استعمال البديع .

(٤) الإدرار : الإكثار من اللبن . والأخلاف : جمع خلف ؛ وهو لذوات الخف كالثدى للانسان . والقرب : الصلات . والمعنى أن الهدايا تقوى صلة الأخ بأخيه .

(٥) استبضع تمراً . حمله بضاعة — وأرض خيبر مشهورة بالتمر ، وعنها يصدر .

تَزِينُ مَعَانِيــــهِ أَلْفَاظَهُ وَأَلْفَاظُهُ زَائِنَاتُ الْمَعَانِى

عَلَى أَنِّى وَإِنْ تَطَفَّلْتُ عَلَيْكَ ، وَسُقْتُ لَكَ هَذَا الْكِتَابَ مُزْدَلِفاً[1] إِلَى جَنَابِكَ الرحْبِ ، وَمَقَامِكَ الأَسْنَى[2] ، فَقَدْ أَصَبْتُ كَبِدَ الصَّوَابِ ، وَوَضَعْتُهُ حَيْثُ يَعْرِفُهُ أَهْلُوهُ ، وَيَتَقَبَّلُهُ مِنْ بَاذِلِهِ عَالِمُوه ، عِلْماً بِأَنَّكَ عِمَادُ الْعُلوم ، وَأَسَاسُ الْفَضَائِل ، لَا تُغَادِرُ شَارِدَةً إِلَّا وَعَيْتَهَا ، وَلَا نَادِرَةً إِلَّا رَوَيْتَهَا ، وَإِلَّا

لَوْ كَانَ يُهْدَى عَلَى قَدْرِى وَقَدْرِكُمُو لَـكُنْتُ أُهْدِى لَكَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا

١٥ — الشيخ علي يوسف[3]

كتب تحت عنوان « لا تعصُّبَ فى مصر » :

التَّعَصُّبُ بالمعْنَى الْمَعْرُوفِ فِى الْغَرْبِ عَنْ أَهْلِ الشَّرْقِ ، وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى عِنْدَ المسيحيين عَنِ الْمُسْلِمِينَ ، هُوَ انْبِثَاثُ رُوحِ الْعَدَاءِ وَالْبَغْضَاءِ مِنَ الآخرِينَ ضِدَّ الْأَوَّلِينَ ، انْبِثَاثاً يَحْمِلُ عَلَى الاعْتِدَاءِ عَلَيْهِمْ حِيناً بَعْدَ حِين .

التَّعَصُّبُ بِهَذَا الْمَعْنَى رَذِيلَةٌ مِنَ الرَّذَائِلِ الَّتِى يَنْهَى عَنْهَا الدِّينُ الإِسْلَامِىّ ، وَالْقَوَانِينُ الاجْتِمَاعِيَّة ، وَفِى نَظَرِ الْأُورُبِّيِّينَ هُوَ التَّوَحُّشُ الَّذِى يَفْتِكُ بِنُفُوس الْأَبْرِيَاءِ كُلَّمَا ثَارَ ثَائِرُهُ ، أَوْ أَشْبَهُ بِالْغُولِ الْكَاشِرِ[4] الَّذِى يَنْدَفِعُ بِعَمَايَةٍ فَيَفْتَرِسُ كُلَّ مَا فِى طَرِيقِهِ مِنْ نُفُوسِ الْبَشَرْ .

---

(١) ازدلف إليه : تقرب .

(٢) الأسنى : الأرفع .

(٣) أصله من بلدة بلصفورة بجرجا ، نشأ نشأة دينية ، ودرس بالأزهر ، ولكنه عنى بالأدب ، وخرج صحفياً بارعاً ذا أسلوب قوى رائع ظهر فى « المؤيد » صحيفته المصرية الإسلامية . ونال منزلة سامية بقوة أسلوبه ، وشدة نفسه ، وذكاء جنانه توفى سنة ١٣٣١ هـ .

(٤) الذى يكشر عن أنيابه .

التَّعَصُّبُ عَلَى هذا مَجْمُوعُ أرواحٍ شرِّيرَةٍ لَا نِظَامَ لها فى ثَوَرَانِها وَعُدْوَانِها، نَعُوذُ باللهِ أَن تُرْزَأَ أُمَّةٌ بِهذا البَلَاءِ الْعَظِيمِ[١].

قالوا إنّ المصريين مُتَعَصِّبُون تعصباً دينيًّا . وَمَعْنَى هٰذَا أَنَّهُمْ يكْرَهُون الْمُخَالِفِينَ لهم فى الدِّين كَرَاهَةً عَمْيَاءَ يَعْتَدُونَ عليهم برُوحِ البَغْضَاءِ الْمُتَنَاهِيَة ، كلَّمَا سَنَحَتْ لَهُمْ فُرْصَةُ الافْتِرَاس أَو اسْتَفَزَّهُمْ صَائِح .

فى البلاد مِنْ قديم الزّمان أَديانٌ مُخْتَلِفة يَتَجَاوَرُ أهلُوها فى المنازل ، وَيَتَشَارَكُونَ فى المَرَافق[٢] ، ويتنافَسُونَ فى الأعمال ، فلم تكُنْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ والأقباط تلك الرُّوحُ الشِّرِّيرَةُ . ولو كانت فى فطْرَةِ الْمُسْلِمِينَ أَوْ فطْرَةِ الفريقَينِ لَلاشَت[٣] الأكثريةُ الأقليــةَ فى عُصورٍ مَضَت ، وخُصوصاً فى عُصورٍ كانت الجهَـالةُ فيها سائدَة ، وكان بعضُ الحـكام من المماليك وغيرهم يَبْذُرون بذُورَ الْبَغْضَاءِ بينَ الْفَرِيقَيْنِ لا لخدْمَةٍ دِينِيَّة إسْلَاميَّة ، ولَـكنْ لِأَغْرَاضٍ شَتَّى مَنْشَؤُها الشَّهَوَاتُ والمطامع . ولـكنَّ التَّوارِيخَ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الفريقَين عاشا عَلَى الْوِئَام[٤] والسلام فى كُلِّ الظُّرُوفِ أَوْ أَكْثَرِهَا.

وَفَدَ عَلَى الْقُطْرِ المِصْرِىّ مُنذ أَوّل عَهْدِ المرحوم مُحَمَّدعلىٍّ باشا الكبير وُفُود من كلِّ الطوائِفِ المسيحيَّة ، غَربيَّة وَشرقيَّة : مَنْ أَرْمَنَ وَأَرْوَام وَسُوريِّينَ وَفَرَنْسَاوِيِّينَ وَطليانيين وَإنكليزَ وَنمساويين وَأَمْرِيكانيين : مِنْ بُرُوتِسْتَانْت

(١) ترزأ : تصاب . (٢) المرافق : يريد شؤون المعاش .
(٤) أى أفنتها . (٤) الوئام : الوفاق .

وكاثوليك وأرثوذكس وغير ذلك من علماء وتجار وصناع وعملة[١] وهمل[٢] متشردين، فلقى الكل في مصر صدرًا رحيبًا.

كان منهم الموظفون في كل مصلحة حتى تولى نوبار باشا رياسة النظار في مصر، وكان قائمقام خديو، ورئيس الاحتفال بموكب المحمل الشريف، فهل يوجد في أمة غير الأمة المصرية المسلمة مثل هذا التساهل فيرأس احتفالا دينيًا مسيحيًا مسلم أو غير مسيحي؟.

وكان من علمائهم[٣] الأساتذة والمعلمون ونظار المدارس والمكتشفون، فهل الأمة التي تربي أبناءها على أيدي الأساتذة من غير دينها، تعد متعصبة؟؟ وكان التجار على ما يحبون من الرحب والسعة وحسن القبول، فضربوا في البلاد بمتاجرهم من غث وسمين، وجيد وردىء وخالص ومغشوش، حتى صارت مصر من أوسع أسواق متاجر أوربا ومعاملها التي وجدت إقبالا من الأمة هائلا[٤].

وهؤلاء بعض الأجانب يقيمون الأكواخ الصغيرة الحقيرة لبيع الخمور الرديئة في كل قرية من قرى القطر، مهما سحقت[٥] وقل عددها، أو يربون الخنازير ويثرون شيئًا فشيئًا حتى يكون الصعلوك منهم في بضع سنوات صاحب القرية ومزارعها ومداين أهليها وسيدهم، فهل هؤلاء هم المتعصبون الذين يخشى من شرهم في وادي النيل على الأوربيين؟.

---

(١) عملة: جمع عامل. (٢) الهمل: من لا عمل لهم ولا رياسة عليهم.
(٣) أي من العلماء غير المسلمين. (٤) الهائل يريد بها هنا: العظيم، أو الكبير. وأصلها: من هال يهول: إذا راع وأفزع، وكأن الإقبال لعظمه يهول ويروع. (٥) سحقت: بعدت.

١٦ — كتب المرحوم الشيخ حمزة فتح الله[١]
إلى بعض الأفاضل يطلب ودّه

كما أن شَغَفَ[٢] الجَنان[٣]، بالحُسْن والإحْسَان، تكون داعِيَةَ المُشاهدة وتَسْرِيحَ الأنظار في مُحَيّا[٤] الكمال، ومُجْتَلى[٥] الجمال. فترى العَيْنُ مِنْ تلك الغُرّة[٦] ما يَمْلؤها قُرّة[٧]، فكذلك السماعُ يَسْتَدعِى هذا الشَّغَف، فيتأثّرُ الفُؤادُ بما يُشَنِّف[٨] الأُذنَ ممّا تُهْدِيه إليه طَرائِفُ[٩] الأخبار، حتّى كأنّ حاسّتَى السّمْع والبَصَر في ذلك صِنْوان[١٠]، بل أخوان، في هيكل هذا الجُثمان[١١].

***

ألا وإنّ محاسِنَ السيِّد الأجلِّ لما سارَتْ بها الرُّكْبان، وأثنى عليها كلُّ لِسان، ما بَيْنَ أخلاقٍ أبهى من الرَّوْض النَّضير[١٢] وأعْراقٍ[١٣] أشهى من عُذَيْب النَّمير[١٤] قد احتلّتْ من فُؤادي لا أقولُ مَنزِلًا رحيبًا، ولا واديًا خصيبًا؛ بل مَنْزِلةً شمّاء[١٥] ودارةً[١٦] علياء[١٧]. وأوجًا بطوالِعها السّعيدة يسعد

---

(١) ولد بالإسكندرية ودرس بالأزهر وأجاد اللغة ونحوها، واشتغل بالصحافة في تونس ومصر. ثم مدرساً ومفتشاً بالمعارف، وقد توفي سنه ١٩١٨ م.

(٢) الشغف: شدة الحب.

(٣) الجنان بالفتح: القلب.

(٤) المحيا بضم الميم وتشديد الياء: الوجه.

(٥) مجتلاه: منظره

(٦) الغرة: الوجه.

(٧) قرت العين: جف دمعها وبردت من السرور. والاسم منه القرة بضم القاف.

(٨) يشنف الأذن: يطربها وأصله من لبس الشنف وهو القرط.

(٩) الطرائف: الأحاديث المستملحة.

(١٠) الصنوان: الأخوان الشقيقان.

(١١) الجثمان بضم الجيم: الجسم.

(١٢) النضير: الحسن.

(١٣) الأعراق هنا: بمعنى الطباع والصفات.

(١٤) النمير: الكثير من الماء.

(١٥) شماء: عالية.

(١٦) الدارة: الدار، ويريد بها المكانة

(١٧) الأوج: العلو.

وَيلوحُ بها من ذكراهُ كلَّ حينٍ فرقدٌ[1] . فلمْ أنشبْ[2] أنْ قدَّمتُ كتابى هذا لمولاى بينَ يدى اللقاء عله أنْ يسمحَ بهِ الزَّمان ، وتُشعِرَ[3] عنهُ اللَّيالى والأيَّام ، ليُتاحَ[4] لى رَىّ الفؤاد بما أرويهِ منْ حديث زيْد الخيْلِ الذى سمَّاهُ رسولُ اللهِ صلى الله عليْهِ وسلمَ زيْدَ الخيْر ، وقالَ لهُ : مَا وُصِفَ لى أحدٌ فرأيْتهُ إلَّا وجدْتهُ دُونَ ماوُصِفَ لى سِوَاك ، وإنَّ فيكَ خصْلتيْن يُحبُّهما اللهُ (الحِلْمُ والأناة[5]) مُقتديًا بالإمام محْمُودٍ جار[6] اللهِ فى تقديم هذا الحديث الشَّريف علىَ مَا أنشدهُ إيَّاهُ الشَّريفُ ابْنُ الشَّجرىّ أوَّلَ مَا لقيَه ، وكانا قدْ تحابَّا بالسَّماع :

كانتْ مُساءلةُ الرُّكْبان تخْبرُنا ... عَنْ جابر بْن رَباحٍ أطيبَ الخبَر
حتَّى اجْتمعْنا فلا وَاللهِ مَا سمِعتْ ... أذْنى بأحسَنَ ممَّا قدْ رأى بصَرى

١٧ — المرحوم حفنى بك ناصف[7]

كتب إلى الفاضل السيد توفيق البكرى شيخ مشايخ الطرق الصوفية :

كتابى إلى السَّيِّد السَّنَد ولاأُجشِّمُهُ[8] الجوابَ عنْهُ فذلكَ مالاأنتظرُه منْه ، وإنما أسألُهُ أنْ ينشطَ إلى قِراءته ، ويتنزَّلَ إلى مُطالعته ، ولهُ الرَّأىُ بعْدَ ذلكَ أنْ يُحاسِبَ نفْسَهُ ويُزكِّيها ، ويحْكُمَ عليْها أوْ لها .

فقدْ تنفعُ الذِّكرَى إذا كانَ هجْرُهمْ ... دَلالًا ، فأمَّا إنْ مَلالًا فلا نفْعا

---

(١) الفرقد : نجم قريب من القطب الشمالى ؛ وهما فرقدان .
(٢) لم أنشب : لم ألبث .
(٣) تشعر : تكشف .
(٤) يتاح لى . يتهيأ لى .
(٥) الأناة : الوقار والحلم .
(٦) هو الإمام الزمخشرى العالم المفسر المشهور .
(٧) اقرأ ترجمته فى شعره .
(٨) جشمه الأمر : كلفه إياه .

زُرْتُ السَّيِّد ، وَيَعْلَمُ اللهُ أَنّ شَوْقِى إِلَى لِقَائِه ، كَحِرْصِى عَلَى بِقَائِه ، وَكَلَفِى (١) بِشُهُودِه (٢) ، كَشَغَفِى (٣) بِوُجُودِه ، فَقَدْ بَعُدَ وَاللهِ عَهْدُ التَّلَاق ، وَطَالَ أَمَدُ الفِرَاق ، وَتَصَرَّمَ (٤) الزَّمَان ، وَأَنَا من رُؤْيَتِهِ فى حِرْمَان ، فَقِيلَ لى : إِنَّه خَرَج لِتَشْيِيع (٥) زَائِر ، وَهوَ عَمَّا قَلِيلٍ حاضِر ؛ فَانْتَظَرْتُ رُجُوعَهُ ؛ وَتَرَقَّبْتُ طُلُوعَه ، وَلَمْ أَزَل أَعُدُّ اللحَظَات ، وَأَسْتَطِيلُ الْأَوْقَات حَتَّى بَزَغَت الْأَنْوَار ؛ وَارْتَجَّ صَحْنُ الدَّار (٦) وَظَهَرَ الاسْتِبْشَارُ عَلَى وُجوه الزُّوَّار ، وَجَاءَ السَّيِّد فى مَوْكِبِه ، وَجَلَالَةِ مَحْتِدِه (٧) وَمَنْصِبه ، فَقُمْنَا لاسْتِقْبَالِه ، وَهَيْنَمْنَا (٨) بِكَمَالِه ؛ فَمَرَّ يَتَعَرَّفُ وُجُوهَ الْقَوْمِ حَتَّى حَاذَانِى ، وَكَبُرَ عَلَى عَيْنِهِ أَنْ تَرَانِى ؛ فَغَادَرَنِى وَمَنْ عَلَى يَسَارِى ، وَأَخَذَ فى السَّلَام عَلَى جَارِى ، وَجَرَّ السَّلَامُ الكَلام ، وَتَكَرَّرَ القُعُودُ وَالقِيَام ، وَأَنَا فِى هذه الحَال أُوهِم جَارِى ، أَنِّى فى دارى ، وَأُظْهِرُ لِلنَّاس أَنَّ شِدَّةَ الْأُلْفَة ، تُسْقِطُ الكُلْفَة ؛ وَمَرَّ السَّيِّدُ بَعْدَ ذٰلِكَ من أَمَامِى ثَلَاثَ مَرَّات ، وَمِنَ الْغَرِيبِ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَدْرِكْ مَا فَات ، وَأَغْرَبُ مِنْهُ أَنَّهُ اسْتَخْلَصَ لِنَفْسِهِ مِنَ الْمَجْلِس أَرْبَعَة ؛ وَدَعَاهُمْ إِلَى الْحُجْرَة فَدَخَلُوا مَعَهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا القِيَام ، وَالْإِمْسَاكُ عَنِ الكَلام .

تَمُرُّونَ الدِّيَارَ وَلَمْ تَعُوجُوا كَلَامُكُمُوا عَلَىَّ إِذَنْ حَرَامُ (٩)

---

(١) الكلف بفتحتين : الحب الشديد .
(٢) شهوده : رؤيته .
(٣) الشغف كالكلف .
(٤) تصرم الزمان : انقضى .
(٥) تشييعه : توديعه .
(٦) صحن الدار : ساحتها .
(٧) المحتد : الأصل .
(٨) الهينمة : الصوت الخفى .
(٩) عاج : مال ، أى لم تميلوا إلى .

وَكُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ مَكَانَتِي عِنْدَ السَّيِّدِ لا تُنْكَر ، وَأَنَّ عَهْدِي لَدَيْهِ لَا يُخْفَر[١] ؛ فَإِذَا أَنَا لَسْتُ فِي العِيرِ وَلَا فِي النَّفِير[٢] وَغَيْرِي عِنْدَ السَّيِّدِ كَثِير ، وَذَهَابُ صَاحِبٍ أَوْ أَكْثَرَ عَلَيْهِ يَسِير .

وَمَنْ مَدَّتِ الْعَلْيَا إِلَيْهِ يَمِينَهَا   فَأَكْبَرُ إِنْسَانٍ لَدَيْهِ صَغِيرُ

وَلَا أَدَّعِي أَنِّي أُوَازِي السَّيِّدَ (صانَهُ الله) في عُلُوِّ حَسَبِه ، وَأُدَانِيه في علمه وَأَدَبِه ، أَوْ أُقَارِبُهُ في مَنَاصِبِه وَرُتَبِه ، أَوْ أُكَاثِرُهُ في[٣] فِضَّتِهِ وَذَهَبِه ، وَإِنما أَقُول يَنْبَغِي للسَّيِّد أَنْ يُمَيِّزَ بَيْنَ مَنْ يَزُورُهُ لِسَمَاعِ الْأَغَانِي وَالْأَذْكَار ، وَشُهُود الْأَوَانِي عَلَى مَائِدَةِ الْإِفْطَار ، وَبَيْنَ مَنْ يَزُورهُ للسَّلَام ، وتأْييد جَامِعَة الْإِسْلَام ، وَأَنْ يفرِّقَ بين مَنْ يَتَرَدَّدُ عَلَيْهِ اسْتِخْلَاصاً لِلْخِلَاص[٤] وَمَنْ يَتَرَدَّدُ إِجَابَةً لِدَعْوَةِ الْإِخْلَاص ، وَأَلَّا يَشْتَبِه عَلَيْهِ طُلَّابُ الْفَوَائِد[٥] بِطُلَّاب الْعَوَائِد ، وَقُنَّاصُ الشَّوَارِدِ[٦] بِنُقَبَاءِ الْمَوَالِد ، وَرُوَّادُ الطُّرَف[٧] بِأَرْبَابِ الْحِرَف .

فَمَا كُلُّ مَنْ لَاقَيْتَ صَاحِبَ حَاجَةٍ   وَلَا كُلُّ مَنْ قَابَلْتَ سَائِلَكَ الْعُرْفَا[٨]

---

(١) خفر عهده : نقضه .
(٢) يقال : هو لا في العير ولا في النفير ؛ أي أنه لا قيمة له ولا يحسب له أي حساب .
(٣) كاثره : فاخره بكثرة المال .
(٤) الخلاص بكسر الخاء : ما انتفى عنه الغش من الذهب والفضة أو الزبد . والمراد به هنا ما يقدم من الصدقة ونحوها .
(٥) العوائد : جمع عائدة وهي المنفعة .
(٦) يريد بالشوارد غرائب اللغة ونوادر الأدب .
(٧) الطرف بضم الطاء وفتح الراء : جمع طرفة بضم الطاء ، وهي الجديد الحسن المتخير .
(٨) العرف : الجود والمعروف .

فإنْ حسُنَ عِنْدَ السَّيِّدِ أنْ يُغْضِيَ عَنْ بَعْضِ الأَجْنَاس ، فَلا يَحْسُنُ أَنْ يُغْضِيَ عَنْ جَمِيعِ النَّاس .

وَلا أَرُومُ بِحَمْدِ اللهِ مَنْزِلَةً   غَيْرِي أَحَقُّ بِهَا مِنِّي إِذَا رَامَا

وَإِنَّمَا أَصُونُ نَفْسِي عَنِ الْمَهَانَةِ وَالضَّعَة، وَلا أُعَرِّضُهَا لِلضِّيقِ وَفي الدُّنْيا سَعَة.

وَأُكْرِمُ نَفْسِي إِنَّنِي إِنْ أَهَنْتُهَا   وَحَقِّكَ لَمْ تَكْرُمْ عَلَى أَحَدٍ بَعْدِي

فَلاَ يُصَعِّرِ[١] السَّيِّدُ مِنْ خَدِّهِ ، فَقَدْ رَضِيتُ بِمَا أَلْزَمَنِي مِنْ بُعْدِه ، وَلا يَغُضَّ[٢] مِنْ عَيْنِه ، فَهَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِه ، وَلْيَتَّخِذْنِي صاحباً من بَعيد ، وَلا يُكَلِّمْنِي إِلَى يَوْمِ الْوَعِيد[٣] .

كِلانَا غَنِيٌّ عَنْ أَخِيهِ حَيَاتَهُ   وَنَحْنُ إِذَا مِتْنَا أَشَدُّ تَغَانِيا

وَمِنِّي عَلَى السَّيِّدِ السَّلام ، عَلَى الدَّوَام ، وَمُبَارَكٌ إِذَا لَبِسَ جَدِيداً ، وَكُلَّ عَامٍ وَهُوَ بِخَيْرٍ إِذَا اسْتَقْبَلَ عِيداً ، وَمَرْحَى[٤] إِذَا أَصَاب ، وَشَيَّعَتْهُ السَّلامَةُ إِذَا غَاب ، وَقُدُوماً مُبَارَكاً إِذَا آب ، وَبالرِفَاءِ وَالْبَنِينَ[٥] إِذَا أَعْرَس[٦] وبالطَّالِعِ الْمَسْعُود إِذَا أَنْجَب[٧] ، وَرَحِمَهُ اللهُ إِذَا عَطَس ، وَنَوْمَ الْعَافِيَةِ إِذَا نَعَس ، وَصَحَّ نَوْمُهُ إِذَا اسْتَيْقَظ ، وَهَنِيئاً إِذَا شَرِب ، وَمَا شَاءَ اللهُ كَانَ

---

(١) صعر الرجل خده : أماله كبرا وتيها .
(٢) يغض عينه : يغمضها .
(٣) يوم الوعيد : يوم القيامة .
(٤) مرحى بفتح الميم وسكون الراء وفتح الحاء : كلمة تقال مدحا لمن يصيب الرمية .
(٥) بالرفاء والبنين : دعوة لمن يتزوج بالالتئام واستيلاد الأولاد .
(٦) أعرس : تزوج .
(٧) أنجب : ولد له ولد .

إِذَا رَكِب ، وَنَعِمَ صَبَاحُهُ إِذا انفجَرَ الْفَجْر ، وَسَعِدَ مَسَاؤُهُ إِذَا أَذَّنَ الْعَصْر ، وَبَخٍ بَخٍ[1] إِذا نَثَرَ[2] وَلَا فُضَّ فُوهُ[3] إِذا شَعَرَ[4] ، وَأَجَادَ وَأَفَادَ إِذا خَطَبَ ، وَأَطْرَبَ وَأَغْرَبَ إِذَا كَتَب ، وَإِذَا حَجَّ الْبَيْتَ فَحَجًّا مَبْرُوراً ، وَإِذَا شَيَّعَ جَنَازَتِي فَسَعْياً مَشْكُوراً .

وكتب إلى الشيخ على الليثى رحمه الله يشكره على هدية عنب :

وَصَلَ يَا مَوْلَايَ إِلَى هذا الطَّرَف ، مَا خَصَصْتَ بِهِ العَبْدَ من الطُّرَف[5] « قفص » من عنب كاللُّؤْلؤ فى الصَّدَف ، تَتَأَلَّق عَنَاقِيدُهُ كَأَنَّهَا مِنْ صِنَاعَة « النَّجَف »[6] وَلَعَمْرُ الْحَقِّ[7] إِنَّهَا تُحْفَةٌ مِنْ أَحْلَى التُّحَف ، لَا يُعْثَرُ عَلَى مِثْلِهَا إِلَّا بِطَرِيق « الصُّدَف » فقَابَلْنَاهُ لَثْماً بِالْأَفْوَاه ، وَرَشْفاً بِالشِّفَاه . وَاحْتَفَيْنَا[8] بِقُدُومِهِ كُلَّ الاحْتِفَاء ، وَلَمْ نُفَرِّط فى حَبَّةٍ عِنْدَ اللِّقَاء ؛ بَلْ حَلَلْنَا لَهُ الْحُبَى[9] ، وَقُلْنَا لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَباً ، وَأَوْسَعْنَاهُ عَضًّا وَلَثْماً ، وَتَنَاوَلْنَاه تَجْمِيشاً[10] وَضَمًّا ؛ وَحَفِظْنَا فى صُدُورِنَا سِرَّه الْمَكْنُون ، وَطَوَيْنَاهُ فى غُضُونِ الْبُطُون ، فَطَرِبَت مِنْ تَعَاطِيهِ الْأَرْوَاح ،

(١) بخ بخ : كلمة تقال عند استحسان الشىء والإعجاب به.

(٢) نثر : أرسل القول منثوراً.

(٣) لافض فوه : لاخلا من أسنانه . دعوة توجه لمن يجيد القول .

(٤) شعر : قال الشعر.

(٥) يريد بالطرف : التحف .

(٦) النجف : كلمة مولدة.

(٧) لعمر الحق : قسم بالحق.

(٨) احتفى به احتفاء : أكرمه وأظهر السرور به.

(٩) يقال فلان ممن تحل له الحبى ، أى يقابل بالإجلال والإعظام . والحبى : جمع حبوة وهى مايجمع به مابين الظهر والساق من حبل ونحوه.

(١٠) جمشه تجميشاً : قرصه ولاعبه

وَلَا غَرْوَ[١] فَهُوَ أَصْلُ الرَّاحِ[٢] . وَانْتَشَيْنَا[٣] وَلَمْ نَحْمِلْ وِزْراً ، وَثَمِلْنَا[٤] وَلَمْ نَذُقْ طَعْماً مُرًّا . فَهُوَ كَبَيَانٍ مُهْدِيهِ سِحْرٌ وَلَكِنَّهُ حَلَالٌ ، وَلَعِبٌ إِلَّا أَنَّهُ كَمَال .

* * *

وَكَانَ الْأَحْرَى بِهَذَا الْعِنَبِ أَنْ يُنَاطَ[٥] بِالنُّحُور ، أَوْ تُزَيَّنَ بِهِ الصُّدُورُ ؛ فَمَا هُوَ إِلَّا اللُّؤْلُؤُ وَلَكِنَّهُ سَلِمَ مِنْ سِجْنِ الْبِحَارِ ، وَمَا هُوَ إِلَّا الدُّرُّ لَكِنْ لَيْسَ فيه صُغار[٦] .

وَمَنْ كُنْتَ بَحْرًا لَهُ يَا عَلِيُّ لَا يَلْقُطُ الدُّرَّ إِلَّا كُبَارَا[٧]

وَمَا ضَرَّهُ أَنْ ضَمَّهُ الْقَفَص ، (حِصَّةً مِنَ الْحِصَص[٨]) فَإِنَّ كَرِيمَ الطَّيْرِ يُودَعُ فِى الْأَقْفَاص ، وَالْقَلْبُ لَيْسَ لَهُ مِنْ حَنَايَا الضُّلُوعِ خَلَاصٌ . فَلَا بِدْعَ أَنْ تُسْتَقَلَّ فِى حَبَّاتِهِ حَبَّاتُ الْقُلُوب ، وَيُسْتَمْلَحَ فِى جَنْبِ حَلَاوَتِه رُضَابُ[٩] الْمَحْبُوب . وَكَأَنَّ الثُّرَيَّا لَمَّا أَخَذَتْ شَكْلَه ، فَغَرَ الْهِلَالُ فَاهُ[١٠] لِعُنْقُودِهَا يُرِيدُ أَكْلَه ، فَهُوَ يُطَارِدُهَا فِى السَّماء ، وَيَأْخذُ عَلَيْهَا الطَّرِيقَ مِنَ الْوَرَاء . وَهِيَ تَجْرِى من الْأَمَامِ ، مَخَافَةَ الِالْتِهَام . هَذَا لِمُجَرَّدِ تَشَابُهٍ فِى الشَّكْلِ

---

(١) لا غرو : لا عجب .
(٢) الراح : من أسماء الخمر .
(٣) انتشى : سكر .
(٤) ثمل : سكر .
(٥) يناط : يعلق .
(٦) الصغار بضم الصاد : الصغير .
(٧) الكبار بضم الكاف : الكبير .
(٨) الحصة فى الأصل : النصيب واستعملها المحدثون فى معنى الفترة من الزمن يريد وقتا من الأوقات .
(٩) الرضاب بضم الراء : الريق .
(١٠) فغر فاه : فتحه .

فَكَيْفَ بالثُّرَيَّا ، لَوْ أَشْبَهَتْهُ حلاوَة وَرِيًّا[١] ! فَلله تِلْكَ العَنَاقِيدُ مَا أَشَدَّ تَأَلُّقها[٢] ، وَأَصْفَى مَاءَهَا ، وَأَحْسَنَ رَوْنقَهَا . مِنْ كلِّ عُنْقُود تخَالُهُ عَمُودَ الصُّبْح[٣] أَحاطَتْ بِهِ الدَّرَارِيُّ ، أَوْ غُصْنَ الْبَانِ[٤] تَمَلَّقَتْ بِهِ الْقَمَارِيُّ[٥] .

وكتب يعزِّى كبيراً (لعله الشيخ على يوسف رحمه الله فى ولده) :

خَفَّفَ اللهُ لَوْعَتَك[٦] ، وَأَرْقَأَ[٧] دَمْعَتَك ، وَجَنَّبَكَ الْجَزَع[٨] ، وَوَقَاكَ الْهَلَعَ[٩] . وَأَلْهَمَكَ الصَّبْرَ ، وَأَجْزَلَ لَكَ الْأَجْر وَرَزَقَكَ مِنَ الْبَنِينَ ، فِى مُسْتَقْبَل السِّنِين ، مَا تقَرُّ[١٠] بِهِ عَيْنَاكَ ، وَيَقْوَى بِهِ عِنَاكَ[١١] ، وَأَنْتَ وَالْحَمْدُ لله فِى قُوَّةٍ وَبَقِيَّة مِنَ الْفُتُوَّة[١٢] تُمَكِّنُكَ مِنَ الْأُبُوَّة ، لِخَيْرِ الْبُنُوَّة . عَلَى أَنَّ لَكَ فِى عَالَمِ السِّيَاسَة ، وَضُرُوبِ الْكِيَاسَة[١٣] ، فِى هَذه الْبِلَاد ، أَلْوَانًا مِنَ الْأَوْلَاد ، وَآثاراً كُبْرَى ، تَضْمَن لَكَ الذ رَى ، وَتَجْعَل لَكَ عَلَى مَدَى السِّنِينِ لِسَانَ صِدْق فِى الْآخرِينَ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ الله .

---

(١) الرى بالكسر : الشبع من الماء .
(٢) تألقها : بريقها .
(٣) عمود الصبح : ضوؤه .
(٤) البان : شجر يضرب المثل بأغصانه فى اعتدال القوام .
(٥) القمارى بفتح القاف وكسر الراء : جمع قمرى بضم القاف ، وهو نوع من الحمام حسن الصوت
(٦) اللوعة : حرقة الحزن .
(٧) أرقأ دمعته : جففها
(٨) الجزع : أشد الحزن .
(٩) الهلع : الجزع من المصيبة .
(١٠) قرت العين : بردت من السرور .
(١١) العنا : الجانب .
(١٢) الفتوة : قوة الشباب .
(١٣) الكياسة : الفطنة وصحة الرأى .

١٨ ــ السيد مصطفى لطفى المنفلوطى[1]

نفس الشاعر

« قطعة من رواية الشاعر ، يخاطب فيها سيرانو لبريه الذى ينصحه بحسن السياسة والمداراة »

أَتُرِيدُ أَنْ أَعْتَمِدَ فِى حَيَاتِى عَلَى غَيْرِى ، وَأَنْ أَضَعَ زِمَامَ نَفْسِى فِى يَدِ عَظِيمٍ مِنَ الْعُظَمَاءِ ، أَوْ نَبِيلٍ مِنَ النُّبَلَاءِ ، يَصْطَنِعُنِى وَيَجْتَبِينِى[2] وَيَكْفِينِى مَئُونَةَ عَيْشِى ، وَيَحْمِلُ عَنِّى هُمُومَ الْحَيَاةِ وَأَثْقَالَهَا ، فَيَكُونَ مَثَلِى مَثَلَ شَجَرَةِ « اللَّبْلَابِ » لَا عَمَلَ لَهَا فِى حَيَاتِهَا سِوَى أَنْ تَلْتَفَّ بِأَحَدِ الْجُذُوعِ تَلْعَقُ[3] قِشْرَتَهُ ، وَتَمْتَصُّ مَادَّةَ حَيَاتِهِ ، بَدَلًا مِنْ أَنْ تَعْتَمِدَ فِى حَيَاتِهَا عَلَى نَفْسِهَا ! .

ذَلِكَ مَا لَا يَكُونُ .

أَتُرِيدُ أَنْ أَحْمِلَ نَفْسِى عَلَى عَاتِقِى ، كَمَا يَحْمِلُ الدَّلَّالُ سِلْعَتَهُ ، وَأَدُورُ بِهَا فِى الْأَسْوَاقِ مُنَادِيًا عَلَيْهَا : مَنْ مِنْكُمْ أَيُّهَا الْأَغْنِيَاءُ وَالْأَثْرِيَاءُ[4] ، وَالْوُزَرَاءُ وَالْعُظَمَاءُ ، وَأَصْحَابُ الْجَاهِ وَالسُّلْطَانِ ، يَبْتَاعُ نَفْسًا بِذِمَّتِهَا وَضَمِيرِهَا ، وَعَوَاطِفِهَا وَمَشَاعِرِهَا ، بِلُقْمَةِ عَيْشٍ ، وَجُرْعَةِ مَاءٍ ؟ .

---

(١) نشأ السيد المنفلوطى بمنفلوط وتعلم بالأزهر . واشتغل محرراً بالمؤيد . ثم اتصل بالمرحوم سعد باشا زغلول فألحقه بالمعارف ثم الحقانية . وكان كاتباً رقيق القول محكم النسج . يجيد تصوير الشعور الحزين وله شعر قليل توفى سنة ١٣٤٣ هـ تاركا آثاراً علمية جميلة

(٢) يجتبينى : يختارنى

(٣) لعق الشىء : أخذه بطرف لسانه

(٤) الأثرياء : جمع ثرى وهو من عنده مال كثير .

أتريدُ أنْ تستحيلَ قامتي إلى قوسٍ من كثرةِ الانحناء وأنْ تتهدّلَ أجفانٌ مِنْ كثرةِ الإطباقِ والإغضاء ، وأنْ تجتمع فوق رُكبتيَّ طبقةٌ سميكة مِنْ كثرةِ السُّجود والجُثُوِّ[1] بيْنَ أيدي العُظماء ! .

أتريدُ أنْ يكونَ لي لسانان : لسانٌ كاذبٌ أمْدحُ بهِ ذلكَ الذي صنعني واجتباني ، ولسانٌ أُعدِّدُ به عيُوبَهُ وسيِّئاته . وأنْ يكُونَ لي وجْهان : وجْهٌ راضٍ عنْهُ ، لأنَّهُ يذُود عنِّي ويحْميني ، ووجْهٌ ساخطٌ عليْهِ ، لأنَّهُ يستعْبدُني ويسْترِقُّني ؟

ذلكَ ما لا يكُون !

أُريدُ أنْ أعيشَ حُرًّا طليقًا ، أضْحكُ كما أشاء ، وأبْكي كما أُريدُ ، وأحْتفظ بنظري سليما وصوْتي رنّانًا ، وخطواتي مُنتظمةً ، ورأسي مرْفُوعًا وقوْلي صريحا ، أنظمُ الشِّعْرَ في السَّاعة التي أخْتارُها ، وفي الشّأن الذي أُريدُهُ فإن أعْجبني ماورَدَ عليَّ مِنْهُ فذاكَ ، وإلّا تركْتُهُ غيْرَ آسفٍ عليْه ، وأخذْت في نظْمِ غيْرِه ، بدلا منْ أنْ أتوسَّلَ إلى الطّابعينَ أنْ ينْشُرُوهُ ، والأُدباءِ أنْ يُقرِّظُوه ، والممثِّلينَ أنْ يُمثِّلوهُ ، والعُظماءِ أنْ يُنوِّهُوا به ويرْفعُوا مِنْ شأنه !

أُريدُ أنْ أعيشَ حُرًّا طليقًا ، أُناضلُ[2] منْ أشاء ، وأُجادلُ منْ أشاء ، وأنْتقدُ منْ أشاء ، وأنْ أقولَ كلمتي الخيْرِ والشَّرّ للأخْيار والأشْرارِ في وجُوههم ، لا مُتملِّقًا أُولئك ، ولا خاشيًا هؤلاء .

---

(١) جثا الرجل يجثو : جلس على ركبتيه

(٢) أناضل : أدافع وأغالب

وكتب أيضاً :

الشـــاعر

إنّما يَشْقى في هٰذا العالَمِ أحَدُ ثلاثةٍ : حاسِدٍ يتألّمُ لمنظر النِّعَم التي يُسْبِغُها اللهُ على عِبادِهِ ، ونِعَمُ اللهِ لا تنفَدُ ولا تفنَىٰ . وطمّاعٍ لايستريح إلى غايةٍ من الغاياتِ حتّىٰ تنبعث نفسُهُ وراءَ غايةٍ غيرِها ؛ فلا تفنَىٰ مطامِعُه ، ولا تنتهى متاعبُه . ومُقترفٍ جريمةً من جرائم العِرْض والشَّرف ، لا يفارِقُهُ خيالُها حيثما حلَّ وأينما سار ، وما أنت يا سيِّدى بواحدٍ من هؤلاء ، فمن أىِّ بابٍ من الأبوابِ يتسرَّبُ الشقاء إلى قلبك .

أنتَ شاعرٌ يا مولاى ، وقلبُ الشاعر مِرآةٌ تتراءى فيها صُوَرُ الكائنات ، صغيرها وكبيرها ، دقيقِها وجليلِها ؛ فإنْ أعوزتكَ[1] السعادةُ ففتِّشْ عنها فى أعماقِ قلبك ؛ فقلبُك الصورةُ الصغرى للعالَمِ الأكبرِ وما فيه .

السَّماء جميلةٌ ؛ والشاعرُ هوَ الذى يستطيعُ أنْ يُدرِكَ سرَّ جمالِها ؛ ويخترقَ بنظراتِه أديمَها[2] الأزرقَ الصافِى ؛ فيرى فى ذلكَ العالَمِ العُلْوىِّ النائِى ما لا تراهُ عينٌ ، ولا يمتدُّ إليهِ نظرٌ .

---

(١) أعوزتك : احتجت إليها .

(٢) الأديم : الجلد . وأديم الأرض والسماء : ما ظهر منها .

وَالْبَحْرُ عَظِيمٌ والشَّاعِرُ هُوَ الَّذى يَشْعُر بِعَظَمَتِهِ وَجَلالِه ، وَيَرَى فِي صَفْحَتِهِ الرَّجْرَاجَة[١] الْمُتَرَجِّحَة[٢] صُوَرَ الأمَمِ الّتى طَوَاها ، وَالْمُدُنِ الّتى مَحَاها ، وَالدُّوَلِ الّتِي أبادَها وَهُوَ باق عَلَى صُورَتِه لا يَتَغَيَّرُ وَلا يَتَبَدَّلُ ، وَلا يَبْلَى[٣] عَلَى الْعُصُور والأَيَّام .

وَاللَّيْلُ مُوحِشٌ[٤] وَالشَّاعِرُ هُوَ الَّذِى يَسْمَع فى سُكُونِهِ وَهُدُوئِهِ أَنِينَ الْبَاكِينَ ، وَزَفَرَات[٥] الْمُتَأَلِّمِينَ ، وَأَصْوَاتَ الدُّعَاءِ الْمُتَصَاعِدَةَ إِلَى آفاق السَّماء ، وَيرَى صُوَرَ الأَحْلَام الطائِفَةَ بِمَضاجِع النَّائِمين ، وَخيَالات السَّعَادَةِ أَو الشقاءِ الهَائِمَةَ[٦] فى رُؤوس الْمَجْدُودِينَ[٧] وَالمحْدودين[٨] .

الشّاعِرُ يَرَى الْجَمالَ فى كُلِّ شَيْءٍ يَتَناوَلُهُ سَمْعُهُ وَبَصَرُهُ ، حَتَّى فى الزَّهْرَة الذَّابِلَةِ ، وَالنَّبْتَةِ الْحَائِلَةِ[٩] ، والنَّحْلَةِ الطّائِرَة ، والفَرَاشَةِ الْحَائِمَة[١٠] ، وَفِى مَدَارِجِ[١١] النِّمَالِ وأَفاحِيصِ[١٢] الْقَطَا[١٣] والنُّؤْىِ[١٤] الْمُتَهَدِّم ، وَالْجَدَثِ الْبَالى ، والشَّبَحِ الْمُخِيف ، وَالْخَيَالِ الرَّائِع ، وَفِى الضِّفْدِعَةِ الْمُلْقَاةِ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْر ،

---

(١) الرجراجة : المتحركة المتماوجة .
(٢) المترجحة : المهتزة المضطربة .
(٣) بلى الشيء : تهيأ للفناء .
(٤) موحش : مظلم يبعث على الوحشة والانقباض
(٥) زفر الرجل : أخرج نفسه مع مده إياه ؛ من ضيق وحزن .
(٦) الهائمة : الطائفة .
(٧) المجدودون : جمع مجدود ، وهو ذو الحظ الموفق .
(٨) المحدودون : جمع محدود ؛ وهو ضد المجدود .
(٩) الحائلة : المتغيرة .
(١٠) الحائمة : أى التى لا تفتأ تدور حول النار والنور .
(١١) المدارج : جمع مدرج . موضع الدروج . وهو المشى .
(١٢) الأفاحيص جمع أفحوص بضم الهمزة . وهو الموضع الذى تفحص القطاة التراب عنه لتبيض فيه .
(١٣) القطا : جمع قطاة . وهى طائرة فى حجم الحمام .
(١٤) النؤى : الحفرة التى تحفر حول الخيام ليذهب فيها السيل .

وَالدُّودَة الْمُمْتَدَّةِ فِي باطِنِ الصَّخْر ، فَهُوَ مِنْ خَيالِهِ الْوَاسِع فِي نِعْمَةٍ دائِمَة لا تَنْفَدُ وَلا تَبْلَى .

أَنْتَ كالطَّائِرِ السَّجِينِ فِي قَفَصِه ، فَمَزِّقْ عَنْ نَفْسِكَ هٰذا السِّجْنَ الَّذِي يُحيطُ بِكَ ، وَطِرْ بِجَنَاحَيْكَ فِي أَجْوَاءِ هَذَا الْعَالَمِ الْمُنْبَسِطِ الْفَسِيحِ ، وَتَنَقَّلْ مَا شِئْتَ فِي جَنَبَاتِهِ وَأَكْنَافِهِ(١) ، وَاهْتِفْ(٢) بِأَغَارِيدِكَ(٣) الْجَمِيلَةِ فَوْقَ قِمَمِ(٤) جِبَاله ، وَرؤوس أَشْجَاره ، وَضِفَافِ(٥) أَنْهارِهِ ، فَأَنْتَ لَمْ تُخْلَقْ لِلسِّجْنِ وَالْقَيْدِ بَلْ لِلْهُتَافِ وَالتَّغْرِيدِ .

١٩ — سعد زغلول باشا(٦)

وَجَّه رحمه اللهُ هذا النِّداء إلى الأمة المصرية عقب عودته إلى مصر في صدر سنة ١٩٢١ م :

رَحَّبَتِ الْأُمَّة بِعَوْدَةِ نُوَّابِهَا تَرحِيباً فَاقَ كُلَّ تَرْحِيب ، وَأَعْجَزَ وَصْفَ كُلِّ كاتِبٍ وَخَطِيبٍ ، فَقَدْ أَتَى أَفْرَادُهَا مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ بِدَافِعٍ مِنْ ضَمَائِرِهِم النَّيِّرَة ، وَبَاعِثٍ مِنْ شُعُورِهِمُ الْحَيّ ، تَرْتَعِشُ أَعْصَابُهُمْ حَمَاسَة ، وَتَخْفِقُ قُلُوبُهُمْ بِالْوَطَنِيَّةِ الصَّادِقَة ، لِلالْتِفافِ حَوْلَ مَنِ اتَّخَذُوهُمْ رَمْزَ أَمَانِيِّهِمْ وَعُنْوَانَ مَبَادِئِهِمْ .

---

(١) أكنافه : نواحيه . (٢) هتف : مد صوتك .
(٣) الأغاريد : جمع أغرودة . وهي غناء الطائر .
(٤) القمم : جمع قمة وهي أعلى الجبل . (٥) ضفاف : جمع ضفة . وضفة النهر : جانبه .
(٦) يعد سعد زغلول باشا زعيم الخطابة العربية في عصره — درس في الأزهر دراسة استقلالية أعدته ليكون كاتبا نابغا ومحاميا بارعا وقانونياً قديراً كان زعيم النهضة السياسية حتى توفي سنة ١٩٢٧ م .

وَلَقَدْ رَأَيْت آياتِ الحِكْمَةِ وَالكَرَامَةِ وَالثَّبَاتِ تتجلى فيما استقبلتنا بهِ مِنْ مَظاهرِ الفرحِ الباهرِ — تلكَ الصّفات الّتي تضمنُ للشّعوبِ تقدّمها و للامم سَعَادَتَهَا . وَشَعَرْتُ مِنْ قُبُلاتِ التّرحيبِ الّتي غمرُونا بها بحرارةِ قلبٍ يخفقُ فى جِسْمِ شَعْبٍ عَظيم . وَقَدِ اشْتَرَكَ الأَمْوَاتُ وَالأَحْياء فى أَنْ يُمْلُوا عَلَى المجْمُوعِ وَكلٍّ فَرْدٍ وَاجِبَهُ نحوَ الْوَطَنِ الْعزيزِ ، وَأَجْمعَ الكلُّ عَلَى مُطالبتنا بمُواصلةِ السَّيْرِ فِى الطَّرِيقِ الّذِى سَنَّهُ الْحقُّ القويمُ .

وَإِنّ الشّرفَ وَالكرامةَ والإخلاصَ لِوَطَنِنَا الْمُقَدَّس لَمِمَّا يُوجِبُ عَلَيْنَا طَاعَةَ هَذَا الأَمْرِ الكَرِيم ، وَالْتِزَامَ هَذَا الطّرِيقِ الْمُسْتَقِيم .

إِنَّنَا نَشْكُرُ الْبِلادَ جميعها ، قَرِيبَهَا وَبَعيدَهَا ، عَلَى حُلّةِ الثّقةِ[1] الّتي زَيَّنَتْنَا بِهَا ، وَنُقْسِمُ بالْوَطَنِ وَشَعَائِرِهِ[2] الْمُقَدَّسَة — وَيُشَارِكُنَا فِى هذَا الْقَسَمِ الْعظيمِ أَصحابُنَا الْمُخْلِصُونَ فى جِهَادِهِمْ — أَنّنا لاَ نَدَّخِرُ شَيْئًا مِنْ وُسْعِنَا لِتَحْقِيقِ هذِهِ الثِّقَةِ الْغَالِيَة ، وَلا نَتَحوّلُ لَحْظَةً وَاحِدَةً عَنِ الْغَرَضِ الّذِى وَضَعْنَاهُ نُصْبَ[3] عُيونِنَا حَتى نَصِلَ إِليْه .

إِنّنا لم نَعُدْ إِلَّا لنُقَوّىَ بِعَزَائِمِ مُوَاطِنِينَا الكِرامِ عَزَائِمَنَا ، وَنَشُدَّ أَزْرَنَا باتّحادِهِمِ المَتِين ، وَنَتَمَتَّعَ بِمَرْآهُمْ بَعْدَ طول هٰذِهِ الْغَيْبَة ، وَنَتأَكّدَ مِنْ أَنّ الاشتراكَ فى المفاوضات الرّسميّة الّتى دعتْنَا الوزارة الجديدة له مُتّفِقٌ مَعَ المبادئ الّتى وَضَعَتْهَا الأُمّة ، وَعَاهَدْنَاهَا عَلَى احْتِرَامها ، وَمَعَ الْخُطّة الّتى رَسَمْتَهَا

---

(١) الحلة : الثوب .   (٢) الشعائر : العلامات والمعالم .   (٣) نصب عيوننا : أمامها .

وَتعهَّدْنا بِمُتابَعتِها ، وَلا شيْءَ أَحبُّ إلى قُلوبِنا مِنْ أَنْ نَخْدُمَ بلادنا بالاتِّفاق مع كلِّ هيْئةٍ مُسْتَعِدَّة لأن تَسْتَرْشِدَ بإِرادَة الْأُمَّة ، وَعامِلَة عَلَى تَحْقيق غايتِها السَّامِيَة .

لم يبْق علَيْنا إِلَّا أَنْ يعودَ كُلٌّ مِنَّا إِلى عَمَله ، وَيُقْبِلَ عَلَى شأْنِه : فالتلميذ إلى مَدْرَسَتِه، وَالْفَلَّاحُ إِلَى مَزْرَعَتِه ، وَالصَّانِعُ إِلى مَصْنَعِه ، وَالتَّاجِرُ إِلَى مَتْجَرِه ، وَالكاتِبُ إِلَى مَكْتَبِه ، والمرأَةُ إِلَى إِدارَةِ بيْتِها ، وعَلَى الكلِّ مِنْ غنيٍّ وَفقير أَنْ يُباشِرَ عملَهُ ، مُرَاقباً أَعْمالَنا ، واضعاً نُصبَ عَيْنَيْهِ المَقْصِدَ الْأَسْمَى ، وَأَنْ يعْتَقِدَ أَنَّهُ يَزِيدُ بِمَا يَعْمَلُ فى كُنُوزِ الْوَطَنِ كنزاً ، وَيَضُمُّ إِلَى قُوَاهُ قُوَّةً .

إِلَى العَمَلِ جَميعاً لنَرْفعَ مَنارَ الْوَطَنِ وَنُعْلِيَ كلِمَتَه ، وَلْتَحْيَ مِصْرُ .

٢٠ — محمد بك المويلحى (١)

كتب من مصر إلى منيف باشا وزير المعارف فى تركيا يعزيه فى ابنته :

إِلَى الْوَزيرِ الَّذِى ترتَعِشُ بِنَظْرَةٍ مِنْهُ عُقَدُ السِّياسة حتى تَنْحَلَّ مِنْ شِدَّةِ الارتجافِ ، والْأَمِير الذى يَنْتَعِشُ بِهِ سُروراً دسْتُ (٢) الرِّياسةِ ، حَتَّى يتيه عَلَى الْأَسْلاف ، والْفَيْلَسوفِ الَّذِى تفرَّعتْ عَنْهُ أُصُولُ الحِكَم ، وَالْهُمامِ الَّذى أَعْيا

(١) هو ابن المرحوم إبراهيم بك المويلحى . أخذ الأدب عن أبيه ، واتصل بكبار أئمة العلم والأدب فى عصره . وحذق التركية وطائفة من اللغات الأوربية . وعتاز قلمه بصفاء الديباجة ، ونصاعة الألفاظ ، وتلاحم النسج ، ومتانة السجع ، وقد أوتى من البراعة فى فنون الوصف ما لا يتعلق فيه بغباره وله (حديث عيسى بن هشام) وكان قد نشر منجماً فى جريدة « مصباح الشرق » التى كان يحررها مع أبيه توفى سنة ١٩٣٠ .

(٢) الدست : الكرسى .

النجومَ أن تباريَه فى عُلوِّ الهِمَم ، وَالرَّفيع الذِى سارَتْ عنهُ أَمْثالُ المجْدِ المُؤَثَّل[1] ، وانتَشَرَ عَلَى السُّمَّار[2] حَدِيثُ فضْلِه المرتَّل :

إلَى قطبِ[3] الدُّنيَا الذِى لَوْ بِفَضْلِهِ مَدَحتُ بَنِى الدُّنيا كَفَتْهُمْ فضَائلُهْ

مِنْ عَبْدٍ لدوْلَتِه ، لهُ الشَّرَفُ الأَسنَى بهذِهِ النِّسْبَة بَعْدَ أَبيهِ ، والفَخْرُ الأَعْلَى بذلِكَ وأفانِينُ التِّيه[4] . دَهِمَهُ خَبرُ المُصَاب الّذِى أنْقَضَ[5] ظَهْرَه ، وَأَرْضَى دَهْرَه[6] ، عَلَى أنَّ الموت — أطال اللهُ بقاءَ المجْد بطولِ بقائِك ، وأدامَ رَوْنَقَ الفَضْلِ بدَوَامِك — بابٌ مِنْ أبْوَابِ الطبيعة لا مَفرَّ للإِنْسَانِ مِنْ وُلُوجِ فيه ، وَعَوْنٌ مِنْ أعْوانِ الحياة لا بُدَّ لِلْحَىّ مِنْ توافِيه[7] . وَاسْمُ الحياة لا مَعْنَى لهُ بغَيْرِ اسْمِ المَوْت ، وَلَفْظُ الْعَيْشِ مُتَضمِّنٌ لِلَفْظِ الْفَوْت[8] . وَلقد قيل لِحكِيمٍ مِثلك : ما سببُ مَوْتِ فلانٍ . قالَ : كَوْنُه[9] ، فَعجيبٌ بَعْدَ ذلِكَ من ابْنِ آدمَ ثُكْلُه وَحزْنُه . وَإِنِّى أتيقَّنُ أَنَّ مَوْلاىَ الْوَزيرَ مَا تَجَاسَرَ أنْ يَلْمَسَ أَذْيالَهُ رسولُ الْحُزْن وَالأَسَى ، وَلا عَارَضَ نورَ حكمَتِه عَارِضٌ مِنْ ظُلْمَةِ ذَاكَ الدُّجَى[10] ، وَما تَسنَّى

(١) المؤثل : الأصيل الثابت .
(٢) السمار : المتسامرون ، المتحدثون ليلا . وفى الليل يجتمع الناس عادة للتحدث .
(٣) قطب الشيء . مداره وملاكه الذى يعمل به . وقطب القوم : سيدهم الذى يدور عليه أمرهم .
(٤) التيه : الكبر والخيلاء .
(٥) أنقض ظهره : أثقله .
(٦) كل امرىء يحسب دهره عاملا على إيذائه يرضيه أن يتوالى عليه الضرر ، وينزل به المكروه .
(٧) توافى إلى المكان : حضر إليه .
(٨) الفوت : الهلاك .
(٩) كونه : أى حياته .
(١٠) الدجى : الظلمة .

لِطفَيْلِيِّ الْفَزَعِ أنْ يتَلمَّظَ[1] عَلَى مائِدَة حِلْمِهِ بَعْدَ ارْتقاء هَضَبَاتِهِ[2] ؛ وَلاَ طَمعَ أَشْعَبِيِّ[3] الْجَزَعِ فى اسْتِجْدَاءٍ من مَعْدن وَقَارِهِ وَثَبَاتِه .

لَـكِنَّما الفقيدةُ التى اختارتْ رُوحَها فدَاءً لبنات مَعَاليكَ وَمجْدكَ ، وَرَضِيَتْ أن تَـكُونَ نَفْسُها زَكَاةً لِـكُنُوز فَضَائِلكَ وَسَعْدِكَ ، تَسْتَوْجِبُ من جهَتَيْن لاَ مِنْ جِهَةٍ ، أنواعَ الأسَف ، وَيَنْبَغى لَهَا إرْسَالُ الدَّمْعِ الْمُنْذَرِف[4] ، وَاحْتِرَاقُ الـكَبِد عَلَيْهاَ مِنْ طَرَفَيْن لا منْ طَرَف — الأول : أن الوَرْدَةَ قَدْ اقتُطِفَتْ قَبْلَ إبَّانِها[5] ، وانتزِعَتْ من أفْنَانِهَا[6] قبلَ أَوَانِهَا ، وَاقتُنِصَتْ الظَّبْيَةُ مِنْ خمَائلِهَا ؛ قبل استِكْمالِ مَخَايِلِها[7] ؛ وَاختُطِفَت الحمامة من وَكْرِها قبل أن يُطوَّقَ جِيدُهَا وَيَنْتَظِمَ نَشِيدُهَا ، وَاقتُصِفَ الْغُصْن قبل إثمَاره ، وَانْمحَق[8] الهلاَلُ قبلَ إبداره . وَحِين البَدْء فى دَوْر مِنْ أَدْوَارِهِ ، وَشُعَاعُ أَمَلٍ لَفَّ عَلَيْهِ السَّحَابُ رِدَاءه ، وَسَاعَةُ سُرُورٍ نَبَذَهَا حَسَدُ الأيامِ وَاللَّيَالِى وَرَاءه :

إنَّ الفَجِيعَةَ بالرِّيَاضِ نَوَاضِرًا   لَأَجَلُّ منها بالرِّيَاضِ ذَوَابِلا

(١) تلمظ الشيء : تذوق منه قليلا .
(٢) هضبات : جمع هضبة وهى المكان المرتفع .
(٣) أشعب : اسم رجل يضرب به المثل فى الطمع .
(٤) المنذرف : السائل .
(٥) إبان الشيء : أول وقته . أى قبل اكتمال نضرتها .
(٦) جمع فنن وهو الغصن المستقيم .
(٧) مخايلها : صفاتها وحماستها .
(٨) انمحق : اضمحل وانمحى .

والثانى : لأنِّي لستُ منْ رَأْيِ من يَنْسُب إلى النَّبِيِّ أنه قال : « نِعْمَ الْخَتَنُ القَبر[١] » ، ولا من رَأْيِ العَرَب حينَ تَتَبَجَّحُ بِمُصَاهَرَة[٢] القُبور ، وهَضْم حَقِّ الإناث وتفضيل الذُّكور . ولا أرانى من مَذْهَبِ الشيخ المَعَرِّى[٣] وَمَنْ قَبْله حيث يقول :

ودَفْنٌ ، وَالْحَوَادِثُ فَاجِعَاتٌ ... لإِحْدَاهُنَّ إحدَى الْمَكْرُمَاتِ[٤]

ولا من جانِب الفَرَزْدَق وَيُرْوَى عَنْهُ :

وَأَهْوَنُ مَفْقُودٍ إِذَا الْمَوْتُ نَالَهُ ... عَلَى المرْءِ مِنْ أَصْحَابِهِ مَنْ تَقَنَّعَا

ولا أَلْتَفِتُ لِنَاحِيَة البُحْتُرِيِّ وَيُنْشَدُ له :

وَلَعَمْرِى مَا الْعَجْزُ عِنْدِىَ إِلَّا ... أن تَبيتَ الرجالُ تَبْكِى النِّسَاءَ[٥]

فَسِيَّانَ فى حكم الطبيعة مُقَنَّعٌ[٦] بِلَامَةِ الحديد[٧] فى الْهَيْجَاء[٨] ، وَمُقَنَّعَةٌ بِلَامَة[٩] الحريرِ منَ النِّسَاء . وَإِنَّمَا الْفَضْلُ بَيْنَهُمَا لِمَنْ جَاءَ بِالْعَاقِبَةِ الْحُسْنَى ، وَلِمَنْ قَلَّ ضَرَرُهُ وَأَتَى بِالنَّفْعِ الْأَسْنَى[١٠] ، وَشَتَّانَ فى حكم الْإِنْسَانِيَّةِ بَيْنَ

---

(١) الختن : زوج الابنة

(٢) كان العرب يكرهون البنات خشية العار ، وربما دفنوا البنت حية . وقد أبطل الإسلام ذلك .

(٣) هو أبو العلاء المعرى الشاعر الفيلسوف .

(٤) هذا البيت من قصيدة له كلها تهجين للمرأة وازدراء بها .

(٥) من قصيدة له يعزى فيها عن بنت توفيت .

(٦) تقنع الشيء لبسه .

(٧) اللامة : الدرع ، وهو مايتقى به المحارب سلاح عدوه.

(٨) الهيجاء : الحرب .

(٩) أى لابسة ثوب حرير .

(١٠) الأسنى : الأرفع .

قائِدٍ لِلْجيْشِ مُعلم(١) ، وَعَذْرَاء تُطَرِّز فِي ثَوْبِهَا وَتُنَمْنِم(٢) . ذَاكَ يُشِيرُ بنانُه لتَيْتِيم الأطفال ولتخريب البلاد ، وتلك يُشير بنانها لحبّات القلوب بعقْد الوِدَاد . وَفَرْقٌ عظيمٌ بيْنَ يَدٍ مُخضَّبَةٍ بالدّماء ، وأخرى مخضّبة بالحنَّاء ، وبينَ من يحتَضن الأطفالَ وَيُرَبِّيهَا وبينَ من يُشتّتها ويُعذّبُهَا ، وبين كفٍّ لاحِلْيَةَ لها إلا السيوفُ البوَاتِر ، وَأُخْرَى إنما حليتُها الخواتِم وَالأَسَاور ، وكم جَلَبَتْ تلكَ من فظائعَ مشهورَةٍ ، وكم لِهَذِهِ من يدٍ بيْضَاءَ مَشْكورَة :

وَلَيْسَ الخَمْسُ(٣) ضَارِبَةً بسيف ... نظيرَ الخَمْسِ ضاربةً بدُفِّ
أَبَاغِي حظِّه بِقنًا(٤) وَخَيْلٍ ... كباغِيه بِمنْوَالٍ وَحَفٍّ(٥)

ومولاى — أعزَّ اللهُ الفَضْلَ بوجُوده — يعلمُ حكايةَ إحْدَى العَذارَى مع عبد الله بنِ طاهر إذ رَدَّتْ بوَقْفَةٍ منها أمامَ الجيش غَرْبَ(٦) الجيش عن قَصْده ، وأدخلتْ سَيْفَ القاهر الجبّار فى غمده ، وَنجَّتْ قوْمَها من الخَرَاب ، وَأَنقَذَتْهُمْ من أليمِ العَذَاب ؛ حتى قال عبدُ الله قصيدةً فى ذلك ؛ منها :

نَحْنُ قوْمٌ تُذيبُنا الأَعْيُنُ النُّجْلُ(٧) ... عَلَى أَنَّنَا نُذيبُ الحديدَا
طَوْعَ أَيْدِي الغَرَام تقْتَادُنا الغيدُ(٨) ... ونقْتادُ بالطِّعان الأسودا

---

(١) معلق عليه صوف ملون فى الحرب .
(٢) نمنم الشىء : زخرفه وزينه .
(٣) يريد الأصابع الخمس .
(٤) القنا : الرماح .
(٥) المنوال : الخشب الذى يلف عليه الثوب وكان النسج من صنيع النساء ، والحف من حفت المرأة وجهها من الشعر : أزالته .
(٦) غرب الشىء : حده ، والمراد : ردته عن وجهه .
(٧) النجل : جمع نجلاء ، وهى العين الواسعة الحسنة .
(٨) الغيد : جمع غيداء ، وهى اللينة الأعطاف .

والأخرى التي لها مَا يُمَاثِلُ ذلك معَ أحد مُلوكِ الفُرْس وهو يُحَارِبُ قَوْمَهَا في بلاد يَهُودا أثناء الزمَنِ الأوّلِ ، إلى غير ذلك من هَذِهِ الوقائع .

هذا ما قوّى وَقْعَ المصيبة فينا ، وأمَدَّ(١) جيوشَ الْهُمُوم عَلَيْنَا . أمّا مَوْلاَيَ الوزيرُ فمما يُبْعِدِ الْأَسَفَ منْه ، ويُزِيلِ الكَدَر عَنْه ، عِلْمه بضَوْءِ حِكْمَتِه ، ونورِ فلسفتِه ، أنه ما فقَدَ تلك الفقِيدَة ، وما صَارَتْ عَنْهُ بَعِيدَة ، فَهُوَ يَسْتَنْشِقُهَا في رَوَائِحِ الأزْهَار ، وَيرَاهَا في أَغْصَانِ الأشْجَار ، وَيَسْمَعُ صوتَها في صَوْتِ الأطيار ، وَتمرُّ عليه في ريحِ الصَّبا(٢) من لَيَالِي الرَّبيعِ ، وَيُشَاهِدُهَا فِي كلِّ شَكْلٍ لطيف أوْ بَدِيعٍ .

أَلْهَمَنَا اللهُ عليها جَزِيلَ الصَّبْر ، وَأَلْبَسَ مَوْلاَيَ الوزير ثوْبَ الْأَجْرِ ، إنْ شَاءَ الله .

وقال في وصف الصباح (من كتابه : حديث عيسى بن هشام) :

جَلَسْنَا نَتَجاذب أطرافَ الحديث ، مِنْ قَدِيمٍ في الزمانِ وَحَديثٍ ، إلى أَنْ صارت اللَّيْلةُ فِي أُخْرَيَاتِ الشَّبابِ ، واستهانَتْ بالْإزَارِ وَالنِّقاب ، ثم دَبَّ الْمَشِيبُ فِي فَوْدها(٣) ، وبانَ أَثَر الْوَضَحِ(٤) في جِلْدِهَا ، فعبِثَتْ بالعُقود وَالْقَلاَئِد ، من الْجَوَاهِرِ وَالْفرَائِدِ ، وَنَزَعَتْ من صَدْرِهَا كلَّ منثورٍ ومنظومٍ

---

(١) جاء إليها بالمدد .
(٢) الصبا : ريح مهبها جهة الشرق .
(٣) الفود : الشعر الذي في جانب الرأس مما يلي الأذنين من الأمام .
(٤) وضح الجلد : ما يصيبه من البرص ونحوه . ويكنى الكاتب به عن ضوء الصبح .

مِنْ دُرَرِ الكَوَاكِب ولآلئ النُّجُوم ، وَأَلقَتْ بالفَرْقَدَيْنِ(١) مِنْ أُذُنِهَا ، وَخَلَعَتْ خواتيمَ الثُّرَيَّا(٢) مِنْ يَدَيْهَا ، ثُمَّ إنَّهَا مَزَّقَتْ جِلبَابَهَا ، وَهَتَكَتْ حِجَابَهَا ، وَبَرَزَتْ للنَّاظرين عَجُوزاً شَمْطَاء(٣) ، ترتَعِد مُتَوَكِّئَةً عَلَى عَصَا الْجَوْزَاء(٤) ، وَتُرَدِّد آخرَ أنفاس البقاء ، فَسَتَرَهَا الفَجْرُ بمُلَاءَتِهِ الزَّرْقَاء ، وَدَرَجَهَا(٥) الصُّبْحُ فى أَرْدِيَته البَيْضاء ، ثُمَّ قَبَرهَا فى جَوْف الفَضَاء ، وقامت عليها بناتُ هَدِيلٍ(٦) ، نَائحةً بالتسْجيع وَالتَّرْتِيل ، ثُمَّ انْقَلَبَ المَأْتَمُ فى الحال عُرْسَ اجْتِلاءٍ ، وَتَبَدَّلَ النَّحِيبُ بالغناء ، لإشْرَاق عَرُوس النَّهَار ، وَإسْفَار مَلِيكَة البدُور والأَقْمَار .

وقال فى وصف الأَهْرَام :

وَقَفْنَا هُنَاكَ موقفَ الإجْلَالِ والإعْظَام ، قُبَالَةَ ذلك العَلَم(٧) الَّذِى يطاول الرَّوَابِىَ والأَعْلَام ، وَالْهَضَبة التى تَعْلُو الهِضَابَ والآكام(٨) ، والبِنْيَّة(٩) التى تشرف على رَضْوَى وَشَمام(١٠) ، وَتُبْلِى ببقَائها جِدَّة اللَّيَالِى وَالْأَيَّام ، وَتَطْوِى تحت ظِلَالها أقْوَاماً بَعْدَ أَقْوَام ، وتُفْنِى بدوامها أعمارَ السِّنِين والأَيَّام ، خَلقَتْ ثِيَابُ الدَّهْرِ وهيَ فى ثَوْبها القَشِيب ، وشابَتْ القُرُونُ وَأَخْطَأَ قَرْنَهَا وَخْطُ الْمَشِيب ، ما بَرِحَتْ ثابتةً تُنَاطِحُ مَواقعَ النُّجُوم ، وَتَسْخَرُ بِثَوَاقِبِ الشُّهب

(١) الفرقدان : نجمان قريبان من القطب الشمالى ، يهتدى بهما فى الليل ، وقد شبههما بالقرط فى أذن المرأة .

(٢) مجموع كواكب.

(٣) مشى البياض فى شعرها .

(٤) الجوزاء : برج فى السماء .

(٥) درجها : طولها.

(٦) بنات هديل : الحمام.

(٧) قبالة : أمام وتجاه . والعلم : الجبل.

(٨) الآكام : جمع أكمة ، وهى التل .

(٩) البنية : البناء .

(١٠) رضوى وشمام : جبلان .

وَالرُّجُوم ، وَتُحَدِّث حديثَ المشاهَدة والعِيان ، ما تعاقَبَ الفتَيان[1] ، وتَنَاوَبَ المَلوان عَنْ قُدْرَة هَذَا الإِنْسَانْ ، فى بدائع الصُّنْع والإِتْقَانْ ، وَتُنْبِئُ عَنْ قُوَّة هَذَا الضَّعِيف الضَّئِيل ، فى إقامَةِ مثل هذا الأثر الْجَلِيل ، وَكَيْفَ لِهَذَا الفانى البائد ، أن يَصْدُرَ عنهُ مثلُ هَذَا الباقى الخالد — وَجَلَّ صُنْعُ القَدِيرِ الخالق ، فى تَصْوِيرِ هَذَا الحيوانِ النَّاطق ، حيثُ جعلَهُ مَصْدَراً للأعمال المتناقِضَة ، والأفعال الْمُتَغايرةِ المتعارضة ، فَبَيْنَا تَرَاهُ يَصْعَدُ إلى أجْرَامِ السَّمَاءِ وَعَوَالِمِها ، ويبحثُ بِفِكْرِهِ فِى رُسُومِها ، ومعالِمِها ، ويَسِيرُ بِعِلْمِهِ فى أنحَائِها ومناكبِها ، ويَهْتَدِى لحساب أقْمَارِها وكواكبِها ، إذْ تَرَاهُ يَعْثُرُ عَثْرَةً برِجْلِهِ ، فيَكُونُ فِيها مُنْتَهَى أجَلِهِ ، أوْ يَكْبُو فِى طَرِيقه ، فَيَغَصُّ بِرِيقه . ذَاكَ الَّذِى كَبُرَ وصغُر ، وَعَظُمَ وَحقُر ، وَعَزَّ وَذَلَّ ، وَكَثُرَ وقَلَّ ، وصَعد وَهَبَط ، وَعَلَا وَسَقَطَ ، وَصَلَحَ وفَسَد ، وَعَرَفَ وجَحَد ، وسَعد وشَقِى ، وَفَنِىَ وَبَقِى ، وسُبْحانَ القَاهِرِ فَوْقَ عِبَاده .

٢١ — مصطفى صادق الرافعى[2]

قال يصف البلاغة النبوية :

هٰذِهِ الْبَلاغَةُ الإِنْسَانِيَّةُ الَّتِى سَجَدَتِ الأَفْكار لآياتها ، وَحَسَرَت[3]

---

(١) الفتيان والملوان : الليل والنهار .

(٢) عنى فى مطلع حياته بالشعر ، فأخرج ديواناً فى ثلاثة أجزاء ، ثم تجرد للنثر ، فأجاد فيه ، وترك النظم إلا فى النادر وهو قوى التوليد للمعانى ، بالغ التجويد للألفاظ ، واسع الاطلاع على الأدب العربى ، وقد كان شديد الغيرة على العروبة ، وكان يكثر من المجازات والتشبيهات ، ويتخير من الألفاظ الجزل والفخم . توفى سنة ١٩٣٧ م

(٣) حسرت العقول : ارتدت وتخاذلت .

الْعُقُولُ دُونَ غَايَاتِهَا . لَمْ تُصْنَع ، وَهِيَ مِنَ الإِحْكَامِ كأَنَّهَا مَصْنُوعَة ، وَلَمْ يُتَكَلَّفْ لهَا ، وَهِيَ عَلَى السُّهُولَةِ بَعِيدَةٌ مَمْنُوعَة[1] .

أَلْفَاظُ النُّبُوَّةِ يَعْمُرُهَا قَلْبٌ مُتَّصِلٌ بِجَلَالِ خَالِقِه ، وَيَصْقُلُهَا لِسَانٌ نَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآن بِحَقَائِقِه ، فَهِيَ إِنْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَحْي ، ولَكِنَّهَا جَاءَتْ مِنْ سَبِيلِه ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لهَا مِنْهُ دَلِيل ، فَقَدْ كَانَتْ هِيَ مِنْ دَلِيلِه .

مُحْكَمَةُ الفُصُولِ ، حَتَّى لَيْسَ فِيها عُرْوَةٌ مَفْصُولَةٌ ، مَحْذُوفَةُ الْفُضُولِ . حَتَّى لَيْسَ فِيهَا كَلِمَةٌ مَفْضُولَةٌ .

وَكَأَنَّمَا هِيَ فِي اخْتِصَارِهَا وَإِفَادَتِهَا ، نَبْضُ قَلْبٍ يَتَكَلَّم ، وَإِنَّمَا هِيَ فِي سُمُوِّهَا وَإِجَادَتِها ، مَظْهَرٌ مِنْ خَوَاطِرِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلم .

إِنْ خَرَجَتْ فِي الْمَوْعِظَةِ ، قُلْتَ : أَنِينٌ مِنْ فُؤَادٍ مَقْرُوح ، وَإِنْ رَاعَتْ بِالحِكْمَةِ ، قُلْتَ : صُورَةٌ بَشَرِيَّةٌ مِنَ الرُّوحِ فِي مَنْزِعٍ[2] يَلِينُ فَيَنْفُرُ بِالدمُوع ، وَيَشْتَدّ[3] ، فَيَنْزُو[4] بالدِّماء .

وَإِذَا أَرَاكَ الْقُرْآنُ أَنَّهُ خِطَابُ السَّماءِ لِلْأَرْض ، أَرَاكَ هَذَا أَنَّهُ كَلامُ الْأَرْضِ بَعْدَ السَّماء .

---

(١) أى تمتنع على من يحاول محاكاتها .

(٢) منزع — هنا — : أسلوب .

(٣) ينفر بها : يدفعها

(٤) ينزو : يثب .

(ب) الشعر

١ ـ الخشاب[1]

كتب على ظاهر ديوان صديق له من الشعراء يداعبه :

قُلْ للرَّئيس أبى الْحُسَيْنِ مُحَمَّد ... خِدْنِ الْمَعَالِى وَالسَّرِىِّ الْأَمْجَدِ[2]
وَالْحَاذِقِ الْفَطِنِ اللَّبِيبِ أَخِى الذَّكَا ... ءِ اللَّوْذَعِىِّ الْأَلْمَعِىِّ الْأَوْحَدِ[3]
أَلْزَمْتَ نَفْسَكَ فِى الْقَرِيضِ مَذَاهِبًا ... ذَهَبَتْ بِشِعْرِكَ فِى الْحَضِيضِ الْأَوْهَدِ[4]

* * *

كَدَّرْتَ مِنْهُ بِمَا صَنَعْتَ بُحُورَهُ ... فَغَدَتْ مَشَارِعَ لَيْسَ يَنْحُوهَا صَدِى[5]
فَإِذَا نَظَمْتَ فَكُنْ لِنَظْمِكَ نَاقِدًا ... نَقْدَ الْبَصِيرِ بِذِهْنِكَ الْمُتَوَقِّدِ
أَوْلَا فَدَعْ تَكْلِيفَ نَفْسِكَ وَاسْتَرِحْ ... مِنْ قَوْلِهِمْ مَا شِعْرُهُ بِالْجَيِّدِ
وَلَئِنْ عَنُفْتُ[6] عَلَيْكَ فِيمَا قُلْتُهُ ... فَلَقَدْ بَذَلْتُ النُّصْحَ لِلْمُسْتَرْشِدِ

---

(١) هو الأديب الشاعر الكاتب السيد إسماعيل الخشاب ، ظهر قبيل احتلال الفرنسيين مصر وامتدت به الحياة إلى أول عصر محمد على باشا الكبير وقد توفى سنة ١٢٣٠ هـ وله ديوان شعر مطبوع بالآستانة

(٢) الخدن بكسر الخاء وسكون الدال : الحبيب والصاحب ، والسرى : السيد الشريف السخى .

(٣) اللوذعى : الذكى الذهن . والألمعى : الذكى المتوقد الذكاء .

(٤) القريض : الشعر . والحضيض : القرار من الأرض عند أسفل الجبل ؛ والأوهد : العظيم الانخفاض والمراد أن شعره نزل إلى أسفل الدرك ، وقد صرف (مذاهب) لضرورة الشعر .

(٥) كدر الماء : أذهب صفاءه بالطين ونحوه . والمشارع جمع مشرع بفتح الميم وهو مورد الماء . وينحوها يقصدها . والصدى بفتح الصاد وكسر الدال : الشديد العطش .

(٦) عنفت : قسوت . والمسترشد : طالب الرشد والهداية .

وقال متغزلا :

يا شَقيقَ الْبَــدْرِ نُورًا وَسَنَى ... وَأَخَا الْغُصْنِ إِذَا مَا انْعَطَفَــا [1]

بِأَبِي مِنْـكَ جَبِينًا مُشْرِقًا ... لَوْ بَدَا للنَّــيِّرَيْنِ انْـكَسَفَا [2]

بُغْيَتِي مِنْكَ رُضَابٌ وَرِضًــا ... وَعَلَى الدُّنيَا وَمَنْ فِيهَا الْعَفَــا [3]

٢ ـــ الشيخ حسن العطار [4]

قال يتغزَّل :

أَعَنِ الْمحِبِّ ثناكَ عَنْهُ وجِيبُهُ ؟ ... أَمْ قَدْ دَعَاكَ إِلَى البِعَادِ رَقِيبُه ؟ [5]

هَجَرَ الـكَرَى لمَّا هَجَرْتَ وَوَاصَلَتْـ ... ـهُ شُجُونُهُ وَازْدَادَ فِيكَ نَحِيبُــه [6]

لَمْ يَجْنِ ذَنبًا في هَوَاكَ ، وَإِنَّمَـا ... قَدْ كَانَ بالهِجْرَانِ مِنْكَ نَصِيبهُ

أَفْقَرْتَهُ مِنْ حُسْنِ وَصْلِكَ بَعْدَ مَا ... جَادَتْ عَلَيْكَ دُمُوعُهُ وَنسِـيبُهُ [7]

لَوْ لِلِّقَا عَطفَتْكَ مِنْهُ شـكَايَةٌ ... رَقَّتْ وَدَمْعٌ طَافِحٌ شُؤْبُوبُه [8]

لَرَأَيْتَ جِسْماً كَالخِلَالِ مِنَ الضَّنَا ... وَلهِيبَ قَلْبٍ مُقْلَتَاهُ تُذِيبُــهُ [9]

---

(١) السنى : الرفعة أو الضوء . وانعطف : مال وانثنى .

(٢) بأبي : أفدى بأبي . والنيران : الشمس والقمر .

(٣) الرضاب (بضم الراء) : الريق المرشوف . والعفاء : الهلاك .

(٤) هو الشيخ الأكبر حسن بن محمد العطار . كان من علماء الأزهر ، وزار أهم الممالك الإسلامية ، وصار بعد محررا للوقائع المصرية أول ظهورها . ثم صار شيخا للازهر الشريف . وكان على علمه شاعراً كاتباً بليغاً ؛ توفى سنة ١٢٥٠ هـ .

(٥) وجيبه : اضطرابه وخفقان قلبه .

(٦) الشجون جمع شجن بفتحتين : الهموم والأحزان . والنحيب : البكاء الشديد

(٧) النسيب : رقيق الشعر فى الغزل .

(٨) عطفتك : أمالتك إليه وحببتك . الشؤبوب بضم الشين : الدفعة من المطر وجمعه شآبيب .

(٩) الخلال : يريد بها الأعواد الدقيقة التى يتخلل بها . والضنا : الضعف والهزال .

صِلْهُ لِتَسْتَبْقِيَ بِهِ الرَّمَقَ الَّذِى ... لَوْلَا الْأَمَانِي مَا بَقِي مَوْهُوبُهُ (١)
أَلْزَمْتُ نَفْسِى الصَّبْرَ فيكَ تَأَسِّيًا ... والصبْرُ أَصْعَبُ مَا يُقَادُ نَجِيبُهُ (٢)
وَبُلِيتُ منكَ بِكلِّ لَاحٍ لَوْ تَبَدَّ ... دَى نَحْوَ طَوْدٍ أَثْقَلَتْهُ كُرُوبُهُ (٣)

* * *

أَفَلَا رَثَيْتَ لِعَاشِقٍ لَعِبَتْ بِهِ ... أَيْدِى المَنُون وَنَازَعَتْهُ خُطوبُهُ (٤)
أَنْتَ النَّعِيمُ لَهُ وَمِن عَجَبٍ تُعَذْ ... ذِبُهُ ، وَتُمْرِضُهُ وَأَنْتَ طَبِيبُهُ

وقال متغزلا :

أَنَا رَاضٍ مِنْكَ يَا كُلَّ الْمُنَى ... بالَّذِى تَهْوَى عَلَى حُكْمِ الغَرَامْ
لَستُ أَبْغِى من زَمَانِي حَاجَةً ... غَيْرَ أَنْ تَحْيَا سعيداً والسَّلَامْ

وقال يصف بِرْكَةَ الازبكية :

بِالازْبَكِيَّةِ طَابَتْ لِى مَسَرَّاتُ ... وَلَذَّ لى فى بَدِيعِ الْأُنْسِ أَوْقَاتُ
حَيْثُ المِيَاهُ بِهَا وَالْفُلْكُ سَابِحَةٌ ... كَأَنَّهَا لِبُدُورِ الْحُسْنِ هَالَاتُ (٦)

---

(١) الرمق : بفتحتين بقية الحياة يقول : إنك وهبته بقية من الحياة فلا تقض عليها بالهجر ، بل أستبقها بالوصل .

(٢) التأسى : التصبر والتعزى . والنجيب : البعير الـكريم .

(٣) اللاحى : الشاتم العائب والطود بفتح الطاء وسكون الواو . الجبل العظيم . كروبه مصائبه الشديدة

(٤) رثى له : رق له وعطف عليه . المنون : الموت .

(٥) الفلك — بضم الفاء وسكون اللام : السفينة ولفظ جمعه كلفظ مفرده . والمراد بـ (الزهر) بضم الزاى : النجوم المشرقة .

(٦) الهالات : جمع هالة ، وهى الدائرة التى ترى حول القمر .

وَالماءِ حينَ سَرَى رَطْبُ النسيمِ بهِ   وَحَلَّ فيه منَ الأَدْوَاحِ زَهْرَاتُ(١)
كَسَابِغَاتِ دُرُوعٍ فوقها نُقَطٌ   منْ فِضَّةٍ، وَاحْمِرَارُ الْوَجْهِ طَعْنَاتُ(٢)

٣ — السيد على الدرويش

قال يرثى صديقه الشيخ على الفلبانى :

أَفِرُّ مِنَ الْمَحْتُومِ ، وَهْوَ مُطَارِدِى   وَهَلْ أَملِى إِلَّا حبَالُ الْمَصَايِدِ(٤)
وَأَرْصُدُ أُفْقَ الْوَهْمِ وَالْأَمَلُ الشَّهِى   وَرَائِدُ مَوْتٍ كَامِنٌ فِى وَرَائِدِى(٥)
وَثِقْتُ بِآمَالِى ، وَلَمْ تَفِ مَرَّةً   وَلَا ثِقَةٌ لى بِالنَّذِيرِ الْمُعَاهِد
فَأَسْتَبْعِدُ الْمَعلُومَ ، وَهْوَ مُقَارِبِى   وَأَسْتَقْرِبُ المجهولَ ، وَهو مُبَاعِدِى
وَمن عَتَهِى خِلْتُ التَّجَاهُرَ خَافِياً   بِغِشِّ زُيُوفٍ عَدَّهَا كل نَاقِدِ(٦)
أُحَاذِرُ مَرْأَى النَّاسِ لَا اللهَ فِى الْهَوَى   وَعِنْدَهُمُ تَفْصِيلُ نقصى وَزَائِدِى
لِأَمَّارَتِى بالسوءِ مُسْتَعْبَدٌ وَلِى   مُدَاهَنَةً فِى اللهِ ، صورةُ عَابِدِ(٧)
أُبَالِغُ فى الإِسرافِ حتى كأننى   لَمَيْتٌ غدًا ، لكنَّ لى حِرْصَ خَالِدِ

---

(١) الأدواح : جمع دوحة بفتح الدال ، وهى الشجرة العظيمة .

(٢) الدروع : جمع درع وهى القميص من زرد الحديد يلبسه المحارب يتقى به سلاح العدو . والدروع السابغات : الطويلة الضافية . والشاعر يشبه البركة وما يعلوها من الزبد والفقاقيع بالدرع الضافية ترصع بالفضة ، ويشبه الورد فيها بالدم من آثار الطعنات .

(٣) هو السيد على أفندى الدرويش بن حسن المصرى ، كان أديبا شاعراً ولوعاً فى شعره ونثره بالمحسنات البديعية للغاية القصوى وهو أبرع من علم فى التواريخ الشعرية ، وله ديوان شعر كبير . وتوفى سنة ١٢٧٠ هـ

(٤) المحتوم : الحادث الذى لامفر من وقوعه .

(٥) ورائد موتى : وطالب موتى . ورائد : جمع وريد . وهو عرق فى العنق .

(٦) عتهى : العته بفتحتين نقص العقل بلا جنون . زيوف . جمع زيف بفتح فسكون وهو الدرهم المغشوش . يقول : ومن نقص عقلى وقصور تفكيرى ظننت أن الجهر بالأمور الباطلة المغشوشة التى راج غشها على الناس أمر خاف على الله .

(٧) أمارتى بالسوء : نفسى . المداهنة فى الله : أن تظهر له خلاف ماتبطن . يقول : لأننى مستعبد لنفسى خاضع لميولها ولكنى أظهر خلاف ماأبطن نفاقا ومداهنة ، فأظهر بصورة العابد الطائع ، على حين أجارى نفسى وأخضع لها فى الخفاء .

٤ — الشيخ شهاب[1]

قال من قصيدته التى أنشأها لتكتب حول « جامع القلعة » :

عَرُوسُ كُنُوزٍ قَدْ تَحلَّتْ بِمَسْجِدِ ... مُكَلَّلَةٌ تِيجَانُهَا بِالزَّبَرْجَدِ
أَمِ الْجَنَّةُ الْمَبْنِيُّ عَالِى قُصُورِهَا ... بِأَبْهَجِ يَاقُوتٍ وَأَبْهَى زُمُرُّدِ
أَمِ الْمَكْرُمَاتُ الآصفِيَّةُ أَبْدَعَتْ ... هَيُولَى أَعَاجِيبٍ بِصُورَةِ مَسْجِدِ[2]
هُوَ الْفَلَكُ الْأَعْلَى تَنَزَّلَ وَازْدَهَى ... بِزُهْرِ الدَّرَارِى جَامِعاً كُلَّ فَرْقَدِ
أَلَا إِنَّ تَجْدِيدَ الْعَجِيبِ مِنَ الْبِنَا ... يُؤَكِّدُ تَأْسِيسَ اقْتِدَارِ الْمُجَدِّدِ
فَدَعْ قَصْرَ غُمْدَانَ وَأَهْرَامَ هُرْمُسٍ ... وَإِيوَانَ كِسْرَى إِنْ أَرَدْتَ لِتَهْتَدِى
وَدَعْ إِرَماً ذَاتَ الْعِمَادِ وَنَحْوَهَا ... وَعَرْشاً لِبِلْقِيسٍ كَصَرْحٍ مُمَرَّدِ
وَدَعْ أُمَوِىَّ الشَّامِ وَانْزِلْ بِمِصْرِنَا ... وَبَادِرْ إِلَى هَذَا بِإِيمَاءِ مُرْشِدِ[3]
فَلَوْ عُدِّدَتْ فِى الْكَوْنِ بَدْءُ بَدَائِعٍ ... لَكَانَ بِهِ خَتْمٌ لِذَاكَ التَّعَدُّدِ
كَأَنَّ اللَّيَالِى الْوَالِدَاتِ عَجَائِباً ... أُصِبْنَ بِعُقْمٍ بَعْدَ هَذَا التَّوَلُّدِ[4]

---

(١) هو شهاب الدين محمد بن إسماعيل المكي الأصل المصرى المنشأ . كان شاعراً متأدباً موسيقيا ، اشتغل فى الكتابة بالوقائع المصرية أول ظهورها مساعداً للشيخ حسن العطار ، ثم كان رئيسا لإنشائها بعد وفاته . وله ديوان شعر . ومن أجل مؤلفاته سفينته التى حفظت كثيرا مما كانت تتغنى به العامة فى عصره وقبيله . وتوفى سنة ١٢٧٥ هـ .

(٢) الآصفية : نسبة إلى آصف بن برخيا وزير سليمان عليه السلام ، والهيولى عند القدماء . الطينة التى خلق منها العالم .

(٣) يريد بأموى الشام : جامع دمشق العظيم .

(٤) يقول كأن الليالى التى تلد العجائب أصيبت بعد بناء هذا الجامع بعقم ، فكان آخر مولود من عجائبها لروعته وإعجاز هندسته . وفى البيت إشارة لقول الشاعر القديم :

والليالى من الزمان حبالى ... مثقلات يلدن كل عجيبة

٥ — الشيخ ناصيف اليازجي(١)

قال في الغَزَل :

حَوَاكَ وَقَدْ حَلَلْتَ بِكُلِّ قَلْبٍ ... فُؤَادٌ لَمْ يَحُلَّ بِهِ سِوَاكَا
نَزَلْتَ بِهِ عَلَى طَلَلٍ تَفَانَى ... وَلَسْتَ بِعَنْ عَلَى طَلَلٍ تَبَاكَى(٢)
أَطَعْتَ الْعَاذِلِينَ بِقَتْلِ صَبٍّ ... يُرِيدُ الْقَتْلَ لَكِنْ عَنْ رِضَاكَا
تَعِزُّ كَرَامَةً ، وَيَهُونُ ذُلًّا ... فَتَأْنَفُ أَنْ يَقُولَ : دَمِي فِدَاكَا

وقال :

كُفَّ عَنِّي لا أَبَا لَكْ ... قَدْ تَبَيَّنَّا مِحَالَكْ(٣)
قَدْ عَرَفْنَاكَ وَإِلَّا ... فَمَتَى نَعْرِفُ حَالَكْ
قَدْ مَضَى لِي بِكَ عَصْرٌ ... حَامِلاً فِيهِ مَلَالَكْ
حَسْبُ قَلْبِي مِنْكَ جَوْرٌ ... كَادَ مِنْهُ يَتَهَالَكْ
وَكَفَانَا مَا احْتَمَلْنَا ... مِنْكَ فَاسْتَدْعِ احْتِمَالَكْ
سَتَرَى النَّادِمَ مِنَّا ... وَيُسِيءُ اللهُ فَالَكْ

---

(١) هو ناصيف بن عبد الله اليازجي ، شاعر من كبار الأدباء والمنشئين ، له بحوث مختلفة في فقه اللغة وله كتاب « مجمع البحرين » ، وهو مجموعة مقامات مثل مقامات الحريري ، وكتب أخرى في النحو ، وتوفي سنة ١٢٨٧ هـ .

(٢) الطلل : الشاخص من آثار منزل قديم . يقول : نزلت بقلبي على أثر بال من شدة الوجد والوله ، تفانى فيك غراما ، ولكنك لم تبك عليه ولم ترق له ، شأن الذين يشهدون الآثار البالية فيأسفون عليها .

(٣) المحال بكسر الميم الخديعة والكيد .

وقال من قصيدة يرثى بها صديقاً له :

قَدْ كُنْتُ أَنْتَظِرُ الْبُشْرَى بِرُؤْيَتِه ... فَجَاءَنى غَيْرُ مَا قَدْ كُنْتُ أَنْتَظِرُ
إِنْ كَانَ قَدْ فَاتَ شَهْدُ الْوَصْلِ مِنْهُ فَقَدْ ... رَضِيتُ بِالصَّبْرِ لٰكِنْ كَيْفَ أَصْطَبِرُ
أَحَبُّ شَىْءٍ لِعَيْنِى حِينَ أَذْكُرُهُ ... دَمْعٌ وَأَطْيَبُ شَىْءٍ عِنْدَهَا السَّهَرُ
هٰذَا الصَّدِيقُ الَّذِى كَانَتْ مَوَدَّتُهُ ... كَالْكَوْثَرِ الْعَذْبِ لَا يَغْتَالُهَا كَدَرُ (١)
لَا غَرْوَ إِنْ أَحْزَنَ الزَّوْرَاءَ مَصْرَعُهُ ... فَحُزْنُه فَوْقَ لُبْنَانٍ لَهُ قَدَرُ (٢)

وقال يرثى صديقاً آخر له :

الْمَوْتُ يَخْتَارُ النَّفِيسَ لِنَفْسِه ... مِنَّا كَمَا نَخْتَارُ نَحْنُ فَمَا اعْتَدَى
قَدْ نَالَ مِنَّا دُرَّةً مَكْنُونَةً ... كَانَتْ لِبَهْجَتِهَا الدَّرَارِى حُسَّدَا
كَنْزٌ ذَخَرْنَاهُ لَنَا فَاغْتَالَهُ ... لِصُّ الْمَنِيَّةِ خَاطِفًا مُتَمَرِّدَا (٣)

وقال يرثى طبيباً من أصدقائه :

قَدْ كَانَ فِى طِبِّه لِلنَّاسِ مَنْفَعَةٌ ... فَإِذْ أَتَى الْمَوْتُ ذَاكَ الطِّبُّ مَا نَفَعَا
وَكَانَ يُبْرِى مِنَ النَّاسِ الْجِرَاحَ فَهَلْ ... يُبْرِى جِرَاحَ فُؤَادٍ بَعْدَهُ انْصَدَعَا (٤)
صَارَتْ إِلَى اللهِ تِلْكَ النَّفْسُ تَارِكَةً ... جِسْمًا يُرَى فِى تُرَابِ الأَرْضِ مُضْطَجِعَا
كُلٌّ إِلَى أَصْلِه قَدْ عَادَ مُنْقَلِبًا ... فَانْحَطَّ هَذَا وَهَذَا طَارَ مُرْتَفِعَا (٥)

---

(١) يغتالها : يخالطها فيقضى عليها .
(٢) الزوراء : مدينة حلب .
(٣) فاغتاله : فقتله خفية
(٤) انصدع : انشق . وهذا كناية عن شدة وقع المصيبة عليه .
(٥) يقول : قد رجع جسمه وروحه إلى أصلهما بعد موته ، فالروح ارتفع إلى الله فى السماء والجسم عاد إلى تراب الأرض الذى خلق منه فى الأصل .

٦ ـ السيد على أبو النصر(١)

قال يتحسر على فراق أحبابه :

لَقَدْ ذَهَبَ النَّوَى بِجَمِيلِ صَبْرِى وَأَوْدَعَ فِى حُشَاشَتِىَ الوَلُوعَا(٢)
وَأَلْبَسَنِى الْأَسَى خِلَعَ التَّمَنِّى وَأَلْزَمَنِى التَّذَلُّلَ وَالْخُضُوعَا(٣)
وَنَارُ الشَّوْقِ أَغْرَاهَا غَرَامِى عَلَى كَبِدِى فَقَوَّمَتِ الضُّلُوعَا(٤)
وَلِى قَلْبٌ تُقَلِّبُهُ شُجُونِى وَتَمْنَعه السَّكِينَةَ وَالْهُجُوعَا(٥)
يَبِيتُ مَعَ الْأَحِبَّةِ حَيْثُ كَانُوا وَيُصْبِحُ رَاجِياً مِنْهُمْ رُجُوعَا
يَرَى أَضْغَاثَ أَحْلَامِ الْأَمَانِى حَقَائِقَ لَا يَزَالُ بِهَا وَلُوعَا(٦)
تَطُوفُ بِهِ الْحَوَادِثُ وَهْوَ لَاهٍ كَأَنَّ الْوَهْمَ أَلْبَسَهُ دُرُوعَا
وَرُبَّ مُكَابِدٍ عَانَى خُطُوبَاً وَمُفْرَدُ عَزْمِهِ عَزَّ الْجُمُوعَا(٧)
وَقَائِلَةٍ : إِلَامَ تَحِنُّ شَوْقَاً إِلَى حَىٍّ أَحَلَّ بِكَ الْهُلُوعَا(٨)

---

(١) هو الشريف العالم الشاعر الزجال ، أصله من منفلوط بأسيوط ، درس بالأزهر وبرع فى الأدب واتصل بالبيت الخديوى من عهد محمد على باشا الكبير إلى عهد توفيق باشا ويعد شعره متوسطا ، وله ولع بالتاريخ الشعرى ، وقد توفى سنة ١٢٩٨ هـ .
(٢) النوى : البعد والفرقة ، والحشاشة بضم الحاء : بقية الروح . والولوع بفتح الواو : شدة العشق
(٣) الأسى : الحزن والهم . خلع : جمع خلعة بكسر فسكون ، وهى الثوب الذى يعطى منحة .
(٤) يريد أن نار الشوق لشدتها جعلت أضلاعه مستقيمة بعد أن كانت منحنية .
(٥) الهجوع : النوم فى الليل .
(٦) أضغاث الأحلام : المختلطة الملتبسة . والولوع بفتح الواو : الشديد الولع ، وهو الحب .
(٧) عز الجموع : غلبها .
(٨) الحى : منازل القوم . والهلوع بضم الهاء . الجزع .

فَقُلْتُ لهَا : وُقيتِ الْبَأسَ ؛ إنِّى أَوَدُّ بِحَيِّهِمْ أُدْعَى هَلُوعَا[1]
أَبَعْدَ فِرَاقِهِمْ تَرْتَاحُ رُوحى وَتَرْجُو سَاعَةً أَنْ لاتَلُوعا[2]
فَهُمْ رُوحى وَرَيْحانِى وَرَاحى فَكَيْفَ أَرَى إِلَى السَّلْوَى نُزُوعا؟[3]

وقال رحمه الله :

نُورُ زَاهى الرَّوْضِ أَمْ نُورُ الصَّبَاحْ وَابْتِسَامُ الثَّغْرِ أَمْ زَهْرُ الْأَقَاحْ
وَنجومٌ تَزْدَهِى فى أُفْقِهِا بِوَمِيضِ الْبَرْقِ أَمْ كاساتُ رَاحْ
لا وَلا بَلْ بَدْرُ تَمٍّ يَنْجَلِى لِلنَّدَامَى فِى اغْتِبَاقٍ وَاصْطِبَاحْ[4]
بمُحَيَّا يَزْدَرِى شَمْسَ الضُّحَى فى مَعَانِى حُسْنِهِ تَعْيَا الْفِصاحْ[5]

وقال رحمه الله متغزلا :

رِسَالَةٌ مِنْ كَلِفٍ عَنِيدِ حياتُه فِى قَبْضَةِ الصُّدودِ[6]
بَلَّغَهُ الشَّوْقُ مَدَى المَجْهُودِ ما فَوْقَ ما يَلْقَاهُ من مَزِيدِ[7]
وَاهاً عَلَيْهِ كَمْ بِهِ مِنْ وَجْدِ

---

(١) البأس : الشدة . الهلوع بفتح الهاء الشديد الجزع .
(٢) تلوع : تمسها حرقة الحزن .
(٣) الراح : الخمر ، ونزوعا : ميلا .
(٤) الندامى : جمع نديم ، وهم القوم يجتمعون للشراب . الاغتباق : الشرب بالعشى . والاصطباح : الشرب فى الصباح .
(٥) المحيا : الوجه . يزدرى : يحتقر . تعيا : تعجز
(٦) كلف : مشتاق .
(٧) مدى المجهود : نهاية الجهد ، يقول إن الشوق بلغ به غاية لا يستطيع احتماله بعدها :

جَارَ عليـــه حاكِمُ الغَرَامِ فَدَقَّ أَنْ يُدْرَكَ بِالأفهَـــامِ[1]
فلو أَتَاهُ طَارِقُ الحِمَـــامِ لَمْ يَرَهُ مِنْ شِدَّةِ السَّقَامِ[2]
إلا إذا صــدَّره فى البُرْدِ

***

له اهْتِزَازٌ وَارْتِيَـــاحٌ وَطَرَبْ لوجه من أَوْرَثَه طولَ الكُرَب[3]
فَهل سمعتمْ فى الأحاديثِ العَجب بِمَن مُناه قربُ مَن مِنْهُ العَطَب
ومن رأى الغَىَّ بديلَ الرُّشْد

***

مَا العُذْرُ فى السُّـــلوِّ عَنْ غَزَالِ منقطع الأَقْرَانِ وَالأَشْكَالِ
تَسْتَخْلِفُ الشمْسُ لَدَى الزَّوَالِ ضِـــيَاء خَـدَّيْهِ عَلَى اللَّيَالِى[4]
فَصَارَ نُورُ البَدْرِ غَيْرَ مُجْدِى[5]

وكتب إلى بعض أصحابه :

حُرُوفُ وُدِّى وَسَـــائِلْ وَالدَّمْعُ جَارٍ وَسَـــائِلْ[6]
وَلَوْعَـــــتِى وَشُجُــونِى تَضِـــــيقُ عَنْهَا الرَّسَائِلْ[7]

---

(١) الأفهام : العقول.
(٢) الحمام بكسر الحاء : الموت.
(٣) الكرب بضم ففتح : المصائب التى تكرب النفس.
(٤) نور خديه يخلف الشمس بعد المغيب فيطلع على الليالى ساطعا فينيرها.
(٥) غير مجد : غير نافع.
(٦) وسائل (الأولى) جمع وسيلة. أما الثانية فالواو حرف عطف و « سائل » اسم فاعل من : سال يسيل.
(٧) اللوعة : حرقة الهوى. والشجون : جمع شجن بفتحتين ، وهو الهم والحزن.

لِى فِى هَوَاكُمْ غَرَامٌ ـ طولَ المَدَى ـ غَيْرُ زَائِلْ
لَمَّا هَجَرْتُمْ وَبَانَتْ صَبَابَتِى لِلْعَوَاذِلْ(١)
دَخَلْت دَارَ اصْطِبَارِى خَرَجْتُ مِنْ غَيْرِ طَائِلْ(٢)
فَقُلْتُ لِلْعَيْنِ: جُودِى بِالْمُرْسَلَاتِ الْهَوَامِلْ(٣)
وَقَدْ أَمَرْت يَرَاعِى نَخُطُّ مَا أَنَا قَائِلْ(٤)
وَحُبُّكُمْ فى ضَمِيرِى سِوَاهُ زُورٌ وَبَاطِلْ
وَمَدْحُكُمْ ـ كُلَّ وَقْت ـ فَرَائِضٌ لَا نَوَافِلْ(٥)
وَإِنْ سَأَلْتُمْ فَإِنِّى بِشُكْرِكُمْ لَا أُمَاطِلْ(٦)
أَوَاخِرُ الشَّوْقِ عِنْدِى إِلَى لِقَاكُمْ أَوَائِلْ

---

(١) الصبابة : شدة العشق .

(٢) جعل للاصطبار داراً دخل فيها ثم خرج لم يستفد شيئاً .

(٣) المرسلات : أى الدموع المرسلات ، أى الجاريات . والهوامل : الفائضات بالدموع .

(٤) اليراع — فى الأصل — القصب ، والمزمار ينفخ فيه راعى الإبل أو الغنم ، ثم استعير للأقلام .

(٥) الفرائض : ما يجب على الإنسان القيام به حتماً . والنوافل : ما يقوم به الإنسان طلباً للثواب وليس محتوما عليه فعله ، وأكثر ما تستعمل فى الصلاة .

(٦) أماطل : أتراخى وأسوف .

٧ – صفوت الساعاتي(١)

قال رحمه الله يرثي الأديب الشيخ حسن قويدر :

يَا شَمْسَ فَضْلٍ فَدَتْكَ الشُّهْبُ قَاطِبَةً ... إِذْ عَنْكَ لَا أَنْجُمٌ تُغْنِي وَلَا شُهُبُ
لَمَّا أَصَابَكَ لَا قَوْسٌ وَلَا وَتَرٌ ... سَهْمُ الْمَنِيَّةِ كَادَ الْكَوْنُ يَنْقَلِبُ
مَا حِيلَةُ الْعَبْدِ وَالْأَقْدَارُ جَارِيَةٌ ... الْعُمْرُ يُوهَبُ وَالْأَيَّامُ تُنْتَهَبُ
لَوْ افْتَدَتْكَ الْمَنَايَا عِنْدَ مَا فَتَكَتْ ... بِخَيْرِنَا لَفَدَتْكَ الْعُجْمُ وَالْعَرَبُ
سَقَى ضَرِيحَكَ غَيْثُ الْعَفْوِ مُنْسَكِبًا ... وَلَا ارْتَوَتْ بَعْدَكَ الْأَغْصَانُ وَالْعَذَبُ(٢)
وَلَا اسْتَهَلَّتْ عُيُونُ الْقَطْرِ بَاكِيَةً ... إِلَّا عَلَيْكَ وَإِنْ حَلَّتْ بِنَا النُّوَبُ(٣)
أَمْسَتْ لِفَقْدِكَ عَيْنُ الْعِلْمِ سَائِلَةً ... تَرْجُو الشِّفَاءَ وَأَنَّى يَنْجَحُ الطَّلَبُ(٤)
بَكَتْ عَلَيْكَ السَّمَا وَالْأَرْضُ وَاضْطَرَبَتْ ... كَأَنَّمَا نَالَهَا مِنْ حُزْنِهَا طَرَبُ
مَا كُنْتُ أَحْسَبُ قَبْلَ الْيَوْمِ أَنَّ لَدَى ... نِصْفِ النَّهَارِ ضِيَاءَ الشَّمْسِ يَحْتَجِبُ

---

(١) هو محمود صفوت بن مصطفى أغا ، شاعر مصري ، ولد بالقاهرة وتعلم بها ، واتصل بشريف مكة فلازمه في بعض وقائع وصفها في شعره ، ثم استخدم في المعية ثم في مجلس أحكام الجيزة والقليوبية . واشتهر بالساعاتي لبراعته في فن الساعات ، ولكن لم يحترفه ؛ وكان حلو الحديث حسن المحاضرة ؛ مات سنة ١٢٩٨ هـ .

(٢) الغيث : المطر . العذب بفتحتين : الأغصان أيضاً .

(٣) القطر بفتح القاف : المطر . والنوب بضم النون وفتح الواو : المصائب واحدتها نوبة .

(٤) في هذا البيت استخدام ، فإن (سائلة) بمعنى فائضة بالدمع ، وفي قوله ترجو أعاد عليها الضمير بمعنى السؤال .

لَوْ كانَ يَدْرِي فؤَادِي يَوْم نَكْبَتِهِ كانَ الْفِدَاءَ وَهٰذَا بَعْضُ مَا يَجِبُ
بالرَّغْم مِنِّي حَيَاتِي بَعْدَ مَصْرَعِهِ سِيَّانِ فُرْقَةُ مَنْ أَحْبَبْتُ وَالْعَطَبُ (١)

٨ — عبد الله باشا فكرى(٢)

كتب إلى أحمد فارس الشِّدْياق ردًّا على قصيدة له :

تَفْدِيكَ نَفْسُ شَجٍ عَلِيلٍ آسى عَزَّ الدَّوَاءُ لَهُ وَحَارَ الآسى (٣)
أَضْنَاهُ طُولُ أَسَاهُ حَتَّى إِنَّهُ يَحْكِي لِفرْط ضَنَاهُ ذَاوِى الآس (٤)
هَزَّتْهُ سَارِيَةُ النَّسِيم ، وَقَدْ جَرَتْ بِشَذَا فَرُوقَ أَرِيجَةَ الْأَنْفَاسِ (٥)
فَكَأَنَّ فى طَيِّ الشَّمالِ إِذَا انْثَنَى مِنْ نَشْرِها طَرَبًا ، شَمُولَ الكَاسِ (٦)
وَكَأَنَّهَا حَمَلَتْ إِلَيَّ رِسَالَةً غَرَّاءَ جَاءَتْ مِنْ أَغَرَّ مُوَاسى (٧)
كَمَلِيحَةٍ عَذْرَاءَ وَافَتْ صَبَّهَا مِنْ بَعْدِ طولِ تَعَذُّرٍ وَشِمَاسِ (٨)
يَفْتَرُّ مَبْسَمُهَا بِحُسْنِ حَدِيثِهَا عَنْ سِحْرِ فَاتِنِ جَفْنِهَا النَّعَّاسِ (٩)

---

(١) بعد مصرعه : بعد موته . العطب : الهلاك .

(٢) هو الكاتب الشاعر المترجم عبد الله باشا فكرى بن محمد أفندى بليغ ، ولد بمكة ودرس بالأزهر، وأجاد التركية والعربية ؛ وقد ترقى فى المناصب حتى وصل إلى معية المغفور له سعيد باشا فإسماعيل باشا ؛ وكان يكتب عنهما مكاتبات كانت تعد نموذجاً متبعاً فى المكاتبات الديوانية ، وكان كاتباً بليغاً يتأثر البديع والخوارزمى بالتزام السجع القصير والمحسنات البديعية . وقد توفى سنة ١٣٠٧ هـ .

(٣) الشجى : المهموم ، الحزين . والآسى كذلك . عز الشىء : ندر وصعب الحصول عليه . الآسى الطبيب .

(٤) أضناه : أسقمه وأهزله . أساه : حزنه . ذاوى : ذابل . الآس : نوع من الزهر .

(٥) الشذا : قوة طيب الرائحة . فروق بفتح الفاء : من أسماء القسطنطينية ؛ وأريجة : طيبة الريح .

(٦) الشمال : يريد بها ريح الشمال . والشمول بفتح الشين : من أسماء الخمر .

(٧) الغراء : الحسناء . والأغر : السيد الشريف . والمواسى : المساعد المعاون .

(٨) صبها : عاشقها . والتعذر : التمنع . والشماس بكسر الشين : النفور والإباء .

(٩) يفتر : ينكشف . والمبسم : الفم . والنعاس : الشديد الفتور .

تَدْنُو فَيُطْمِع عاشِقِيها أُنْسُهَا ... وَيُشِـيرُ عِزُّ دَلَالِهَا بِإِيَاسِ(١)
أَوْ رَوْضَـةٍ فَيْحَاءَ حَيَّاهَا الْحَيَا ... مِنْ صَوْبِ مَحْلُولِ الْعُرَى رَجَّاسِ(٢)

وقال يتغزل :

كَتَبْتُ وَلَوْلَا دَمْعُ عَيْنِيَ سَائِلٌ ... تَلَظَّى جَوَابِى من تَلَهُّب أنفاسى(٣)
وَعِنْدِى منَ الْأَشْوَاقِ مَا لَمْ يَبُحْ بِهِ ... لِسَانُ يَرَاعٍ فِى مَسَامِعِ قرطَاسِ(٤)
وَلِى مِنْ تبَارِيحِ الهَوى وَشُجُونِهِ ... أَحَادِيثُ تُلْهِى الشَّرْبَ عَنْ لَذَّةِ الكاسِ(٥)
وَلَوْ كُنْتُ منْ دَهْرِى أَنَالُ مآرِبِى ... لَسِرْتُ لَكُمْ سَعْياً عَلَى الْعَيْنِ وَالرَّاسِ

وكتب إلى السيد عبد الهادى الأبيارى يعتذر عن عدم إجابة دعوة لم تصل إليه :

يَا مَنْ بَدِيعُ حُلَاهُ ... تُزْرِى الْبَدِيعَ وَتُنْسِى(٦)
وَافَتْ عَقِيـلَةُ نَظْمٍ ... تَتْـلُو فَصَاحَةَ قُسِّ(٧)
كَالْبَـدْرِ لَاحَ سَنَاهُ ... مِنْ بَعْدِ مَغْرِبِ شَمْسِ
فَغَادَرَتْنِي صَرِيعاً ... نَشْوَانَ مِنْ غَيْرِ كَأْسِ

---

(١) الإياس : اليأس . أى ييأس من أن تواصلهم .
(٢) الحيا : المطر . ويريد بمحلول العرى : المطر الغزير الذى لا يحجبه شىء . والرجاس : الشديد الصوت .
(٣) تلظى : التهب واحترق . ويريد بالجواب الصحيفة التى ضمنها خطابه .
(٤) البراع : يريد القلم . والقرطاس : الصحيفة التى يكتب فيها .
(٥) تباريح الهوى : حرقته . والشجون جمع شجن بفتح الشين والجيم : وهو الهم والحزن . والشرب بفتح الشين : الشاربون .
(٦) البديع فى الشطر الثانى هو بديع الزمان الهمذانى صاحب المقامات المشهورة والأسلوب المسجع ، من كتاب القرن الرابع الهجرى .
(٧) قس بن ساعدة الإيادى الخطيب الجاهلى .

فَمَنٍّ بالعَـفْو إنِّى مِنْهُ عَلَى غَـيْرِ يَأْسِ
وَإنْ عتَبْتَ فَحَقٌّ وَمَـا أُبَرِّئُ نَفْسى

٩ – الشيخ على الليثى(١)

قال يرثى محمود باشا الفلكى وقد صادف أن تهاوت نيازك ليلة وفاته :

أَرَى النَّيَازِكَ عَنْ سَامٍ مِنَ الْفَلَكِ مَذْعُورَةً أَصْبَحَتْ تَصْبُو إلى الدَّرَكِ(٢)
كَالطَيْرِ فَاجَأَهَا الْبَازِى وَأَذْهَلَهَا فَحَاكَتِ الْبَرْقَ وَانْقَضَّتْ عَنِ الْحُبُكِ(٣)
نَعَتْ إِلَيْنَا الرئيس الْجِهبذِيَّ ، وَقَدْ قَالَتْ تَعَزَّوْا فَمَا حَيٌّ بِمُتَّرَكِ(٤)
يا نَفْسُ هٰذَا مُصَابٌ قَدْ أَصَابَ فَمَا أَبْقَى فُؤَادَ صَبُورٍ غَيْرَ مُرْتَبِكِ
أَلَيْسَ نَسْرُ سَمَاءِ الْعِلْمِ قَدْ عَلِقَتْ كَفُّ الْمَنُونِ بِهِ فَانْحَازَ فِى الشَّرَكِ(٥)
الصَّبْرَ يَا نَفْسُ ، وَاسْتَبْقِى مَنَايِحَهُ أَوْ فَالتَّصَبُّرَ إنْ تَبْغِى الْهُدَى فَلَكِ(٦)
حَلَّ الْقَضَاءُ وَنَاعِى الْمَجْدِ أَرَّخَنَا قَدْ مَاتَ مَحْمُودُ بَاشَا الْمُسْنَدُ الْفَلَكِى
١٣٠٣ ١٠٤ ٤٤ ٩٨ ٣٠٤ ١٨٥ ١٧١

(١) هو الشاعر الكاتب المحاضر المقادر ، شاعر الخديو إسماعيل باشا فتوفيق باشا . ظهر بالشعر والأدب وصار فى معية إسماعيل باشا ؛ ولما خلفه توفيق أبقى عليه فأخلص له الشيخ ، وخاصة أيام الثورة ، وشعره متوسط ؛ وتوفى سنة ١٣١٣ هـ .

(٢) النيازك : جمع نيزك بفتح النون : شعلة ترى على شكل الرمح ، وهو من الشهب المتساقطة ؛ والدرك : أسفل السفل .

(٣) البازى : نوع من الصقور . ويريد بالحبك السماء .

(٤) الجهبذ : الناقد العارف بتمييز الجيد من الردىء ؛ ومترك بتشديد التاء وفتح الراء : متروك

(٥) علقت به : تعلقت . والمنون : الموت . والشرك : حبائل الصائد .

(٦) المنايح : يريد بها جمع مناحة ، وهى موضع البكاء على الميت ، والمراد بها هنا البكاء نفسه .

وقال فى عقب الثورة العرابية (من قصيدة طويلة) :

كُلُّ حَالٍ لِضِدِّهِ يَتَحَوَّلْ   فَالْزَمِ الصَّبْرَ إِذْ عَلَيْهِ الْمُعَوَّلْ(١)
يَا فُؤَادِى اسْتَرِحْ فَمَا الشَّأْنُ إِلا   مَا بِهِ مَظْهَرُ الْقَضَاءِ تَنَزَّلْ
رُبَّ سَاعٍ لِحَتْفِهِ وَهْوَ يَمْنٌ   ظَنَّ بِالسَّعْىِ لِلْعُلاَ يَتَوَصَّلْ(٢)
قَدَرٌ غَالِبٌ وَسِرُّ الْخَفَايَا   فَوْقَ عَقْلِ الْأَرِيبِ مَهْمَا تَكَمَّلْ
غَايَةُ الْعَقْلِ حَسْرَةٌ وَعِقَالٌ   وَاللَّبِيبُ الذَّكِىُّ مَنْ قَدْ تَأَمَّلْ
كَيْفَ نَنْسَى وَحَادِثَاتُ اللَّيَالِى   فَاجَأَتْنَا بِكَارِثٍ لَيْسَ يُحْمَلْ
أَذْهَبَتْ أَنْفُسًا وَغَالَتْ نَفِيسًا   وَذَوَى مَرْبَعُ الْحُظُوظِ وَأَمْحَلْ(٣)
وَإِذَا الْمَرْءُ كَانَ بِالْوَهْمِ يَبْنِى   فَخَيَالُ الظُّنُونِ مَا قَدْ تَمَثَّلْ
وَيْحَ قَوْمٍ سَعَوْا لِإِدْرَاكِ أَمْرٍ   دُونَ إِدْرَاكِهِ الْجِبَالُ تُزَلْزَلْ
مَا أَصَرُّوا عَلَيْهِ إِلَّا أَضَرُّوا   بِأُنَاسٍ مِنْ نَابِهٍ أَوْ مُغَفَّلْ(٤)
ذَاكَ يَسْعَى عَلَى التَّقِيَّةِ خَوْفًا   وَسِوَاهُ يَسْعَى لِكَيْمَا يُجَمَّلْ
لَوْ أَصَابُوا الرَّشَادَ عِنْدَ ابْتِدَاءٍ   كَانَتِ الْغَايَةُ الْجَمِيلَةُ أَمْثَلْ

---

(١) عليه المعول : عليه المعتمد فى الشدة .

(٢) الحتف : الهلاك .

(٣) أمحل : أجدب . يريد أن حادثات الثورة أضاعت الأرواح والنفائس من مال ومتاع ، وأصبحت الحظوظ لا يرجى منها خير ولا أمل .

(٤) أصروا عليه : عزموا وثبتوا على عزمهم .

(٥) التقية : التقى : وهو الخشية والحذر .

وقال يصف السفينة وهو عائد من براين :

أَصْبَحَ الْوَقْتُ بَاسِماً بِالسُّرُورِ   كَابْتِسَامِ الرَّبِيعِ وَقْتَ الزُّهورِ
أَيْنَ أَلْقَى ظَرِيفَ طَبْعٍ لَطِيفاً   كَىْ نُدِيرَ الْحَدِيثَ مِثْلَ الْخُمُورِ
فَوْقَ ظَهْرِ السَّفِينِ نُحْسِنُ وَصْفاً   حَيْثُ يَجْرِى عَلَى صَفَاءِ الْبُحُورِ
وَتَرَاهُ يَخْتَالُ وَهُوَ مُعَنًّى   وَيْحَهُ كَمْ يَجُرُّ ذَيْلَ الفَخُورِ (١)
ذَيْلُه يَرْسُمُ الْمَجَرَّةَ عُجْبا   بَيْنَ مَوْجٍ يُضِيءُ مِثْلَ الْبُدُورِ (٢)

١٠ — السيد عبد الله نديم (٣)

قال يتغزل :

سَلوهُ عَنِ الْأَرْوَاحِ فَهْىَ مَلاَعِبُهْ   وَكُفُّوا إِذَا سَلَّ الْمُهَنَّدَ حَاجِبُهْ
وَعُودُوا إِذَا نَامَتْ أَرَاقِمُ شَعْرِهِ   وَوَلُّوا إِذَا دَبَّتْ إِلَيْكُمْ عَقَارِبُه (٤)
وَلاتَذْكُرُوا الْأَشْبَاحَ ؛ بِاللهِ ؛ عِنْدَهُ   فَلَوْ أَتْلَفَ الْأَرْوَاحَ مَنْ ذَا يُطَالِبُهْ
أَرَاهُ بِعَيْنِى وَالدُّمُوعُ تُكَاتِبُهْ   وَيُحْجَبُ عَنِّى وَالْفُؤَادُ يُرَاقِبُهْ

(١) المعنى بضم الميم وفتح العين وتشديد النون المفتوحة : المتعب المكدود . وويحه : رحمة له . والفخور بفتح الفاء : الكثير التفاخر .
(٢) المجرة بفتح الميم وتشديد الراء المفتوحة : نجوم كثيرة لايميزها البصر ، بل يراها كبقعة بيضاء .
(٣) يعد السيد عبد الله نديم فى مقدمة الخطباء العرابيين ، وكان لا يجارى فى سرعة البديهة وشدة التأثير فى سامعيه بالعامية وغيرها ، ويعد متأثراً بجمال الدين الأفغانى كالشيخ محمد عبده ، وله مع ذلك شعر ونثر جيدان . توفى بالقسطنطينية سنة ١٨٩٦ م .
(٤) الأراقم : أخبث الحيات ، واحدها أرقم ، والعقارب هنا شعر الأصداغ ، شبه بها لانعطافه كأذنابها على العين .

فَهَلْ حَاجَةٌ تُدْنِي الْحَبِيبَ لِصَبِّهِ سِوَى زَفْرَةٍ تَثْنِي الْحَشَا وَتُجَاذِبُهْ ؟
فَلاَ أَنَا مِمَّنْ يَتَّقِيهِ حَبِيبُهُ وَلاَ أَنَا مِمَّنْ بِالصُّدُودِ يُعَاتِبُهْ
فَلَوْ أَنَّ طَرْفِي أَرْسَلَ الدَّمْعَ مَرَّةً سَفِيرًا لِقَلْبِي مَا تَوَالَتْ كَتَائِبُهْ(١)

١١ ــ الشيخ نجيب الحداد(٢)

وقال الشيخ نجيب الحداد يمدح مصر والمصريين :

يَا أَرْضَ مِصْرَ تَحِيَّةٌ وَسَلاَمُ وَسَقَاكِ مِنْ صَوْبِ الْغَمَامِ رُكَامُ(٣)
بَلْ أَنْتِ غَانِيَةٌ عَنِ الْمَطَرِ الَّذِي يَهْمِي ، فَإِنَّ النِّيلَ فِيكِ غَمَامُ(٤)
نَهْرٌ تَبَارَكَ مَاؤُهُ ، فَتَكَادُ أَنْ تَمْحَى بِطُهْرِ مِيَاهِهِ الآثَامُ(٥)
وَيَكَادُ لَوْ رَشَفَ الْعَلِيلُ زُلاَلَهُ يَشْفَى الْعَلِيلُ وَتَذْهَبُ الأَسْقَامُ(٦)
يُحْيِي الْبِلاَدَ بِمَائِهِ ، فَكَأَنَّه الـرُّوحُ الَّتِي تَحْيَا بِهَا الأَجْسَامُ(٧)

---

(١) الكتائب : جمع كتيبة بفتح الكاف ، وهي القطعة من الجيش .

(٢) نشأ الشيخ نجيب الحداد نشأة أدبية ، فصار شاعراً رقيقاً وكاتباً بليغاً له روايات شتى تأليفا وترجمة . توفى سنة ١٨٩٩ م .

(٣) وسقاك : الخبر هنا للدعاء ، فهو يتمنى لأرض مصر الري والسقيا من الغمام . صوب الغمام : نزوله ، والغمام : السحاب والركام (بضم الراء) : المتراكم بعضه فوق بعض .

(٤) الغانية : الغنية بحسنها وجمالها عن الزينة ، أو ذات المال الذى تستغنى به عن الغير . والمراد هنا أنها غنيت بوفر مائها الذى يتدفق من النيل عن المطر . ويهمى : يسقط غزيراً .

(٥) تبارك ماؤه : خصه الله بالبركة والخير . تمحى : تزال . الآثام : الذنوب .

(٦) رشف : امتص الماء بشفتيه قليلا قليلا . والعليل : المريض . والماء الزلال (بضم الزاى) : العذب الصافى .

(٧) يحيي البلاد : يبعث الحياة فى أهلها وزرعها وطيرها وسائمتها بفضل مائه الذى لا ينقطع . والروح : سر الحياة فى الجسم . يريد أن النيل روح مصر وسر حياتها ، ولولاه لأصبحت صحراء يابسة .

إنْ شَابَهُ كَدَرٌ فَفِى أَكْدَارِهِ صَفْوٌ وَفِى فَيَضَانِهِ إِنْعَامُ(١)
أَرْضٌ إذا لَمْ يَعْلُ فِى أَرْجَائِهَا عَلَمٌ فَإِنَّ كِرَامَهَا أَعْلَامُ(٢)
لَبِسَتْ مِنَ الْمَجْدِ التَّلِيد مَطَارِفًا وَلَهَا من الْمَجْدِ الطَّرِيف وسَامُ(٣)
وتَعَانَقَتْ وَالْفَخْرَ مِنْ قِدَمٍ كَمَا قَدْ عَانَقَتْ أَلِفَ الْكِتَابَة لَامُ(٤)
مَجْدٌ بِهِ هَرِمَ الزَّمَانُ وَلَمْ يَزَلْ غَضًّا وَقَدْ شَهِدَتْ بِهِ الْأَهْرَامُ(٥)
هَرَمَان زَانَا صَدْرَ مِصْرَ فَأَشْبَهَا نَهْدَيْنِ زَانَهُمَا سَنًى وَتَمَامُ(٦)
نَهْدَان كَانَ الدَّهْرُ يَرْضَعُ مِنْهُمَا إِنَّ الزَّمَانَ لِمَجْدِ مِصْرَ غُلَامُ(٧)
أَرْضُ الْفَرَاعِنَة الَّذِينَ بَنَوْا لَهَا فى الدَّهْرِ مَا لَا تَبْلغُ الْأَوْهَامُ
بُنْيَانُ عِزٍّ فِى السُّطُورِ مُخَلَّدٌ وَبِنَاءُ مَجْدٍ فى الصُّخُورِ يُقَامُ

---

(١) شابه : خالطه . ويريد بأكداره ما يحمله من الغرين (الطمى) إبان الفيضان ، فإن فيه زيادة فى خصب الأرض ونمائها : وهذا ما عبر عنه بالصفو ليقابل به الأكدار . إنعام : أى وفى فيضانه نعمة وخير للوطن .

(٢) العلم بفتحتين : الجبل الطويل . والأعلام : جمع علم بفتحتين وهو سيد القوم . يريد أن مصر إذا خلت أرضها من الجبال الضخمة العظيمة فإن فيها السادة العظماء من رجالها .

(٣) التليد : القديم . المطارف : جمع مطرف بكسر الميم وفتح الراء ، وهو الثوب من الحرير . والطريف : الجديد . والوسام شارة الفخر . وقد صرف (مطارف) لضرورة الشعر .

(٤) يريد أن الفخر لازمها من قديم الزمان لما فاض به تاريخها من حضارة سبقت بها الأمم .

(٥) هرم : شاب وكبرت سنه . غضاً : ناضراً . والمراد أن مجد مصر مرت عليه الأزمان الطويلة فأهرمها وهو ما زال فى عنفوان شبابه ونضرته .

(٦) النهد (بفتح النون) : الثدى وجمعه نهود . والسنى (بفتح السين والنون) : الضوء . والتمام (بتثليث التاء) : الكمال .

(٧) يقول إن هرمى مصر كانا فى العصور الغابرة بمثابة نهدين يرضع منهما الزمن . يكنى بذلك عما كانت عليه مصر من حضارة وعظمة فى الوقت الذى كان فيه العالم كالطفل لجهالته وتأخره .

لَا بِدْعَ إِنْ بَقِيَتْ مَآثِرُهمْ فَقَدْ بَقِيَتْ جسُومُهُم وَهُنَّ رِمَامُ[١]

١٢ — مصطفى بك نجيب[٢]

قال يشكر بعض الأدباء على ساعة أهداها إليه :

مَتَّعَنَا أَخٌ كَرِيمٌ حَسَبَا وَحَاتِمِىٌّ مَحْتِــــداً وَنَسَبَا[٣]
بِسَاعَةٍ مِنْ خَيْرِ مَا قَدْ جَلَبَـا مَا إِنْ رَأَتْ عَيْنٌ لَهَا مُضْطَرِبَا[٤]
تَمشى مَعَ الزَّمَان سَيْرًا عَجَبَا لَا تُخْطِئُ الْوَقْتَ وَلَوْ تَذَبْذَبَا[٥]
كَأَنَّ بِالنَّجْمِ لَهَا مُنْتَسَبَا وَبِذُكَاءَ لُحْمَةً وَنَسَبَا[٦]
حَتَّى إِذَا وَقْتُ الزَّوَالِ وَجَبَـا وَرَامَت الشمْسُ لَهَا مُنْقَلَبَا[٧]
رَأَيْتَ فِيهَـا الْعَقْرَبَيْنِ عَقْرَبَا

---

(١) لا بدع : لا غرابة ولا عجب . رمام : جمع رمة بكسر الراء وتشديد الميم المفتوحة وهى الجسم البالى . يقول لا غرابة فى بقاء آثارهم من أهرامات ومعابد ، فهذه جسومهم وهى رهن البلى ، ما زالت باقية لم تندثر بفضل نبوغهم وتقدمهم فى فن التحنيط .

(٢) هو ابن محمد نجيب ، أديب إدارى ، وكاتب شاعر مقل ، صاحب كتاب (حماة الإسلام) ؛ ومقالات (أحلام الأحلام) ؛ توفى سنة ١٣٢٠ هـ .

(٣) حاتمى : نسبة إلى (حاتم الطائى) الذى ضرب به المثل فى الكرم ، وهو من أجواد العرب . والمحتد : الأصل .

(٤) مضطربا : تقدماً أو تأخراً عن السير الطبيعى للزمن .

(٥) تذبذب : اضطرب وخرج عن حركته الطبيعية فى السير .

(٦) ذكاء (بضم الذال) : الشمس ، ولحمة (بضم اللام) : قرابة .

(٧) وقت الزوال : هو الوقت الذى يزول فيه الظل حين تصل الشمس إلى كبد السماء ، أى فى الساعة الثانية عشر تماما .

وكتب على يد مروحة :

إذَا يَــدٌ لَعِبَتْ بِي قَابَلْتُهَــا بِهَــوَاهَا
مَزَجْتُ لُطْفَ نَسِيمِي بِلُطْفِ رَيَّا مُنَاهَا(١)
فَزَادَهَا الرِّيحِ وَجْدًا وَزَادَهَا الْوَجْدُ آهَا(٢)
جَاءَتْ لِتَــبْرُدَ شَوْقًا فَزِدْتُ مِنْهَا جَوَاهَا(٣)

١٣ — محمود باشا سامى البارودى(٤)

قال فى الفخر وهو من قصيدة طويلة :

سِوَايَ بِتَحْنَانِ الْأَغَارِيدِ يَطْرَبُ وَغَيْرِي بِاللَّذَّاتِ يَلْهُو وَيُعْجَبُ(٥)
وَمَا أَنَا مِمَّــنْ تَأْسِرُ الْخَمْرُ لُبَّــهُ وَيَمْلِكُ سَمْعَيْهِ الْيَرَاعُ الْمُثَقَّبُ(٦)
وَلَــكِنْ أَخُو هَمٍّ إِذَا مَا تَرَجَّحَتْ بِهِ سَوْرَةٌ نَحْوَ الْعُلَا رَاحَ يَدْأَبُ(٧)

---

(١) الريا : (بفتح الراء وتشديد الياء) الريح الطيبة ، كأنما رويت من الطيب والعطور فى مسراها مؤنث ريان . والمنى : جمع منية بضم الميم وتسكين النون ، وهى ما تتمناه النفس من خير .

(٢) وجداً : صبابة وشوقاً . وآها : تأوها من فرط الحنين .

(٣) لتبرد لتلتمس برداً من شدة حرارتها . والجوى شدة الوجد .

(٤) هو محمود سامى باشا بن حسن حسنى بك البارودى . أحد زعماء الثورة العرابية ؛ ولد سنة ١٢٥٦ هـ . وتعلم بالمدرسة الحربية ، وترقى فى مناصب الجيش وغيرها حتى رأس النظار قبيل الثورة العرابية ، ونفى بعدها إلى سرانديب ، ثم عاد إلى مصر ، وبها مات سنة ١٣٢٢ هـ . والبارودى عصامى فى نشأته الأدبية الشاعرة ، يعد شعره صورة مقاربة للفحول السابقين : جزل الأسلوب ضخم المعانى ، متنوع الفنون له ديوان ومختارات .

(٥) التحنان بفتح التاء : الحنين . والأغاريد : جمع أغرودة بضم الهمزة ، غناء الطائر . ويعجب بالشيء بالبناء للمجهول : يسر منه .

(٦) يريد بسمعيه أذنيه . واليراع : القصب الذى يزمر به الراعى ، واحدته يراعة . والمثقب : ذو الثقوب التى تعين النافخ على الصفير ، وتنوع الألحان .

(٧) الهم — هنا : الهمة . وترجحت به : مالت به ، ويريد بالسورة النزعة القوية .

نفى النَّوْمَ عَنْ عَيْنَيْهِ نَفْسٌ أَبِيَّةٌ ... لها بَيْنَ أَطرافِ الأسنة مَطلَبُ[1]
وَمَنْ تَكُنِ العَلْيَاءُ هِمَّةَ نَفسه ... فكلُّ الذى يَلْقَاهُ فيها مُحَبَّبُ
إِذَا أَنَا لَمْ أُعْطِ المَكَارِمَ حَقَّهَا ... فَلَا عَزَّنِي خَالٌ وَلَا ضَمَّنِي أَبُ

***

خُلِقْتُ عيُوفًا لا أَرَى لابْنِ حُرَّةٍ ... عَلَيَّ يدًا أُغْضِى لها حِينَ يَغْضَبُ[2]
فَلَسْتُ لأَمْرٍ لَمْ يَكُنْ مُتَوَقِّعًا ... وَلَسْتُ عَلَى شَيْءٍ مَضَى أَتَعَتَّبُ[3]
أَسِيرُ عَلَى نَهْجٍ يَرَى النَّاسُ غَيْرَهُ ... لِكُلِّ امْرِئٍ فِيمَا يُحَاوِلُ مَذْهَبُ[4]
وَإِنِّى إِذَا ما الشَّكُّ أَظْلَمَ لَيْلُهُ ... وَأَمْسَتْ بِهِ الأَحْلَامُ حَيْرَى تَشَعَّبُ[5]
صَدَعْتُ حفافَىْ طُرَّتَيْهِ بِكَوْكَبٍ ... مِنَ الرَّأْيِ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ الْمُغَيَّبُ[6]

وقال يتشوق وهو فى المنفى :

رُدُّوا عَلَيَّ الصِّبَا مِنْ عَصْرِيَ الخَالِي ... وَهَلْ يَعُودُ سَوَادُ اللِّمَّة الْبَالِي[7]
لَمْ يَدْرِ مَنْ بَاتَ مَسْرُورًا بِلَذَّتِهِ ... أَنِّى بِنَارِ الأَسَى مِنْ هَجْرِهِ صَالِي[8]

---

(١) الأسنة : جمع سنان ، وهو نصل الرمح .
(٢) العيوف بفتح العين : الشديد الأنفة . واليد : النعمة . أغضى لها : أطبق جفنى ذلا وندما .
(٣) أتعتب : أغضب .
(٤) المذهب : الطريقة .
(٥) الأحلام : العقول . وتتشعب أى تختلف وتتفرق .
(٦) حفافا الشيء : جانباه . الطرة : الناصية ، يقول إنه إذا أشكل الأمر وتحيرت فيه العقول أناره رأى كالكوكب فى وضوحه وإشراقه .
(٧) اللمة بكسر اللام وتشديد الميم : الشعر المجاوز شحمة الأذن ، هو يريد شعر الرأس على الإطلاق ، ويريد بالبالى الذى تغير لونه فبيضه المشيب .
(٨) الأسى : الحزن . يصلى النار من باب علم ، وصلى بها فهو صال : قاسى حرها أو احترق بها .

يا غاضِبِينَ عَلَيْنَا هَلْ إلى عِدَةٍ ... بالْوَصْلِ يَوْمٌ أُناغِى فِيهِ إقْبالِى (١)
غِبْتُمْ فَأَظْلَمَ يومِى بعْدَ فُرْقَتِكُمْ ... وَسَاءَ صُنْعُ الليالى بَعْدَ إجْمالِ (٢)
فَالْيَوْمَ لا رَسَنِى طَوْعُ الْقِيادِ وَلا ... قَلْبِى إلَى زَهْرَةِ الدُّنْيا بِمَيَّالِ (٣)
أَبِيتُ مُنْفَرِدًا فِى رَأْسِ شاهِقَةٍ ... مِثْلَ الْقَطامِىِّ فَوْقَ الْمَرْبإِ الْعالِى (٤)

وقال يرثى أباه لما ناهز العشرين :

لَا فارِسَ الْيَوْمَ يَحْمِى سَرْحَةَ الْوادِى ... طاحَ الرَّدَى بِشِهابِ الْحَرْبِ وَالنَّادِى (٥)
مَاتَ الَّذِى تَرْهَبُ الْأَقْرانُ صَوْلَتَهُ ... وَيَتَّقِى بَأْسَهُ الضِّرْغامَةُ الْعادِى (٦)
مَضَى وَخَلَّفَنِى فِى سِنٍّ سابِعَةٍ ... لَا يَرْهَبُ الْخَصْمُ إبْراقِى وَإرْعادِى (٧)
فَإنْ أَكُنْ عِشْتُ فَرْدًا بَيْنَ آصِرَتِى ... فَهَأَنا الْيَوْمَ فَرْدٌ بَيْنَ أَنْدادِى (٨)

---

(١) العدة بكسر العين وفتح الدال : الوعد . وناغى الصبى : كلمه بما يعجبه ويسره .

(٢) الإجمال : الإحسان .

(٣) الرسن بفتحتين : الحبل الذى تقاد به الدابة .

(٤) يريد بالشاهقة الجبل المرتفع . والقطامى بفتح القاف وضمها : الصقر . والمربأ : المكان الذى يقف فيه من يرقب .

(٥) السرحة بفتح السين : الشجرة العظيمة يستظل فيها . والمراد : يحمى حرمه . وطاح به : أهلكه . والردى بفتح الدال : الموت . والشهاب : الكوكب ، يريد أنه كان كالكوكب فى انقضاضه على محاربيه ، كما كان فى مجتمع القوم زينتهم كالكوكب أيضا فى تألقه .

(٦) الأقران : جمع قرن بكسر القاف ، وهو المناظر فى الشجاعة وغيرها . صولته : سطوته وبطشه فى النضال . والضرغامة : الأسد . والعادى : الصائل .

(٧) إبراقى وإرعادى : تهديدى ووعيدى .

(٨) يريد بآصرته : أهل قرابته ومودته .

ومن قصيدة له يرثى بها زوجته ، وقد ماتت فى مصر وهو لا يزال فى منفاه :

لَا لَوْعَتِي تَدَعِ الْفؤَادَ ، وَلَا يَدِي ... تَقْوَى عَلَى رَدِّ الْحَبِيبِ الْغَادِى(١)
يا دَهْرُ ! فيمَ فَجَعْتَنِي بحليـــلةٍ ... كَانَتْ خُلَاصَةَ عدتى وَعَتَادِى(٢)
إِنْ كُنْتَ لَمْ تَرْحَمْ ضَنَاى لِبُعْدِها ... أَفَلَا رَحِمْتَ مِنَ الْأَسَى أَوْلَادِى(٣)
وَمِنَ الْبَلِيَّةِ أَنْ يُسَامَ أَخُو الْأَسَى ... رَعْىَ التَّجَلُّد ، وَهْوَ غَيْرُ جَمَاد(٤)
هَيْهَاتَ بَعْدَكِ أَنْ تَقَرَّ جَوَانِحِى ... أَسَفًا لِبُعْدِكِ ، أَوْ يَلِينَ مِهَادِى(٥)
وَلَهِى عَلَيْكِ مُصَاحِبٌ لَمَسِيرَتِى ... وَالدَّمْعُ فِيكِ مُلَازِمٌ لِوِسَادِى(٦)
فَإِذَا انْتَبَهْتُ فَأَنْتِ أَوَّلُ ذِكْرَتِى ... وَإِذَا أَوَيْتُ فَأَنْتِ آخِرُ زَادِى(٧)

وقال يصف الحرب :

وَلَمَّا تَدَاعَى الْقَوْمُ وَاشْتَبَكَ الْقَنَا ... وَدَارَتْ، كَمَا تَهْوَى عَلَى قُطْبِهَا الْحَرْبُ(٨)
وَزُيِّنَ لِلنَّاسِ الْفِرَارُ مِنَ الرَّدَى ... وَمَاجَتْ صُدُورُ الْخَيْلِ وَالْتَهَبَ الضَّرْبُ

---

(١) اللوعة : ألم الفراق ، والغادى : الذاهب ، من غدا يغدو إذا ذهب فى الصباح ، والمراد هنا من الغادى : الذاهب عن الدنيا .

(٢) العدة ، والعتاد : ما يعد المرء لشأنه ، يريد أنها كانت سنده فى الحياة وعونه .

(٣) الضنا : الضعف والسقم ، والأسى : الحزن .

(٤) سامه الأمر : كلفه إياه ، والرعى : المراعاة .

(٥) تقر : تهدأ ، والجوانح : الأضلاع ، مفردها : جانحة ، والمهاد : الفراش .

(٦) الوله : أشد الحزن ، والمسيرة : السير ، والمراد بها هنا العمر والحياة ، أى أن حزنه سيصاحب أيام حياته ، والوساد : المخدة والمتكأ .

(٧) انتبهت : استيقظت ، والذكرة : الذكر ، وأويت : دخلت فراشى ، والزاد : ما يتزود به .

(٨) تداعى القوم : دعا بعضهم بعضاً للقتال ، والقنا : جمع قناة ، وهى الرمح ، وشبه الحرب بالرحى فى دورانها على قطبها .

وَدَارَتْ بِنَا الْأَرْضُ الْفَضَاءُ كَأَنَّنَا ... سُقِينَا بِكَأْسٍ لَا يُفِيقُ لَهَا شَرْبُ(١)
صَبَرْتُ لَهَا حَتَّى تَجَلَّتْ سَمَاؤُهَا ... وَإِنِّى صَبُورٌ إِنْ أَلَمَّ بِىَ الْخَطْبُ(٢)

وقال يصف الفراق :

مَحَا الْبَيْنُ مَا أَبْقَتْ عُيُونُ الْمَهَا مِنِّى ... وَشِبْتُ وَلَمْ أَقْضِ اللُّبَانَةَ مِنْ سِنِّى(٣)
عَنَاءٌ وَيَأْسٌ وَاشْتِيَاقٌ وَغُرْبَةٌ ... أَلَا شَدَّ مَا أَلْقَاهُ فِى الدَّهْرِ مِنْ غَبْنِ(٤)
فَإِنْ أَكُ فَارَقْتُ الدِّيَارَ فَلِى بِهَا ... فُؤَادٌ أَضَلَّتْهُ عُيُونُ الْمَهَا عَنِّى(٥)
بَعَثْتُ بِهِ يَوْمَ النَّوَى إِثْرَ لَحْظَةٍ ... فَأَوْقَعَهُ الْمِقْدَارُ فِى شَرَكِ الْحُسْنِ(٦)
فَهَلْ مِنْ فَتًى فِى الدَّهْرِ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ... فَلَيْسَ كِلَانَا عَنْ أَخِيهِ بِمُسْتَغْنِ
وَلَمَّا وَقَفْنَا لِلْوَدَاعِ وَأَسْبَلَتْ ... مَدَامِعُنَا فَوْقَ التَّرَائِبِ كَالْمُزْنِ(٧)
أَهَبْتُ بِصَبْرِى أَنْ يَعُودَ فَعَزَّنِى ... وَنَادَيْتُ حِلْمِى أَنْ يَثُوبَ فَلَمْ يُغْنِ(٨)

---

(١) الشرب بفتح الشين : الشاربون .

(٢) تجلت سماؤها : يريد ذهبت شدتها ، وصبور : كثير الصبر ، وألم بتشديد الميم : نزل ، والخطب : الشدة والأمر العظيم .

(٣) البين : البعد والفرقة ، والمها : جمع مهاة ، وهى البقرة الوحشية يضرب بها المثل فى جمال العيون ، واللبانة : الحاجة فى غير فاقة ، والسن : العمر ، ولبانة الشباب : ما يقتضيه من لهو ومرح .

(٤) العناء : التعب والمشقة ، وألا شد : ما أشد ، والغبن : يريد به الظلم .

(٥) أضلته : يريد شغلته .

(٦) النوى : البعد ، وإثر لحظة : عقب لحظة ، واللحظة : النظرة بمؤخر العين ، والمقدار : قدر الله ، والشرك : حبالة الصيد .

(٧) أسبلت الدموع : أرسلت وهملت ، والترائب : جمع تريبة ، وهى عظمة الصدر ، والمراد بها هنا الصدر ، والمزن : المطر .

(٨) أهاب به : دعاه ، وعزنى : غلبنى ، والحلم : العقل ، ويثوب : يرجع ، ويغنى : يفيد .

وَمَا هِيَ إلّا خَطْرَةٌ ، ثُمَّ أَقْلَعَتْ ... بِنَا عَنْ شُطُوطِ الْحَيِّ أَجْنِحَةُ السُّفْنِ (١)
فَكَمْ مُهْجَةٍ مِنْ زَفْرَةِ الْوَجْدِ فِي لَظًى ... وَكَمْ مُقْلَةٍ مِنْ غَزْرَةِ الدَّمْعِ فِي دَجْنِ (٢)
وَمَا كُنْتُ جَرَّبْتُ النَّوَى قَبْلَ هٰذِه ... فَلَمَّا دَهَتْنِي كِدْتُ أَقْضِي مِنَ الْحُزْنِ (٣)
وَلٰكِنَّنِي رَاجَعْتُ حِلْمِي وَرَدَّنِي ... إِلَى الْحَزْمِ رَأْيٌ لَا يَحُومُ عَلَى أَفْنِ (٤)
وَلَوْلَا بُنَيَّاتٌ وَشِيبٌ عَوَاطِلٌ ... لَمَا قَرَعَتْ نَفْسِي عَلَى فَائِتٍ سِنِّي (٥)

١٤ — حفني بك ناصف (٦)

قال يخاطب ناظر الحقانية وقد نقله إلى « قنا » :

رَقَّيْتَنِي حِسًّا وَمَعْنًى ... فَلِصُنْعِكَ الشُّكْرُ الْمُثَنَّى
وجَعَلْتَ رَأْسَ الْحَاسِدِ ... ينَ بِعَصْرِ مِنْ قَدَمَيَّ أَدْنَى
وَجَعَلْتَ سُدَّةَ مَنْزِلِي ... مِنْ أَسْقُفِ الْهَرَمَيْنِ أَسْنَى (٧)

---

(١) أقلع عن المكان : تحول عنه ، وشطوط : جمع شط ، وهو جانب البحر ، والحى : منازل القوم ، وأجنحة السفن : أشرعتها .

(٢) المهجة : دم القلب ، ويراد بها هنا القلب ، الزفرة : النفس الشديد الحار ، واللظى : لهب النار والمقلة : العين ، وغزرة الدمع : كثرته ، والدجن : الظلمة .

(٣) دهتنى : أصابتنى ، وأقضى : أموت ، من قضى الرجل يقضى .

(٤) راجعت : استرددت ، والحلم : العقل ، وحام على الشىء : دار به ، والأفن : سوء الرأى .

(٥) البنيات : جمع بنية ، وهى البنت الصغيرة ، والفائت : ما لم يدركه الإنسان ، وقرع السن ، كناية عن الندم ، يقول : لولا بناته الصغار ، ولولا من يعولهم من أهله المسنين الذين لا كسب لهم ما ندم على شىء .

(٦) هو القاضى الفاضل والشاعر الكاتب الأستاذ محمد حفنى ناصف ، ولد ببركة الحج من أعمال القليوبية ، ودرس بالأزهر ودار العلوم ، فخرج نابغة نابها ، شغل مناصب القضاء والتدريس بالمدارس والجامعة ، فكان مثال الفضل والبراعة وحسن الفكاهة وسرعة البديهة ، يمتاز أسلوبه بالجزالة فى النثر والسهولة فى الشعر ، توفى سنة ١٩١٩ م .

(٧) سدة المنزل (بتشديد الدال) : عتبة بابه .

أَسْكَنْتَنِى فى بُقْعَــةٍ فيهـا غَدَوْتُ أَعَزَّ شَأْنا
أَرِدُ المشــارعَ سابقاً والسَّبْقُ عند الوِرْد أَهْنا(١)
وَأَزُورُ آثارَ المُــلو كِ ، وكنتُ قبلُ بهـا مُعَنَّى(٢)
بَــلَدٌ إِذَا حَلتْ بهِ قَدَماكَ قُلتَ حَلَلْتُ حِصْنا
جَبَــلُ المُقَطَّم حَوْلَهُ مُتَعَطِّفٌ كالنُّون حُسنا(٣)
هَيْهاتَ أَن يَصِلَ العدُوّ (م) لَهُ ، وَيُدْرِكَ ما تَمَــنَّى

***

قالوا : شَخَصْتَ إِلَى قِنـا يا مَرْحَبا « بقنا » و « إِسْنَا »
قالوا : سَكَنْتَ السَّفْحَ قُلْـ تُ وحَبَّذَا بالسَّفح سُكْنَى
قالوا : « قِنا » حَرٌّ ، فَقُلْـ تُ : وهل يردُّ الْحُرَّ قِنَّا ؟(٤)
سِرُّ الحيــاة حرارةٌ لَوْلاهُ مَا طَيْرٌ تَغَــنَّى
كَـلَّا ! ولا زَهْرٌ تَبَسْـ سَم ، لا ولا غُصْنٌ تَثَنَّى !
تَتَدَفَّقُ الأَنهــارُ مِنْ حَرٍّ ، وتُزْجِى الرِّيحُ مُزْنا !(٥)
ها قد أَمِنْتُ الـبردَ والـ بُرَدَاءَ ، والقلبُ اطمأَنَّا(٦)

(١) أرد المشارع : آتيها للارتواء ، والمشارع : جمع مشرع وهو المنهل يرده الظماء .
(٢) معنى : كلفا (بكسر اللام) مشتاقاً .
(٣) متعطف : منحن كالقوس .
(٤) القن : العبد الرقيق ، وفاعل يرد يعود على (حر) بفتح الحاء ، يقول وهل يصير حر قنا الرجل الحر عبداً رقيقاً .
(٥) المزن : المطر ، واحدته مزنة بضم الميم وسكون الزاى .
(٦) البرداء : الثقلاء ، جمع بارد وهو الإنسان المتبلد الإحساس .

وَوُقيت أَمْراضَ الرُّطو بَةِ ، واستَرق الريح وَهْنا[1]
أَلْقَى الهَــواءَ فَلا أَهَـا بُ لِقـاءه : ظَهْرًا وَبَطْنَا
وَأَنامُ غَــــيْرَ مُدَثَّر شَـيْئًا إِذَا مَا اللَّيْـلُ جَنَّـا
قَدْ خَفَّت النَّفَقَـاتُ إِذْ لا أَشـتَرى صُوفًا وَقُطْنـا
وَفَّرْتُ منْ ثَمن الوَقُو د النصْفَ أَوْ نِصْفًا وَثمنا
فَالشَّمْسُ تَـكْفُل رَاحَتِى ؛ فـكأنها أُمِّى وَأَخْـــــنَى
فإِذَا بَدَتْ لى حاجـةٌ فى الغُسْلِ أَلْـقَى المـاءَ سُخْنَا
أَوْ رُمْتُ طَبْخًا أَوْ عـلَا جَ الْخُبْزِ أَلْقَى الجو فُرْنا
سُـكْنَى القُرى تَدَعُ السَّفِي هَ مُوكلاً بالمـال مُضْــنَى
أَىُّ المـــــلاهى فيه يَصـ ـرفُ ماله وَمتَى وأَنى ؟
كلُّ أمرِئٍ تلقاه من بعد الظهـيرة مُسْتَـكِنَّا[2]
وَيَرَى الغريبُ السِّعرَ أَيْـ سَرَ حالَةً ، وَأَخَفَّ غَبْنـا
يَجِد الحَليبَ بِمِيْنِــــــه لَبَنًا ، وَيُلفِى السَّـمْنَ سَمْنا
عِشْ فى القُرَى رَأْسًا ، وَلَا تَسْـكُنْ مع الْأَذْنَاب مُدْنا
وَدَعِ الْجَـــــزيرةَ وَالمَهَا وَالجِسْرَ وَالظَّبِيَ الْأَغَنَّـا[3]
واسْـلُ الْأَغانِيَ وَالغَـوا نِىَ ، وَاسْأَل الرَّحْمٰنَ عَدْنا !

---

(١) استرق الريح : سرى رقيقاً ناعماً ، الوهن بسكون الهاء : الضعف .
(٢) مستكناً : مختبئاً .
(٣) الظبي الأغن : الذى فى صوته غنة بضم الغين وتشديد النون المفتوحة .
(٤) اسل : فعل أمر من سلا بمعنى ترك ونسى ، الغوانى : جمع غانية وهي الحسناء التى غنيت بجمالها عن غيره . وعدن بسكون الدال : جنة عدن .

ولما أشرف على الإحالة على المعاش ببلوغ الستين ، كتب إلى المرحوم حسين رشدى باشا ، وكان يومئذ رئيساً للوزارة ، يسأله أن يعدّ فى أجل خدمته ، فى مفاكهة غاية فى الظَّرف والرقة :

صَاحِبَ الدَّوْلَةِ يَا شَيْخَ الْوِزَارَهْ ... حَاجَتِي إِنْ شِئْتَ تُقْضَى بِإِشَارَهْ
نَالَهَا قَبْلِي أُلُوفٌ لَمْ أَكُنْ ... دُونَهُمْ عِلْماً وَلَا أَدْنَى إِدَارَهْ
نَاهَزَ السِّتِّينَ عُمْرِي إِنَّمَا ... لَمْ أَزَلْ جَمَّ الْقُوَى جَمَّ الْجَدَارَهْ(١)
وَإِذَا لَمْ يَشْكُ مِثْلِي عِلَّةً ... هَلْ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنْ يَلْزَمَ دَارَهْ
إِنَّ تَرْكِي خِدْمَةَ الْأَوْطَانِ مَعْ ... طُولِ مَا مَارَسْتُ فِي الدُّنْيَا خَسَارَهْ
وَحَيَاتِي كُلُّهَا قَضَّيْتُهَا ... تَارَةً فِي الْعَدْلِ وَالتَّعْلِيمِ تَارَهْ(٢)

وقال يتحسَّر على ضياع علمه بموته :

أَتَقْضِي مَعِي إِنْ حَانَ حَيْنِي تَجَارِبِي ... وَمَا نِلْتُهَا إِلَّا بِطُولِ عَنَاءِ(٣)
وَأَبْذُلُ جُهْدِي فِي اكْتِسَابِ مَعَارِفٍ ... وَيَفْنَى الَّذِي حَصَّلْتُهُ بِفَنَائِي(٤)
وَيَحْزُنُنِي أَلَّا أَرَى لِيَ حِيلَةً ... لِإِعْطَائِهَا مَنْ يَسْتَحِقُّ عَطَائِي(٥)
إِذَا وَرَّثَ الْجُهَّالُ أَبْنَاءَهُمْ غِنًى ... وَجَاهاً ، فَمَا أَشْقَى بَنِي الْعُلَمَاءِ(٦)

---

(١) ناهز : قارب . والجم بتشديد الميم : الكثير . والجدارة : الأهلية والاستحقاق .

(٢) وإن كانت نشأة الشاعر الأولى فى الأزهر ، ثم فى دار العلوم فقد ولى القضاء فى المحاكم الأهلية مدة ليست بالقصيرة .

(٣) تقضى : تموت وتفنى . وحان حينى : جاء أجلى . والتجارب : ما يستفيده المرء من خبرة فى ممارسته لشؤون الحياة ، مفردها تجربة . والعناء : الجهد والمشقة

(٤) حصلته : جمعته :

(٥) العطاء : ما يجود به المرء على غيره . ويريد أن ما حصله من العلم لا يستطيع أن يهبه لمن لا يستحقه كما يوهب المال مثلا

(٦) الجاه : علو المنزلة ، ورفعة القدر

١٥ – ولى الدين يكن[١]

وَيْلٌ لِلنَّاسِ مِنَ النَّاس

يُرِيدُ النَّاسُ فِي الدُّنْيَا هَنَاءً   وَيَأْبَى أَنْ يَجُودَ بِهِ الزَّمَانُ

حَيَاةٌ حَارَبَتْهُمْ مُنْذُ كَانَتْ   وَحَظٌّ حَارَبُوهُ مُنْذُ كَانُوا

وَآمَالٌ تَغُرُّهُمُ عِجَافٌ   وَأَحْدَاثٌ تُكَذِّبُهَا سِمَانُ[٢]

وَكَمْ مِنْ مُسْتَنِيلٍ لَيْسَ يُعْطَى   وَكَمْ مِنْ مُسْتَمِينٍ لَا يُعَانُ[٣]

تَكَاثَرَتِ الْهُمُومُ فَلَا يَرَاعٌ   تُوَفِّيهَا الشَّكَاةُ وَلَا لِسَانُ[٤]

أَمَانًا أَيُّهَا الْخَصْمُ الْمُعَادِي   إِذَا دَانَ الْعِدَا وَجَبَ الْأَمَانُ

أَإِنْ رَغِبُوا إِلَيْكَ رَغِبْتَ عَنْهُمْ   لَقَدْ هَانَتْ رَغَائِبُهُمْ وَهَانُوا

يُمَنِّي النَّاسُ بَعْضُهُمُ بِخَيْرٍ   أَلَا كَذَبُوا عَلَى بَعْضٍ وَمَانُوا

وَدَاعٍ جَاءَ يَدْعُونِي لِنُصْحٍ   وَقَدْ وَهَنَ النُّهَى وَوَهَى الْبَنَانُ

---

(١) ولى الدين بن حسن سرى بن إبراهيم باشا يكن ، ولد بالآستانة وجاء القاهرة طفلا وتعلم بها ومال إلى الأدب واشتهر به ، ثم سافر إلى الآستانة وعين فى مجلس معارفها ، ثم نفاه السلطان عبد الحميد إلى ولاية سيوارس ، وبعد إعلان الدستور العثمانى عاد إلى مصر وأخذ ينشر كتبه ومقالاته ، وله شعر رقيق وكتابة جيدة ، مات سنة ١٣٣٩ هـ

(٢) عجاف : جمع عجفاء هزيلة ضامرة . وسمان : جمع سمينة

(٣) مستنيل : طالب نوالا أى عطاء . مستمين : طالب عونا .

(٤) اليراع : الأقلام ، المفرد يراعة .

(٥) مانوا : من المين بسكون الياء وهو الكذب .

(٦) وهن : ضعف . النهى : جمع نهية بضم النون وسكون الهاء . وهى : ضعف . البنان : أطراف الأصابع جمع بنانة .

تعبت مِنَ الـكَلامِ فليس يُجْدِى — كمَا أَمَّلْتُ — نَظمٌ أَوْ بيَانُ
وكانتْ صَبْوَةٌ وَنَزَعْتُ عَنْهَا فَهأَنا لَا أَدِينُ وَلَا أُدَانُ(١)
وَمَا أَسَفِى عَلَى عَهْـــدٍ تَقَضَّى وَلٰـكِنْ صُنْتُ عَهْدا لَا يُصَانُ
ظَلَلْت أَمِينَهُ دَهْـرًا طَوِيلًا وَكُنْتُ أَظُنُّ أَنِّى لَا أُخَانُ

* * *

وَدَار لَا يَزُولُ الْقَتْلُ عَنْهَا كأَنَّ الْحَرْبَ فِيهَا مِهْرَجَانُ
أَهَابَ بِهَا الْيَرَاعُ فَلَمْ تُجِبْهُ وَنَادَاهَا فَجَاوَبَتِ السِّنَـانُ(٢)
تَظَلُّ بِهـا السَّوَاعِدُ عَامِلَات يُصَرِّفُهَـا ضِرَابٌ أَوْ طِعَانُ
بَكَتْ عَيْنِى الشَّبَابَ وَحِينَ جَفَّتْ مَدَامِعُهَـا عدَا يَبْـكِى الْجَنَانُ(٣)
لَعَمْرُكَ مَالِذِى نُصْحٍ مَكَانٌ وَلَا لِلنُّصْحِ فِى الدُّنْيَا مَكَانُ
فَدَعْنِى إِنَّ آمَالِى اسْتَـكَفَّتْ فَلِى شَـانٌ وَلِلآمَالِ شَـانُ

معارضته قصيدة الحصرى

« يَالَيْـلُ الصَّبُّ مَتَى غَدُهُ »

الْحُسْن مَكَانُكِ مَعْبَدُهُ وَاللَّحْظُ فُؤَادِى مَغْمَـدُهُ(٥)
يَا سَيِّـدَتِى هَـــذَا حُرٌّ لَمْ يُعْرَفْ قَبْلَكِ سَيِّدُهُ

---

(١) صبوة : من صبا بمعنى مال وأحب

(٢) السنان : نصل الرمح .

(٣) الجنان بفتح الجيم : القلب .

(٤) استكفت : انقطعت وانتهت .

(٥) مغمده : مكان غمده شبه اللحظ بالسيف ، والفؤاد بالغمد الذى يحتويه .

اللَّيـلُ وطَيْفُـك يعْـرفهُ | إنْ كانَ فؤادُكِ يجْحدُهُ
كمْ يُوحِي طَرْفُكِ لى غزَلا | وأنا فى شِعْرى أُنْشِـدُهُ
وتُساجلُنى الأَطْيارُ هوًى | فى الدَّوحِ أَبيتُ أُردِّدُه[1]
للصُّبْـحِ سَناؤُكِ أَبيَضُـهُ | لِلَّيْـلِ غَرامِى أَسْـوَدُهُ
أَحْبَبْت قِـلاكِ فمُطْلَقهُ | عِنْـدى عَـذْبٌ ومُقَيَّـدهُ[2]
إنْ ضلَّ حنانُك عنْ قلْبِى | فأَنا بِوُلوعى أُرْشِـــدُهُ
قدْ باتَ دَلالُك يخذُلُهُ | وجمالُكِ كانَ يُؤَيِّده
زيدى تِيهـا أَزْدَدْ كلَفاً | كأنى إنْ رثَّ أُجَـــدِّدُهُ[3]
(شَوْقى) إنْ بِنْتُ يُضاعِفهُ | (صَبْرى) إنْ جُرْتُ يُؤَكِّدُهُ[4]
خِلَّانِ هُما شَمْسا فَلَكٍ | طَرْفى معَ طَرْفِك يرْصُدُهُ[5]
فَصِـلِى بِاللهِ ولَوْ حُلُماً | (مُضْناكِ جَفاهُ مرْقَدُهُ)
وَعِديهِ اليـوْمَ ولَوْ كَذِباً | الصَّبُّ يُماطِلُهُ غَـــدُهُ[6]

---

(١) تساجله : تباريه ، والدوح : الشجر ، واحدته دوحة بسكون الواو .

(٢) قلاك : هجرك .

(٣) كلفاً : ولوعاً وشوقاً ، يقول : كلما زدت تيهاً ودلالا أزداد بك هياماً وحباً ، رث : تقادم وبلى

(٤) شوقى : من الشوق ، وهو المعنى الظاهر من السياق . والمراد الحقيق بلفظه المرحوم شوقى بك أمير الشعراء فى العصر الحديث ، بنت : بعدت ، صبرى : من الصبر ، وهو المعنى الظاهر ، والمراد بلفظه المرحوم (إسمعيل باشا صبرى) الشاعر المعروف . جرت : ظلمت ، والجور هنا يراد به الهجر وادعاء النسيان .

(٥) يقول إن « شوقى » و « صبرى » الشاعرين صديقان هما كشمسى فلك يرصدهما طرفى وطرفك إيماء إلى سطوع شهرتهما فى الشعر وتعلقه بهما .

(٦) يماطله : يسوقه ويباعده .

١٦ – إسماعيل صبرى باشا(١)

قال :

إِن سَئِمْتَ الحَيَاةَ فَارْجِعْ إِلَى الأَرْ ... ضِ تَنَمْ آمِناً مِنَ الأَوْصَابِ(٢)
تِلكَ أُمٌّ أَحْنَى عَلَيْكَ مِنَ الأمِّ ... الَّتِى خَلَّفَتْكَ لِلأَتْعَابِ(٣)
لا تَخَفْ ؛ فَالمَمَاتُ لَيْسَ بِمَاحٍ ... مِنْكَ إِلَّا ما تَشْتَكِى مِنْ عَذَابِ
كلُّ ميْتٍ باقٍ ، وَإِنْ خَالَفَ العُنْـ ... ـوَانُ مانُصَّ فى غُضُونِ الكِتَابِ(٤)
وَحَيَاةُ المَرْءِ اغْتِرَابٌ فَإِنْ مَا ... تَ فَقَدْ عَادَ سَالِماً لِلتُّرَابِ(٥)

وقال يناجى الدواة :

يا دَوَاةُ اجْعَلِى مِدَادَكِ وِرْداً ... لِوُفُودِ الأَقْلَامِ حِيناً فَحِينا(٦)
وَلْيَكُنْ كالزَّمانِ حَالاً وَحَالاً ... تَارَةً آسِناً وَأُخْرَى مَعِيناً(٧)

---

(١) ولد إسماعيل صبرى باشا سنة ١٨٥٤ م . وتعلم بالمبتديان والتجهيزية والإدارة ، ثم أرسل إلى فرنسا ، فدرس الحقوق هناك وشغل فى مصر مناصب القضاء ، وجعل يترقى فيها إلى أن صار وكيل الحقانية ؛ وقد شغف بالأدب لذاته ، وكان لرقة طبعه وظهوره على الأدب الفرنسى أثر فى رقة شعره وحسن ابتكاره وجمال نقده ، له أسلوب عذب وحسن بصيرة وجمال فنى ؛ مات سنة ١٩٢٣ م .

(٢) الأوصاب : جمع وصب بفتحتين ، المرض والوجع الدائم . ورجوعه إلى الأرض . لأنه خلق من ترابها .

(٣) أحنى : أعطف وأرفق ، والأم الأولى : الأرض . والثانية : الأم الحقيقية ذات الولد . والأتعاب جمع ، تعب .

(٤) فى غضون الكتاب : فى أثنائه . هذا البيت بمثابة التدليل على البيت الذى قبله ، فإنه قرر فى ذلك البيت أن الموت لا يمحو من الإنسان شيئاً ، اللهم إلا آلامه وأوجاعه . وفى هذا البيت يقول : إن كل ميت هو فى الواقع حى ، وإن كان الموت معروفا بأنه عدم الحياة ، وذلك كشأن العنوان إذا خالف فى الواقع ما نص عليه فى صلب الكتاب .

(٥) هذا البيت جار مجرى البيت الذى قبله ، وهو من أنخر الشعر وأروعه .

(٦) الورد بكسر الواو : الماء الذى يورد .

(٧) الآسن : الراكد المتغير . والمعين بفتح الميم : الماء الجارى . يطلب إلى المداد أن تكون حاله كحال الزمان فى سعده ونحسه ، وفى صفوه وكدره .

أَكْرِمِى الْعِلْمَ وامنَحِى خَادِميه ... مَاءَكِ الْغَالِىَ النَّفِيسَ الثَمِينَا
وَابْذُلِى الصَّافِىَ الْمُطَهَّرَ مِنْـهُ ... لِهُدَاة السَّرَائِرِ الْمُرْشِدِينَا
وَإِذَا الظُّلْمُ وَالظَّلَامُ اسْتَعَانَا ... يَوْمَ نَحْسٍ بِأَجْهَلِ الْجَاهِلِينَا
وَاسْتَمَدَّا مِنَ الشُّرُور مدَادًا ... فَاجْعَليه من قِسْمَةِ الظَّالِمِينَا
وَإِذَا مُهْجَةُ الْحَمَائِمِ أَسْدَتْ ... نُقْطَةً سِرَّهَا الزَّكِىَّ الْمَصُونَا[(١)]
فَاجْعَلِيهَا عَلَى الْمَوَدَّات وَقْفًا ... وَهَبِيهَا رَسَائِلَ الشَّيِّقِينَا[(٢)]
فَإِذَا لَمْ يَكُنْ بِقَلْبِكَ إِلَّا ... مَا أَعَدَّ الإِخْلَاصُ لِلْمُخْلِصِينَا
فَاجْعَلِيهِ حَظِّى لِأَكْتُبَ مِنْهُ ... شَرْحَ حَالِى لِسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَا[(٣)]

وقال رحمه الله :

يَا مَوْتُ خذْ مَا أَبْقَتْ الْـ ... أَيَّامُ وَالسَّاعَات مِنِّى
بَيْنِى وَبَيْنَكَ خَطْوَةٌ ... إِنْ تَخْطُهَا فَرَّجْتَ عَنِّى

وقال :

وَلَمَّا الْتَقَيْنَا قَرَّبَ الشَّوْق جُهْدَهُ ... شَجِيَّيْنِ فَاضَا لَوْعَةً وَعِتَابَا[(٤)]
كَأَنَّ صَدِيقًا فى خِـلَال صَدِيقه ... تَسَرَّبَ أَثْنَاءَ الْعِنَاقِ وَغَابَا

---

(١) المهجة : دم القلب . والحمائم : جمع حمامة . وأسدت هنا بمعنى استودعت . وذلك لأن الحمام معروف بالوداعة واللطف وطهر القلب .
(٢) المودات بفتح الميم والواو وتشديد الدال : جمع مودة . الشيقين : المشتاقين .
(٣) حظى : نصيبى .
(٤) شجيين : حزينين من شدة الشوق ، مثنى شجى (بتشديد الياء) . اللوعة : حرقة الوجد .

وقال فى ساعة التوديع :

أَتُرَى أَنتَ خَاذِلِى سَاعَةَ التَّوْ ... دِيعِ يا قَلْبُ فِى غَدٍ أَمْ نَصِيرِى ؟
وَيْكَ ؛ قُل لِى ، مَتَى أَرَاكَ بِجَنْبِى ... رَاضِياً عَنْ مَكَانِكَ الْمَهْجُورِ ؟
لَسْتَ بَعْضَ الْحُدَاةِ بَلْ أَنْتَ بَعْضِى ... قِفْ قَلِيلاً ؛ فَلَسْتَ بِالْمَأْجُورِ(١)
سَاعَةَ الْبَيْنِ قِطْعَةٌ أَنْتِ قُدَّتْ ... لِلْمُحِبِّينَ مِنْ عَذَابِ السعِيرِ(٢)
لا تَحِينِى ! روحِى الفداء لِما حِيـ ... ـنَ غَدًا مِنْ صَحِيفَةِ الْمَقْدُورِ(٣)

وقال يتغزَّل :

أَبُثُّكِ مَا بِى فَإِنْ تَرْحَمِى ... رَحِمْتِ أَخَا لَوْعَةٍ مَاتَ حُبًّا(٤)
وَأَشْكُو النَّوَى مَا أَمَرَّ النَّوَى ... عَلَى هَائِمٍ إِنْ دَعَا الشَّوْقُ لَبَّى(٥)
وَأَخْشَى عَلَيْكِ هُبُوبَ النَّسِيمِ ... وَإِنْ هُوَ مِنْ جَانِبِ الرَّوْضِ هَبَّا
وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ بُرْهَةٍ ... مِنَ الْعُمْرِ لَمْ تَلْقَنِى فِيكِ صَبًّا(٦)

---

(١) الحداة بضم الحاء : جمع حاد ، الذى يسوق الإبل ويغنى لها . يريد من قلبه أن يثبت فى مكانه الذى هجره ليسير فى ركاب الأحبة ويغنيهم ، وذلك كناية عن دوام خفقانه . وهو من المبالغات البديعة .

(٢) البين : البعد والفراق . وقدت قطعت .

(٣) حان الشىء يحين : قرب وقته . يقول : لا تقتربى يا ساعة الفراق ، روحى فداء لمن يحول غداً من الزمن .

(٤) اللوعة : حرقة الحزن والهوى . وأخوها : صاحبها .

(٥) النوى : البعد والفرقة . والهائم : العاشق .

(٦) البرهة : بضم الباء وفتحها القطعة من الزمن . وهو يريد بها هنا القطعة القصيرة . الصب : العاشق الشديد العشق .

تَعَالَىْ نُجَدِّدْ زَمَانَ الهَنَاءِ ... وَنَنْهَبْ لَيَالِيَهُ الغُرَّ نَهْبَا(١)
تَعَالَىْ أُذُقْ بِكِ طَعْمَ السَّلَامِ ... وَحَسْبِي وَحَسْبُكِ مَا كَانَ حَرْبَا(٢)

وقال يتغزّل :

يَا رَاحَةَ القَلْبِ يَا شُغْلَ الفُؤَادِ صِلِي ... مُتَيَّمًا أَنْتِ فِي الحَالَيْنِ دُنْيَاهُ(٣)
زِينِي النَّدِيَّ وَسِيلِي فِي جَوَانِبِهِ ... لُطْفًا يَعُمُّ رَعَايَا اللُّطْفِ رَيَّاهُ(٤)
رَيْحَانَةٌ أَنْتِ فِي صَحْرَاءَ مُجْدِبَةٍ ... مِنَ الرَّيَاحِينِ حَيَّانَا بِهَا اللّٰهُ
إِنْ غَابَ سَاقِي الطِّلَا أَوْ صَدَّ ، لَا حَرَجُ ... هَذَا جَمَالُكِ يُغْنِينَا مُحَيَّاهُ(٥)

وقال متغزّلاً :

أَقْصِرْ فُؤَادِي فَمَا الذِّكْرَى بِنَافِعَةٍ ... وَلَا بِشَافِعَةٍ فِي رَدِّ مَا كَانَا(٦)
سَلَا الفُؤَادُ الَّذِي شَاطَرْتَهُ زَمَنًا ... حَمْلَ الصَّبَابَةِ فَاخْفِقْ وَحْدَكَ الآنَا(٧)

---

(١) الغر : جمع غراء بتشديد الراء : يريد الحسان .

(٢) السلام : ضد الحرب . ويريد بالسلام القرب والتواصل ، وبالحرب البعد والتنافر . وهذا شبيه بقول العباس بن الأحنف

تعالى نجدد دارس العهد بيننا ... كلانا على طول الجفاء ملوم

(٣) المتيم ، الذى استذله الحب . وفى الحالين ، أى فى حال الوصل والهجر .

(٤) الندى ، بتشديد الياء . النادى . والريا بفتح الراء وتشديد الياء : الريح الطيبة الزكية .

(٥) الطلا بكسر الطاء : الخمر . والمحيا بضم الميم وتشديد الياء المفتوحة : الوجه .

(٦) أقصر : كف وأقلع

(٧) سلا : هجر ونسى . يريد بالفؤاد فؤاد التى كانت تبادله الحب . والصبابة بفتح الصاد : العشق .

هَلاَّ أَخَذْتَ لِهَذَا الْيَوْمِ أُهْبَتَهُ ... مِنْ قَبْلِ أَنْ تُصْبِحَ الْأَشْوَاقُ أَشْجَانَا(١)
لَهفِي عَلَيْكَ قَضَيْتُ الْعُمْرَ مُقْتَحِماً ... فِي الْوَصْلِ نَاراً وَفِي الْهِجْرَانِ نِيرَانَا(٢)

ومن قوله فى التَّصَوُّف :

يَا رَبِّ : أَيْنَ تُرَى تُقَامُ جَهَنَّمٌ ... لِلظَّالِمِينَ غَداً وَلِلْفُجَّارِ ؟
لَمْ يُبْقِ عَفْوُكَ فِي السَّمَوَاتِ الْعُلَى ... وَالْأَرْضِ شِبْرًا خَالِياً لِلنَّارِ
يَا رَبِّ : أَهِّلْنِي لِفَضْلِكَ وَاكْفِنِي ... شَطَطَ الْعُقُولِ وَفِتْنَةَ الْأَفْكَارِ
وَمُرِ الْوُجُودَ يَشِفُّ عَنْكَ لِكَيْ أَرَى ... غَضَبَ اللَّطِيفِ وَرَحْمَةَ الْجَبَّارِ(٣)
يَا عَالِمَ الْأَسْرَارِ حَسْبِي مِحْنَةٌ ... عِلْمِي بِأَنَّكَ عَالِمُ الْأَسْرَارِ(٤)
أَخْلِقْ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي تَسَعُ الْوَرَى ... أَلَّا تَضِيقَ بِأَعْظَمِ الْأَوْزَارِ(٥)

وقال يرثى « عمر » ابن المرحوم الشيخ على يوسف وقد مات صغيراً :

يَا مَالِئَ الْعَيْنِ نُورًا وَالْفُؤَادِ هَوًى ... وَالْبَيْتَ أُنْساً ، تَمَهَّلْ أَيُّهَا الْقَمَرُ ؟(٦)
لَا تُخْلِ أُفْقَكَ ، يَخْلُفْكَ الظَّلَامُ بِهِ ... وَالْزَمْ مَكَانَكَ ، لَا يَحْلُلْ بِهِ الْكَدَرُ(٧)

---

(١) الأهبة بضم الهمزة وسكون الهاء : العدة . تقول : اتخذت للأمر أهبته أى هيأت له أسبابه . والأشجان : الهموم والأحزان ، وأحدها شجن ، يقول : هلا حسبت حساب هذا اليوم يوم القطيعة والهجران ، فأعددت له عدته قبل أن تندفع فى تيار العشق ، فلا ينقلب ما كنت تجده من الشوق هموماً وأحزانا بما تعانى من القطيعة .

(٢) اقتحم النار : أى رمى بنفسه فيها ، وهجم عليها .

(٣) شف الشيء يشف من باب ضرب : رق فظهر ما وراءه . اللطيف : المراد به هنا الذات الإلهية وكذلك الجبار .

(٤) المحنة : البلية والمصيبة ، يقول : يكفينى مصيبة علمى بأنك تعلم السر وما يخفى ، لأنك مطلع على آثامى وأوزارى .

(٥) أخلق به أن يفعل كذا : أى ما أحقه بفعله ؛ الأوزار : جمع وزر بكسر الواو وهو الإثم .

(٦) الهوى : الحب .

(٧) يخلفك : يحل محلك ، ولا يحلل : لا يحل ، وقد فك الإدغام لضرورة الشعر .

فِي الْحَيِّ قَلْبَانِ بَاتَا ، يَا نَعِيمَهُمَا ، وفيهما ، إِذْ قَضَيْتَ النَّارُ تَسْتَعِرُ (١)
وَأَعْيُنٌ أَرْبَعٌ تَبْكِي عَلَيْكَ أَسًى وَمِنْ بُكَاءِ الثَّكَالَى : السَّيْلُ وَالْمَطَرُ (٢)
قَدْ كُنْتَ رَيْحَانَةً فِي الْبَيْتِ وَاحِدَةً يَرُوحُ فِيهِ وَيَغْدُو نَفْحُهَا الْعَطِرُ (٣)
مَا كَانَ عَيْشُكَ فِي الْأَحْيَاءِ مُخْتَصَرًا إِلَّا كَمَا عَاشَ فِي أَكْمَامِهِ الزَّهَرُ (٤)
فَارْحَلْ تُشَيِّعُكَ الْأَرْوَاحُ جَازِعَةً فِي ذِمَّةِ اللهِ بَعْدَ الْقَبْرِ يَا عُمَرُ (٥)

وله يحمس المصريين على لسان فرعون :

لَا الْقَوْمُ قَوْمِي وَلَا الْأَعْوَانُ أَعْوَانِي إِذَا وَنَى يَوْمَ تَحْصِيلِ الْعُلَا وَانِي (٦)
وَلَسْتُ إِنْ لَمْ تُؤَيِّدْنِي فَرَاعِنَةٌ مِنْكُمْ بِفِرْعَوْنَ عَالِي الْعَرْشِ وَالشَّانِ (٧)

* * *

لَا تَقْرَبُوا النِّيلَ إِنْ لَمْ تَعْمَلُوا عَمَلاً فَمَاؤُهُ الْعَذْبُ لَمْ يُخْلَقْ لِكَسْلَانِ

(١) الحى : منازل القوم ، ويريد به بيت أبيه ، والقلبان : قلب والده وقلب والدته . وبانعيمهما : أى فى حال حياة ولدهما ؛ وقضيت : مت ، وتستعر : تلتهب .

(٢) الأعين الأربع : عينا أبيه ، وعينا أمه . والأسى : الحزن . والثكالى : جمع ثاكل وهو الذى يفقد ولده . والمعنى أن أعين والديك تبكى من الحزن لفقدك ، ودموع الفاقدين أولادهم تشبه السيل والمطر فى تدفقه وانهماره .

(٣) كان ريحانة واحدة ، لأنه لم يكن لوالديه غيره . النفح : الرائحة . والعطر بفتح العين وكسر الطاء الطيب الرائحة .

(٤) مختصراً أى قصيراً ، والأكمام : جمع كم بكسر الكاف ، وهو الغلاف الذى يحيط بالزهرة ، وهو لايلبث أن ينشق ، فتخرج الزهرة ، ويضرب بالزهر المثل فى قصر العمر .

(٥) تشيعك : تودعك ، وجازعة : شديدة الحزن .

(٦) الأعوان : جمع عون وهو النصير ، وونى : فتر وضعف ، وتحصيل العلا : نيل محامد الأمور .

(٧) الشأن : الأمر ، والمراد الذى عظم أمره ، وسمت منزلته .

وقال فى مسامحة الصديق :

إذَا خَانَنِى خِـلٌّ قَدِيمٌ وَعَقَّنِى   وَفَوَّقْتُ يَوْماً فى مَقَاتِله سَهْمِى[1]
تَعَرَّضَ طَيفُ الوُدِّ بَيْنِى وَبَيْنَهُ   فَكَسَّرَ سَهْمِى فَانْثَنَيْتُ وَلَمْ أَرْمِ

١٧ ــ الشيخ محمد عبد المطلب[2]

قال فى احتفال الأمة المصرية بعيد النَّيْروز سنة ١٩١٩ م ، يفخر بمصر ويعدِّد مآثرها من قصيدة طويلة :

لَنَا ذِرْوَةُ الْمَجْدِ الَّذِى تَحْتَ ظِـلِّهِ   تَنَاسَلَتِ الْأَحْقَابُ وَاعْتَمَلَ الدَّهْرُ[3]
لَنَا آيَةُ الْأَهْرَامِ يَتْلُو قَدِيمَهَا   حَدِيثُ اللَّيَالِى فَهْىَ فى فَمِهَا ذِكْرُ
مَلَأْنَا بِهَا لَوْحَ الْوُجُودِ مَنَاقِباً   إذَا مَا خَلَا عَصْرٌ تَلَاهُ بِهَا عَصْرُ[4]
وَلِلْعِلْمِ مِنْ آثَارِنَا فى جِبَالِنَا   عَلَى الدهْرِ آيَاتٌ بِهَا يَنْطِقُ الصَّخْرُ

---

(١) عقه : عصاه ولم يبر به ، وفوق السهم بتشديد الواو المفتوحة : جعل الوتر فى فوقه عند الرمى والفوق بضم الفاء : هو رأس السهم ، يريد أنه إذا عصاه ولم يبر به سدد إلى مقاتله السهم ، كناية عن إيذائه والكيد له .

(٢) هو محمد بن عبد المطلب بن واصل ، ولد ببلدة « باصونة » إحدى قرى مديرية جرجا ، وأبواه عربيان ينتميان إلى أسرة تتصل بعشيرة من عشائر جهينة التى هى إحدى بطون قضاعة ؛ تعلم فى الأزهر ، وتخرج فى دار العلوم ، وقد كان مدرسا للعلوم العربية بها كان واسع الاطلاع على المحفوظ من قصائد العرب المطولة ، شديد العصبية لسلف هذه الأمة وقوادها وعلمائها وشعرائها ، شديد الغيرة على العربية والإسلام ، وتميز شعره بجزالة الألفاظ ، ومتانة التراكيب ، وقوة القافية . وقد تغنى فى شعره بأعلام البادية ومعالمها حتى لقب بالشاعر البدوى . على أن شعره قد حوى موضوعات عصرية شتى كوصف الحرب الكبرى وحديث السياسة المصرية وغيرها . ومات سنة ١٩٣١ م . عن ستين عاما . وله ديوان مطبوع .

(٣) اعتمل الدهر : اضطرب .

(٤) مناقب : جمع منقبة أى مفخرة .

وَلِلمُلْكِ مِنَّا كُلُّ أَرْوَعَ نُظِّمَتْ   عَلَى تَاجِهِ الْأَفلاكُ وَالْأَنْجُمُ الزُّهْرُ (١)
وَمِنَّا الَّذِى سَاقَ الْأَسَاطِيلَ شُرَّعًا   عَلَى الْبَحْرِ يَسْتَحِيِي لِصَوْلَتِهَا الْبَحْرُ (٢)
لَنَا كُلُّ مَا فِى الْأَرْضِ مِنْ مَدَنِيَّةٍ   بِهَا تَعْمُرُ الْأَمْصَارُ وَالْبَلَدُ الْقَفْرُ (٣)
لَنَا فِى الْوَرَى حَقُّ الْمُعَلِّمِ لَوْ رَعَوْا   لَنَا ذِمَّةً وَالدَّهْرُ شِيمَتُهُ الْغَدْرُ
إِذَا اعْتَزَّ قَوْمٌ بِالْحَدِيدِ سَمَتْ بِنَا   مَكَارِمُ فِى طَىِّ الزَّمَانِ لَهَا نَشْرُ (٤)
بَنَيْنَا عَلَى آدَابِ عِيسَى وَأَحْمَـدٍ   مَنَازِلَ عِزٍّ دُونَهَا يَقَعُ النَّسْرُ (٥)
كِلَانَا عَلَى دِينٍ بِهِ هُوَ مُؤْمِنٌ   وَلٰكِنَّ خِذْلَانَ الْبِلَادِ هُوَ الْكُفْرُ
فَلَا يَحْسَبَنَّ النَّاسُ أَنَّا تَزَلْزَلَتْ   بِنَا قَدَمٌ أَوْ مَسَّ وَحْدَتَنَا الضُّرُّ

وقال من قصيدة له فى المعلم :

بَنِى مِصْرَ مَا بَالُ الْمُعَلِّمِ كَاسِفًا   يُرَى النَّاسُ فِيهَا يَكْبُرُونَ وَيَصْغُرُ (٦)
سَبِيلُ النَّبِيئِينَ الْكِرَامِ سَبِيلُهُ   يَعُمُّ بِهِ الدُّنْيَا صَبَاحًا فَتُقْمِرُ (٧)
سَلُوا عَنْهُ جُنْحَ اللَّيْلِ كَمْ بَاتَ مُتْعَبًا   تَنَامُ حَوَالَيْهِ النُّجُومُ وَيَسْهَرُ (٨)
سَلُوا عَنْهُ عَيْنًا قَرَّحَ السُّهْدُ جَفْنَهَا   يَخُطُّ عَلَيْهَا فِى الظَّلَامِ وَيَسْطُرُ

---

(١) الأروع : السيد الشهم .
(٢) شرعاً : ضاربات بأشرعتها فى الجو . الصولة : البطش .
(٣) البلد القفر : الخالى من النبات .
(٤) يريد أن لنا تاريخا مجيداً مطويا فى السنين الخالية تنشر أخباره على الأيام وهو مبعث العزة فينا كما يعتز غيرنا بالمخترعات الحديثة .   (٥) النسر : طائر جارح لايقع إلا على القمم العالية .
(٦) كاسفاً : حزيناً .
(٧) النبيئين : جمع نبىء مهموز نبى . فتقمر : يريد فتضىء .
(٨) جنح الليل : ظلامه . تنام النجوم : يريد تغيب .

سَلُوا عَنْهُ جِسْمًا بَاتَ بالسُّقْمِ نَاحِلا فَلا الْبُرْءُ مَأْمُولٌ وَلا هُوَ يُعْذَرُ
سَلُوا عَنْهُ أَسْفَارًا قَضَى اللَّيْلَ بَيْنَهَا غَرِيباً عن الدُّنْيَا وَأَهْلُوهُ حُضَّرُ(١)
سَلُوا عَنْهُ قَلْباً بَاتَ يَخْفِقُ رَحْمَةً عَلَى فِتْيَـةٍ مِنْ حَوْلِهِ تَتَضَوَّرُ(٢)
فَإِنْ مَدَّ لِلدُّنْيَا يَدًا يَسْتَمِدُّهَا لَهُمْ، عَنْهُ وَلَّتْ وَهْيَ غَضْبَى تَشَزَّرُ(٣)
فَيَا وَيْحَهُ كَمْ يَشْتَـكِي فِي حَيَاتِهِ وَكَمْ يَتَلَقَّى مِنْ بَلاءٍ فَيَصْبِرُ
وَلَمْ تَحْيَ إِلَّا بِالْمُعَلِّمِ أُمَّـةٌ وَلا سَادَ إِلَّا بِالْمُعَلِّمِ مَعْشَرُ
فَإِنْ لَمْ يَطِبْ بِالْعَيْشِ نَفْسًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ بَيْنَ أَهْلِيهِ الْمَقَامُ الْمُوَقَّرُ
رَأَيْتَ شَبَابًا يُطْفِئُ الْجَهْلُ نُورَهُ وَنَشْئًا إِذَا هَمُّوا إِلَى الْمَجْدِ قَصَّرُوا(٤)

١٨ — حافظ إبراهيم(٥)

قال يصف الشمس :

لَاحَ مِنْهَا حَاجِبٌ لِلنَّاظِرِينْ فَنَسُوا بِاللَّيْـلِ وَضَّاحَ الْجَبِينْ(٦)
وَمَحَتْ آيَتُهَـــا آيَتَـــهُ وَتَبَـدَّتْ فِتْنَـــةً لِلْعَـالَمِينْ

(١) أسفاراً : كتبا ، جمع سفر بكسر السين . حضر : جمع حاضر .
(٢) تتضور : تتلوى من الجوع .
(٣) يستمدها : يطلب منها المدد أى المعونة . تشزر بحذف إحدى التاءين : تنظر إليه بغضب وزراية .
(٤) النشء : جمع ناشىء وهو الصغير .
(٥) هو المرحوم حافظ بك إبراهيم ، ولد حوالى سنة ١٨٧٢ م . وتعلم فى المدرسة الحربية ، ثم تخرج ملازما وسافر إلى السودان ، ثم أحيل إلى المعاش ، ثم عين رئيساً للقسم الأدبى بدار الكتب ، وتوفى سنة ١٩٣٢ م . وكان شاعراً جيد الأسلوب ، قوى اللفظ ، موفقا فى الاجتماعيات ، ملهباً للشعور الوطنى بما ينشىء من قصائده السياسية .
(٦) وضاح الجبين : القمر .

نظرَ أبْرَاهَامُ فِيهـا نَظْـرَةً فَأَرَى الشَّكَّ وَمَا ضَلَّ اليَقِين (١)
قالَ : ذَا رَبِّى ، فلمَّا أَفلَتْ قَالَ : (إِنِّى لا أُحبُّ الآفِلِينْ) (٢)
وَدَعَا القَـوْمَ إِلَى خَالِقِهـا وَأَتَى القوْمَ بِسُلْطَان مُبِين (٣)
رَبِّ إِنَّ النَّاسَ ضَـلُّوا وَغوَوْا وَرَأَوْا فى الشَّمْس رَأْىَ الخَاسِرِينْ
خَشَعتْ أَبْصَارُهُمْ لَمَّا بَدَتْ وَإِلَى الأَذْقَان خَرُّوا سَاجِدِينْ
نَظَـرُوا آيَاتِهَـا مُبْصِرَةً فَعَصَوْا فِيهَا كَلامَ المُرْسَلِينْ
نَظرُوا بَدْرَ الدُّجَى مِرْآتَهَا تَتَجَلَّى فيـه حيناً بَعْدَ حِينْ .
ثُمَّ قَالُوا : كَيْفَ لا نَعْبُدُهَا هَلْ لهـا فيما تَرَى الْعَيْنُ قَرِينْ ؟
هِىَ أُمُّ الأَرْضِ فى نِسْبَتِهَا هِىَ أُمُّ الكَوْنِ وَالكَوْنُ جَنِينْ (٤)
هِىَ أُمُّ النَّارِ وَالنُّور مَعًا هِىَ أُمُّ الرِّيحِ وَالْمَاءِ الْمَعِين . (٥)
هِىَ طَلْعُ الرَّوْضِ نَوْرًا وَجَنًى هِىَ نَشْرُ الْوَرْدِ ، طِيبُ الْيَاسَمِين (٦)
هِىَ مَوْتٌ وَحَيَاةٌ لِلوَرَى وَضَـلَالٌ وَهُـدًى للغَابِرِينْ
صَـدَقوا لـكِنَّهمْ مَا عَلِمُوا أَنَّهَـا خَلْقٌ سَيَبْلَى بِالسِّنِين

(١) ابراهام : لغة فى إبراهيم ، وهو نبى الله إبراهيم الخليل عليه السلام ؛ ويشير بذلك إلى ماقصه الله تعالى فى القرآن فى سورة الأنعام عن إبراهيم عليه السلام ؛ قال تعالى : « فلما رأى الشمس بازغة الآية : وقوله : « فأرى الشك » إلخ ؛ أى أظهر لقومه أنه شاك فى الإله لـكى يهديهم إليه وهو متيقن وجوده .

(٢) أفلت : غابت (٣) السلطان : الحجة

(٤) يشير بقوله : « هى أم الأرض » ، إلى مايقال من أن الأرض كانت جزءا من الشمس ثم انفصلت عنها وبرد ظاهرها بتطاول الزمن .

(٥) المعين : النابع من العيون .

(٦) يريد « بالطلع » : مايبدو من الثمرة فى أول ظهورها . ونور النبات بفتح النون : زهره . والجنى : مايجنى من الشجر . ونشر الورد : رائحته المنتشرة منه .

أَ إِلهٌ لَمْ يُنَزِّهْ ذَاتَهُ عن كُسُوفٍ ، بِئْسَ زَعْمُ الجاهلينْ
إِنَّمَا الشَّمْسُ وَمَا فِى آيِهَا مِنْ مَعَانٍ لَمَعَتْ لِلْعَارِفِينْ
حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ قَدْ مَثَّلَتْ قُدْرَةَ اللهِ لِقَوْمٍ غَافِلِينَ

وقال على لسان اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها :

رَجَعْتُ لِنَفْسِى فَاتَّهَمْتُ حَصَاتِى وَنَادَيْتُ قَوْمِى فَاحْتَسَبْتُ حَيَاتِى (١)
رَمَوْنِى بِعُقْمٍ فى الشَّبَابِ وَلَيْتَنِى عَقُمْتُ فَلَمْ أَجْزَعْ لِقَوْلِ عُدَاتِى (٢)
وَلَدْتُ وَلَمَّا لَمْ أَجِدْ لِعَرَائِسِى رِجَالاً وَأَكْفَاءً وَأَدْتُ بَنَاتِى (٣)
وَسِعْتُ كِتَابَ اللهِ لَفْظًا وَغَايَةً وَمَا ضِقْتُ عَنْ آيٍ بِهِ وَعِظَاتِ (٤)
فَكَيْفَ أَضِيقُ الْيَوْمَ عَنْ وَصْفِ آلَةٍ وَتَنْسِيقِ أَسْمَاءٍ لِمُخْتَرَعَاتِ
أَنَا الْبَحْرُ فى أَحْشَائِهِ الدُّرُّ كَامِنٌ فَهَلْ سَاءَلُوا الْغَوَّاصَ عَنْ صَدَفَاتِى
فَيَا وَيْحَكُمْ أَبْلَى وَتَبْلَى مَحَاسِنِى وَمِنْكُمْ وَإِنْ عَزَّ الدَّوَاءُ أُسَاتِى (٥)
فَلَا تَكِلُونِى لِلزَّمَانِ فَإِنَّنِى أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَحِينَ وَفَاتِى (٦)

---

(١) رجعت لنفسى : أى تأملت . والحصاة : الرأى والعقل . واحتسبت حياتى : عددتها عند الله فيما يدخر . يقول على لسان اللغة العربية إنى عدت إلى نفسى وفكرت فيما آل إليه أمرى ، فأسأت الظن بقدرتى ، وكدت أصدق ما رمونى به من القصور ، وناديت الناطقين بى أن ينصرونى فلم أجد منهم سميعاً ، فادخرت حياتى عند الله .

(٢) العداة : الأعداء . يقول : اتهمونى بأنى لا ألد على حين أنى فى ريعان شبابى . وليتنى كنت كما قالوا فلا يحزننى قولهم . ويكنى بالعقم هنا عن ضيق اللغة وجمودها .

(٣) يريد « بالعرائس » الألفاظ المجلوة الحسنة . ووأد البنت : دفنها حية .

(٤) الآى : جمع آية .

(٥) الأساة : جمع الآسى : وهو الطبيب .

(٦) تكلونى : تتركونى . وتحين : تحل .

أَرَى لِرِجَالِ الْغَرْبِ عِزًّا وَمَنْعَةً ... وَكَمْ عَزَّ أَقْوَامٌ بِعِزِّ لُغَاتِ (١)
أَتَوْا أَهْلَهُمْ بِالْمُعْجِزَاتِ تَفَنُّنًا ... فَيَا لَيْتَكُمْ تَأْتُونَ بِالْكَلِمَاتِ
أَيُطْرِبُكُمْ مِنْ جَانِبِ الْغَرْبِ نَاعِبٌ ... يُنَادِى بِوَأْدِى فِى رَبِيعِ حَيَاتِى (٢)
وَلَوْ تَزْجُرُونَ الطَّيْرَ يَوْمًا عَلِمْتُمُ ... بِمَا تَحْتَهُ مِنْ عَثْرَةٍ وَشَتَاتِ (٣)
سَقَى اللهُ فِى بَطْنِ الْجَزِيرَةِ أَعْظُمًا ... يَعِزُّ عَلَيْهَا أَنْ تَلِينَ قَنَاتِى (٤)
حَفِظْنَ وِدَادِى فِى الْبِلَى وَحَفِظْتُهُ ... لَهُنَّ بِقَلْبٍ دَائِمِ الْحَسَرَاتِ
وَفَاخَرْتُ أَهْلَ الْغَرْبِ وَالشَّرْقُ مُطْرِقٌ ... حَيَاءً بِتِلْكَ الْأَعْظُمِ النَّخِرَاتِ (٥)
أَرَى كُلَّ يَوْمٍ بِالْجَرَائِدِ مَزْلَقًا ... مِنَ الْقَبْرِ يُدْنِينِى بِغَيْرِ أَنَاةِ (٦)
وَأَسْمَعُ لِلْكُتَّابِ فِى مِصْرَ ضَجَّةً ... فَأَعْلَمُ أَنَّ الصَّائِحِينَ نُعَاتِى (٧)
أَيَهْجُرُنِى قَوْمِى — عَفَا اللهُ عَنْهُمُ — ... إِلَى لُغَةٍ لَمْ تَتَّصِلْ بِرُوَاةِ (٨)
سَرَتْ لُوثَةُ الْأَفْرَنْجِ فِيهَا كَمَا سَرَى ... لُعَابُ الْأَفَاعِى فِى مَسِيلِ فُرَاتِ (٩)

---

(١) يقال : هو فى منعة ، أى فى قوم يمنعونه ويحمونه .

(٢) الناعب : الصوت بما هو مستكره . وربيع الحياة : أيام الشباب والقوة .

(٣) زجر الطير : هو أن ترمى الطائر بحصاة أو تصيح به ، فإن ولاك فى طيرانه ميامنه تفاءلت به خيراً ، وإن ولاك مياسره تطايرت منه . والعثرة : السقوط . والشتات : التفرق . يقول : لو استنبأتم الغيب بزجر الطير ، كما كان يفعل العرب ، لعلمتم مايجر دفنى عليكم من السقوط والانحلال .

(٤) القناة : الرمح . ولينها : كناية عن الضعف . ويريد « بالأعظم » من دفن فى الجزيرة من العرب الأولين . (٥) النخرات : البالية المتفتتة .

(٦) المزلق : مكان الانزلاق ، أى السقوط والزلل . والأناة : التأنى والإبطاء . ويريد وصف لغة الجرائد إذ ذاك بالضعف .

(٧) النعاة : جمع ناع ، وهو المخبر بالموت .

(٨) لم تتصل برواة . أى لم يأخذها الخلف عن السلف بطريق الرواية التى تحفظها من الغير كما هو الشأن فى العربية . ويشير إلى تلك اللغة المرقعة التى كانت مستعملة أيام نشر هذه القصيدة ؛ وكان ذلك فى سنة ١٩٠٣ .

(٩) اللوثة بالضم : عدم الإبانة . ولعاب الأفاعى : سمها . والفرات : الماء العذب .

فَجَاءتْ كَثَوْبٍ ضَمَّ سَبْعِينَ رُقْعَةً مُشَكَّلَةَ الْأَلْوَانِ مُخْتَلِفَاتِ
إلى مَعْشَرِ الكُتَّابِ وَالْجَمْعُ حَافِلٌ بَسَطتُ رَجَائِي بَعْدَ بَسْطِ شَكَاتِي (١)
فَإِمَّا حَيَاةٌ تَبْعَثُ الْمَيْتَ فِي الْبِلَى وَتُنْبِتُ فِي تِلْكَ الرُّمُوسِ رُفَاتِي (٢)
وَإِمَّا مَمَاتٌ لَا قِيَامَةَ بَعْدَهُ مَمَاتٌ لَعَمْرِي لَمْ يُقَسْ بِمَمَاتِ

ومن قصيدة له دعاها « غادة اليابان » ضمَّنها غرامه بغادة يابانية ؛ وأشاد بالشجاعة التي ظهرت بها أمة اليابان فى الحرب بينها و بين روسيا :

لَا تَلُمْ كَفِّي إِذَا السَّيْفُ نَبَا صَحَّ مِنِّي الْعَزْمُ وَالدَّهْرُ أَبَى (٣)
رُبَّ سَاعٍ مُبْصِرٍ فِي سَعْيِهِ أَخْطَأَ التَّوْفِيقَ فِيمَا طَلَبَا
مَرْحَبًا بِالْخَطْبِ يَبْلُونِي إِذَا كَانَتِ الْعَلْيَاءُ فِيهِ السَّبَبَا (٤)
عَقَّنِي الدَّهْرُ وَلَوْلَا أَنَّنِي أُوثِرُ الْحُسْنَى عَقَقْتُ الْأَدَبَا (٥)
إِيهِ يَا دُنْيَا اعْبِسِي أَوْ فَابْسِمِي لَا أَرَى بَرْقَكِ إِلَّا خُلَّبَا (٦)
أَنَا لَوْلَا أَنَّ لِي مِنْ أُمَّتِي خَاذِلًا مَا بِتُّ أَشْكُو النُّوَبَا
أُمَّةٌ قَدْ فَتَّ فِي سَاعِدِهَا بُغْضُهَا الْأَهْلَ وَحُبُّ الْغُرَبَا (٧)

---

(١) الشكاة : الشكوى .
(٢) تبعث الميت : تحييه . والرموس : القبور ، الواحد رمس . والرفات : كل ما تكسر وبلى ، يريد ما بقى من الجسد بعد الموت .
(٣) نبا السيف : كل وارتد . (٤) يبلونى : يختبرنى .
(٥) عقه : ترك الإحسان إليه ولم يبر به . يقول إن الدهر لم ينصفنى ، والجانى على هو أدبى ، ولولا أننى أوثر الإحسان لهجرت الأدب الذى كان سبباً فى شقائى .
(٦) البرق الخلب : الذى يطمع الناس فى مطره ويخلفهم .
(٧) فت فى ساعدها : عبارة يكنى بها عن الإضعاف وإيهان القوى .

تَعْشَقُ الأَلْقَابَ فى غَيْرِ العُلَا ... وَتُفَدِّى بِالنُّفُوسِ الرُّتَبَا

وَهْيَ وَالأَحْدَاثُ تَسْتَهْدِفُهَا ... تَعْشَقُ اللَّهْوَ وَتَهْوَى الطَّرَبَا (١)

لَا تُبَالِى لَعِبَ القَوْمُ بِهَا ... أَمْ بِهَا صَرْفُ اللَّيَالِى لَعِبَا (٢)

لَيْتَهَا تَسْمَعُ مِنِّى قِصَّةً ... ذَاتَ شَجْوٍ وَحَدِيثاً عَجَبَا (٣)

كُنْتُ أَهْوَى فى زَمَانِى غَادَةً ... وَهَبَ اللهُ لَهَا مَا وَهَبَا (٤)

ذَاتَ وَجْهٍ مَزَجَ الحُسْنُ بِهِ ... صُفْرَةً تُنْسِى اليَهُودَ الذَّهَبَا

حَمَلَتْ لِى ذَاتَ يَوْمٍ نَبَأً ... لَا رَعَاكَ اللهُ يَا ذَاكَ النَّبَا

وَأَتَتْ تَخْطِرُ وَاللَّيْلُ فَتِىٌّ ... وَهِلَالُ الأُفْقِ فى الأُفْقِ حَبَا (٥)

ثُمَّ قَالَتْ لِى بِثَغْرٍ بَاسِمٍ ... نَظَمَ الدُّرَّ بِهِ وَالحَبَبَا (٦)

نَبَّئُونِى بِرَحِيلٍ عَاجِلٍ ... لَا أَرَى لِى بَعْدَهُ مُنْقَلَبَا (٧)

وَدَعَانِى مَوْطِنِى أَنْ أَغْتَدِى ... عَلَّنِى أَقْضِى لَهُ مَا وَجَبَا (٨)

نَذْبَحُ الدُّبَّ وَنَفْرِى جِلْدَهُ ... أَيَظُنُّ الدُّبُّ أَلَّا يُغْلَبَا (٩)

---

(١) والأحداث تستهدفها : أى أن حوادث الدهر تجعلها هدفاً لها ترميه .

(٢) يريد « بالقوم » : الإنجليز . وصروف الليالى : غيرها ونوائبها ، أى أنها لا تعبأ بحوادث الزمان تصيبها من المحتلين أو من الدهر .

(٣) يقال شجاه شجواً ، إذا هيج أحزانه وشوقه .

(٤) الغادة : المرأة الناعمة اللينة .

(٥) والليل فتى : أى فى أوله . وشبه الهلال فى أول طلوعه بالطفل الذى يحبو فى مهده .

(٦) الحبب : الفقاقيع التى تعلو سطح الماء ، شبه بها الأسنان فى بياضها .

(٧) المنقلب : العودة والرجوع .

(٨) أغتدى : أى أبادر مبكرة للدفاع عنه .

(٩) الدب : رمز تعرف به روسيا ، كما تعرف انجلترا بالأسد ، واليابان بالتنين ، وألمانيا بالنسر . ونفرى : نشق ويشير بهذا البيت إلى الحرب التى نشبت بين اليابان وروسيا فى ليلة ٩ فبراير سنة ١٩٠٤ م . وانتهت بالصلح فى يوم ٥ سبتمبر سنة ١٩٠٥ م .

قلتُ وَالآلامُ تفْرِى مُهْجَتِى وَيْك ، مَا تَصْنَعُ فِى الحَرْبِ الظبَا (١)
مَا عَهِــدْنَاهَا لِظَبْيٍ مَسْرَحاً يَبْتَغِى مَلْهًى بِهِ أَوْ مَلْعَبا
لَيْسَتِ الحَرْبُ نُفُوساً تُشْـتَرَى بالتَّمَــنِّى أَوْ عُقُولاً تُسْتَبَى (٢)
أَحَسِبْتِ القَدَّ مِنْ عُــــدَّتِها أَمْ ظَنَنْتِ اللَّحْظَ فِيهَا كَالشبَا (٣)
فَسَلِينِى ، إِنَّنِى مَارَسْتُهَــا وَرَكِبْتُ الهَوْلَ فِيهَا مَرْكَبَا (٤)
وَتَقَحَّمْتُ الرَّدَى فِى غَارَةٍ أَسْـدَلَ النَّقْعُ عَلَيْهَـا هَيْدَبَا (٥)
قَطَّبَت مَا بَيْنَ عَيْنَيْهَا لَنَـا فَرَأَيْتُ المَوْتَ فِيهَـا قَطَّبَا (٦)
جَالَ عَزْرَائِيـــــلُ فِى أَنْحَائِهَا تَحْتَ ذَاكَ النَّقْعِ يَمْشِى الهَيْدَبَى (٧)
فَدَعِيهَـا لِلَّذِى يَعْرِفُهَـا وَالْزَمِى يَا ظَبْيَةَ البَانِ الخِبَا (٨)
فَأَجَابَتْنِى بِصَـــــوْتٍ رَاعَنِى وَأَرَتْنِى الظَّبْىَ لَيْثاً أَغْلَبَـا (٩)
إِنَّ قَوْمِى اسْتَعْذَبُوا وِردَ الرَّدَى كَيْفَ تَدْعُونَنِىَ أَلَّا أَشْرَبَا ؟

---

(١) الظبا : الظباء . وقصر لضرورة الشعر . (٢) تستبى : تؤسر بالحب .
(٣) القد : القامة . والشبا : جمع شباة ، وهى حد السنان .
(٤) مارستها : أى اشتركت فيها .
(٥) تقحمت الردى : رميت بنفسى فى غمرته . والنقع : الغبار . والهيدب : السحاب المتدلى من أسافله . وإثارة الغبار وكثرته وارتفاعه فى الحرب ، كناية عن شدتها وكثرة الكر والفر فيها .
(٦) التقطيب : العبوس . والضمير فى (قطب) للغارة .
(٧) الهيدبى (بالمعجمة والمهملة) : نوع من المشى فيه جد . ويشير بهذا البيت إلى كثرة ما تخطفه عزرائيل فى هذه الحرب .
(٨) البان : شجر سبط القوام لين ، ورقه كورق الصفصاف ، تألفه الظباء . والخبا (بالقصر) : الخباء (بالمد) وقصر لضرورة الشعر . وهو فى الأصل : البيت من وبر أو صوف ، ويريد به البيت عامة .
(٩) راعنى : أفزعنى ، والأغلب من السباع : الغليظ الرقبة وهى علامة القوة يقول إنها غضبت من تنقصه لها وأنها لا تصلح للحرب فأجابته بصوت أفزعه لشدته وقسوته واستحالت من ظبي وادع إلى أسد قوي .

أنا يابانيّة لا أنثني ... عن مرادي أو أذوق العطبا[١]
أنا إن لم أحسن الرمي ولم ... تستطع كفاي تقليب الظبا[٢]
أخدم الجرحى وأقضي حقهم ... وأواسي في الوغى من نكبا[٣]
هكذا (الميكاد) قد علمنا ... أن نرى الأوطان أمّا وأبا[٤]
ملك يكفيك منه أنه ... أنهض الشرق فهزّ المغربا
وإذا مارسته ألفيته ... حوّلاً في كل أمر قلّبا[٥]
كان والتاج صغيرين معاً ... وجلال الملك في مهد الصبا
فغدا هذا سماء للعلا ... وغدا ذلك فيها كوكبا
بعث الأمة من مرقدها ... ودعاها للعلا أن تدأبا[٦]
فسمت للمجد تبغي شأوه ... وقضت من كل شيء ما ربا[٧]

---

(١) العطب : الهلاك .
(٢) الظبا : جمع ظبة (بضم الأول) وهى حد السيف أو السنان .
(٣) الوغى : الحرب ، لما فيها من الصوت والجلبة .
(٤) الميكادو : لقب لملك اليابان .
(٥) الحول : الشديد الاحتيال ، لا تؤخذ عليه طريق إلا نفذ في أخرى . والقلب : البصير بتقلب الأمور .
(٦) تدأب : تجد فى طلبها .
(٧) الشأو : الغاية .

١٩ — شــــوقى (١)

قال من قصيدة له يصف فيها دمشق :

آمَنْتُ باللهِ واسْتَثْنَيْتُ جَنَّتَهُ ... دِمَشْق رَوْحٌ وجَنَّاتٌ وَرَيحانُ
قَالَ الرِّفَاقُ وَقَدْ هَبَّتْ خَمائِلُها ... الأرض دار لها (الفيحاء) بُسْتَانُ (٢)
جَرَى وَصَفَّقَ يَلْقانا بها (بَرَدَى) ... كما تَلَقَّاكَ دُونَ الخُلْدِ رِضْوانُ (٣)
دخَلْتُها وَحَواشِيها زُمُرُّدَةٌ ... والشَّمْسُ فَوْقَ لُجَيْنِ الماءِ عقْيانُ (٤)
والحورُ فى (دُمَّرٍ) أو حول (هامَتِها) ... حُورٌ كَواشفُ عَنْ ساقٍ وَوِلْدانُ (٥)
و (رَبْوَةُ) الواد فى جلباب راقِصَةٍ ... السَّاقُ كاسِيَةٌ والنحرُ عُرْيانُ
والطَّيْرُ تَصْدَحُ مِنْ خَلْفِ العُيُون بها ... وَلِلعُيُون كما للطَّــــيْرِ أَلْحَانُ
وَأَقْبلت بالنَّبات الأرضُ مُخْتَلِفاً ... أَفْوَافهُ فَهْوَ أَصْبَاغٌ وَأَلْوانُ (٦)

---

(١) هو أحمد شوقى بك ابن أحمد شوقى بك ولد بالقاهرة ونشأ فيها . على أن أصله ، كما يحدث هو عن نفسه ، عربى تركى يونانى ، جركسى . وكانت نشأته فى كنف بيت الملك ، وقد تقدم فى العلم حتى دخل مدرسة الحقوق صغير السن . فلبث فيها سنتين ، ثم أنشئ بها قسم للترجمة فلبث فيه سنتين أخريين وحصل على الإجازة النهائية ، ثم أوفده المرحوم الخديو توفيق على نفقته إلى فرنسا ليدرس الحقوق والآداب فلما عاد ألحقه بمعيته ، فلبث فى المعية الخديوية حتى نشبت الحرب العظمى فى سـنة ١٩١٤ فترك مصر وعاش فى أسبانيا ، ثم عاد إلى مصر .

وهو أشهر شعراء هذا العصر ، ومن أطولهم نفساً ، وأكثرهم تصرفاً فى فنون الشعر حتى لقد اصطلح جمهور الأدباء فى العالم العربى على تلقيبه « بأمير الشعراء » . توفى إلى رحمة الله فى سنة ١٩٣٢ م .

(٢) الفيحاء : دمشق .

(٣) بردى : نهر دمشق .

(٤) اللجين بضم اللام وفتح الجيم : الفضة . والعقيان : الذهب الخالص .

(٥) دمر : ضاحية دمشق . الحور الأولى : شجر عظيم يشبه السرو . والحور الثانية : جمع حوراء . وهى المرأة فى عينها حور ، أى شدة بياضها مع شدة سوادها ، والمراد بالحور : الحسان .

(٦) أفوافه : جمع فوف بالضم ، نوع من الثياب . والمراد هنا الزهر .

وَقد صَفى (بَرَدَى) للرِّيحِ فَابترَدَتْ لَدَى سُتُورٍ حَوَاشِيهِنَّ أَفْنَانُ(١)
ثم انثنتْ لم يَزُلْ عنها البِلالُ وَلَا جَفَّتْ منَ المَاءِ أَذْيَالٌ وَأَرْدَانُ(٢)

وقال يتغزل :

تَأْبَى الدَّلَالَ سجيَّةً وتَصَنُّعَا وَأَرَاكَ فى حَالَىْ دَلالك مُبْدِعا
تِهْ كَيْفَ شِئْتَ فما الجمالُ بحاكمٍ حتى يُطَاعَ عَلَى الدَّلال وَيُسْمَعَا
لكَ أَنْ يُرَوِّعَك الوُشَاةُ من الهوَى وَعَلَى أَنْ أَهْوَى الغزالَ مُرَوَّعَا
قالوا : لقد سَمِع الغزالُ لمن وَشَى وأقول : ما سَمِعَ الْغزالُ وَلَا وَعَى
أَنَا مَنْ يُحِبّكَ فى نِفَارِكَ مُؤْنِسًا وَيُحِبّ تِيهَكَ فِى نِفَارِكَ مُطمعا
قدّمتُ بين يَدَىَّ أيامَ الهوَى وَجَعلتُهَا أَمَلاً عليكَ مُضَيَّعَا
وَصَدَقْت فى حبِّى وَلستُ مُبالِيًا أن أُمْنَحَ الدنيا بِهِ أَوْ أُمْنَعَا

وقال يتغزل أيضا :

رُدَّتْ الرُّوحُ عَلَى الْمُضْنَى معَكْ أَحْسَنُ الأَيامِ يومٌ أَرْجَعَكْ(٣)
مَرَّ مِنْ بُعدِكَ ما روَّعَنِى أَتُرَى يا حُلْوُ بُعدِى رَوَّعك ؟
كم شَكَوْتُ البَيْنَ بالليل إلى مَطْلَعِ الفَجْرِ عَسَى أَنْ يُطْلِعَكْ
وَبَعَثْتُ الشوقَ فى ريحِ الصَّبا فَشَكَا الْحُرْقَةَ مِمَّا استودعك

(١) ابتردت : اغتسلت .
(٢) البلال : أى البلل . أردان : جمع ردن بضم الراء (وسكون الدال) وهو الكم .
(٣) ضنى الرجل على وزن علم : مرض فتمكن منه الضعف والهزال .

يا نَعيمى وَعَذابى فى الهَـــوَى   بِعَذُولى فى الهوَى مَا جَمعَك ؟
أَنتَ رُوحى ، ظَلَم الواشى الذى   زَعَمَ القلبَ سَـلَا أَوْ ضَيَّعَك[١]
مَوقعى عنـــدك لا أَعْلَمُه   آه لو تعلم عنـــدى موقعَك
أَرجفُوا أَنَّك شـــاكٍ مُوجَعٌ   لَيتَ لِى فَوْقَ الضَّنَا مَا أوجعَك
نامت الأَعْـيُن إلاّ مُقْـلَةً   تَسْـكُبُ الدَّمعَ وَتَرْعَى مَضْجَعَك

وقال يصف الطبيعة فى طريقه إلى الآستانة قادماً من أوربا :

تلك الطَّبيعةُ قِفْ بنـا يا سَارى   حتى أُرِيكَ بَدِيعَ صُنْعِ البـارى
الأَرْضُ حَوْلَكَ وَالسماءُ اهْتَزَّتا   لِرَوَائِعِ الآيات والآثار
مِنْ كلّ ناطقة الجْلالِ كأَنَّهـا   أُمُّ الـكتاب عَلَى لِسَان القارى[٢]
دَلَّت عَلَى مَلك الملوك فلم تَدَعْ   لِأَدلَّة الفُقهـاء وَالْأَحْبـار[٣]
من شَكَّ فيه فنظرةٌ فى صُنْعه   تَمْحُو أَثِيمَ الشكِّ وَالإِنـكار

* * *

كُشِفَ الغطاءُ عَلَى الطرول وأشرقَتْ   منه الطبيعةُ غيرَ ذات سِتَـار
شبهتُها (بِلْقِيْسَ) فوق سَرِيرِهَا   فِى نَضْرَةٍ ومواكِبٍ وَجَوَارى

---

(١) سلا : سلاك أى نسيك .
(٢) أم الـكتاب : فاتحته .
(٣) الأحبار : جمع حبر وهو العالم وقيل الصالح من العلماء .

أو (بابن داودٍ) وَوَاسعِ مُلْكِهِ وَمَعالِمٍ للعزِّ فيه كِبارِ (١)
هُوجُ الرياحِ خَواشِعٌ فِي بابِهِ وَالطَّيْرُ فِيه نَواكسُ المِنْقارِ (٢)

***

قَامَتْ عَلَى ضَاحِي الجنانِ كَأَنَّها رضْوانُ يُزْجِي الْخُلدَ لِلأَبْرَارِ (٣)
كم فى الخمائل؛ وهْىَ بعضُ إمائِها من ذات خَلْخَال وذات سوارِ (٤)
وَحَسيرةٍ عنها الثيابُ وَبَضَّةٍ فى النَّاعمات تجُرُّ فَضْلَ إزارِ (٥)
وَضَحُوكِ سنٍّ تملأُ الدُّنيا سَنًى وَغَرِيقةٍ فى دَمْعها المِدْرَارِ
وَوَحِيدةٍ بالنَّجْد تشكو وَحْشَةً وكَبِيرةِ الأَتْرَابِ بالأَغْوارِ (٦)

***

ولقد تَمُرُّ عَلَى الغَديرِ تَخالُهُ وَالنَّبْتَ مرآةً زَهَتْ بِإطَارِ (٧)
حُلْوُ التَّسَلْسُلِ مَوْجُهُ وَخَرِيرُه كأَناملٍ مَرَّتْ عَلَى أَوْتَارِ
سَدَّتْ سَوَاعِدَ مائِهِ وَتَأَلَّقَتْ فيها الجواهرُ مِنْ حَصًى وَجِمَارِ (٨)
يَنْسَابُ فى مُخْضَلَّةٍ مُبْتَلَّة مَنسوجةٍ مِنْ سُنْدُسٍ وَنُضَارِ (٩)

---

(١) المعالم : جمع معلم وهو ما يستدل به على الطريق من أثر ونحوه .
(٢) هوج . جمع هوجاء ، والريح الهوجاء التى لا تستوى فى هبوبها وتقلع البيوت .
(٣) الضاحى : المكان البارز . يزجى : يسوق ويستحث .
(٤) الإماء : الجوارى .
(٥) الإزار : الملحفة وكل ما ستر .
(٦) النجد : ما ارتفع من الأرض . الغور : القعر من كل شىء .
(٧) إطار الشىء : كل ما أحاط به والمعنى أن الغدير بما استدار على حافته من الزهر كأنه مرآة لها إطار .
(٨) جمار : جمع جمرة وهى الحصى .
(٩) اخضل الشىء : صار نديا بليلا . النضار : الذهب .

زَهْرَاءَ عَوْنَ الْعَاشِقِينَ عَلَى الهوَى ... مُخْتَارَةَ الشُّعَرَاءِ فِى آذار

قَامَ الْجَلِيدُ بِهَا وَسَالَ كَأَنَّه ... دَمْعُ الصَّبَابَةِ بَلَّهَ غصْنَ عذار

وَتَرَى السَّماءَ ضحًى وَفِى جُنْحِ الدُّجَى ... مُنْشَقَّةً عَنْ أَنْهُرٍ وَبِحَارِ[(١)]

فِى كُلِّ نَاحِيَةٍ سَلَكْتَ وَمَذْهَبٍ ... جَبَلَانِ مِنْ صَخْرٍ وَمَاءٍ جَارِى

وقال فى وصف الطيارة ، وهذا من أبرع الكلام :

نِصْفُهُ طَيْرٌ وَنِصْفٌ بَشَرٌ ... يَا لَهَا إِحْدَى أَعَاجِيبِ القَضَاءِ!

حَمَلَ الفولاذُ رِيشاً وَجَرَى ... فِى عنانَيْنِ لَهُ : نَارٌ وَمَاءٌ

وَجَنَاحٍ غَيْرِ ذِى قَادِمَةٍ ... كَجَنَاحِ النَّحْلِ مَصْقُولٍ سَوَاءٍ

وَذُنَابَى ، كُلُّ رِيحٍ مَسَّهَا ... مَسَّهُ صَاعِقَةٌ مِنْ كَهْرَبَاءِ

يَتَرَاءَى كَوْكَباً ذَا ذَنَبٍ ... فَإِذَا جَدَّ فَسَهْماً ذَا مَضَاءٍ

فَإِذَا جَازَ الثُّرَيَّا لِلثَّرَى ... جَرَّ كَالطَّاوُوسِ ذَيْلَ الْخُيَلَاءِ

ومن قصيدة له دعاها : (الأندلس الجديدة) :

يَا أُخْتَ أَنْدَلُسٍ عَلَيْكِ سَلَامُ ... هَوَتِ الْخِلَافَةُ عَنْكِ وَالْإِسْلَامُ[(٢)]

نَزَلَ الْهِلَالُ عَنِ السَّماءِ فَلَيْتَهَا ... طُوِيَتْ وَعَمَّ الْعَالَمِينَ ظَلَامُ

أَزْرَى بِهِ وأزاله عن أَوجِهِ ... قَدَرٌ يَحُطُّ الْبَدْرَ وَهْوَ تَمَامُ[(٣)]

---

(١) الدجى : الظلمة أو سواد الليل .

(٢) يا أخت أندلس : يخاطب مدينة أدرنة وقد كانت من أمهات المدن العثمانية فى مقدونية وبها مقابر كثيرين من سلاطين آل عثمان ، جاءت الأنباء بغلبة البلغار عليها فى الحرب سنة ١٩١٣ بعد أن أبلت حاميتها فى الدفاع عنها بلاء حسناً .

(٣) أزرى به : وضع من شأنه . الأوج : العلو .

جُرْحَانِ تَمْضِي الْأُمَّتَانِ عليهما : هـذا يَسِيل وَذَاكَ لاَ يَلْتَامُ(١)
بكما أُصِيبَ المسلمونَ وَفِيكما دُفِنَ الْيَرَاعُ وَغُيِّبَ الصَّمصامُ(٢)
لَمْ يُطْوَ مَأْتَمُهَا ، وهـذا مأْتَمٌ لَبِسُوا السَّوَادَ عَلَيْكَ فيهِ وقامُوا(٣)
مَا بَيْنَ مَصْرَعِها وَمَصْرَعِكَ انْقَضَتْ فيما نُحِبُّ وَنَكْرَهُ الْأَيَّامُ
خلَت القُرُونُ كَلَيْلَةٍ وَتَصَرَّمَتْ دُوَلُ الفُتُوحِ كأَنَّها أَحْلامُ(٤)
وَالدَّهْرُ لَا يَأْلُو الْمَمَالِكَ مُنْذِرًا فَإِذَا غَفَلْنَ فَمَا عليهِ مَلاَمُ(٥)

* * *

مقدونيا ، والمسلمونَ ، عَشِيرَةٌ كَيْفَ الخُؤولةُ فيك وَالْأَعْمَامُ !(٦)
أَتَرَيْنَهُمْ هانوا ، وكان بعِزِّهم وَعُلُوِّهِم يَتَخَايَلُ الْإِسْلاَمُ(٧)
إِذْ أَنْتِ نَابُ اللَّيْث ، كُلُّ كَتِيبَةٍ طَلَعَتْ عليكِ فَرِيسَةٌ وطعامُ(٨)
ما زالت الْأَيَّامُ حَتَّى بُدِّلَتْ وَتَغَيَّرَ السَّاقِى ، وَحَالَ الجَامُ(٩)

---

(١) جرحان : أحدهما خروج أدرنة من أيدى المسلمين ، والثانى خروج الأندلس من أيديهم . الأمتان هم العرب أيام نكبة الأندلس ، والترك أيام ضياع أدرنة .
(٢) اليراع : يريد القلم ، والصمصام : السيف .
(٣) لم يطو مأتمها : أى مأتم الأندلس .
(٤) خلت : مضت . تصرمت : انقضت .
(٥) لا يألو : لا يقصر ولا يبطىء .
(٦) مقدونيا : اسم الإقليم الذى تقع فيه أدرنة . العشيرة : قبيلة الرجل . الخؤولة : نسبة إلى الخال كالعمومة وهى النسبة إلى العم .
(٧) يتخايل : يتبختر .
(٨) إذ أنت ناب الليث : أى مثل الليث فى أنه مخوف لا يمكن الوصول إليه . الكتيبة : الجيش ، وقيل القطعة منه . والمعنى أن الإسلام كان يتخايل بعز أبنائه فى مقدونيا حينما كانت ممتنعة على العدو كامتناع الليث على من يريده ، وحينما كانت تفنى دونها جيوش الأعداء .
(٦) حال : تحول من حال إلى حال . والجام : إناء من فضة تسق فيه الخمر .

أرأيتِ كيفَ أُديلَ مِنْ أُسْدِ الشَّرَى ... وشَهِدتِ كيفَ أُبيحتِ الآجامُ(١)
زعموكِ همًّا للخلافةِ ناصبًا ... وهلِ الممالكُ راحةٌ ومنامُ(٢)
ويقولُ قومٌ: كُنْتِ أشأمَ مَوْرِدٍ ... وأراكِ سائغةً عليكِ زحامُ
ويراكِ داءَ المُلْكِ ناسُ جهالةٍ ... بالمُلْكِ منهم علَّةٌ وسَقامُ
لو آثروا الإصلاحَ كنتِ لعرشِهم ... رُكْنًا على هامِ النُّجومِ يُقامُ(٣)
وهمُ يُقيِّدُ بعضُهمْ بعضًا بهِ ... وقيودُ هذا العالمِ الأوهامُ
صُوَرُ العمى شتَّى، وأقبحُها إذا ... نظرتْ بغيرِ عيونِهنَّ الهامُ
ولقدْ يُقامُ مِنَ السُّيوفِ، وليسَ مِنْ ... عَثَراتِ أخلاقِ الشُّعوبِ قيامُ

ومن روائع حكمه، وما جرى من شعرهِ مجرى الأمثال. قوله:

وإنَّما الأُممُ الأخلاقُ ما بقيتْ ... فإنْ هُمُو ذهبتْ أخلاقُهمْ ذهبُوا

* * *

وإذا أُصيبَ القومُ في أخلاقِهمْ ... فأقمْ عليهمْ مأتمًا وعويلًا

* * *

وما السِّلاحُ لقومٍ كلَّ عُدَّتِهمْ ... حتَّى يكونوا منَ الأخلاقِ في أُهَبِ

* * *

---

(١) أديل منها: صارت مغلوبة بعد أن كانت غالبة. والشرى: مكان تكثر فيه الأسود. الآجام: جمع أجم، وهو الشجر الملتف تألفه الأسود أيضاً.

(٢) الهم الناصب: المتعب.

(٣) لو آثروا الإصلاح: أي لو اختاروه. الهام: جمع هامة، وهي رأس كل شيء.

عَلَى الأخْلَاق خُطُّوا الْمُلْكَ وَابْنُوا   فَلَيْسَ وَرَاءَهَا لِلعِزِّ رُكْنُ

* * *

وَلَيْسَ بِعَامِرٍ بُنْيَانُ قَوْمٍ   إِذَا أَخْلَاقُهُمْ كَانَتْ خَرَابَا

* * *

وَلَا الْمَصَائِبُ إِذْ يُرْمَى الرِّجَالُ بِهَا   بِقَاتِلَاتٍ إِذَا الْأَخْلَاق لَمْ تُصَبِ

* * *

أَعَلِمْتَ أَشْرَفَ أَوْ أَجَلَّ مِنَ الَّذِى   يَبْنِى وَيُنْشِئُ أَنْفُسًا وَعُقُولَا ؟

* * *

وَلَيْسَ بِالْفَاضِلِ فِى نَفْسِهِ   مَنْ يُنْكِرُ الْفَضْلَ عَلَى رَبِّهِ

* * *

مَا أَصْعَبَ الْفِعْلَ لِمَنْ رَامَهُ   وَأَسْهَلَ الْقَوْلَ عَلَى مَنْ أَرَادْ

* * *

رَبِّ إِنْ شِئْتَ فَالْفَضَاءُ مَضِيقٌ   وَإِذَا شِئْتَ فَالمَضِيقُ فَضَاءُ

* * *

* وَاسْتَقِيمُوا يَفْتَحِ اللهُ لَكُمْ بَابًا فَبَابًا *

* * *

وَالْجَهْلُ مَوْتٌ فَإِنْ أُوتِيتَ مُعْجِزَةً فَابْعَثْ مِنَ الْجَهْلِ أَوْ فَابْعَثْ مِنَ الرَّجَمِ

* * *

صَلاحُ أَمْرِكَ لِلْأَخْلَاقِ مَرْجِعُهُ فَقَوِّمِ النَّفْسَ بِالْأَخْلَاقِ تَسْتَقِمِ
وَالنَّفْسُ مِنْ خَيْرِهَا فِي خَيْرِ عَافِيَةٍ وَالنَّفْسُ مِنْ شَرِّهَا فِي مَرْتَعٍ وَخِمِ

* * *

* الْمَوْتُ بِالزَّهْرِ مِثْلُ الْمَوْتِ بِالْفَحَمِ *

تم بعون الله تعالى طبع هـذا الكتاب فى يوم السبت ٢٢ ذى الحجة
سـنة ١٣٧٣ هـ (الموافق ٢١ أغسطس سـنة ١٩٥٤ م) بمطابع
دار الكتاب العربى لصاحبها ومديرها محمد حلمى المنياوى

وزارة المعارف العمومية



الجزء الثاني

للسنة الثانية الثانوية

جمعه وشرحه

أحمد الإسكندرى — أحمد أمين — على الجارم

عبد العزيز البشرى — الدكتور أحمد ضيف

١٩٥٣

مطابع
دار الكتاب العربي بمصر
محمد حلمي المنياوي

فهرس

العصر العباسى الثانى

الأدب فى خراسان والعراق

(أ) الشعر

١ — الشريف الرضى(١)

قال يتغزل :

يا ظبيةَ البان تَرْعَى فى خمائله ليهنك اليومَ أنّ القَلْبَ مَرْعاكِ(٢)
الماء عندكِ مبذُول لشاربه وليس يَرْويكِ إلا مَدْمَعِى الباكى(٣)
هَبّتْ لنا من رياح الغَوْر رائحةٌ بعد الرُّقاد عَرَفْناها بِريَّاكِ(٤)
ثم انْثَنَيْنا إذا ما هزَّنا طرَبٌ على الرِّحال تَعلَّلْنا بذكراكِ
سَهْمٌ أصابَ وَراميه بِذى سَلَمٍ مَنْ بالعراق ، لقدْ أبعدْتِ مَرماكِ(٥)

---

(١) هو الحسن محمد بن الحسين الرضى العلوى نقيب أشراف بغداد وأشعر بنى هاشم توفى سنة ٤٠٦ هـ .

(٢) البان : شجر من أشجار البادية تشبه بأغصانه قامات الملاح فى الاعتدال واللين . والخمائل : جمع خميلة وهى الأشجار الملتفة الأغصان الناعمة الأوراق .

(٣) المدمع : مجرى الدمع فى العين .

(٤) الغور : البلاد المنخفضة عن نجد وجبال الحجاز . وهى المسماة تهامة على ساحل البحر الأحمر . ورائحة : أى ريح ممسية . والريا : الرائحة الطيبة .

(٥) ذو سلم : موضع بالحجاز قرب مكة .

حكَتْ لحاظُك ما فى الرِّيم من مُلَح   يوم اللقاء ، وكان الفضلُ للحا كى (١)
كأَنَّ طَرْفَكِ يوم الجِزْع يُخبرُنا   بما طَوَى عنك من أسماء قَتْلاك (٢)
أنت النعيمُ لقلبى والعــذاب له   فما أَمَرَّك فى قلبى وأحلاك
عندى رسائلُ شوق لست أذكرها   لولا الرقيبُ لقد بلَّغتُها فاك

وقال من نسيب قصيدة يمدح بها الملك بهاء الدولة الْبُوَيهىّ وأنفذها إليه وهو فى البصرة ، وقد فتحها فى آخر سنة ٣٩٤ هـ :

أَلْهَاكِ عنَّا ربَّةَ الْبُرْقُعِ   مَرُّ الثــلاثينَ إلى الأربع (٣)
أنتِ أعنْتِ الشيبَ فى مَفْرِقى   مع الليالى ، فصِلى أو دعى (٤)
يا حاجةَ القلْب ألَمْ تَرْحَمِى   جناية الدمع على مدمَعى ؟
لولا ضلالاتُ الهوَى لم يكُنْ   عِنانُ قلبى لك بالأطــوع (٥)
كيف طوَى دارَكِ ذُو صبوة   عَهــدى به يطرَب للمَرْبَع (٦)
كان يَرَى ناظِرُهُ سُــبَّة   أنْ مَرَّ بالدارِ ولَمْ يَدْمَع (٧)

---

(١) الريم : الظبى الخالص البياض .

(٢) الجزع : موضع بالحجاز قرب الطائف .

(٣) أى من العمر : فيكون عمره يومئذ ٣٤

(٤) المفرق : وسط الرأس ، وهو المكان الذى يفرق عنه الشعر . أى أن حبك أهمنى فجعل الشيب يسرع فى رأسى فوق فعل الليالى به .

(٥) العنان بالكسر : سير اللجام ، أى : لولا حبى إياك لم يكن قلبى طوعا لك .

(٦) طوى دارك : مر بها وحاذاها . والمربع المكان الذى ينزل به وقت الربيع ، ويراد به هنا الدار مطلقة ويطرب هنا : بمعنى يحزن ويشجى .

(٧) السبة هنا : العار . والمراد بالناظر : العين .

يا حبـــذا منك خيالٌ سَرَى فَدلهُ الشـوقُ على مضجَعى
باتَ يُعاطينى جنى ظَلمــــه وبِتُّ ظمآنَ ولم أنقع[١]

وقال يمدح الخليفة القادر بالله العباسى فى أحد مجالسه :

لله يومَ أطلعتك به العـــلا عَلَمَا يُزَاوَلُ بالعيون ويُرْشَقُ[٢]
لما سَمت بك غرةٌ مَرْمُوقَةٌ كالشَّمْس تَبْهَرُ بالضِّياء وتُومَقُ[٣]
وبرزْتَ فى بُرْد النَّبىِّ ، وللهُدَى نورٌ على أسرار وجهك مُشرقُ[٤]
وكأنّ دارَكَ جنةٌ حَصْبَاؤُهَا الـ جادىُّ أو أنماطها الإستبرق[٥]
فى مَوْقفٍ تَغضى العُيونُ جلالةً فيــه ويعْثُرُ بالـكلام المنطقُ[٦]
والنَّاسُ : إما راجعٌ متهيِّبٌ مما أرى ، أو طالع مُتَشَوِّقُ
مَالُوا إليْك مَحَبَّةً ، فتجمَّعُوا ورأوا عليْك مَهابةً ، فتفرَّقُوا

---

(١) الظلم : تلالؤ أسـنان الثغر ، وجنى الظلم يريد به ريق المحبوبة . ولم أنقع : أى لم أرو ظمئى .

(٢) العلم : الجبل . ويزاول : يطلب .

(٣) الغرة : الوجه : ومرموقة : تتجه الأنظار إليها . وتبهر : تغلب . وتومق : تحب وتعشق

(٤) الأسرار : خطوط الوجه ، واحدها : سرر .

(٥) الحصباء : الحصى . والجادى : الزعفران . والأنماط : جمع نمط ، وهو البساط ، والإستبرق : ثياب حريرية .

(٦) تغضى : تغمض .

وقال يفخر من قصيدة يمدح بها أهل البيت :

لِغيْرِ العُـلا منِّى القِلَى والتجنُّبُ ⁂ ولوْلا العُلا ما كنتُ فى الحبِّ أرغبُ (١)

إذا اللهُ لم يعـــذرْك فيما ترومُهُ ⁂ فما الناسُ إلا عاذلٌ ومُؤنِّبُ

مَلـكْتُ بحلمِى فُرصةً ما استرَقَّها ⁂ من الدهر مفتولُ الذِّراعيْن أغْلبُ (٢)

فإنْ تَكُ سنى ما تطاول باعُها ⁂ فلى من وراءِ المجـد قلْبٌ مُذرَّب (٣)

فحسْبِىَ أنى فى الأعادى مُبغَّضٌ ⁂ وأنى إلى غُرِّ المعـــالى مُحبَّبُ

وللحلْمِ أوقاتٌ ، وللجهـل مثلها ⁂ ولـكنْ أيّامى إلى الحلْمِ أقرَبُ (٤)

يصـولُ علىَّ الجاهلون ، وأعْتَلى ⁂ ويُعْجِمُ فىَّ القائلون ، وأعرب (٥)

يَروْن احتمالى غُصَّـــةً ، ويزيدُهم ⁂ لواعجَ ضغْنٍ أنَّنى لستُ أغضب (٦)

وأعرضُ عن كأسِ النديم كأنها ⁂ وَميضُ غمامٍ غائر المُزْن خُلَّبُ (٧)

وقورٌ ، فلا الألحانُ تأسرُ عَزْمتى ⁂ ولا تمكُرُ الصهباءُ بى حين أشْرَبُ

ولا أعرفُ الفحْشاءَ إلا بوصْفِها ⁂ ولا أنطق العَوْراءَ والقلبُ مُغْضَبُ

---

(١) القلى : البغض والـكراهة والهجر . أى لولا أنى أحب المعالى لما كان لى رغبة فى أى حب

(٢) استرقها : يريد نالها وحصل عليها . والأغلب : يريد القوى الذى يغلب خصمه . أى أنى أنال بالحلم ما لا يناله القوى الشجاع بقوته وشجاعته .

(٣) المذرب : المحدد الماضى .

(٤) الجهل هنا : الجفاء والغلظة والإسراع إلى المعاقبة والانتقام .

(٥) الجاهلون هنا : الحمقى الذين لا عقل لهم ولا رأى . والإعجام ضد الإبانة ، أى أن أولئك الجاهلين الحمقى يعتدون على ولـكن قدرى يرتفع ، ويقولون عنى كلاما كأنه لسخفه معجم غير بين ولـكننى أعرب وأبين بقولى الواضح ، وفعلى الصالح .

(٦) لواعج : جمع لاعج ، وهو المحرق . أى أن تركى الغضب يزيدهم أضغانا محرقة فى صدورهم

(٧) الوميض : لمعان البرق . والغمام : السحاب . والمزن الغائر : السحاب الذاهب . والخلب : الخادع وهو صفة للوميض .

تحلَّمُ عن كرِّ القوارِص شيمَتى ... كأنّ مُعيد الذّمِّ بالمدْح مُطنِبُ(١)
لسانِي حَصاةٌ يقرعُ الجهلَ بالحجا ... إذا نال منِّى العاضـهُ المُتوثِّبُ(٢)
ولسْتُ براضٍ أن تمسَّ عزائمى ... فُضالاتُ ما يُعطى الزمانُ ويسلُبُ(٣)
غرائبُ آدابٍ حبانِي بحفظها ... زمَانٌ وصرْفُ الدهر نِعْم المؤدِّب(٤)

وقال فى صغره :

ستعلَمون ما يكونُ منِّى ... إن مدَّ من ضَبْعَىَّ طولُ سنِّى(٥)
أأَدَعُ الدنيـا ، ولم تَدَعْنى ... يلعَبُ بى عناؤُها المُعَنِّى(٦)
وَسِعتُ أيّامى ولم تسـعْنى ... أفضُلُ عنها ، وتَضيقُ عنِّى(٧)

---

(١) تحلم ، أصلها تتحلم ، حذفت إحدى التاءين ، والقوارص : الشتائم الشديدة . والشيمة : السجية والخصلة ، أى أن كريم طبعى يأبى على إلا أن أقابل تكرار ذمى بالحلم ، حتى كأن مكرر ذمى يطيل فى مدحى .

(٢) الحصاة هنا : العقل والجهل : الحمق . والعاضه : الذى يكذب على المرء فى وجهه . أى أننى إذا آذانى متوثب على ذمى بالكذب فى وجهى ، لم أقابله بالمثل ، ولم أبسط فيه لسانى ، بل أحلم عليه ، وأجعل لسانى عقلا يفكر ولا يتكلم .

(٣) الفضلات فى الأصل : البقايا . ويريد بها هنا : الملاذ الدنيوية . أى أنها لا تثنينى عن معالى الأمور ، فلا يحزننى ما أفقد من هذه الملاذ ، ولا يسرنى ما أنال منها .

(٤) صرف الدهر : نوائبه وحوادثه .

(٥) الضبع : العضد . أى إن كبرت سنى ، واشتد عضدى .

(٦) المعنى : المرهق الشاق . أى أأترك الدنيا يلعب بى عناؤها وهى لم تتركنى .

(٧) وسعت أيامى : اتسعت لها واستنفدتها . وأفضل . أزيد . أى أن همتى تتسع لأيام حياتى ، حتى تستنفدها ، ثم تزيد عليها ، فالأيام تضيق عن كل ما أريد ، إذ أن همتى أبعد مدى منها .

لم أنا مثلُ العاطِنِ المُبنِّ أَسحبُ بُردَىْ ضرَعٍ وأفْنِ (١)
ولى مضاءٌ قطُّ لم يَخُنِّى : ضميرُ قلبى ، وضميرُ جفْنى (٢)
راض بما يُضوى الفتى ويُضنى أسَّس آبائى وسوف أبنى (٣)
قد عزّ أصلى ويعزُّ غُصنى غنيتُ بالمجد ولم أستغْنِ

٢ — مِهْيَار الدَّيْلَمِى (٤)

قال فى الفخر بقومه فارس وبالإسلام :

أُعجبتْ بى بَيْن نادى قومها أمُّ سعْدٍ ، فمضتْ تسألُ بى
سَرَّها ما علمتْ من خلُقى فأَرادتْ علْمها ما حسَبى ؟
لا تخالى نَسَباً يخفضُنى ، أنا من يُرْضيك عند النَّسب
قَومى استولَوا على الدهر فتًى ، ومشَوا فوق رءوسِ الحِقب
عمَّمُوا بالشمسِ هاماتِهمُ ، وبنوا أبياتَهم بالشهُب
وأبى كسرى علَا إيوانُهُ أينَ فى الناس أبٌ مثلُ أبى ؟

---

(١) العاطن : الجمل البارك بجانب الماء . والمبن : المقيم ، والكريه الرائحة . والضرع الذل والضعف . والأفن : سوء الرأى ، أى لم أقيم فى دارى مثل الجمل المقيم فى المبارك الكريهة الرائحة ؟ أما آن لى أن أنشط فى طلب المجد ولا أجر ثوب استضعاف وثوب رأى غير سديد ؟

(٢) المضاء : النفوذ والإصابة ؛ أى أن قلبى ونظرى ثاقبان فى معرفة الأمور .

(٣) يضوى : يجعله نحيفاً هزيل الجسم .

(٤) هو أبو الحسن مهيار بن مرزويه الديلمى ، كان مجوسياً يتكسب بالكتابة فى الدواوين ، تخرج على الشريف الرضى فى الشعر حتى كاد يرق قوله عن قوله ، وأسلم على يده وتشيع بمذهبه وغلا فى التشيع .

قد قَبستُ المجد من خير أبٍ ، وقبستُ الدِّين من خـيرِ نَبِي
وضَممْتُ الفخر من أطرافه : سُؤْدد الفُرْس ، ودِين العرب

وقال من قصيدة فى التشوق :

يا نَسـيمَ الصُّبح منْ كاظمَةٍ شَدَّ ما هِجْت الجوىٰ والبُرَحا(١)
الصبا — إن كان لابد — الصَّبا إنَّهـا كانت لقلْبي أرْوحا(٢)
يا نَداماى بسلْعٍ ! هل أرى ذَلك المَغْبق والمُصْطَبحا ؟(٣)
فاذ كرونا مثْل ذكرانا لَـكُمْ ؛ رُبَّ ذكرى قرّبتْ مَن نزحا(٤)
واذكروا صبًّا إذا غنَّى بكُم شَرِب الدَّمع وعاف القدحا

وقال من قصيدة فى الحـكمة والشكوى :

خليلُك من صما لَكَ فى البِعاد وجارُك من أذَمَّ على الوِداد(٥)
وحظُّك من صديقك أن تَراهُ عدُوًّا فى هواك لمن تعادى
ورُبّ أخٍ قصيٍّ العرْق ، فيه سُـلُوٌّ عن أخيك من الولاد(٦)
فلا تغرُرْك ألْسـنةٌ رطابٌ بطائنهُنَّ أكبادٌ صوادى(٧)

---

(١) كاظمة : موضع من بلاد العرب بقرب البصرة على ساحل خليج فارس . والبرحا : مقصور البرحاء بالمد ، وهى شدة الألم .

(٢) الصبا : ريح مهبها جهة الشرق . وأروح : أجلب للراحة .

(٣) سلع : جبل بالمدينة . والمغبق : مكان الغبوق ، أى الشرب مساء . والمصطبح : مكان الاصطباح أى الشرب صباحا .

(٤) نزح : بعد .

(٥) أذم : أعطى عهداً وذمة على الوداد .

(٦) قصى العرق : أى بعيد النسب . والولاد : الولادة .

(٧) رطاب : رطبة تنطق بالـكلام اللين . وصواد : عطشى ، أى ملتهبة من الحقد .

وعشْ إما قَرينَ أَخٍ وَفِيٍّ أَمِينِ الْغَيْبِ ، أو عيشَ الْوِحادِ[١]
فإنى بَعْــــدَ تجربِتى لأمرٍ أَنِستُ — ولا أُغُشُّكَ — بانفِرادِى
تُرِيدُ خَلائقُ الأيّامِ مَكْراً لِتغْصِبَنِى على خُلُقى وعادى[٢]
وتَغْمِزُنى الخطوبُ تَظنُّ أنِّى أَلِينُ على عَرائـكِها الشِّـداد[٣]
وما ثَهْـلانُ تُشْرِق قُنَّتَاهُ بأحمـلَ للنَّوائب من فؤادى[٤]
تُغَرِّبُ فى تقَلُّبِها الليـالى عَلَيَّ بكُلِّ طارقةٍ نآدِ[٥]
إذا قُلْتُ : اُكتفتْ منِّى ، وكفتْ نَزَتْ بالدَّاءِ ثائرةَ العـداد[٦]
رَعَى سِمَنُ الحوادث فى هُزالِى كأَنَّ صـلاَحَهُنَّ عَلَى فَسَـادى
فَيَوْماً فى الذَّخيرة من صَديقٍ ويوماً فى الذَّخيرة من تِلادى[٧]
يذُمُّ النَّومَ دونَ الحرْص قومٌ وقلتُ لرَقْدَتِى عنـه : حَمَـادِ[٨]
وما كان الغِنَى إلا يسـيراً لَوَ أنَّ الرزقَ يبلغُهُ اجتهـادى

وقال من قصيدة كتب بها إلى صديق له من أولاد الرؤساء يستعينه على أبيه فى حاجة :

إلى وَزَرٍ أَحُـطُّ به ثِقالاً من الآمال وهْوَ لهـا مآلُ[٩]
رضينا — والعُداة لهـا غضابٌ — سجايا[١٠] فيك أعطاكَ الـكمالُ[١١]

---

(١) أمين الغيب : أى لا يقول فيك شراً حين يغيب عنك . والوحاد : أى التوحد والانفراد.
(٢) أى تريد خلائق الأيام أن تغلبنى على أخلاقى وعاداتى وتسلبنى إياها ، وتقهرنى على تغييرها .
(٣) العرائك : جمع عريكة ، وهى الطبيعة .
(٤) ثهلان : جبل . والقنة : أعلى الجبل ؛ أى أن جبل ثهلان لا يتحمل ما يتحمله قلبه من النوائب .
(٥) أى تأتى بالغرائب . والطارقة : الداهية . والنآد : العظيمة .
(٦) نزت : وثبت . وثائرة العداد ، مهتاجة فى عودتها ورجوعها .
(٧) أى فيوما تفقدنى صديقاً ؛ ويوما تفقدنى مالا .
(٨) حماد : كلمة مبنية على الكسر ، أى حمداً وشكراً ، أى أنه يحمد بعده عن الحرص وزهده فى الجشع ، وإن كان ذلك يذمه قوم .
(٩) ملجأ ومعتصم .
(١٠) سجايا : أخلاق ، جمع سجية .
(١١) أى أعطاك الـكمال إياها .

إذا اختلف الجدود فظلْتَ يوماً تعُـــدُّهُمُ ، استوى عمٌّ وخالُ
من النجباء يرضى السَّـلْمُ منهم نفوساً ليس يأباها القتـالُ
نموْكَ(١) فأشبه الضِّرغام(٢) شبْلٌ(٣) وقايَسَت(٤) اليدَ اليمنى الشمالُ
وكنتَ ابناً لوالدِه مُعيناً وبعضُهُمُ لوالدِه عيـــالُ(٥)
ولمَّا لم تَخِبْ فيك الأماني رمى بِك حيث لم تنبُ(٦) النِّصالُ(٧)
وآنس(٨) منك يومَ بَرقْتَ(٩) غيثاً دموعُ سَحابِه أبداً سِجَالُ(١٠)
شمائِلُ(١١) طاب مَغْرِسُها فَطَابت كما هبَّتْ عَلَى الرَّوضِ الشَّمالُ(١٢)

وقال من قصيدة يمدح بها زعيم الدين أبا الحسن ويهنئه بالمهرجان :

هل عند هــذا الطَّلَلِ الماحل من جَلَدٍ يُجْدِى على سائِلِ(١٣)
أصمُّ ! بل يسـمَعُ ! لـكنَّه من البِـــلَى فى شُغل شاغِلِ(١٤)
وقفتُ فيــه شَبَحًا مَاثِلاً مُرْتَفِدًا من شَبَحٍ ماثل :(١٥)
ولا تَرى أعجبَ من ناحلٍ يشــكو ضَنَا الجسم إلى ناحِلِ(١٦)

---

(١) رفعوا نسبك إليهم
(٢) الأسد
(٣) ابن الأسد :
(٤) ساوتها .
(٥) ثقل .
(٦) تتباعد وتتجافى .
(٧) السيوف ، جمع نصل .
(٨) أبصر .
(٩) لمعت ، يريد : ظهرت صغيراً :
(١٠) فائضة .
(١١) أخلاق .
(١٢) الريح التى تهب من ناحية القطب .
(١٣) الماحل : الجدب المقفر .
(١٤) البلى : القدم والرثاثة .
(١٥) مرتفداً : أى طالبا للرفد ، وهو العطاء ، والمراد به هنا إفادته بأخبار أحبته .
(١٦) الناحل : السقيم الهزيل .

لهفَكَ يا دارُ ! وَلَهْفي عَلَى قطينـك المحتمـل الزائل ![1]
قلبي للأحزان بَعْدَ النَّوى ، وأنتِ للسافي وللنّاخل[2]
مثلُكِ في السُقْم ، ولي فَضلةٌ بالعقل ، والبلْوَى على العاقل
يا أهلَ نَعْمَانَ اسمعُوا دَعوةً إنْ أسمعتكمْ من لِوَى عاقل[3]
هل زَوْرَةٌ تُمتِعُنا منكمُ وَهْناً بميعاد الكرى الباطِل ؟[4]
أم هل لجسمٍ قاطِنٍ أن يَرى عودة قلب معكم رَاحِلِ

٣ — أبو سعد الكاتب[5]

قال في الشوق إلى بغداد :

فدَى لكِ يا بغدادُ كلُّ مَدينةٍ مِنَ الأَرض حتَّى خِطّتي ودياريا
فقد سرتُ في شَرْقِ البلاد وغَرْبِها وطوَّفْتُ خَيْلِي بَيْنَها وركابيا
فلم أر فيها مثلَ بَغدادَ منزلاً ولم أر فيها مثلَ دجلةَ واديا
ولا مثل أهليها أَرقَّ شمَائلًا وأعذبَ ألفاظاً وأحلَى معانيا
وكم قائل لو كان ودُّك صادقا لبغداد لم ترحل . فكان جوابيا :
(يُقيمُ الرجالُ الموسرون بأَرضهمْ وترمي النَّوى بالمقترينَ المَراميا)[6]

(١) القطين : أى من كان مقيما . والمحتمل : الذى حمل رحله وانتقل .
(٢) يريد بالسافى والناخل : الريح .
(٣) نعمان : مكان . وكذلك : لوى عاقل .
(٤) الوهن : نحو نصف الليل .
(٥) هو أبو سعد الكاتب على بن محمد أحد كتاب بنى بويه ، توفى سنة ٤١٤ هـ .
(٦) المقتر : المحتاج . والمرامى المطارح البعيدة . وهذا البيت لشاعر قديم .

٤ — ابن لنكك [1]

قال فى الهجاء :

وعُصْبَةٍ لمّا توَسَّطْتُهم صارَتْ عَلَيَّ الأرضُ كالخاتَمِ
كأنَّهُمْ من سُوءِ أفهامِهِم لَمْ يخرجوا بَعْدُ إلى العالَمِ
يَضْحَكُ إبليسُ إذا رَاءَهُمْ لأَنَّهُمْ عارٌ على آدَمِ [2]

٥ — التنوخى [3]

قال يصف الليل والنجوم :

رُبَّ لَيْلٍ قطعتُهُ كصدودٍ وفِراقٍ ما كان فيه وَداعُ
مُوحشٍ كالثَّقيلِ تَقْذَى به العَيْنُ ، وَتأْبَى حديثَه الأسماعُ
وكأَنَّ النجومَ بين دُجَاهُ سُنَنٌ لاحَ بَيْنَهُن ابتِداع
وكأنَّ السماءَ خَيمةُ وَشْى وكأنَّ الجوْزاءَ فيها شراع
كانَ لَيْلاً فَصَيَّرْته نَهاراً كُتُبٌ تَكتبتُ العدَا ورقَاع

وقال أيضاً فى هذا المعنى :

وليلة مُشتاقٍ كأَنَّ نجومَها قد اغتصبتْ عَيْنَ الكَرَى، وهى نُوَّم
كأَنَّ عُيونَ السَّاهِرِينَ لِطُولِها إذا شَخَصتْ للأنجم الزُّهْرِ أَنْجُمُ
كأنَّ سَوَادَ الليل — والفَجْرُ ضاحكٌ يلوح ويخفَى — أسودٌ يتبَسَّمُ

---

(١) هو أبو الحسن محمد الشهير بابن لنكك شاعر البصرة وأهجى أهل زمانه بالمقطعات

(٢) راءهم : رآهم .

(٣) هو القاضى التنوخى أبو القاسم على بن محمد أحد قضاة بنى بويه ونديم الوزير المهلبى

وقال فى وصف رسالة :

وافَى كتابُك مثلَما وافَى بمفقودٍ بَشير
وكأنه الإقبال جا ءَ أو الشفاء أو النشُور
وكأنه شَرْخ[١] الشبا ب وعيشُه الغَضُّ النضير
وافى وعيرُ[٢] الليل وا قفةَ الركائب لا تسير
فأضاء لى من كُل فـ جٍّ[٣] منه فجرٌ مستنير
وارتدَّ طَرفُ الدَّهر عَنْـ ـنِى وهو مطروفٌ[٤] حسير[٥]
ورأيت أفلاكَ السرو ر بكل ما أهوى تدُور
وَفَضَضْتهُ فكأنه أثواب وَشْىٍ[٦] أو حَبير[٧]
وكأنَّهُ ليْلٌ يَلُو حُ خلاَلُه صُبحٌ مُنير

٦ — الدينورى[٨]

قال يشكو ولده :

ربَّيتُهُ وهْوَ فرْخٌ لا نهوضَ لَهُ ولا شَكيرٌ ولا ريشٌ يُواريهِ[٩]
حتى إذَا ارتاش، واشْتدَّتْ قوادمُه وقد رأَى أَنَّه آتت خوافيه[١٠]
مدَّ الجناحَيْن مَدًّا ، ثم هزَّهما وطار عَنِّ ، فقَلْبى فيه ما فيه

---

(١) أول . (٢) قافلة .
(٣) طريق . (٤) طرفت العين : أصيبت بشىء ، فهى تدمع .
(٥) كليل . (٦) نوع من الثياب منقوش .
(٧) ثياب يمنية .
(٨) هو أبو القاسم الدينورى عبد الله بن عبد الرحمن أحد رؤساء الأدباء ورءوس الكتاب بخراسان . (٩) الشكير : الريش أول ما ينبت ، أو الزغب .
(١٠) ارتاش : تمكن من النهوض . والقوادم : كبار الريش فى مقدم الجناح . والخوافى : صغار الريش ، وهى التى تختفى تحت القوادم .

وقال أيضاً فى شكْوى الكبرَ :

عشتُ من الدهر مَا كفَانِى   ومرّ ما مرّ من زمانى
وقد حَنَتْنِى وقوّستْنى   تسعٌ وتسعون وأثنتان
وقد سئمت الحياةَ ممَّا   أَلْقَى من الذّل والهوان
ومِن أَخٍ كُنتُ أرتجيه   لحادث الدَّهر قَدْ قلانى(١)
ومِن غُلام إذا يُنادَى   تَصامَ النَّذْلُ وهو دانى(٢)
مُدمْدِمٌ لا أراهُ إلَّا   مُقطَّبَ الوجه مَا رآنى(٣)

٧ — ابن المنجم(٤)

قال فى الشكوى والتوجع :

هو الدهْرُ لم تُبدِعْ علىّ صُروفُه   ولم يأت شيئاً لم أكُنْ أتخيَّله(٥)
وما رَاعَنِي المكروهُ إذ هو عادتى   لَديْه ، ولكنْ راعَ قلبى تَعَجُّلُهُ
تعجَّلَ حتى كادَ آخرُ فعله   يجىء ، ولمَّا ينْقَطعْ بعدُ أوّلُه

٨ — الضَّبى(٦)

قال يصف الليل والسهر :

رُبَّ ليلٍ سهرتُهُ   مُفَكراً فى امتداده

---

(١) قلانى : أبغضنى وكرهنى .
(٢) تصام : تصنع الصمم ، أى أغلق أذنه عن ندائى .
(٣) الدمدمة : التكلم فى غضب ، وما رآنى : كلما رآنى .
(٤) هو أبو الحسن بن المنجم من الأدباء فى الدولة البويهية .
(٥) أبدع : أنشأ وخلق ، أى لم يأت بشىء كان مجهولا . وصروفه : حوادثه .
(٦) هو أبو العباس أحمد بن إبراهيم الضبي أحد وزراء بنى بويه .

كلما زدتُ رعْيــهُ زادنى مِنْ سوادِهِ
فتبيَّنتُ أنَّــه تائــهٌ فى رقاده
أو تفــانَتْ نُجُومه فَبــدا فى حِداده

٩ — أبو الفضل الميكالى (١)

قال فى التوجع وفى شكوى الدهر :

يا دهْرُ ما أقساك يا دهْرُ لم يَحْظَ فيكَ بِطائلٍ حرُّ
أمّا اللئام فأنت صاحبُهمْ ولَهُمْ عليكَ العَطفُ والنّصْرُ
يَبْقَى اللئيمُ مَدَى الحياة فلا يرتاعُ منه لِحادث صَدْرُ
تصفو له الدنيا بِلا كَدرٍ ويُطيعُه فى عيْشِه اليُسرُ
فرامُهُ سهلٌ ، وكوكبُهُ سعْدٌ ، وغُصْنُ سُروره نَضْر
وعَلَى الــكريم يدٌ يُسَلِّطُها منكَ الجفاء المُرُّ والقَسْر
إنْ نابَ خطْبٌ فهو عُرضَتُهُ يَفْرِيهِ منه النَّابُ والظفْرْ (٢)
أو يبغِ معْروفاً لديك غَدا يُنْحى عليه حادثٌ نُــكْر (٣)
مرْعَاهُ جدْبٌ ، والحظوظُ له حرْبٌ ، وجانِبُ عيْشِه وَعْر

---

(١) هو أبو الفضل عبيد الله الميكالى بقية آل الميكال أمراء فارس .
(٢) عرضته : هدفه ، ومرمى ضرباته .
(٣) الحادث النكر : الشديد الذى ينكر لفظاعته .

وجناهُ شَوْكٌ ، والبُحورُ لَهُ وَشَلٌ ، وَحَشْوُ فُؤاده جَمْرُ(١)
يا دَهْرُ دَعْ ظُلْمَ الكرامِ فَهُمْ عِقْدٌ لِنَحْرِك لَوْ دَرَى النَّحْرُ(٢)
سالِمْهُمُ واستَبْقِ وُدَّهُمُ فهُمُ نجومُ ظلامِك الزُّهْرُ

وقال فى وصف النرجس :

أهلًا بنرجِسِ رَوْضٍ يزْهى بحُسنٍ وطِيبِ
يرنُو بعينِ غزالٍ على قضيبٍ رطيب
وفيه معْنًى خفِىٌّ يَزِينُه فى القلوبِ
تصحيفه إن نسقتَ الْ حُروفَ بِرٌّ حبيب(٣)

١٠ — الأبيوردى(٤)

قال فى الشكوى :

قالوا : هجرتَ الشعرَ قُلتُ : ضَرورة بابُ البواعث والدواعى مُغْلَق
خلَت البلادُ ، فلا كريمٌ يُرْتَجى منه النوالُ ، ولا مَليحٌ يُعشَق
ومن العجائب أنه لا يُشْتَرى ومع الكساد يُخانُ فيه ويُسرق

---

(١) الوشل : الماء القليل .
(٢) النحر : موضع القلادة من الصدر .
(٣) التصحيف : التحريف والغلط فى قراءة الحروف ، أى أن لفظ « نرجس » لوقرىء مصحفاً ولم يكن منقوطاً لكان : بر حبيب : أى عودته وعطفه .
(٤) هو أبو المظفر محمد بن أحمد الأبيوردى الأموى الشاعر المشهور . ولد بأبيورد من بلاد خراسان ومات بأصبهان سنة ٥٥٧ ﻫ .

وقال أيضاً يستحث على اقتفاء الآباء الكرام :

بِأَبى — و إن عظم الفداء — فتًى ، للهمّ فى جَنْبَيْـه مُعْـتَرَكُ
نَـبَّهْتُه والليـلُ مُعتكِرٌ ونجومُه فى الأفق تَشْتَبِكُ (١)
ومَشَى على كَسَلٍ ، فَقُلْتُ له عَثَرَتْ بك الوَخّادَةُ الرُّمَكُ (٢)
أَرَضيت أمراً لا يزالُ به فى الذلِّ عِرْضُ أخيك يُنْتَهكُ ؟
والدهرُ يَرْمى بالخطوب ، وفى غُلوائها الأيّامُ تنهمكُ (٣)
ما نحنُ من سُوَقٍ فنشبِهَهُمْ لم يُنْمِنا إلا أبٌ مَلِكُ
فانظر إلى الأجداد كيف سعوا للمَكْرُمات وأيَّةً سلكوا (٤)
هلاّ أخذت بهديهمْ ! فهمُ تركوا العُلا لك فارغَ ما تَرَكوا
واطلب مداهمْ ، إنهم نفرٌ عاشوا بذكرهمُ ، وقد هلكوا
وإذا عجزت ولم تنل به فالعجزُ بعد طِلابه دَرَكُ (٥)

١١ — الطُّغْرائى (٦)

وقال مؤيد الدين الطغرائى يصف الغدير :

عُجْنا إلى الجِزْع الذى مدَّ فى أرجائه الغَيْمُ بِساطَ الزَّهَرْ (٧)
حَوْلَ غَـديرٍ ماؤُه المنتمِى إلى بنَات المُـزْن يشكو الخَصَرْ (٨)

(١) اعتكر الليل : اشتد ظلامه .
(٢) الرمك : اسم جمع لرمكة ، وهى الفرس . والوخادة : السريعة الجرى .
(٣) غلواء الخطوب : شدتها وصولتها .
(٤) السوق : جمع سوقة . وهم الرعية ، أى ما دون الملك .
(٥) الدرك : بلوغ القصد . أى أنك إذا بذلت الجهد سعيا إلى شىء فلم تصبه ، فكأنك أصبته لأن على المرء أن يسعى .
(٦) هو مؤيد الدين الأستاذ العميد فخر الكتاب آخر فحول المشرق فى الشعر . ومن شعره لامية العجم المشهورة ، وله ديوان مطبوع قتل فى فتنة سياسية سنة ٥١٣ هـ .
(٧) عجنا : ملنا ، والجزع : المتسع المنبت من الوادى أو وسطه ذو الأشجار والنبات .
(٨) المزن : السحاب ، والمراد بالبنات مطرها . والخصر : البرودة فى الماء .

لو لاذت الريحُ سَمُوما به لانقلبتْ وهْى نَسِيمُ السَّحر[1]
حَصباؤه دُرٌّ ورَضراضُهُ سُحَالَةُ العسْجد حوْل الدُّرَر[2]
وقد كستْه الريحُ من نَسجها درْعًا بها يَلقَى نِبالَ المطَر[3]
وألبستْه الشمسُ من صبْغها نُوراً به يخطفُ نورَ البَصَر
كأنَّهُ المرآة مجْلُوّةً على بساطٍ أخْضَرٍ قد نُشرْ

وله فى الأعداء والحساد :

جاملْ عَدُوّك ما استطعت فإنه بالرِّفْق يُطْمعُ فى صلاح الفاسدِ
واحذرْ حَسودكَ ما استطعتَ ، فإنَّه إن نمْت عنه فليس عنكَ براقد
إن الحسودَ وإن أراكَ تَوَدُّداً منْهُ أضرُّ مَن العَدُوِّ الحاقد
ولرُبَّما رضِى العدُوُّ إذا رأى منكَ الجميلَ فَصارَ غَيْرَ مُعاند
ورضا الحَسُود زوالُ نِعمتك التى أُوتيتَها من طارفٍ أو تالد[4]
فاصْبرْ على غيْظ الحسود فنَارُهُ ترْمى حشاهُ بالعذاب الخالد
أو ما رأيت النار تأكُلُ نفْسَها حتى تَعُودَ إلى الرَّماد الهامدِ
تضْفُو على المحسود نعمةُ ربِّه ويذُوبُ من كمدٍ فُؤَادُ الحاسد

---

(١) لاذت الريح به : التجأت ومالت إليه . أى أنه لنداه وطيب جوه لوجاءنه ريح سموم حارة لبردت وأشبهت نسيم السحر .

(٢) الحصباء : الحصى والرضراض : صغار الحصى . والعسجد : الذهب وسحاله : برادته .

(٣) الدرع : قميص من زرد الحديد يلبس وقاية من سلاح العدو . والنبال : جمع نبل : وهو السهم .

(٤) الطارف : الجديد المستحدث ، والتالد : القديم المأثور ..

ومن لاميته المشهورة فى الحكم :

حُبُّ السلامة يثنى هَمَّ[1] صاحبه ... عن المعالى ويغرى[2] المرء بالكسل
فإن جنحت إليه فاتخذ نفقاً ... فى الأرض أو سُلماً فى الجو فاعتزل
ودع غِمار[3] العلا للمقدمين على ... ركوبها واقتنع منهن بالبَلَل
رِضا الذليلِ بخفض العيش مسكنة ... والعز عند رسيم[4] الأينق الذلل
إن العلا حدثتنى — وهى صادقة ... فيما تحدث — أن العزّ فى النُّقَلِ[5]
لو أن فى شرف المأوى بلوغ منًى ... لم تبرح الشمسُ يوماً دارة الحَمَل[6]

وقال يرثى مؤيّد الملك وقد مات مقتولا و بقى بالعراء عدة أيام بغير دفن :

ما بَعْد يومك للحزين الموجع ... غيرُ العويلِ[7] وأنّة[8] المتفجع[9]
يوم أُصيب الدين فيه وعطلت ... أحكامه ، فكأنها لم تشرع
ومضى الذى كنا نروع[10] بذكره ... نُوَب[11] الزمان ، فماله من مَرْجِع
من ذا رأى الأسد المدلّ[12] بيأسه ... شلوًا[13] طريحا بالعراء[14] البلقع[15]
أعززْ[16] عَلَيّ بأن أسرح ناظرى ... فى مجمع وسواك صدرُ المجمع
لهفى[17] عليك لمستجيرٍ يبتغى ... وَزراً[18] لديك وماله من مفزع

---

(١) عزم . (٢) يولع . (٣) جمع غمرة وهو الماء الكثير .
(٤) سير . (٥) جمع نقلة بمعنى الانتقال . (٦) أحد بروج الشمس .
(٧) رفع الصوت بالبكاء . (٨) التأوه من الوجع . (٩) المتوجع للمصيبة .
(١٠) نخيف . (١١) مصائب . (١٢) المتكبر .
(١٣) الشلو هنا : بقية البدن . (١٤) الفضاء . (١٥) الأرض القفر .
(١٦) أعزز : فعل تعجب أتى على صورة الأمر ، أى ما أعزه !
(١٧) حسرتى . (١٨) ملجأ .

جَمَحَتْ(١) بك الهمم التى لا تنثنى عما ترومُ من المرام الأمنع(٢)
ووقفتَ حيثُ السيفُ يرعدُ متنهُ لم ترتعد فرَقاً(٣) ولم تتخشع
فى موقفٍ بين الصوارم والقنا ضَنْكٍ(٤) ويومٍ للكريهة أشنع
ضاقت بِكَ الدنيا فعفت جوارَها ونزعت نحو الخلد أكرم مَنزِع
كل إلى أمدٍ يصيرُ ، فمُقْعَص(٥) بالسيف أروَح من مرِيضٍ مَوجَع

وقال يرثى زوجته :

ولم أنسها ، والموتُ يقبض كفَّها ويَبْسُطُها ، والعينُ تَرْنُو وتُطرق
وقد دَمَعَتْ أجفانُها فوقَ خَدها جنى نَرْجسٍ فيه النَّدى يَتَرَقْرَقُ
وحلّ من المقْدور ما كنت أتقى وحُمَّ من المحذور ما كنتُ أفرَق(٦)
وقيلَ : فراقٌ لا تلَاقى بعده ! ولا زاد إلا حسرةٌ وتحرُّقُ
فلو أنّ نفساً قبل مَحْتُومِ يومها قضتْ حَسَراتٍ كانت الروح تَزْهَق(٧)
هلالٌ ثوَى منْ قبل أن تمَّ نُورُهُ وغُصْنٌ ذوى فَيْنانُهُ وهوَ مُورق(٨)
فوَاعَجبَا أنَّى أُحِمَّ اجتماعُنا ؟ ويا حسرتى من أين حلَّ التفرُّقُ ؟(٩)

وله فى أعدائه :

نَكَرُوا عَلَىَّ معايِبى لحذرتُهَا ونفَيْتُ عن أخْلاقىَ الأقذاءَ(١٠)
ولربما انتفَع الفتَى بعدُوّه والسمُّ أحياناً يكونُ شِفاءَ

---

(١) أشرعت . (٢) الصعب على مريده وطالبه . (٣) خوفا . (٤) ضيق .
(٥) المقعص : الميت من ضربة أو رمية . (٦) حم الأمر : قضى ووقع وأفرق : أخشى
(٧) المحتوم : الذى لا مفر منه . يريد أنه لو أن امرأ تقضى عليه حسرته قبل انقضاء أجله زهقت روحه من طول ما يتحسر ويحزن لمصابه . (٨) الفينان هنا : الكثير الأهداب والورق . (٩) أحم : قدر . يتعجب من اجتماعهما الذى آل إلى فراق ، ويتحسر لهذه الفرقة التى ليس بعدها لقاء . (١٠) الأقذاء : جمع قذى ، وهو ما يقع فى العين من غبار أو غيره من صغار الأشياء ، فيؤذيها ، يريد ما يشوب الأخلاق من الصغائر ومايذم .

١٢ — السَّهْرَوَرْدِيّ(١)

قال فى الفلسفة والتصوف :

قُلْ لأصحابٍ رأوْنِي ميِّتًا   فبكَوْنِي إذْ رأوْنِي : حَزَنا
لا تظنُّـــونى بأنّى ميِّتٌ   ليس ذَاكَ الميتُ واللهِ أنا
أنا عُصفورٌ ، وهــذا قفصى   طِرْتُ عنــهُ ، فتخَلَّى رَهَنَا(٢)
فَاخْلَعُوا الأَنْفُسَ عن أجسادها   فَتَرَوْنَ الحقَّ حقًّا بيِّنـا
لا تَرُعْكُمْ سكْرةُ الموْت فما   هى إلا بانتقال من هُنا

١٣ — الرفاعى(٣)

من قوله فى العشق الصوفى :

إذا جنّ ليلى هام قلبى بذكركم   أنوحُ كما ناح الحمامُ المطوّقُ
وفَوْقى سحابٌ يمطرُ الهمَّ والأسَى   وتحتِى بحِارٌ بالأسَى تَتَدفّق
سَلُوا أمَّ عَمْرٍو كيفَ باتَ أسيرُها   تُفَكُّ الاسَارَى دونَه وهْو مُوثَق ؟
فلا هو مقتولٌ ، ففى القتل راحةٌ   ولا هُو ممنونٌ عليه فَيُطْلَقُ

---

(١) هو شهاب الدين عمر السهروردى ، وهذه الأبيات قالها وهو يجود بنفسه لما قتل سنة ٥٨٦ هـ بقلعة حلب ، قتله صلاح الدين لتوهمه أنه يفتن ابنه بالكفر .

(٢) الرهن ما وضع عندك لينوب مناب ما أخذ منك ، أى : خليت القفص نائبا منابى .

(٣) هو أبو العباس أحمد الرفاعى صاحب الطريقة الرفاعية الصوفية ، المتوفى بقرية أم عبيدة ببطاح البصرة سنة ٥٧٨ هـ .

١٤ — السرىّ الرّفّاء [١]

قال يصف مجلساً اتخذه الحسن بن محمد المهلّبى وزير معز الدولة ذات ليلة على برك وفوارات رُكزت حولها رماح علّق عليها شمع فكوّن ذلك منظراً حسناً :

فضلت ليالى القَصف[٢] ليلتُك التى — هى فى المحاسن غادةٌ حسناء
رقت غياهبها[٣] فهن غلائِل[٤] — وسجت[٥] جنائبها[٦] فهن رخاء
بِرَكٌ تحلّت بالكواكب أرضُها — فارتدَّ وجهُ الأرض وهْو سَماء
رُفِعت إلى الجوْزاء[٧] فوّاراتها — عُمُدا تصاب بصوبها[٨] الجوزاء
مِثلَ القَنا[٩] الخطِّىِّ[١٠] قُوِّم مَيْلُه — وَجَرَتْ عليه الفضّةُ البيضاء
حتى إذا انتشرت جلابيب الدُّجى — وتكلفت من دونها الظَّلْماء
فَرّجْنَها بصحائحٍ إن تَعْتَللْ — فلهنَّ من ضرْب الرِّقاب شِفاء
شَمَعًا حَمَلتَ على الرِّماح رماحَه — فقُدودُهن[١١] وما حَمَلنَ سَواء

(١) هو أبو الحسن السرى بن أحمد الكندى شاعر وصاف مدّاح نشأ بالموصل ، وكان يتكسب فى صباه برفو الثياب وتطريزها ، ثم نظم الشعر فأجاده ، وقصد سيف الدولة بحلب ، فأقام معه حتى مات سيف الدولة ، ثم قصد بغداد ، فمدح رؤساءها ، ومات بها سنة ٣٦٦ هجرية .

(٢) فضلت : امتازت وفاقت . والقصف : اللهو .

(٣) جمع غيهب : الظلمة .

(٤) جمع غلالة : شعار يلبس على الجسد تحت الثياب .

(٥) سكنت .

(٦) جمع جنوب ، وهى ريح حارة .

(٧) نجم .

(٨) الصوب : المطر . يريد مايتصعد من ماءالفوارات .

(٩) الرماح .

(١٠) نسبة إلى الخط وهى بلد بالبحرين تصنع بها الرماح .

(١١) قاماتهن .

وقال يصف الروض والجوّ فى يوم ظهر فيه قوس قَزَح :

وصاحب يقدح لى ... نار السرور بالقدح[1]

فى روضة قد لبست ... من لؤلؤ الطَّلِّ سُبَح[2]

يالغنا[3] حَمامها ... مُغْتبقاً[4] ومصطَبح[5]

أوقظه بالعزف[6] أو ... يوقظُنى إذا صدح[7]

والجو فى مُمَسَّك[8] ... طرازه[9] «قوس قزح»[10]

يبكى بلا حُزْن كما ... يضحك من غير فرح

وقال يعاتب صديقاً أفشى له سراً :

رأيتك تبدى للصديق نوافذاً ... عدوُّك منْ أمثالِها الدهرَ آمن

وتكشف أسرار الأخلاء مازحاً ... ويارُبَّ مزْحٍ راح وهو ضَغَائن

سأحفظ ما بينى و بينك صائناً ... عهودك إن الحُرَّ للعهد صائنُ

وألقاك بالبِشر الجميل مداهناً[11] ... فلى منك خلٌّ — ماعرفتُ — مُداهنُ

أنم[12] بما استُودعتَه من زُجاجة ... ترى الشيء فيها ظاهراً وهو باطن

---

(١) إناء يشرب فيه الخمر .

(٢) جمع سبحة وهى خرزات يسبح بها .

(٣) قوله : يالغنا حمامها ! : يعجب من غناء حمامها وحسن صوته .

(٤) وقت اغتباق الخمر ، أى شربها مساء

(٥) وقت اصطباح الخمر ، أى شربها صباحا .

(٦) الغناء .

(٧) غنى .

(٨) مطيب بالمسك .

(٩) وشيه .

(١٠) « قوس قزح » : طرائق منقوشة تبدو فى السماء عقب المطر بحمرة وصفرة وخضرة وغيرها من الألوان .

(١١) المداهن : الذى يظهر خلاف مايضمر .

(١٢) أنم : أفعل تفضيل من : نم ، أى أفشى .

١٥ — الجرجانى (١)

قال يمدح الوحدة ، ويذم مخالطة الناس :

ما تطعَّمْتُ لذّة العيش حتَّى ... صرتُ للبيت والكتاب جليسا
ليس شىء أعزَّ عندى من العلْـ ... ـم ، فما أبتغى سواه أنيسا
إنّما الذُّلُّ فى مُخالطة النا ... س فدعْهُمْ ، وعِشْ عزيزاً رئيسا

١٦ — الصابى ء(٢)

قال يهجو :

يا جامعًا لِخِلالٍ ... قبيحةٍ ليس تُحصَى
نقصْتَ من كلِّ فضلٍ ... فقد تكاملت نقْصا
لوْ أنَّ للجهل شخصًا ... لكُنت للجهل شخْصا

١٧ — الصاحب بن عباد (٣)

قال يذم الشماتة :

وكم شامتٍ بعد موْتِىَ جاهلا ... يظلُّ يسُلُّ السَّيف بعْد وَفاتى
ولو علِم المسكِينُ ماذا يَنالُه ... منَ الظُّلْم بعدى مات قبل مَماتى

---

(١) هو القاضى على بن عبد العزيز الجرجانى المتوفى سنة ٣٦٦ ، وهو صاحب كتاب « الوساطة بين المتنبي وخصومه » .

(٢) هو أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابئ الحرانى ، كان صابئاً على دين فلاسفة القدماء من اليونان ، وكان جميل العشرة للمسلمين ، وتكسب فى الكتابة فى دواوين بغداد ؛ وكان رئيس الكتاب بها . وصدرت عنه نفائس الرسائل وله شعر جميل ، ومات سنة ٣٧٤هـ .

(٣) هو الصاحب إسماعيل بن عباد ، كاتب المشرق ، ووزير آل بويه . توفى سنة ٣٨٥هـ.

١٨ — الْخُوَارَزْمى (١)

قال يوصى بتخير الأصدقاء :

لا تصحب الكسلان فى حاجاتِهِ   كَمْ صالحٍ بفساد آخر يفسُدُ
عدْوَى البليد إلى الجليد (٣) سريعةٌ   والجمْرُ يُوضعُ فى الرَّماد فيخمُدُ

١٩ — ابن نباتة السعدى (٢)

قال يصف فرساً أدهم أغرَّ مُحجَّلًا حمله عليه سيفُ الدولة :

يأَيُّها الملكُ الذى أخلاقُه   من خلْقه ورُوَاؤُه (٤) من رائه (٥)
قد جاءنا الطِّرْفُ (٦) الذى أهديْتَهُ   هاديه (٧) يعقد أرضَه بسمائه
أولايَةً ولَّيْتَنَا ؟ فبعثته   رُمْحًا سَبِيبُ (٨) العُرف عقد لوائِهِ (٩)
نختالُ منهُ عَلَى أغرَّ مُحجَّلٍ   ماء الدَّياجى قطْرةٌ منْ مائه
فكأَنَّما لَطَمَ الصَّباحُ جبينَه   فاقتصَّ منهُ فَخَاض فى أحْشائه
متمهِّلا ، والبرقُ من أسمائِهِ   متبرقعاً ، والحُسْنُ من أكفائه
لا تَعْلَقُ الأَلحاظُ فى أعطافه   إلا إذا كَفْكَفْتَ من غُلَوَائه (١٠)

---

(١) هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمى الكاتب الشاعر اللغوى الأديب المؤلف الرحالة المدرس المتوفى سنة ٣٨٣ هـ .

(٢) الجليد : القوى ، يريد الهمام .

(٣) هو أبو نصر عبد العزيز بن محمد بن نباتة السعدى التميمى أحد فحول الشعراء . توفى سنة ٤٠٥ هـ ببغداد .

(٤) حسن المنظر .

(٥) مصدر راء التى هى مقلوب رأى .

(٦) الكريم من الخيل .

(٧) عنقه .   (٨) شعر العرف .   (٩) شعر عنق الفرس .

(١٠) كفكف : صرف ومنع ، والغلواء : يريد السرعة ، أى لا تراه الأعين إلا إذا منعه راكبه من سرعة جريانه ، وخفف من شدة عدوه .

قال يعزى صمصام الدولة فى أبيه :

رأيْتُ الدَّهر يا صَمْصَام أدنى   فضائله التَّكرُّمُ والحياء
فخذ بنصيبك الموفور منه   وخلِّ الحزن يألفُهُ النِّساء
عَلَى عاداتها جرت اللّيالى   فلا بُؤْس يدومُ ولا رخاء
تعزَّ فَقَبْلَ يوم أبيك غالَتْ   غوائلُها[1] الملوكَ ولا سواء[2]
وكنت إذا السيوفُ نبَتْ وكلّت   مضَيْت ، ومن سجيّتِكَ المضاء
فإن يَكُ قد طَوَتهُ يدُ اللّيالى   فإنَّ الصُّبْح يطويه المساء

٢٠ — البُسْتى[4]

قال يغرى بالكرم :

بين من يُعطى ومن يَأْ   خُذُ فى التقْديرِ عَرْضُ[5]
فَيَدُ المُعْطى سماءٌ   ويدُ الآخذ أرضُ
وعلى الآخذ أن يشْ   كُرَ ، إنّ الشُّكْرَ فرْضُ

وقال أيضاً فى المداولة بين الراحة والتعب :

أفِدْ طبعك المكدود بالهم راحةً   يجمُّ[6] وعلّلْهُ بشىء من المزْحِ
ولكن إذا أعطيتَهُ ذاك فليكُنْ   بمقدار ما تُعطى الطعامَ من الملحِ

---

(١) مصائبها ، والضمير للدنيا .

(٢) السواء : المماثلة ، أى ولا أقول إن الملوك يماثلون أباك فى الشرف والمجد والمنزلة .

(٣) لم تقطع .

(٤) هو أبو الفتح البستى على بن محمد الكاتب الشاعر ، أحد المولعين بالتجنيس ، وأحد رؤساء الكتاب فى الدولة الغزنوية ، والمتوفى سنة ٤٠٠ هـ .

(٥) يريد بالعرض : البعد والبون .

(٦) يجم : يستريح ، وترجع إليه قوته ونشاطه .

وقال فى جواب كتاب :

لما أتانى كتابٌ منك مُبتسمٌ عن كل برٍّ وفضل غير محدودِ
حكتْ معانيه فى أثناء أسطره آثارك البيض فى أحوالى السودِ

وقال أيضاً فى هذا الغرض :

ما إن سمعتُ بنوَّارٍ لَهُ ثمرٌ فى الوقت يُمتعُ سمعَ المرْء والبصرا(١)
حتى أتانى كتابٌ منك مبتسمٌ عن كلّ لفظ ومعنًى يُشبه الدررا
وكان لفظُك من لألائه زهراً ، وكان معناهُ فى أثنائه ثمرا
تسابقَا ، فأصابا القصد فى طلق لله منْ ثمرٍ قد سابق الزَّهرا(٢)

٢١ — الناشىء الأصغر(٣)

قال فى معاملة الصديق :

إنى ليهْجُرنى الصَّديقُ تجنِّياً فأُريه أنّ لهجْره أسْباباً
وأخافُ إن عاتبتهُ أغريْتهُ فأرى لَهُ ترك العتاب عتابا
وإذا بُليتُ بجاهلٍ مُتعاقلٍ يدعُو المُحال من الامور صوابا
أوليتهُ منِّى السكوت ، وربما كان السكوتُ عن الجواب جوابا

---

(١) النوار : الأبيض من الزهر .
(٢) الطلق : الشوط فى الجرى ، أى فى شوط واحد .
(٣) هو أبو الحسن على بن عبد الله المعروف بالناشىء الأصغر ، والشاعر البليغ المتوفى سنة ٣٦٦ هـ .

٢٢ — الأبهرى [1]

قال فى الحكم :

متى ترغب إلى النـاس   تـكنْ للناس مَمْـلوكا
وإن أنت تخففّتَ   على النـاس أحبُّوكا
وإن ثقّلْتَ عافوك   وملُّوك وسـبُّوكا [2]
إذا ما شئت أن تُعْصى   فمُرْ من ليس يرْجوكا
وسل من ليس يخشاكَ   فيَدمى عنـدها فُوكا

٢٣ — صردر [4]

قال يصف كتيبة [5] :

وفوارسٍ يصْلَون نِيران الوغَى   ممـا تثير جيادُهم بدُخان
جنبُوا [6] إلى الأعداء كل طِمرّةٍ [7]   بُنيتْ مفاصلُهـا عَلَى شَيْطان
طلعُوا طُلوع الشّمس يغمرُ ضوؤها   هام [8] الرُّبا ومغابن [9] الغيطان
فى كل معتركٍ تجيل كُمَاتُهم   قدْحاً يفوزُ إذا التقَى الجمعان

(١) هو أبو الحسن على بن مأمون الأبهرى ، أحد شعراء الجبل وطبرستان .
(٢) عافوك : كرهوك ورغبوا عنك .
(٣) يدمى : يسيل دمه . أى يلقاك من رد سؤالك بما يكون لفمك كالجرح الدامى .
(٤) هو على بن الحسن ، أحد الشعراء المشهورين ، جمع جودة السبك وحسن المعنى . توفى سنة ٤٦٥ ﻫ بطريق خراسان .
(٥) الكتيبة : الجماعة من الخيل ، تكون للاغارة والغزو .
(٦) قادوا .
(٧) الفرس الجواد .
(٨) رءوس .
(٩) ما استتر من الأرض .

فاسألْ جبالَ الرُّوم لما طوَّقُوا أعناقَهُمْ من جمعهمْ برعان[١]
تركوا المعاركَ كالمناحر[٢] من منى[٣] وجماجم[٤] الأعداء كالقُرْبان
فكأنما فرش النَّجيع[٥] تلاعها[٦] ووهادها[٧] بشقائق النُّعمان[٨]

وقال يستهدى مداداً و يصف الدواة والقرطاس والقلم :

إليك أشكو مشيباً لاح بارقُهُ في فرع دهْماء[٩] تجرى بالأساطير
كانت مفارقُها مسْكاً مضمَّخةً فما لها بُدِّلت منْهُ بكافُور[١٠]
ومُقْلَةً عُهدتْ كحلاء مرَّهها[١١] طُول البُكاء عَلَى بيض الطّوامير[١٢]
يا حبذا هى والأقلامُ واردةٌ فيها وصادرةٌ سُحْمٌ[١٣] المناقير

(١) جمع رعن ، وهو أنف يتقدم الجبل ، ويطلق على الجيش الذى له فضول كرعان الجبال ، وهو المراد هنا .
(٢) المذابح .
(٣) منسك من مناسك الحج .
(٤) جمع جمجمة وهى عظم الرأس المشتمل على الدماغ .
(٥) الدم .
(٦) جمع تلعة : المرتفع والمنخفض معاً من الأرض ، وأراد هنا المرتفع .
(٧) جمع وهدة وهى المنخفض من الأرض .
(٨) نبت أحمر ، واحدتها شقيقة ، سميت بذلك لحمرتها على التشبيه بشقيقة البرق ، وأضيفت إلى النعمان بن المنذر ملك الحيرة لأنه حمى أرضاً فكثرت فيها .
(٩) الدهماء : التامة السواد شبه بها الدواة لما فيها من سواد مدادها ، وأن القلم يجرى منها بالسطور .
(١٠) أى أن هذه الدواة كانت سوداء كالمسك لكثرة مدادها الأسود فأصبحت بيضاء كالكافور لذهاب مدادها .
(١١) أخلاها من الكحل .
(١٢) جمع طومار وهو الصحيفة .
(١٣) جمع أسحم وهو الأسود .

كأنما كرعت(١) فى ناظرىْ رشأٍ(٢) ... أو فى سوَيْداءَ قلب غير مسرور
تحوى القراطيسُ منها روضةً أُنُفاً(٣) ... بهـا مفاخرةُ الظّلمـاءِ للنُّور
فكيف لى بخِطابٍ(٤) تسترد به ... من الشبيبـة لوناً غَيْرَ مهجُور
لو أنَّ صبغَتَه فاز الشبـابُ بهـا ... لمـا رمَى الدهرُ فَوْديه(٥) بتَغْيير

٢٤ — السلامى(٦)

قال يصف نهراً نبتت عليه أشجار الرمان :

ونهـرٍ تمرحُ الأمواج فيـه ... مراحَ(٧) الخيل فى رهَج(٨) الغُبار
إذا اصفرَّت عليه الشمسُ خلْنَا ... نَمِيرَ(٩) المـاء يُمْزَج بالعُقار(١٠)
كأن الماء أرضٌ من لُجَيْن(١١) ... مُغَشّاةٌ صَفائح(١٢) من نُضَارِ(١٣)
وأشجارٌ محمَّـلَةٌ كؤوساً ... تَضاحَكُ(١٤) فى احْمِرارٍ واخْضرار
إذا أبصرْن فى نهْـرٍ سمـاءً ... وهبْنَ لهُ نُجوم الجُلَّنار(١٥)

---

(١) شربت .
(٢) ولد الغزال ، والمراد أنها أخذت من عينيه السواد .
(٣) جديدة ، لم يرعها أحد . (٤) ما يختضب به ، أى يصبغ به الشعر .
(٥) مثنى فود وهو جانب الرأس . يقول : لو أن سواد المداد الذى تبعث به هدية إلى يظفر بمثله الشاب لعجز الدهر عن أن يصيب الشعر الذى يصبغ به بشيب .
(٦) هو محمد بن عبد الله السلامى من أشهر شعراء العراق ، ولد ببغداد سنة ٣٣٦ هـ . وقال الشعر فى العشرين من عمره . واتصل بالصاحب بن عباد وبعضد الدولة فبلغ عندهما منزلة حسنة . وتوفى سنة ٣٩٤ هـ .
(٧) نشاط .
(٨) الرهج الغبار نفسه . فالإضافة بيانية .
(٩) الماء الناجع فى الرى . (١٠) الخمر .
(١١) فضة . (١٢) ألواح . (١٣) ذهب .
(١٤) أصله تتضاحك ، حذفت إحدى التاءين تخفيفاً . (١٥) زهر الرمان .

(ب) النثر

أولا — النثر الفنى

١ — ابن العميد[1]

من كتاب له فى التهديد واللوم :

كتابى وأنا مُترجِّحٌ بين طمَع فيك ويأسٍ منك ، وإقبالٍ عليك ، وإعراض عنك ، فإنك تُدلُّ[2] بسابق حُرمة . وتَمُتُّ بسالف[3] خدمة . أيسرُهما يُوجب رعاية ، ويَقتضى محافظة وعناية . ثم تشفَعُهما بحادث غُلول[4] وخِيانَةٍ ، وتُتْبِعُهما بآنف[5] خلاف ومعصية . وأدنى ذلك يُحبِط[6] أعمالك ، ويَسحقُ كل ما يُرعى لك ، لا جرَمَ أنى وقفتُ بين ميلٍ إليك وميل عليك ، أُقدِّمُ رجلا لِصدِّك ، وأؤخِّر أخرى عن قَصْدك ، وأَبسُطُ يداً لاصطلامك[7] واجتياحك ، وأثنى ثانية لاستبقائك واستصلاحك ، وأتوقّفُ عن امتثال[8] بعض المامور فيك . ضَنًّا بالنعمة عندك ، ومنافسةً فى الصنيعة[9] لديك ، وتأميلا لفَيْئَتِك[10] وانصرافك ، ورجاء لمراجعتك وانعطافك ، فقد يغرُبُ[11] العقل ثم يؤوب . ويَعْزُبُ اللُّبُّ

---

(١) هو الأستاذ الرئيس أبو الفضل محمد بن الحسين العميد كاتب المشرق ووزير عضد الدولة البويهى وصاحب طريقة الشعر المنثور توفى سنة ٣٦٠ هـ .

(٢) الإدلال : الانبساط وفرط الثقة بالمدل عليه .

(٣) تمت : تتوسل وتتصل .

(٤) الغلول : الخيانة .

(٥) آنف ، يريد : جديد .

(٦) ويحبط : يبطل .

(٧) الاصطلام : الاستئصال ومثله الاجتياح .

(٨) الامتثال ، يريد به الطاعة والإنفاذ .

(٩) الصنيعة : الإحسان والتكرم .

(١٠) لفيئتك : لرجوعك ، أى إلى الطاعة .

(١١) يغرب : يذهب ويغيب . ويعزب : مثل يغرب .

ثم يثوب . ويذهَبُ الحزْم ثم يعود . ويفسُد العَزْم ثم يصْلح . ويُضاع الرأى ثم يُستَدرك ، ويسكرُ المرء ثم يصحو ، ويكدُرُ الماء ثم يصفو ، وكل ضيقة إلى رخاء . وكلُّ غمْرة[١] فإلى انجلاء . وكما أنك أتيت من إساءتك بما لم تحتسبْهُ أولياؤك ، فلا بدْع أن تأتىَ من إحسانك بما لا ترتقبه أعداؤك . وكما استمرّتْ بك الغفلةُ حتى ركبْت ما ركبت ، واخترت ما اخترت ، فلا عجب أن تنتبه انتباهة تبصرُ فيها قبيح ما صنَعت ، وسوء ما آثرْت . وسأُقيم على رسمى[٢] فى الإبقاء والمماطلة ما صلُح ، وعلى الاستيفاء[٣] والمطاولة ما أمكن ، طمَعاً فى إنابتك[٤] ، وتحكيما لُحسن الظنِّ بك . فلستُ أَعْدَم فيما أظاهرُه من إعذار[٥] ، وأُرادفه من إنذار ، احتجاجاً عليك ، واستدراجا لك ، فان يشأ اللهُ يرشدْك ، ويأخذ بك إلى حظِّك ويُسدِّدْك ، فإنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير .

وكتب إلى أبى عبد الله الطبرى :

كتابى وأنا بحالٍ لَوْ لمَ يُنغِّصْ منها الشوقُ إليك ، ولم يُرنِّقْ[٦] صفوَها النزاع[٧] نحوك ، لَعددتُها من الأحوال الجميلة ، وأعددتُ حظِّى منها فى النِّعَم الجليلة ، فقد جمعتُ فيها بين سلامة عامّة ، ونعمةٍ تامّة ، وحظيتُ منها فى جسمى بصلاح ، وفى سعْيى بنجاح ، لـكنْ ما بقى أن يصفوَ لِى عيشٌ مع بُعدى عنك ، ويخلوَ ذرْعِى[٨] مع خُلُوِّى منك ، ويسوغ لى مطعَمٌ ومشربٌ مع انفرادى دونَك .

---

(١) الغمرة : التغطية بالماء كموجة البحر تغمر السابح ثم تنكشف عنه . والمراد بها هنا المرة من حدوث الشدائد والمحن والمصائب .

(٢) الرسم : أى ما رسمه لنفسه من تأجيل مؤاخذاته .

(٣) الاستيفاء : التمهل والانتظار . (٤) الإنابة : الرجوع عما هو عليه .

(٥) من عمل ينفى عذرك فى المعصية ويكفل الرضا عنك .

(٦) يرنق : يكدر . (٧) النزاع نحوك : الميل والشوق إليك .

(٨) يقال : فلان خالى الذرع : أى فارغ القلب من الهموم ، ويراد بالذرع : الطاقة وسعة النفس والخلق .

وكيف أطمَع فى ذلك وأنت جزء من نفسى ، وناظمٌ لشمْل أنسى . وقد حُرِمْت رُؤيتك ، وعَدمتُ مُشاهدتك . وهل تَسكُنُ نفسٌ مُتشعِّبةٌ ذاتُ انقسام ، وينفعُ أنسُ بيت بلا نظام . وقد قرأتُ كتابك — جعَلنى الله تعالى فداءَك فامتلأتُ سروراً بملاحظة خطِّك ، وتأمُّل تصرُّفك فى لفْظك ، وما أُقرِّظُهُما ؛ فكل خصالك مقرَّظ عندى . وما أمدحُهما ؛ فكل أمرك ممدوحٌ فى ضميرى وعقْدى[١] وأرجو أن تكون حقيقةُ أمرك مُوافقةً لتقْديرى فيك ، فإن كان كذلك[٢] وإلَّا فقد :

غطَّى هواك وما ألْقى عَلَى بصرى[٣] .

٢ — الصاحب بن عباد[٤]

رقعة منه إلى القاضى أبى بشر الفضل بن محمد الجرجانى عند وروده باب الرى وافداً عليه :

تحدّثت الرِّكابُ بسيْر أروَى إلى بلد حططْتُ به خيامى[٥]
فكدتُ أطيرُ من شوقى إليها بقادمة كقادمة الحمام[٦]

أفحقٌّ ما قيل أمرُ القادم ، أم ظنٌّ كأمانىِّ الحالم ؟ لا والله ! بل هو دركُ العيان وإنه ونيل المُنى سيّان ، فرحباً أيها القاضى براحلتك ورحْلك[٧] ! بل أهلا بك .

---

(١) العقد هنا : الاعتقاد أو العهد .

(٢) فى الكلام إيجاز حذف ، والتقدير : فإن كان كذلك فحسن .

(٣) هذا شطر بيت تمثل به الكاتب .

(٤) هو كافى الكفاة أبو القاسم إسماعيل الصاحب بن عباد ، وزير آل بويه وكاتبهم ، وأحد أعلام البلغاء والكتاب من حلبة ابن العميد فى كتابة الشعر المنثور ، توفى سنة ٣٧٥ هـ .

(٥) أروى : اسم امرأة .

(٦) القادمة : واحدة القوادم ، وهى كبار الريش التى فى مقدم الجناح .

(٧) الراحلة : ما يصلح من الإبل للرحلة والسفر : والرحل ما يستصحب فى الارتحال من الأثاث .

وبكافة أهلك ، ويا سُرعةَ ما فاح نسيمُ مسْراك ، ووجدنا ريح يوسف من رياك . فحثَّ المطىّ تُزِلْ غلَّتى بسُقْياك ، وتزحْ علَّتى بلقياك ، ونصَّ على يومِ الوُصول لنجعله عيداً مشرَّفاً ، ونتخذه موْسماً ومُعرَّفاً[1] ورُدَّ الغُـلام ، أسرع من رجْع الـكلام ، فقد أمرْتُه أن يطير على جناح نَسْر وأن يترُك الصَّبا فى عقالٍ وأسْر[2] :

سقى اللهُ دارات مررْت بأرضها فأدتك نحوى يا زياد بن عامر
أَصائلُ قُرب أَرْتجى أَن أَنالها بلُقياك قد زخْرخْن حرَّ الهواجر[3]

* * *

وله فصل من كتاب إلى ابن العميد جواباً لـكتابه إليه فى وصف البحر :

وصل كتابُ الأستاذ الرئيس صـادراً عن شط البحر بوصف ما شاهد من عجائبه ، وعاين من مراكبه ، وما رآهُ من طاعة آلاتها للرِّياح كيف أرادتْها ، واستجابة أدواتها لها متى نادتْها ، وركوب الناس أشباحها والخوفُ بمرْأى ومسْمَع ، والمنون بمرْقَبٍ ومطلع ، والدهرُ بَيْن أخذ وترْك ، والأرواحُ بَيْن نجاةٍ وهلْك ، إذا فـكَّروا فى المـكاسب الخطيرة هان عليهم الخطَر ، وإذا لاحت لهم غُرَرُ المطَالب الـكثيرة حُبب إليهمُ الغرَر[4] . وعرفتُ ما قاله من تمنِّيه كَوْنى عند ذلك بحضرته ، وحصولى على مُساعدته ، ومن رأى بحْر الأستاذ كيف يزْخَرُ بالفضل ، وتتلاطمُ فيه أمواجُ

---

(١) المعرف بصيغة اسم المفعول : موقف عرفات ، شبه به قدومه عليه .
(٢) أى يسبق فى سرعته ريح الصبا حتى كأنها فى جانبه مأسورة . أخـذ من قول امرىء القيس (قيد الأوابد هيكل) .
(٣) الأصائل : جمع أصيل ، وهو الوقت بين العصر والمغرب . والهواجر : جمع هاجرة ، وهى وقت القيظ فى وسط النهار .
(٤) الغرر : الهلاك ، يكون من تعريض المرء نفسه له .

الأدب والعلم ، لم يعتبْ على الدهر فيما يُفيته من منظر البحر . ولا فضيلة له عندى أعظمُ من إكبار الأستاذ لأخواله ، واستعظامه لأهواله ، كما لا شىء أبلغ فى مفاخره وأنفس فى جواهره ، من وصف الأستاذ له ، فإنى قرأتُ منه الماء السَّلْسال[1] لا الزلال ، والسِّحر الحرام[2] لا الحلال . وقد علم أنه كتب وما أَخْطر بفكره ، سعة صدره[3] ، فلوْ فعل ذلك لرأى البحر وشلاً[4] لا يفضُلُ عن التَّبَرُّض[5] ، وثمداً[6] لا يكْثُرُ عن الترشف[7] .

وكم من جبال جئت تشهد أنك الـ جبال ، وبحر شاهدٍ أنك البحر

٣ — الْخوارَزْمِىّ[8]

كتب إلى قاضى سجسْتان حين نـكبَهُ أميرُها :

إذا ما الدهر جرّ على أناسٍ كلاكله أناخ بآخرينا[9]
فقُلْ للشـامتين بنا : أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

---

(١) أى الـكلام المتسلسل لا الماء الحقيقى البارد وفيه تفضيل المشبه على المشبه به .

(٢) أى الحرام على غيرك ، فلا يستطيع مجاراتك فى إنشائه وقوله : (لا السحر الحلال) يريد به الإنشاء الذى فى إمكان كثير من البلغاء ممن لا يبلغون شأو ابن العميد .

(٣) أى جعل سعة صدره تخطر بباله وفـكره .

(٤) الوشل : الماء القليل .

(٥) التبرض : التبلغ بالماء القليل للضرورة .

(٦) الثمد : الماء القليل .

(٧) الترشف : الشرب قليلا قليلا والامتصاص .

(٨) هو أبو بكر محمـد بن العباس الخوارزمى الـكاتب الشاعر اللغوى الأديب المؤلف الرحالة المدرس المتوفى سنة ٣٨٣ هـ .

(٩) الـكلاكل . جمع كلـكل . وهو الصدر ، أى إذا برك الدهر على قوم بصدر أناخ وبرك أيضاً بعد زمن بآخرين .

أما بعد — أيّد اللهُ تعالى القاضى — فإنه لم يُحسنْ إلى غيره من أساء إلى نفسه ، ولم ينْصُرْ أصدقاءه ، من خَذَل حَوْباءه[١] ؛ وإنما يُحب المرء أخاه بما فَضَلَ عن محبته لرُوحه التى له خيرُها ، وعليه ضَيْرُها . وكانت مِحْنَةُ القاضى مِحْنَةً شملتْ الأنام[٢] : وخصّت الكرام ؛ ووجب على كلّ مَن اشتمّ روائحَ العقل ؛ وميّز بين النقصان والفضل ، أن ينفطر لها ألماً ؛ وأن يبكى عندها دماً . وخلص إلىّ من ذلك ما أضحك منى الأعداء ، وأبكى لى الأصدقاء ، حتى رحمنى من كان يحسُدنى ، وحتى عجِبَ من جزعى من كان يُصَبِّرُنى ، وحتى غضضت طَرْفاً طالما رفعتهُ ، وقبضت بناناً طالما بسطتهُ ، وحتى عُزِّيتُ كما يُعزَّى الثكلان[٣] وسُلِّيتُ كما يُسَلَّى اللهفان .

وأنا بعد ذلك أستصغر فعل نفسى وهى جَزِعةٌ هَلِعة[٤] ، وأستقلُّ سعْى عينى وهى سخينة دَمِعة[٥] . وكان يجبُ على مُقتَضى هذه الجملة ، وأساس هذه البنية ، أن أحضُر مجلس القاضى فأُصابره نهاراً ، وأساهره ليلا ؛ وتكون المحنةُ بينى وبينه أحملها عنه ، ويحملها عنى ؛ ولكنى علمت أن والينا هذا رجل ينظرُ إلى الذنب الخفىِّ ، ويتغابَى عن العُذر الجلىّ . وله أُذنان : واحدة يسمعُ بها البلاغات وهى كاذبة ، وأخرى يَصَمُّ بها عن المعاذير وهى صادقة ؛ وليس بينه وبين العفو نسب ، ولا له إلى التثبت طريق ولا مذهب . ولو تعرضت لسخطه ؛ بعد ما عرفته من شططه[٦] ؛ لتحملتُ دونه الوزر

---

(١) الحوباء : النفس .

(٢) المحنة : الشدة والمصيبة .

(٣) الثكلان : الفاقد ولده .

(٤) جزعة هلعة : شديدة الحزن .

(٥) سخينة دمعة : ساخنة من الوجع ، سريعة الدمع .

(٦) شططه : جوره وتعدّيه الحدود .

فى ظُلمى ، ولـكنتُ مُقدِّمته إلى ذَمِّى . ومن قعد تحت الرِّيبة ركبته ، ومن تعرّض للظِّنَّة نالته .

ومن دعا الناس إلى ذَمه ذَمُّوه بالحق وبالباطل

وأول ما كان ينبعثُ من حُضورى أن يثب هذا الجبّارُ وثبةً يصون القاضى عنها ، ويبتذلُنى بها ، فأكونَ قد ضررتُ نفسى ، ولم أنفع غيرى ؛ فإذا بالمحنة قد تضاعفتْ على القاضى ضعفين ، وتكرّرت عليه كرّتين ؛ يرى بولىٍّ من أوليائه داء لا يقدرُ على دوائه ، ويرى وقوداً لا يصلُ إلى إطفائه ؛ ويتبين فى حالةٍ[1] متصلة بحاله ثُلْمةً[2] لا يُمكنُ سدُّها ؛ ومحنةً لا يستوى له ردُّها . فلما ميَّلْتُ[3] بين تخافى آمناً ، وحضورى خائفاً ؛ عدلْتُ بين طرفى الرَّزية ، ووزنتُ بين مقدارَى المحنة ، فرأيت أن أميل مع السـلامة وأقنَع من العمل بالنِّيَّة ؛ وأغتفر عُهدة التفصيل لصحة الجملة ، فغبت وكلى غير جسمى شاهد ، وتحيَّزْتُ[4] وما أنا إلا مشاهد ، وبعدتُ وقلبى قريب ، وباينت وقلبى سهيم[5] ، وأغضيت على عين كلها قذى[6] ، وانطويتُ على صدر كلُّه شجا[7] ، وانصرفت بقلب ساخط راض ، وأغمضتُ بجفن ضاحك باك ، وقلت :

فإن تسجنوا القسرى لا تسجنوا اسمه ولا تسجنوا معروفه فى القبـائل[8]

---

(١) أى فى حالى المتصلة المرتبطة بحاله .

(٢) الثلمة : فرجة المكسور أو المهدوم .

(٣) ميل بين الأمرين : رجح بينهما ووازن .

(٤) تحيزت : انحرفت وملت وتنحيت من جهة إلى جهة ، يريد : غبت .

(٥) السهيم : المقاسم لغيره بالسهم ، أى مباين لك منفصل عنك ، ولـكن قلبى مشترك بينى وبينك .

(٦) القذى : ما يدخل فى العين من جسم غريب عنها .

(٧) الشجا : ما ينشب ويعلق فى الحلق من شوكة ونحوها .

(٨) تمثل بهذا البيت ، وهو مقول فى خالد بن عبـد الله القسرى والى العراق للخليفة هشام ، ثم غضب عليه الخليفة فسجنه ، وأمر بقتله .

ولقد نسجْت فى ذم الظالم حُللا لا يبلها الماء ، ولا يجففها الهواء ، ولا تغطى عليها الظلماء . والمغبون من احتقب[1] الإثم ، والغارم من غرم العرض ، والرابح من محنتهُ فانية ، ومثوبتُه باقية . ولو أنصف الظالم لكان يعزى ، ولو أنصف المظلوم لكان يهنَّى .

جعل الله — تعالى — هذه الحادثة بتراء عقماء ليس لها مَدَد[2] ولا ليومها غد ، وجعل العمل بها آخر عهد القاضى بالعسر ، وخاتمة لقائه لريب الدهر . ولا حرمه فيما نزل به مثوبةَ الصابرين ، ولا أخلاه .وفيما بعده من مزيد للشاكرين برحمته .

٤ — البديع الهمذانى[3]

كتب يعتذر من إنابته رسوله عن شخصه :

يعز علىّ أطال اللهُ بقاءَ الرئيس . أن ينوب فى خدمته قلمى ، عن قدمى ، ويسعدَ برؤيته رسولى ، دون وصولى . وَرِد مشرع[4] الأنس به كتابى ، قبل ركابى ، ولكن ما الحيلة والعوائق جمّة ! .

وعلىَّ أن أسعى وليـ ـس علىَّ إدراك النجاح

---

(١) احتقب الشيء : جعله فى حقيبته .
(٢) أى لا يعقبها غيرها .
(٣) هو أبو الفضل أحمد بن الحسين ، الكاتب المترسل ، والشاعر المبدع ، صاحب المقامات المشهورة . نشأ بهمذان ، ونبغ فى الأدب ، وتكسب به لدى الملوك والأمراء ، مات سنة ٣٩٣ هـ .
(٤) المشرع : مكان ورود الماء .

وقد حضرتُ داره . وقبَّلت جداره . وما بى حب الجدران ، ولكن شغفاً بالقطّان[1] . ولا عشقُ الحيطان ، ولكن شوقاً إلى السكان . وحين عدت العوادى عنه أمليتُ ضمير الشوق على لسان القلم معتذراً إلى الشيخ على الحقيقة — لا عن تقصير وقع ، أو فتور فى الخدمة عرض ، ولكنى أقول :

إن يكن تركنا لقصدك ذنبًا　　فكفانا ألا نراك عقابا

المقامة القريضية

وللهمذانى مقاماتَ[2] معروفة ، وهذه هى المقامة الأولى منها :

حدّثنا عيسى بن هشام قال :

طرحتْنى النوى مطارحها حتى إذا وَطِئْتُ جرجان الأقصى ، استظهرت على الأيام بضياعٍ أجلتُ فيها يد العمارةَ ، وأموالٍ وقفتُها على التجارة ، وحانوتٍ جعلتُه مثَابَة ، ورفقة اتخذتُها صحابة ، وجعلتُ للدار حاشيَتِى النهار ، وللحانوت ما بينهما ، فجلسْنا يوما نتذا كرُ القريض وأهله ، وتلقاءنا شابٌ قد جلس غير بعيد ، يُنصتُ وكأنه يفهم ، ويسكُتُ وكأنه لا يعلم ، حتى إذا مال الكلام بنا

---

(١) القطان جمع قاطن ، وهو الساكن بالمكان ، المقيم به . وهذا المعنى مضمون قول الشاعر :

أمر على الديار ، ديار ، ليلى　　أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبى　　ولكن حب من سكن الديارا

(٢) المقامة . مفعلة من القيام ، يقال : مقام ومقامة . ثم سمى بها المجلس ومكان الاجتماع ثم اتسع استعمالها حتى سمى بها ما يقال فى المجلس من خطبة وموعظة . فقالوا : مقامات الخطباء ومجالس القصاص . فالمقامة صورة خيالية بين اثنين أو أكثر أو موعظة أو وصف أو بحث أو غير ذلك من الأغراض الأدبية . وأشهر من صاغوا المقامات : الحريرى والهمذانى .

مَيْلَه ، وجرّ الجدال فينا ذيله ، قال : قد أصبتم عُذيقَه ، ووافقتم جُذيله[1] ، ولو شئت للفظت وأفضت ، ولو قلت لأصدرتُ وأوردت ، ولجلوت الحقّ في معرض بيان يُسْمِعُ الصمّ ، ويُنزِلُ العُصم[2] . فقلت : يا فاضل ادن فقد منّيْت ، وهات فقد أثنيت ؟ فدنا وقال : من وقف بالديار وعرصاتها ، واغتدى والطيرُ في وُكُناتها ، ووصف الخيل بصفاتها . ولم يقل الشعر كاسباً ، ولم يُجِد القول راغباً ؟ ففضل من تفتّق للحيلة لسانه ، وانتجع للرغبة بنانه . قلنا : فما تقول في النابغة ؟ قال : ينسُب إذا عشق ، ويسلب إذا حنق ، ويمدح إذا رغب ، ويعتذر إذا رهب ، ولا يرمى إلا صائبا ، قلنا : فما تقول في زهير ؟ قال : يُذيبُ الشعر والشعرُ يذيبُه ، ويدعو القولَ والسحرُ يُجيبُه . قلنا : فما تقول في طرفة ؟ قال : هو ماء الأشعار وطينتُها ، وكنزُ القوافي ومدينتُها ، مات ولم تظهر أسرارُ دفائنه ، ولم تفتحْ أغلاقُ[3] خزائنه . قلنا : فما تقول في جرير والفرزدق ؟ وأيهما أسبق ؟ قال : جريرٌ أرقُّ شعرا ، وأغزرُ غزرا[4] ، والفرزدق أمْتَنُ صخرا[5]

---

(١) العذيق : تصغير العذق (بكسر العين) وهو كباسة التمر من النخلة . والتصغير هنا للتعظيم ، كذلك الجذيل تصغير الجذل (بكسر الجيم) وهو ما عظم من أصول الشجر بعد ذهاب الفروع ، ومنه المثل : « أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب » يضرب لمن تباهى بكرمه واشتهار نفعه ، لأنهم يرجبون عذق النخلة الكريمة ، أى يربطونه بسعفها لئلا ينقصف ، وكانوا يتركون الجذل لتحتك به الإبل .

(٢) العصم : جمع أعصم وهو الوعل ، يكون في الجبال .

(٣) الأغلاق : جمع غلق ، وهو ما يغلق به الباب (الكالون) .

(٤) غزرا . مصدر غزر .

(٥) أى أنه متنوع القوافي .

وأكثرُ فخرا ، إذا نسب أشجى[١] ، وإذا ثلب أردى ، وإذا مدح أسنى[٢] . والفرزدق إذا افتخر أجزا[٣] ، وإذا احتقر أزْرى ، وإذا وصف أوفى . قلنا : فما تقول فى الْمُحْدَثين من الشعراء والمتقدّمين منهم ؟ قال : المتقدّمون أشرفُ لفظا ، وأكثر من المعانى حظّا ، والمتأخرون ألطفُ صُنْعا ، وأرقّ نسجا . قلنا : فلو أريت من أشعارك ، ورويت لنا من أخبارك ! قال : خذهما فى معرض واحد . وقال :

إمَّا ترَوْنِي أَتغشّى طمرا[٤] ... مُمْتَطِياً فى الضُّرِّ أمراً إمرا[٥]

مُضْطبِناً على الليالى غمرا ... ملاقياً منها صُروفاً حُمْرا[٦]

أقصى أمانىّ طلوعُ الشِّعرى ... فقد غنينا بالأمانى دهْرا[٧]

وكان هذا الْحُرُّ أعْلَى قدْرًا ... وماء هذا الوجه أغلى سعرا[٨]

ضربتُ للسَّرّا قبابا خضرا ... فى دار دارا وإوان كسرى[٩]

فانقلب الدهرُ لبطنٍ ظهرا ... وعادعُرفُ العيش عندى نكرا

---

(١) لغة فى شجا ، بمعنى : أحزن .

(٢) أسنى : رفع ، أى رفع الممدوح .

(٣) مسهل أجزأ بالهمزة : يعنى كفى وأغنى .

(٤) الطمر : الثوب البالى .

(٥) أمرا إمرا : منكرا عجبا .

(٦) الحمر : جمع حمراء ، يريد صروفا شديدة الوقع .

(٧) الشعرى : نجم يطلع فى الصيف . ولا يحتاج الفقير العارى فيه إلى دثار

(٨) يريد بالحر . نفسه .

(٩) السرا : السراء وهى : الرخاء . ودارا وكسرى من ملوك الفرس . وإيوان كسرى : بهو عظيم فى القصر الأبيض بالمدائن ، وبه كان يسمى القصر كله . وخفف إيوان بحذف يائه لضرورة الشعر .

لم يبق من وَفْرى إلا ذكرى ثم إلى اليوم هلُمَّ جرًّا[١]
لولا عجوز لى بُسرَّ منْ را وأفرخٌ دون جبال بُصرى[٢]
قد جلَب الدهرُ عليهم شرًّا قتلتُ يا سادات نفسى صبْرا

قال عيسى بن هشام . فأنلتُه ما تاح[٣] وأعرض عنّا فراح . فجعلت أنفيه وأثبتُه ، وأنكره وكأنّى أعرفه ، ثم دلّتنى عليه ثناياه ، فقلت : الإسكندرىُّ والله ! فقد كان فارقنا خِشفاً[٤] ووافانا جِلفاً[٥] . ونهضتُ على أثره ، ثم قبضتُ على خصْره ، وقلت :

ألست أبا الفتح ؟ « ألم نربِّك فينا وليداً ، ولبثت فينا من عُمرُك سنين ؟ » فأى عجوز لك بسر من رأى ؟ فضحك إلى ، وقال :

ويحك ! هذا الزّمان زُورُ فلا يغرَّنَّك الغرُورُ[٦]
لا تلتزمْ حالةً ولكن دُرْ بالليالى كما تدورُ

(١) الوفر : الغنى وكثرة المال . وذكرى الشىء : التحدث عنه بعد زواله .
(٢) سر من را : اسم لمدينة (سر من رأى) التى بناها المعتصم العباسى . شمال بغداد ، وبصرى : بلدتان ، واحدة قرب بغداد ، ولعلها هى التى يريد ، والثانية من بلاد حوران بالشام . يعنى أن له أماً أو زوجاً عجوزاً بسر من رأى ، وأولاداً صغاراً بقرب جبال بصرى ، ولولا هؤلاء لقتل نفسه .
(٣) ما تاح : ما تهيأ وأمكن .
(٤) الخشف : ولد الظبية ، ويريد فارقنا صغيراً .
(٥) الجلف الرجل الجافى .
(٦) الغرور : الدنيا . لأنها تغر بمظاهرها .

ثانيا — النثر العلمى التأليفى

١ — ابن جنى[١]

قطعة من كتابه « الخصـــائص » :

باب القول على اللغة وما هى ؟

أمّا حدُّها فإنها أصواتٌ يُعَبِّرُ بها كلُّ قوم عن أغراضهم . هذا حدُّها : وأمّا اختلافها فلما سنذكره فى باب القول عليها : أمُواضعةُ هى[٢] ، أم إلهـام . وأمّا تصريفها ومعرفةُ حُروفها فإنها فُعَلةُ من لَغوتُ أى تكلّمْتُ . وأصلُها لُغَةَ كَكُرةٍ وقلة[٣] وثُبَة[٤] كلُّها لاماتها واواتٌ ، لِقولهم كَرَوْتُ بالكرة ، وقلوْتُ بالقُلّة ، ولأنّ ثبة كأنها من مقلوب ثاب يثوب . وقد دلّتُ على ذلك وغيره من نحوه فى كتابى « سر الصناعة » وقالوا : لها لُغاتٌ ولُغون ، كَكُرات وكُرُون ، وقيل منها : لغى يلْغى إذا هذَى . قال :

ورُبَّ أسراب حجيج كظَّم عن اللّغا ورفَث التّكلم

وكذلك اللغْو ، قال الله سبحانه وتعالى : « وإذا مروا باللغـو مرُّوا كراما » أى بالباطل . وفى الحـديث : « من قال فى الجمعة صهْ فقد لغا » أى تكلم . وفى هذا كاف[٥] .

---

(١) هو أبو الفتح عثمان بن جنى الموصلى النحوى اللغوى واحد زمانه فى التصريف والبحث فى فقه اللغة وخصائصها (وكان أبوه مملوكا روميآ) وله تأليفات كثيرة وتوفى سنة ١٩٢ ﻫ .

(٢) المواضعة : الاتفاق والاصطلاح . يقال : واضعته على كذا ، اتفقت معه عليه .

(٣) القلة : عودان يلعب بهما الصبيان .

(٤) الثبة : وسط ، يثوب إليه الماء من الجوانب .

(٥) أى ما يكفى .

٢ — الجرجانى [1]

فصل من كتابه « دلائل الاعجاز » :

وإذ قد عرفتَ هذه الأصول والقوانين فى شأن فصل الجمل ووصلها — فاعلم أنا قد حصلنا من ذلك على أن الجمل على ثلاثة أضرب : جملة حالُها مع التى قبلها حال الصفة مع الموصوف ، والتأكيد مع المؤكَّد ، فلا يكونُ فيها العطفُ البتة ، لشبه العطف فيها — لو عطفت — بعطفِ الشىء على نفسه ، وجملة حالُها مع التى قبلها حالُ الاسم يكون غير الذى قبله إلا أنّه يُشاركُه فى حُكم ، ويدخلُ معه فى معنى : مثلُ أن يكون كلا الاسمين فاعلًا أو مفعولا أومضافاً إليه ، فيكون حقها العطف ، وجملة ليْست فى شىء من الحالين ، بل سبيلها مع التى قبلها سبيلُ الاسم مع الاسم لا يكون منه فى شىء ، فلا يكونُ إيَّاه ولا مُشاركا له فى معنى ، بل هو شىء إن ذُكر لم يُذكر إلا بأمر ينفرد به ، ويكون ذكرُ الذى قبله وتركُ الذكر سواء فى حاله لعدم التعلق بينه وبينه رأسا ، وحقُّ هذا تركُ العطف البتة . فترك العطف يكون إما للاتصال إلى الغاية ، أو الانفصال إلى الغاية ، والعطف لما هو واسطة بين الأمرين ، وكان له حالٌ بيْن حالين ، فاعرفه .

---

(١) هو أبو بكر عبد القاهر الجرجانى ، أحد أئمة النحو وضابط علوم البلاغة حق ليحق أن يكون هو الواضع له على النظام الذى نعرفه ، ولم يزد عليه السكاكى إلا تطبيق المنطق على البلاغة مع بعد ما بينهما وتوفى سنة ٤٧١ هـ

٣ — الحريرى (١)

وللحريرى فى كتابه « درة الغواص ، فى أوهام الخواص » :

ويقولون : هذا بعد اللتُّيا والتى ، فيضمُّون اللام الثانيةَ من اللتيا ، وهو لحنٌ فاحشٌ وغلطٌ شائن ، إذ الصوابُ فيها اللَّتيَّا (بفتح اللام) لأن العرب خصَّتْ ألذى والتى عند تصغيرهما وتصغير أسماء الإشارة بإقرار فتحة أوائلها على صيغتها ، وبأن زادت ألفًا فى آخرها عوضاً عن ضمّ أوّلها ، فقالوا فى تصغير الذى والتى : اللذيَّا واللّتيَّا ، وفى تصغير ذاك وذلك ذيَّاك وذيالك أنشد ثعلب :

بذّيالك الوادى أهيم ، ولم أقل بذيَّالك الوادى وذيَّاك من زهد

ولكن إذا ما حُبَّ شئ تولَّعتْ به أحرُفُ التصغير من شدة الوجْد

أراد أن التصغير قد يقع من فرط المحبة ولطف المنزلة . كما يقال : يا بُنىَّ ، ويا أُخىَّ .

وقوله : إذا ما حُبَّ شئ يعنى به أحبّ لأنه يقال حبَّ الشئ وأحبَّه بمعنى (٢) ، كما جاء فى المثل السائر : من حبَّ طبَّ (٣) ، إلا أنَّهم اختاروا أن بنَوُا الفاعل من لفْظة أحبَّ ، وَ بنَوُا المفعول من لفْظة حبَّ ، فقالوا للفاعل : مُحبٌّ ، والمفعول محبوب ، ليعادلوا بين اللفظين فى الاشتقاق منهما ، والتفريع عليهما . على أنه قد سمع فى المفعول محب ، وعليه قول عنترة :

ولقد نزلت فلا تظنِّى غيرهُ منى بمنزلة المُحَبِّ المُكْرَم

* * *

---

(١) هو أبو محمد القاسم بن على الحريرى البصرى إمام اللغة والأدب والنحو والإنشاء . توفى سنة ٥٢٢ هـ . وأشهر آثاره « المقامات » المعروفة باسمه .

(٢) أى بمعنى واحد .

(٣) طب هنا : تأتى للامور وتلطف . أى من أحب شيئا استعمل الأناة والرفق واستخدم الحيلة رغبة فى الحصول عليه .

ويقولون إذا أصبحوا : سهرنا البارحة ، وسَرَيْنَا البارحةَ . والاختيار فى كلام العرب — على ما حكاه ثعلبٌ — أن يقال مذ لدن الصبح إلى أن تزول الشمس : سَرَيْنا الليلة ، وفيما بعد الزوال إلى آخر النهار : سهرنا البارحة .

ويتفرع على هذا أنهم يقولون من انتصاف الليل إلى وقت الزوال صُبِّحْتَ بخير ! وكيف أصْبَحْتَ ؟

٤ — المسعودى[1]

قطعة من مقدمة كتاب « التنبيه والإشراف » :

وقد ذكرنا فى كتابنا هذا وما سلف قبله من كتبنا التى هذا سابعها أخبار العالم وعجائبه ، ولم نُخله من دلائل تَعْضُدها ، وبراهين تؤيدها عَقلا وخبرا ، وغير ذلك مما استفاض واشتهر ، وشاهد من الشعر على حسب الشىء المذكور وحاجته إلى ذلك . ونحن وإن كان عصرُنا متأخراً عن عصر من كان قبلنا من المؤلفين ، وأيامُنا بعيـدةً عن أيامهم فنرجو ألا نُقَصّر عنهم فى تصنيف نَقْصدُه ، وغرض نؤمُّه[2] ، وإن كان لهم سبقُ الابتداء ، فلنا فضيلة الاقتداء ، وقد تشترك الخواطر ، وتتفق الضمائر ، وربما كان الآخرُ أحسن تأليفاً ، وأتقن تصنيفاً لُحنكة التجارب ، وخشية التتبع ، والاحتراس من مواقع الخطأ . ومن ههنـا صارت العلوم ناميةً

---

(١) هو العالم المؤرخ الرحالة البحاثة أبو الحسن على بن الحسين المسعودى ، سليل عبد الله بن مسعود الصحابى صاحب كتاب مروج الذهب . والتنبيه والإشراف ، وهما مطبوعان . وله كثير من الـكتب غيرهما . توفى سنة ٣٤٦ هـ .

(٢) نؤمه : نقصد إليه .

غير متناهية لوجود الآخر ما لا يجدُه الأول ، وذلك إلى غير غاية محصورة ، ولا نهاية محدودة ، وقَدْ أَخبَرَ اللهُ عَزّ وجل بذلك فقال : « وفوقَ كل ذى علم عَليم » ؛ على أن من شيم كثير من النـاس الإطراء للمتقدّمين ، وتعظيم كتب السالفين ، ومدحَ الماضى ، وذمّ الباقى . وإن كان فى كتب الُمحْدَثين ما هو أعظمُ فائدة وأكثرُ عائدة[1] . وقد ذكر أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ أنه كان يؤلف الـكتاب الـكثير المعانى الحسن النظم فينسُبُهُ إلى نفسه فلا يرى الأسماع تُصغى إليه ولا الإرادات تيمّ نحوه . ثم يؤلف ما هو أنقصُ منه مرتبةً وأقل فائدة ، ثم ينحله عبدَ الله بن المقفع أو سهل بن هرون أو غيرهما من المتقدمين ، ومن قد طارت أسماؤهم فى المصنفين ، فيقبلون على كَتْبها[2] ، ويسارعون إلى نسخها لا لشىء إلا لنسبتها إلى المتقدمين ، ولِما يداخل أهل هذا العصر من حسد من هو فى عصرهم ، ومنافسته على المناقب التى يخص بهـا ويعنى بتشييدها . وهذه طائفة لا يعبأ بها كبار الناس . وإنما العمل على ذوى النظر والتأمل الذين أعْطوا كل شىء حقّه من العـدل ، ووفّوْه قسْطه من الحق ، فلم يرفعوا المتقدم إذ كان ناقصاً ، ولم ينقصوا المتأخر إذ كان زائدا . فلمثل هؤلاء تُصنّفُ الـكتب وتدوّن العلوم ، وسنذكر الآن الأمم السبع السالفة فى سابق الدهر ولغاتهم ومواضع مساكنهم وغير ذلك .

---

(١) العـائدة : المنفعة .

(٢) الـكتب : الـكتابة .

٥ — المـاوَرْدِىّ (١)

فصل من أدب الوزير :

الإقدام من مزايا الوزير وصفاته

وأما الشرط الثالث — وهو الإقدام — فهُو فى السياسة أوْفى شرْطَيْها ، وفى الوزارة أكْفى نظَريها ، لظفر الإقدام ، وخيبة الإحجام . وقد قيل فى منثور الحكم : بالإقدام ترتفع الأقدام ، وإنما يجب الإقدام إذا ظهرتْ أسبابهُ ، وقصدت أبوابهُ ، فى إبّانه ، وعند إمكانه ، كما قال الشاعر :

إذا ما أتيت الأمر من غيْر بابه　　ضللْت وإن تقْصدْ إلى الباب تهْتدى

ثم يجمع بعدهما بين حزمه وعزمه ، فالحزم تدبير الأمور بموجب الرأى ، والعزم تنفيذها للوقت المقدّر لها ، فإذا تكاملت شروط الإقدام من هذه الوجوه الأربعة لم يمْنع من الظفر إلا عوائقُ القدر . وقد قيل فى قديم الحكم : إذا طلب اثنان حظّاً ظفر به أفضلهُما ديناً . فإن استويا فى الدّين ظفر به أفضلهما مُروءةً ، فإن استويا فى المروءة ظفر به أكثرُهما أعواناً ، فإن استويا فى الأعوان ظفر به أسعدُهما جَدًّا . فإن انثلم من شروط الإقدام أحدُها صار الإقدامُ تغريراً يمنعُ من حزْم ذى اللُّب ، ويصُدُّ عن الظفر ، ما لم يغْلب قدر ، فما الأقدارُ بقياس معتبر ، وقد قال حكيم الهند : السبب الذى يُدركُ به العاجزُ حاجته هو الذى

---

(١) هو قاضى القضاة أبو الحسن على بن محمد بن حبيب المـاوردى المتوفى سنة ٤٥٠ هـ وهو صاحب كتاب أدب الدنيا والدين ، وكتاب الوزير . وهما مطبوعان ، وله كثير من الكتب غيرهما .

يحول بين الحازم وطلبته . وقد قيل لبزُرُجمهر : ما أعجبُ الأشياء ؟ قال : نجح الجاهل وإكداء[1] العاقل . ودخل رجلٌ على عبد الله بن طاهر . فقال له : أيها الأمير ! ما الذى لا يُحتاج فيه إلى عزم ولا حزم ؟ فاستمهله فى جوابه ثلاثة أيام فعاد إليه بعدها ، وسأله فقال له ، الدولة[2] ، فقال : صدقت . وما أخرج هذه الكلمة منك إلا الدولة ، ولذلك قيل فى منثور الحكم : الحظ يأتى من لا يأتيه .

٦ — ابن حمدون[3]

فصل من تذكرته فى السياسة والآداب الملكية ، وهو فى سياسة الوزراء والكُتاب وأتباع السلطان

قالوا : من صحب الملوك وقرُب منهم ، ينبغى أن يكون جامعاً للخلال المحمودة ؛ فأوّلها العقلُ ؛ فإنه رأسُ الفضائل ، والعلمُ فإنه من ثمار العقل ، ولا تليق صحبة الملك بأهل الجهل . والود ، فإنه خلق من أخلاق النفس ، يُولِّده العدل فى الإنسان الذى وَدَّه . والنصيحة ؛ وهى تابعة للوُدِّ ، وهو الذى يبعث عليها . والوفاء ؛ فإنه شيمة لا تتمُّ الصحبة إلا بها . وحفْظ السر ، وهو من صدق الوفاء . والعفة عن الشهوات والأموال . والصَّرامةُ ، وهى شدّة القلب ، فإن الملوك

---

(١) أكدى : لم يظفر بحاجته .

(٢) الدولة يريد بها هنا : الحظ . والدولة ما يتداول فيكون لهذا مرة ولذاك أخرى ، فتطلق فى الغلبة والحظ . ودول الأيام : تقلباتها التى تعين الرجل يوما وتعين عليه يوما .

(٣) هو كافى الكفاة أبو المعالى بهاء الدين محمد بن الحسن بن محمد بن على بن حمدون البغدادى الكاتب الأديب صاحب التذكرة فى الأدب والسياسة توفى سنة ٤٩٥ هـ .

لا يصحبهم أولو النكول ، ولا ينالُ الجسيمَ من الأمور إلا الشجاع النجد . والصدقُ ؛ فإنه من لا يصدُق يكذب ، ومَضَرّة الكذب لا تُتلافَى . وحسنُ الزِّى والهيئة ؛ فإن ذلك يزيد فى بهاء الملك . والبِشْرُ فى اللقاء ؛ فإنه يتألَّف به قلبَ مَن يُلاقيه ، وفى الكُلوح[1] تنفيرٌ عن غير ريبة . والأمانة فيما يُستحفظ . ورعايةُ الحق فيما يُستودَع . والعدلُ والإنصافُ ؛ فإن العدل يُصلِح السرائر ، ويجمِّلُ الظواهر ، وبه يُخاصمُ الإنسانُ نفسَه إذا دعته إلى أمر لا يَحسُنُ رُكوبُه . وينبغى له أن يجانِبَ أضداد هذه الخِلال ، وألا يكون حسوداً ، فإن الحسد يُفسد ما بينه وبين الناس ، وليُفَرّقْ بين الحسد والمنافسة ؛ فإنهما يشتبهان على من لا يعقل . وأن يخلوَ من اللَّجاج والمَحك[2] ؛ فإن ذلك يضُرّ بالأفعال إذا وقع فيها اشتراك . وألا يكون بذَّاخاً[3] ولا متكبراً ، فإن البذخَ من دلائل سقوطِ النفس وشدّة الطيْش والبعد عن الصبر .

وينبغى ألا يكونَ فَدْماً[4] وخِماً[5] وَلَا ثقيلَ الرُّوح ؛ فإنها صفةٌ لا تليق بمن يُلاقى الملوك ، وأبداً تكون سبباً للمَقْت من غير جُرْم ، وبالجملة فالفضائلُ والأخلاقُ المحمودة كثيرة ، وأوْلى الناس بطلب غاياتها الملوك ، كما هم الغاية ، ثم أتباعهم ثم سائر الرعية .

---

(١) الكلوح : الإفراط فى العبوس والكشر عن الأنياب .
(٢) المحك : التمادى فى اللجاجة عند المساومة . والمشارة والمنازعة فى الكلام .
(٣) البذاخ : المتعاظم المتكبر يظهر التعالى على الناس .
(٤) الفدم : العاجز عن الكلام فى ثقل ورخاوة وقلة فهم .
(٥) الوخم ككتف : الرجل الثقيل .

الأدب فى مصر والشام

(ا) الشعر

١ — المتنبى (١)

قال فى صباه من قصيدة :

أَرَقٌ على أرقٍ ومثلِيَ يأرَقُ ... وجوًى يزيدُ وعَبْرَة تترقرَقُ
جَهْدُ الصَّبابةِ أن تكون كما أرى : ... عَيْنٌ مُسهَّدَةٌ ، وقلبٌ يخفقُ
ما لاح برقٌ أو ترنَّمَ طائرٌ ... إلّا انْثَنيتُ ، ولى فؤاد شيِّق
جرَّبتُ من نار الهوى ما تنطفى ... نارُ الغَضَى ، وتكلّ عما يُحرق (٢)
وعذَلتُ أهلَ العشقِ حتى ذقته ... فعجبتُ كيف يموتُ مَن لا يعشَق
وَعذرتهم ، وعرفتُ ذنبى أننى ... عيَّرتُهم ، فَلَقيتُ منهُ ما لَقوا
أبَنِى أبِينا نحنُ أهلُ منازل ... أبداً غُراب البَيْن فيها ينعَق (٣)

(١) هو أحمد بن الحسين أشهر شعراء المحدثين ، وصاحب الشعر الحكيم والمعانى الدقيقة والمخترعة . ولد بالكوفة ونشأ بها وتأدب بفصاحة أهل البدو . وقيل إنه اتهم وهو مقيم بينهم بأنه ادعى النبوّة ، فسجنه والى حمص . ثم خرج من السجن ومدح الرؤساء والأمراء من اهل الشام وخاصة سيف الدولة . ثم فارقه وذهب إلى مصر فمدح كافور الإخشيدى . ثم هجاه ، وفر إلى فارس مارا بالعراق ، فمدح عضد الدولة أعظم ملوك بنى بويه ووزيره ابن العميد ، ورجع عنهما بالأموال العظيمة فخرج عليه الأعراب وقتلوه قرب بغداد سنة ٣٥٤ هـ .

(٢) أى ما تنطفى نار الغضى عنه . والغضى : شجر قوى النار .

(٣) يخاطب عامة البشر لأنهم إخوة من أبيهم آدم : أى نحن أهل منازل لا يلبثون أن يتفرقوا ، وكنى عن الفراق بنعق غراب البين فيهم .

نبكى على الدنيا ، وما من معشر ... جَمعتْهُمُ الدنيا فلم يتفرقوا
أين الأكاسرةُ الجبابرة الالى ... كنزُوا الكنوز ، فما بقين ولا بقوا
من كلّ منْ ضاق الفضاء بجيشه ... حتى ثوى فحواهُ لحدٌ ضيّق (١)
خُرْسٌ إذا نُودُوا ؛ كأَنْ لمْ يعلموا ... أنّ الكلام لهم حلالٌ مُطلق
فالموتُ آت ، والنفوس نفائس ... والمستعزُّ بما لديه الأحمق
والمرء يأملُ ، والحياة شهيّة ، ... والشيبُ أوقرُ ، والشبيبة أنزق
ولقد بكيتُ على الشباب ولمّتى ... مُسودّةٌ ، ولماء وجهى رونق (٢)
حذراً عليه قبل يوم فراقه ... حتى لكدتُ بماء جفنى أشرق (٣)

وقال من قصيدة يصف حرباً :

أتوْكَ يجُرُّون الحديد كأنما ... سَرَوْا بجياد ما لهُن قوائمُ (٤)
إذا برقوا لم تعرف البيضُ منهمُ ... ثيابُهم من مثلها والعمائمُ (٥)
خميس بشرق الأرض والغرب زحْفُه ... وفى أُذن الجوزاء منه زمازمُ (٦)

---

(١) ثوى الرجل : هلك .

(٢) اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن . ويريد برونق ماء الوجه : النضارة .

(٣) قال هذه القصيدة وهو شاب ، ولكنه يبكى الشباب حذرا من زواله .

(٤) أى لكثرة دروع الحديد عليهم وعلى خيلهم .

(٥) البيض : السيوف أى إذا برقوا بكثرة ما عليهم من الحديد المجلو لم تميز السيوف منهم ، لأن ثيابهم من الحديد أيضا ، ولأن عمائهم من الحديد أيضا : يريد بالثياب الدروع ، والعمائم الخوذ والبيضات .

(٦) الخميس : الجيش . والجوزاء : برج فى السماء . الزمازم : الأصوات المختلفة التى لا تفهم أى أتوك بجيش عظيم يملأ المشرق والمغرب وتصل أصواته إلى السماء .

تجمَّعَ فيه كلُّ لِسْنٍ وأُمَّةٍ ... فما تفهمُ الُحدَّاثَ إلا التراجمُ[(١)]
فلّله وقتٌ ذوَّب الغشَّ نارُه ... فلمْ يبقَ إلا صارمٌ أو ضُبارمُ[(٢)]
تَقَطَّعَ ما لا يقطعُ الدِّرعَ والقنا ... وفرَّ من الفُرسان من لا يُصادمُ[(٣)]
وقفتَ وما في الموت شكٌ لواقفٍ ... كأنك في جفن الردى وهو نائمُ[(٤)]
تمرُّ بك الأبطالُ كلْمى هزيمةً ... ووجهُكَ وَضَّاحٌ وثَغْرُكَ باسمُ[(٥)]
تجاوزتَ مقدار الشجاعة والنُّهى ... إلى قول قوْمٍ : أنت بالغيب عالمُ[(٦)]
ضممتَ جناحيهم على القلب ضمةً ... تموتُ الخوافي تحتها والقوادمُ
بضربٍ أتى الهاماتِ ، والنصرُ غائبٌ ... وصار إلى اللَّبَّاتِ ، والنصرُ قادمُ[(٧)]
حقرْتَ الرُّدينيّاتِ حتى طرحتها ... وحتى كأنّ السيفَ للرمحِ شاتمُ[(٨)]

---

(١) اللسن : اللغة . والحداث : الجماعة يتحدثون . أي أنه مؤلف من أمم مختلفة الألسن : كالروم ، والصقالب ، والبلغار ، والألبان ، وغيرهم .

(٢) يريد بالغش : الضعاف من الأسلحة والرجال . فأما الأسلحة ففلت وكسرت ، وأما الرجال فهلكوا أو فروا ، فلم يبق إلا صارم قاطع وشجاع قوى . وفسر ذلك بالبيت بعده .

(٣) أي تقطع ما لا يقطع الدرع من السيوف .

(٤) أي كأن الردى : وهو الموت . مطبق عليك من جميع النواحي انطباق الجفن على العين ، بما لا يجعل المرء مجالا للشك في أن الموت واقع لا محالة ، فكان ينبغي لمن هذه حاله أن يفر ، أما أنت فلم تفعل ولم يبصرك الردى وغفل عنك بالنوم فسلمت .

(٥) كلمى : مجروحة مهزومة ، فتكون على وجوهها كآبة وعبوس ، أما أنت فكان وجهك وضاحا وثغرك باسما تقابل الموت مستبشرا أنفة بنفسك وشجاعة في جبلتك .

(٦) أي كأنك تعرف ما سيكون لك من الظفر .

(٧) أي لم يكن بين ملاقاتهم ونصرك إلا مقدار ما يهوى السيف من أعلى الهامة إلى اللبة ، وهي موضع القلادة من الصدر ، فقبل الضرب كان النصر غائبا ، وبعده جاء النصر .

(٨) الردينيات : الرماح . ومن قاتل بها كان بينه وبين عدوه بعد ، والضرب بالسيف شرف . فالشجعان تقاتل بالسيوف ، لأنها لاتبالى مقاربة الأعداء

ومن طلب الفتح الجليل فإنما مفاتيحُه البيضُ الخفافُ الصّوارمُ
نثرتهمُ فوق الأُحيدب(١) نثرةً كما نُثرتْ فوق العروس الدّراهم

وقال من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ويذكر محاربته للروم، وبناءه مرعشاً(٢) :

فديناك من ربع، وإن زدتنا كرْبا فإنك كنتَ الشرق للشمس والغرْبا
وكيف عرفْنا رسم من لم يدع لنا فؤاداً لعرفان الرُسوم ولا لبّا
نزلْنا عن الأكوار نمشى كرامةً لمن بان عنه أن نُلمّ به ركْبا(٣)
نذمّ السحاب الغُرَّ فى فعلها به ونُعرض عنها كلّما طلعتْ عتْبا(٤)
ومن صحب الدنيا طويلا تقلّبتْ على عينه حتى يرى صدقها كذْبا
وكيف ألْتذاذى بالأصائل والضحا إذا لم يعُدْ ذاك النسيمُ الذى هبّا(٥)
ذكرتُ به وَصْلاً كان لم أفزْ به وعيشاً كأنى كنتُ أقطعُهُ وَثْبا
وفتّانة العينين قتّالة الهوى إذا نفحتْ شيْخا روائحُها شبّا
لها بشرُ الدُّرِّ الذى قُلِّدت به ولم أر بدْرًا قبلها قُلد الشُّهْبا(٦)
فيا شوقُ ما أبقى ويا لى من النّوى! ويا دمعُ ما أجرى! ويا قلبُ ما أصبى
لقد لعب البَيْنُ المُشِتّ بها وبى وزوّدنى فى السيْر ما زوّد الضّبّا(٧)
ومن تكُن الأسدُ الضوَارى جُدوده يكن ليلُه صُبْحا ومطعمُه غصْبا

(١) الأحيدب : جبل بجهة بلدة الحدث .
(٢) بلد بالشام قرب أنطاكية .
(٣) الأكوار : جماعة الإبل .
(٤) أى نذم السحاب لأنها عفت آثاره .
(٥) أى الذى هب قديما أيام كنا نسكنه مع الحبيب .
(٦) البشر : جمع بشرة . وهى ظاهر الجلد .
(٧) ما زود الضب : أى زودنى العدم ، لأن الضب يعيش فى البادية بلا ماء أو زودنى الحيرة ، لأنه إذا خرج ضل .

ولست أبالى بعد إدراكى العُلا ... أكان تُراثاً ما تناولت أم كسبا

فرُبَّ غـلامٍ علم المجـد نفسـه ... كتعليم سيف الدولة الدولة الضّربا

إذا الدولة استكفت به فى مُلمّة ... كفاها فكان السيف والكف والقلْبا

تُهابُ سيوفُ الهند ، وهى حدائد ... فكيف إذا كانت نزاريةً عُرْبا ؟[1]

ويُرهب نابُ الليث ، والليثُ وحده ... فكيف إذا كان الليوثُ له صحبا ؟

ويُخشى عُبابُ البحر ، والبحرُ ساكنٌ ... فكيف بمن يغشى البلاد إذا عبّا ؟[2]

عليمٌ بأسرار الديانات واللغى ... له خطراتٌ تفضح الناس والكتْبا[3]

فبوركت من غيثٍ كان جلودنا ... به تُنبتُ الدّيباج والوشْى والعصْبا[4]

ومن واهب جزلاً ، ومن زاجرٍ : هلا ، ... ومن هاتك درْعا ، ومن ناثر قُصْبا[5]

هنيئاً لأهل الثغر رأيُك فيهمُ ... وأنك حزب الله صرت لهمْ حزبا[6]

وأنك رُعت الدهر فيها وريبهُ ... فإن شكّ فليُحدثْ بساحتها خطْبا[7]

---

(١) أى أن السيوف تهاب مع أنها حديد لا عقل له ، فكيف يكون حالها فى الخوف منها إذا كانت عربية نزارية كسيف الدولة .

(٢) عب : ماج وتحرك .

(٣) اللغى : اللغات . أى أنه عليم بالديانات واللغات ، وله فيها خواطر تفضح العلماء وكتبهم ، لأنهم لم يبلغوا مقداره فى العلم .

(٤) العصب . ضرب من البرود . أى لأنك تخلعها علينا فنلبسها .

(٥) هلا : لفظ تزجر به الخيل . والقصب : الأمعاء . أى فبوركت من رجل يعطى الجزيل ، ويزجر الخيل للقتال ، ويهتك الدروع بسيفه وسنانه ، ويشق البطون فينثر أمعاءها

(٦) هنيئا حال من فعل محذوف ، وهى عاملة الرفع فى رأيك وما عطف عليه .

(٧) ريب الدهر : صروفه وأحداثه . وضمير فيها يعود على الأرض المفهومة من المقام ، والكلام تحد للدهر .

فيوماً بخيلٍ تطرُدُ الرومَ عنهمُ ويوماً بجُودٍ تطرُدُ الفقرَ والجدْبا
سراياك تَتْرى والدُّمُستُقُ هاربٌ وأصحابُه قتْلىٰ وأموالُه نُهْبى (١)
أتى مرْعشاً يستقربُ البُعْدَ مُقْبلاً وأدْبرَ إذ أقبلت يستبعد القُربا
كذا يَترِكُ الأعداءَ من يكرهُ القَنا ويقْفُلُ من كانت غنيمتَه رُعبا (٢)
وهلْ ردَّ عنْه باللُّقَان وقوفه صدورَ العوالى والمطهَّمةَ القُبَّا (٣)
مَضَى بَعْدَ ما التفَّ الرِّماحان ساعةً كما يَتَلَقَّى الهُدبُ فى الرَّقْدة الهُدْبا (٤)
ولكنّه وَلَّى وللطَّعْنِ سَوْرةٌ إذا ذكرتْها نفْسُهُ لَمَس الجنْبا
وخلى العذارى والبطاريق والقرى وشُعْثَ النصارىٰ والقرابين والصُّلْبا (٥)
أرى كُلَّنا يَبْغى الحياةَ لنفسه حريصاً عليها مُسْتَهاماً بها صَبّا
فَحُبُّ الجبَانِ النَّفْسَ أورده البَقَا وحُبُّ الشجاع النفس أورده الحرْبا
ويختلفُ الرِّزقان ، والفعلُ واحدٌ ، إلى أن ترى إحسانَ هذا لذا ذَنْبا
فأضحت كأنَّ السُّور من فَوْقِ بدئِهِ إلى الأرض قد شقَّ الكواكبَ والتُّرْبا (٦)
تَصُدُّ الرياحُ الهُوجُ عنها مخافةً وتفزع فيها الطيرُ أن تَلْقطَ الحَبَّا (٧)
وتَرْدى الجيادُ الجردُ فوقَ جبالها وقد نَدَفَ الصِّنَّبْرُ فى طُرْقها العُطْبا (٨)

---

(١) الدمستق : من الألقاب العظيمة لرؤساء الجيش عند الروم . ونهبى : منهوبة .
(٢) يقفل : يرجع :
(٣) اللقان : اسم مكان هناك . والمطهمة القب : الخيل الحسان المضمرة .
(٤) الرماحان : أى رماح هؤلاء ورماح هؤلاء . يريد : الجيشين .
(٥) البطاريق قواد الروم . وأراد بالشعث : الرهبان . والصلب بضم اللام ، جمع صليب وأسكن اللام لضرورة الوزن .
(٦) أى من أعلاه إلى أدناه فقد شق الخ . وقوله : فأضحت أى مرعش .
(٧) تصدّ : أى تفزع منها . وكذلك الطير تفزع أن تلقط الحب فيها لصعوبة ارتقائها .
(٨) وتردى : من الرديان وهو ضرب من الجرى . والصنبر . السحاب البارد . والعطب : القطن .

كفَى عجبًا أنْ يَعجبَ الناسُ أنه بَنَى مَرْعشاً ؛ تبًّا لآرائِهمْ تبًّا ![1]

وما الفَرْقُ ما بَيْنَ الأنام وبينَه إذا حذر المحذور واستصعب الصَّعبا

لأمْرٍ أعدَّتْهُ الخلافةُ للعـدا وسَمَّتْه دُونَ العالَمِ الصارمَ العَضْبا

ولم تَفْترق عنه الأَسنَّةُ رَحْمَـةً ولم تَتْرُكِ الشامَ الأعادى له حُبًّا

ولـكنْ نفاها عنـهُ غَيْرَ كريمة كريمُ النَّثَا ما سُبَّ قطُّ ولا سَبَّا[2]

وجَيشٌ يُثَنِّى كلَّ طَوْدٍ كأنَّه خَريقُ رياح واجهتْ غُصُنًا رَطْبا[3]

كأنَّ نجومَ الليل خافتْ مُغَاره فمَـدَّت عليها من عَجاجَتِه حُجْبا[4]

فمن كان يُرْضِى اللؤمَ والـكفر مُلْـكُهُ فهذا الذى يُرضى المـكارمَ والرَّبَّا

وقال يذكر قيامَ شَبيب العُقيـلى : وكان خارجاً على كافور فمات فجأة وهو يحاصر دمشق . وقيل : دسَّ عليه كافور من سَمَّه . وقيل : إنه أُلقى عليه رحى من السور ، وهذه القصيدة من المدح المراد به الذم :

عدُوُّك مذمومٌ بكل لسان ولو كان من أعدائك القَمَران

ولله سرٌّ فى عُلاك ؛ وإنمـا كلامُ العدا ضربٌ من الهذَيان

أتلتِمسُ الأعداء بعد الذى رأتْ قيامَ دليـل أو وُضوحَ بيان ؟

رأتْ كلَّ من ينوِى لك الغَدْرَ يُبْتَـلَى بِغدر حيـاةٍ أو بغدر زَمان

برَغْم شبيبٍ فارق السيفَ كفه وكانا على العـلَّات يصطحبان[5]

---

(١) أى من العجب أن يعجب الناس من بنائه مرعشا كأنهم لم يعرفوا قدرته .

(٢) النثا : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيء .

(٣) يثنى : يميل ، يريد : التغلب عليه . والخريق : الريح الشديدة .

(٤) مغاره : إغارته . والضمير فى عجاجته عائد على الليل ، والعجاجة يريد بها الظلام .

(٥) العلات هنا : الأحوال . تقول : قبلت هذا الشيء على علاته ، أى على مافيه ، أو على كل حال .

كأنّ رقاب الناس قالتْ لسيْفِهِ : رفيقُك قيسىٌّ وأنت يمانى[١]
فإن يكُ إنساناً مضَى لسبيله فإنّ المنايا غاية الحيوان[٢]
وما كان إلا النارَ فى كلّ موضع تُثيرُ غباراً فى مكان دُخان
فنال حياةً يشتهيها عدُوُّه وموْتاً يُشهِّى الموتَ كلَّ جَبان[٣]
نَفَى وقعَ أطراف الرماح برُمحه ولم يخْشَ وَقْعَ النَّجْم وَالدَّبَرَان[٤]
ولم يدر أن الموتَ فوق شَواتِه مُعارُ جَناحٍ مُحْسنُ الطيران[٥]
وقد قَتَلَ الأقرانَ حتى قتلْتَه بأضعف قِرنٍ فى أذلِّ مكان
أتتْه المنايا فى طريقٍ خَفيَّةٍ على كلِّ سمْع حَولَه وعيان
ولو سلكتْ طرْقَ السِّلاح لَرَدَّها بُطول يمينٍ واتِّساع جنان
تقَصَّده المقدارُ بَيْن صحابه على ثِقَةٍ من دهره وأمان[٦]
وهل ينفع الجيْش الكثيرَ ٱلتفافُه على غير منْصُور وغير مُعان

* * *

قضى اللهُ يا كافورُ أنك أوّلٌ وليس بقاضٍ أن يُرى لك ثانى
فما لك تختارُ القسىَّ وإنما عن السَّعْد يرْمى دونَك الثقَّلان ؟[٧]
وما لك تُعْنَى بالأسنة والقنا وجَدُّك طَعّانٌ بغير سِنان ؟[٨]

(١) لما بين قيس واليمن من العصبية فى الشام . (٢) الحيوان : الحياة .
(٣) لأن حياته كانت مقرونة بنصره ، وأن موته كان بالسكتة بلا سابق ألم ولا مرض .
(٤) أى أنه قدر أن يدفع عن نفسه رزايا الأرض ، ولكنه ماحسب حسابا لرزايا النحوس السماوية من الكواكب أمثال الدبران وهو كوكب نحس كما زعموا .
(٥) شواته : رأسه . (٦) المقدار القدر . (٧) الثقلان : الإنس والجن .
(٨) الأسنة : جمع سنان ، وهو نصل الرمح . والقنا : جمع قناة ، وهى الرمح . والجد : الحظ .

وَلِمْ تحمل السيفَ الطويلَ نجادَه وأنت غَنِيٌّ عنـه بالحَدَثان ؟[١]
أَرِدْ لى جميلًا جُدْتَ أو لم تجُدْ به فإنك ما أحْبَبْتَ فىَّ أتانى
لو الفلكُ الدّوارُ أبغضتَ سَعْيَهُ لعوّقَهُ شىءٌ عن الدَّوَران !

وقال يوم عرفة ، وقد خرج من مصر فارًّا من كافور إلى الـكوفة يهجوه وقومه :

عيدٌ بأيّة حالٍ عُدتَ ياعيدُ بما مَضَى أم لأمرٍ فيكَ تَجديدُ[٢]
أما الأحِبَّةُ فالبيــداء دونَهمُ فليتَ دونَكَ بيداً دُونَها بيدُ[٣]
لولا العُلا لم تَجُبْ بى ما أجُوبُ بها وجْنَاء حَرْفٌ ولا جَرْدَاء قَيْدُودُ[٤]
وكان أطيبَ من سَيْفى مُضاجَعةً أشباهُ رَوْنَقه الغيـدُ الأماليـدُ[٥]
لم يترِكِ الدهرُ من قلبى ولا كَبدى شَيئًا تُتَيِّمُه عينٌ ولا جيـد
يا ساقيَىَّ أخمرٌ فى كئوسكما أم فى كئوسكما همٌّ وتسهيد ؟
أصخرةٌ أنا مالى لا تُحرِّكُنى هذى المُدامُ ولا هذى الأغاريد ؟
إذا أردتُ كُمَيْتَ اللّونِ صافيةً وجدتُها ، وحبيبُ النفس مفقود[٦]
ما ذا لَقيت من الدنيا وأعجبُها أنى بما أنا باكٍ منه محسود !

---

(١) النجاد : حمائل السيف .

(٢) فيك تجديد : أى فيك تجديد لأمر .

(٣) يريد بالأحبة جدته وبعض أهله بالـكوفة .

(٤) تجوب : تقطع . والوجناء الناقة العظيمة الخلق الصلبة العضل ، والحرف من النوق : المضمرة . والجرداء : الفرس القصيرة الشعر . والقيدود : الطويلة الظهر . أى لولا العلا لم تقطع بى الفلاة ناقة ولا فرس .

(٥) يريد بالغيد الأماليد : الجوارى الحسان الناعمات . وأشباه رونقه : أى اللواتى يشبهن السيف فى الرونق . ويروى : معانقة بدل مضاجعة .

(٦) يريد بكميت اللون : الخمر .

أمسيتُ أرْوَحَ مُثْرٍ خازنًا وَيَداً ... أنا الغَنِيُّ ، وأموالى المواعيد(١)
إنى نزلتُ بكذَّابِينَ ضيفُهُم ... عنِ القرى وعن التَّرحال محدود(٢)
جودُ الرجال من الأيدى وجودُهُم ... من اللسان ؛ فلا كانوا ولا الجود !
ما يقبضُ الموتُ نفساً من نُفوسهمُ ... إلا وفى يده من نَتْنها عُود(٣)
أكُلَّما اغتال عبدُ السوء سيدَه ... أو خانه فَلَهُ فى مصرَ تمهيد ؟
صار الخصىُّ إمام الآبقينَ بها ... فالحرُّ مستَعْبدٌ ، والعبدُ معبود
نامتْ نواطيرُ مصرٍ عن ثعالبِها ... فقد بَشِمْنَ ، وما تَفنَى العناقيد(٤)
العبدُ ليس لُحرٍّ صالحٍ بأخٍ ... لو أنه فى ثياب الُحرِّ مولود
لا تَشْترِ العَبْدَ إلا والعَصا معه ... إن العبيدَ لأنجاسٌ مَنا كيد
ما كنتُ أحْسَبُنى أحيا إلى زمنٍ ... يُسىء بى فيه كلْبٌ وهو محمود
ولا توهَّمت أنّ الناس قد فُقِدُوا ... وأن مثلَ أبى البيْضاء موجود(٥)
وأن ذَا الأسودَ المثقوبَ مِشْفَرُهُ ... تطيعُه ذى العَضاريط الرعاديد(٦)

---

(١) أروح : من الراحة . وخازنا ويدا : منصوبان على التميز . أى أصبحت غنيا ، ولكن يدى وخازنى فى راحة ، إذ كانت أموالى مواعيد كافور ، وهى وهمية .

(٢) القرى : مايقدم للضيف من الطعام . ومحدود : أى ممنوع عن الرحيل عنهم .

(٣) أى أن الموت إذا جاءهم لقبض نفوسهم جعل فى يده عودا ينشل به أرواحهم من أبدانهم لنتنها تقزرا من مس أبدانهم بيده .

(٤) النواطير . حافظو الكروم بالظاء والطاء ، ويريد بالنواطير السادة وبالثعالب الأراذل وبشمن : أكلن فوق الشبع .

(٥) كناه بأبى البيضاء ، وهى كنية العبيد سخرية منه .

(٦) العضاريط : جمع عضروط ، وهو اللئيم الذى يخدم بطعام بطنه . والرعاديد : جمع رعديد وهو الجبان .

جوْعانَ يأكُلُ من زادي ويُمسِكني … لكَيْ يُقالَ : عظيمُ القَدْرِ مقصود
إن امرأً أمَةٌ حُبلى تُدبِّرُه … لمستَضَامٌ سخِينُ العَيْنِ مفئود[1]
وَيْلُمِّها خطة ! وَيْلُمِّ قابلها ! … لمثلها خُلِقَ المَهريَّةُ القُود[2]
وعندَها لَذَّ طَعْمَ الموت شاربُهُ … إن المَنيَّةَ عند الذلّ قنديد[3]
مَن عَلَّمَ الأسود المخصىَّ مكرُمةً ؟ … أقَوْمُهُ البيضُ أم آباؤه الصِّيد ؟
أم أُذْنُهُ في يد النَّخاس داميةً … أم قَدرهُ ، وهو بالفَلْسَيْن مردود
أولَى اللئام كُوَيْفيرٌ بمعذرة … في كلّ لَوْمٍ ، وبعضُ العذر تفنيد[4]
وذاك أن الفحولَ البيضَ عاجزةٌ … عن الجميل ، فكيف الخصيةُ السُّودُ ؟[5]

وقال يمدح سيف الدولة ويعاتبه عند إزماعه السفر إلى مصر :

واحَرَّ قلباهُ ممنْ قلبُه شبِمُ … ومن بِجِسْمِي وحالي عنده سَقَمُ[6]
مالي أُكتِّم حُبًّا قد برى جسدي … وتدَّعى حُبَّ سيف الدولة الأُمم

---

(١) مفئود : مصاب في فؤاده . أي إن من يدبره ويسوسه أمثال كافور الخصى العظيم البطن الذي يشبه الأمة الحبلى لسخين العين فاقد العقل .

(٢) ويلمها : أي ويل لأمها ، فحذفت ألف أم توسعا ، وجعلت مع الويل كأنها كلمة واحدة ولام ويل : إما مرفوعة أو مخفوضة بنقل حركة همزة أم المحذوفة إليها على لغة من يكسر همزة أم ، وهي سب للمكروه . والخطة هنا : الشأن والحال والعيشة . وقوله : لمثلها الخ أي لمثل الخلاص منها . والمهرية : النوق المنسوبة إلى بلاد مهرة ، وهي كريمة سريعة السير . والقود : جمع قوداء ، وهي الطويلة .

(٣) القنديد : العسل من قصب السكر .

(٤) كويفير : تصغير كافور . والتفنيد : اللوم والمؤاخذة .

(٥) جمع خصى ، ويجمع أيضاً على خصيان .

(٦) الهاء في قلباه : للسكت ، واتصالها هنا بما قبلها مع أنها موصولة بما بعدها ضعيف أو هو مذهب كوفي . والشبم : البارد . أي ما أشد حرارة قلبي من حب الذي برد قلبه .

إن كان يجمعنا حبٌّ لغُرَّته ... فليتَ أنَّا بقدر الحب نقتسم (١)
قد زرتُه ، وسيوف الهند مُغمدةٌ ... وقد نظرتُ إليه ، والسيوفُ دَم (٢)
فكان أحسنَ خلقِ الله كلِّهمُ ... وكان أحسن ما في الأحسن الشيَمُ
فَوْتُ العدُوِّ الذى يمّمتَهُ ظَفَرٌ ... فى طَيِّه أسَفٌ فى طيِّه نِعم (٣)
قد ناب عنك شديدُ الخوف واصطنعت ... لك المَهابةُ ما لا تصنعُ البُهَم (٤)
ألزمت نفسك شيئاً ليس يلزَمُها ... ألّا تُواريَهم أرضٌ ولا عَلَمَ (٥)
أكُلَّما رُمت جيشاً ؟ فانثنى هرَباً ... تصرَّفَتْ بك فى آثاره الهِمَمُ ؟
عليك هزْمُهمُ فى كلِّ معتَرَكٍ ... وما عليك بهم عارٌ إذا انهزموا
أما ترى ظَفَرًا حُلْوًا سوى ظَفَرٍ ... تصافحت فيه بيضُ الهند واللمَمَ (٦)
يا أعدلَ الناسِ إلا فى مُعاملتى ... فيكَ الخصامُ ، وأنتَ الخصمُ والحكَمَ !
أعيذها نَظَراتٍ منك صادقةً ... أن تحسَبَ الشحْمَ فيمَنْ شحمُهُ وَرَم
وما انتفاعُ أخى الدنيا بناظره ... إذا استوتْ عنده الأنوارُ والظلَمَ
أنا الذى نَظَرَ الأعمى إلى أدبى ... وأسمعَتْ كلماتِى مَن به صَمَم (٧)

---

(١) الغرة : الوجه . أى ليته يرعى كلامنا بقدر حبنا إياه .

(٢) أى أن خدمته فى حالتى السلم والحرب .

(٣) أى أن فوت العدوّ وفراره منك ظفر لك فى ضمنه أسف على عدم إدراكه وقتله ، ولكن فيه نعم لأنك كفيته .

(٤) البهم : جمع بهمة ، وهو الشجاع . أى أن خوف الأعداء منك يفعل فيهم ما لا يفعله الشجعان .

(٥) العلم : الجبل . أى تريد ألا يستر أعداءك الفارين مكان يختفون فيه ، وهذا غير لازم ، بل يكفيك فرارهم . والأبيات الآتية توضح المعنى .

(٦) اللمم : جمع لمة وهى الشعر المجاوز شحمة الأذنين ، يريد الرءوس .

 ، يريد بكلماته أشعاره .

أنامُ ملءَ جُفونِ عن شواردها ويَسْهرُ الخلقُ جرّاها ويختصم (١)
وجاهلٍ مدّهُ فى جَهْلِهِ ضَحِكى حتى أتَتْهُ يَدٌ فرّاسَةٌ وفم
إذا رأيتَ نيوبَ الليث بارزةً فلا تظُنَّنَّ أن الليثَ يبتَسم
ومُهجةٍ مهجتى منْ همِّ صاحبها أدركتُها بجوادٍ ظَهرُه حَرَم (٢)
رجلاهُ فى الركض رجلٌ، واليدان يَدٌ وفعلُه ما تُريدُ الكفُّ والقَدَم (٣)
ومُرْهَفٍ سِرْتُ بَيْن الجحفلَيْن به حتى ضربتُ، وموجُ الموت يَلتطم
فالخيلُ والليلُ والبيداء تَعرفُنِي والحرْب والضَّرب والقرطاسُ والقلَم
صحبت فى الفلوات الوحشَ منفرداً حتى تعجَّبَ منى القورُ والأكم (٤)
يا من يعزّ علينا أن نفارقهم وجدانُنا كلَّ شىء بعدكم عَدَم (٥)
ما كان أخلقنا منكم بتكرمةٍ لو أن أمرَكُمُ من أمرِنا أَمَمُ
إن كان سرّكُمُ ما قال حاسِدُنا فما لجرحٍ إذا أرضاكم ألَمُ
وبيننا لو رعيتُمْ ذاك معرفةٌ إن المعارف فى أهل النهى ذمَمُ
كم تطلُبون لنا عيباً فيُعجزُكمْ ويكرَه اللهُ ما تأتون والكرم

---

(١) شوارد الأشعار ، سوائرها وذائعاتها : أى أنه ينظمها وينام ، والناس يسهرون لأجلها بحثا ونقداً واجتلابا وحفظا ورواية .

(٢) أى ورب مهجة حاسد أو عدو مهجتى أنا من همه وقصده ، قد أدركتها وقتلت صاحبها على فرس ظهره أمان وحصن .

(٣) وصف الفرس بالسرعة والنشاط فقال : رجلاه رجل واحدة ، ويداه يد . يعنى أنه يرفع رجليه معا ويضعهما كذلك . وكذلك يداه . وفعله فى الجرى يغنى عن الكف التى تحمل السوط وعن القدم التى يستحثه بها .

(٤) القور : جمع قارة . وهى الأكمة فى الأرض الحرة (البركانية) .

(٥) الوجدان : الوجود . أى لما فارقناكم كان كل شىء نجده فى حكم العدم .

ما أبعدَ العيبَ والنقْصانَ من شَرَفى ؛ أنا الثُريّا ، وذانِ الشَّيْبُ والهَرَمُ
ليتَ الغمامَ الذى عندى صواعقُه يُزِيلهُنَّ إلى مَن عنده الدِّيَمُ
أرى النَّوَى يَقتَضِينى كلَّ مرحَلَة لا تَستقِلُّ بها الوَخادةُ الرُّسُم[(١)]
لئن تركْنَ ضُمَيْرًا عن مَيامِنِنا ليحْدُثَنّ لِمَن ودَّعتُهم نَدَم[(٢)]
إذا ترحّلت عن قوم وقد قدرُوا ألا تُفارقهم فالراحلون هُم
شر البلاد مكانٌ لا صديق به وشرُّ ما يكسبُ الإنسانُ ما يصِم
وشرُّ ما قَنَصَتْه راحتى قنصٌ شُهْبُ البُزاة سواءٌ فيه والرَّخَمَ[(٣)]
بأى لفْظ تقول الشعرَ زِعنِفةٌ تجوزُ عندك لا عُربٌ ولا عجَم[(٤)]
هذا عتابُك إلّا أنه مِقَةٌ قد ضُمِّن الدُّرَّ إلّا أنه كَلِمُ[(٥)]

وقال فى الحكمة :

إذا غامرت فى شرفٍ مَرُوم فلا تَقْنَعْ بما دُونَ النُّجوم
فطَعْمُ الموْت فى أمرٍ حقيرٍ كطعم الموْت فى أمرٍ عظيم
ستَبكى شجْوَها فرَسى ومُهرى صفائحُ دمعُها ماء الجُسومِ[(٦)]
قرَبْنَ النارَ ، ثم نشأنَ فيها كما نشأَ العذارَى فى النعيم
وفارقْنَ الصياقل مُخْلصاتٍ وأيديها كثيراتُ الكُلومِ[(٧)]

---

(١) الإبل السريعة المشى القوية عليه .
(٢) ضمير : جبل يكون على يمين الذاهب إلى مصر من حلب .
(٣) البزاة : جمع باز وهو ضرب من الصقور قوى . والرخم طائر من الجوارح .
(٤) الزعنفة : الطائفة ، وأصل الزعانف : أجنحة السمك ، يشبه به الأرذال والأوشاب .
(٥) المقة : الحب والعشق .
(٦) يريد بالصفائح السيوف ، ثم أخذ فى وصفها الخ .
(٧) الصياقل : جمع صيقل ، وهو الذى يشحذ السيوف . والكلوم جمع كلم ، وهو الجرح أى وأيدى الصياقل كثيرة الجراح من مضائها .

يرى الجبناءُ أن العجزَ عقلٌ ... وتلك خديعةُ الطبعِ اللئيم
وكل شجاعةٍ في المرءِ تُغني ... ولا مثلَ الشجاعة في الحكيم
وكم من عائبٍ قولاً صحيحاً ... وآفتُه من الفَهْم السقيم
ولكن تأخُذُ الاذانُ منه ... على قدْر القرائح والفُهوم

وقال من قصيدة يمدح بها كافورا :

أوَدّ من الأيّام مالَا توَدُّهُ ... وأشكو إليها بَيْننا وهي جُندُهُ(١)
يباعدْن حِبًّا يَجْتَمِعْن وَوَصْلُه ... فكيف بِحِبٍّ يجتمعْن وصده(٢)
أبى خُلُقُ الدُّنيا حبيباً تُديمه ... فما طَلَبي منها حَبيبا تردُّهُ ؟
وأسرعُ مفعولٍ فعلت تغيُّرًا ... تكلفُ شيءٍ في طِباعكَ ضِدُّهُ
رعى اللهُ عيساً فارقتْنا وفوقَها ... مهًا كلها يُولَى بجفنيه خدُّهُ(٣)
بوادٍ به ما بالقلوب كأنّه ... وقد رحلوا جيدٌ تناثرَ عقدُهُ(٤)
إذا سارت الأَحداجُ فوق نَباتِه ... تفاوَحَ مسكُ الغانيات وَرَنْدُهُ(٥)

---

(١) أي أود منها ما لا توده من إنصافي وتنويلي مرادي ، وأشكو إليها فراقنا ، وهي عون من الفراق .

(٢) وصله وصده : معطوفان على الضمير في يجتمعن بدون فاصل ، ضرورة . أي يبعدن منها الحبيب المواصل ، فكيف يقربن الحبيب المقاطع ؟

(٣) العيس : الإبل البيض . والمها : جمع مهاة ، وهي البقرة الوحشية تشبه بها المرأة في حسن العينين . ويولى : يمطر ، أي ينزل عليه المطر . والمراد به هنا الدموع ، أي رعى الله إبلا فارقتنا عليها نسوة كالمها كل واحدة منهن تبكي فيسيل دمعها على خدها .

(٤) أي فارقتنا بواد به ما بقلوبنا من الوجد والوحشة ، وكان متزينا بنزولهن فيه ، فلما رحلن صار كالجيد العاطل من الحلية .

(٥) الأحداج : جمع حدج مركب كالهودج للنساء . والرند : نبات طيب الرائحة بالبادية ، وهو للنار . أي إذا سارت الإبل حاملة لهن في الأحداج تفاوح مسكهن ونبات الرند بالوادي .

وحالٍ كإحداهُن رُمْتُ بُلوغَها ... ومن دُونِها غَوْلُ الطريق و بُعْدُه[(١)]
وأتعبُ خلْق الله من زادَ همُّــه ... وقَصَّرَ عما تَشْتَهِي النفسُ وُجدُه[(٢)]
فلا يَنْحَلِلْ في المَجد مالُكَ كلُّه ... فينحلَّ مَجْدٌ كان بالمال عَقْدُه
ودَبِّرْه تدبيرَ الذى المجـدُ كَفهُ ... إذا حارَبَ الأعداءَ ، والمالُ زَنْدُه[(٣)]
فلا مَجْدَ فى الدنيا لَمَن قلَّ مالُه ... ولا مالَ فى الدنيا لَمَن قلَّ مَجْدُه
وفى الناس مَن يرضَى بميسور عيْشه ... ومركوبُه رجلاهُ ، والثَّوبُ جلْدُه
ولـكنَّ قَلْباً بين جَنْبَيّ مَالَهُ ... مَدًى ينتهى بى فى مُرَادٍ أحُدُّه
يَرى جسمَه يُكسَى شُفُوفا تَرُبُّهُ ... فيختارُ أن يُكسَى دُروعاً تَهُدُّه[(٤)]
يُكَلِّفُنِي التهجيرَ فى كلِّ مَهْمَهٍ ... عَليقى مَراعيـه وزادَى رُبْدُه[(٥)]

وقال فى وصف الحياة والناس :

صَحِبَ الناسُ قبلَنا ذا الزمانا ... وعَناهُمْ من شـأنِه ما عنانا
وتولَّوْا بِغُصَّةٍ كلهم منْـ ... ـه ، وإن سرَّ بعضَهم أحيانا
رُبَّمـا تحسنُ الصنيعَ ليالِيـ ... ـه ، ولـكنْ تُكَدِّرُ الإحسانا
وكأنَّا لم يرضَ فينا بِرَيب الدْ ... دَهْر ؛ حتَّى أعانَهُ مَن أعانا
كلَّما أنبتَ الزمانُ قنـاةً ... ركَّبَ المرءُ فى القناة سنانا[(٦)]

---

(١) الغول : المشقة . أى : ورب حال كإحدى هذه النسوة فى الصعوبة والامتناع وتعذر الوصول إليهن .

(٢) الوجد : المال والمقدرة .

(٣) الزند : موصل الذراع في الـكف ، ومن الزند يستمد الـكف قوته .

(٤) الشفوف : جمع شف ، وهو الثوب الرقيق . تربه : تنعمه وتنميه .

(٥) التهجير : السير فى الهاجرة وهى نصف النهار . والمهمه المـكان القفر . والربد : جمع أربد يريد بها النعام . أى لا عليق له إلا مرعى البادية . ولا زاد إلا من صيد النعام .

(٦) القناة : الرمح . والسنان : رأسه الذى يطعن . وهو النصل .

وَمُرادُ النُّفوسِ أصغرُ منْ أنْ تتعادى فيه ، وأنْ تتفانى
غير أن الفتى يُلاقِي المنايا كالحات ، ولا يُلاقِي الهَوانا
ولَو أن الحياةَ تبْقَى لحيّ لعدَدْنا أضَلَّنا الشُّجعانا
وإذا لم يكن من الموْت بُدٌّ فمن العَجز أن تكون جبانا
كلُّ مالم يَكُنْ من الصعب في الأنفُس سهْلٌ فيها إذا هُو كانا(١)

٢ — أبو فراس(٢)

قال في الشكوى والعتاب :

وإنّى وقوْمى فرّقتْنا مذاهبُ وإن جمعتْنا في الاصول الْمَنَاسبُ
فأقصاهُمُ أقصاهُمُ من مساءَتى وأقربُهم مما كرهتُ الأَقاربُ
غريبٌ وأهلِي حيثُما كرّ ناظرى وحيدٌ وحَوْلى من رجالى عَصائبُ(٣)
نَسيبُك من ناسبْتَ بالوُدّ قلبَه وجارُك من صافيْتَه لا الْمُصاقبُ(٤)
وأعظمُ أعْداءِ الرجال ثِقاتُها وأهونُ من عاديْتَه منْ تُحاربُ
وما الذنبُ إلا العَجزُ يركبُه الفتى وما ذنبُه إن حَاربَته المطالبُ
ومن كانَ غيرُ السيفِ كافلَ رزْقه فلِلذلِّ منه — لامَحالةَ — جانبُ

---

(١) أى أن كل شيء صعب لم تصب به النفس يسهل على النفس أمره إذا أصيبت به .

(٢) هو أبو فراس الحارث بن حمدان التغلبي ابن عم سيف الدولة أمير حلب وممدوح المتنبي ، كان شاعراً أديباً فارساً . طالما قاتل الروم بين يدى سيف الدولة أمير حلب ، وأسر في إحدى وقائعه معهم ، وطال أسره . وكان يكتب إلى سيف الدولة من الكتب والقصائد في إنقاذه ، وكان يعسر عليه المفاداة ، ثم فك أسره ، وسكن منبج موليًا عليها . ثم قتل في ثورة قومية سنة ٣٥٧ عن ٣٧ سنة . ويغلب على شعره الفخر والشكوى من الأقارب والعتاب .

(٣) عصائب : جماعات .

(٤) المصاقب : الذى داره بجانب دارك .

وقال فى الحكم :

أنفق من الصبر الجميل ، فإنّه لم يَخْش فقراً منفقٌ من صبْره
والمرء ليس ببالغ فى أرضِه كالصقر ليس بصائد فى وَكرِه

وقال يشكو حاسديه و يذم فعلهم :

ومُضْطَغنٍ[1] لم يحمل السِّر قلبُه تلفَّت ثم اغتابنى وهو هائب
تردَّى رداء الذل لمَّا لَقيتُه كما تتردَّى بالغُبَار العناكب
ومن شَرَفى ألا يزال يعيبنى حسود على الأمر الذى هو عائب
رمتْنى عيون الناس حتى أظُنها ستحسدنى فى الحاسدين الكواكب
ولست أرى إلَّا عدوًّا محاربًا وآخرَ خيرٌ منهُ عنْدى الْمُحارب[2]
فهُم يُطفئُون المجد ، والله واقد وهم ينقصُون الفضْل ، والله واهب
وهل يدفع الإنسانُ ما هو واقعٌ وهل يعلمُ الإنسانُ ما هُو كاسِب
وهل لقضاء الله فى الناس غالب وهل من قضاء الله فى النَّاس هارب
علىَّ طلاَبُ العزِّ من مُسْتَقرِّه ولا ذنْب لى إنْ حار بتْنى المطَالبُ[3]
إذا الله لم يُحرزكَ ممـا تخافه فلا الدِّرعُ منَّاعٌ ولا السيفُ قاضب[4]

وقال فى وصف كتاب ورد عليه من صديق له :

ووارِدٍ مُوردٍ أُنْساً يؤَكِّدهُ صُدورهُ عن سليم الورْد[5] والصدر[6]
شُدَّت سحائبه منه على نُزَهٍ[7] تُقَسِّمُ الحسن بيْن السَّمْع والبَصَر

---

(١) منطو على الضغن وهو الحقد .
(٢) يريد الحسود المنافق الذى يبطن له العداوة . (٣) الطلاب : الطلب .
(٤) لم يحرزك : لم يوقك . قاضب : قاطع .
(٥) ورد الماء والمكان : وصل إليه .
(٦) صدر عن المكان وعن الماء : رجع عنه إلى المكان الذى صار إليه .
(٧) جمع نزهة : الأرض المزينة بالنبات .

عُذُوبَةٌ صَدَرتْ عن منطق جَدَدٍ[(١)] كالماء يخرج ينبوعاً من الحجر
وروضة من رياض الفكر دبَّجها[(٢)] صوبُ[(٣)] القرائح لا صوبٌ من المطر
كأنما نَشَرت أيدى الربيع بهـا بُرْداً[(٤)] من الوشى[(٥)] أو ثوباً من الحبر[(٦)]

وقال من قصيدة ينوّه فيها بشجاعته ، وقد أسره الروم وهو يحارب فى جيش ابن عمه سيف الدولة :

أُسرت وما صحبي بعُزل[(٧)] لدى الوَغَى ولا فرسى مُهْرٌ ولا رَبُّهُ غُمْرُ[(٨)]
ولـكن إذا حُمَّ[(٩)] القضاء على امرئ فليس له برٌّ يقيه ولا بحر
وقال أُصيحابى : الفرارُ أو الرَّدى فقلت : هما أمران ، أحلاهما مر
ولـكننى أمْضى لمـا لا يعيبُنى وحسبُكَ من أمرين ،خيرهما الأسْرُ
يمنُّون أن خلَّوْا ثيابى ، وإنمـا علىَّ ثياب من دمائهم حمرُ
ونحن أناسٌ لا توسُّط عندنا لنا الصدرُ دون العالمين أو القبرُ
تهُون علينا فى المعالى نفُوسُنا ومن يخطُب الحسناء لم يغلها المهرُ

---

(١) سهل .
(٢) نقشها .
(٣) نزول المطر .
(٤) ثوب مخطط .
(٥) كثير الألوان .
(٦) برد يمان .
(٧) لا رماح معهم . مفرده : أعزل .
(٨) من لم يجرب الأمور .
(٩) نزل .

وكتب وهو فى أسر الروم إلى سيف الدولة :

أَبِى غَرْبُ هذا الدّمع إلا تسرُّعَا ومكنونُ هذا الحُبِّ إلا تضوُّعا
فلما استمرّ الحب فى غُلوائه رعيْتُ مع المضياعة الغِرّ مَا رَعَى[1]
بُحزْنِىَ حُزنُ الهائمين مُبرِّحًا وسرّى سرُّ العاشقين مُضيَّعا
خليلى : لِمْ لا تبكيانِى صبابةً أأبدلْتُما بالأجرع الفرد أجرعا[2]
علىّ لمن ضنَّتْ علىّ جفُونُه غواربُ دمعٍ يشملُ الحىَّ أجمعَا[3]
وهبْتُ شَبابى ، والشبابُ مَضنَّةٌ لأبلجَ من أبناءِ عمِّىَ أروعا[4]
أبيتُ مُعنًّى من مخافة عتْبه وأصبحُ محزونا ، وأُمسى مُروَّعا
فلمّا مضى عصرُ الشبيبة كُلُّهُ وفارقنى شرخُ الشباب فودَّعا
تطلّبتُ بين العَتْبِ والهجْرِ فُرجةً فحاولتُ أمراً لا يُرامُ مُمنَّعا
وصرتُ إذا ما رُمت فى الخير لذةً تتبعتُها بين الهُموم تتبُّعا[5]
وهأنا قد حلَّى الزمانُ مفرقى وتوّجنى بالشّيب تاجاً مُرصعا
فلو أنَّنى مُكِّنْتُ فيما أريدُه من العيش يوماً لم أجد فىَّ موضعا
أما ليلةٌ تمْضِى ولا بعضُ ليلة أُسَرُّ بها هذا الفؤادَ الموجعا
أما صاحبٌ فرْدٌ يدومُ وفاؤه فيُصْفِى لمن أصْفَى ، ويَرعى لمن رَعى
أفى كلّ دارٍ لى صديقٌ أودُّه إذا ما تفرَّقنا حفظتُ وضيَّعا

---

(١) الغلواء : الغلو والمضياعة : الكثير الإضاعة والغر : القليل التجربة . أى فلما زاد الحب ضعفت عزيمتى ورعيت مع الحبيب الغفل ما يرعى واتبعته فيما يشاء

(٢) أى هل استبدلتما بالأجرع الفرد مكاناً غيره . يريد هل نسيتمانى واتخذتما بدلى حبيباً آخر ؟ .

(٣) أى أنى أبكى على من لا يبكى على بكاء يعم الحى جميعه . يصف نفسه بالوفاء ولو لغير وفىّ .

(٤) الأروع : السيد الشجاع السريع النجدة .

(٥) يعنى أنه محروم لا يستخرج لذته إلا من بين الهموم .

(٦) أى أنه لم تبق فيه بقية صحة للتمتع .

إذا خفتُ من أخوالى الروم خُطّةً   تخوّفتُ من أعمامى العُرْب أربعا
وإن أوجعتنى من أعادىَّ شيمةٌ   لقيتُ من الأحباب أدمى وأوجعا
ولَو قد رجوت الله لا ربَّ غيرُه   رجعتُ إلى أعلى ، وأمّلتُ أَوسعا(١)
لقد قنعوا بعدى من القطْر بالنَّدى   ومن لم يجد إلا القُنوع تقنّعا(٢)
وما مرَّ إنسانٌ فأخْلف مثْلهُ   ولكن يُرجِّى الناسُ أمرا مُوَقَّعا(٣)
تنكر سيفُ الدِّين لما عتبْتُهُ   وعرّض بى تحت الكلام وقرّعا
فقُولا له ، يا صادق الوُدّ إننى   جعلتُكَ ممّا رابنى منك مفزْعا
ولو أننى أكننْتُهُ فى جوانحى   لأورق ما بين الضلوع وفرّعا(٤)
فلا تغترر بالناس ، ما كلٌّ من ترى   أخوك ، إذا أوضعت فى الأمر أوضعا(٥)
ولا تتقلَّد ما يروقُ جمالُه   تقلَّد إذا جرَّبت ما كان أقطعا(٦)
ولا تقبلنَّ القول من كلّ قائل   سأُرضيك مرأى لستُ أُرضيك مسمَعا
ولله إحسانٌ على ونعمةٌ   ولله صُنعٌ قد كفانى التّصنُّعا
أرانى طُرق المَكْرُمات كما رأى   علىٌّ وأسمانى على كل من سعى(٧)
فإن يكُ بُطءٌ مرة فلطالما   تعجَّلُ بى نحو الجميل فأسرعا

---

(١) أى أنى خبت فى رجائى الناس ولو رجوت الله وحده لكنت رجعت إلى أعلى مرتجى وأملت أوسع مؤمل .

(٢و٣) أى أن أهلى ونسوتى قنعوا بغيرى ممن لا يغنى غنائى مع أن من مضى لا يأتى خلف له يساويه . وإنما يعتبر الناس الأمر الواقع فيكتفون بغيرى عند غيبتى .

(٤) أورق الشجر : ظهر ورقه ، أى أنى لو تركت عتابى لك فيما أخذته عليك ، وكتمت ذلك فى قلبى ، لجلب كتمانه الحقد والعداوة . فالمسارعة بإظهار المؤاخذة أنفى للشر ، وأدل على المودة والمحبة .

(٥) أوضع فى الأمر : أسرع فيه ، أو أجرى دابته إجراء سريعاً .

(٦) *ولا تتقلد ما يروق الخ : أى لا تتقلد سيفاً جميل المنظر غير قاطع .*

(٧) وصف الدولة وهو اسمه .

وإن يَجْفُ فى بعض الأمور فإننى لأشكُرُه النُّعْمى التى كان أودعا
وإن يستجدّ الناسَ بعدى فلم يَزَلْ بذاك البديل الْمُسْتَجَدِّ مُمَتَّعا(١)

وقال من قصيدة بعث بها إليه من الأسر يعاتبه على تباطئه فى فكاكه :

وأبطأَ عنِّى والمنايا سريعة وللموت ظُفْرٌ قد أطلّ ونابُ
فإن لم يكن وُدٌّ قريبٌ نعُدُّهُ ولا نَسبٌ بين الرجال قُرابُ(٢)
فأحْوطُ للإسلام ألّا يُضيعنى ولى عنه فيه حوْطَة ومنابُ(٣)
ولكننى راضٍ على كلّ حالةٍ لِعلَمَ أىُّ الحالتين صَوابُ ؟
وما زلتُ أرضى بالقليل محبةً لديْهِ ، وما دُونَ الكثير حجاب
وأطلُبُ إبقاءً على الوُدِّ أرْضهُ وذِكْرِى مُنًى فى غيرها وطِلابُ(٤)
كذاك الودادُ المحض . لا يُرتجى له ثَوابٌ ، ولا يُخشى عليه عقاب
وقد كنتُ أخشى الهجر والشمل جامع وفى كلِّ يوم لُقْيةٌ وخطاب
فكيفَ وفيما بَيْننَا مُلكُ قَيْصرٍ وللبحر حَوْلى زَخْرةٌ وعُبابُ
أمِنْ بَعد بَذْلِ النفس فيما تُريدُه أُثابُ بمُرِّ العتب حين أُثاب ؟
فليتَكَ تحلُو ، والحياةُ مَريرةٌ وليْتَكَ تَرْضَى والأنامُ غِضاب
وليت الذى بَيْنِى وبَيْنَكَ عامرٌ وبينى وبين العالمين خَراب
إذا صحّ منك الوُدُّ فالكلُّ هيِّنٌ وكلُّ الذى فَوْقَ التُّرابِ تُراب

---

(١) أى وإن يستجد سيف الدولة قائداً ونصيراً آخر بعدى فإنى أدعو له بأن يظل ممتعا
(٢) القراب : المقارب .
(٣) أى إذا لم ينقذنى الود والنسب فلا أقل من أن يستنقذنى للاسلام فإنى أحوطه وأنوب عنه فى الذود عنه .
(٤) أى أنى أطلب أرضه إبقاء على ودّه وإلا فإن مجرّد ذكرى فى أرض غيرها هو منية أهلها وطلبتهم .

٣ — أبو العلاء المعرى[1]

قال فى الفخر :

أرى العنقاءَ تكبُرُ أن تُصادا فعانِدْ من تطيقُ له عنادا[2]
وما نَهْنَهْتُ عن طلب ، ولكن هى الأيام لا تُعطى قيادا[3]
فلا تَلُمِ السوابق والمطايا إذا غرضٌ من الأغراض حادا[4]
لعلك أن تُشنَّ بها مُغارا فتنجح أو تُجشِّمها طِرادا[5]
مُقارعةً أحِجَّتَها العَوَالى مُجنَّبةً نواظرها الرُّقادا[6]
تلومُ على تبلُّدها قلوبٌ تُكابِدُ من معيشتها جِهادا
إذا ما النّارُ لم تُطعم ضِراماً فأوْشِكْ أن تمُرّ بها رَمادا
فظُنَّ بسائر الإخوان شرًّا ولا تأمنْ على سرٍّ فُؤادا
فلو خبرتَهُمُ الجوزاء خُبْرى لما طلعت مَخَافَةً أن تُكادا
تجنَّبْتُ الأنامَ ؛ فلا أواخى وزدتُ عن العدُوّ ؛ فلا أُعادَى

---

(١) أبو العلاء : هو أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخى المعرى الضرير الشاعر الفيلسوف المؤلف . نشأ بالمعرة ودرس على أبيه وأهله صبياً ، ثم على علماء حلب وأعالى الشام حتى صار علما فى الاشتهار ، ثم ذهب إلى بغداد ولاقى علمائها ورؤساءها . ومكث فيها فلم يطب له بها العيش ، فرجع إلى منزله ولم يخرج منه ، وانقطع عن الناس وعن أكل كل ذى روح وما يخرج منه . وتشبث بآراء فى الشرائع والديانات ونظام الحكم جرت عليه كثيراً من الشبه فى عقيدته وعمر حتى مات سنة ٤٤٩ هـ . بعد أن ترك شعراً كثيراً ومؤلفات عدّة ورسائل مختلفة .

(٢) العنقاء : طائر يعرف باسمه ، ولكنه لا يوجد ولا يرى ، وللأولين فيه مزاعم شتى .

(٣) نهنهت : كففت .

(٤) المعنى لا تلم الخيل والإبل إن لم تدرك غرضك ، فلعلك تطلب بها غرضا آخر وهو شن الغارة .

(٥) المغار : موضع الغارة وموضع الشن : تفرقه به فى الحمل على الأعداء ومطاردتهم من كل جهة .

(٦) الأحجة : جمع حجاج وهو العظم الذى فوق العين وعليه الحاجب . أى تكون الرماح مقارعة لما فوق أعينها .

ولما أن تَجَهَّمَنِي مُرادى ... جَرَيْتُ مع الزمان كما أرادا[1]
وَهوَّنْتُ الخطوب علىّ حتى ... كأنى صرتُ أمنحُها الودادا
أأُنكرُها ومنبِتُها فؤادى ... وكيف تنكَّرُ الأرضُ القتادا ؟[2]
فأىّ الناس أجعلُه صديقا ... وأىّ الأرض أسلكه ارتيادا ؟
ولو أنّ النجومَ لدَىَّ مالٌ ... نفَتْ كفّاى أكثَرها انتقادا
كأنِّى فى لسان الدهر لفظٌ ... تضمّنَ منه أغراضاً بِعادا
يُكرِّرُنى ليفهمنى رجالٌ ... كما كرّرتَ معنًى مُستعادا
ولو أنى حُبِيتُ الخُلدَ فَرْداً ... لما أحْبَبْتُ بالخلد انفرادا
فلا هطَلَتْ علىّ ولا بأرْضى ... سحائبُ ليس تنتظمُ البلادا[3]
وكم من طالبٍ أمدى سيلقَى ... دُوَيْنَ مكانىَ السَّبْعَ الشِدادا[4]
يُؤَجِّجُ فى شُعاع الشمس نارا ... ويقدَحُ فى تلهُّبها زنادا[5]
ويطعَنُ فى عُلاى ، وإن شِسْعى ... ليأنفُ أن يكونَ له نِجادا[6]

---

(١) تجهمه : تنكر له وعبس . والمراد هنا أنه لما استعصى عليه مراده ، ولم يستطع بلوغ ما يريد ، استسلم لما تريده الأيام .

(٢) القتاد : نوع من الشوك .

(٣) تنتظم : تعم .

(٤) دوين : تصغير دون . والسبع الشداد : السموات . أى : سيجد مسافات شاسعة قبل أن يجد منزلتى .

(٥) أى أن من يسابقنى ويباريني فى المجد لا يدركنى ، بل يكون مثله كمثل من يؤجج ناراً يكيد بها الشمس .

(٦) شسع النعل : الزمام بين الأصبع الوسطى والتى تليها . والنجاد : حمائل السيف .

ويُظهرُ لى مودَّتَه مقالًا ويُبغضُنى ضميراً واُعتقادا
فلا وأبيكَ ما أخشى اُنتقاصاً ولا وأبيك ما أرجو اُزديادا !
لىَ الشرفُ الذى يطأُ الثُّريَّا مع الفضل الذى بَهَر العبادا
وكم عينٍ تُؤَمِّل أن ترانى وتَفقدَ عند رُؤيتى السَّوادا(١)
ولو ملأَ السُّها عينيه منِّى أبرّ على مدَى زُحَلٍ وزادا(٢)
أَفُلَّ نوائب الأيام وَحدى إذا جمعتْ كتائبهَا احتشادا(٣)
وقد أثبتُّ رجْلِى فى ركاب جعلتُ من الزِّماع له بِدادا(٤)
إذا أوطأْتُها قَدَمَىْ سُهيْلٍ فلا سُقيتْ خُناصرةُ العِهادا(٥)
كأنّ ظباءهن بَناتُ نَعْش يرِدْنَ إذا وردن بنا الثِّمادا(٦)

---

(١) سواد العين : الحدقة منها ، وبها يكون الإبصار . أى أن الرائى تخفى عليه حين يراه حقيقته ، فكأنه ينظر إليه بعين غير مبصرة . وقد يكون المعنى أن الرائى حين يراه يحقد عليه لما يرى من عظمته ، فتحرك فيه نوازع البغض ، فيعرض عنه .

(٢) السها : نجوم خفية فى بنات نعش الصغرى . وليس لها أثر فى الحظ والتأثير عند المنجمين كما لزحل . وأبر : فاق وزاد .

(٣) أفل النوائب : أهزمها . والكتائب : جمع كتيبة ، وهى الطائفة من الخيل للحرب .

(٤) الزماع : الشجاعة . والبداد : ما على جانب السرج من اللبد المحشو الذى تقع عليه ساقا الراكب .

(٥) سهيل : نجم يطلع فوق سمت اليمن . وخناصرة : بلدة بالشام . والعهاد : المطر . يقول إذا توجهت مساء اليمن فلا أبالى مايصيب الشام بعدى .

(٦) بنات نعش : كواكب متفرقة تشاهد جهة القطب الشمالى . والثماد : جمع ثمد ، وهى المياه القليلة تكون تحت الرمل يحفر عنها حفر صغيرة يقرب بعضها من بعض ، أى كأن ركائبى العطاش حين ترد هذه الثماد مثل الكواكب المسماة بنات نعش فى تفرقها .

ستعجَبُ من تَغَشْمُرها ليالٍ ... تُباريها كواكبُها سُهادا[1]
كأنَّ فِجاجها فَقَدَتْ حَبيباً ... فصيَّرت الظلامَ لها حدادا
وقد كَتَبَ الضَّريبُ بها سُطوراً ... فخلتُ الأرض لابسةً بجادا[2]
كأنَّ الزِّبْرقان بها أسيرٌ ... تُجُنِّبَ لا يُفكُّ ولا يُفادَى[3]
وبعضُ الظاعنين كقَرْن شمْس ... يغيبُ فإن أضاءَ الفجرُ عادا
ولكنَّ الشَّباب إذا تولَّى ... فجهلٌ أن ترومَ له ارتدادا
وأحسبُ أنَّ قلبي لو عصاني ... فعاوَد ما وجدتُ له افتقادا[4]

وقال يصف ديكا :

أيا « ديكُ » عدَّت من أياديك[5] صَيحة ... بعثت بها مَيْت الكَرى وهو نائم
هَتَفتَ فقال الناسُ « أوسُ بن مغيَر »[6] ... أو ابنُ « رَبَاحٍ »[7] بالمحلة قائمُ
وفيك إذا ما ضيَّع النَّكس[8] غَيْرةٌ[9] ... تُصانُ بها المستصْحَبات الكرائم[10]

---

(١) التغشمر : التعسف .
(٢) الضريب : الصقيع ، وهو الندى يسقط فيصبح أبيض على وجه الأرض ، والبجاد : الكساء المخطط .
(٣) الزبرقان : القمر ، أى كأن القمر أسر فى هذه الأرض ، فليس له من فكاك ، فتطلع الشمس .
(٤) افتقاد الشيء : أن تطلبه فى غيبته ، أى لم أطلبه حين غاب ، فأسر به حين عاود .
(٥) الأيادى النعم .
(٦) كان مؤذنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد الفتح .
(٧) هو بلال الذى كان يؤذن للنبى عليه السلام سفرا وحضرا ، وهو أول من أذن فى الإسلام
(٨) الضعيف الدنىء . (٩) الغيرة : الحمية والشجاعة .
(١٠) المستصحبات الكرائم ، يريد : الدجاج . والديك يدفع الأذى عما حوله من إناث الدجاج

يُزانُ لديْك الطّعنُ في حوْمة[١] الوغى[٢] إذا زُيِّنت للعاجزين المزائمُ
عليْك ثيابٌ خاطها اللهُ قادرٌ بها رِئْمتك[٣] العاطفاتُ الرّوائم
وتاجُك مَعْقودٌ، كأنّك «هُرْمُزٌ»[٤] يُباهى[٥] به أملاكه[٦] ويُوائمُ[٧]

وقال فى وصف ليلة :

لَيْلتى هذه عَرُوسٌ من الزّنـ ـج[٨] عليها قلائدٌ من جُمان[٩]
هرَبَ النومُ عن جُفُونِىَ فيها هَرَبَ الأمْن عنْ فؤاد الجبان
وكأنّ الهِلالَ يهوَى الثريّا[١٠] فهُمَا للوَداع مُعتنقان
وَسُهيْلٌ كوجنة الحبِّ[١١] فى اللوْ ن وقلْب المحبِّ فى الخفقان
يسرعُ اللّمْح فى احمرارٍ كما تُسـ ـرعُ فى اللّمح مُقْلَةَ الغَضْبَان
ضرّجته[١٢] دما سيوف الأعادى فبكت رحمة له الشعريان[١٣]
ثم شاب الدُّجى وَخافَ من الهَجْـ ـر فغطى المشيبَ بالزعْفَران
ونضا[١٤] فَجره على نَسْره[١٥] الوا قع سَيْفاً فَهمّ بالطّيَران

---

(١) ميدان (٢) الحرب . (٣) عطفت عليك .
(٤) الكبير من ملوك العجم . (٥) يفاخر . (٦) ملوكه .
(٧) يوافق . أى يماثل الملوك فى لبسهم التيجان .
(٨) جبل من السودان . (٩) اللؤلؤ (١٠) نجم فى السماء .
(١١) سهيل : نجم . والحب . والحبيب .
(١٢) لطخته .
(١٣) نجمان .
(١٤) جرد .
(١٥) أحد النجوم

وقال من قصيدة يرثى بها فقيها حنفياً ، وهى فى ديوانه « سقط الزند » :

غيرُ مُجْدٍ فى مِلَّتى واعتقادى نَوْحُ باكٍ ، ولا تَرَنُّمُ شادِ[1]
وشبيهٌ صوتُ النعِىِّ إذا قيـ ـسَ بصوت البشير فى كل نادِ
أَبَكَتْ تلكُم الحمامةُ أم غنَّـ ـتْ على فَرْع غُصنِها المَيَّاد
صاحِ : هذى قبورُنا تملا الرَّحْـ ـبَ فأيْن القُبورُ من عَهْد عاد؟
خفِّف الوطْء ما أظُنُّ أديم الْـ أرْضِ إلامن هذه الأجساد[2]
وقبيحٌ بنا وإن قَدُمَ العهـ ـدُ هوانُ الآباءِ والأجداد
سرْ إن استطَعْت فى الهواءِ رُوَيْدًا لا اختيالًا علىٰ رُفات العباد
رُبَّ لحدٍ قد صار لحداً مراراً ضاحك من تزاحم الأضداد
ودفينٍ على بقايا دفَيْن فى طويل الأزمان والآباد
فاسأل الفرْقَدَيْن عَمَّن أحسَّا من قبيلٍ وآنسا من بِلاد[3]
كم أقاما على زوال نهارٍ وأنارا لِمُدْلِجٍ فى سَواد[4]

---

(١) أى صائح من الطيور .

(٢) أديم الأرض : ظهرها .

(٣) الفرقدان : نجمان واضحان فى بنات نعش الصغرى (الدب الأصغر) . القبيل : الجماعة وأنس الشىء أبصره .

(٤) المدلج : السارى فى الليل . والفرقدان ليس لهما طلوع وأفول ، فهما مضيئان ثابتان إنما يدوران حول القطب الشمالى وحده .

تَعَبٌ كلها الحياة فما أعْـ ... جَبُ إلا من راغب فى ازدياد
إنّ حُزْناً فى ساعة الموت أضعا ... فُ سرورٍ فى ساعة الميـلاد
خُلِق الناسُ للبقاء فضلَّت ... أُمَّة يحسبونهم للنَّفاد
إنما يُنقَلون من دار أعما ... لٍ إلى دار شـقوة أو رشاد
ضَجْعَةُ الموت رقدةٌ يستريح الـ ... جسم فيها ، والعيشُ مثلُ السُّهاد

وقال يفتخر :

ألاَ فى سبيل المجد ما أنا فاعلُ ، ... عَفافٌ ، و إقدامٌ ، وحَزْمٌ ، ونائلُ
أعنْدى ، وقد مارستُ كلّ خفيَّةٍ ... يُصدَّقُ واشٍ أو يُخَيَّبُ سائل ؟
أقلُّ صُدُودى أننى لك مُبْغضٌ ... وأيسَرُ هجرى أننى عنكَ راحل (١)
إذا هبَّت النَّكْباء بينى و بينكم ... فأهونُ شىء ما تقولُ العواذل (٢)
تُعدُّ ذُنوبى عند قومٍ كثيرة ... ولا ذنب لى إلا العلا والفضائل
كأنِّى إذا طلتُ الزمان وأهلَه ... رجعت وعنـدى للأنامِ طوائل (٣)
وقد سار ذِكرى فى البلاد ؛ فمن لهم ... بإخفاء شمس ضوؤها متكامل ؟
يُهِمُّ اللَّيالى بعضُ ما أنا مُضمِرٌ ... وَيُثْقِلُ رَضوى دونَ ما أنا حامل (٤)
و إنِّى وإن كنتُ الأخيرَ زمانُه ... لآت بما لم تستطعْهُ الأوائلُ

---

(١) يخاطب لائمه بقوله : لا أرضى فيك بالصدود دون الإبغاض لك ، ولا بالهجر دون الارتحال عنك .

(٢) النكباء : الريح تهب بين مهبى ريحين . أى إذا بعدت عنكم ، وأصبح بينى وبينكم فراغ تهب فيه الرياح فلا أبالى بقول العواذل .

(٣) طلت فقت وسموت . والطوائل : الترات ، أى كأن لهم ثأرا عندى يطلبونه .

(٤) رضوى : جبل بين المدينة وينبع ، يضرب الشعراء بعظمه المثل .

وأغدُو ولو أن الصباح صوارمٌ   وأسْرِى ؛ ولو أنّ الظلامَ جَحافل (١)
وإنّى جوادٌ لم يُحَلَّ لِجامُه   ونِضْوُ يَمانٍ أغفلَتْه الصَّياقل (٢)
وإن كان فى لُبس الفتى شرفٌ له   فما السيفُ إلا غمدُه والحمائل
ولى مَنْطِقٌ لم يرضَ لى كُنْهَ منزلى   على أننى بَيْنَ السِّماكَيْن نازل (٣)
لدى مَوْطنٍ يشتاقُه كلُّ سيِّدٍ   ويقْصُر عن إدراكِه المتناولُ
ولما رأيتُ الجهلَ فى الناس فاشياً   تجاهلتُ حتى قيلَ : إنى جاهل
فواعجبا ! كم يدَّعِى الفضلَ ناقصٌ   ووا أسفا ! كم يُظْهِر النقصَ فاضلُ
وكيف تنامُ الطيرُ فى وُكُناتِها   وقد نُصِبَتْ للفرقدَيْن الحبائل (٤)
يُنافسُ يومى فىَّ أمسى تشرُّفاً   وتَحسُد أسْحارى علىّ الأصائل
وطال اعترافى بالزمان وصَرْفه   فلستُ أُبالى مَن تَغُولُ الغوائل
فلو بان عَضْدى ما تأسّف مَنْكِبى   ولو مات زَنْدى ما بكتْه الأنامل (٥)
إذا وَصف الطائىَّ بالبخلِ مادرٌ   وعَيَّر قُسًّا بالفهَاهة باقل (٦)
وقال السها للشمس : أنتِ خفيةٌ   وقال الدُّجى : ياصُبحُ لونُك حائل (٧)

---

(١) الصوارم : السيوف ، والجحافل : جمع جحفل وهو الجيش العظيم وغدا : سار فى الصباح وسرى : سار فى الليل .

(٢) نضو يمان : يريد سيف يمنى مهمل ، أنضاه الترك وأصدأه .

(٣) السماكان : الرامح والأعزل نجمان فى السماء .

(٤) الوكنات : جمع وكنة ، وهى موضع نوم الطير . والحبائل : جمع حبالة ، وهى الشبكة تنصب لصيد الطائر ، يقول : إذا كان مثلى فى فضله وعلوه الذى يشبه بعلو النجوم فى السماء . يكيد له الناس ولايتورعون عن سبه وتنقصه ، فكيف يسلم من المكايد من يقل عنى ، وليس له منعتى ومتى نال الناس النجوم بالأذى لم يأمن الطير على نفسه .

(٥) بان : انفصل . والمنكب : مجتمع رأس الكتف والعضد . والزند : موصل طرف الذراع فى الكف .

(٦) يريد بالطائى حاتما . ومادر : يضرب به المثل فى البخل ، وقس بن ساعدة : أحد خطباء الجاهلية وفصحائها ، وباقل يضرب به المثل فى العى .

(٧) السها : نجوم خفية فى بنات نعش الصغرى .

وطاوَلَتِ الأرضُ السماءَ سَفاهةً وفاخَرَتِ الشُّهبَ الحصَى والجنادلُ
فيا مَوْتُ زُرْ إنَّ الحياةَ ذَميمةٌ ويا نفسُ جِدِّى إن دهرَكِ هازل
إذا أَنْتَ أُعطِيتَ السَّعادَةَ لم تُبَلْ وإن نَظَرَتْ شَزْراً إليكَ القبائلُ(١)
فإن كنتَ تبغِى العزّ فابغِ توسُّطا فعِنـدَ التَّناهى يقصُر المتطاول
تُوَقى البُدورُ النقصَ وهى أَهلّةٌ ويُدركُها النقصانُ وهى كَوامل

وقال فى ديوانه « لزوم ما يلزم » ؛ وهى قصـيدة تتضمن كثيراً من خاص آرائه :

غدوتَ مريضَ العَقْل والدِّينِ فالْقَنِى لِتسمَعَ أنباءَ الامور الصحائح
فلا تأكلنْ ما أخرجَ المـاءُ ظالماً ولا تَبْغِ قُوتاً من غَريض الذبائح(٢)
وَأَبْيَضَ أُمَّاتٍ أرادتْ صريحَهُ لأَطفالها دونَ الغَوانِى الصرائح(٣)
ولا تَفْجَعَنَّ الطيرَ وهى غوافل بمـا وَضَعَت فالظلمُ شَرُّ القبائح
ودع ضَرَبَ النَّحْل الذى بَكَرتْ لَهُ كواسبَ من أزهار نبتٍ فَوائح(٤)
فما أحرزتْه كى يكونَ لغيرها ولا جَمعَتْه للنَّدَى والمنـائح(٥)
مَسحْتُ يَدى من كل هذا فَليْتَنى أَبهْتُ لشأنى قبل شَيْب المسائح(٦)

---

(١) لم تبل : أى لم تبال : وهذا الفعل قد يشذ عن حكم المنقوص المجزوم فيعامل معاملة الثلاثى الأجوف فى الشعر فتحذف عينه بعد حذف لامه للجزم ويسكن ما قبل آخره . والنظر الشزر ، نظر بمؤخر العين غضبا .

(٢) الغريض : الطرى من اللحم وغيره . أى لا تأكل السمك ونحوه ولاذبائح الدواب .

(٣) الأبيض : اللبن . والأمات : لغة فى الأمهات ، أو : الأولى خاصة بالحيوان : والأخرى للناس . والغوانى الصرائح : الخالصات الحسن .

(٤) الضرب : العسل

(٥) الندى : الجود والكرم . والمنائح جمع منيحة ، وهى ما تعطى فضلا وتكرما .

(٦) المسائح : جمع مسيحة ، وهى ذرابة الشعر .

بَنِي زَمنى هل تعلمون سرائراً علمت ، ولكنّى بها غيْرُ بائح
سريتُمْ على غَيٍّ ؛ فهلا اهتديتُم بما خَبّرتكم صافياتُ القرائح
وصاحَ بكم داعى الضلال ، فما لكم أجبتم على ما خَيّلتْ كلَّ صائح ؟(١)

* * *

فإن ترْشُدوا لا تخضبُوا السيفَ من دمٍ ولا تُلزموا الأميالَ سَبْرَ الجرائح(٢)
ويُعجبُنى دأبُ الذين ترَهّبُوا سوى أكْلِهم كدّ النفوس الشحائح
وأطْيبُ منهم مطعَماً فى حياته سُعاةُ حلالٍ بيْن غاد ورائح
فما حَبَسَ النفسَ المسيحُ تعبُّدا ولكن مشى فى الأرض مشيةَ سائح
يُغيِّبُنى فى التُّرْب مَنْ هو كارهٌ — إذا لم يُغيِّبْنى — كَريهُ الروائح(٣)
ومن يتوقى أن يُجاور أعظُماً كأعْظُم تلك الهالكات الطرائح
ومن شرّ أخلاق الأنيس وفعلِهمْ خُوارُ النّواعِي والْتِدامُ النوائح(٤)
وأصفَحُ عن ذَنب الصديق وغيره لسكناى بيْت الحق بين الصفائح(٥)
وأزهدُ فى مَدْح الفتى عند صدقه فكيف قبولى كاذبات المدائح

---

(١) على ما خيلت : أى كما اتفق دون إمعان فكر وتدبر .

(٢) الأميال : جمع ميل ، وهو : المرود يقاس به عمق الجرح . وسبر الشىء : امتحانه واختباره . ينهى على الحرب والقتل وما يتبعهما من معالجة الجراح .

(٣) أى إذا لم أصب برائحة كريهة أو غيرها تخنقنى فأموت ، فإنى لابد ميت بانقضاء أجلى المحتوم ، ويومئذ يدفننى من هو كاره ذلك على الرغم منه .

(٤) النواعى : جمع ناعية . والتدام النوائح : ضربهن صدورهن فى النياحة . والأنيس يريد به الناس .

(٥) بيت الحق : القبر .

وما زالت النفسُ اللجوجُ مطيّةً إلى أن غدتْ إحدى الرذايا الطلائح (١)
وما يَنفعُ الإنسانَ أنّ غَمائماً تسُحُّ عليه تحت إحدى الضرائح (٢)
ولو كان فى قُرْبٍ من المـاء رغبةٌ لنافَسَ ناسٌ فى قُبور البطائح (٣)

وقال فى ديوانه « لزوم ما لا يلزم » يصف الحياة الدنيا :

أصاحِ : هى الدُّنيا تُشابه ميْتةً ونحنُ حواليها الـكلابُ النوابحُ
فَمَنْ ظلّ منها آكلا فهو خاسِرٌ ومن عَاد عَنْها سَاغباً فَهْو رابح (٤)
ومَنْ لم تُبيِّتْهُ الخطُوبُ فَإنّه سَيَصْبَحُهُ من حَادث الدهر صابح (٥)

وقال فى هذا المعنى :

دنياكَ دارٌ إنْ يَكن شُهّادها عقلاءَ لم يبكُوا على غُيَّابها
قد أظهرت نُوَباً تَزيدُ على الحَصَى عدَداً وكَمْ فى ضِبْنها وعِيابهَا (٦)
تفريهُم بسـيوفها وتـكبُّهم برمَاحها وتنالُهُمْ بصـيَابهَا (٧)
ما الظافرون بعزها ويسارها إلا قريبو الحال من خُيّابها

---

(١) الرذايا . جمع رذية ، وهى الضعيفة المهزيلة من الحيوان ، وكذلك معنى الطلائح .
(٢) ينـكر على الناس دعاءهم للموتى بالسقيا .
(٣) البطائح جمع بطيحة ، وهى المسيل الواسع .
(٤) الساغب : الجائع .
(٥) بيته : فاجأه ليلا ، أى : إذا تركته المصائب ليلا لم تتركه نهارا ، فلا مفر منها .
(٦) الضبن : ما بين الـكشح والإبط . والعياب : جمع عيبة ، وهى ما تجمع فيه الثياب يريد أن فى أحضانها وطواياها نوائب تزيد على ما أظهرت .
(٧) تفريهم : تشقهم وتقطعهم ويريد بالصياب : السهام الصائبة .

وقال أيضاً :

قد فاضت الدُّنيا بأدناسِها　　على بَرَاياها وأجْناسِها
وكلُّ حَيٍّ فوقَها ظَالمٌ　　وما بها أظْلَمُ من ناسِهَا

وقال فى الحكمة :

نَهانى عقلى عن أمورٍ كثيرةٍ　　وطبعى إليها بالغَريزَة جاذب
ومِمَّا أدامَ الرُّزْءَ تكذِيبُ صادقٍ　　على خُبرةٍ منَّا، وتصديقُ كاذب!

وقال أيضاً :

ضَحِكْنا وكان الضِّحْكُ منَّا سفَاهَةً　　وحُقَّ لِسُكَّان البريَّة أن يَبْكوا
يُحطِّمنا ريب الزمان كأنَنَا　　زُجاجٌ، ولكن لا يُعاد له سبك

وقال يصف التدين الكاذب :

سبِّح، وصلِّ، وطُفْ بمكة زائراً　　سبْعين لا سبْعاً فَلسْتَ بناسِك
جهلَ الدِّيانَة منْ إذا عَرضَتْ له　　أطْماعُهُ لم يُلفَ بالْمُتماسِك(١)

وقال فى انطباع الناس على الشر :

لو يفهمُ الناسُ، لو أبْناؤهُم جُلِبوا　　و بيعَ بالْفَلْس ألفٌ منهُمُ كَسَدوا(٢)
فويْحَهُمْ بئس ما ربَّوْا وَماحضَنُوا　　فهى الخديعَةُ والأضغانُ والحَسدُ
وَهكذا كانَ أهلُ الأرضِ مُذْ فُطِروا　　فَلاَ يظنَّ جهُولُ أنهُم فَسدُوا

---

(١) أى : ليس كل العبادة أن تصلى وأن تحج ، فهذا جزء منها لا بد أن يتمم بإمساك النفس من أن تطمح فيما هو غير حقها .

(٢) يتمنى لو علم الناس أن أبناءهم لو كانوا عبيداً يجلبون وعرض للبيع ألف منهم بفلس ما اشتراهم أحد .

وقال فى مرأى الناس ومخبرهم :

يَحْسُنُ مَرْأَى لِبَنِى آدَمٍ وكُلُّهُمْ فى الذوقِ لا يَعْذُبُ
ما فيهمُ بَرٌّ ولا نَاسِكٌ إلَّا إلى نَفْعٍ له يُجْذَبُ
أفضلُ منْ أفْضَلِهم صَخْرةٌ لا تَظْلِم الناس ولا تَكْذِبُ

٤ — كشاجم (١)

قال يشكو الحظ والزمن :

الحمدُ لله نال الناسُ حظَّهمُ واخطأتْنِى مع أستحقاقها الرُّتَبُ
وعاقنى عن طلابيها أُصيْبيَةٌ يأْبَى فراقَهُمُ الإشفاقُ والحَدَبُ (٢)
ولى قَوادمُ لو أنِّى حذفتُ بها لأنهضتْنِى ، ولكنْ أفْرُخى زُغب (٣)
وما التعجُّبُ لو أنى ظَفرتُ بها بل فى تنكُّبها اللأْواء ، يا عَجَبُ ! (٤)
فإن يكن أدبٌ من رُتبةٍ عوضاً فقد قضَى ماعَليه العلمُ والأدب

وقال يهجو عوّاده :

جاءت بعُودٍ مثلها ناقرٍ كأنَّه نَقْنَقَةُ الضفدع
مُضطربُ الأوتار منقوضُها مستقبحُ المَدْفعِ والمَقْطَعِ (٥)
يودُّ من يسمعُ أصواتَه لو فقدَ السَّمْعَ ؛ فلَمْ يَسْمَعِ
وأقبلتْ تَضرِبُ غيْرَ الذى نَسْمَعُ ، والنَّغْمةَ لم تُتْبِع (٦)
كأنّما نسمةُ تأليفها مُثَلَّثٌ مختلِفُ الأضلع (٧)

---

(١) هو محمود بن الحسين الكاتب الشاعر أحد وصافى الطبيعة والمتوفى سنة ٣٢٠ هـ . وكان من خدام سيف الدولة .

(٢) أصيبية : تصغير صبية ، جمع صبي .

(٣) الأفرخ : جمع فرخ ، وهو ولد الطائر . والزغب بسكون الغين : جمع أزغب ، وحركها الشاعر لضرورة الوزن . والأزغب : الذى ظهر أول شعره أو ريشه ، يريد أبناءه الصغار .

(٤) اللأواء : الشدة .

(٥) أى الضرب فى ابتدائه وفى انتهائه .

(٦) أى تخلط نغمة بأخرى .

(٧) أى أن حركة يدها بنقل الأوتار لاتنتج ما تسمعه . وما تسمعه ليس من نغمة واحدة .

وقال يتغزل .

جَعَلتُ إليكِ الهوَى شفيعاً ، فلم تَشفَعى
وناديتُ مستعطفاً رضاكِ ، فلم تَسمعى
أتاركتى مُدْنفاً أخا جسَدٍ مُوجع
ومغتربتى والدُّمو عُ قد أحرقتْ مَدْمَعى[1]
أحينَ سلَبْت الفؤا دَ بالنَّظَر المطمع
جَفوْت وأقصيتنى فهلاَّ وقلبى معى ؟

٥ — أبو الفرج الببغاء[2]

قال يصف كَتيبةً وقائدها :

وموْشيةٍ بالبيض والزَّغْف والقَنا مُحيَّرَةَ الأعطاف بالضُّمَّر القبِّ[3]
بعيدة ما بَيْنَ الجناحَيْن فى السُّرى قريبة ما بين الكَمِيّين فى الضَّرب
من السالبات الشمسَ ثوبَ ضيائها بثوْبٍ تولَّى نَسجَه عثْيَرُ التُّرب[4]
يُعاتِب نشوانُ ألقنا صابى الظُبا إذا التقيا فيها ، على قِلّة الشُّرب[5]

---

(١) المدمع : مجرى الدمع من العين .

(٢) هو عبد الواحد بن نصر المخزومى المعروف بالببغاء الشاعر المشهور والكاتب المجيد . كان من كتاب سيف الدولة وشعرائه . وهو ممن يجيد وصف المعارك الحربية . وعمر بعد سيف الدولة فساح فى أكثر بلاد الشرق ومات سنة ٣٩٨ هـ . وله ديوان شعر .

(٣) الزغف : جمع زغفة ، وهى الدرع اللينة الواسعة أو الرقيقة الحسنة السلاسل ، ويقال درع زغف ودرع زغف أيضاً . شبه الكتيبة وما فى وسطها من الأسلحة المختلفة البراقة وما يحيط بها من الخيل بثوب موشى محبر الحوافى . (٤) العثير : الغبار .

(٥) أى تعاتب فيها الرماح السيوف على قلة شربها من دم الأعداء لاستعمال السيوف دونها بتقارب المتقاتلين لشجاعتهما .

أعادت علينا الليل بالنقع في الضحى ... وردّت علينا الصبح في الليل بالشهب

تبلّج عن شمسى نزار ويعرب ... وتفرّع عن طودى علا تغلب الغلب (١)

موقّرة يقتاد ثنى زمامها ... بصير بأدواء الكريهة في الحرب

أصح اعتزاماً من خؤون على قلى ... وأنفذ حكماً من غرام على صبّ

٦ عبد المحسن الصوري (٢)

قال يهجو بعض من ضافه (٣) :

وأخٍ مسّه نزولى بقرح ... مثلما مسّنى من الجوع قرح

قيل لى : إنه جوادٌ كريمٌ ... والفتى يعتريه بخلٌ وشحُّ

بتُّ ضيفاً له كما حكم الدهـ ... ـرُ ، وفى حكمه على الحرّ قبح

قالَ لى إذ نزلتُ ، وهو من السكـ ... ـرة والهمّ طافحٌ ليس يصحو :

لِمَ تغرّبتَ ؟ قلتُ : قال رسول اللـ ... ـه ، والقول منه نُصْح ونُجحُ

سافروا تغنموا . فقال : وقد قا ... ل تمام الحديث : صوموا تصحّوا ؟

وقال فى وصف جميل يسبح فى ماء :

رأيتُ ما لم يره راءٍ ... ماءً غدا يسبحُ فى ماءِ

أومأتُ باللحظ إلى جسمه ... فكاد أن يُدْميه إيمائى

---

(١) أى اجتمع فيها النزاريون والقحطانيون من العرب ، وتغلب وهى قبيلة سيف الدولة وتسمى تغلب الغلباء لشجاعتها ، ويجمع الغلباء على الغلب .

(٢) هو عبد المحسن بن محمد من أهل صور من ساحل الشام ، شاعر مجيد وصاف متغزل مات سنة ٤١٩ هـ .

(٣) ضافه : نزل عليه .

٧ – تميم بن المعز الفاطمى العُبَيْدى (١)

قال يصف فوّارة فى بستان :

وقاذفةٍ بالماء فى وَسْط بِرْكَةٍ قد أُلتحفَتْ ظلا من الأَيْك سَجْسَجا (٢)
إذا أنبثقتْ بالماء سَلَّتْهُ مُنْصُلا وَعَادَ عَلَيْها ذلك النَّصْلُ هَوْدَجا (٣)
تُحاولُ إدراكَ النُّجوم بِقَذْفِها كأن لها قلباً على الجوّ مُحْرَجا

وقال أيضاً فى الفخر :

ألقى الكَمِىَّ فلا أخافُ لِقاءَه ويَفُلُّ إقدامى شَبَا الحدثان (٤)
وأكُرُّ فى صَدْر الخَمِيس مُعانِقاً الموت حينَ يفرُّ كلُّ جَبان (٥)
ويزيدنى كَلُّ الخطوب تَعَظُّماً وتسلُّطُ الأيامِ عِزَّ مكان
وعلمتُ أخلاقَ الزمان فلم أَضق ذَرْعا بأيامى وغَدْرِ زمانى
وكما يَمَلُّ الدَّهْرُ من إعطائه فكذا مَلالتُه منَ الحرمان
وكما يَمُرُّ لمَعْشَرٍ بِسعادةٍ فكذا يكُرّ لمعْشَرٍ بهوَان
فإذا رماكَ بِشدَّة فاصْبِرْ لها فلسوف يأتى بعدها بلَيان (٦)
وسَلِ الليالىَ عَنْ نفاذ عزيمتى وسلِ الحوادثَ عن ثَبات جَنانى
تخبرك عَنى أننى لم أَلْقَها بين العَزائم وَاهنَ الأركان
أصبحتُ لا أشتاق إلا للنَّدى أبداً ولا أهوى سِوَى الإحسان
وإذا السيوفُ قَطَعْنَ كُلّ ضَرِيبةٍ قطَعَ السيوف القاطعات لسانى (٧)

---

(١) هو أبو على الأمير تميم بن معد المعز لدين الله الفاطمى بانى القاهرة لم يكن ولى عهد أبيه لأن العهد كان لأخيه نزار وله شعر رقيق وكان فى الفاطميين كابن المعتز فى بنى العباس توفى سنة ٣٧٤ ﻫ .

(٢) السجسج : الذى لا حر فيه ولا برد .

(٣) المنصل : السيف كالنصل . الهودج : محل له قبة كانت النساء تركب فيه .

(٤) الكمى : الشجاع المقاتل . والشبا جمع شباة : وهى : الحد .

(٥) الخميس : الجيش .

(٦) الليان : اللين والرخاء .

(٧) الضريبة : المضروب .

وقال فى الغزل :

شبّهتها بالبدر فاستضحكتْ وقابلتْ قوْلِىَ بالنُّكْر
وسفّهتْ قوْلى ؛ وقالت : متى سَمُجْتُ ؟ حتى صرت كالبدر !
والبدرُ لا يرنو بعين كما أرنو ، ولا يبْسِمُ عن ثغْر
ولا يُميطُ المرط عن ناهدٍ ولا يَشُدُّ العقدَ فى نحْرْ[1]
من قاس بالبدر صِفَاتى فلا زَال أسيراً فى يدَى هجْرى !

٨ — أبو الحسن التهامى[2]

قال يرثى ابناً له مات صغيراً :

حُكْمُ المنيّة فى البَرِية جار ما هذه الدنيا بدار قرار
بيْنا يُرَى الإنسانُ فيها مُخْبراً حتى يرى خبَراً من الأَخبار
طُبعت على كَدرٍ، وأنت تريدُها صفْواً من الأَقذار والأكْدار
ومكلِّفُ الأَيَّام ضدَّ طباعها مُتَطلبٌ فى الماء جذْوةَ نار
فإذا رجوْتَ المستحيل فإنما تَبْنِى الرجاءَ على شفير هار[3]

---

(١) المرط : كساء من صوف ونحوه يتخذ إزاراً .

(٢) هو أبو الحسن على بن محمد التهامى . أصله من بلاد العرب من تهامة . جاب الأقطار وطوّف البلاد ومدح الرؤساء فى الشام وباديتها ، وأقام بينهم ، وبعثوه جاسوساً إلى القاهرة على الفاطميين ، فقبضوا عليه وسجنوه ثم قتلوه سنة ٤١٦ هـ . وكان مليح الشعر بدويه ، وذاعت مرثيته هذه وكانت سبب اشتهاره .

(٣) الشفير : حافة الشىء وطرفه . وهار : منهار ، أى فإنما تبنى الرجاء على حافة كثيب منهار ، فلا يستقر بناء ، أى لا يتحقق رجاء .

فالعيشُ نوْمٌ والمَنِيةُ يَقظةٌ   والمــرء بينهما خيــالٌ سار
والنفسُ إن رضيتْ بذلك أو أبتْ   مُنقــادةٌ بأزمّــة المقْــدار(١)
فاقضُــوا مآربكَم عجــالًا إنمــا   أعمارُكم سَــفرٌ من الأســفار
وتراكضُوا خَيلَ الشّباب ، وحاذروا   أن تسْــتَردّ فإنّهُن عــوار(٢)
فالدهرُ يَخدَع بالمُــنَى ، ويغُصُّ إن   هَنى ، ويهــدم ما بَنَى ببــوار(٣)
ليس الزمانُ وإن حرَصْتَ مُسالمــا   خُلُقُ الزمان عداوةُ الأحْرار

***

يا كوكبًا ما كان أقصر عمره   وكذاك عمرُ كواكب الأسحار(٤)
وهــلال أيام مضى لم يســتدرْ   بدراً ، ولم يُمْهَــلْ لوقت سرار(٥)
عجل الخسوفُ عليه قبل أوانه   فمحــاه قبــل مظنّــة الإبدار
واستُلّ من أترابه وَلِداته   كالمقلة استلّت من الأشفار(٦)
فكأن قلبى قَــبرُه ، وكأنه   فى طَيِّــه سرٌّ من الأسرار
إن يُحْتَقَرْ صِغَرًا فرُبّ مُفَخّم   يبــدُو ضئيل الشخص للنُّظــار
إنّ الــكواكِبَ فى عُلوِّ مَحلِّها   لتُرى صغاراً وهى غيرُ صغار

---

(١) المقدار : ما يقدره الله من شأن .
(٢) وتراكضوا خيل الشباب : أى اعملوا فيه وانعموا قبل أن يسترد فإنه عارية .
(٣) أغصه : أذاقه الغصة ، وهى الهوان والحزن .
(٤) الـكواكب التى تظهر على الشرق فى السحر كالزهرة فى قسم من فصول الســنة وكعطارد كذلك قصيرة مدّة الظهور ، لأن الشمس تطلع عقب طلوعها فينسخها ضوؤها .
(٥) استدارة البدر : فى وسط الشهر ، وسراره : أى خفاؤه جملة يكون فى آخر ليلة من الشهر . هى التى يظهر بعدها الهلال الجديد .
(٦) الأتراب واللدات : من يولدن فى زمن واحد .

وَلَدُ المُعزَّى بَعْضه ؛ فإذا انقضَى بعضُ الفَتى فالكلّ فى الآثار
أبكيه ، ثم أقولُ معتذراً له : وُفِّقت حين تركتَ ألأمَ دار
جاورتُ أعدائى ، وجاوَر ربّه شَتّان بَيْنَ جِـواره وجِوارى
أشكو بعادَكَ لِى ، وأنت بمَوْضع لولا الرّدى لسَمعتَ فيه سرارى(١)
والشرق نحو الغرب أقرب شُقّةً من بُعد تلك الخَمْسة الأَشبار(٢)
هيهات قد علِقَتْك أشراكُ الردى واعتاقَ عمرك عائقُ الأعمار
ولقد جريتَ كما جريتُ لغاية فبلَغْتها وأبُوك فى المضمار
فإذا نطقتُ فأنت أوّل منطقى وإذا سكتُّ فأنت فى إضمارى
أُخفى من البُرحاء ناراً مثلما يُخْفى من النار الزِّنادُ الوارى(٣)
وأُخفّض الزّفرات ، وهى صواعدٌ وأُكَفْكفُ العبَرات ، وهى جوار
وشهابُ زَند الحُزْن إن طاوعتَه وَارٍ ، وإن عاصيْتَه متوار(٤)
وأكُفُّ نيران الاسى ، ولربما غُلِب التصبُّرُ ، فارتمت بشَرار
ثوبُ الرياءِ يشفُّ عمّا تحته فإذا التحفت به فإنك عار

---

(١) السرار : المسارة ، أى الـكلام بهمس . والمعنى أنه لولا الموت لسمع ولده صوته وهو يتكلم خافتاً ، فهو فى قبره قريب منه ، ولـكن الموت يجعل هـذه المسافة القريبة شقة شاسعة ومكاناً نائياً .

(٢) الخمسة الأشبار : مسافة بعد اللحد عن ظاهر الأرض .

(٣) البرحاء : الحزن المبرح . والوارى : المتقد بالنار .

(٤) الزند : العود الأعلى الذى يقتدح به النار . وورى الزند : خرجت ناره ، فهو وار .

٩ — على بن النعمان(١)

قال فى وصف صديق :

صـديقٌ لى لَهُ أدبُ صداقةُ مثْـله نَسبُ
رعَى لى فوق ما يُرعَى وأوجب فوق ما يَجِبُ
فَلَوْ نقُـدتْ خـلائقُه لَبُهْرِج عندَها الذّهبُ

١٠ — أبو الحسن على بن عبد الرحمن(٢)

قال فى الهجاء :

وذى حِرْصٍ تَراهُ يَلُمُّ وَفْرًا لوارثه ، ويَدْفَعُ عن حِمَاهُ(٣)
ككلب الصيد: يُمسك وهُو طاوٍ فريسـتَه ليأ كلَها سواهُ(٤)

١١ — الحسنُ بنُ الزُّبَيْر الأسوانى(٥)

قال يشتاق إلى نهر بردى بالشام :

بالله يا ريح الشما لِ إذا اشتملت الرَّوْح بُرْدا(٦)
وحَملت من نَشْر الخُزا مَى فاغتدى للنَّدِّ نِدا(٧)
ونَسجت ما بَيْن الغُصُو ن ، إذا اعتنقْنَ هوًى وَوُدًّا

(١) هو القاضى أبو الحسن على بن النعمان ، قاضى العزيز الفاطمى ، توفى سنة ٣٧٤ هـ .

(٢) هو الشهير بابن يونس المنجم المصرى من فلكيى المصريين زمن الفاطميين ، توفى سنة ٣٩٩ هـ .

(٣) الوفر : المال الكثير . (٤) طاو : جوعان .

(٥) هو القاضى المهذب الحسن بن الزبير من كبار الأدباء والشعراء فى دولة الفواطم المصريين ، توفى سنة ٥٦١ هـ . (٦) الروح : النسيم .

(٧) الخزامى : نبت عبق الزهر . والنشر : الشذا . والند : نبت طيب الرائحة .

وهززتِ عِنْد الصُّبح من أجيادها للزَّهر عقْدا
فملأتِ صفْحة وجهـه حتى أُكتسى آساً ووَرْدا
فــكأنما ألقت فيـ ـه منهما صُدْغاً وخَدّا :
مُرِّى على بَردى ، عسا هُ يَزيد فى مسراكِ بُردًا(١)
نهرٌ كنَصل السيْف تَكـْ ـسو متْنَهُ الأزهارُ غمْدا
صقلتْهُ أنفاسُ النسيـ ـم بمرِّهنَّ ، فليس يصدا(٢)
أحبــابنــا ما بالــكم فينا من الأعداء أعدىٰ
وحياة حُبِّــكُمُ ، بِتُرْ بَة وصلِكم ما خُنت عهْدا(٣)

١٢ — ابن الفارض(٤)

قال من قصيدة :

أبق لى مقلةً لعَــلِّى يوماً قبل موْتى أرى بها من رآ كا
أين منّى مارمتُ؟ هيهات! بل أيـ ـن لعيْني باللحظ لثم ثراكا
وبشيرى لو جاء منك بعطف ووُجُودى فى قَبْضَتى قُلت هاكا

(١) البرد بضم الراء : جمع بريد ، وهى مسافة كل منزلة لخيل البريد ، وسكن الراء للشعر .

(٢) يصدا : يصدأ . وخفف الهمزة لضرورة القافية .

(٣) أقسم أولا بحياة حبه لمعشوقه ، ثم أقسم بتربة مواصلة المعشوق له ، أى أنه لما لم يواصله صار حكم الوصل كالميت المدفون فى قبر ، فهو يحلف به إجلالا .

(٤) هو أبو حفص عمر بن على بن مرشد أحد كبار الصوفية وأبلغ شعرائها وأولعهم بالجناس وأنواع البديع . ولد ومات بالقاهرة ، وله ديوان شعر مشروح . وأصل آبائه من حماة . توفى سنة ٦٣٢ هـ .

قد كفى ما جرى دماً من جفونٍ　　لى قرحَى ! فهل جرى ما كفاكا
فأجرْ من قلاكَ فيكَ مُعنًّى　　قبل أن يُعرف الهوى يهواكا
بانكسارى بذلّتى بخضوعى　　بافتقارى بفاقتى لغناكا
لا تَكلْنى إلى قوى جلَدٍ خا　　نَ ؛ فإنى أصبحتُ من ضُعفاكا
كنت تجفو ، وكان لى بعضُ صبْر　　أحسن اللهُ فى اصطبارى عزاكا !
كم صُدودٍ عساكَ ترحمُ شكوا　　ى ، ولو باستماع قولى : عساكا !
شنَّعَ الْمُرْجِفُون عنك بهجرى　　وأشاعوا أنى سلَوْتُ هواكا
ما بأَحْشائهم عشقتُ ، فأسلو　　عنك يوماً . دعْ يهجروا ! حاشاكا(١)
كيف أسلو ؟ ومقلتى كلما لا　　ح بريقٌ تلَفّتتْ للقاكا
كلٌّ من فى حماك يهواك لكن　　أنا وَحْدى بكل من فى حماكا

١٣ — عمارة اليمنى (٢)

قال منْ قصيدة يصف فيها داراً :

أنشأت فيها للعيون بدائعاً　　دقت فأذهل حسنُها من أبصرا
فمن الرخام : مُسيَّرًا وَمُسهمًّا　　ومُنَمْنَماً وَمُدرْهمًا ومُدنرا(٣)

---

(١) يهجروا : يقولوا باطلا وقبيحاً من الكلام .

(٢) هو نجم الدين أبو محمدٍ عمارة الحكمى ، من أهل اليمن ، دخل مصر مؤدياً رسالة من أمير مكة إلى الخليفة الفائز الفاطمى ، فأعجبته مصر فأقام بها ، وأكرمه ملوكها ، فلما أباد صلاح الدين الأيوبى ملك الفاطميين فى مصر دبر عمارة مع شيعة الفاطميين المكايد لإعادة دولتهم ، وعلم بهم صلاح الدين فصلبهم وفيهم عمارة سنة ٥٦٩ هـ .

(٣) المسير : المخطط . والمنمنم : المزخرف . والمسهم والمدرهم والمدنر : مافيه صور السهام والدراهم والدنانير .

وسقَيْت من ذَوْب النُّضار سُقُوفَها   حتى يَكادُ نُضارُها أن يَقْطُرا (١)
لم يبْقَ نوعٌ صامتٌ أو ناطق   إلا غدا فيها الجميعُ مُصوَّرا
فيها حدائقُ لم تَجُدْها ديمة :   كلا ولا نبتت على وجه الثّرى (٢)
لم يبدُ فيها الروْضُ إلا مُزْهراً   والنخلُ والرُّمّانُ إلا مُثمرا
والطيرُ مذ وقعت على أغصانها   وثمارها لم تستطع أن تَنقُرا
وبها من الحيوان كلُّ مُشبَّهٍ   لِبسَ الحرير العبقريَّ مُصوّرا
لا تعدم الأبصارُ بَيْنَ مُرُوجها   ليثاً ولا ظَبْياً بوجرة أعفرا (٣)
أنِستْ نوافرُ وحشها لسباعها   فظباؤها لا تتّقى أُسد الشّرى (٤)
وكأن صولَتَكَ المخيفةَ أمّنت   أسرابها ألاّ تخاف فتُذْعرا
وبها زَرافاتٌ كأن رقابها   فى الطول ألوية توُمّ العسكرا
نوبيةُ المنشا تُريك من المها   رَوْقاً ، ومن بُزْل المهارى مشفرا (٥)
جُبِلَت على الإقعاء من أعجازها   فتخالها فى التِّيه تمشى القهقرى

(١) النضار : خالص الذهب .
(٢) الديمة : المطر يدوم
(٣) وجرة : اسم مكان ببلاد العرب كبير بين البصرة ومكة تسكنه الوحش من الظباء وغيرها .
(٤) الشرى : مأسدة بقرب الكوفة .
(٥) الروق : القرن والمهارى : جمع مهرية وهى الناقة المنسوبة إلى بلاد مهرة شرقى حضرموت أى أنها أشبهت بقر الوحش فى القرون ، وأشبهت الإبل فى المشافر .

١٤ — القاضى الفاضل(١)

قال من قصيدة خمرية وصف فيها بلاغته وتلاعب فيها بالمعانى مفتخراً :

قضَى نَحْبَه الصوْمُ بعد المطال ... وأُطلق من قَيْد فتر الهِلال(٢)
وروّض كاتب جنْبى اليمينِ ... وأتعب كاتب جنْبى الشِّمال(٣)
فدعْ ضيقةً مثل شدِّ الإسار ... إلى فُرْجةٍ مثل حلِّ العقال
وقُمْ هاتِها مثل ذَوْبِ النُّضار ... وموج البحار وطَعْم الزُّلال(٤)
جزى اللهُ عنِّى عروس الدَّوالِى ... ولا أخطأتْها كُئُوسُ العَزالِى(٥)
بما أطعمت من لَذيذِ الثمار ... وما ألبست من نَسيج الظلالِ
وما سلْسلت من مُذاب السُّرور ... وما خفضَت من جِماح التغالى(٦)
فكم زَخرفت جنَّةً للعذاب ... وكم رفعت قَبَساً للضلالِ(٧)

---

(١) هو عبد الرحيم بن على البيسانى اللخمى . ولد بعسقلان ونشأ ببلاد فلسطين حيث ألم بالعربية والأدب ثم كتب فى الاسكندرية فى دواوينها ثم ظهر فضله فنقل إلى القاهرة زمن العاضد ولما استولى صلاح الدين على مصر كان بمنزلة وزير له ووزر بعده لابنه العزيز وتوفى سنة ٥٩٦ ﻫ .

(٢) قضى نحبه : يريد انقضى شهر الصيام وكان بقاؤه مقيداً بإهلال هلال شوّال فلما أهل انطلق من قيده وذهب .

(٣) ولما ذهب روح بذهابه عن الملك الموكل بكتابة حسناتى عن يمينى ، وأتعب الملك الموكل بكتابة سيئاتى عن يسارى لأن حسنات رمضان كانت كثيرة وسيئات شوال وما يليه ستكون فى العدد أكثر من حسنات رمضان .

(٤) أى هات الخمرة فى لون الذهب مزبدة كموج البحر باردة كالماء الزلال .

(٥) الدوالى : عنب أسود غير حالك ، يدعو لكرمة هذا العنب . والعزالى : جمع عزلاء وهى مصب الماء من الراوية والقربة ونحوها . يريد بها عزالى السحاب . دعا لها بالسقيا بسبب أنها تطعم الناس من ثمرها وتظللهم بعرائشها الخ .

(٦) التغالى : المغالاة .

(٧) يشير إلى آثار الخمر فى عقل شاربها وما يصوره له من أفانين التخيلات .

أُغالِط بالكأس حُكْمَ الزمان فيومٌ علىّ ويوم بِما لى(١)
فجاءتْ بِمَا فى عُيون النساء ومرّتْ بما فى رُءوس الرجال(٢)
وأسْلُو الغَزَال بها إذ أرى بكاساتِها دَمَ ذاك الغزال
وسكرانَ كرّر من سُكره زمانٌ على كل عقل مُمَال
فسُكْرُ الشباب وسكرُ الشَّراب وسكرُ الصُّدود وسُكرُ الوصال
فلا تذكرنَّ عُهود الوصال فهدى بها والليالى ليالى
ولم أبكِ عهداً رجاءَ الرُّجوع ولكن أُجددهُ بالصِّقال(٣)
بعثْنَ الليالى ببأس جديد علىّ قديماً لجاستْ خلالى(٤)
فما جاء عن منطِقى ذمُّ جان ولا جاء عن جوْهرى ذم حالى(٥)
ولم أستغثْ تحتَ ظل الخطُو ب جَرْجرةَ البَزْل تحتَ الرحال(٦)
خَشُنتُ لحالٍ كشوْك القتاد ولِنْتُ لأخرى كشوك السّيال(٧)
ولستُ لِساناً لذُل السؤال وما زلْت صدراً لعزّ السؤال(٨)
حديثٌ يُناجِى فروع السحاب وأصل يُناجى أصول الجِبال

---

(١) أى ويوم يأتى بما هو لى أى بفائدة لى .
(٢) فجاءت الكأس بما فى عيون النساء من التكسر والفتور . ومرت الخ . أى وذهبت بما فى رءوس الرجال من العقل .
(٣) أى ولم أبك عهداً من هذه العهود رجاء أن يعود كما كان ولكنى أصقله بعد ما قدم بوصفى له وبكائى عليه .
(٤) إما أن يعود ضمير بعثن على العهود المتقدمة ، وإما على رأى من يلحق علامة الجمع بالفعل عند إسناده للجمع الظاهر .
(٥) أى أنى لا أذم أحداً جانياً كان أو حالياً بالفضيلة .
(٦) البزل : الجمال المسنة ، أى لا أصيح كجرجرة البزل .
(٧) السيال : جمع سيالة ، وهو نبات له شوك أبيض طويل ، إذا نزع خرج منه سائل مثل اللبن ، وهو يلين لنازعه على العكس من القتاد ، وهو شجر صلب له شوك كالإبر ولا يستطاع نزع شوكه إلا بمشقة واحتمال أذى .
(٨) أى أنى لا أسأل الناس ولكنهم يسألوننى .

١٥ — ابن قلاقس (١)

قال من قصيدة يمدح بها ياسر بن بلال :

سافرْ إذا ماشئِت قدْرا   سار الهِلالُ فصار بدرا
والماء يكسِبُ ما جرَى   طِيباً ، ويخبُثُ ما استقرّا
وبنقْلَةِ الدُّرر النقـ   ـيَّة بُدِّلت بالبحْر نَحْرا
وَصْلاً إذا امتلأَتْ يدا   ك فإن هما خلتَا فَهجْرا (٢)
فالبدرُ أنفقَ نوره   لما بَدا ثمّ استسرّا (٣)
حركات عيسك ما أردْ   ت مهادَ عيْشك أن تقرا (٤)
فالمهدُ أسكنُ للصبـ   ـيّ بحيث جاء به ومرّا
إمّا ترَيْني شاحب الْ   وجنات قد أُلبِستُ طِمْرا (٥)

---

(١) هو أبو الفتح نصر الله بن عبد الله الشهير بابن قلاقس اللخمى الإسكندرى الملقب بالقاضى الأعز . كان شاعراً مجيداً رحالا مداحا دخل المغرب وصقلية : ومدح أمراءها كما مدح أعيان دولة الفاطميين ثم ذهب إلى اليمن ومدح ملوكه . ومات بعيذاب ، وكان مرسى السفن المقلعة من مصر على بحر القلزم و الأحمر ، إلى الحجاز ، سنة ٤٨٦ ه .

(٢) وصلا : أى صل وصلا ؛ والمعنى أبق فى بلدك .

(٣) أنفق نوره : أى لقى محبة وإعجابا . وهو من أنفق القوم ، إذا راجت تجارتهم .

(٤) حركات عيسك . أى اعمل حركة لعيسك إذا أردت قراراً لعيشك ، أى أن الغنى بالسعى دائماً ، فسكن الصبى فى مهده إذا اهتز وجاء به إلى ناحية ومر إلى أخرى .

(٥) الطمر : الثوب البالى .

فوقائع الأيّام تخـ ـرجُ أهلها شُعْثاً وغُـبرا
مـدّت إلىّ الأربعـو ن يداً ، وقد قهرتُ عشرا
واستحدثتْ فى لمّـتى نُقَطاً ، فهـلا كنّ حِبْرا (١)
ما قلتُ : أُفٍّ ! فإنهـا شعرٌ بأُفٍّ يعود جمرا
وكفاكَ أنى إن نظر تُ لها نظرتُ النجم ظُهرا(٢)
كان الشـبابُ الغضُّ ليـ ـلا فاسـتنار الشيبُ فجرا
ولئن تقلب بى الزما نُ كما اشتهى بطنا وظَهرا
فـبما قتلتُ صروفَه وقتلتُه جـلَدًا وخـبْرا
غاض الوفاء ، وفاض ما ء الغَدر أنهـاراً وغدرا
فانظر بعينك هل ترى عُرفا وليس تراه نُـكْرا ؟
خلُقٌ جرى من آدمٍ فى نَسْـله ، وهـلُمّ جرّا
ومروّعى بالبـحر يحـ ـسبُ أنّنِى أرتاعُ بحرا
أوَ ما درى أنى بِتَسـ ـهيل المصاعب منه أدرى ؟

وقال مرتجلا وقد خر السقف عليه من أثر مطر هاطل :

ولمّا بدا ركْبُ السحاب تَسوقُه حداةُ الرياح الُهوج وهى تُزْجر(٣)
ركَنْت لبيْت أستجنّ من الَحيَا به ، وإذا غيْث من السقف يقطُر(٤)
فلا فَرق ما بين السـحاب وبينه سوى أن ذَا صافٍ ، وذاك مكدّر

---

(١) اللمة : الشعر المجاور شحمة الأذن .
(٢) أى إن نظرت إلى الشعرات البيض فى لمتى اسودت الدنيا فى عينى وكأنى أنظر النجوم فى الظهر ، مأخوذ من المثل العامى « يريه النجوم فى الظهر » .
(٣) الهوج : جمع هوجاء وهى الريح الشديدة التى لا تستوى فى هبوبها بل تتناوح .
(٤) استجن : استتر . والحيا : المطر .

وقال يصف فوّارة :

وسهْم فوّارةٍ إذا انبعثَتْ عاوَدَت الجوَّ يجتدى أرضه
كأنها خَيْمَةٌ مكلَّلةٌ عمودُها من سبائك الفضه

وقال يصف الشمس وهى غاربة فى النيل :

أنظر إلى الشمس فوقَ النيل غاربةً واعجَبْ لما بعدَها من حُمرة الشفَق
غابتْ ، وأبْدَتْ شُعاعا منه يخلُفها ؛ كأنها احترقتْ بالماء فى الغرق !
وللهـلال ، فهل وافى لينقذَها فى إثرها زَوْرقاً قد صِيغ من وَرِق ؟(١)

١٦ — ابن النبيه المصرى(٢)

قال يصف الحياة والموت :

الناسُ للموت كَخيْلِ الطِّراد فالسابقُ السابقُ منها الجوَاد
واللهُ لا يدعـو إلى داره إلا مَن استصلَحَ من ذى العباد
والموتُ نقَّادٌ على كَفِّه جواهر يختارُ منها الجِياد
والمرْء كالظلِّ ؛ ولا بُدَّ أنْ يَزُولَ ذاك الظلُّ بعدَ امتداد
لا تصلُحُ الأرواحُ إلا إذا سَرَى إلى الأجساد هذا الفساد
أرغمتَ يا موتُ أنوفَ القَنا ودُسْتَ أعناقَ السيُوف الحِداد(٣)

---

(١) الورق : الفضة .

(٢) هو أبو الحسن على بن محمد الشهير بابن النبيه المصرى صاحب الشعر الرقيق والغزل البديع . كان من خدام بنى أيوب ملوك الشام والجزيرة من أقارب صلاح الدين . واختص منهم بالملك الأشرف موسى الملقب بشاه أرمن توفى بنصيبين من مدن الجزيرة سنة ٦١٩ هـ . عن نحو ٦٠ سنة .

(٣) القناة : جمع قناة وهى الرمح .

وقال يتغزل من قصيدة :

أفديه إن حفظ الهوى أو ضَيَّعَا ... مَلَكَ الفؤاد فما عسى أن أصنعا ؟
من لم يَذُق ظُلْمَ الحبيب كَظَلْمِه ... حُلواً فقد جَهِلَ المحبة وادَّعى [١]
يأيها الوجهُ الجميلُ تدارك الصْ ... برَ الجميلَ فقد عفا وتَضَعْضَعا
هل في فؤادك رحمةٌ لمتيَّم ... ضَمَّتْ جوانحُه فؤاداً مُوجَعا ؟
هل من سبيل أن أبُثَّ صبابتي ... أو أشتكي بَلْواى أو أتوجَّعا ؟
إنى لأستحيي كما عوّدتَنى ... بِسوَى رضاك إليكَ أن أتشفعا

١٧ — ابن مطروح [٢]

قال يصف حسناء تسير بليل :

وما أَنْسَ لا أَنْسَ المليحةَ إذْ بَدَتْ ... دُجًى فأَضاءَ الأُفقُ من كل موْضعِ
تحدّثتُ نَفْسى أنها الشَّمسُ أشْرَقتْ ... وأنى قد أوتيتُ آيَةَ يُوشَعِ [٣]

وقال يتغزل :

يا من لبستُ عليه أثوابَ الضَّنَى ... صُفْرًا موشَّعَةً بِحُمْرِ الأدْمُعِ [٤]
أدْرِكْ بقية مُهْجَةٍ لو لم تَذُبْ ... أسفاً علَيْك نَفيتُهَا عن أضلُعى

---

(١) الظلم بالفتح : بريق ثغر الأسنان وحسنه

(٢) هو جمال الدين يحيي بن عيسى الشهير بابن مطروح من أهل صعيد مصر . ولد بأسيوط ونشأ بقوص ، واتصل بالملك الصالح نجم الدين أيوب وخدمه بالكتابة ، وكان زميلا للبهاء زهير . ثم اعتزل الخدمة ومات سنة ٦٤٩ هـ .

(٣) يوشع هو صاحب موسى عليه السلام ، وقد وقفت له الشمس فى قصة معروفة .

(٤) ثوب موشع : فيه خطوط وطرائق .

وقال أيضاً :

مَلكٌ المـلاحِ ترى العيو   ن عليـه دائرة يَطَقْ(١)
ومُخَـيِّمٌ بين الضـلو   ع وفى الفؤاد لَهُ سَـبَقْ(٢)

١٨ — البهاء زهير (٣)

قال فى الشكوى :

ليتَ شِـعْرى هل زمانى   بعدَ ذَا البُخْلِ يجودُ ؟
ما أرى الشـدَّة إلا   كلما مَرَّتْ تزيدُ
ينقَضِى يومٌ فيـومٌ   فى حديث لا يُفِيـدُ
فمتى اليـومُ الذى أبـ   لغ فيـه ما أُريدُ ؟

وقال فى عتاب الحبيب والتشوق إليه :

يعاهدُنِى : لا خانَنِى ! ثم يَنْـكُثُ   وأحلفُ لا كلَّمْتُهُ ! ثم أحنثُ
وذلك دأبِى لا يزالُ ودأبُهُ   فيـا معشر الناس اسْمَعُوا وتحدّثوا
أقول له : صِلْنِى ! يقُول : نعمْ ، غدا !   ويكسرُ جَفْناً هازئاً بى ويعبَثُ !
وما ضرَّ بعضَ الناس لو كان زارَنِى !   وكنَّـا خَلَوْنا سـاعةً نتحدَّث
أمولاى ؛ إنى فى هواكَ معذَّبٌ !   وحتـام أبقى فى العذاب وأمكُث
فخذْ مرة رُوحى تُرِحْنِى ؛ ولم أكن   أموتُ مراراً فى النهـار وأبعث(٤)

---

(١) اليطق : كلمة تركية ، ومعناها : جماعة من الجند يبيتون حول خيمة الملك يحرسونه.
(٢) السبق : خيمة الملك .
(٣) هو بهاء الدين زهير بن محمد المهلبى الصالحى . ولد قرب مكة . وجاء مصر ، ونشأ بقوص نشأة أدبية واتصل بالملك الصالح المتقدّم ذكره فـكان عنده رئيس ديوان الإنشاء (بمنزلة وزير) . وتوفى سنة ٥٦ ه .
(٤) يقال : أخذ الشيء مرة ، أى دفعة واحدة .

وإنى لهـذا الضيم منكَ لحـاملٌ ومنتظر لُطفاً من الله يَحـدُث !
أعيذُكَ من هذا الجفـاءِ الذى بدا خلائقك الحسنى أرقُّ وأدمَثُ(١)
تردَّد ظنُّ النـاس فينا وأكثروا أقاويلَ : منها ما يَطيبُ ؛ ويخبث
وقد كَرُمتْ فى الحب منى شمائلى ويسأل عنى من أراد ويَبْحث !

وقال فى التغزل ؛ وتلاعب بالتورية والطباق ، ومراعاة النظير :

غيرى على السُّـلْوان قادرْ وسِوَاى فى العشاق غادر
لى فى الغـرام سريرةٌ واللهُ أعـلَمُ بالسرائر
ومُشَبَّـه بالغُصْـن قلـ بى لا يزالُ عليـه طائر
حُلْوُ الحديث ؛ وإنَّهـا لحـلاوةٌ شـقتْ مرائر(٢)
أشـكو وأشـكر فعْلَهُ فاعجبْ لشـاكٍ منهُ شاكر ؟
لا تُنْـكروا خفقـان قلـ بى ، والحبيبُ لَدَىَّ حاضر
ما القلبُ إلا دارُه ضُرِبتْ له فيهـا البشائر
يا تاركى فى حُبّـه مثلاً من الأمثـال سائر
أبداً حديثى ليس بالْ منسوخ إلاّ فى الدفاتر
يا ليـلُ ما لك آخرٌ يُرْجى ولا للشـوق آخر
يا ليلُ طُلْ يا شـوقُ دُمْ ؛ إنى على الحالين صابر
لى فيـك أجْرُ مجاهد إن صحّ أنّ الليلَ كافر(٣)
طرْفى وطرفُ النجم فيـ كَ كلاهما ساه وساهر

---

(١) المـكان الدمث : اللين السهل . ودماثة الأخلاق : رقتها .
(٢) المرائر : جمع مرارة ، وهى هنة شبه كيس لازقة بالـكبد .
(٣) فى كافر تورية من الـكفر ، أى أن له أجر المجاهد الذى يقتل كافراً ، لأن الشاعر يقطع الليل كله ساهراً . أو من قولهم : الليل كافر ، أى ساتر .

يَهْنِيكَ بدرُك حاضرٌ ياليتَ بدْرى كان حاضر(١)
حتى يبين لناظرى من منهما زاه وزاهر
بدرى أرقُّ محاسنا والفرْقُ مثلُ الصبح ظاهر(٢)

وقال يتغنى بأرض الوطن : مصر العزيزة :

سَقَى وادياً بين العريش وبرقةٍ من الغَيْثِ هَطَّالُ الشآبيب هَتَّانُ(٣)
وحيَّا النسيمُ الرطبُ عنا إذا سرى هنالك أوطاناً إذا قيل أوطان
بلادٌ متى ما جئتَها جئتَ جنةً لعينك منها كلُّ ماشئت رضوانُ(٤)
تمثِّلُ لى الأشواقُ أنّ ترابَها وحصباءها مسكٌ يفوح وعِقْيانُ(٥)
فيا ساكنى مصر تُراكمْ عَلِمتُمُ بأنِّىَ مالى عنكم الدهر سُلْوانُ ؟
وما فى فؤادى موضعٌ لسواكُمُ ومنْ أينَ فيه ؟ وهْوَ بالشوق ملآن
عسى اللهُ يَطْوى شُقَّةَ البُعْد بيْننَا فتهدأ أحشاءٌ وترقأَ أجفانُ
علىّ لذاك اليوم صومٌ نذرتُهُ وعندى ـ على رأى التصوف ـ شكْرانُ

---

(١) بدر المعشوق : هو الكوكب المضىء بالليل . وبدر الشاعر : هو المعشوق .
(٢) فى الفرق تورية : فرق الشعر ، وفرق ما بين الأمرين .
(٣) الشآبيب : جمع شؤبوب ، وهى الدفعة من المطر . الهتان : المنصب المتتابع .
(٤) الرضوان : الرضا .
(٥) العقيان . الذهب الخالص .

(ب) النثر

أولا — النثر الفنى

١ — أبو الفرج الببغاء

من كتاب يهنىء فيه بولاية عمل :

« سيدى — أيده الله — أرفع قدراً ، وأنبه ذكراً ، وأعظم نبلا ، وأشهر فضلا ، من أن نهنئه بولاية ، وإن جل خطرها ، وعَظُمَ قدرها ، لأن الواجب تهنئة الأعمال بفائض عدله ، والرعيــة بمحمود فعله ، والأقاليم بآثار سياسته ، والولايات بسمات كياســته . فعرفه الله يمن يتولاه ، وَرعاه فى سائر ما استرعاه ، ولا أخلاه من التوفيق فيما يعانيه ، والتسديد فيما يبرمه ويمضيه . . . » .

ومن كتاب له فى تهنئة بعيد :

« . . . عرّفَكَ اللهُ يُمن هذا العيد وبركَتِهُ ؛ وضاعف لك إقباله وسعادته ، وأحياك لأمثــاله فى أسبغ النّعم وأكملها ، وأفسح المُدَد وأطولَها ، وأشرف الرتب وأرفعها ، وأعز المنازل وأيفعها . وحرس منحتك من المحظور ، ووقى نعمتك من عثرات الدهور . . . » .

وله من كتاب فى التهنئة بمولودة :

« . . . ومولانا — أيده الله ، مع كمال فضــله ، وتناهى عقله ، وحدة فطنته وثاقب معرفته — أجل من أن يجهل مواقع النعم الواردة من الله تعالى عليه ، أو أن يتسخط مواهبه الصادرة إليه ، فيرمقها بنواظر الفــكر ، ويسلك بهــا غير

مذاهب الشكر ، وقد اتصل بالمملوك خبر المولودة — كرم الله غرتها ، وأطال مدتها وعرف مولانا البركة بها ، و بلغه أمله فيها — وما كان من تغيره عند اتضاح الخبر ، و إنكار ما اختاره له سابق القدر . فعجب المملوك من ذلك واستنكره من مولانا وأنكره ، لضيق العذر فى مثله عليه . وقد علم مولانا أنهن أقرب إلى القلوب . وأن الله تعالى بدأ بهن فى الترتيب . فقال جل من قائل : « يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُور » . وما سماه الله هبة فهو بالشكر أولى ، و بحسن التقبل أحرى . وَلَكم نسب أَفَدْن ، وشرف استحدثْنَ ، من طرق الإصهار ، والاتصال بالأخيار . والملتمس من الذكر نجابته ، لا صورته وولادته . ولَكَمْ ذَكَر الأنثى أكرم منه طبعاً ، وأظهر منه نفعاً . فمولانا يصور الحال بصورتها ؛ ويجدد الشكر على ما وهب الله منها ؛ ويستأنف الاعتراف له تعالى عما هُوَ الأشبهُ ببصيرته والأولى بمثله إن شاء الله تعالى » .

٢ — على بن خلف[1]

كتب فى الدعوة إلى وليمة :

« رقعتى — أطال اللهُ بقَاءَ سيدى — ومجلسى بِمَنْ حله من خدمه ، وتركه من صانع كرمه ؛ فَلَكٌ مُزَيَّنٌ بأَنْجُمه . فإنْ رأى أن يُطْلِعَ فيه بَدْرًا بِطلوعه ؛ ويَنْقُل قدمَهُ إليهم ؛ ويُكَمِّلَ نَقْصَهُم بتمامه ، ويُضِيفُ ذلك إلى تليد إنعامه — فعل ، إن شاء الله تعالى » .

---

(١) من كتاب الإنشاء فى الدولة الفاطمية ، وله فى مصطلح الإنشاء كتاب « مواد البيان » وكثيراً ما ينقل عنه صاحب صبح الأعشى .

٣ — القاضى الفاضل

وقال القاضى الفاضل عبد الرحيم البَيْسانى رحمه الله يصف مدينة آمِدَ(١) من رسالة جاء فيها :

وآمدُ ذِكرُها بَيْنَ العالَم ، مُتَعَالَمٌ(٢) ، وطالما صادَمَ جانِبَها مَنْ تَقَادَمَ(٣) ، فَرَجَعَ عنها مقْدُوعاً(٤) أنْفُهُ وإن كَانَ فَحْلاً ؛ وفرَّ عنها فريداً بهمِّه وإن استصحب خيلاً وَرجْلا(٥) . ورأى حجرها فقَدَّر أنَّه لا يُفَكُّ له حجْرٌ(٦) ؛ وسوادها(٧) فظن أنه لا ينسخه فجر ؛ وحَمِيَّةَ أنف أنفتها ، فاعتقد أنه لا يستجيبُ لزجر : مِن مُلوكٍ كلُّهم قد طوى صدره على الغليل(٨) إلى مورْدِها ؛ ووقف وقفة المحب السائل فلم يفز بما أمّل من سُؤال معهدها .

---

(١) وهى بلدة قديمة مبنية على مرتفع من الأرض حصينة تعد من أكبر مدن ديار بكر. وتسمى الآن مدينة ديار بكر باسم ولايتها كما تسمى القاهرة بمصر ، والهضبة : التى بنيت عليها سوداء ولذلك يسميها الترك « قره آمد » أى آمد السوداء .

(٢) متعالم : معروف مشهور .

(٣) أى من تقادم من الفاتحين .

(٤) قدع أنف الفحل : ضرب أنفه ليكفه عن النوق إذا كان غير كريم خشية أن تلد منه غير نجائب .

(٥) الخيل هنا : الفرسان . والرجل : الرجالة « البيادة » .

(٦) الحجر : الحبس والحصار .

(٧) وسوادها : أى سواد هضبتها المبنية هى عليها .

(٨) الغليل : العطش ، يريد الرغبة فى فتحها .

٤ — ابن الصَّيْرفى (١)

ومن الكتابة السلطانية فصل له من كتاب بشارة بالسلامة فى ركوب الخليفة الفاطمى إلى مصلى العيد :

وكتاب أمير المؤمنين هذا إليك يوم كذا عيد النحر سنة كذا وكذا ؛ وهو يوم أظهر الله فيه قوّة الدولة واقتدارها ، وأوجب فيه — رغبة ورهبة — مسارعة النفوس المتخالفة إلى الطاعة وابتدارها ؛ وذلك أن عساكر أمير المؤمنين توجّهت إلى قصوره الزاهرة عند انفجار الفجر ، وحافظت على ما تحرزه من كريم الثواب وجزيل الأجر واستنزلت الرحمة برؤية إمام الأمة وعدّت الإخلاص فى خدمته من أوفى الحرمات وأقوى الأذِمة(٢) ، وأقامت إلى أن برز أمير المؤمنين والأنوار الساطعة طَوالِعُه ، ومهابته تمنع كل طرف من استقصاء تأمله وتدافعه ، وقصد المصلى فى كتائبَ لِجَبَة(٣) ومواكب للتعظيم مستوجبَة ، وعزة تتبين فى الشمائل والصفحات ، وقُوّة يشهد بطيب وصفها أرج النفحات ، قد غدت عددها محكمة وخيولها مطَهمة(٤) ، وذَوابلُها(٥) إذا ظمئت(٦) كانت مقوّمة ، وإذا رويت(٧) عادت محطّمة . تتقلد صفائح متى انتضيت أنصفت من الجائر الخائفْ ، ومتى اقتضبت(٨) عملا كان اقتضابها مبيضاً للصحائف . وفى ظلها معاقل للائذين ،

---

(١) هو أبو القاسم على بن منجب بن سليمان الكاتب المعروف بابن الصيرفى كان من شيوخ الكتاب فى دواوين الدولة الفاطمية ، وله عدة مؤلفات منها قانون ديوان الرسائل طبع بمصر . وينقل عنه صاحب صبح الأعشى كثيراً من الكتب الديوانية . مات سنة ٥٤٢ ﻫ

(٢) الأذمة جمع ذمام ، وهى الحق والحرمة .

(٣) الكتيبة : الجيش ، ولجبة : كثير الجلبة والأصوات لكثرة عددها .

(٤) المطهم : التام البارع الجمال من كل شىء .

(٥) الذوابل : الرماح الذابلة القنا ، أى الجافة القصب .

(٦) ظمئت هنا : جفت وصلبت .

(٧) وإذا رويت ، أى من دماء الأعداء عادت بعد الحرب محطمة لكثرة ماطعن بها .

(٨) فى اقتضبت تورية من الاقتضاب بمعنى الاقتطاع ، أو بمعنى الخروج من غرض إلى آخر فى الشعر أو الكتابة .

وبحدها مصارع المنابذين . وهى للدماء هوارق ، وللهامات فوالق ، ولمستغلق البلاد مفاتح ، ولمستَفْتِحها مغالق . ولما انتهى إلى المُصلَّى قضى الصلاة أحسن قضاء ، وأداها أفضل تأدية ، واستنزل رحمة لم تزل بصلاته متمادية ، وانتهى إلى المنبر فرَقيَه ، وخطب خطبة من استخلفه الله فكان مراقبَهُ ومتَّقيَهُ ، ووعظ أبلغ وعظ ، وأبان عما للعامل فى نصحه فى الدنيا والآخرة من فائدة وحظ ، وعطف على الأضاحى المعدة له ، فنحرها جاريا فى الطاعات على فعلها المتمادى ، وأضحت تتوقع التكميل وإنجاز وعده فى الأعادى ، فالله يقضى بتصديقه ويمنّ بتخيله وتحقيقه . وعاد إلى قصوره المكرمة مشكورا سعيُهُ ، مضمونا نفعهُ ، مرضيا فعلُه ، مشمولا عبيدُه منه بما هو أهله . أعلمك أمير المؤمنين ذلك ، فاعلم هذا واعمل به وكتب فى اليوم المذكور .

٥ — ابن قادوس[١]

فصل له من منشور مما كان ينشر على الناس بوفاء النيل فى الدولة الفاطمية :

« النعم وإن كانت شاملة للأمم فإنها متفاضلة الأقدار والقيم ، فأولاها بشكرٍ تنشرُ فى الآفاق أعلامه ، واعتداد تُحْكَمُ بإدراك الغايات أحكامه ، نعمة يشترك فى النفع بها العباد ، وتبدو بركتها على الناطق والصامت والجماد ، وتلك النعمة : النيل المصرى[٢] الذى تبرز به الأرض الجرز[٣] فى أحسن الملابس وتظهر حلل الرياض على القيعانِ والبسابس[٤] ، وترى الكنوز ظاهرة للعيان ، متبرجة بالجواهر واللجين والعِقيان فسبحان من جعله سبباً لإنشار الموات ووفّر به مواد الأرزاق والأقوات » .

---

(١) هو القاضى كافى الكفاة محمود بن أسعد قادوس من رؤساء باب الإنشاء فى الدولة الفاطمية .

(٢) تمييز عن نيل الفرات ، وهو خليج منه .

(٣) الأرض الجرز : التى أكل نباتها ، ولم يصبها مطر ، فلم تنبت ثانية . أو هى الأرض التى لا تنبت .

(٤) البسابس : القفار الخالية .

ثانياً — النثر العلمى التأليفى

١ — المعرى

من النثر العلمى التأليفى قول أبى العلاء فى مقدمة اللزوميات :

« . . . وقد كنت قلت فى كلام لى قديم : « إنى رفضت الشعر رفض السَّقَب غرسه[١] ، والرأل تريكته[٢] ، والغرض ما استجيز فيه الكذب ، واستعِير على نظامه بالشبهات ، فأما الكائن عظة للسامع ، وإيقاظاً المتوسن[٣] ، وأمراً بالتحرز من الدنيا الخادعة وأهلها الذين جبلوا على الغِش والمكر فهو — إن شاء الله مما يلتمس به الثواب . وأضيف إلى ما سلف من الاعتذار أن من سلك فى هذا الأسلوب ضَعُف ما ينطبق به من النظام ، لأنه يتوخى الصادقة ، ويطلب الكلمة البرة . ولذلك ضعف كثير من شعر أمية بن أبى الصلت الثقفى ومن أخذ بِضَرِيِّه[٤] من أهل الإسلام . ويروى عن الأصمعى كلام معناه : أن الشعر باب من أبواب الباطل ، فإذا أريد به غير وجهه ضعف . وقد وجدنا الشعراء توصلوا إلى تحسين المنطق بالكذب وهو من القبائح ، وزينوا ما نظموه بالغزل وصفة النساء ، ونعوت الخيل والإبل وأوصاف الخمر ، وتسببوا إلى الجزالة بذكر الحرب ، واحتلبوا أخلاف[٥] الفكر — وهم أهل مقام وخفض — فى معنى ما يدعون أنهم يعانون : من حيث الركائب ، وقطع المفاوز ، ومراس[٦] الشقاء .

---

(١) السقب : ولد الناقة الذكر عقب ولادته ، والغرس : جليدة رقيقة تظهر على وجهه عند ولادته .

(٢) الرأل : فرخ النعامة . والتريكة : البيضة بعد أن يخرج منها الفرخ . وقد قال هذه الجملة فى مقدمة ديوانه : سقط الزند .

(٣) المتوسن : النائم . (٤) أى بطريقته ومذهبه .

(٥) الأخلاف : جمع خلف بكسر الخاء ، وهى حلمة ضرع الناقة .

(٦) المراس : الممارسة والمعاناة .

وهذا حين أبدأ بترتيب النظم ، وهو مائة وثلاثة عشر فصلا ، لكل حرف أربعة فصول ، وهى على حسب حالات الروى من ضم وفتح وكسر وسكون ، وأما الألف وحدها فلها فصل واحد لأنها لا تكون إلا ساكنة ، وربما جئت فى الفصل بالقطعة الواحدة أو القطعتين ، لتكونَ قضاءَ حقٍّ للتأليف . وبالله التوفيق » .

٢ — ابن شداد(١)

فصل من كتابه « النوادر السلطانية ، والمحاسن اليوسفية » :

« . . . . كان للمسلمين لصوص يدخلون إلى خيام العدو ، فيسرقون من الرجال ، وكان من قصتهم أنهم أخذوا ذات ليلة طفلا رضيعاً له ثلاثة أشهر ؛ وساروا به حتى أتوا إلى خيمة السلطان ، وعرضوه عليه ، وكان كل ما يأخذونه يعرضونه عليه ، ويعطيهم ما أخذوه .

« ولمَّا فقدته أمه باتت مستغيثة بالويل والثبور طول الليل ، حتى وصل خبرها إلى ملوكهم ، فقالوا : إنه رحيم القلب ، وقد أذنا لك بالخروج ، فاخرجى واطلبيه منه ، فإنه يرده عليك . فخرجت تستغيث إلى اليزك ، فأخبرتهم بواقعتها فأطلقوها وأنفذوها إلى السلطان ، فلقيته وهو راكب ، وأنا فى خدمته ، وفى خدمته خلق عظيم ، فبكت بكاء شديداً ، ومرَّغت وجهها فى التراب . فسأل عن قصتها ، فأخبروه ، فرق لها ودمعت عينه ، وأمر بإحضار الرضيع ، فوجدوه قد بيع

---

(١) هو القاضى بهاء الدين بن شداد المتوفى سنة ٦٣٢ ﻫ وكان من خاصة صلاح الدين ابن أيوب ، وملازمى ركابه .

فى السوق ، فارتده ، وأمر بدفع ثمنه إلى المشترى ، وأخذه منه ، ولم يزل واقفاً حتى أحضر الطفل وسُلم إليها ، فأخذته وبكت بكاء شديداً . وضمته إلى صدرها والناس ينظرون إليها ويبكون ، وأنا واقف فى جملتهم ، فأرضعته ساعة .

ثم أمر لها ، فَحُمِلَت على فرس ، وألحقت بعسكرهم مع طفلها . فانظر إلى هذه الرحمة الشاملة لجنس البشر » .

عصر المماليك والعثمانيين

(ا) الشعر

١ — شمس الدين محمود الكوفى

قال فى رثاء بغداد :

إنْ لم تقرِّحْ أدمُعِى أجفانى   من بَعْدِ بُعْدِكُمُ — فما أجْفانى (١)
إنسانُ عينى مذ تناءتْ دارُكُمْ   ما راقَهُ نظرٌ إلى إنسانِ (٢)
يا ليتنى قد مِتُّ قبلَ فِراقِكمْ   ولساعةِ التوديعِ لا أحيانى
ما لى وللأيامِ شتَّتَ خَطْبُها   شملِى ؟ وخَلَّانِى بلا خُلانِ
ما للمنازِلِ أصبحتْ لا أهلُها   أهلِى ، ولا جيرانُها جيرانى
وحياتِكم ما حلَّها من بَعْدِكم   غيرُ البِلَى والهدمِ والنيرانِ
ولقد قصدتُ الدارَ بعد رحيلِكُمْ   ووقفتُ فيها وِقْفَةَ الحيرانِ
وسألتُها لكن بغير تكلمٍ   فتكلمتْ لكن بغير لسانِ
ناديتُها يا دارُ ؛ ما صنع الأُلَى   كانوا هُمُ الأوطارَ فى الأوطانِ ؟ (٣)
أينَ الذين عَهِدْتُهم ولعِزِّهم   ذُلًّا تَخِرُّ مَعَاقِدُ التِّيجانِ ؟
كانوا نجومَ من اقتدَى فعليهمُ   يبكِى الهُدَى وشعائرُ الإيمانِ

(١) أجفى ، أفعل تفضيل من جفا الرجل يجفو ، أى : غلظ وثقل .
(٢) إنسان العين : سوادها .
(٣) الأوطار . جمع وطر ، وهو البقية والغرض .

قالت : غدوا لما تبدد شملهم ... وتبدلوا من عزهم بهوان
كدم الفِصاد يُراق أرذل موضع ... أبداً ويخْرُجُ من أعزّ مكانِ
أفنتْهُمُ غِيَرُ الحوادث مثلما ... أفنت قديماً صاحب الإيوان (١)
لما رأيتُ الدار بعد فراقهم ... أضحت مُعَطَّلَةً من السكان
ما زلتُ أبكيهم وألثمُ وحْشَةً ... لجمالهم مُتَهَدِّم الأركان
حتى رثى لى كلٌّ من : ماوجْدُهُ ... وجدِى ، ولا أشجانُه أشجانى
أتُرى تعود الدارُ تجمعنا كما ... كنا بكلِّ مسرَّةٍ وتهانى ؟
إذ نحن نغتنمُ الزمان ونجتنى ... بيد الأمان قُطوفَ كلّ أمانِ (٢)

٣ — بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبى (٣)

قال فى الصبابة والتحزن :

وتنبهتْ ذاتُ الجْناح بسُحْرة ... بالوادِيَيْنِ فنبهت أشواقى (٤)
ورقاء قد أخذت فنون الحزن عن ... يعقوب والألحان عن إسحاق (٥)
قامت تطارحنى الغرام جهالة ... من دون صحبى بالحمى ورفاقى
أنَّى تُباريِنى جوًى وصبابة ... وكآبةً وأسًى وفيض مآقى
وأنا الذى أُملى الجوى من خاطرى ... وهى التى تُملى من الأوراق (٦)

---

(١) صاحب الإيوان : كسرى ، والإيوان قصره المشهور .
(٢) الأمان (الأولى) : الأمن والدعة . والأمانى (الثانية) : جمع أمنية .
(٣) من أشهر شعراء عصر المماليك بالشام . وكان سهل الشعر عذبة يستخدم المحسنات البديعية مات سنة ٦٨٠ .
(٤) ذات الجناح : الحمامة . والسحرة : قبيل الفجر .
(٥) الورقاء : الحمامة . يعقوب : أبو يوسف صاحب القصة المذكورة فى القرآن الكريم عليهما السلام ، وإسحاق أبو يعقوب عليه السلام ، وإسحاق بن ابراهيم الموصلى وهو المراد.
(٦) الأوراق : أوراق الأشجار التى تعلوها الحمامة وفى الكلمة تورية واضحة .

وقال فى الروض :

الروض أحسنُ ما رأيْـ ـتُ إذا تكاثرت الهمومُ
تحنُـو علىّ غصُـــونُه ويرقُّ لى فيــه النسيمُ

٣ — الشاب الظريف(١)

قال من قصيدة له فى الشكوى والحكمة :

أبت رِقَّتى إلَّا الذى يقتضى الهوى وعزمى إلَّا ما اُقتضى الرأىُ والعقلُ
فوا عجباً أنّى خفِيتُ ، ولم أَبِنْ وقد راح مملوءاً بى الحْزنُ والسَّهْلُ ؟
طريدٌ ولى مأوًى ، مُباحٌ ولى حمًى وحيدٌ ولى صحبٌ ، غريبٌ ولى أهلُ
سأجهدُ : إمَّا المنايا ، أو الْمُنَى قُصاراى: إمَّاالنَّصرُ، أو ماجنَى النَّصلُ (٢)
فإن لم تصـْنِى همَّتى بمطالبى ولم يُنْتسج للشَّيب فى لِمَّتى غزلُ
فلا نظرت عينى ، ولافاه مِقْوَلى ولا بطشت كفِّى ، ولا سعت الرِّجلُ
ومن عرف الأمر الذى أنا عارفٌ رأى كُلَّ صعب كُلٌّ إدراكه سهلُ
خُذ العزّ من أىّ الوُجُوهِ رأيتَهْ فلا خيْر فى عيش يكونُ به الذُّلُّ
والمرء من داعى الطبيعة قائدٌ إذا لم يذُدْهُ دونه الحلْمُ والنُّبْـلُ
من التُّرب هذا الطبع ، والنفس من عُلاً فللمرء أنْ يدنو والمرء أن يعلو

وقال فى التغزل :

يا ساكناً قلبى الْمُعَنَّى وليس فيــهِ سِوَاكَ ثانى
لأىِّ معْنًى كسرت قلبى وما التقى فيــه ساكنان (٣)

(١) هو محمد بن سليمان التلمسانى المولود بمصر سنة ٦٦١ هـ . والمتوفى ٦٩٥ هـ . ويمتاز شعره بالرقة وجمال الصياغة .

(٢) قصاراى : أى غايتى ، وبين النصر والنصل جناس غير تام . ويريد بما يجنيه النصل الموت .

(٣) فى قوله كسرت قلبى تورية ، والمقصود : إيذاء القلب بالهجر ، ويورى لذلك بالكسرة المعروفة للتخلص فى التقاء الساكنين : وكذلك فى قوله : ساكنان : يريد محبوبين.

وقال فى زيارة الحبيب :

ولقد أتيتُ إلى جنابك قاضياً بالَّثْم للعتَبات بعض الواجب (١)
وأتيتُ أقصد زورةً أحيا بها فرُدِدت — ياعينى — هناك بحاجب (٢)

وقال فى الغزل :

بدا وجهُهُ من فوق أسْمَرِ قدِّهِ وقدلاح من سُودِ الذوائب فى جنح
فقلت عُجيب! كيف لم يذهب الدُّجى وقد طلت شمس النهار على رمح ؟ (٣)

وقال فيما يجد العاشق وما يصنع :

لا تُخفِ ما فعلتْ بك الأشواق واشرح هواك فكلُّنا عُشاق
فعسى يُعينُك من شكوت له الهوى فى حمله ، فالعاشقون رفاق
لا تجزعنَّ ، فلست أوّل مُغرم فتكت به الوجنات والأحداق
واصبر على هجرِ الحبيب فربما عاد الوصالُ وللهوى أخلاقُ (٤)
كم ليلة أسهرتُ أحداق بها وجداً وللأفكار بى إحداق (٥)
يا ربِّ قد بعُدَ الذين أُحِبُّهُمْ عنِّى وقد ألف الفراق فراق
واسودَّ حظى عندهم لما سرى فيه بنار صبابتى إحراق
عُرْبٌ رأيتُ أصحَّ ميثاق لهم ألَّا يصحَّ لَديهِمُ ميثاق

---

(١) الجناب : الناحية والكتف .
(٢) كذلك التورية هنا فى كلمة حاجب .
(٣) يقصد بالدجى : الشعر الأسود الذوائب . وشمس النهار : الوجه . والرمح : القد :
(٤) أى من أخلاق كل معشوق أن يهجر دلالا وتجنيا ، ثم يصل بعد ذلك .
(٥) أحدق به : أحاط . أى أن الأفكار كانت تحيط بى وتساورنى .

وقال من قصيدة يمدح بها ابن عبد الظاهر :

ومعشر لم تزل للحرب بيضُهمُ ... حُمْرَ الخُدُودِ وما من شأنها الخجل (١)
إذا انتضوها بُرُوقاً صُيِّرت سُحُباً ... يسيل من جانبيها عارضٌ هطل (٢)
يثنى حديث الوغى أعطافهم طرباً ... كأنّ ذِكْرَ المنايا بينهم غزل (٣)
كم نار حرب بهم شبت وهم سُحُب ... وأرض قوم بهم فاضت ، وهم شعَل (٤)
ضاءت بحسنهم تلك الخيامُ كما ... ضاءت بوجه ابن عبد الظاهر الدُّول
أغرُّ ماأبدت السحبُ الحَيَا لِسوَى ... تقصيرها عن مداهُ حين ينهمل (٥)
أوحى إلى كُلّ قِرْطاس بلاغتهُ ... سِحْرَ البيان ، ومن أقلامِهِ الرُّسُل
سُمْرٌ تَرُوقك رأى العين عارية ... ومن بديع معانيه لها حلل
من كل معتدل كالمِيلِ إنْ رمدَت ... عينُ المعالى ففيها نِقْسُه كحل (٦)
فللعُدة لديه كلُّ ما حذِرُوا ؛ ... وللعفاة عليه كل ما سألوا
أضحت يداه لعقد الجود واسطةً ، ... فليس يُدْرى لجود بعدها عطل (٧)

وقال فى الغزل ، وسلك مسلك الرسائل السلطانية فى الافتتاح بدعاء خاص :

أعزّ الله أنصار العيُون ... وخلَّدَ مُلْك هاتيك الجُفُون
وضاعف بالفتور لها اقتداراً ، ... وإن تكُ أضْعَفَتْ عقلى ودِينى

---

(١) البيض : السيوف وجعلها حمر الخدود لما يسيل فوقها من دماء الأعداء .

(٢) انتضى السيف : أسله من غمده . والعارض : السحاب ، ويقصد به إلى كثرة ما يسيل من دماء أعدائهم .

(٣) الأعطاف : جمع عطف وهو الجانب .

(٤) وهم سحب أى فى الكرم ، وهم شعل ، أى كالنار فى استئصال أعدائهم .

(٥) الحيا : المطر أو مقصور الحياء ، ففى البيت تورية وحسن تعليل .

(٦) الميل : حديدة أو نحوها يكتحل بها . والنقس : المداد . والكحل : مصدر كحل .

(٧) الواسطة من القلادة : الجوهرة فى وسطها ، وهى أجود الجواهر . والعطل : الخلو من الحلية .

وأبقَى دولةَ الأعطاف فينا ، وإن جارتْ على قلبي الطّعِين
وأسبَغَ ظلَّ ذاك الشّـعْر منه على قدٍّ به هَيْفُ الغصُون
وصانَ حجاب هاتيك الثّنايا وإن ثَنت الفؤاد إلى الشّجُون
حَملْت تَسهُّدى والشّيب : هذا على رأسى . وذاك على عُيُونى

٤ — سراج الدين الوراق المصرى الكاتب الشاعر

المولود سنة ٦١٥ هـ المتوفى سنة ٦٩٥ هـ

قال فى شكر الله على نعمائه :

إلٰهى لقد جاوَزتُ سبعين حجة فشُكرًا لنُعماك التى ليس تُكْفرُ !
وعُمِّرتُ فى الإسلام فازددتُ بهجة ونورًا لذا قالوا ، السراجُ المُعمَّرُ(١)
وعمّ نُورُ الشيبِ رأْسى فسرّنى وما ساءنى أنّ السراج مُنوِّرُ

وقال فى لوم النفس على المعصية :

يا خجْلَتى وصحائفى سود غدت وَصحائفُ الأبرار فى إشراق
ومُوبخ لى فى القيامةِ قال لى : أ كذا تكُونُ صحائفُ الورّاق ؟(٢)

وقال فى الترفع :

أصُون أديم وجهى عن أناس لقاء الموت عندهم الأديبُ(٣)
وربُّ الشعر عندهم بَغيضٌ ولو وافَى به لهُمُ حبيبُ(٤)

---

(١) البهجة : الحسن .
(٢) الوراق : مورق الكتب . وهنا تورية ظاهرة .
(٣) الأديم : البشرة .
(٤) حبيب : اسم أبى تمام الشاعر المشهور ، والحبيب : المحبوب ، ففى الكلمة تورية .

وقال فى الحنين إلى الأحباب :

وَقَفْتُ بأَطْلالِ الأحبَّـةِ سائلا ودمعى يسقى ثمّ عهداً ومعهدا(١)
ومِن عَجَبٍ أنّى أُروِّى ديارهم وحظّى منها حين أسأَلُها الصّدى(٢)

٥ — نصر الدين الحمامى المصرى المتوفى سنة ٧١٢ هـ

قال :

رأيتُ شخْصًا آكلاً كرشةً وهو أخو ذوْقٍ ، وفيهِ فطن(٣)
وقال : ما زاتُ مُحبًّا لهـــا ، قلتُ : من الإيمان حبُّ الوطن !

وقال فى ذم داره :

ودارٍ خرابٍ بها قد نزلتُ ولـكن نزلتُ إلى السابعهْ(٤)
طريقٌ من الطُرق مسلوكةٌ مَحجّتُها للـورى شاسِـعه(٥)
فلا فرق ما بيْن أنّى أكونُ بها ، أو أكونُ على القارعه(٦)
تُساورُها هفَواتُ النسـيمِ فتُصغى بلا أُذُنٍ سامعـه(٧)
وأخْشى بها أن أُقيم الصـلاة فتسْـجُد حيطانُهـا الرّاكعـه
إذا ما قرأتُ : « إذا زلزلت » خشيتُ بأن تَقرأ : « الواقعه »

---

(١) العهد والمعهد : المنزل الذى لا يزال القوم إذا انتأوا عنه رجعوا إليه .

(٢) الصدى : الذى يجيبك بمثل صوتك فى الجبال وغيرها ، والصدى أيضا : العطش .

(٣) الفطن : الفطنة .

(٤) نزلت (الأولى) : حللت . ونزلت (الثانية) : هويت وسقطت ، والسابعة ، أى الأرض السابعة .

(٥) المحجة : جادة الطريق . شاسعة : بعيدة .

(٦) قارعة الطريق : أعلاه . وقارعة الدار : ساحتها ، والمراد هنا قارعة الطريق .

(٧) تساورها : توافيها .

٦ — عمر بن الوردى (١)

قال فى مدح شهاب الدين بن فضل الله :

أأُقْتلُ بين جدِّك والمُزاح ... بِذبْلِ جفُونكَ المْرضى الصِّحاح (٢)
يكدِّرُنى نواك ، وأنت صافٍ ... ويُسْكرنى هواك ، وأنت صاحى
وأبكى للغـرام ، وأنت لاهٍ ... وأُعْذرُ فى الأُوام ، وأنت لاحى (٣)
فما لِسراح دمعى من إسار ... وما لإسار وجـدى من سراح (٤)
وما لصباح وجهك من مسـاء ... وما لمسـاء شعْرك من صباح
رضاك إلى رُضابِكَ لى دليلٌ ... أليس كلاهما رُوحى وراحى ؟ (٥)
ولى لحظٌ يطيرُ إليك شوْقاً ... فها قد طار مبلول الجَنَاح !
ووجهك فوق قدِّك عرَّفانى ... بإثمار البُـدور من الرِّماح (٦)
لقد أصبحتُ من سرِّى ودمْعى ... لقًى بين اســتتار وافتضاح (٧)
يحِقُّ لمن لحانى فيـك ذمى ... وحقٌ لـكاتب السر امتداحى (٨)
ولستُ سوى ابنِ فضلِ اللهِ أعنى ... شهاب الدين ذى الغُرر المِلاح

---

(١) ولد بالمعرة سنة ٦٨٩ هـ ومات بحلب سنة ٧٤٩ هـ . وكان شاعرا نحويا فقيها مؤرخا قاضيا .

(٢) المرضى : الفواتر الناعسات والصحاح الجميلات ليس فيها مرض . وبين اللفظين : طباق

(٣) الأوام : العطش ودوار الرأس .

(٤) أى فما لدمعى ما يوقف سيله ، وليس ما يخلصنى من الوجد .

(٥) الرضاب : الريق . والراح الخمر .

(٦) الرماح : القدود .

(٧) اللقى : المطروح من الشىء .

(٨) لحانى : عابنى ولامنى .

له قلمٌ بفضلِ الله يحيا ... لنا يحيى به بعد أنتزاح
فما أدرى انقشاً فوق طرْس ... يُطرِّزُ أم مساءً فى صباح ؟
أشدُ من القضاء مضاء أمرٍ ... وأجرى فى الخُطوب من الرياح
فخذها بنت ليلتها عروساً ... تزف إليك كالخَوْد الرَّداح(١)
وما أنا شاعرٌ حاشا علومى ... ولستُ أرى التكسب بامتداح
فلى من أنْعُم الرحمن مالٌ ... يصونُ عن احتياج وأجتياح
ولم أقصد بمدحك غير رد ... أروضُ به الزمان عن الجماح

وكتب إلى القاضى جمال الدين معاتباً له على قصد الرحلة :

علام أردْت تهجُرُنى علاما ... وتُوقظُ بالنوى إبلاً نياما ؟
لعلَّكَ يا جليد القلب تبْغى ... رحيلاً يُورِثُ الدمع انسجاما(٢)
فهل لاقيتَ فى حلب هُمُوماً ... فتزْمِع عن نواحيها أهتماما ؟
فلا تأخذ دمشْقَ لها بديلاً ... أغيظاً ذاك منك أم أنتقاما ؟
وإن تكُ بالتفرُّق لا تُبالى ... فهذا يمنعُ العين المناما
وإن ترْحلْ لنيلِ غِنًى فسهلٌ ... غناك هنا إذا أمسكت عاما
وإن ترْحلْ تريدُ تمام جاهٍ ... فه ؛ إنى أحذِّرُك التّماما
وإن ترْحلْ رجاءً لاشتهار ... فكم من شُهْرة تُوهى العظاما
أقمْ فى الأهل فى رغد وطيب ... بأمْرى ، واغتنم ذاك اغتناما

---

(١) الرداح : البدينة . والخود : الفتاة الغضة .
(٢) القلب الجليد ، الغليظ الشديد : وانسجام الدمع : انصبابه .

٧ – صفى الدين الحلى (١)

من مُلَحه :

إنما الحَيْزَبُون والدَّرْدَبيسُ ... والطَّخا والنُّقَاخُ والعَلْطَبِيس (٢)
لُغةٌ تنفِر المسامعُ منها ... حين تُرْوَى وتَشْمَئِزُّ النفوسُ
وقبيحٌ أن يُذكرَ النافرُ الوحـ ... ـشِيُّ منها ويُترَك المأنُوسُ (٣)
أين قولى : هذا كثيبٌ قديمٌ ... ومَقَالى عَقَنْقَـلٌ قُدْمُوسُ (٤)
خل للأصمعىِّ جَوْبَ الفيافى ... فى نِشَافٍ تَخِفّ فيه الرءوس (٥)
إنما هذه القلوبُ حديدٌ ... ولذيذُ الألفاظِ مغناطيسُ

وقال يمدح الملك الناصر محمد بن قلاوون عند كسر الخليج :

خَلَع الربيعُ على غُصون البانِ ... حُلَلًا فواضلُها على الكُثْبان (٦)
ونَمتْ فروعُ الدَّوْح حتى صافحتْ ... كَفَلَ الكثيب ذوائبُ الأغصان (٧)

---

(١) هو عبد العزيز بن على شاعر الجزيرة نشأ بالحلة من مدن الفرات ، وتأدب وأجاد الشعر وخدم ملوك الدولة الأرتقية . وزار مصر ومدح السلطان الناصر بن قلاوون . وتوفى ببغداد سنة ٧٥٠ هـ .

(٢) الحيزبون : العجوز أو التى لا خير فيها . الدردبيس : العجوز الفانية والداهية . والطخاء : السحاب المرتفع . النقاخ : الماء البارد العذب الصافى . العلطبيس : الأملس البراق .

(٣) الوحشى من الألفاظ : الغريب غير المألوف .

(٤) العقنقل : الكثيب المتراكم . قدموس : قديم .

(٥) الفيافى : مفردها فيفاء ، وهى المفازة لا ماء فيها . جوب الفيافى : قطعها . ونشاف جمع نشفة مثلثة النون ، وهى حجارة الحرة . وهى سود كأنها محترقة .

(٦) الكثبان : جمع كثيب ، وهو التل من الرمل .

(٧) الكفل بفتحتين : العجز .

وتتوَّجَتْ هامُ الغصون ، وضرَّجَتْ ... خدَّ الرياض شقائقُ النُّعمانِ
وتنوَّعتْ بُسُط الرياض ، فزهْرُها ... متبــاينُ الأشكال والألوان :
من أبيض يقَقٍ ، وأصفرَ فاقع ، ... أو أزرق صاف ، وأحمرَ قانِ
والظلُّ يَسْرِق فى الخمائلِ خطْوَه ... والغُصْن يَخْطِر خطرَةَ النشوانِ(١)
وكأنما الأغصانُ سوقُ رَواقص ... قدْ قُيِّدَتْ بسلاسِل الرَّيْحَان(٢)
والشمسُ تنظُرُ من خلال فروعها ... نحوَ الحدائق نظْرَةَ الغَيْرَان(٣)
والطَّلْعُ فى خَلَلِ الكِمام كأنه ... حُلَلٌ تفتَّقُ عن نُحورِ غوانِى(٤)
والأرضُ تعجَب كيف تضحك والحَيَا ... يبْكى بدمع دائم الهَمَلَان(٥)
فاصرفْ همومَك بالربيع وفصْلِه ؛ ... إن الربيعَ هو الشبابُ الثانى
أنَّى ؟ وقدْ صَفَتِ المياه وزخرِفتْ ... جناتُ مصرَ ، وأشْرقَ الهرمان ،
واخضرَّ واديها ، وحَدَّق زهرُه ... والنيلُ فيه ككوثر بجنان
وبه الجوارى المُنشآتُ ، كأنَّها ... عنــدَ المَسير تَهُمّ بالطيَران
والماء يُسْرِع فى التدفُّق كُلَّما ... عَجِلَتْ عليه يدُ النَّسيم الوانى(٦)

---

(١) الخمائل : جمع خميلة ، وهى رملة تنبت الشجر . يخطر : يتمايل . النشوان : السكران .
(٢) سوق رواقص ، مفرد السوق : ساق ، وهى : ما بين الركبة والقدم .
(٣) الغيران : شديد الغيرة .
(٤) الطلع : طلع النخلة . والخلل بفتحتين : الفرجة بين الشيئين والجمع خلال ، والكمام : وعاء الطلع . الغوانى : جمع غانية ، وهى التى غنيت بحسنها عن الحلى .
(٥) الحيا : المطر . والهملان : الجريان .
(٦) الوانى : الضعيف .

حتى إذَا كُسِرَ الخليجُ وقُسِّمتْ أمواهُ لُجّتِهِ عَلَى الخُلْجَانِ
ساوَى البلادُ كما تُساوِى فى النَّدَى بين الأنام مَواهب السلطانِ
ملِكٌ إذا اكتحلَ الملوكُ بنُورِه خَرُّوا لهيبتِه إلى الأذقانِ (١)
قد عَزَّ دِينُ محمد بسَمِيِّه وسَما بنُصْرته على الأدْيانِ
شاهدتُه فشَهِدتُ لُقمانَ الحجا ونظرْتُ كسرى العدْلِ فى الإيوانِ (٢)
ورأيتُ منه سماحةً وفصاحةً أعْدَى بفَيْضهما يَدِى ولسانى (٣)

وقال يهنئ المؤيد بالقدوم من الصيد :

مرحباً بالحَيَا لكلِّ جديبٍ لا عَدِمْنا نوالَه وظِلالَهْ (٤)
مَلِكُ الجُودِ والثنا والمعالى والسجيات كلِّها والأصالَهْ
رُقِمَتْ حُلّةُ الرياضِ فخِلْنا أنَّ رَوْضاً قد استعار خِلالَهْ
وابتَغى الأُفْقَ للعلا فحسِبْنا أنه يُنْعِلُ الجوادَ هلالَهْ (٥)
جاء من صيده السعيد كبدرٍ ما رأى الطَّرْفُ فى السَّناء مثالَهْ (٦)
كم غزالٍ رَمَى ؛ فلوْ أمِنَ الشمْ سَ من الخوْف ما تسمَّتْ غزالَهْ (٧)

---

(١) الأذقان : مفرده ذقن ، وهى فى الإنسان مجمع لحييه .

(٢) الحجا : العقل ، يريد لقمان الحكيم .

(٣) أعدى : من العدوى ، يريد أكسب يده سماحة ولسانه فصاحة مثل سماحة الملك الممدوح وفصاحته .

(٤) الحيا : المطر . النوال : العطاء .

(٥) ينعل الجواد هلاله : يجعل الهلال نعلا للجواد .

(٦) السناء : الرفعة .

(٧) الغزالة : اسم من أسماء الشمس ، والمعنى أن الملك كلف صيد الغزلان ، فلو أراد ألا يجعل الشمس مما يصطاد ، لما كان من أسمائها : الغزالة .

ولَعمرى لو استجار به ألوحْ شُ ثُنَ — بعدما استقلّتْ — نِبَاله(١)
أيّد اللهُ ملكه ووقاه وحمى سربه وصان جَلاله(٢)

وقال يحرض الأمير نور الدين على ملتقى المغول وحربهم عند ما أغاروا على ماردين :

أمِنْ حَجَرٍ فؤادُك أم حديدُ فَفِيه على الوغَى بأسٌ شديدُ(٣)
وأطوادٌ حُلومُكَ أم جِبالٌ تَميد الراسياتُ ، ولا تميدُ(٤)
لأنكَ كلّما حاولْتَ أمرًا يُصَوِّبُ فعلَكَ الرأْيُ السديدُ
طلَعْتَ على العُداة ، وأنتَ شمسٌ فذَابَ بحرّ موقِعها الجليدُ
أغَرْتَ على حِماهُم غيرَ عادٍ ولاقَوْا منكَ ما لاقتْ ثمودُ(٥)
بجيشٍ ترجُفُ الرّاياتُ فيه وتخفق دونَ مَقْدَمِه البنُودُ
وتهتزُّ الذوابلُ فيه عُجْبا كما اهتزّتْ من المَرح القُدودُ(٦)
عَجِلْتَ إلى قراعِهمُ بعزمٍ به يَدْنو لك الأمَدُ البعيد
وكم وَانٍ يَعُدُّ العَجزَ حلماً فيندَمُ ؛ والنّدامَة لا تُفيدُ(٧)
ومَنْ يَرَ ما يُريدُ وكَفّ جُبْناً رأى منْ بَعْده مالا يُرِيدُ

---

(١) ثنى : أرجع . واستقلت : يريد فارقت القوس .
(٢) حمى الله سربه : حفظ نفسه .
(٣) الوغى : الحرب . والبأس : القوة .
(٤) الطود : الجبل . حلوم : مفرده حلم بالكسر وهو الأناة والعقل . تميد الراسيات : تضطرب الجبال الشامخة الثابتة .
(٥) عاد : معتد ظالم . وفى الكلمة إشارة إلى (عاد) المذكورين فى القرآن الكريم وهم قوم هود الذين أهلكوا لما عصوه . وثمود قوم سيدنا صالح الذين عصوه فأخذتهم الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين .
(٦) الذوابل : الرماح الرقيقة . المرح : شدة الفرح مع الإعجاب بالنفس
(٧) وان : ضعيف . حلما : أناة وعقلا .

وقال فى فرسٍ أدْهَمَ مُحَجَّل :

ولَقَدْ أروحُ إلى القنيصِ وأغتَدى　　فى مَتن أدْهَمَ كالظَّـلامِ مُحَجَّلِ
رامَ الصباحُ من الدُّجَى استنقاذَهُ　　جَسَداً ، فلم يَظْفر بِغَـيْرِ الأرجُلِ (١)
فـكأنّهُ صِبْغُ الشَّبِيبَة هابَهُ　　وخَطُّ المَشِيبِ ، فجاءَهُ من أسْفَلِ

وقال فى وصف عُودِ طَرَب :

وعُود به عادَ السرورُ لأنّه　　حَوَى اللهوَ قِدْماً وهو رَيَّانُ ناعمُ
يغرِّبُ فى تَغْريده فـكأنّه　　يُعيدُ لنا ما لَقَّنَتْهُ الحَمائِمُ

٨ — جمال الدين بن نباتة المصرى (٢)

قال يرثى ولداً له مات صغيراً :

اللهُ جارُكَ إنَّ دَمْعِى جارِى　　يا مُوحِشَ الأوطانِ والأوْطارِ (٣)
لمـا سكَنْتَ من الترابِ حديقةً　　فاضتْ عليك العينُ بالأنْهارِ
شَتَّانَ ما حالى وحالُكَ : أنتَ فى　　غُرَفِ الجِنانِ ، ومهْجتى فى النارِ
خَفَّ النَّجَا بكَ يا بُنَىَّ إلى الثَّرَى　　فسبقْتَنِى ، وثَقُلْتُ بالأوْزارِ (٤)

---

(١) رام الصباح من الدجى استنقاذه : أى طلب الصباح أن ينقذه فلم يفز بغير الأرجل ، وتفسير ذلك أن الفرس أسود الجسم (أدهم) أبيض الأرجل (محجل) فالصباح له تلك الأرجل البيض ، فى حين أن الليل له سائر الجسد الأسود .

(٢) هو جمال الدين أبو بكر ولد بمصر وتوفى بها سنة ٧٦٨ هـ . ويظهر فى شعره ذوق سليم ورقة ممتازة . وهو فى هـذه القصيدة يعارض أبا الحسن التهامى فى قصيدته التى رثى بها ولدا له مات صغيرا كذلك وهى من البحر والقافية ، وقد تقدمت لك فى هذا الجزء

(٣) الأوطار : جمع وطر ، الحاجة تهتم لها وتعنى بها .

(٤) النجا : مقصور النجاء ، وهو السرعة .

ليتَ الردَى إذ لم يَدَعْكَ أهابَ بي ؛ حتى نَدُومَ معاً على مضمارِ (١)
ليتَ القَضَا الخاوِى تمهَّل وِرْدُهُ حتى حَسَبْتُ عواقِبَ الإصْدَارِ
ما كُنْتَ إلَّا مِثْلَ لمحةِ بارقٍ وَلَّى . وأغْرَى الجَفْنَ بالإمطارِ
أبكيكَ ما بَكَت الحمامُ هَديلَها وأحنُّ ما حَنَّتْ إلى الأوكارِ (٢)
أبكى بمُحْمَرِّ الدموعِ ؛ وإنما تَبْكى العيونُ نظيرَها بنُضَارِ
قالوا : صغيرٌ ! قلتُ إنّ ! وربما كانت به الحسَراتُ غيرَ صغارِ (٣)
وأحقّ بالأحزان ماض لم يُسِىء بيَدٍ ولا لِسْنٍ ولا إضمارِ (٤)
نَائِى اللِّقَا ، وحِمَاه أقربُ مَطْرَحاً يا بُعْدَ مجتمعَ وقربَ مزارِ !
لَهَفِى لغُصن راقنى بنباته لو أمهلتْه الترابُ للإثمارِ
لهفى لجوهرةٍ خفَت ، فكأننى حجَّبتُها من أدمعى ببحارِ
لهفى لسارٍ حارَ فيه تجلدى وَاحيرتى بالكوكب السيارِ !
سكن الثَّرى ؛ فكأنه سكن الحشا من فرْطِ ما شُغِلَتْ به أفكارى
أعززْ علىّ بأنّ ضَيْف مسامعى لم يحظَ من ذاك اللسان بقارى ! (٥)
أعزز علىّ بأن رحلتَ ولم تخُضْ أقدامُ فكركَ أبْحُرَ الأشعار
أعزز على بأن نُثِرْتَ على الثَّرى وعليك من دمعى كُدرٍّ نِثار (٦)

---

(١) أهاب بى : دعانى .
(٢) الهديل هنا : أب للحمام زعموا أنه هلك فى القدم فهى تبكيه .
(٣) إن : أى نعم .
(٤) اللسن بكسر اللام : اللسان .
(٥) أعزز على : أى ما أعز ذلك وما أصعبه . وقارى : من القرى وهو ما يقدم للضيف الطعام ، أو من القراءة ففى الكلمة تورية .
(٦) نثار : أى منثور .

أبُنَىَّ ، إنْ تُكْسَ الترابَ فإنه غاياتُ أجمعنا ، وليس بعَار
ما فى زَمانك ما يَسرُّ مؤمِّلا فاذهبْ كما ذهب الخيالُ السارى
لو أنَّ أخْبارى لديك توصلتْ لبكيتَ فى الجنَّات من أخبارى
أحزانُ مدَّكِرٍ ، وسَلْوةُ مُفْرَدٍ ، ومُقامُ مَضْيَعَة ، وذُلُّ جِوارِ
أبُنَىَّ ، إنى قد كَنزْتُكَ فى الثَّرى فانفع أباكَ بساعة الإقتار(١)
أبُنَىَّ ، قد وقفتْ علىَّ حوادثٌ فوقفنَ من طَلَلٍ على آثارِ
وَمضى البياضُ من الحياة وطيبها لكنها أبقَتْه فوقَ عِذارى(٢)
نَمْ وادِعاً ، فلقد تقرّح ناظِرى سَهراً ، ونامت أعينُ السُّمّارِ
أرعَى الدُّجى وكأنّ ذيلَ ظلامِهِ مُتَشبِّثٌ بالنّجْم فى مِسْمارِ
خَلَعَ الصباحُ على المَجَرَّةِ سَجْفَه أم قُسِّمتْ شمسُ النهار دَرارى ؟(٣)
تبًّا لعادِيَةِ الزمانِ على الفتى ؛ فلقد حذِرْتُ وما أفاد حِذارى
وحويت ديناراً بوجهك فانتحى صَرْفُ الزمانِ ، فراحَ بالدينارِ(٤)

وقال يمدح السلطان الأفضل و يعزيه فى والده المؤيد :

هَنَاءٌ محا ذاكَ العَزاءَ المقدَّمَا فما عبَسَ المحزونُ حتى تبسما
ثغورُ ابتسامٍ فى ثغور مدامعٍ شبيهانِ لا يمتازُ ذو السبق منهما

---

(١) لعله يريد بساعة الإقتار يوم الحساب ، أى الاقتار من الحسنات ، وأن طفله سيكون له فى ذلك اليوم ذخراً .

(٢) يشير إلى مشيبه . والعذار : الشعر المحاذى للأذن .

(٣) المجرة : منطقة فى السماء ذات نجوم كثيرة لا يميزها البصر ، فترى كرقعة بيضاء . والسجف : الستر . والدرارى : النجوم . والمعنى : هل خلع الصباح بياضه على المجرة ، فهو ما تراه من بياضها ، ولا صباح بعد ذلك ، أم أن الشمس تناثرت نجوما ، هى التى أراها ، وعلى ذلك لا تطلع الشمس ؟

(٤) يشبه وجه ابنه بالدينار بهجة وصفاء .

تفيضُ مجارِى الدمع والبشرُ واضحٌ ... كَوابلِ غَيْثٍ فى ضُحَا الشمس قد همى
سقى الغيثُ عنا تربةَ الملك الذى ... تَدَانتْ له الدُّنيا وعزَّ به الحمى
مليكان : هذا قد هوى لضريحِهِ ... برَغْمِى ، وهذا للأَسرَّةِ قد سما
ودوحةُ ملكٍ شاذوىّ تكافأت ... فغصنٌ ذوى منها ، وآخرُ قد نما(١)
فقـــدنا لأعناق البرية مالـكا ... وشمنا لأنواعِ الجميـــل مُتَمِّماَ
إذا الأفضل الْمَلْكُ اعتبرتَ مَقامه ... وجدتَ زمانَ الْمُلْكِ قد عاد مثلما
أعاد معانى البيتِ حتى حسبتُهُ ... بوزن الثنا والحمد بيتاً منظما(٢)
وناداهُ مُلْكٌ قد تقـادَمَ إرثُهُ ... فقام كما تَرْضى العُلا وتقدَّما
تُقَابِل منـه مقلَةَ الدَّهر سُؤْدَدا ... صميماَ ، وتنضُو الرأىَ عَضْبا مُصمِّماَ
ويقسم فينا كل سهم من الندى ... ويبعث الأعداءِ فى الروع أسهما(٣)
كأَنَّ ديارَ الملك غابٌ إذا انقضَى ... به ضيغم أنشا به الدهر ضيغما(٤)
كأن عماد البيتِ غيرُ مقوّض ... وقد قمت يا أزكى الأنامِ وأحزما
نهضتَ فما قلنا : سيادةُ معشرٍ ... تداعَتْ ، ولا بُنيانُ قومٍ تهدَّما
أما والذى أعطـاك ما أنتَ أَهْلُهُ ... لقَدْ شاد من علياكَ ركْناً مُعظَّما
وقد أنشرَ الإِسلامَ بالخلفِ الذى ... تمـكَّن فى عليـائهِ وتحكما
فإن يكُ مِنْ أيوب نجمٌ قد انقضَى ... فقد أطلعت أوصـافُك الغرُّ أنجما
وإِن تكُ أوقات المؤيد قد خلَت ... فقـد جدَّدت علياك وقتاً ومَوْسماَ
عليه سـلامُ الله ما ذرّ شارق ... (ورحمتُهُ ما شاء أن يترحما)(٥)

---

(١) شاذوى : نسبة إلى يوسف بن أيوب بن شاذى ، وهو السلطان صلاح الدين الأيوبى .
(٢) البيت : أى بيت الملك .
(٣) سهم من الندى : أى نصيب .
(٤) الضيغم : الأسد .
(٥) ذر : طلع ، والشارق الشمس .

وقال فى الناصر حسن وقد أمره أن ينسخ له ديوانه :

أحبابنَا دارُكُمْ والعيشُ نَعْمَانُ ... والسّفْحُ دَمْعى ، ودارُ القلْبِ حَرّانُ (١)
أشكو اشتياقاً ، وما بالوصْل من قَدَمٍ ... كأنّ وصْلى لفَرْط الحُبِّ هجرانُ
ورُبّما رُمْتُ أن أشكو السُّهاد إلى ... عدْل المنام ، وقلتُ : النومُ سُلْطان
يأيها الناصرُ السلطانُ لا غَمضتْ ... عينٌ لها عن سَنى مَرْآكَ سُلْوانُ (٢)
كم فى ملوك الورَى فضلٌ ومعرفةٌ ... كانوا ، ومثلكَ فى ذا النحو ما كانوا
إن يمض كِسْرى فكم إيوان مَعْدَلةٍ ... لديكَ قد زانه يُمْنٌ وإيمَان
أمَّرتَ شِعرىَ يا خيرَ الملوكِ على ... أشعارِ قومٍ ، فلى أمرٌ وديوانُ

٩ — محي الدين بن قرناص الحموى

قال يصف روضا :

سَقيا له رَوضا قُدودُ غُصونِه ... تختَال فى الأبْراد من أوْراقِها (٣)
جُنّت به وُرْقُ الحمَام صَبابةً ... أوَ مَا ترى الأغْلَال فى أعناقها ؟ (٤)

---

(١) العيش : الحياة . نعمان بالفتح : واد فى طريق الطائف يخرج إلى عرفات ، يقال له نعمان الأراك . ونعمان أيضا : صفة مشبهة من الفعل نعم ينعم أى سار ناعما لينا . حران : بلد بشمالى الشام .

(٢) السنى : ضوء البرق .

(٣) قدود غصونه : قامات فروعه : تختال : تعجب بنفسها مرحاً ، الأبراد : الثياب ، ومفردها برد .

(٤) ورق الحمام : جمع أورق وورقاء . والحمامة الورقاء : التى لونها كلون الرماد . الصبابة : رقة الشوق وحرارته . الأغلال : مفرده غل وهو طوق من حديد يجعل فى العنق لأن المجنون كان يوضع فى أغلال ، شبه أطواق الحمام بأطواق الأغلال من الحديد .

وقال أيضاً :

قدْ أتيْنا الرياضَ لمَّا تجلَّتْ وتحلَّتْ منَ النَّـدى بجُمَان(١)
ورأيْنا خواتِمَ الزّهْرِ لمّــا سقطتْ من أنامِلِ الأغصَان

وقال يصف نهرا :

وربَّ نهـر لهُ عيـونُ تحَارُ فى وَصْـفه العيُـون
لمّا غدَا الريقُ منه عَذْبا مَالتْ إلى رَشْـفه الغُصُـون(٢)

١٠ — على بن محمود المبارك(٣)

قال يذم دار سكناه :

دار سكنتُ بها أقلُّ صفاتها أن تـكْثُرَ الحشراتُ فى جَنَباتها
الخير عنها نازحٌ متباعدٌ والشرُّ دان من جميع جهاتها
من بعض ما فيها البعوضُ عدمته كم أعدمَ الأجفانَ طيبُ سباتها
وتبيتُ تُسعِدها براغيثٌ متى غنت لها رَقَصَت على نغماتها(٤)
رقص بتنغيص ولـكن قافه قد قدمت فيه على أخواتها
وبها ذُبابٌ كالضّباب يسدُّ عَيْـ نَ الشّمس ما طَرَبى سوى غنُنّاتها
أين الصوارمُ والقنَا من فَتْـكها فينا وأين الأسْدُ من وثبَاتها ؟

---

(١) الجمان : قطع من الفضة على هيئة اللآلىء.
(٢) الرشف : المص .
(٣) هو على بن محمود المبارك كمال الدين بن الأعمى الشاعر المتوفى سنة ٦٩٢ ه .
(٤) تسعدها : تعاونها .

وبهـا خفافيشٌ تطيرُ نهارَها ... مع لَيْلها ليست على عاداتهـا
شوكاتها فاقت على سُمرِ القنَا ... فاعجَب لِشِدة فتـكها وثباتها
وبها من الُجرْذان ماقد قصَّرت ... عنه العِتاق الجرْدُ فى حَملاتها[1]
ولهـا زنابير تُظَنُّ عقاربا ... لا برء لِلْمَسموم من لدغاتها
ولها عقاربُ كالأقارب رُتَّعٌ ... فينا حمانا الله لدغ حُماتها[2]

١١ — ابن سعيد المغربى[3]

قال يصف الجيزة :

إن للجيزة فى قلبي هوًى ... لم يكن عندىَ للوجه الجميل
يرقصُ المـاء بها من طربٍ ... ويميل الغصن للظل الظليل
وتود الشمس لو باتت بها ... فلذا تصفر فى وقت الأصيل

١٢ — محمد بن سليم المصرى[4]

كتب إلى السراج الوراق فى حمار له سقط فى بئر فمات :

يفديك جَحْشُكَ إذ مضى مُتَرَدِّيًا ... و بتالدٍ يُفْدى الأديبُ وطارف
عدم الشعير فلم يجِده ولا رأى ... تبنا وراح من الظما كالتالف
ورأى البؤيرة غير خافٍ ماؤها ... فرمى حشاشة نفسه لمخاوِف
قوم يموت حمارهم عَطَشًا لقد ... أزروا بحاتم فى الزمان السالف

---

(١) العتاق : الخيل . والجرد : جمع أجرد وهو السباق منها .
(٢) الحمات : جمع حمة ، وهى إبرة العقرب التى تضرب بها .
(٣) توفى سنة ٦٧٣ هـ .
(٤) هو محمد بن محمد بن على بن محمد بن سليم المصرى المتوفى سنة ٧٠٧ هـ .

١٣ — ابن الجنان (١)

قال يصف روضاً على نهر :

ودوحٍ بدت معجزاتٌ له   تبينُ عليه وتدعو إليه
جرى النهرُ حتى سقى غصنَه   فمال يقبِّل شكراً يدَيْه
وكفُّ الصَّبا صنعت حَلْيه   فأضحى الحمامُ ينادِى عليه
كساه الأصيلُ ثيابَ الضَّنَى   فحلَّ طبيبُ الدياجى لديه
وجاء النسيمُ له عائداً   فقام له لاثِماً معطفيه

١٤ — محمد بن الحسين (٢)

قال فى نوح الحمام :

ولقد رأيت الأراك حمامةً   تبكى فتُسعِدُنى على أحزانى (٣)
تبكى على غُصْنٍ وأندُبُ قامةً   فجميعُنا يبكى على الأغصان
صَرَعَ الزمانُ وحيدَها فتعلَّلتْ   من بعده بالنوح والأحزان
تخشَى من الأوتارِ وهى مُروعَةٌ   منها ، فلِمْ غَنَّتْ علَى العيدان ؟

---

(١) توفى سنة ٦٧٥ ه .

(٢) هو الشاعر النديم ، صاحب الموصل ، توفى سنة ٦٥٨ ه .

(٣) الأراك : شجر يستاك به .

١٥ — محمد بن الحسن الصائغ العروضي[١]

قال يتشوق — وهو بمصر — إلى دمشق :

لى نحو ربعك دائماً يا جلّقُ شوقٌ أكادُ به جوًى أتمزقُ
وهمولُ دمع من جوًى بأضالعٍ ذا مُغرِقٌ عيني وهذا محرقُ[٢]،
أشتاقُ منك منازلا لم أنسها أنّى ؟! وقلبي في رُبُوعِكِ موثقُ

١٦ — ابن دقيق العيد[٣]

قال يتمنى الجمع بين الشباب والشيب :

تمنيت أن الشيب عاجل لمّتى وقرّبَ منى فى صباى مَزَارَه
فآخُذ من عصرِ الشّبابِ نشاطَه وأخذ من عصرِ المشيبِ وقاره

وقال فى الشكوى :

لعمرِى لقد قاسيت بالفقر شدّةً وقعتُ بها فى حَيْرةٍ وشَتَاتِ
فإنْ بُحتُ بالشّكوى هتكتُ مُرُوءتى وإنْ لم أَبُح بالصَّبرِ خفتُ مَمَاتِى
وأَعظِمْ به مِنْ نازلٍ بمُلِمَّةٍ يزيل حيائى أو يزيلُ حياتى

وقال فى بعض الوزراء :

مقبلٌ مدبرٌ بعيدٌ قريبُ محسنٌ مذنبٌ عدوٌّ حبيبُ
عجبٌ مِن عجائبِ البَرِّ والبحـــر ونوع فَرْدٌ وشكلٌ غريبُ

---

(١) توفى سنة ٧٢٢ هـ . (٢) الجوى : شدة الوجد .
(٣) هو محمد بن على بن وهب الإمام أبو الفتح بن دقيق العيد المتوفى سنة ٧٠٢ هـ .

١٧ — مجير الدين بن تميم

قال يصف روضاً :

بعثَ النسيمُ رسالةً بقُدومه للرّوْض فهْوَ بقُرْبه فَرْحانُ
ولِطيب ما قرأ الهَزارُ بِشدوه مضمُونَها مالت له الأغصانُ(١)

وقال فى وكيل بدار القاضى بدمشق :

لا تقْرَبِ الشرْعَ إذا لم تكن تخْبُرُه فهْوَ دقيقٌ جليلُ(٢)
ووَكِّل العِزَّ الذى وَجْهُهُ على جناحِ الأمْرِ أقوى دليل
ولا تَمِل عنه إلى غيرهُ وحسبنا اللهُ ونعم الوكيل

وقال فى روضة :

أرْضٌ كساها القَطْرُ حُلَّةَ سُنْدُسٍ رُقِمَتْ لها طُرَرٌ من الغُدْرَان(٣)
وَفْدُ النسيم أضاع نَشْر رياضِها فالوُرْقُ تَنْشُده بكلِّ مكانِ(٤)

وكتب إلى كمال الدين بن النجار وكيل بيت المال بدمشق :

كمالَ الدين يا مولاى يا مَنْ يعُزُّ البحرَ فى بَذْل النوال(٥)
أتيت لحاجة ؛ فاغنَمْ ثنائى عليك بها وشُكْرِى وابتهالى

---

(١) الهزار بفتح الهاء : طائر . (٢) تخبره : تعلمه . دقيق : أمر غامض .
(٣) القطر : المطر . والمعنى أن القطر كسا الأرض حلة خضراء من النبات ، رسمت لهذه الحلة طرراً ، أى جوانب من الغدران ، أى المياه التى غادرها المطر .
(٤) أضاع : إما ضيعه أو أفقده ، وإما بثه فى الجو ، وضاع الطيب : انتشرت رائحته . والنشر : الريح الطيبة . والورق : جمع ورقاء وهى الحمامة .
(٥) يعزه : يفوقه ويزيد عليه .

ولا تجعلْ سواكَ لها ؛ فإنِّى عليكَ بِنُجْحِها وَقَعَ اتِّكالى
أيَجْمُل أن يَقُول الناسُ : إنى أتيتُ لحاجة لم تَقْضِها لى ؟
وأُصْبِحُ بينهم مَثَلًا لأنى أتانى النقصُ من جِهَةِ الكمالِ

وقال فى رثاء صديق له اسمه قطب الدين :

نأَيتم فلا قلبى عن الحزْن مُقصرٌ عليكم ولا جفنى يجِفُّ له غَرْب(١)
وأفلاكُ لذَّاتى تَعطَّل سَيرُها وهل فلكٌ يسرى إذا عدمَ القُطْبُ(٢)

وقال فى التشوق :

لا تبعثُوا غيرَ الصَّبا بتحية من أرضكم ! فلها على جميل :(٣)
خاضت دموعَ العاشقين وعَرَّجت عنهم إلىَّ وثوبها مبْلول

وقال فى الغزل :

وعيرنى بالشيب قوم أُحبهم فقلت وشأن العاشقين التجمُّلُ :
بعثتم إلى رأسى المشيبَ بهجرِكم ومهما أتى منكُم على الرأس يُحمل

وقال فى ليلة سكر :

وليلة بت أُسقى فى غياهبها راحاً تسل شبابى من يدِ الهرَم(٤)
ما زِلت أشربُها حتى نظرتُ إلى غزالة الصُّبْحِ ترعَى نرجسَ الظُّلَمِ (٥)

---

(١) مقصر : مقلع وكاف عن الحزن عليكم . والجفن : يريد العين . الغرب : انهلال الدمع من العين .

(٢) الفلك : واحد أفلاك النجوم . والقطب : كوكب بين الجدى والفرقدين يدور عليه الفلك .

(٣) الصبا : ريح تهب من مطلع الشمس . وهى ندية بليلة .

(٤) الغياهب ، الظلمات . الراح : الخمر .

(٥) غزالة الصبح : الشمس . ونرجس الظلم : النجوم .

وقال يهجو :

لمّا جَسَسْتُك بالمديح ولَمْ أكُنْ أدرى بأنك خاملٌ فى الناس(١)
ناديْتُ لمّا أنْ جَسَسْتُكَ بالهِجا : أكليب خذها من يَدَى جسّاس !

وقال يمدح النرجس :

مُذْ لاحظَ المنثورُ طَرْفَ النّرْجسِ الْـ ـمُزْوَرِّ قال ، وقولُه لا يُدْفَعُ :(٢)
فَتِّحْ عُيونك فى سِوَاىَ ؛ فإنّنى عندى قُبَالَةَ كلّ عين إصْبَعُ

وقال فى روضة :

أيا حُسْنَهَا من روضة ضاعَ نَشْرُها فنادتْ عليه فى الرياض طيورُ(٣)
ودُولابُها كانت تَعُدّ ضلوعُه لكثرة ما يبكى لها ويَدُورُ

وقال أيضاً :

لِمَ لا أميل إلى الرّياض وحُسْنها وأعيشُ منها تحت ظلّ ضَافِ(٤)
والزّهْرُ يلقانِى بِثَغْرٍ باسِمٍ والماء يَلْقانى بقلبٍ صَافِ

---

(١) الجس بالشىء : المس به ، كليب : لقب وائل سيد تغلب ، وهو تصغير كلب ، جساس ابن مرة . سيد بكر وقاتل كليب ، وهو أيضاً صيغة مبالغة من جس ففى كل من كليب وجساس تورية .

(٢) المنثور : المتفرق وهو وصف لنوع من الزهر . طرف النرجس : عينه . المزور : المنحرف . لا يدفع : لا يرد ، قبالة الشىء : تجاهه .

(٣) ضاع نشرها : يعنى انتشرت رائحتها الطيبة . الدولاب . المنجنون التى تديره الدابة :

(٤) الظل الضافى : المتسع .

١٨ — الشهاب الخفاجي[(١)]

قال يتغزل ويتطرق إلى مدح محمد بن القاسم الحلبي[(٢)] :

حتَّام يَغزُونى صُدُودُهُ والصبرُ قد كثُرت جنودُهْ[(٣)]
لم أدر : فاترُ جفنِـهِ والخصْرُ أسْقم أم عُهودُه[(٤)]
نشوانُ يعبث بيَ كما عبثت بآمالى وعُودُه[(٥)]
لوْلا ميـاه الُحسْن جا لتْ فيه لاحترقتْ خدُودُه
كالصَّبِّ لولا دمعـه يَهْمى لأَحرقَه وقُوده[(٦)]
يُخفِي الهوَى وعيـونُه بغرامه المُضْنِي شُهوده
فسقى رياضَ الُحسْن من دمعى حياً يَهْمى مديده[(٧)]
زمنٌ بجِيد اللّهْو قدْ نُظِمتْ على نَسَقٍ عقوده[(٨)]
إذْ دوْح أُنسى يانعٌ بكئوسنا انفتحتْ وروده[(٩)]
والـكأس نجم لاح فى فلكِ المسرّة لِى سُعُوده

---

(١) ولد فى سرياقوس وتعلم بمصر ، ثم رحل إلى الحرمين فالأستانة ، وكان من رجال اللغة والأدب توفى سنة ١٠٦٩ هـ .

(٢) أجابه محمد على هذه القصيدة بقصيدة تأتى فى ص ١٣٩ .

(٣) حتام أصلها : حتى ما . فحذفت ألف ما الاستفهامية لجرها بحتى . يغزونى : يسير إلى قتالى وانتهابى . والصدود : الإعراض .

(٤) جفن فاتر : غير حاد النظر . والخصر : وسط الإنسان . والعهود : المواعيد .

(٥) النشوان : السكران . ويعبث بى : يلعب بى .

(٦) الصب : المشتاق الذى يكابد حرارة الشوق . يهمى : يسيل . وقوده : اتقاده واشتعاله

(٧) الحيا : المطر . المديد : الممدود المتصل .

(٨) نسق : نظام واحد .

(٩) الدوح : الأشجار العظيمة . الورود : جمع ورد .

يَصْفُو فيُحْلى ذِكْرُ مَن   قد زين الدّنيا وُجوده
ذاكَ ابنُ قاسمٍ الّذى   ما زَال فى تَعَب حَسُودَه

١٩ — السيد عبد الرحيم العباسى

قال يصف ضعفه :

أرْعَشَنِى الدهرُ أىَّ رعْش   وكنتُ ذا قوة وبَطش
قد كنتُ أمشِى ولستُ أعْيا   فصِرتُ أعيا ولستُ أمشى

وقال يشكو من الأصدقاء :

مالى أرى أحبابَنا فى الناس   صاروا كمْثلِ حَبَابِنا فى الكاس[1]
بينا يَرُوقُك عند أوّل نَظْرةٍ   كاللُّؤلُؤ المتناسقِ الأجْنـاس
فإذا أعدْتَ الطرفَ فيهمْ لم تجِد   شيْئاً ؛ وصار رَجاؤهم كاليَاس

وقال يصف الصداقة الحق :

لست عن ودّ صديقى سائلا   غيرَ قلْبِى فهو يدْرى ودَّهُ
فـكما أعلَمَ ما عندى لهُ   فـكذا أعلم مالى عنْدهُ

وقال فى لئيم ابتدأه بالتحية :

رأيتُ لئيمَ قومٍ فى مَمَرٍّ   وبين يدَيْه أشخَاصٌ لِئامُ
فسلَّمَ منْ جهالتِهِ ابتِداءً   فقلتُ لهُ : متَى كَسَد السَّلامُ ؟[2]

---

(١) الحباب : ما يرى على الماء من الفقاقيع ولا يلبث أن يفنى .
(٢) كسد السلام : لم ينفق ولم يرج ، يريد : متى امتنع ؟

وقال فى الحكمة :

حالُ المُقِلِّ ناطقٌ عمّا خَفِى منْ عيْبِه
فإن رأيت عاريًا فلا تَسل عن ثوْبه

٢٠ — محمد بن القاسم الحلبى

قال يجيب الشهاب الخفاجى على قصيدته التى تقدمت[1] :

للظبى لفتته وجيده والورد ما أبدت خدوده
والدر يزهو بالذى فى ثغره منه نضيده[2]
وبوجهه شرك العقو ل ؛ فأى عقل لا يصيده ! ؟[3]
فى كل يومٍ للهوى من حسنه معنًى يزيده
يستوقف الأبصار حـ ـتى لا يسوغ لها وروده
ملك تحكم فى الجما ل فنال منه ما يريده
ما زال يسطو فى الورى من فعل مقلته جنوده
حتى ظننا أنه بالأجر آثره شهيده
يبدى الصدود وكلما صانعته عنه يعيده[4]
أتراه يجحد ما لقيـ ـت به وهل يغنى جحوده
وهو النهار إذا بدا من نفسه قامت شهوده
كضياء مولانا « شها ب » الفضل إذ طلعت سعوده
ما زال يسمو فى سما ء المجد زينها وجوده ؟

(١) انظر ص ١٣٧ .
(٢) النضيد : المتسق المرصع .
(٣) الشرك : المصيدة .
(٤) صانعته عنه : أى حاولت أن أرده عنه ، وأغريه بالوصل .

حتى تقطعت المطا ميـع عنه واستعفى حسوده
وقَّاد فـكر ؛ أى خط بٍ ليس يُطفئه وقُوده (١)
كرمت له همم إلى غير العلا ليست تقوده
يزهو على جيـد الزما ن بمـا ينمقه فريده (٢)
من كل سجع من مزا يا الحسن قد نظمت عقوده
وإذا ذكرت الشعر فهـو كما سمعت به لَبيـده (٣)
قد كنت أجهد فى ابتغا ء لقـاء أيامٍ تفُيـده
حتى وفَتْ لى بالذى قد كان فى أملى وعوده
فلقيتُـه البحر الخضـمّ يفيضُ للعافين جُوده
متدفقّاً بالفضـل تخـشَى أن يُفرِّقها وفُوده
مولاى ؛ عـذراً إنهـا من خاطرٍ قد جفّ عوده
بعدت بقول الشعر فى عهدِ الصبا حيناً عهوده
لبى دُعاك ؛ وأىُّ مو لًى لا تُلَبيه عبيدُه ؟
ما ضرّه عيدٌ نأى ما دام منْ لقياك عيـده

٢١ — أحمد بن على العلقمى

قال يتمدح :

بإبصارنا وجهك المذهب يكاد سنى برقه يذهب
وأشواقنا فيك لا تنقضى وشمسُ جمالك لا تغرب

---

(١) وقوده : انقاده .
(٢) الفريد : صغار اللؤلؤ تفصل بين العقد المنظوم والذهب ، ويريد الشاعر أن ما يكتبه الممدوح من نثر وشعر يكون كالعقد المفصل فى جيد الزمن .
(٣) لبيد : شاعر جاهلى وأحد أصحاب المعلقات .

وحبك فى الماء مستودع وأشربه كل من يشرب
وفى كل عين وقلب به مشيراً لك المنزل الأرحب
وذاتك جنة أهل النهى ونفسك عنصرها أطيب
فمن غير نطقك لا نشتفى ومن غير ذاتك لا نطرب
وكم لك من رتب فى العلا تعالى العلا إذ لها ينسب[1]

٢٢ — عبد الرحمن بن عماد الدين

قال فى الموت وطلب الرحمة :

قد شاب فودى حين شاب فؤادى فكأنما كانا على ميعاد[2]
حسن الخواتم أرتجى من محسن قد منّ لى قدماً بحسن مبادى
وعمادى التوحيد فهو وسيلتى فى نيل ما أرجوه عند معادى[3]
إن قيل : أى سفينة تجرى بلا ماء وليس لأهلها من زاد
قل : رحمة الرحمن من أنا عبده تسع العباد ، فمن هو ابن عمادِ

٢٣ — الأمير محمد بن منجك

قال متغزلاً :

تناهى عنده الأمل وقصر دونه العذل[4]
رشا يفتر عن بَرَد تكاد تذيبه القبل[5]

---

(١) أى أن العلا يشرف ويسمو إذا حصلت على رتبة عالية .
(٢) الفود : الشعر على جانب الرأس مما يلى الأذن .
(٣) المعاد : الحياة الأخرى .
(٤) تناهى : انتهى ، والعذل : اللوم والعتاب .
(٥) رشا : أصله رشأ فسهلت همزته وهو الظبى إذا قوى ومشى مع أمه ، يفتر : يضحك ضحكا حسناً . البرد : حب الغمام يشبه به الأسنان ، القبل : جمع قبلة .

يخامِرُ عطفَه ثَمَلٌ يميل به ويعتدل(١)
يُمَثِّلُ ما يرُوقُ لنا بصفحةِ خدِّه الخجلَ
فليتَ به كما اتَّصلتْ حشاى الطَّرْفَ يتصلُ(٢)
إذا ما الخِدْرُ أبرزهُ تناهَبُ حُسْنَهُ المُقَلُ(٣)
لقدْ أغراهُ فى تلَفِى شبابٌ ناضِر خضِلُ(٤)
وقدٌّ حَشْوُه هَيَفٌ وطَرْف ملؤه كَحَلُ(٥)

٢٤ — إبراهيم بن المبلط

قال من قصيدة طويلة فى الغزل :

حدَّثَتْ بانَةُ الحِمى عن صبَاها عن ثَنِيَّات مَكَّةٍ عَنْ صَفَاهَا(٦)
أنَّ عصْرَ اللِّقَاءِ آنَ وَوَافَى ، وزَمَانَ النوى انقضى وتناهى(٧)
ونَسيم الصَّبَا يُؤَدِّى الأَمَانَا تِ إلى أهْلِها كما قدْ رَوَاهَا
كمْ نسيمٍ سَرَى فَسَرَّ قُلُوباً شَفَّهَا البُعْدُ والنَّوَى فشفَاهَا(٨)

---

(١) يخامر : يخالط . والعطف : الجانب . والثمل : السكر .

(٢) أى فليت عينى تراه وتتصل به ، كما اتصل به قلبى عشقاً ومحبة .

(٣) الخدر : ستر عد للمرأة من ناحية البيت . وتناهب أصلها ، تتناهب ، حذفت إحدى التاءين تخفيفاً ، ويجوز أن تكون فعلا ماضيا . أى نهبت .

(٤) الخضل ، الندى المبتل ، يريد النعومة واللين .

(٥) القد : القامة . الهيف : ضمور البطن والخصر

(٦) البانة : واحدة البان ، شجر معروف . الحمى : ما يحمى ويحفظ من كل شىء . الصبا : ريح . ثنيات مكة : جبالها . والصفا من مشاعر مكة فى جنوب المسعى .

(٧) آن : حان وقرب . وافى : أتى . تناهى : انتهى .

(٨) شفها البعد : هزلها .

تعرِفُ العاشقين منها نسيمَا ت ، وَهُمْ يعْرِفونَهَا بشَذَاها(١)
إنّ أيدى الفرَاق جَارَتْ عَلَينْا فى قَضَاء فَحَسْبُها وكفاها
آه وَاوَحْشَتِى لأحْشَاءِ قَلْبِى وَقَلِيلٌ قَوْلى على البُعْد : آهَا

٢٥ — نور الدين العسيلى

قال يصف دولابا(٢) :

ودولَابٍ مَرَرْت به سُحَيْرا يَئِنُّ كأنّه الصَّبُّ المَرُوعِ(٣)
غدَتْ أضْلَاعُه تنهد سُقْماً ويفنى جسْمَهُ صَبُّ الدُّموعِ(٤)
بدور كَمَنْ أضلّ الإلْفَ مِنْهُ وذَاق تشتت الشمل الجميع(٥)
فقلت له : فديْتُك منْ كئيب كساه الهمُّ أثوابَ الخُشوعِ
علام أراك تبكى كلّ وقتٍ وتهتِفُ فى المنازل والرُّبُوعِ(٦)
فقدْ قرّبت لى حُزْناً بعيداً ونحّانى نُواحُك عن هُجُوعى(٧)
فقال : أما علمت بأنّ مِثْلى خليق بالصَّبَابة والوَلُوعِ ؟(٨)
فإنى كنت فى روض رفيهاً أبيتُ مِنَ الأزاهر فى جُموعِ(٩)

---

(١) الشذا : قوة ذكاء الرائحة .
(٢) الدولاب بضم الدال وفتحها : الساقية ، وهى كلمة دخيلة عربها العرب .
(٣) سحيرا : تصغير سحر ، وهو قبيل الصبح . والمروع من راعه الهم وأفزعه .
(٤) صب الدموع : انسكابها .
(٥) أضل الإلف : فقده . تشتت الشمل الجميع : تفرق ما اجتمع من أمره .
(٦) تهتف : تصيح . والربوع : جمع ربع وهو الدار .
(٧) نحانى : أبعدنى . الهجوع : النوم ليلا .
(٨) الصبابة . رقة الشوق وحرارته .
(٩) الرفيه : المستريح المتنعم .

وَلِي في الْمُنْتَمى أعْراقُ صِدْقٍ ... أُصُولُ أنجبتْ أزْكَى فرُوعِ (١)
إذَا مَا الْوَرْدُ قَابَلَنِي وَحَيَّا ... تَضَرَّجُ وجْنَتَاهُ بالنَّجِيعِ (٢)
ويَصْفَرُّ الْبَهَارُ لَدَىَّ خوْفاً ... كصُفْرَةِ عاشِقٍ صَبٍّ مَرُوعِ (٣)
وإنْ قصَدَتْ بنُو الآدابِ رَبْعِي ... أجُودُ مِنَ النَّثارِ على الجَمِيعِ (٤)
فقَيَّضَنِي الشَّقَاءُ إلَى غَبِيٍّ ... شَدِيدِ البطْشِ جَبَّارٍ قَطُوعِ (٥)
فأَقَانِي عَلَى رَأْسِي صَرِيعاً ... وأنتَ مُشاهِدٌ حالَ الصَّرِيعِ
وقَطَّعَ لُطفَ أوْصَالِي بعُنفٍ ... وصار يَدُقُّ عَظْمِي في ضُلُوعِي (٦)
فَصِرتُ أرَى الَّذِي قدْ كانَ دُونِي ... أنَافَ، وصَار ذَا شأوٍ رَفِيعِ (٧)
عَلَى قلْبِي أدُورُ عَنًى وأبْكِي ... عَلَيْهِ أسًى كَمِقْلاةٍ هَلُوعِ (٨)
فكَيْفَ أُلامُ إنْ أدْمَنْتُ نَوْحِي ... وَجُدْتُ بِمَدْمَعِ الطَّرْفِ الهَمُوعِ (٩)
وحَالِي نَاصِحٌ أبْنَاءَ جِنْسِي: ... فَلَا تَعْتَدَّ بِالجِذْعِ المَنِيعِ (١٠)
فإنَّ الدَّهْرَ كالصَّيَّادِ كَيْداً ... وأسْبَابُ القَضا شَرَكُ الْوُقُوعِ (١١)

---

(١) المنتمى: النسب والأصل.

(٢) النجيع: الدم الضارب إلى السواد.

(٣) البهار: نوع من النبات يسمى العرار.

(٤) ربعى: دارى. النثار: المنثور، يريد نثار الأزهار.

(٥) فقيضنى لجاء بى.

(٦) لطف أوصالى: دقة مفاصلى.

(٧) أناف: ارتفع. الشأو: الغاية. والرفيع: العالى.

(٨) العنا: أى العناء، وهو هنا الخضوع والذلة. والمقلاة: ناقة تلد واحدا، ثم لا تحمل بعده، وامرأة لايعيش لها ولد، الهلوع كثير الجزع.

(٩) أدمنت نوحى: أدمته. الطرف الهموع. العين الكثيرة سيل الدموع.

(١٠) الجذع: ساق النخلة. والمنيع. القوى الحصين الذى يمتنع على من رام اقتلاعه.

(١١) الشرك: حبائل الصائد، الواحد شركة.

٢٦ — الأستاذ الإمام أبو المواهب البكرى

قال يصف يوم مرح وأنس :

يا يَوْمَ بُولَاقَ وأُنسِى بِهِ حَكَاكَ مِنْ شوّالَ يَوْمُ الْهِلال
وأقبَــلَ الليــلُ جَنُوباً ، وَمَا مِنْ عَارِضٍ إلا نسيمُ الشَّمالْ(١)
يا عَارِضاً أوْجبَ للنيــل مَا سَلْسَلَهُ ، وهْوَ طَلِيقُ الْمَجالْ(٢)
وقَهْوَةً تَنْضَحُ مِسْكاً ، وَلا بِدْعَ ، فِفِي الفنْجَان شكلُ الغَزَالْ(٣)
حَبَابُهَــا مِنْ فوقِها مانعٌ نِفَارَهُ ؛ فَهْوَ شِــبَاكُ اللآلْ(٤)
تُدِيرُهَا هيْفاء مَمْشُــوقةٌ خَوْدٌ تَثَنَّتْ فى بُرُودِ الدَّلالْ(٥)
كَادَ حِجَا مَنْ أقْبلَتْ نحوَهُ يَذهَبُ مِنْ رَنَّاتِ تِلكَ الحِجَالْ(٦)
بِغُرَّةٍ أوْ طُرَّةٍ وَزَّعتْ أفكارَنا بينَ الهُدَى والضَّلالْ(٧)
تَقولُ للشمس ، وقَدْ أقبلتْ : تَلَثَّمِى ما أنت إلّا خيَالْ

---

(١) عارض : مانع يمنع من المضى .
(٢) سلسله : أجراه فى حدور . طليق المجال : غير مقيد فى جولاته وسيره .
(٣) القهوة : من أسماء الخمر . لا بدع : معناه لا عجب . والمسك : من دم دابة كالظبى يقال لها غزال المسك . والمعنى : أن هذه الخمر يفوح منها طيب كالمسك ، ولا عجب ، فإن صورة غزاله على الفنجان الذى فيه الخمر .
(٤) الحباب : نفاخات الماء التى تعلوه . واللا ل : اللا لى .
(٥) الهيفاء : ضامرة البطن رقيقة الخصر . ممشوقة : حسنة القوام . الخود : الحسنة الخلق الشابة . تثنت : تمايلت . البرود : الثياب . الدلال : هو جرأة المرأة فى تكسر ؛ كأنها مخالفة ليس بها خلاف
(٦) الحجال : الخلاخيل .
(٧) الغرة : الوجه . والطرة : الناصية

٢٧ — الشيخ عبد الله الشبراوى(١)

قال فى السيد عبد القادر نقيب الأشراف الذى حضر من البلاد الرومية ؛ وبعد أن بات ليلة وجد مذبوحاً :

أيها القومُ وَيْــكُمْ ! قد هَدَمْتُمْ بنيــةَ اللهِ ، واتَّهمتُمْ عِبادَهُ(٢)
وذَبحتُمُ هذا المهــذَّبَ غَدْراً وقطعتُمْ بِغِلْظَــةٍ أوْرادَه(٣)
ثم نُحتُمْ عليه زُوراً : ولــكنْ ذاكَ أمرٌ قَضَى الإله نَفادَه(٤)
أيها النائحون مَهلا ! فمَنْ ذَا نالَ من دهره الخئُون مُرادَه
لا تُطيلوا على النقيبِ نحيباً فهو بالذَّبح نال أعلَى سَعادَه(٥)
كم نبىّ وصــــالِح وولىّ ماتَ قتلا ، ونال أجْرَ الشهاده
هذه سُنَّةُ الأماجدِ قدْماً كحُسَيْن وسعْدِ بْن عُبادَه
حازَ هذا الشريفُ لُطفاً من اللـ ـهِ وساوَى فى حَوْزِه أجداده
لوُفورِ الاجور والرتبةِ العلْـ ـيا وحُسْنَى من ربِّنا وزِيادَه
يا خليــلِى لا تأسفنَّ وأرِّخْ قَدَرَ اللهُ قتــلَهُ وأراده

(١) توفى سنة ١١٧٣ هـ .
(٢) بنية الله : ما بناه الله .
(٣) الغدر : ترك الوفاء ، الوريدان · عرقان فى العنق والجمع : أوردة وورود لا أوراد كما جمع الشاعر .
(٤) نفاده : فناءه ، يريد وقوعه .
(٥) أى أنه مات مقتولا مظلوما . فكان جزاؤه الجنة . ونال سعادة الدار الأخرى . وهى الباقية الخالدة .

وقال في بعض أسفاره متشوّقاً إلى مصر :

أعِدْ ذِكْرَ مصرٍ ؛ إنَّ قَلْبيَ مُولعٌ بمصرَ ، ومَنْ لى أنْ ترَى مُقْلتِي مِصرا ؟[١]
وكرّر على سَمْعِي أحاديثَ نِيلِها ؛ فقد ردَّتِ الأمواجُ سائلَهُ نَهْرَا
بلادٌ بها مدَّ السماحُ جَناحَهُ وأَظْهَرَ فيها المجدُ آيتَه الكُبْرَى[٢]
رُوَيْداً إذا حدَّثتَنِي عن رُبُوعِها فتطويلُ أخبارِ الهَوَى لذةٌ أُخْرى
إذا صاحَ شُحْرورٌ على غُصنِ بانَةٍ تذكَّرتُ فيها اللحظَ والصَّعْدَةَ السَّمْرَا[٣]
عَسَى نحوَها يَلوِى الزمانُ مَطيَّتِي وأشهدُ بعد الكسْرِ من نِيلِها جَبْرا
لقد كان لى فيها مَعَاهدُ لذةٍ تقَضَّتْ وأبْقَتْ بعدَها أنفُساً حَسْرَى

---

(١) مولع : مغرم . المقلة : شحمة العين التي تجمع سوادها وبياضها .
(٢) السماح : الجود والكرم كالسماحة .
(٣) الشحرور : طائر . الصعدة : القناة المستوية يشبه بها قدّ الفتاة .

(ب) النـــثر

أولا — النـــثر الفنى

١ — الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى (١)

قال يصف بستانا :

« فوصلنا إلى بستان قد أخذ زخرفه وتزين ، وفاضت عيونه غيرة من نازليه وتلوّن ، تنساب جداولُ جوانبه كالأراقم (٢) ، ويصفّق النهر لرقص الغصون على غناء الحمائم ، ويهبّ النسيم فينقِّطها من الزّهر بدنانيرَ ودراهم ، قد تطاولَ فيه من ألبان كلُّ قدٍّ مخطوف ، وخجل فيه من الوَرْد كلُّ خدٍّ موصوف ، فأجلسنا النرْجس على عينيه وأحداقه ، وظَلَّلَنا الغُصنُ بستائر أوراقه ، وحيّا منثورُه الأبيض والأزرق بالأصابع ، وفتح كفوفه الصُّفر وهو منا غـيران فاقع (٣) ، وجرى النهر بين أيدينا متواضعاً بسجوده ، وشبَّ الشحرور بمنقاره لما تغنى الهزار على عوده ، قد رق نسيمه وراق ، وجذب الحمائم إلى الغناء بالأطواق :

أظن نسيم الروض للزهر قد روى ... حديثا فطابت من شذاه المسالك

وقال :

إذا ما دنا فصـل الربيع ؛ فـكله ... ثغورٌ لمـا قال النسيم ضواحك

---

(١) ولد بصفد سنة ٦٩٦ هـ . وتلقى العلم بدمشق عن ابن نباتة وعن أبى حيان اللغوى وغيرهما ، وتولى ديوان الإنشاء بصفد والقاهرة وحلب ، وهو كاتب شاعر مؤرخ . توفى سنة ٧٦٤ هـ .

(٢) الأراقم : جمع أرقم ، وهو الحية .

(٣) غيران : من الغيرة والتحسر . وفاقع الصفرة شديدها .

قد شابَ ذلك الزهرُ قبل شبابه ، وغنّاه الطيْرُ فتساقَطَ من طربه وإعجابه ، ومرّ عليه النسيم بذيله البليل ، فشب حتى عجبنا من حصول الشفاء من العليل . فيالها روْضة صدحت أطيارُها فأطربت الأشجار وألبستنا ثوبَ الخلاعة عند خلع العِذار :

انظر إلى الروْض النضير كأنما   نُشرَتْ عليه ملاءةٌ خضراء
أنّى سرحْت بلحظ عينك لا ترى   إلا غديراً جَال فيه الماء
وترى بنفسك عِزّةً فى دوْحه   إذ فوق رأسك حيث سِرتَ لواء(١)

والماء قد رق وراق ، وتسلسل وهو فى الإطلاق ، وجرى فتكسَّر ، وصفا ولم يتغيّر ، وصاحَبَ النَّسمات وحالَفها ، وقاطع الأغصان وخالَفها ؛ وأتتْه الرياحُ للزيارة من شعابها وهضابها ، وسرق حُلِىّ الأغصان فضمّها فى صدره وجرى بها ، والعيونُ ترمقه فى جريه ومسيره ، وهو لا يفترُ عن تصفيقه وخريره ؛ حتى خشينا عليه التكسير من التمادى ، ورجونا من ماء عينيْه رىّ كل صادى(٢) .

يا حسنه من جدول متدفقٍ   يلهو برونق حسنه من أبصرا
ما زلْتُ أُنذره عيونًا حوله   خوفاً عليه أن يصاب فيعثُرا
فأَبى وزاد تمادياً فى جريه   حتىَ هوى من شاهق فتكسَّرا(٣)

ولم يزل الطير يسعى بين النهر والغصن فى الاتفاق ، ويكرِّر ألحانه ويراسل فى الأوراق ، ويجتهد فى الصلح ويدعو إليه ، ويحرص على الوفاء ويحرِّض عليه .

---

(١) أى تشعر كأنك قائد جيش ، لما يظلك من شجر عظيم كالألوية فى مقدمة الجيش .
(٢) الصادى : العطشان .
(٣) الشاهق : المكان العالى .

وقام الشحرور بينهما واعظا وخطيبا ؛ فأجدَتْ مواعظُه وكان قلبُ النهر صافيا وقريبا . وقامَ النِّسْرين[1] من السرورِ على ساق ، وجذب كلَّ صَدوحٍ للغناء بالأطواق ، وتبسمَتْ من الأقحوان[2] الثغور ، ونسمت نفحاتُ المسك والكافور واعتلَّ النسيمُ غَيْرةً وتغيَّر ، فتولّى وهو بذيله يتعثر ، وجعل يجرُّ من الحياء ذيولا على الأغصان فتعتنق اعتناق المواصل الغضبان :

في روْضةٍ علّم أغصانُها أهلَ الهوَى العذريِّ كيفَ العناقْ
هبّتْ بها ريحُ الصَّبا سُحْرةً فالتفت الأغصان ساقًا بِساق

وبكى النهرُ على مُواصَلَة الغُصون ، وخرّ لديها وفاضتْ منه العيون ، ومثّلَها في قلبه شغفاً وحباً ، وصار بها من دون الصَّبا صَبّا :

والنهر قد عَشق الغُصونَ فلم يزل أبدًا يمثِّل شخصَها في قلبه
حتى إذا فطَن النسيم لجَاءه من غيْرة فأزالها من قرْبه
وغدا عليه مُهَيْنمًا بعتابه سرًّا لجَعَّد وجْهَه من عَتْبه[3]

فلم يَزْجُر النهرَ عن حُبِّ الغُصون زاجرٌ ولا عاذل ، ولم يُجِب العَذل إلا بدمعه السائل — وصار يردّ بَرْد الهَوَى بحَرّ هواه العُذرى ، وغدا ساعياً بسعادة الأغصان يَجرِى ، فقنع منها بأدنى وصال ، وربما اقتصر منها في الحب على الخيَال :

---

(١) النسرين : بكسر النون وقيل بفتحها : ورد أبيض طيب الرائحة .

(٢) الأقحوان : نبات أوراق زهرة الفلجة صغيرة ، تشبه بها الأسنان .

(٣) الهينمة : الصوت الخفى .

وَنَهْرٍ بحبِّ الدوْح أصبحَ مُغرماً   يروحُ ويغدُو دائماً بوصالها
إذا أبعدت عنه شكا بخريره   جفاها ، وأضحى قائما بخيالها

٢ — القلقشندى (١)

من رسالة للقلقشندى عن الملك الناصر فرج بن برقوق إلى صاحب فاس فى ذكر وقعة تيمورلنك :

وتحركنا من الديار المصرية فى جيوشٍ لا يأخذها حصر ؛ ولا يلحقها هصر (٢) ولا يظن بها على كثرة الأعداد كسر ، ولم نزل نحث السير ونسرع الحركة للقاء العدو إسراع الطير ، حتى وافينا دمشق المحروسة فنزلنا بظاهرها (٣) ، مستمطرين النصرة فى أوائل حركتنا وأواخرها ، وانضم من عساكر الشام وعربانها ، وتركمانها الزائد على العدّ وعشرانها ، ما لا ينقطع له مدد ، ولا يدخل تحت حصر ولا عدد ، وأقبل القوم فى لفيف (٤) كالجراد المنتشر ، وأمواج البحر التى لا تنحصر : من أجناسٍ مختلفة ، وجموعٍ على تباين الأنواع مؤتلفة . وتراءى الجمعان ، فى أفسح مكان ، ورأى كل قبيل الآخر رأى العين وليس الخبر كالعيان . واعتقد الفريقان

---

(١) هو أبو العباس أحمد بن على القلقشندى ، صاحب كتاب « صبح الأعشى فى كتابة الإنشا » ولد فى قرية قلقشندة من قرى القليوبية بمصر سنة ٧٥٦ هـ . من بيت عربى ، وقد تأدب فى القاهرة وألف مؤلفات عدة أشهرها ما ذكرنا ، وعاش فاضلا مبجلا حتى توفى سنة ٨٢١ هـ .

(٢) الهصر : الكسر . أى لا تلحقها هزيمة ولا انكسار .

(٣) ظاهرها : ضواحيها .

(٤) اللفيف : أى جماعة فى جيش .

للنزال ، واحتفروا خنادق للاحتراس ، وتبوأنا مقاعد للقتال ، ولم يبق إلا المبارزة والتقاء الصفوف والمناجزة(١) إذ ورد وارد من جهتهم يطلب الصلح والموادعة ؛ والجنوح إلى السلم وقطع المنازعة ، فأجبناهم بالإجابة ، ورأينا أن حقن الدماء من الجانبين من أتم مواقع الرأى إصابة ؛ وكتبنا إليهم فى ضمن الجواب :

لما أتانا منكم قاصد يسأل فى الصلح وكف القتال
قلنا له : نعم الذى قلته والصلح خير ، وأجبنا السؤال

٣ — القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر(٢)

من كتاب كتبه إلى صاحب اليمن عن السلطان الملك المنصور قلاوون مبشرا بفتح صافيتا :

فمن ذلك حصن الأكراد الذى تاه بعطفه على الممالك والحصون ، وشمخ بأنفه عن أن تمتد إلى مثله يد الحرب الزبون(٣) ، وغدا جاذبا بضبع(٤) الشام ، وآخذا بمخانق بلاد الإسلام ؛ وشللا فى يد البلاد ، وشجا فى صدور العباد ، تنقض من عشه صقور الأعداء الكاسرة ، وترتاع من سطوتها قلوب الجيوش الطائرة ، وتربض بأرضه(٥) آساد تحمى تلك الآجام(٦) وتفوّق من قسيّه(٧) سهام تصمى مفوّقات السهام ، تعطيه الملوك الجزية عن يد وهم صاغرون ، ويصطفى كرام

---

(١) المناجزة : المدافعة .

(٢) هو الكاتب الشاعر عبد الله بن عبد الظاهر الجذامى المصرى أحد المتعصبين لطريقة القاضى الفاضل فى اتباع البديع ، وخاصة التورية فى الشعر والنثر ، وكان من رؤساء ديوان الإنشاء فى دولة المماليك البحرية . توفى سنة ٦٩٢ هـ .

(٣) الحرب الزبون : التى يدفع المتحاربون فيها بعضهم بعضاً من الكثرة .

(٤) الضبع : العضد .

(٥) الأرباض : جمع ربض ، وهو المأوى ، والمراد هنا بالأرباض : النواحى والجهات .

(٦) الآجام : جمع أجمة ، وهى بيت الأسد .

(٧) القسى ، جمع قوس . وتفوق : أى تصيب وتسدد .

أموالهم وهم صابرون لا مُصابِرون . كم شكت منه حماة[١] قلةَ الإنصاف ، وكم خافته مَعَرّةُ وما من مَعَرّة خاف . ما زالت أيدى الممالك تمتدُّ إلى الله بالدعاء عليه تشكو من جَوْرِ جواره تلك الحصونُ والصَّيَاصى[٢] ، وتبكى بمدمع نهرها[٣] من تأثير آثاره مع عصيانها وناهيك بمَدْمع العاصى ؛ حتى نَبّه اللهُ ألْحَاظَ سيوف الإسلام من جُفونها ، وَوَفّى النُّصْرةَ ما وجب من دُيُونها . وذاك بأنّا قَصدْنا فسيح ربْعه ، ونزلْنا ونازَلْنا محمى صُقْعِه[٤] ، وختمنا بنصالنا على قلبه وسمعه ، وله مدن حوله خمس هو كالراحة وهى كالأنامل ، وتكاد بُرُوجه تُرى كالمطايا المُقَطّرة[٥] وهى منها بمنزلة الزَّوامل[٦] ؛ ما خَيّمْنا به حتى استبَحْنا محمىّ تلك المدائن المكنِىّ عنها بالأرباض ، وأسَحْنا بساحتها بحراً من الحديد ما اندفع حتى فاض ؛ وأخذنا الثقُوب فى أَسْوارٍ لا تُنْقَضُ ولا يَنقَضُّ بُنيانُها المَرْصُوص ، ولا تقرأ المعاولُ ما لِخَوَاتِم أبراجها من نُقُوشِ الفُصوص ؛ ونَصبْنا عليها عدّة مجانيقَ[٧] حُملَتْ فى شواهق الجبال ، على رُءوس الأبطال فتغَيّظتِ السَّمْهَرية[٨] أنّ الذى تقومُ به هذه تلك به لا تقوم ، وأن ما منها إلا له من الأيدى والرءوس مقامٌ معلوم ؛ وصار يرْمى بها كلُّ كمِىّ مختَلِس وأرْوَع منْتَهِس[٩] ، وكلُّ ليث غابة يحميها وتحميه ؛ فشكراً لأسود

---

(١) حماة اسم بلد ، وكذلك المعرة .

(٢) الصياصى : الحصون الرفيعة .

(٣) نهر من أنهر سورية عليه جملة مدن منها حماه .

(٤) الصقع : الناحية والجهة .

(٥) المقطرة : المصفوفة واحدا خلفه واحد . فهى قطار .

(٦) جمع زاملة وهى الدابة التى يحمل عليها من الإبل وغيرها .

(٧) المنجنيق : آلة كانت تستعمل فى الحروب ترمى بها الحجارة .

(٨) السمهرية : الرماح وهى صفة لها .

(٩) النهس : النهش ، والمنهس مشتق منه . المختلس : اليقظ المتحين للفرصة ليتمكن من القتل

حتى غاباتها تفترس ؛ إلى أن جَثَتْ أسوارُها على الركب وكانت سهامُ مجانيقها تميلُ من العجْب[١] فصارت تميد من العجَب[٢] ، وكانت تطلُبُ فصارت تهرب من الطلب الخ .

٤ — الإمام ابن حبيب الحلبي[٣]

قطعة من كتابه نسيم الصبا ، الفصل السادس فى البحر والنهر :

هزتنى رياح الأمل البسيط[٤] ، إلى امتطاء ثَبَج[٥] البحر المحيط ، فأتيتُ سفينة يطيب للسفر مثواها ، وركبت فيها بسم الله مجراها ومرساها ، موقنا بأن المقدور صائر ، معرضا عن قول الشاعر :

لا أركبُ البحرَ أخشى عليَّ منه المعاطب[٦]
طين أنا ، وهو ماء ، والطين فى الماء ذائب

يا لها سفينة ، على الأموال أمينة ، ذات دُسر[٧] وألواح ، تجرى مع الرياح وتطير بغير جناح ، وتعتاض عن الحادى[٨] بالملاح ، تخوض وتلعب ؛ وتردُ ولا تشرب ، لها قلاع كالقلاع[٩] وشراع يحجب الشعاع ، وسكينة وسُكَّان[١٠] ومكانة وإمكان ، وجؤجؤ[١١] وفقار ، وأضلاع محكمة بالقار[١٢] ، وجسم عار

---

(١) تميل من العجب : تهتز من الزهو والخيلاء .

(٢) تميد من العجب : تضطرب وتتزلزل من الدهشة والتحير .

(٣) المتوفى سنة ٧٧٩ هـ .

(٤) البسيط : المبسوط الفسيح .

(٥) الثبج : وسط الشىء ومعظمه .

(٦) المعاطب : جمع معطب وهو موضع العطب والهلاك .

(٧) الدسر : جمع دسار ، وهو خيط من ليف تشد به ألواح السفينة .

(٨) من يسوق الإبل ويغنى لها .

(٩) جمع قلعة .

(١٠) سكان السفينة : دفتها .

(١١) الجؤجؤ : الصدر .

(١٢) القار : الزفت .

عن الفؤاد ، وهو فى عين الماء بمنزلة السواد ؛ بعيدة ما بين السحْر[١] والنحر ، من أحسن الجوارى المنشآت فى البحر ، معقود بنواصيها الخير كالخيل ، لا تملُّ من سير النهار ولا من سُرَى الليل .

مارأى الناس من قصور المـا ء سواها يسير سير القداح[٢]

كأنها وعِلٌ[٣] ينحط من شاهق ، أو عرباض[٤] سابق يحثه سائق ، أو عقربٌ شائلة[٥] ، أو عُقاب صائلة ، أو غراب أعصم ، أو تمساح أو أرقم ؛ أو ظليم[٦] نفر فى الظلام ، أو جواد فرّ مستنكفاً من صحبة الأنام . حاكمها عادل فى حكمه ، عارف بنقض أمرها وبرمه ؛ يهتدى بالنجوم ، ويبتدئُ باسم الحى القيوم[٧] ، يبرز من نواتيها[٨] فى جنود ، ويشمل إحسانهم أهلَها أيقاظاً وهم رقود ، يتأنقون فيما يعملون ويفعلون ما يؤمرون :

يُكثرون الصياح حتى كأن السُّـ ـنَ تجرى من خوف ذاك الصياح

(١) السحر : الرئة .
(٢) جمع قدح وهو السهم ، أى تنطلق مسرعة .
(٣) الوعل : تيس الجبل .
(٤) العرباض : الغليظ من الإبل .
(٥) شائلة : أى رافعة إبرتها التى تلسع بها
(٦) الظليم : ذكر النعام .
(٧) القيوم : من أسمائه تعالى ، ومعناه : الذى لا ندله ، أو القائم بذاته .
(٨) جمع نوتى : وهو الملاح فى البحر .

٥ — شهاب الدين محمود الخفاجى[١]

« المقامة الساسانية »

حدثنا مالك بن دينار ، عن مُسافر بن يسار ، قال : كنت والشباب غرابُه لا يطار ؛ وثمراته الجنيَّةُ تُجْنَى من رياض الأخبار ، أهوى السياحة والناسُ ناس والديار ديار ؛ والدهر غرٌّ لم يفطُنْ لتلوُّن الليل والنهار :

ولم أر يوماً فى ظـلام مَبَارِقى   شهاب مشيب لاح فى الإثر منقضًّا

فسِرت فى الأرض لأنظر آثار رحمته ، وأرى مآثر الطراز الأول فى أعلام حلته ؛ فإن من جدَّ وجَد ؛ ومن توانى فَقَدَ فقد ؛ رافعاً عصا التّسيار ؛ على كاهل الاعتبار ؛ رافضاً الاستراحة فى مهد الدعة ؛ مشيعا قلباً فارق حبيباً ودَّعه ، فاطماً أملا عن دَرِّ أنس ارتضعه . أضرب كرة الأرض بصـولجان الهمة ؛ لا أعبأ بقامة غير قائمة وهمة همة[٢] أتدرع بُرْد الليل ؛ لأنه أخفى للويل ، وأشق أديم النهار للسير ولم أقل ليس للعصا سير ، كهشيم ترفعه أعاصير ريح تدور ، وورق جف فألوت به[٣]

---

(١) ولد فى سرياقوس ، وتعلم بمصر ، ثم رحل إلى الحرمين فالاستانة وكان من رجال اللغة والأدب ، وله تواليف معروفة ، وهو ممن كتبوا المقامات . توفى سنة ١٠٦٩ هـ .

(٢) الهم والهمة بالكسر : الشيخ الفانى . أى همة ضعيفة .

(٣) ألوت به : أى طارت به . والصبا والدبور : ريحان .

الصَّبا والدَّبور . كأننى على غُصن بانةٍ خَضل[1] تَتَنْذبه ريح الصَّبا هنا وهنا أو قَذًى في عيون البلاد ؛ أو عَيْرٌ شرُود ترميه الروابى للوهاد[2] :

كأنى من الوَجْناء فى مَتْن موْجة رمتْنى بحارٌ ما لهنَّ سواحل[3]

حتى أتيت كُورة خراسان[4] ، فإذا بها قَيْلٌ[5] نَصَبَ عرْضَه لسهام الهوان ، مقلِّداً فى ترجيح البخْل مذهبَ سهل بن هارون ، كأنه لم يَسمع قوله تعالى (وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فأُولَئكَ هُمُ الْمُفْلِحُون) فطويتُ حديثَه على عَرِّه[6] ، وأتيته لأقف على جَليَّة أمره ، فلما جُسْتُ خلالَ إيوانه ، قرأتُ عُنوانَ حاله على وُجوه غلمانه وسمعتُه يقول لِمَنْ أمترى أخلاف درَّته[7] ، وشبِع من خُلَّته وحَمْضه[8] برؤية جَرَّته : يا هذا صناعتنُا واحدة ، لو لم تدرُج من عُشِّك كانت الراحة فائدة !

ثم قال لى : أىُّ البلاد تُهدى سلامَها ، وأىُّ زهرة تحيَّة فتحت لك النسماتُ أكمامَها ؟ قلتُ : الكنانةُ المُعزِّية ، والخطَّةُ التى هى فى حَضانة نيلها مَحْميَّة ، رياضُها تحيا بأنهاره ، وأصابعُه[9] تُشير لكنوز خصْب تُستَخرج من معادن أقطاره ، إلّا أن أصابع الناس فى الراحة[10] والأيادى ، وفى أصابعه أياد[11] وراحةً لكل

(١) الخضل : الندى المبتل .
(٢) العير : الحمار . والروابى : الأمكنة العالية . والوهاد : الأمكنة الواطية .
(٣) الوجناء : الناقة الشديدة .
(٤) الكورة : الناحية ، وتطلق على المدينة .
(٥) القيل : الأمير المتولى أمور الكورة .
(٦) العر : العيب والشر .
(٧) امترى : جذب الضرع للحلب . والأخلاف : جمع خلف ، وهو حلمة ضرع الناقة والدرة : اللبن أو سيلانه وكثرته .
(٨) الخلة : ما فيه حلاوة من النبات ، والحمض ما فيه ملوحة .
(٩) فى الأصابع تورية ، لأنها تطلق على الأصابع المعروفة ، وعلى أجزاء يقاس بها النيل .
(١٠) الراحة : الكف . (١١) الأيادى هنا : النعم والآلاء .

حاضر وباد . فإن سألتَ عن حالى ففؤادى بها فؤادُ أم موسى فارغٌ من آمالى ، وما حالُ وردة فارقت نسماتِ القبول[١] ؟ فجداها السَّمُوم وقادها الذبول :

فتأملْ كيف يغشى مُقلةَ المجدِ نُعاسُ ؟

فأما حالُ سكّانها ومَن ألقى جرانه بأعطانها[٢] ، فقد ذهب أرباب الهمم العالية ولم يبق إلا مَن يفتخر بالرِّمم البالية ، رُوحُ الشوم ، ونتيجة اللوم ، وخليفة البوم ، وبعيْن الله ما يصنع الليلُ والنهارُ — ويستر الثوبُ والجدار ، وما يستتر فى ضمائر البيوت ، وإن طال التحمُّلُ والسكوت . فكم بكت السماء أرضاً فقدتْ حبيباً ، وساعدتها سحب أنتحبت بها نحيباً :

ولطَّمَتِ الخدودَ بها بروقٌ وشقَّقَت الرعودُ بها جُيوبا

فقل لمن أفتخر بالعِظام ، ما وراءك يا عصام ؟

ولْنعطفْ على هذا النسق ، لبيان من بَقِيَ منهم طَبَقاً على طبق[٣] ، من أصناف لا تُعَدّ ، وأجناس لا تُرْسَم ولا تُحَدّ : من كل سائل بالإلحاح الْتحف ، أو دار بمزْمار ودُفّ ، أو تغنَّى بأنكرِ الأصوات ، فَنَهَق إذ رأى شيطاناً يدَّعى الكرامات يُقيم بها المعتزلىُّ دليلَ إنكار الكرامة ؛ ويقول : هل علىّ بعد هذا ملامة ؟ أو حامِل راية وعَلَم ، جعل القناعةَ عَلَماً لسقوط الهِمَم . ومنهم من كَبِر وتكسَّرت قواريرُه[٤] وخبا نُوره حين هبّت أعاصيرُه ، وهو أعظمُهم جُرماً ، وأقلُّهم ديناً وحَزْماً ، حُمُرٌ

---

(١) القبول : ريح الصبا ، وهى تهب فى بلاد العرب من جهة المشرق .

(٢) العطن : مبرك الإبل . الجران : مقدم عنق البعير من جهة صدره .

(٣) الطبق من الناس : الكثير والجماعة .

(٤) يقال للشيخ الكبير : كبرت وتكسرت قواريره ، وهو من ألفاظ أهل بغداد ، كأنهم يعنون لرقة الظهر .

مُسْتَنْفَرة ، يقرءون القرآن فى بقاع مُسْتَقْذَرة ، بين رَهْطٍ لا يتدبرون ولا يستمعون ولا يمتثلون قول الله : « وإذا قرئ القرآنُ فاستمعوا له وأنْصتوا لعلكم تُرحمون » .
وتُجَّار رأسُ مالهم الإفلاس ، يضربون الأخماس للأسداس(١) ، يُزَكُّون كَذِبَهم بالأَيمانِ الفاجرة ، فيربحون خَسَارة الدنيا والآخرة ، إن خاشنتَ أحدهم فى تقاضيه ، بادر بالحلِفِ على دَيْنِه فيقْضيه .

يقول : أستمع حَلْفَتِى كاذباً إذا ما اضطررْتُ ، وفى الحال ضِيقُ
وهــل من جُنَاحٍ على مُسلم يدافعُ بالله ما لا يطيــق(٢)

وقد فُقِدَ العلمُ لولا نفحةُ أُنْس من نفَرٍ بقايا ، فتح الله بهم خزائِنَ كنوز هى خبايا فى الزوايا : من كل نَقِيِّ العِرض أبيضِ السجايا ، إذا تدنست الأعراض فأعراضهم من العار عرايا :

أبدتْ مآثرُهم نقصَ الزمان ففِى خَدِّ الربيع طلوعُ الورْد من خجل

حمت شوكتُهم رياضاً فى رُبا الدين العوالى ، وأحيا الله بأنفاسهم العيسوية مَوَاتَ المعالى . ولما شرح اللهُ بهم صدرَ الدين ، وفتح ببصائرهم عيْن اليقين ، أيّدهم بأبناء الأعيان من أُمرائها فقالت(٣) الخلافة تحت أَفْياء لِوائها ، حتى حَمَوْهم من نوائب الحُتُوف ، وزهت جَنَّةُ مثواهم تحت ظلال السيوف ؛ فصارت بهم الأطراف ، من مَنَازِهِ منازل الأشراف . ولهذا يشير البديع(٤) ، بقوله فى معنى بديع :

قيل لى : لِمْ جلستَ فى طَرَفِ القو مِ ، وأنت البديعُ رب القوافى

---

(١) يضرب أخماساً لأسداس : أى يسعى فى المكر والخديعة ، وهو مثل يضرب لمن يظهر شيئاً ويريد غيره .

(٢) البيتان لابن الرومى ، ويرويان ببعض اختلاف فى اللفظ .

(٣) قال يقيل : نام وقت القائلة ؟ الظهر .

(٤) هو البديع الهمذانى .

قلتُ : آثرتهُ ، لأن المنادِيـ ـلَ يُرى طرْزُها على الأطراف
وكفانى من المفـاخِر أنِّى نازلٌ فى منـازلِ الأشراف

فَأَوَوْا من ذلك الظل لركن مُعْتَمَد ، ونزلوا فيه بين العَلْياء والسنَد . متّعنا الله بهذه الدوْلة وجعلها أطولَ الدول عُمراً ، وأرفَعها مَنَاراً وأعظمَها قدْراً ، سماء مجدهم مُكللة بنجوم تهتـدى بهـا الأمانى ، ويستقر رجاء كل قلبِ عانِى[1] ، والدهر لسعدهم من الخدَم ، وفيضُ أياديهم يُغْـنِي عن الدِّيَم[2] ، وسُحُبُهم مُغْدِقة على الراجين بالـكرم :

قلتُ للبرق إذ تألق فيهـا : يا زنادَ السماء مَنْ أوْرا كا
إنْ تَشَبَّهتَ بالـكرام وما قد كان من جُودهم فلستَ هُنا كا

ومذ كَلَّتْ دُهْمُ[3] الأقلام من المشْى فى الـكتابة شكرتُ مشيَها على الرءوس ، وقلتُ لا عِطْرَ بعد عَروس ، فقد جف القلم ، وكل شيء بلغ الحدّ أنتهى وتم .

---

(١) العانى . الذى تغلبت عليه الهموم فصار أسيرها .

(٢) الديم : جمع ديمة ، وهى المطر يتتابع .

(٣) جمع أدهم ، وهو الفرس الأسود ، وقد حسن تشبيه القلم بالأدهم ، لأن الـكتابة غالبا تـكون بالمداد الأسود .

ثانيا — النثر العلمى

١ — الشيخ كمال الدين الدميرى[١]

قطعة من كتابه « حياة الحيوان » :

(الَحمَام[٢]) قال الجوهرى هو عند العَرب ذواتُ الأطواق ، نحو الفوَاخت[٣] والقُمَارىّ[٤] وساقُ حُرٍّ والقَطا والوَرَاشين[٥] وأشباه ذلك يقع على الذكر والأنثى ، لأن الهاء إنما دخلته على أنه واحد من جنس ، لا للتأنيث ، وعند العامة أنها الدّواجن فقط ، الواحدة حمامة . وقال حميد بن ثور الهلالىّ من أبيات :

وما هاج هذا الشوقَ إلا حمامةٌ   دعتْ ساقَ حرٍّ بُرهَة فترنَّما

والحمامة هنا : القُمْرية . وقال الأصْمَعِىُّ فى قول النابغة :

واحكمْ كحكم فتاة الحىِّ إذ نَظَرت   إلى حمـــام شراع وارد الثَّمَد[٦]

قالت : ألا ليتَما هـــذا الحمامُ لنا   إلى حمامَتنا أو نصـــفُهُ فقَـــدِ

فحسَّـــبوه فألفَوْه كما زعمتْ :   تسعاً وتسعين لم ينقُص ولم يَزد

---

(١) توفى سنة ٨٠٨ هـ .

(٢) جمع فاختة . وهى الحمامة ذات الطوق

(٣) جمع قمرية بضم القاف .

(٤) ذكر القمارى .

(٥) مفردة ورشان بالتحريك ، وهو طائر من نوع الحمام .

(٦) الثمد الماء القليل .

هذه زَرقاء اليمامة نظرتْ إلى قَطا واردٍ فى مضيق الجبل ، فقالت : ياليتَ هذا القطا لنا ومثل نصفه معه إلى قطاة أهلنا ، فيكمُلَ لنا مائة قطاة ؛ فاتُّبِعَت وعُدَّت على الماء فإذا هى ستٌّ وستون ، قال أبو عبيدة : رأته عن مسيرة ثلاثة أيام ، وأرادتْ بالحمام القَطا ، فقالت ذلك ، انتهى . وقال الأموى : الدواجنُ التى تستفرَخ فى البيوت تُسمَّى حماماً أيضاً . وأنشد للعَجّاج :

إنى وربٍّ البـــلد المحرَّم والقاطنات البيتَ عند زمزم

* قواطناً مكةَ من وُرْق الحَم *

يريد الحمام : وجمع الحمامة حمام وحمائم وحمامات . وربما قالوا حمام للمفرد . قال جِران العَوْد :

وذكَّرنى الصِّبَا بعد التنائى حمامةُ أيكةٍ تدعو حَماما

وحكى أبو حاتم عن الأصمعى فى كتاب الطير الكبير : إن اليمام هو الحمام البَرِّيُّ ، الواحدة يمامة ؛ وهو ضروب . والفروق بين الحمام الذى عندنا واليمام أن أسفل ذنب الحمامة مما يلى ظهرَها فيه بياضٌ ، وأسفلَ ذنب اليمامة لا بياضَ فيه ، انتهى . ونقل النَّوَوى فى التحرير عن الأصمعى : أن كل ذات طوق فهى حمام . والمراد بالطوق الُحمرة أو الُخضْرة أو السواد المحيط بعُنق الحمامة فى طوقها . وكان الكسائى يقول : الحمام هو البَرِّى ، واليمام الذى يألَف البيوت ؛ والصواب ما قاله الأصمعى . ونقل الأزهرىُّ عن الشافعىِّ : كلٌّ ما عَبَّ وهَدَر وإن تفرقت أسماؤه فهو حمام ، والعَبُّ بالعين المهملة شدَّة جَرْع الماء من غير تنفُّس ؛ قال ابن سيده : يقال فى الطائر : عبَّ ، ولا يقال : شَرِب ، والهدير : ترجيع الصوت ومُواصلتُه من غير تقطيع له ؛

قال الرافعىّ : والأشبه أنّ ماعب هدر ، قال : فلو اقتصروا فى تفسير الحمام على العب لكفاهم ؛ ويدل عليه أنّ الإمام الشافعى قال فى عيون المسائل : وما عب من الماء عبًّا فهو حمام ، وماشرب قطرة قطرة كالدَّجاج فليس بحمام .

٣ — ابن خلدون[١]

فصل من مقدّمته فى وجه الصواب فى تعليم العلوم وطريق إفادته :

اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيداً إذا كان على التدريج شيئاً فشيئاً ، وقليلاً قليلا ، يُلْقِى[٢] عليه أولاً مسائلَ من كل باب من الفن هى أصول ذلك الباب ، ويُقَرِّبُ له فى شرحها على سبيل الإجمال ، ويراعى فى ذلك قوةَ عَقله واستعداده لقبول مايرد عليه ، حتى ينتهى إلى آخر الفن . وعند ذلك يحصُل له مَلَكة فى ذلك العلم ، إلا أنها جزئية وضعيفة ، وغايتُها أنها هيَّأته لفهم الفن ، وتحصيل مسائله . ثم يَرْجِعُ به إلى الفن ثانية فيرفعه فى التلقين عن تلك الرتبة إلى أعلى منها ، ويستوفى الشرح والبيان ، ويخرج عن الإجمال ويذكر ما هنالك من الخلاف ووجهه ، إلى أن ينتهىَ إلى آخر الفن ؛ فتجود ملكته . ثم يرجع به وقد شدا[٣] ، فلا يترك عويصاً ولا مُبهَماً ولا مُغْلَقاً إلا وضحه ، وفتح له مُغلَقَه فيخلُص من الفن وقد استولى على ملكته . هذا وجه التعليم المفيد ، وهو — كما رأيت — إنما يحصل فى ثلاث تكرارات ،

---

(١) هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الكاتب المؤرخ المشهور بتاريخه وبمقدمته التى ننقل منها هذا الفصل . نشأ بتونس سنة ٧٣٢ هـ . وتعلم هناك وترقى فى مناصب عدة حتى مات بالقاهرة سنة ٨٠٨ هـ .

(٢) أى المعلم المفهوم من المقام بحسب السياق الآتى : وعليه أى على المتعلم .

(٣) شدا : أخذ طرفا من الأدب .

وقد يحصل البعض فى أقل من ذلك بحسب ما يُخْلَق له ويتيسر عليه . وقد شاهدنا كثيراً من المعلمين لهذا العهد الذى أدركنا ، يجهلون طرق التعليم وإفادته ، ويُحْضرون المتعلم فى أول تعليمه المسائل المقْفلة من العلم ، ويطالبونه بإحضار ذهنه فى حلها ، ويحسبون ذلك مرانة على التعليم وصواباً فيه ، ويكلفونه وَعْىَ ذلك وتحصيله ، ويخلطون عليه بما يلقون له من غايات الفنون فى مباديها ، وقبل أن يستعدّ لفهمها ، فإنّ قبول العلم والاستعدادات لفَهمه تنشأ تدريجيا ؛ ويكون المتعلم أول الأمر عاجزاً عن الفهم بالجملة إلا فى الأقل ، وعلى سبيل التقريب والإجمال ، وبالأمثال الحسية ، ثم لايزال الاستعداد فيه يتدرّج قليلا قليلا بمخالفة[(١)] مسائل ذلك الفن وتكرارها عليه ؛ والانتقال فيها من التقريب إلى الاستيعاب الذى فوقه ، حتى تتم الملكة فى الاستعداد ، ثم فى التحصيل ؛ ويحيط هو بمسائل الفن . وإذا ألقيت عليه الغايات فى البدايات ، وهو حينئذ عاجز عن الفهم والوعى ، وبعيد عن الاستعداد له ، كل ذهنه ، وحسب ذلك من صعوبة العلم فى نفسه ، فتكاسل عنه ، وانحرف عن قبوله ، وتمادى فى هجرانه . وإنما أتى ذلك من سوء التعليم .

٣ — المقريزى[(٢)]

من خطبة كتابه : « المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار » :

وبعد ، فإن علم التاريخ من أجلّ العلوم قدراً ، وأشرفها عند العقلاء مكانة وخَطرا ، لما يَحويه من المواعظ والإنذار ، بالرحيل إلى الآخرة عن هذه الدار ،

---

(١) المخالفة هنا : المداولة ، وهى تستلزم التكرار .

(٢) هو تقى الدين المقريزى المولود سنة ٧٦٦ هـ . وكان شاعراً كاتباً مؤرخا توفى سنة ٨٤٥ هـ .

والاطلاع على مكارم الأخلاق ليُقتدَى بها ، واستعلامِ مَذامِّ الفعال لِيَرْغَبَ عنها أولو النهى . لا جَرَم أنْ كانت الأنفس الفاضلة به وامقةً[١] ، والهِممُ العالية إليه مائلةً وله عاشقةً . وقد صنف الأئمة فيه كثيراً وضمَّن الأجلة كتبهم منه شيئاً كبيراً .

وكانت مصر هي مسقط رأسي ، وملعبَ أترابي ، ومجمع ناسي ، ومَغْنَى عشيرتي وحامَّتي[٢] ، وموطنَ خاصَّتي ، وعامَّتي ، وجؤِّي الذي رَبَّى جناحَيَّ في وكره ، وعشَّ مآربي فلا تهوَى الأنفس غير ذكره ، لا زلتُ مذ شدوت العلم ، وآتاني ربي الفطانة والفهم ، أرغب في معرفة أخبارها ، وأحِب الإشراف على الكثير من آثارها ، وأهوى مساءلة الركبان عن سكان ديارها ؛ فقيَّدتُ بخطِّي في الأعوام الكثيرة من ذلك فوائد قلَّما يجمعها كتاب ، أو يحويها لِعزَّتها وغرابتها إهاب ؛ إلا أنها ليستْ بمرتَّبة على منوال ، ولا مُهَذبة بطريقة واحدة ومثال . فأردتُ أن أخلص منها أنباء ما بديار مصر من الآثار الباقية ، عن الأمم الماضية والقرون الخالية ؛ وما بقي بفُسْطاطِ مصرَ من معاهد غَيَّرَها — أو كاد — البلى والقدم ، ولم يبق إلا أن يمحو رسمها الفناء والعدَم ؛ وأذكر ما بمدينة القاهرة من آثار العصور الزاهرة ، وما اشتملت عليه من الخِطَط والأصقاع ، وحوته من المباني البديعة والأوضاع ؛ مع التعريف بحال مَنْ أسَّس ذلك من أعيان الأماثل ، والتنويه بذكرى الذي شادها من سراة الأعاظم الأفاضل ؛ وأنثُر خلال ذلك نُكتاً لطيفة ، وحِكماً بديعة شريفة ، من غير إطالة ولا إكثار ، ولا إجحاف يُخل بالغَرَض ولا اختصار ، بل وسَطٌ بين الطرفين ، وطريق بَيْنَ بَيْن . . . الخ .

---

(١) وامقة : محبة .

(٢) الحامة . خاصة الرجل من أهله وولده .

٤ — شمس الدين محمد النواجى (١)

قطعة من كتابه « حلبة الكميت » فى أنواع الرياح وخصائصها :

والنسيم هى الريح الطيّبة ، ونسيم الريح أوّلها حين تُقْبِل بلِين قبل اشتدادها ، وفى الحديث : « بُعِثْتُ فى نسيم الساعة » أى حين ابتدأتْ وأقبلتْ ، وما أحسن قول بعضهم : نَسيم الريح نَسيبُ الرُّوح ، والرياح المعروفة أربع ، الصبا وتسمى القَبول وهى تنفِّس عن المكروب ، والجنوب وهى تجمِّع السحاب ، والشّمال وهى تمزِّقه ، والدَّبور وهى تَهْدم البُنيان ، وتقلع الشجر ، وهى القاصف والصَّرْصَر . وكلُّ ما فى القرآن من لفظ الريح ، فالمراد به الدّبور ، ولازمها العقوبة ، وكل ما فيه من لفظ الرياح فهى راجعةٌ إلى الثلاثة الاوَل ، ويراد بها الرحمة . ومن الحديث : « نُصِرْتُ بالصَّبا وأُهْلِكَتْ عاد بالدَّبور » . وقيل الرياح ثمانية : أربع فى الجهات الأربع ، وأربع تسمى النَّكْباء لميلها ونكْبها عن الجهات الأربع ، والشّمال من ناحية الشام ، وذلك عن يمينك إذا استقبلت قبلة العراق ، فهبُوبها من تحت بنات نَعش ، ويقابلها الجنوب والشمال باردة يابسة صافية من الكدر ، تشد الأعضاء ، وتسُدُّ المسامَّ ، وتحصُر الحرارة فى الباطن ، فينهضم الغذاء وتصفو بها كُدُورة الروح الحيوانى ، الذى فى القلب من الأبخرة الدخانية وتديم الصحة ، وتقوِّى حواس الدماغ ، وذلك إذا وصلت إلى الجسم باعتدال ، وهى قليلة الهبوب ليلا ، وكان الصاحب بن عبّاد يترنم بقول أبى فراس :

هَبّت لنا ريحٌ شَماليَّة   متّت إلى القلب بأَسباب

---

(١) ينسب إلى قرية نواج من مديرية الغربية بمصر . ولد ونشأ بالقاهرة وبرع فى الأدب والشعر وله عدة مؤلفات وتوفى سنة ٨٥٩ ه .

أدّتْ رِسالات الهوىٰ بيْننا عرفتها من بين أصحابى

قلت : والله إن الصاحب بن عبّاد لمعذور ، فإن هذا مما يريح الجماد ، وتجمع الشمال على شمائل ، ولذلك يحسن فيه التّوْرية . ومنه قول الشيخ تقى الدين ابن حجة :

جاد النسيمُ على الرُّبا بندَى يديه وقال لى :
أنا ما أقصِّر عن نَدًى وكما علمتَ شمائلى

والصَّبا تَهُبُّ من مطلع الشمس وتُسمى القَبول ، ويقابلها الدَّبور وهى معتدلة ولا سيّمًا إن هبَّت قبل طلوع الشمس فى زمن الربيع ، وهى لطيفة صافية ، تذكى الأذهان ، وتنفع الأبدان ، وتبسُط الأخلاق ، لا سيما إن مرت بمُرُوج الأزهار فإنها تحمل قُواها إلى القلب والدماغ . . الخ .

٥ — ابن خلكان[١]

قطعة من كتابه « وفيات الأعيان » :

كتب يترجم لأبى طالب يحيى بن أبى الفرج سعيد بن أبى قاسم بن زيادة الشَّيبانى البغدادى المتوفى سنة ٥٨٣ هـ :

كان من الأعيان الأماثل[٢] ، والصدور الأفاضل ، أنتهت إليه المعرفة بأمور

---

(١) هو قاضى القضاة شمس الدين الأربلى ولد سنة ٦٠٨ هـ . ثم تنقل فى البلاد حتى نزل دمشق سنة ٦٣٣ هـ . وتولى قضاء الشام ودرس فى عدة مدارس . وتوفى سنة ٦٨١ هـ . اشتهر بكتابه « وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان » وهو كتاب مفيد فى تاريخ الأشخاص .

(٢) الأماثل : جمع أمثل أى أفضل .

الـكتابة والإنشاء والحساب ، مع مشاركتِه فى الفقـه وعلم الـكلام[1] والأصول وغير ذلك . وله النظم الجيد . جالسَ أبا منصور بن الجَوَالِيقى ، وقرأ عليه وعلى من بعدَه ، وسمع الحديثَ من جماعةٍ . وخدم الديوان — من صباه إلى أن تُوُفِّىَ عدّة خدمات . وكان مليح العِبارة فى الإنشاء ، جيدَ الفـكرة حُلْو الترصيع ، لطيف الإشارة . وكان الغالب فى رسائله العناية بالمعانى أكثر من طلب السجْع . وله رسائل بليغة ، وشعر رائق ، وفضـله أكثر من أن يذكر . وتولى النظرَ بديوان البصرة وواسط والحلة ، ولم يزل على ذلك إلى المحرم سنة ٥٧٥ هـ . ورُتِّب حاجباً بباب المتولى ، وقُلِّد النظرَ فى المظالم ثم عُزل عن ذلك .

٦ — الديار بكرى[2]

وصف استيلاء التتار على بغـداد ، من كتابه : « الخميس ، فى أحوال أنفس نفيس » .

وفى سنة أربع وخمسين وستمائة خرج الطاغية العنيد مبيد الأمم هولاكو ، فأخذ قلعة الموت من الإسماعيلية ، وقتلهم وأخرب نواحى الرى ، وبذلت السيوف على عوائدهم ، فتوجه الـكامل محمد ، صـاحب مَيّافارقين ، إلى خدمة هولاكو : فأعطاه الفرمان ، ثم نزل هولاكو بأذربيجان وأخذها .

وفى أول سنة خمسٍ وخمسين وستمائةٍ ثارت فتنة مهولة ببغداد بين السنية

---

(١) علم الـكلام : علم التوحيد .

(٢) هو حسين بن محمد بن الحسن الدياربكرى ، نسبة إلى دياربكر ، تولى قضاء مكة ، وتوفى بها سنة ٩٨٢ هـ .

والرافضة أدت إلى نهبٍ عظيم وخرابٍ ، وقتل عِدّة من الرافضة ، فغضب لها وتنمر ابن العلقمى الوزير ، وجسّر التتارَ على العِراق ليشتفىَ من السنيَّة .

وفى أول سنة ست وخمسين وستمائةٍ وصل الطاغية هولاكو ، ابن تولى ابن جنكيز خان المغولى ، بغدادَ بجيوشه وبالكَرَج وبعسكر الموصل ، فخرج الدويدار بالعسكر ، فالتقى بطلائع هولاكو وعليهم ياجنوس ، فانكسر المسلمون لقلّتهم ، ثم أقبل ياجنوس فنزل على بغداد من غربيها ، ونزل هولاكو من شرقيها . فقال الوزير ابن العلقمى خليفة المستعصم بالله : إنى أخرج إلى القاءان الأعظم فى تقرير الصلحِ . فخرج الكلب وتوثق لنفسه ورجع . فقال : إن القاءان قد رغِب فى أن يزوّج بنته بابنك . وأن تكون الطاعة له كالملوك السلجوقية ويرحل عنك ، فخرج المستعصم فى أعيان دولته وأكابر الوقت ليحضُروا العَقْد ، فضربت رقاب الجميع وقتلوا الخليفة : ورفسوه حتى مات . ودخلت التتار بغداد واقتسموها ، وأخذ كلٌّ ناحية وبقى السيف يعمل أربعة وثلاثين يوماً ، وقلّ من سلم ، فبلغت القتلى ألف ألفٍ وثمانمائة ألف وزيادة . فعند ذلك نادوا بالأمان ، ثم أمر هولاكو بضرب عنق ياجنوس ، لكونه كاتب الخليفة ، وأرسل إلى صاحب الشام يهدّده إن لم يخرب أسوار بلاده .

أ كذا فى « دول الإسلام » .

وفى تاريخ الجمالى يوسف : سبب قتل المستعصم بالله أنه لما ولى الخلافة لم يتوثق أمره ؛ لأنه كان قليل المعرفة بتدبير الملك ، نازل الهمة ، مهملاً للأمور المهمة ، محباً لجمع المال . أهمل أمر هولاكو وانقاد إلى وزيره ابن العلقمى ، حتى كان فى ذلك هلاكه وهلاك الرعية ، فإن وزيره ابن العلقمى الرافضى كان

كتب كتاباً إلى هولاكو ملك التتار فى الدشت : إنك تحضر إلى بغـداد وأنا أسلمها لك ، وكان قد داخل قلب اللّعين الـكفر . فـكتب هولاكو : إن عساكر بغداد كثيرة ، فإن كنت صـادقاً فيما قلته ، وداخلا فى طاعتنا ، فرق عساكر بغداد ونحن نحضرُ ، فلما وصل كتابه إلى الوزير ، دخل إلى المستعصم وقال : إن جندك كثيرة وعليك كلفة كبيرة ، والعدوّ قد رجع من بلاد العجم ، والصواب أنك تعطى دستوراً لخمسة عشر ألفاً من عسكرك ، وتوفر معلومهم ، فأجابه المستعصم لذلك . فخرج الوزير لوقته ومحا اسم من ذكر من الديوان ، ثم نفاهم من بغداد ومنعهم من الإقامة بهـا . ثم بعد شهر فعل مثل فعلته الأولى ومحا اسم عشرين ألفاً من الديوان ، ثم كتب إلى هولاكو بمـا فعل . وكان قصد الوزير بمجىء التتار أشياء منها : أنه كان رافضياً خبيثاً ، وأراد أن ينقل الخلافة من بنى العباس إلى العلويين ، فلم يتم له ذلك من عظم شوكة بنى العباس وعساكرهم ، فأفـكر أن هولاكو إذا قدم يقتل المستعصم وأتباعه ثم يعود إلى حال سـبيله ، وقد زالت شوكة بنى العباس ، وقد بقى هو على ما كان عليه من العظمة والعساكر وتدبير المملـكة ، فيقوم عند ذلك بدعوة العلويين الرافضة من غير ممانع لضعف العساكر ولقوته ، ثم يضع السيف فى أهل السُّنَّة .

فهذا كان قصده لعنه الله .

ولمـا بلغ هولاكو ما فعل الوزير ببغداد ركب وقصدها إلى أن نزل عليها ، وصـــار المستعصم يستدعى العساكر ويتجهز لحرب هولاكو ، وقد اجتمع أهل بغداد وتحالفوا على قتال هولاكو ، وخرجوا إلى ظاهر بغـداد ، ومشى عليهم هولاكو بعساكره فقاتلوه قتالا شديداً ، وصبر كل من الطائفتين صبراً عظيما ، وكثرت الجرحى والقتلى فى الفريقين ، إلى أن نصر الله تعالى عساكر بغداد وانكسر

هولاكو أقبح كسرة ، وانساق المسلمون خلفهم وأسروا منهم جماعة ، وعادوا بالأسرى ورءوس القتلى إلى ظاهر بغداد ، ونزلوا بخيامهم مطمئنين بهروب العدوّ ، فأرسل الوزير ابن العلقمى فى تلك الليلة جماعة من أصحابه فقطعوا شطر الدجلة . فخرج ماؤها على عساكر بغداد وهم نائمون ، فغرقت مواشيهم وخيامهم وأموالهم ، وصار السعيد منهم من لقى فرساً يركبها . وكان الوزير قد أرسل إلى هولاكو يعرفه بما فعل ، وأمره بالرجوع إلى بغداد . فرجعت عساكر هولاكو إلى ظاهر بغداد فلم يجدوا هناك من يردهم ، فلما أصبحوا استولوا على بغداد ، وبذلوا فيها السيف ووقع منهم ما يطول شرحه .

والمقصود أن هولاكو استولى على بغداد وأخذ المستعصم أسيراً ، ثم بذل السيف فى المسلمين ، فلم يرحم شيخاً كبيراً لكبره ولا صغيراً لصغره .

ولما أخذ الخليفة أسيراً هو وولده أحضر بين يديه ، وأمر به هولاكو ، فأخرج من بغداد وأنزله بمخيم صغير بظاهر بغداد هو وولده . ثم فى عصر ذلك اليوم وضع الخليفة وولده فى عِدلين[1] وأمر التتار برفسهما إلى أن ماتا فى المحرم سنة ست وخمسين وستمائة ، ثم نهبت دار الخلافة ومدينة بغداد حتى لم يبق فيها لا ما قل ولا ما جل . ثم أحرقت بغداد بعد أن قتل أكثر أهلها ، حتى قيل إن عدة من قتل فى نوبة هولاكو يزيد على ألف ألف وثلاثين ألف إنسان . وانقرضت الخلافة من بغداد بقتل المستعصم هذا ، وبقيت الدنيا بلا خلافة سنين إلى أن أقام الملك الظاهر بيبرس البندقدارى بعض بنى العباس فى الخلافة حسبما يأتى ذكره على سبيل الاختصار .

---

(١) العدل بكسر العين : الجوالق : الشوال .

وكانت خلافة المستعصم خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وأياماً ، وتقدير عمره سبع وأربعون سنة . وزالت الخلافة من بغداد .

قال الشاعر :

خلت المنابر والأسرة منهم فعليهمُ حتى الممات سلام

أما الوزير ابن العلقمى فلم يتم له ما أراد من أن التتار يبذلون السيف فى أهل السنة ، فجاءوا بخلاف ما أراد ، وبذلوا السيف فى أهل السنة والرافضة كلهم وهو فى منصبه مع الذل والهوان ، وهو يظهر قوة النفس والفرح وأنه بلغ مراده فلم يلبث أن أمسكه هولاكو بعد قتل المستعصم بأيام ووبخه بألفاظ شنيعة معناها : أنه لم يكن له خير فى مخدومه ولا فى دينه ، فكيف يكون له خير فى هولاكو ؟ ثم إنه قتله شر قتلة ، فى أوائل سنة سبع وخمسين وستمائة .

إلى سقر ، لا دنيا ولا آخرة !

٧ — الشيخ شهاب الدين الأبشيهى (١)

قطعة من كتابه « المستطرف ، من كل فن مستظرف » فى علو الهمة وشرف النفس :

أما علُو الهمة فهو أصل الرياسة ، فممّن علتْ همته ، وشرُفتْ نفسُه عُمارة بن حمزة قيل إنه دخل يوما على المنصور وقعد فى مجلسه ، فقام رجل وقال : مظلوم يا أمير المؤمنين ! قال : من ظلمك ؟ قال : عمارة بن حمزة غصبنى ضَيْعتى ! فقال المنصور : ياعمارة قم فاقعد مع خَصمك ، فقال : ما هُوَ لى بخصم ، إن كانت

---

(١) من أدباء النصف الأول من القرن التاسع .

الضيعة له فلست أنازعه فيها ، وإن كانت لى فقد وهبتها له ، ولا أقوم من مقام شرّفنى به أمير المؤمنين ورفعنى ، وأقعُدُ أدنى منه ، لأجل ضيعة !

وتحدّث السفّاحُ هو وأم سلمة يوما فى نزاهة نفْس عمارة وكبره ، فقالت له : ادع به وأنا أهَبُ له سُبْحَتى هذه ، فإن ثمنها خمسون ألف دينار ، فإن هو قبلها علمْنا أنه غير نزه النفس . فوجه إليه الدعوة فحضر فحادثته ساعة ثم رمت إليه بالسبحة وقالت هى من الطرَف ، وهى لك فجعلها عمارة بين يديه ، ثم قام وتركها فقالت : لعله نسيها . فبعثت بها إليه مع خادم ، فقال للخادم : هى لك . فرجع الخادم ، فقال : قد وهبها لى ، فأعطتْ أمُّ سلمة للخادم ألف دينار ، واستعادتْها منه .

وأهدى عُبيد الله بنُ السرى إلى عبد الله بن طاهر لما ولى مصر مائة وصيف ، مع كل وصيف ألف دينار ، ووجه إليه بذلك ليلا ، فرده وكتب إليه : لو قبلتَ هديَّتكَ ليلًا لقبلْتها نهارا ، «فَمَا آتَانِيَ اللهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ ، بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُون» .

(وكان) سببُ فتح المعتصم عَمُّورِيَّةَ أن امرأةً من الثّغْر سبِيَتْ فنادت : واحمداه ! وامعتصماه ! فبلغه الخبرُ . فركب لوقته ، وتبعه الجيش . فلما فتحها قال : لبيك أيتها المنادية !

وكان سعيد بن عمرو بن العاص ذا نخوة[1] وهمة ، قيل له فى مرضه : إن المريض يستريح إلى الأنين ، وإلى شرح مابه إلى الطبيب . فقال : أما الأنين فهو جزع وعار ، والله لا يسمع اللهُ منى أنينا ، فأكون عنده جزُوعا . وأما وصف ما بى إلى الطبيب فوالله لا يحكم غيرُ الله فى نفسى ، إن شاء أمْسَكها ، وإن شاء قبضها .

---

(١) النخوة : الافتخار والتعظم ، يريد هنا : شجاعة النفس .

ومن كبر النفس ما رُوى عن قيس بن زهير أنه أصابته الفاقة ، فكان يأكل الحنظل حتى قتله ، ولم يخبر أحداً بحاجته .

ومن الشرف والرياسة : حفظُ الجوار وَحَمْىُ الذِّمار[١] . وكانت العرب ترى ذلك دينا تدعو إليه ، وحقا واجبا تحافظ عليه وكان أبو سفيان بن حرب إذا نزل به جار قال : يا هذا إنك اخترتنى جارا ، واخترتَ دارى دارا ، فجناية يَدِكَ علىَّ دونك ، وإن جَنَتْ عليك يدٌ فَاحتكم حكم الصبىّ على أهله[٢] .

وكان الفَرَزْدق يُجير من عاذَ بقبر أبيه غالب بن صَعْصَعة ، فمن استجار بقبر أبيه فأجاره امرأة من بنى جعفر بن كلاب ، خافتْ لما هجا الفرزدق بنى جعفر أن يُسميهَا وينسبهَا ، فعاذتْ بقبر أبيه فلم يذكر لها اسما ولا نسبا ولكن قال :

عجوزٌ تصلى الخمسَ عاذتْ بغالب فلا والذى عاذت به لا أضيرُها

وقال مَرْوانُ بنُ أبى حفصة :

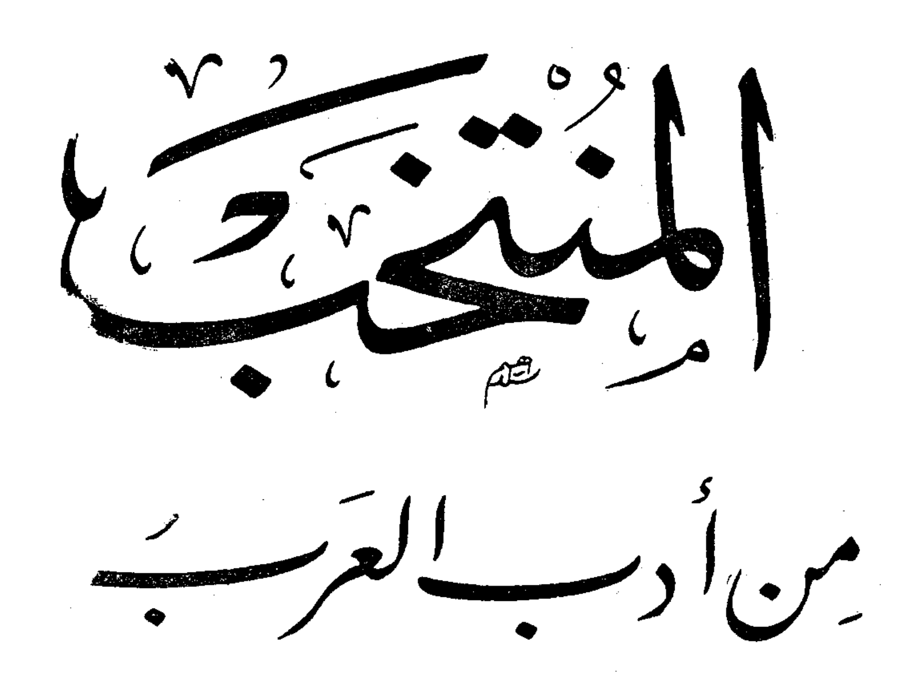
هُمُ يمنعون الجارَ حتى كأنما لجارهم بين السِّماكَيْنِ[٣] منزلُ

---

(١) الذمار : كل ما يلزمك حمايته من أهل الوطن .
(٢) أى اقض بما شئت ، فنحن نازلون على حكمك .
(٣) السماكان : كوكبان نيران ، يقال لأحدهما السماك الرامح وللآخر السماك الأعزل .

تم بعون الله تعالى وتوفيقه طبع هذا الكتاب فى غرة صفر سنة ١٣٧٣ ﻫ
الموافق ١٠ أكتوبر سنة ١٩٥٣ م) بمطابع دار الكتاب العربى بمصر
لصاحبها ومديرها محمد حلمى المنياوى

وزارة المعارف العمومية



الجزء الثالث

للسنة الثالثة الثانوية

جمعه وشرحه

أحمد الإسكندرى أحمد أمين على الجارم

عبد العزيز البشرى الدكتور أحمد ضيف

١٩٥٣

مطابع
دار الكتاب العربي بمصر
محمد حلمي المنياوي

فهـــــ

(أ) النـــثر :

(ب) الشعر :

صفحة

صفحة

الأندلس

صفحة

النـــثر :

(ب) النثر العلمى :

الشـــعر :

المغرب وممالك البربر

النـــثر :

(ا) النـــثر

أولاً — النـثر الفنى

---

(١) تَعْزِيَةٌ لابنِ المقفَّعِ (١) :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَمْرَ الآخِرَةِ وَالدُّنْيَا بيد الله ، هو يُدَبِّرُهُمَا ويَقْضِى فيهما ما يشاء ، لَا رَادَّ لِقَضَائِهِ وَلَا مُعَقِّبَ(٢) لِحُكْمِهِ ، فإِنَّ الله خَلَقَ الخَلْقَ بقدرته ، ثُمَّ كَتَبَ عليهم الموْتَ بَعْدَ الحياةِ لِئَلَّا يَطمعَ أَحَدٌ من خَلْقِه فِى خُلْدِ الدُّنْيَا ، وَوَقَّتَ لِكل شَىْءٍ ميقَاتَ أَجلٍ ، لا يستأْخرون عَنْهُ سَاعَةً ولا يَسْتَقْدِمُونَ ؛ فَلَيْسَ أَحَدٌ من خَلْقِهِ إِلَّا وَهُوَ مُسْتَيْقِنٌ بالمَوْتِ ، لَا يَرْجُو أَنْ يُخَلِّصَهُ من ذلك أَحَدٌ ، نسأل الله خَيْرَ المُنْقَلَب(٣) ، وَبَلَغَنى وَفَاةُ فُلَانٍ فكانت وَفَاتُه من المصائِبِ العِظَامِ التى يُحْتَسَبُ(٤) ثوابُهَا من رَبِّنَا الذى إليه مُنْقَلَبُنَا ومَعَادُنَا ، وعليه ثَوابُنَا . فعليك بتقوى اللهِ والصَّبْرِ وَحُسْنِ الظَّنِّ باللهِ ؛ فإِنَّهُ جَعَلَ لِأَهْلِ الصَّبر صَلَوَاتٍ(٥) مِنْهُ وَرَحْمَةً وَجَعَلَهُمْ من المُهْتَدِينَ .

---

(١) كان عبد الله بن المقفع من أبناء الفرس الذين نشئوا بين العرب ولد سنة ١٠٦ هـ. ونشأ بالبصرة .وكان أبوه مجوسيا يجمع خراج بلاد فارس للحجاج بن يوسف الثقفى .وبقى ابن المقفع أكثر أيامه على دين المجوسية ثم أسلم فى آخر عمره وتعلم صناعة الكتابة وبرع فى ذلك وكتب لكثير من الأمراء . وكان غاية فى الذكاء واشتهر ابن المقفع ببلاغته ورشاقة عبارته وأسلوبه السهل المتمنع وكان فوق ذلك من كبار المترجمين والمؤلفين وقد اشتهر بكتابه (كليلة ودمنة) ومات مقتولا سنة ١٤٢ هـ .

(٢) عقب الحاكم على حكم سلفه حكم بعده بغير حكمه . يريد هنا أن حكم الله لا ينقض .

(٣) المنقلب : المرجع ، يقال : كل امرىء يصير الى منقلبه .

(٤) احتسب أجره عند الله : قدمه .

(٥) المراد بالصلاة هنا الرحمة . يشير الى قوله تعالى . «وبشر الصابرين» الآية .

وَلَهُ مِنَ الأدب الصَّغِير :

مِن أشَدِّ عُيُوب الإنسان خَفاءُ عيوبهِ عَلَيْهِ . فإن من خَفِيَ عَلَيْهِ عيبُهُ خَفِيَت عليه مَحاسِنُ غَيْرِه ، فَلَنْ يُقْلِعَ(١) عَنْ عَيْبه الذى لا يعْرِفُه ولَنْ ينَالَ مَحاسِنَ غَيْرِه .

لا يؤمننَّكَ شَرَّ الجاهِل قَرابَةٌ ولا جوارٌ ولا إلفٌ(٢) فإن أَخْوَفَ ما يكُونُ الإنسان لحِريق النَّارِ أقربُ ما يَكُونُ منْهَا(٣) . وكذلك الجَاهِلُ إن جَاوَرَكَ أَنْصبكَ(٤) ، وإن نَاسَبكَ جَنى عَلَيْكَ . وإن أَلِفَكَ حَمَل عَلَيْكَ مالا تُطيقُ ، وإن عَاشَرَكَ آذاكَ وأخافَكَ . معَ أنَّهُ عنْدَ الُجوع سَبُعٌ ضارٍ(٥) ، وعِنْدَ الشِّبَعِ مَلِكٌ فَظٌّ ، وعند المُوافقَةِ فى الدِّينِ قَائِدٌ إلى جَهَنَّمَ . فأنت بالْهَرب منه أحَقُّ منك بالهرب من سُمِّ الأَسَاوِدِ(٦) والحريق المَخُوفِ والدَّيْنِ الفَادِحِ(٧) والدَّاءِ العيَاءِ(٨) . . .

---

(١) أقلع عن عيبه : كف عنه وتركه .

(٢) الالف بكسر الهمزة وسكون اللام . والألفة : بضم الهمزة وسكون اللام وفتح الفاء : الصداقة

(٣) أى يشتد خوف الانسان من النار حين يشتد قربه منها فكذلك الجاهل تخافه اذا كان ذا صلة قوية بك . وهذا تمثيل .

(٤) أنصبه : أتعبه وأعياه .

(٥) الضارى من الحيوانات كالأسد والنمر : ما تعود أكل الصيد وأولع به .

(٦) الأساود : مفرده أسود ، وهو الحية العظيمة السوداء .

(٧) فدحه الحمل أو الدين : أثقله وبهظه . والفادح : الصعب المثقل . يقال نزل به أمر فادح ، وركبه دين فادح .

(٨) داء عياء بفتح العين : لايبرأ منه المريض .

(٢) أحمد بن يوسف[1]

كتب يهنئ بمولود :

أَمَّا بَعْدُ ، فَلَيْسَ من أمرٍ يَجْعَلُ اللهُ لك فيهِ سُرُوراً إِلَّا كُنْتُ بِهِ بَهِجاً أَعْتَدُّ[2] فيهِ بالنِّعْمَةِ من اللهِ الذى أَوْجَبَ عَلَيَّ مِنْ حَقِّكَ ؛ وعَرَّفَنِى مِنْ جَمِيلِ رَأْيِكَ . فزادكَ اللهُ خيراً ، وأدامَ إحْسَانَهُ إِلَيْكَ . وقد بَلَغَنِى أَنَّ اللهَ وهَبَ لكَ غُلاماً سَرِيًّا[3] أَجْمَلَ صُورتَهُ ، وأَتَمَّ خَلْقَهُ ، وأَحْسَنَ فيهِ البَلاءَ[4] عندك فاشْتَدَّ سُرُورى بذلكَ . وأكْثَرْتُ حَمْدَ اللهِ عَلَيْهِ . فبارَكَ اللهُ فيهِ وجعَلَهُ بارًّا[5] تقِيًّا يشُدُّ[6] عَضُدَكَ ، ويُكْثِرُ عَدَدَكَ ، ويُقِرُّ[7] عَيْنَكَ .

وكتب أيضاً تهنئة بظفر :

بَلَغَنِى — فَتَحَ اللهُ عَلَيْكَ — خُرُوجُ ابن السَّرِيِّ إِلَيْكَ ، فالحَمْدُ للهِ النَّاصِرِ لِدِينِهِ ، المُعِزِّ لِوَلِيِّهِ وخَلِيفَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ ، المُذِلِّ لِمَنْ صَدَّ[8] عَنْ حَقِّهِ وَرَغِبَ[9]

---

(١) هو أحمد بن يوسف كاتب دولة بنى العباس ويقولون : أن أصل آبائه من قبط مصر وكانوا كتابا لبنى العباس فنشأ أحمد بن يوسف فى بيت علم وأدب وشب على الكتابة . وكان من أبلغ الكتاب والشعراء واشتهر فى زمن المأمون فله كتب بليغة وكثير من الرسائل الديوانية والاخوانية. وكانت طريقته فى الكتابة تميل الى التوسع فى المعانى والأساليب والعبارات وجزالة الألفاظ وتطويل الرسائل السلطانية ، وكان يتولى ديوان الرسائل لمأمون حتى غضب عليه غضبة مات منها. سنة ٢١٣ هـ .

(٢) أى أعد ذلك نعمة من الله .

(٣) السرى : الظريف .

(٤) البلاء هنا : الاختبار .

(٥) بارا : صالحا مطيعا .

(٦) العضد : بفتح العين وضم الضاد ما بين المرفق الى الكتف يريد بذلك أن يكون قوة له .

(٧) قرت عينه : بردت سرورا . وجف دمعها : يريد بذلك أن يكون من وسائل السعادة والسرور له .

(٨) صده عن كذا : صرفه ومنعه . يريد ان الله يذل من وقف فى سبيل الحق .

(٩) رغب عنه : أعرض عنه وتركه .

عَنْ طَاعَته ونَسْأَلُ اللهَ أن يُظَاهِرَ(١) النِّعَمَ ، ويَفْتَحَ بُلْدَانَ الشِّرْكِ(٢) بك ، والحمْدُ لله عَلَى مَاوَالاكَ(٣) مُنْذُ ظَعَنْتَ(٤) لِوَجْهِكَ ، فَإنَّا نَتَذَاكَرُ سِيرَتَكَ فى حَرْبِكَ وسِلْمِكَ ، ونُكْثِرُ التَّعَجُّبَ لِمَا وُفِّقْتَ لَهُ مِنْ وَضْعِ الشِّدةِ واللَّيَانِ(٥) بِمَوْضِعِهِمَا ، وَلاَ نَعْلَمُ(٦) سَائِرَ جُنْدٍ وَلاَ رَعِيَّةٍ عُدِلَ بَيْنَهُمْ عَدْلَكَ وَلاَ مَنْ عَفَا بَعْدَ القُدْرَةِ عَمَّنْ آسَفَهُ(٧) وأَضْغَنَهُ(٨) عَفْوَكَ .

وكتب فى الذم :

أَمَّا بَعْدُ ، فَلاَ أعْلَمُ لِلمَعْرُوفِ(٩) طَرِيقاً أحْزَنَ(١٠) ولا أَوْعَرَ مِن طَرِيقهِ إلَيْك ، ولا مُسْتَوْدَعاً(١١) أقلَّ زَكَاءً(١٢) ، ولا أبعَدَ ثَمَرَةَ خَيْرٍ من مَكانه عِنْدَكَ ؛ لأَنَّهُ يَحْصُلُ مِنْكَ فى حَسَبٍ دَنِيٍّ(١٣) ، ولِسَانٍ بَذِيٍّ(١٤) ، ونَسَبٍ قَصِيٍّ(١٥) ، وجَهْلٍ(١٦) قد مَلَكَ طِباعَكَ ؛ فالمعروف لَدَيْكَ ضَائِعٌ ، والشكرُ عندكَ مَهْجُورٌ ، وإنما غايَتُكَ فى المعروفِ أَنْ تُحْرِزَهُ ، وفى وليِّه أن تَكْفُرَ(١٧) بِه .

---

(١) ظاهره مظاهرة : عاونه . يسأل الله أن يكثر من النعم على يديه .

(٢) يريد بلدان الأعداء .

(٣) والى الشيء : تابعه يريد على ما أعطاه من النصر المتتابع المتوالى .

(٤) الظعن : الرحيل . ويريد بقوله لوجهك لغرضك .

(٥) الليان : بفتح اللام المشددة مصدر لان يلين وهو ضد الشدة. والليان : بالكسر الاسم من لان.

(٦) سائر الشيء : باقيه يريد أنه لا يوجد قوم يسود فيهم عدل مثل عدلك فى قومك .

(٧) آسفه ايسافا : أغضبه وأحزنه .

(٨) أضغنه : حمله على الضغينة .ويريد أنه لم ير أحدا مثله عفا بعد القدرة على الانتقام عن قوم أساءوا اليه وحملوه على أن يحقد عليهم .

(٩) المعروف هنا : الخير والاحسان . (١٠) الطريق الحزن : ضد السهل .

(١١) المستودع : المكان يحفظ فيه الشيء . (١٢) الزكاء : النمو والزيادة .

(١٣) الدنى مخفف الهمزة هنا : الخسيس الذليل .

(١٤) البذى بتخفيف الهمزة أيضا : المحتقر السفيه .

(١٥) القصى : البعيد . (١٦) الجهل : الحمق .

(١٧) كفر بالنعمة : جحدها وتناساها وكفر بالمنعم جحد فضله .

ومن توقيعاته ما وجهه إلى عامل ظالم :

« الحق طريق واضح لِمَنْ طَلَبَهُ ، تَهْدِيه مَحَجَّتُهُ(١) ، ولا تُخَاف عَثْرَتُه(٢) ، وتُؤْمَنُ فى السِّرِّ مَغَبَّتُهُ(٣) فلا تُقِلَّنَّ(٤) مِنْهُ ، وَلَا تَعْدِلَنَّ عَنْهُ ، فَقَدْ بالَغْتُ فى مُنَاصَحَتِك ، فلاَ تُحْوجْنى إلى مُعَاوَدَتِكَ(٥) ، فَلَيْسَ بَعْدَ التَّقْدِمَةِ(٦) إليكَ إلا سَطْوَةُ الإنْكارِ عَلَيْكَ » .

(٣) الحسن بن سهل(٧)

كتب إلى محمد بن سماعة(٨) القاضى يسأله اختيار رجل ليقوم ببعض مَهامه :

أَمَّا بَعدُ ، فإنِّى احْتَجْتُ لِبَعْض أُمُورِى إلى رَجُلٍ جَامِعٍ لخِصَالِ الخَيْر ، ذِى عِفَّةٍ ونزَاهَةِ طُعْمَةٍ(٩) ، قد هَذَبَّتْهُ الآدَابُ ، وأَحْكَمَتْهُ التَّجَارِبُ ، لَيس بظَنِينٍ(١٠) فى رَأْيِهِ ، وَلَا بمَطْعُونٍ فى حَسَبِه . إن اُؤْتُمِنَ على الأَسْرَارِ قَامَ بها ، وَإِنْ قُلِّدَ مُهِمًّا من الأمُورِ أَجْزَأَ(١١) فِيهِ ، لَهُ سِنٌّ(١٢) مَعَ أَدَبٍ ولسَان ، تُقْعِدُه الرَّزَانَةُ وَيُسَكِّنُهُ الحِلْمُ ، قَدْ فُرَّ(١٣) عن ذَكاء وفِطْنَةٍ ، وَعَضَّ

---

(١) المحجة : جادة الطريق . (٢) العثرة : السقطة والزلة .

(٣) المغبة : عاقبة الشيء . (٤) أقل الشيء : أتى بالقليل منه .

(٥) عاود الرجل : رجع الى الأمر الأول يقال عاوده بالمسألة أى سأله مرة بعد أخرى وعاودته الحمى رجعت اليه .

(٦) التقدمة مصدر قدم الشيء تقدمه . يريد أن ليس له عنده بعد أن قدم له النصيحة الا أن يعاقبه

(٧) الحسن بن سهل : هو وزير المأمون وصهره (أبو زوجه بوران) توفى سنة ٣٣٦ هـ .

(٨) محمد بن سماعة القاضى : هو من أصحاب محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة . توفى سنة ٢٢٣ هـ

(٩) الطعمة بضم الطاء وسكون العين : وجه الارتزاق والمكسب ، يريد أنه لا يبتغى المال من طريق الحرام ولا من خسيس السبل .

(١٠) الظنين بفتح الظاء : المتهم : يريد أنه لا يصدر الرأى عن الميل والهوى .

(١١) أجزأ فى الأمر كان له كفئا وقام به على خير وجوهه .

(١٢) السن هنا : التقدم فى العمر .

(١٣) يقال : فر الدابة يفرها (من باب نصر) . كشف عن أسنانها ليعرف كم بلغت من السنين : يريد أن الاختبار والتجربة كشفا عما فيه من الذكاء .

على قَارِحَةٍ(١) من الـكَمَالِ . تـكْفيهِ اللَّحْظَةُ ، وَتُرْشِدُهُ السَّـكْتَةُ . قَدْ أَبْصَرَ خِدْمَةَ المُلُوكِ وأَحْـكَمَهَا ، وقَامَ فى أمُورِهِمْ فَحُمِدَ فِيها . لَهُ أَنَاةُ(٢) الوُزَرَاءِ ، وَصَوْلَةُ(٣) الامَرَاءِ ، وتَواضُعُ العُلَماءِ ، وفَهْمُ الفُقَهَاءِ ، وَجَوابُ الحُـكَمَاءِ . لا يَبِيعُ نَصِيبَ يَومِهِ بِحِرْمَانِ غَدِهِ . يَـكَادُ يَسْتَرِقُّ(٤) قُلُوبَ الرِّجَالِ بحَلاوَةِ لسَانِهِ ، وَحُسْنِ بَيَانِهِ . دَلَائِلُ الفَضْلِ عَلَيْهِ لائِحَةٌ(٥) ؛ وَأَمَارَاتُ العِلْمِ لَهُ شَاهِدَةٌ ، مُضْطَلِعاً(٦) بِمَا اسْتُنْهِضَ(٧) ، مُسْتَقِلاًّ(٨) بِمَا حُمِّلَ ، وقَد آثَرْتُكَ(٩) بطَلَبِـهِ ، وحَبَوْتُكَ بارْتِيادِهِ(١٠) ، ثِقَةً بفَضْلِ اخْتِيارِكَ ، وَمَعْرِفَةً بِحُسْنِ تأتِّيكَ .

(٤) محمد بن عبد الرحمن الهاشمى

قال : كانَتْ أُمُّ جَعْفَرِ بن يَحْـيى تَزُورُ أُمِّى . وَكانَتْ لَبِيبَةً من النِّسَاءِ ، حَازِمَةً فَصِيحَةً بَرْزَةً(١١) . يُعْجِبُنِى أَنْ أَجِدَهَا عِندَ أُمِّى فَأَسْتَـكْثِرُ من حَدِيثِهَا ، فَقُلْتُ لَهَا يَوْماً : يَاأُمَّ جَعْفَرٍ : إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ يُفَضِّلُ جَعْفَراً على الفَضْلِ ، وَبَعْضُهُمْ يُفَضِّلُ الفَضْلَ على جَعْفَر ، فَأَخْبِرِينى . فَقَالَتْ : مَا زِلْنَا نَعْرِفُ الفَضْلَ

---

(١) قرح الفرس فهو قارح : خرج نابه ، ولا يكون له ذلك الا اذا استـكمل السن والقوة ، يريد بالجملة أنه استوفى أسباب الكمال .

(٢) الأناة : الوقار والحلم والتمهل .

(٣) الصولة : القدرة والسطوة .

(٤) استرق القلوب : استعبدها .

(٥) لائحة : بادية ظاهرة .

(٦) اضطلع الرجل بحمله فهو مضطلع به نهض به وقوى عليه .

(٧) استنهض بالبناء للمجهول طلب منه النهوض .

(٨) استقل بالشيء : حمله ورفعه ، فهو مستقل به .

(٩) آثره بالشيء : اختصه به وفضله على غيره .

(١٠) ارتاد الشيء ارتيادا طلبه وبحث عنه .

(١١) المرأة البرزة : المتجاهرة الكهلة الجليلة تبرز للقوم يجلسون اليها ويتحدثون وهى عفيفة .

للفَضْلِ . فقُلْتُ : إنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ على خِلَافِ هَذَا . فقَالَتْ : هَأَنَا أُحَدِّثُكَ واقْضِ أَنْتَ . وذٰلِكَ الَّذِى أَرَدْتُ مِنْها . فقَالَتْ : كَانَا يَوْمًا يَلْعَبَانِ فى دَارِى ، فَدَخَلَ أَبُوهُما فدَعَا بالغَدَاء وَأَحْضَرَهُمَا ، فطَعِمَا معَهُ ثُمَّ آنَسَهُمَا بحَدِيثِهِ ، ثُمَّ قَالَ لهُمَا : أَتلعبَانِ بِالشِّطْرَنْج ؟ فقَالَ جَعْفَرٌ ، وَكَانَ أَجْرَأَهُمَا : نَعَمْ ! قَالَ : فهَلْ لَاعبْتَ أَخَاكَ بهَا ؟ قَالَ جَعْفَرٌ : لَا ! قَالَ : فَالْعبَا بهَا بَيْنَ يدَىَّ لأَرَى لِمَنْ الغَلَبُ . فقَالَ جَعْفَرٌ : نَعَمْ ! وَكَانَ الفَضْلُ أَبْصَرَ مِنْهُ بهَا . فَجِىءَ بالشِّطْرَنْج فَصُفَّتْ بَيْنَهُمَا ، وَأَقْبَلَ عليها جَعْفَرٌ وَأَعْرَضَ عنها الفَضْلُ . فقَالَ لَهُ أَبُوهُ : مَالَكَ لَا تُلَاعِبُ أَخَاكَ ؟ فقَالَ : لَا أُحِبُّ ذٰلِكَ . فقَالَ جَعْفَرٌ : إنَّهُ يرَى أَنَّهُ أَعْلَمُ بهَا مِنى فيَأْنَفُ من مُلَاعبَتى ، وأَنَا أُلَاعِبُهُ مُخَاطَرَةً(١) . فقَالَ الفَضْلُ : لا أَفعَل . فقَالَ أَبُوهُ : لَاعِبْهُ وَأَنَا مَعَكَ . فقَالَ جَعْفَرٌ : رَضِيتُ . وَأَبَى الفَضْلُ وَاسْتَعْفَى(٢) أَبَاهُ فَأَعْفَاهُ . ثُمَّ قَالَتْ لِى : قَدْ حَدَّثْتُكَ فَاقْضِ . فقُلْتُ : قَدْ قَضَيْتُ بِالفَضْلِ للفَضْلِ على أَخيهِ . فقَالَتْ : لَوْ عَلِمتُ أَنَّكَ لَا تُحْسِنُ القَضَاءَ لمَا حَكَّمْتُكَ . أَفَلَا ترَى أَنَّ جَعْفَرًا قَدْ سَقَطَ أَرْبَعَ سَقَطَاتٍ تَنَزَّهَ الفَضْلُ عَنْهُنَّ : فَسَقَطَ حِينَ اعْتَرَفَ على نَفْسِهِ بِأَنَّهُ يَلْعَبُ بالشِّطْرَنْج ، وَكَانَ أَبُوهُ صَاحِبَ جِدٍّ(٣) . وَسَقَطَ فى الْتِزَامِ مُلَاعبَةِ أَخيهِ ، وَإِظْهَارِ الشَّهْوَةِ لِغَلَبِهِ ، والتَّعَرُّضِ لِغَضَبِهِ . وَسَقَطَ فى طَلَب الْمُقَامَرَةِ وَإِظْهَارِ الحِرْصِ على مَالِ أَخِيهِ . والرَّابعَة قَاصِمَة الظَّهْرِ حِينَ قَالَ أَبُوهُ لِأَخِيهِ : لَاعِبْهُ وَأَنَا معَكَ . فقَالَ أَخُوهُ لَا ، وَقَالَ هُوَ نعَمْ ،

---

(١) المخاطرة المراهنة ، يقال : لاعبه على خطر بفتحتين أى على رهان .

(٢) استعفاه من كذا : طلب منه ألا يكلفه به .

(٣) الجد بكسر الميم : ضد الهزل .

فَنَاصَبَ(١) صَفًّا فِيهِ أَبُوهُ وَأَخُوهُ . فَقُلْتُ : أَحْسَنْتَ وَاللهِ ! وَإِنَّكَ لَأَقْضَى مِنْ الشَّعْبِي(٢) ثُمَّ قُلْتُ لَهَا : عَزَمْتُ(٣) عَلَيْكِ أَخْبِرِينِي : هَلْ خَفِيَ مِثْلُ هَـذَا على جَعْفَر وقد فَطَنَ لَهُ أَخُوهُ ؟ فَقَالَتْ : لَوْلَا العَزْمَةُ لَمَا أَخْبَرْتُكَ ، إِنَّ أَبَاهُمَا لَمَّا خَرَجَ قُلْتُ لِلْفَضْلِ خَالِيَةً بِهِ : مَا مَنَعَكَ من إِدْخَالِ السُّرُورِ عَلَى أَبِيكَ بِمُلَاعَبَةِ أَخِيكَ ؟ قال : أَمْرَانِ : أَحَدُهُمَا لَوْ أَنِّي لَاعَبْتُهُ لَغَلَبْتُهُ فَأَخْجَلْتُهُ ، والثَّانِي قَوْلُ أَبِي لاعِبْهُ وَأَنَا مَعَكَ ، فما يَسُرُّنِي أَنْ يَكُونَ أَبِي مَعِي على أَخِي . ثُمَّ خَلَوْتُ بِجَعْفَرٍ فَقُلْتُ لَهُ : يَسْأَلُ أَبُوكَ عن اللَّعِبِ بالشِّطْرَنْج فَيَصْمُتُ أَخُوكَ وَتَعْتَرِفُ ، وَأَبُوكَ صَاحِبُ جِدٍّ . فَقَالَ : إِنِّي سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : إنه نِعْمَ لَهْوِ البَالِ المَكْدُودِ(٤) . وَقَدْ عَلِمَ ما نَلْقَاهُ مِن كَدِّ التَّعَلُّمِ وَالتَّأَدُّبِ ؛ وَلَمْ آمَنْ أَنْ يَكُونَ بَلَغَهُ أَنَّا نَلْعَبُ بِهَا ، وَلَا أَنْ يُبَادِرَ فَيُنْكِرَ ؛ فَبَادَرْتُ بِالإِقْرَارِ إِشْفَاقًا عَلَى نَفْسِي وعليه ، وَقُلْتُ : إِنْ كَانَ تَوْبِيخٌ فَدَيْتُهُ مِنَ المُوَاجَهَةِ بِهِ . فقلتُ لَهُ : يا بُنَيَّ : فَلِمَ تَقُولُ أَلَاعِبُهُ مُخَاطَرَةً ؟ كَأَنَّكَ تُقَامِرُ أَخَاكَ وَتَسْتَكْثِرُ مَالَهُ . فقال : كَلَّا وَلَكِنَّهُ يَسْتَحْسِنُ الدَّوَاةَ التي وَهَبَهَا لي أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ ، فعرَضْتُهَا عليه فَأَبَى قَبُولَهَا ، وَطَمِعْتُ أَنْ يُلَاعِبَنِي فَأُخَاطِرَهُ عليها وهو يَغْلِبُنِي فَتَطِيب نَفْسُهُ بِأَخْذِهَا . فَقُلْتُ لَهَا : يا أُمَّاهُ مَا كَانَتْ هٰذِهِ الدَّوَاةُ ؟ فقالتْ : إِنَّ جَعْفَرًا دَخَلَ على أمير المُؤْمِنِينَ فَرَأَى بَيْنَ يَدَيْهِ دَوَاةً من العَقِيقِ الأَحْمَرِ مُحَلَّاةً بالياقُوتِ الأَزْرَقِ وَالأَصْفَرِ فَرَآهُ يَنظُرُ

---

(١) ناصبه : عاداه وقاومه . وناصبه العداوة : أظهرها له .

(٢) الشعبي بفتح الشين وسكون العين أحد رجال الحديث والقضاء .

(٣) عزم عليه : أقسم عليه . والاسم منه العزمة والعزيمة بفتح العين فيهما .

(٤) كده الشيء فهو مكدود : أتعبه وأجهده .

إليها فوهبها له . فقلت إيه . فقالت : ثم قلت لجعفر هبك[1] اعتذرت بما سمعت فما عذرك من الرضا بمناصبة أبيك حين قال لاعبه وأنا معك ؟ فقلت أنت : نعم ، وقال هو : لا . فقال : عرفت أنه غالبي ، ولو فتر لعبه لتغالبت[2] له ، مع ماله من الشرف والسرور بتحيز أبيه إليه . قال محمد بن عبد الرحمن فقلت : بخ بخ[3] ، هذه والله السيادة . ثم قلت لها : يا أماه : أكان منهما من بلغ الحلم ؟ فقالت : يا بني : أين يذهب بك ؟ أخبرك عن صبيين يلعبان فتقول : أكان منهما من بلغ الحلم ، لقد كنا ننهى الصبي إذا بلغ العشر وحضر من يستحى منه أن يبتسم .

(٥) الصولى[4]

من رسائله فى تعزية على لسان المنتصر بالله إلى طاهر بن عبد الله مولى أمير المؤمنين :

أما بعد ، تولى الله توفيقك وحياطتك ، وما يرتضيه منك ويرضاه عنك ! إن أفضل النعم نعمة تلقيت[5] بحق الله فيها من الشكر وأوفر حادثة ثوابا حادثة

---

(١) يقال :هبك صنعت كذا أى افرض أنك صنعت . وهى كلمة ملازمة للأمر لا تنصرف لغيره من الأفعال . (٢) فتر يفتر من باب نصر ومن باب ضرب : ضعف .

(٣) بخ بفتح الباء وسكون الخاء : اسم فعل للمدح واظهار السرور بالشىء . ويكرر للمبالغة فيقال : بخ بخ بالكسر والتنوين .

(٤) هو أبو اسحاق ابراهيم بن العباس بن محمد ابن عم عمرو بن مسعدة . نشأ ببغداد وأخذ العلم عن علماء زمانه واشتغل بالشعر ونبغ فيه ومدح كثيرا من الأمراء ، وتولى فى خلافة المتوكل ديوان النفقات . وكان من أكبر الكتاب ومن أفذاذهم المعروفين فى زمانه حتى لقب بكاتب العراق وله رسائل كثيرة أشهرها ما كتبه فى التعازى . توفى بسر من رأى سنة ٢٤٢ هـ .

(٥) تلقى الشىء : بمعنى لقيه .

أدّى حقَّ اللهِ منها من الرِّضا والتَّسْليم والصَّبرِ ، ومثْلُكَ من قدَّمَ ما يجبُ للهِ عَلَيْهِ في نِعْمَةٍ فشكرَها ، وفي مُصيبةٍ فأطاعَهُ فيها . وَقدْ قضى اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى في محمد بن إسْحاقَ مَوْلَى أميرِ المؤمنين (عفَا اللهُ عنه) قضاءَهُ السَّابقَ والمُوقَّعَ(١) . وفي ثَوابِ اللهِ وَرِضا أمير المؤمنين (أدام اللهُ عِزَّهُ) وتقديمِ ما يُقدِّمُ مثْلَه أهلُ الحِجا(٢) والْفَهمِ ما اعتاضَه(٣) مُعْتاضٌ وقدَّمهُ موفَّقٌ . فلْيَكُنْ اللهُ (عزَّ وجلَّ) وَمَا أطعْتَهُ بهِ وقدَّمتَ حقَّه فيهِ أَوْلَى بكَ في الأُمورِ كُلِّها ؛ فإنَّكَ إنْ تتقرَّبْ إليه في المكْرُوهِ بطاعَتِه . يُحسنْ وِلايتَكَ في تَوْفيقِك لشُكرِ نِعمِهِ عِندَكَ .

* * *

ومن رسائله القِصارِ على لسان المتوكل لأهل حمص الخارجين عليه ، وهي من الرسائل التي أغنت عن الجيوش :

أمَّا بعْدُ ، فإنَّ أميرَ المؤمنين يَرى مِنْ حَقِّ اللهِ عَلَيْهِ مِمَّا قوَّم بهِ منْ أَوَدٍ(٤) ، وعَدَّلَ به مِنْ زَيْغٍ(٥) ، وَلَمَّ بهِ مِنْ مُنتَشِرٍ ، استعْمالَ ثلاثٍ يُقدِّمُ بَعْضهُنَّ على بَعْضٍ : أولاهُنَّ مَا يتقدَّمُ بهِ مِنْ تنْبيهٍ وَتوْقيفٍ(٦) ، ثمَّ مَا يسْتَظْهرُ(٧) بهِ مِنْ تحْذيرٍ وتخْويفٍ ، ثم التي لا يَقعُ بحَسمِ الدَّاءِ غيْرُها :

---

(١) الموقع : المقدر . (٢) الحجا : العقل .

(٣) اعتاض منه : أخذ العوض واعتاض واستعاض فلانا سأله العوض .

(٤) الأود هنا : الاعوجاج .

(٥) الزيغ : الميل عن الحق .

(٦) وقفه على الشيء : أفهمه .

(٧) استظهر به : استعاذ .

(٨) حسمه : قطعه مستأصلا اياه .

أَنَاةٌ (١) ، فإن لم تُغْنِ عَقَّبَ بَعْدَهَا   وَعيدًا ، فإن لمْ يُغْنِ أَغْنَتْ عَزَائِمُهْ

وكتب إلى ابن الزيات (٢) يستعطفه :

كَتَبْتُ وَقَدْ بَلَغَتْ المُدْيَةُ (٣) المحزَّ (٤) ، وَعَدَتِ (٥) الأَيَّامُ بِكَ عَلَيَّ بَعْدَ عَدْوَايَ (٦) بِكَ عَلَيْهَا وَكَانَ أسوأَ الظَّنِّ وَأَكْثَرَ خَوْفِي أَنْ تَسْكُنَ فِي وَقْتِ حَرَكَتِهَا وَتَكُفَّ عِنْدَ أَذَاتِهَا (٧) ، فَصِرْتَ أَضَرَّ عَلَيَّ مِنْهَا ؛ فَكَفَّ الصَّدِيقُ عَنْ نُصْرَتِي (٨) خَوْفًا منكَ ، وَبَادَرَ (٩) إِلَيَّ العَدُوُّ تَقَرُّبًا إِلَيْكَ :

وَكَتَبَ تَحْتَ ذَلِكَ :

أَخٌ بَيْنِي وَبَيْنَ الدَّهْـــرِ صَاحَبَ أَيَّنَا غَلَبَا (١٠)

---

(١) الأناة : الحلم والانتظار والتمهل .

(٢) ابن الزيات : أحد الوزراء والكتاب .

(٣) المدية مثلثة الميم : السكين .

(٤) المحز بفتح الميم : موضع الحز أى القطع . يقال : قطع فأصاب المحز . والمحز بكسر الميم: آلة الحز . يريد أن الأمر وصل الى غايته من الشدة .

(٥) عدت الأيام : اعتدت .

(٦) العدوى هنا : اسم مصدر أعدى فلانا على فلان : نصره وأعانه . يريد بعد أن استعنت بك على الأيام .

(٧) الأذاة : الأذى . يريد من قوله (وكان أسوأ الظن الخ . .) أنه كان يظن أن أسوأ ظنه فى ابن الزيات ألا يعين الأيام عليه اذا أصابته بأذى فاذا هو أضر عليه منها وأشدى أذى له .

(٨) النصرة : النصر وحسن المعونة .

(٩) بادر الى الشىء : أسرع .

(١٠) يصف الصديق الذى أشار اليه بأن يكون معه حينما يكون الزمان معه ويكون عليه حينما يخونه الدهر .

صديقي ما استقام وإنْ نبا دهرٌ عليَّ نبا (١)
وثبتُ على الزمانِ به فعادَ به وقدْ وثبا (٢)
ولو عادَ الزمانُ لنا لعادَ به أخا حدبا (٣)

ثانياً — النثر العلمى

(١) أبو يوسف (٤)

قال فى كتاب « الخراج » :

وأنا أرى أنْ تبعثَ قوما من أهل الصلاح والعفافِ ممَّن يُوثَقُ بدينِهِ وأمانتِهِ يسألونَ عنْ سيرة العُمَّالِ وما عملوا به فى البلاد ، وكيف جبَوا الخراجَ على ما أُمِرُوا به ، وعلَى ما وُظِّفَ علَى أهْلِ الخراج واستقر ؛ فإذا ثبتَ ذلك عندكَ وصحَّ ، أُخذُوا بما استفضَلُوا من ذلك أشدَّ الأخذ حتى يُؤَدُّوهُ بعْدَ العقوبة الموجبةِ والنَّكالِ ، حتى لا يتعدَّوْا ما أُمِرُوا به ، وما عُهِدَ إليهم فيه ، فإنَّ كلَّ ما عَمِلَ به والى الخراج من الظُّلْمِ والعَسَفِ فإنَّما يُحمَلُ علَى أنَّهُ قدْ أُمِرَ بهِ ، وقد أُمِرَ بغيْرِهِ ، وإن أحْلَلْتَ بواحدٍ منهم العقوبةَ المُوجِعَةَ انتهى غيْرُهُ واتَّقَى وخَافَ ، وإنْ لم تفعلْ هذا بهم تعدَّوْا علَى أهْلِ الخراج واجترءوا على ظُلْمِهِمْ وتعسفِهِمْ وأخْذِهِمْ بما لم يجب عليهم . وإذا صح عندكَ مِنَ العامل والوالى تعدٍّ بظلم وعسف وخيانةٌ لك فى رعيتك واحتجان

---

(١) نبا بصره : تجافى وتباعد. ونبا عليه الدهر : جفاه وتباعد عنه . وهذا توضيح لمعنى البيت الأول .

(٢) وثب : قفز ونهض . يقول هجمت على الزمان به فرجع عن معاونتى وهجم على مع الزمان

(٣) حدب عليه : تعطف . وأخ حدب بفتح الحاء وكسر الدال : شفيق . يريد أنه اذا صادقه الزمان عاد ذلك النابى عليه صديقا له.

(٤) أبو يوسف هوالقاضى يعقوب بن ابراهيم الأنصارى الكوفى أخذ الفقه عن الامام أبي حنيفة وكان نابها مقدما وضع كتاب (الخراج) للرشيد .

شىءٍ من الفيء ، أو خُبث طُعمَتِهِ أو سُوءِ سـيرته فحرامٌ عليك استعمالُه والاستعانةُ بهِ ، وَأَنْ تُقلِّدَهُ شيئاً من أمورِ رعيتكَ أو تُشرِكَهُ فى شىءٍ من أمرِكَ ، بَلْ عاقِبْهُ عَلَى ذَلِكَ عقوبةً تردعُ غَيره من أن يتعرَّضَ لِمثْلِ مَا تعرَّضَ لهُ . وإياكَ ودعوةَ المظلومِ فإنَّ دَعْوَتَهُ مُجابةٌ .

(٢) من كتاب التاج المنسوب للجاحظ[1]

كان أَرْدَشِيرُ بنُ بَابَكَ أوّلَ مَن رتّبَ النُّدَماءَ [2] وأخذَ بِزِمَامِ سياسَتِهم ، فجعلهم ثَلاثَ طَبقَاتٍ :

فكانت الأَساوِرةُ[3] وأبناءُ المُلوكِ فى الطّبقَةِ الأولى ، وكان مجلسُ هذه الطَّبقَةِ من الملكِ على عشَرة أذرعٍ من السِّتَارَةِ .

ثم الطَّبقَة الثانية كان مجلسُها من هذه الطبقة على عشرة أذرع (وهم بِطانةُ الملك وندماؤُه ومحدِّثوه من أهلَ الشَرَفِ والعِلْمِ) .

ثم الطَبقَةُ الثالثةُ كان مَجْلِسُهم على عَشْرةِ أذْرُعٍ من الثانيةِ وهُم المُضحِكونَ وأهلُ الهزْلِ والبَطَالةِ ، غيْرَ أنه لم يكُن فى هَذه الطَّبقَةِ الثَّالِثَةِ خَسيسُ الأَصْل

---

(١) هو أبو عثمان عمرو الجاحظ بن بحر بن محبوب الكنانى البصرى. ولد بمدينة البصرة وتربى بها ودرس هناك كل ما كان ذائعا من العلوم والفنون فى أيامه ولازم ابراهيم بن سيارالنظام المتكلم المعتزلى وأخذ عنه حتى صار زعيم فرقة تنسب اليه وعرف كثيرا من كبار الكتاب والمترجمين والفرس وغيرهم وقرأ كل ما ترجم فى زمانه ووقع عليه نظره فكان من كبار العلماء والكتاب ومات بالبصرة سنة ٢٥٥ هـ .

(٢) نادمه على الشراب منادمة : جالسه عليه . والنديم : المنادم على الشراب . والنديم أيضا الرفيق والصاحب .

(٣) أساورة الفرس : هم الفرسان .

ولا وَضِيعُهُ ، ولا نَاقصُ الجَوَارِح (١) ، ولا فَاحشُ الطُّول والقِصَر ، ولا مَؤُوفٌ (٢) ، ولا مرمىٌّ بأُبْنَة ، ولا مَجْهُولُ الأَبوَيْن ، ولا ابنُ صناعة دَنيئةٍ كَابْن حائك أو حَجّامٍ ولو كان يعلَمُ الغَيْب مثلاً .

وكان أردشير يقول : « ما شيءٌ أسرعَ فى انتِقَال الدُّوَل وخَرَابِ المَمْلَكة من انْتِقَالِ هذه الطبقات عن مَرَاتبها ، حتى يُرْفَعَ الوَضِيعُ إلى مَرْتبَةِ الشّرِيفِ ، ويُحطَّ الشّريفُ إلى مرتبةِ الوضيعِ . وكان الذى يقابل الطَّبقَةَ الأولى من الأساوِرَةَ وأبناءِ المُلُوكِ أهلُ الحَذَاقة بالمُوسيقِيَّاتِ والأَغَانِى . فكانوا بإزاء هؤُلاء نُصْبَ خَط الاستِواءِ . وكان الذى يُقَابِلُ الطَّبَقَةَ الثانيةَ من نُدَماءِ الملكِ وبِطانته الطَّبَقَةُ الثانيةُ من أصحابِ المُوسيقِيَّات . وكان الذى يُقَابِلُ الطَّبَقَةَ الثَّالثَة من أصحابِ الفُكَاهَاتِ والمُضحِكِين أصحابُ الوَنج (٣) والمعَازِف والطَّنَابِير (٤) ، وكان لا يَزْمُرُ الحاذِقُ من الزَّامِرِينَ إلا على الحاذِقِ من المُغَنِّين . وإن أمَرَه الملكُ بذلك رَاجَعَهُ واحتجَّ عليه » .

(٣) من كتاب الكامل المبرِّد (٥)

قَالَ أبُو العَبَّاسِ مِنْ أمْثَالِ العَرَب : « لم يَذْهَبْ مِنْ مَالك مَا وَعَظَك » يَقُولُ : إذا ذَهَبَ مِنْ مَالكَ شيءٌ فَحَذَّرَكَ أنْ يَحلّ بِكَ مِثْلُه فَتَأْدِيبُه إيَّاكَ عِوَضٌ مِنْ ذَهَابه .

---

(١) الجوارح جمع جارحة وهى العضو من الانسان .

(٢) أى مصاب بآفة . الأبنة : العيب .

(٣) كلمة فارسية معربة والعرب تقول الون بتشديد النون وهى الصنج آلة من آلات الطرب.

(٤) الطنبور والطنبار : من الآلات الموسيقية التى أخذها العرب عن الفرس .

(٥) المبرد هو أبو العباس محمد بن يزيد الأزدى . ولد فى البصرة وانتقل الى بغداد وكان قوى الذاكرة سريع الحفظ يعد من شيوخ النحو والأدب له جملة مصنفات منها كتاب الكامل الذى يمزج الأدب باللغة والتاريخ ويعد من أمهات الكتب الادبية . وقد مات المبرد سنة ٢٨٦ هـ .

ومن أمثالِهِم : « رُبَّ عَجلَةٍ تَهَبُ رَيْثاً » وَتأْوِيلُهُ أنَّ الرَّجُلَ يَعْمَلُ العمَلَ فَلاَ يُحْكِمُه للاسْتِعْجَالِ بهِ ، فَيحتَاجُ إلى أَنْ يعُودَ فينَقُضَهُ ، ثمَّ يَسْتَأْنِفَ . وَالرَّيْثُ : الإبْطَاءُ ، ورَاثَ عَليْه أَمْرُه : إذَا تَأَخَّرَ . ومن أَمثَالِ العرَب : « عَشِّ ولا تَغْتَرَّ » وأَصْلُ ذلك أن يَمُرَّ صَاحِبُ الإبل بالأرْضِ المُكلِئَةِ[1] فيَقُول : أَدعُ أنْ أُعَشِّيَ إبلى مِنْهَا حَتَّى أَرِدَ عَلَى أُخْرَى ، ولا يَدْرِى ما الّذى يَرِدُ عَلَيْه . وقَرِيبٌ مِنْهُ قَوْلُهُمْ : « أَنْ تَرِدَ المَاءَ بِماءٍ[2] أَكْيَسُ » وَتأْوِيله أنْ يَمُرَّ الرَّجُلُ بالمَاءِ فَلاَ يَحملَ مِنْه اتِّكالاً عَلى مَاءٍ آخَرَ يَصِيرُ إليْهِ ؛ فَيقَالُ له : أَنْ تَحْمِلَ مَعَكَ مَاءً أحْزَمُ لَكَ ، فَإنْ أَصبْتَ مَاءً آخَرَ لَمْ يَضُرَّكَ ، فإنْ لَمْ تَحْمِل فَخَفَفْتَ من المَاءِ عَطِبْتَ[3] . وَمِنْ أَمْثَالِهِم : « قَدْ أَحْزِمُ لَوْ أَعْزِمُ » يَقُولُ : أَعْرِفُ وَجْهَ الحزْمِ فإن عَزمْتُ فَأَمْضَيْتُ الرّأْىَ فأَنَا حَازِمٌ ، وَإنْ تَرَكْتُ الصَّوَابَ وَأَنَا أَرَاهُ وضَيَّعْتُ العَزْمَ لم ينفَعْنِى حَزْمِى . ومِثْلُهُ قَوْلُ النّابغَةِ الجعْدِى :

أَبَى لِى الْبَلاَءُ وأَنِّى امرُؤٌ إذا ما تَبَيَّنْتُ لم أَرْتَبِ

وقال أعْرَابى يَمْدحُ سَوَّارَ بْنَ عَبْدِ الله :

وَأَوْقَفُ عِنْدَ الأَمْرِ مَا لَمْ يَضِحْ لَهُ وأَمْضَى إذَا مَا شَكَّ مَنْ كَانَ مَاضِياَ[4]

فالّذى يُحْمَدُ إمْضَاءُ ما تَبَيَّنَ رُشْدُهُ ، فأَمَّا الإِقْدَامُ عَلَى[5] الغَرَرِ ، وَرُكوب الأَمْرِ عَلَى الخطَرِ ، فَلَيْسَ بِمَحْمُودٍ عِنْدَ ذَوِى الأَلْبَاب .

---

(١) أكلأت الأرض : كلؤها الكلأ : العشب رطبا ويابسا .

(٢) بماء أى مع ماء . والكياسة : الفطانة . ورجل كيس : فطن . والأكيس : اسم تفضيل منه .

(٣) عطبت : هلكت .

(٤) أوقف اسم تفضيل من (الوقوف) ووضح الأمر (يضح) : انكشف وبان . مضى على الأمر : أتمه . يقول انه أشد تحرجا من المضاء فى الأمر اذا ما يتبين له وجه الصواب فيه ؛ على أن له من الفطنة والألمعية ما يبعثه على المضاء راشدا فى حين يمضى غيره .

(٥) الغرر بفتح الغين والراء : التعريض للهلاك .

(٤) من تاريخ الأمم والملوك للطبرى[١]

« خـــلافة الأمين »

وفى هذه السنة (١٩٣ هـ) بُويِعَ لِمُحَمَّد الأَمِينِ بنِ هَارونَ بالخِلَافَةِ فى عَسْكَرِ الرَّشِيدِ ، وَعَبْدُ الله بنُ هَارُونَ المَأْمُونُ يَوْمَئِذٍ بمَرْو ؛ وَكَانَ فِيمَا ذُكِرَ قَدْ كَتَبَ حَمَّوَيْهِ مَوْلَى المَهْدِى صَاحِبُ البريدُ بِطُوس إلى أبى مُسْلِم سلام مَوْلاهُ وَخَلِيفَتِهِ ببَغْدَاد عَلَى البريد والأَخْبارِ يُعْلِمُهُ وَفَاةَ الرَّشِيدِ . فَدَخَلَ على مُحَمَّدٍ فعزَّاهُ وَهنَّأَهُ بالخِلَافَةِ . وَكَانَ أَوَّلَ النَّاسِ فَعَلَ ذَلِكَ . ثُمَّ قَدِمَ عَلَيْهِ رَجَاءٌ الخَادِمُ يَوْمَ الأَرْبعاءِ لِأَرْبَعَ عَشَرَةَ لَيلَة خَلَتْ من جمادى الآخِرَةِ : كَانَ صَالِحُ بن الرَّشيد أرسَلَهُ إليْه بالخَبَرِ بِذَلِكَ ، وقِيلَ لَيْلَة الخميس للنِّصْفِ مِنْ جُمَادى الآخِرَةِ ، فَأَظْهَرَهُ يوم الجُمُعَةِ وسَتَرَ خَبَرَهُ بَقيَّةَ يَوْمه وَلَيْلَتَهُ ، وَخَاضَ النَّاسُ فى أمْرِه ، ولمَّا قدِمَ كتَابُ صَالح عَلَى مُحَمَّدٍ الأمين مَعَ رَجَاء الخَادِمِ بوَفَاةِ الرَّشِيد . وَكَانَ نَازِلًا فِى قَصْرِهِ بالخُلْدِ ، تَحَوَّلَ إلَى قَصْر أبى جَعْفَرٍ بالمَدينَة ، وأَمَرَ النَّاس بالحضورِ ليومِ الجُمعَةِ فَحَضَرُوا وصلّى بهمْ فلمَّا قَضى صلاتَهُ صعِدَ المنبرَ فَحَمدَ اللهَ وأثنى عليه ونعى الرشيدَ إلى الناسِ وعزَّى نفسَهُ والناسَ ، ووعدهُم خيراً وبَسَطَ الآمالَ ، وأمَّنَ الأسْوَدَ والأبيضَ ، وبَايعهُ جِلَّةُ أهْلِ بَيْتِهِ وخاصَّته ومَوَاليه وقُوَّادُه ، ثُمَّ دَخَلَ وَوَكَلَ ببيعتهِ عَلَى منْ بَقِىَ مِنْهُمْ عمَّ أبيه سُليمانَ بن أبى جعفر فبايعهُمْ

---

(١) هو أبوجعفر محمد بن جرير الطبرى . ولد فى طبرستان ، ورحل الى بغداد وغيرها فى طلب العلم حتى صار من علماء الدين وأئمة البلاغة . له مؤلفات أشهرها تفسير القرآن وكتاب التاريخ الذى اقتبسنا منه هذه النبذة . وقد توفى سنة ٣١٠ هـ .

وأمرَ السِّنْدىّ بمبايعةِ جميعِ الناسِ منَ القوّاد وسائر الجُند ، وأمرَ للْجُندِ ممَّن بمدينَةِ السَّلَامِ برزقِ أربعةٍ وعشرينَ شهراً ، وبجواص مَنْ كانَتْ لهُ خَاصَّةٌ لهذهِ الشُّهُورِ .

(٥) من كتاب ألف ليلة وليلة
وهو من أشهر الكتب القصصية وأكبرها

له أصل فارسي يعد نواة له يسمى (هزار افسانه) .

حكاية خالد بن عبد الله القسرى مع الشاب السارق

ومما يُحكَى أنَّ خالد بن عبدالله القسرى كان أمير البصرة . فجاء إليه جماعة متعلقون بشاب ذى جَمَالٍ باهر ، وأدب ظاهر ، وعقل وافر ، وهو حسن الصورة طيب الرائحة ، وعليه سَكِينَة ووقار ، فقدَّمُوه إلى خالد فسألهم عن قصته ، فقالوا هذا لِصٌّ أصبناه[١] البارحة فى منزلنا ، فنظر إليه خالد فأعجبه حسن هيئته ونظافته . فقال : خلّوا عنه[٢] . ثم دنا منه ، وسأله عن قصته فقال : إنَّ القومَ صادقُون فِيما قالُوه والأمر على ما ذكروا . فقال له خالدٌ : ما حملك على ذلك وأنت فى هيئةٍ جميلةٍ وصورة حسنةٍ ؟ قال : حَمَلَنى على ذلك الطمعُ فى الدنيا وقضاء الله سبحانه وتعالى . فقال له خالدٌ : ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ[٣] ! أما كان لك فى جمالِ وجهك وكمالِ عقلك وحسن أدبك زاجرٌ يزجرُك عن السرقة . قال : دع عنك هذا أيها الأمير ! وامض[٤] إلى ما أمر الله تعالى به فذلك بما كسبتْ يدَاى ، وما الله بظلام للعبيد . فسكت خالدٌ ساعةَ

---

(١) أصبناه : أدركناه .

(٢) خلى عن الأمر بتشديد اللام المفتوحة : تركه .

(٣) ثكلت المرأة ابنها : فقدته ، وهى ثكلى كلمة للدعاء على الانسان ، وقد تستعمل للاعجاب بالرجل . .

(٤) أى نفذه .

يُفكر فى أمر الفتى ، ثم أدناه منهُ وقال له : إن اعترافَكَ على رءوس الأشهاد قد رابنى وأنا ما أظنك سارقاً ، ولعلَّ لك قصةً غير السرقة فأخبرنِي بهاَ . قال أيها الأمير : لا يقع فى نفسك شيء سوى ما اعترفتُ به عندكَ وليس لى قصةٌ أشرحُهاَ إلا أَنى دخلت دار هؤلاء فَسَرَقْتُ ما أمكننى ، فأدركونى ، وأخذوه منى وحملونى إليك . فأمر خالد بحبسه ، وأمَرَ منادياً ينادى بالبصرة : ألا من أحَبَّ أن ينظرَ إلى عقوبةِ فلانٍ اللص وقطع يده فليحضُرْ مِنَ الغدَاة إلى المحلِّ الفلانى . فلما استقر الفتى فى الحبس ووضعوا فى رجليه الحديد تنفَّس(١) الصُّعدَاءَ وأفاض العبرات . وأنشد هذه الأبيات :

هَدَّدنِي خالدٌ بقطع يَدِى إذ لَمْ أبُحْ عِنْدَهُ بِقصَّتِهاَ
فقُلْتُ هَيْهَاتَ أن أبُوحَ بِماَ تَضمَّنَ القلبُ مِنْ مَحبَّتِها !
قطعُ يَدِى بالذى اعترفتُ بهِ أهوَنُ لِلقَلْبِ مِنْ فَضِيحَتِها

فَسمِعَ ذلك الْمُوكلَّون بهِ ، فأتَوْا خالداً وأخبرُوهُ بمَا حَصَلَ مِنْهُ . فلمَّا جَنَّ(٢) الليلُ أمَرَ بإحضَارِهِ عندَهُ ، فلما حضرَ استَنْطَقَهُ فرآهُ عاقلاً أديباً فطناً ظريفاً(٣) لبيباً . فأمَرَ له بطعامٍ ، فأكلَ وتَحدَّثَ معهُ ساعةً ، ثمَّ قال له خالِدٌ قد عَلِمتُ أنَّ لك قِصة غَيْرَ السَّرِقَة فإذا كاَنَ الصَّباحُ وحضرَ الناسُ وحضرَ القاضِي وسألَكَ عن السرِقةِ فأنكِرْهَا ، واذْكُرْ ما يَدْرَأُ(٤) عنْكَ حَدَّ القَطْعِ ، فَقَدْ قال رسول الله

---

(١) الصعداء : التنفس الطويل من هم أو تعب .

(٢) جن الليل : أظلم .

(٣) فطن للأمر : ادركه وحذق فيه فهو فطن : الظرف : الكياسة والحذق والبراعة . ورجل (ظريف) : بارع كيس .

(٤) يدرأ عنك : يدفع عنك .

صلى الله عليهِ وسلَّمَ : « ادْرَءوا الحُدُودَ بالشُّبُهَاتِ » ثُمَّ أَمَرَ به إلى السِّجْنِ (وأَدْرَكَ شَهْرَزَاد الصَّباحُ فسكَتَتْ عَنْ الكلامِ المُبَاحِ) .

(وفى ليلة اثْنَتَيْنِ وأَرْبَعِينَ وثَلَثمِائَةٍ) قالتْ : بَلَغَنِى أيها الملكُ السَّعيدُ أنَّ خالداً بعدَ أنْ تحدّثَ معَ الشَّاب أَمَرَ بهِ إلى السجن فمَكَثَ فيهِ لَيْلَتَه ، فلمَّا أَصْبحَ الصَّباحُ حَضَرَ الناسُ ينظُرُونَ قَطْعَ يَدِ الشَّاب ، ولم يَبْقَ أحَدٌ فى البصرَةَ . ثُمَّ استدعَى بالقُضَاةِ وأَمرَ بإحضَارِ الفتى ، فأقْبَلَ يَحْجِلُ[(١)] فِى قُيُودِهِ ولَمْ يرَهُ أحدٌ مِنَ النَّاسِ إلَّا بَكَى عَلَيْه ، وارتفعت أصواتُ النساءِ بالنحيب ، فأَمرَ القاضى بتسكيت النِّسَاءِ . ثُمَّ قال : إن هَؤُلَاءِ القَوْمَ يزْعُمُونَ أنَّكَ دَخَلْتَ دارَهُمْ وَسَرَقْتَ مَالَهُم فلعلَّكَ سرقْتَ دُونَ النِّصابِ[(٢)] ؟ قَالَ : بَلْ سَرَقْتُ نِصاباً كاملاً . قال : لعلَّكَ شَرِيكُ الْقوْمِ فِى شىءٍ منه ؟ قال : بل هو جَمِيعُهُ لَهُمْ لا حَقَّ لى فيهِ . فغَضِبَ خالدٌ ؛ وقَامَ إليهِ بنفسِهِ ، وضَرَبَهُ عَلَى وَجْهِهِ بالسَّوْطِ وقَالَ مُتَمَثِّلاً بهذَا البَيْتِ :

يُرِيدُ المَرْءُ أَنْ يُعطَى مُنَاهُ   وَيَأْبَى اللهُ إلَّا مَا يُرِيدُ

ثُمَّ دَعَا بالجزَّارِ ليَقْطَعَ يَدَهُ فَحَضَرَ وأخْرَجَ السكِّينَ ومدَّ يَدَهُ وَوَضَعَ عَلَيْها السكينَ ، فَبَادَرَتْ جارِيَةٌ من وَسَطِ النِّساء عليها أطمارٌ[(٣)] وسِخَةٌ فصَرَخَتْ ورَمَتْ نفسهَا عليه ، ثم أسفرت عن وجهٍ كأنّه القمرُ ، وارتفع

---

(١) حجل (يحجل): رفع رجلا ومشى متريثا على الأخرى .

(٢) نصاب السرقة : ما يجب فيه قطع اليد .

(٣) الطمر بكسر الطاء وسكون الميم : الثوب البالى والجمع أطمار .

فى الناسِ ضجةٌ عظيمة ، وكاد أن يقع بسببِ ذلك فتنةٌ طائرةُ الشررِ ، ثم نادتْ تلك الجاريةُ بأعلى صوتِهَا ناشدتُك[1] الله أيها الأميرُ ! لا تُعجِّل بالقطعِ حتى تقرأَ هذهِ الرُّقْعَةَ[2] ، ثمَّ دفعت إليه رُقعةً ففتَحها خالدٌ وقرأَهَا فإذا مكتوبٌ فيها هذه الأبياتُ :

أخالدُ هـذا مُستَهامٌ[3] مُتيَّمٌ   رَمَتْهُ لِحَاظى عَنْ قِسِيِّ الحمَالِقِ[4]

فأصْماهُ[5] سَهمُ اللَّحْظِ مِنِّى لأنه   حَلِيفُ جوًى[6] مِنْ دَائه غير فائق

أقَـرَّ بمَا لَمْ يَقْـتَرِفْهُ كأنَّهُ   رَأى ذَاكَ خيراً مِن هَتِيكَةِ[7] عَاشِقِ

فَمَهْـلاً عَن الصَّب الـكَئِيبِ؛ فإنَّهُ   كَرِيمُ السَّجَايَا فِى الوَرَى غيرُ سارِقِ

فلما قرأ خالدٌ الأبيات تنحَّى ، وانفَرَدَ عَن الناسِ ، وأحضرَ المرأة ثمَّ سألَها عَن القصَّةِ فأخبرَتْهُ بأنَّ هَـذَا الفَتَى عاشقٌ لَهـا ؛ وَهِيَ عاشقةٌ له . وإنما أراد زِيَارَتَهَا فتوجَّه إلى دارِ أهْلِهَا وَرَمى حَجَراً فِي الدارِ لِيُعلِمَهـا بمَجيئِهِ فسمِـعَ أبُوها وإخوَتُها صوتَ الحجرِ فصعدُوا إليهِ . فلما أحَسَّ بهم جَمَعَ قُمَاشَ[8] البَيْتِ كلَّهُ وأَرَاهم أنَّهُ سَارِقٌ

(١) ناشده الله : استحلفه واقسم عليه بالله .

(٢) الرقعة هنا : القطعة من الورق التى يكتب فيها .

(٣) مستهام : مخلوب العقل من الحب .

(٤) حملاق العين بضم الحاء وسكون الميم : وحملاقها بكسر الحاء باطن أجفانها ، والجمع حمالق وحماليق والمراد نفس العيون .

(٥) أصمى الصيد : رماه فقتله مكانه وهو يراه .

(٦) الجوى : شدة الوجد من حزن أو عشق . والحليف : اللازم . يقال فلان حليف جود أى ملازم للجود .

(٧) الهتيكة : الفضيحة .

(٨) قماش البيت : أمتعته .

سَتراً عَلَى معشُوقَتِه . فلما رأَوهُ على هذِهِ الحَالَةِ أَخَذوهُ . وقالُوا : هَذَا سارِقٌ . وأَتَوا بهِ إليك فاعتَرَف بالسرقَةِ وأَصرَّ على ذَلِكَ حتى لا يَفضَحَنِى ، وقدْ ارتَكبَ هَذِه الأُمُورَ مِنْ رَمى نَفْسه بالسَّرقةِ لِفَرْطِ مُرُوءَتِهِ ، وَكَرَمِ نفسِه ، فقالَ خالدٌ : إنَّهُ لَخليقٌ بأَنْ يُسْعَفَ بمُرَادِهِ ، ثمَّ استَدْعَى الفَتَى إليْهِ فقبَّلَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وأَمَرَ بإحْضَارِ أبى الجَارِيَةِ ، وقَالَ لَهُ : يَا شَيْخُ ، إنَّا كُنَّا عَزَمْنَا عَلَى إنْفَاذِ الْحُكمِ فى هَذَا الْفَتَى بالقَطْعِ ، ولَكنَّ اللهَ عزَّ وجَلَّ قَدْ حَفِظَهُ مِنْ ذَلِكَ . وقَدْ أَمَرْتُ لَهُ بعَشَرَةِ آلافِ دِرْهَمٍ لِبَذلِهِ يَدَهُ حِفْظاً لِعرضكَ وعِرْضِ بِنْتِكَ وصِيانَتِكُما مِنَ الْعَار . وقَدْ أَمَرْتُ لِابْنَتِكَ بعَشَرَةِ آلافِ دِرْهَمٍ حَيْثُ أَخْبَرَتْنِى بحَقِيقَةِ الأَمْرِ . وأَنَا أَسْأَلُكَ أَن تَأْذَنَ لِى فى تَزْوِيجِهَا مِنْهُ ، فقَالَ الشيخُ : أَيها الأَميرُ ! قد أَذِنتَ لَكَ فى ذلِكَ ! فَحَمِدَ اللهَ خالدٌ وأَثنَى عَلَيْهِ ، وخَطَبَ خُطْبَةً حَسَنَةً ، (وأَدْرَكَ شهر زَادَ الصَّبَاحُ فسَكَتَتْ عَنْ الكَلامِ المُبَاح) .

(ب) الشعر

(١) بشّار بن بُرْد[١]

قال بشّـار بن برد يهجو العبّاس بن محمد بن على بن عبد الله بن عبـاس ، وقد استمنحه فلم يمنحه :

ظِلُّ اليسار على العبّاس ممدود   وقلبُـه أَبداً بالبخل مَعقود[٢]

إنَّ الـكريمَ ليخفى عنك عُسْرَته   حتى تراهُ غَنِيـاً وهو مَجهود[٣]

وَللبخيـل على أموالِهِ عِللٌ   زُرقُ العيون عليها أَوجهٌ سود[٤]

(١) هو أبو معاذ بشـار بن برد ، أصـل آبائه من بلاد الفرس ، وقع عليهم سبى فآل ملك أبى بشار لبنى عقيل وفيهم ولد بشار . ولما كبر صار يختلف الى أعراب البصرة حتى أخذ منهم العربية وتعلم الشـعر ونبغ فيه ، وقد ولد أعمى ثم أصابه الجـدرى فصار قبيح المنظر ، ولكنه كان شديد الذكاء واسع الخيال ذا ملكة فى الشـعر قوية ، يعد من أكبر شعراء عصره وفى مقدمة المحدثين وأهل الافتنان ، ومن أصحاب المعانى المخترعة فى الشعر العربى ، وكان كثير الهجاء للناس ماجنا ، متهما فى دينه بالزندقة ، لايبالى ما يقول ولا ما يفعل ، ولا ما يرتكب من التهتك والكلام فى أعراض الناس . وقد تصرف بشار فى فنون الشـعر ومعانيه ، وذاع شعره فى زمانه ، وصار اماما بين الشعراء ، وكان لأسلوبه قوة معروفة وجمال ممتاز ، وقد مات مقتولا سنة ١٦٧ هـ .

(٢) اليسار : الغنى . معقود بالبخل : مجتمع عليه ملازم له .

(٣) العسرة : الفقر . المجهود : المتعب من قلة المال .

(٤) علل جمع علة بالكسر اى حجـة وعـذر يمنعه الكرم . ويريد بالشـطر الثانى أنها حجج بغيضة كريهة .

إذا تـكرَّهتَ أن تُعطى القليلَ ولم تقدر على سَعَةٍ لم يَظهر الجُودُ(١)
أَوْرِق بخير تُرجَّى للنوالِ ؛ فما تُرْجَى الثِّمار إذا لم يُورق العُودُ(٢)
بُثَّ النَّوالَ ، ولا تَمنعْك قلَّتُهُ ؛ فكل ما سَدَّ فقراً فهو محمود

وقال يتغزَّل وقد نهاه الخليفة المهدى عن الغزل :

يا مَنظراً حسناً رَأيْتُهْ مِنْ وَجهِ جاريةٍ فَدَيْتُه
بَعثَتْ إلىَّ تَسومُنى ثَوبَ الشباب ، وقد طَوَيتُهْ(٣)
واللهِ ربِّ مُحمدٍ ما إن غَدَرْتُ ، ولا نَوَيْتُهْ(٤)
أمسكتُ عنك ، وربَّما عَرضَ البلاءُ ، وما ابتَغَيْتُهْ
إنَّ الخليفةَ قد أبَى وإذا أَبَى شيئاً أَبَيْتُهْ
ومُخضَّبٍ رَخصِ البَنا نِ بَكى علَىَّ ؛ وما بكَيْتُهْ(٥)
ويَشُوقُنى بيتُ الحبيب إذا ادَّكرتُ ، وأين بَيْتُهْ(٦)
قام الخليفةُ دونَه ؛ فصبرتُ عنهُ ، وما قَلَيْتُهْ(٧)
ونَهانىَ الملكُ الهُمَا مُ عن النِّساء ، وما عَصَيْتُهْ(٨)

---

(١) تكرهت الشيء : تسخطه وفعلته على كره . السعة هنا : العطاء الكثير ، أى اذا تأخرت عن بذل القليل ، ولست قادرا على بذل الكثير فلا يظهر لك عطاء .

(٢) أورق الشجر : ظهر ورقه.النوال : العطاء ، يسأله اظهار العطاء ولو قليلا ، فانه اذالم يعط القليل لا يرجى منه الكثير .

(٣) تسومنى ثوب الشباب : ترغب أن أغازلها .

(٤) نويته : أى الغدر .

(٥) المخضب : الملون بالخضاب . رخص : لين ناعم . البنان : أطراف الأصابع ، جمع بنانة .

(٦) يشوقنى : يهيجنى : ادكرت : تذكرت .

(٧) قليته : أبغضته .

(٨) الهمام : الملك العظيم الهمة .

لا بل وفيْتُ ، فلم أضع عهداً ، ولا رَأياً رأيتُه(١)
وأنا المُطِلُّ على العِدَا وإذا غلَاَ الحمدُ اشتريتُه(٢)
أصفى الخليل إذا دنا وإذا نأى عنى نأيتُه(٣)
وأَميلُ فى أنسِ النديم من الحياءِ ، وما اشتهيتُه(٤)

قال يرثى ولداً له :

جَارَتَنَا لا تجزَعى وأَنيبى أَتَانى مِن المَوتِ المُطِل نَصيبى(٥)
بُنَىَّ عَلَى رَغمى وسُخْطِى رُزِئْتُه وَبُدِّلَ أَحْجاراً وَجَالَ قَلِيبِ(٦)
وكان كريحانِ الغصونِ تخاله ذوى بعد إشراقٍ يسر وطيبِ(٧)
أَصِيبَ بُنَىَّ حين أَوْرَقَ غُصنُه وَألقى عَلَىَّ الهَمَّ كلُّ قَرِيب
عَجِبْتُ لإسْراع المنيَّةِ نَحْوه وَمَا كانَ لَوْ مُلِّيتُه بعَجِيب(٨)

ومن قوله يصف جيشاً من قصيدة بها يمدحَ عُمرَ بن هُبيرَة حين وفد عليه بالعراق :

جَيْش كَجُنحِ اللَّيل يزحفُ بالحَصَى وبالشَّوْكِ والخَطِّىِّ حُمرٌ ثَعالِبُه(٩)

(١) النأى : البعد .
(٢) المطل على العدا : المستمر فى ايذائهم . الحمد : الثناء . يقول : اننى مع خضوعى لأمر الخليفة لازلت قويا على العدو كريما أشترى الثناء ببذل المال .
(٣) أصفى الخليل : أخلص له الود . دنا : قرب . نأيته : بعدت عنه .
(٤) يميل فى أنس النديم :يقوم بمؤانسته . النديم : الرفيق والمصاحب . وهو أيضا المشارك فى الشراب . اشتهيته : رغبت فيه ؛ يصف نفسه بكرم الخلق وحسن المجاملة .
(٥) انيبى : ارجعى الى هداك.المطل : المؤذى.يقول لجارتهلتكن فى مصيبتى أسوة لك وعزاء
(٦) رزئته : فقدته : الجال : الجانب . القليب : البئر . والمراد هنا القبر .
(٧) ذوى الغصن : يبس . الاشراق هنا : النضارة .
(٨) مليته : نعمت بقائه .
(٩) جنح الليل : قسم منه . الخطى : الرمح نسبة الى الخط مكان تباع فيه الرماح . ثعالب : جمع ثعلب وهو طرف الرمح الداخل فى السنان . وهى حمر من دماء الأعداء .

غَدَوْنَا لَهُ وَالشَّمْسُ فى خِدْرِ أُمِّها ... تُطَالِعُنَا والطَّلُّ لم يَجْرِ ذَائِبُـــــه(١)

بضَرْب يذوقُ الموتَ من ذَاق طَعْمَه ... وَتُدْرِكُ مَنْ نَجَّى الفِرَارَ مَثَالِبُه(٢)

كأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُءُوسِنَا ... وأَسْيافَنَا لَيْـلٌ تَهاوى كَوَاكِبُه(٣)

بَعَثْنَا لَهُمْ مَوْتَ الفُجَاءَةِ ، إنَّنا ... بَنُو الموتِ خَفَّاقٌ علينا سَبَائِبُه(٤)

فَرَاحُوا فَريقٌ فى الإسَارِ وَمِثْلُه ... قَتِيلٌ ومِثْـلٌ لاذَ بالبَحْرِ هَارِبُه(٥)

إذَا الملكُ الجبَّار صَعَّر خَـــدَّهُ ... مَشَيْنَا إِلَيْهِ بالسُّيوفِ نُعَاتِبُـــه(٦)

* * *

إذَا كُنْتَ فى كلِّ الأمورِ مُعَاتِباً ... صَدِيقَكَ لم تَلْقَ الذى لاَ تُعَاتِبُه(٧)

فَعِشْ واحِداً أَوْ صِلْ أَخاكَ فإنَّهُ ... مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً ومُجَانِبُه(٨)

إذا أَنْتَ لم تَشْرَبْ مِراراً عَلَى القَذَى ... ظَمِئْتَ وأَىُّ الناس تصفو مَشَارِبُه(٩)

---

(١) غدونا : خرجنا أول النهار . الخدر الستر أو المنزل . تطالعنا : تطلع علينا حين شروقها . والطل هنا : الندى .

(٢) بضرب متعلق بغدونا فى البيت قبله . مثالب جمع مثلبة : العيب وهى فاعل تدرك . ونجى نجاه بحذف العائد يقول : ان عدونا بين رجلين ميت من ضربنا ، وفار لحقه العار والمسبة .

(٣) النقع : الغبار تثيره الحروب . تهاوى : تتساقط . يشبه حركات السيوف وسط الغبار بالليل تتساقط نجومه وهو تشبيه جيد .

(٤) الفجاءة : البغتة . السبائب : جمع سبيبة وهى الشقة الرقيقة من الكتان . والمراد هنا أعلام الجيش المحارب ، كناية عن أنهم رجال حرب شجعان .

(٥) الاسار : الأسر . يريد أن جيش العدو توزع بين الأسر والقتل والهرب .

(٦) صعر خده : أماله عن النظر الى الناس كبرا عليهم وزراية بهم . نعاتبه بالسيوف : نقاتله .

(٧) اذا حاسبت الناس على جميع هفواتهم فانك لن تستصفى فى الناس صـــديقا اذ لا يسلم أحد من الهفوات .

(٨) مقارف الذنب : مخالطه وفاعله .

(٩) القذى : ما يقع فى العين أو الشراب من تبن ونحوه . أى اذا لم تتحمل الحياة على مابها من نقص تعبت وليس فى الدنيا انسان كامل الخلال .

(٢) قال السَّيِّدُ الْحِمْيَرِىّ[1] يخاطب أبا عبد الله السفّاح

لمـا استقام الأمر لبنى العبّاس

دُونَـكُموها يا بَنِى هَاشِمِ فَجَدِّدُوا من عهدِها الدارِسا[2]

* * *

دونـكموها فالبسُوا تاجَهـا لا تَعْدَمُوا منْكُمْ له لابسا[3]
لو خُيِّرَ المِنبرُ فُرْسَـانَهُ ما اخْتَارَ إلاّ مِنـكُمْ فارِسـا[4]
قد سَاسَها قبلـكم سَاسَةٌ لم يتركوا رَطْباً ولا يابِسا[5]
ولستُ مِنْ أن تملـكوها إلى مهبِـط عِيسَى فيكُمُ آيسا[6]

---

(١) هو اسماعيل بن محمد اليمنى ، علوى المذهب مخلص له ، غالى فيه ، ظل حياته يمدح عليا وآله ، ويسب الصحابة حتى توفى سنة ١٧٠ هـ .

(٢) درس : بلى وانمحى .

(٣) البيت : دعاء لبنى العباس بدوام الخلافة فيهم .

(٤) فرسان المنبر : من يعتلونه من الخلفاء .

(٥) ساس الأمور يسوسها : تولاها وتدبرها ، فهو سائس والجمع ساسـة . ولم يتركوا رطبا ولا يابسا ، أى أنهم تركوا البلاد خرابا بسوء سياستهم وقبح رأيهم ، وهو يريد بنى أمية .

(٦) أيس فهو (آيس) : قنط وقطع الرجاء ، يريد أنه ليس يائسا من بقاء الخلافة فيهم الى أن يهبط عيسى عليه السلام فى آخر الزمان .

وقال :

ما جرَتْ خَطْرَةٌ عَلَى القَلْبِ مِنِّى   فِيكِ إلاَّ اسْتَتَرْتُ عَنْ أَصْحَابِى
مِنْ دُمُوعٍ تَجْرِى فإن كُنْتُ وَحْدِى   خَالِياً ، أَسْعَدَتْ دُمُوعِى انْتحَابِى(١)
إنَّ حُبِّى إيَّاكِ قَدْ سَلَّ جِسْمِى   وَرَمَانِى بالشَّيْبِ قَبْلَ الشَّبَابِ(٢)
لَوْ مَنَحْتِ اللقَا ! كَفَى بِكِ صَبًّا   هَائِمَ الْقلْبِ قَدْ ثوَى فى التُّرابِ(٣)

وقال فى على بن أبى طالب رضى الله عنه :

سَائِلْ قُرَيْشًا إذا ما كُنْتَ ذَا عَمَهٍ   مَنْ كانَ أَثبتَها فى الدِّينِ أوْتَادَا(٤)
مَنْ كانَ أَعْلَمَهَا علْماً وَأَحْلَمَهَا   حِلْماً وَأَصْدَقَهَا قَوْلاً وَمِيعادا
إن يَصْدُقُوكَ فَلَنْ يَعْدُوا أبا حَسَنٍ   إن أنتَ لم تَلْقَ لِلأَبْرَار حُسَّادا(٥)

---

(١) أسعده على الأمر : عاونه . والانتحاب : البكاء الشديد .

(٢) سله : أهزله وأضعفه .

(٣) الصب : العاشق ذو الولع الشديد ، وثوى بالمكان يثوى بكسر اواو وثواء : أقام .والثاوى فى التراب : الميت ؛ يريد بالصب الهائم الميت نفسه مبالغة فيما أضناه من الحب .

(٤) العمه ، بفتح العين والميم : عمى البصيرة ،والأوتاد : جمع وتد وهومادق فىالحائط أوالأرض من خشب ونحوه ليربط به غيره وهو أيضا الجبل.

(٥) يصدقوك بضم الدال : يقولون لك الصدق . ويعدوا يتجاوزوا . هو أبو الحسن على بن أبى طالب رضى الله عنه . الأبرار : جمع بر بفتح الباء : الصالح ونحوه .

وكتب إلى يزيد بن مذعور مولى أبي بجير أمير الأهواز :

قِف بالديارِ وَحَيِّهَا يا مِرْبعُ وَاسْأَلْ وَكَيْفَ يُجيب مَنْ لاَ يَسْمَعُ(١)

إنّ الدِّيَارَ خَلَتْ وَلَيْسَ بجوِّهَا إلاَّ الضَّوابح وَالْحَمَامُ الْوُقَّعُ(٢)

وَلَقَدْ تَكُونُ بِهَا أَوانِسُ كالدُمَى جُمْلٌ وَعَزَّة والرَّبابُ وبَوْزَعُ(٣)

حُورٌ نَوَاعِمُ لا تَرَى فى مِثلِهَا أَمْثالُهُنَّ مِنَ الصِّيانة أَرْبَعُ(٤)

* * *

فأسلَمْ فإنَّكَ قد نزَلْتَ بمَنْزِلٍ عند الأمير تَضُرُّ فيه وَتَنفَعُ(٥)

تُؤتَى هَوَاكَ إذَا نَطَقْتَ بحَاجَة فيه وَتَشْفَعُ عِندَه فَتُشَفَّعُ(٦)

---

(١) مربع : اسم شخص . بعد أن سأل صاحبه الوقوف بالديار ، وتحيتها ، وسؤالها عن أهلها السابقين . عاد فأنكر ذلك السؤال اذ لا سبيل الى اجابة الديار التى ليس من شأنها السمع .

(٢) ضبحت الأرانب والثعالب : صوتت . الضوابح : المصوتة . الوقع : بضم الواو وتشديد القاف المفتوحة الساقطة على الشجر أو الأرض . يريد أن الديار خلت الا من الحيوان المصوت والحمام النازل بالأرض .

(٣) أوانس : جمع آنسة وهى الفتاة الطيبة النفس أو التى تؤنس صاحبها . والدمى : جمع دمية بضم الدال وسكون الميم وهى التمثال . والعرب يشبهون المرأة الجميلة بالدمية . وجمل بضم الجيم وما بعدها أسماء أعلام .

(٤) حور : جمع حوراء ، وهى لشديدة بياض العين والشديدة سوادها . ونواعم : جمع ناعمة، يريد أن أربعتهن ليس لهن شبيه فى عفتهن .

(٥) المراد بالمنزل المكان . فاسلم : جملة دعائية يرجو للممدوح السلامة من الشر .

(٦) هواك : سؤالك ومطلبك . تشفع بضم التاء : تقبل شفاعتك .

قُلْ للأمِيرِ إذا ظَفِرْتَ بخَلوةٍ منه ولم يكُ عِنْدَهُ مَنْ يَسْمَعُ
هبْ لِي الذِي احْبَبْتُهُ فى أحْمَدَ وبَنيهِ إنَّكَ حَاصِدٌ ما تزْرَعُ(١)
يختص آلُ مُحَمَّدٍ بِمَحَبَّةٍ فى القَلْبِ قدْ طُوِيَتْ عَلَيْها الأضْلُعُ

جلسَ المهدى يوما يعطى قريشاً صِلات لهم وهو ولى عهد، فبدأ ببنى هاشم ثم بسائر قريش، فجاء السيد الحميرى فرفع إلى الربيع رقعة مختومة وقال إن فيها نصيحة للأمير فَأَوْصَلها فإذا فيها.

قُلْ لابْن عَبَّاس سَمِيِّ مُحَمَّدٍ لا تُعطِيَنَّ بَنِى عَدِيٍّ دِرْهَمَا(٢)
احرِمْ بَنِى تَيْمِ بن مُرَّةَ إنهم شَرُّ البَلِيَّةِ آخِراً ومُقَدَّمَا
إنْ تُعطِهِم لَا يَشْكُرُوا لَكَ نِعْمَةً ويُكافئوك بأن تُذَمَّ وتُشْتَمَا
وإن ائتمنتَهُم أو اسْتَعْمَلْتَهُمْ خانُوكَ واتَّخَذُوا خَرَاجَك مَغْنَماَ(٣)
ولئن منعتَهُم لقد بدءوكُمُ بالمنع إذ ملكوا وكانوا أظلما
منَعُوا تُراثَ محمد أعمامَه وبَنِيهِ وابنتَه عديلةَ مَريمَا(٤)
وتأمّروا من غير أن يُستَخلَفُوا وكفى بما فَعلوا هنالِك مَأْثَما(٣)
لَمْ يَشْكُرُوا لِمُحَمَّدٍ إنْعامَهُ أفيَشْكُرُونَ لِغَيرِه إن أَنْعَمَا

---

(١) هب لى فلانا : أى أطلقه .

(٢) يريد بابن عباس الخليفة المهدى .

(٣) استعملهم : اتخذهم عمالا ، أى ولاهم المناصب . والخراج : الضريبة على الأرض والجزية .

(٤) التراث : ما يخلفه الميت لورثته . وعديلة مريم نظيرتها .

(٥) تأمروا : تسلطوا وتحكموا . ويستخلفوا : أى يكونوا خلفاء .

وَاللهُ مَنَّ عَلَيْهِمُ بِمُحَمَّـدٍ وهَدَاهُمُ وكَسَا الْجُنُوبَ وأطْعَمَا(١)

ثُمَّ انبَرَوا لِوَصِيِّه وَوَلِيِّـه بِالْمُنكَرَاتِ فَجَرَّعُوهُ الْعَلْقَمَا(٢)

(٣) مروان بن أبى حفصة(٣)

قال يمدح المهدى ويحتج لبنى العباس :

طرقتكَ زائرةً فَحَيِّ خَيالهَـا بيضاءُ تخلطُ بالجمَالِ دَلالهَا(٤)

قادت فؤادَكَ فاستقادَ ومثلُها قادَ القلوبَ إلى الصِّبا فأمالها(٥)

فـكأنما طرقتْ بنفحةِ رَوضَةٍ سحَّت بها دِيَمُ الربيعِ طِلاَلهَا(٦)

باتت تسائل فى المنامِ مُعَرِّسا بالبيدِ أشعثَ لا يَمَلُّ سُؤالهَا(٧)

فى فتية هجعوا غِراراً بعدما سَئِموا مُراعَشَة السُّرى ومطَالهَا(٨)

---

(١) كسا الجنوب : أى كساهم من اطلاق الجزء وارادة الكل .

(٢) انبرى له : اعترضه ، ويريدبوصيه ووليه على بنأبى طالب . جرعوه العلقم : سقوهالمر.

(٣) هو مروان بن سليمان بن يحي بن أبى حفصة . كان جده فارسيا ومولى لعثمان بن عفان ثم وهبه عثمان لمروان بن الحكم . وقد نشأ مروان بن أبى حفصة فى آخر دولة بنى أمية ولكنهلم يشتهر الا فى دولة بنى العباس بمدحه المهدى ومعن بن زائدة الشيبانى وهارون الرشيد . وقد برع مروان فى المدح براعة عظيمة ويحسبونه فى ذلك من طبقة بشار ويعدونه من فحول الشعراء وقد توفى سنة ١٨١ هـ .

(٤) يقال طرق فلان القوم : أتاهم ليلا .

(٥) استقاد : انقاد . والصبا بكسر الصاد : الشوق .

(٦) سح الغمام المطر : صبه صبا متتابعا غزيرا . والديم جمع ديمة : وهى المطر الذى يدوم بلا رعد . ولعل المراد هنابديم الربيع سحبه . والطلال : جمع طل وهو المطر الضعيف.يريد أنها عند زيارتها كان يفوح من طيب ريحها مثل ما يفوح من الروضة رواها المطر فى الربيع .

(٧) المعرس بضم الميم وتشديد الراء المكسورة.يقال عرس القوم : نزلوا من السفر للاستراحة والبيد جمع بيداء وهى الفلاة . والأشعث : المغبر يريد نفسه .

(٨) يقال : نام غرارا أى نوما قليلا . والسرى : السير فى الليل . ويقال للناقة التى تهتز فى السير لرعشها : رعشاء ومطالها : مطلها وتسويفها فى الوصول الى المقصد لطول الطريق.يقول انهم ناموا نوما خفيفا بعد أن سئموا طول السير والاهتزاز بسرعة النوق .

فـكأنَّ حشوَ ثيـابهم هندية ٌ نحِلتْ وأغفلت القُيُونُ صقالها (١)
طَلَبَتْ أميرَ المؤْمنِينَ فوَاصَلَتْ بَعد السُّرَى بغُدُوِّها آصـالهَا (٢)
نزَعَتْ اليْكَ صَوَادِياً فتَقَاذَفتْ تطْوى الفَلاَةَ : حُزُونَهَاو رِمالهَا (٣)
أحْيَـا أميرُ المؤمنينـَ مُحمَّـدٌ سُـنَنَ النبى حَرامَها وَحلالهَا (٤)
مَلِكٌ تَفرَّعَ نبعـــةً من هَاشِمٍ مَــدَّ الإلهُ على الأَنَام ظِلالهَا (٥)
ثَبْتٌ على زلل الحوَادِثِ رَاكِبٌ مِنْ صَرْفِهِنَّ لِـكل حال حَالهَا (٦)
كِلْتا يدَيْكَ جَعلَتَ فَضْلَ نوَالها لِلمُسْلِمينَ ولِلعَدُوِّ وبَالهَا (٧)
هَلْ تَطْمِسُونَ مِنَ السَّماءِ نُجومَهَا بأَكُفِّـكم أمْ تحجُبونَ هِلالهَا (٨)

---

(١) الهندية : السيوف المصنوعة فى الهند لأنها كانت تجيد صناعتها . ونحلت من باب علم : هزلت ورقت . والقيون : جمع قين وهو الحداد . والصقال : الصقل يقال صقل السيف جلاه وكشف صدأه يريد أنهم أمسوا من شدة التعب وطول السفر ناحلين مهزولين حتى كانوا فى رقة أجسامهم واغبرارها كالسيوف الهندية التى لم تجل ولم يكشف عنها صدؤها .

(٢) طلبته : قصدت اليه . والغدو أول النهار . والآصال : جمع أصيل وهو الوقت بين العصر والمغرب . يقول انها بعد سير الليل كانت تسير النهار بطوله .

(٣) الصوادى : الشديدة الظمأ . يقال : صـدى يصدى من باب علم أى عطش عطشا شديدا والحزون : جمع حزن بفتح الحاء ، والحزن ضد السهل .

(٤) يريد باحيائه حلال السنن وحرامها ابانة ما أحلت السنن وما حرمت والعمل بذلك .

(٥) النبعة : واحـدة شجر النبع . ويقال : هو من نبعـة كريمة أى من أصل كريم . وتفرع فلان القوم : علاهم .

(٦) الثبت بفتح الثاء وسكون الباء : هنا الثابت . وزلل الحوادث .انحرافها وصرف الدهر : نوازله . يقول : انه مهما تضطرب حوادث الزمان فهو ثابت لا يتزلزل ، وأنه يعالج كل حادثة بما يناسبها . وهذا هو الذى عبر عنه بقوله : (راكب لكل حال حالها) .

(٧) النوال : العطاء . والوبال : الوخامة وسوء العاقبة .

(٨) التفت فى هذا البيت الى خطاب العلويين ليبطل دعواهم استحقاق الخلافة دون بنى العباس.

أمْ تجْحدُون مقَالَةً عن ربّكُمْ جبْريلُ بلّغَهَا النّبيَّ فقَالهَا (١)
شَهدَتْ من الأنْفَالِ آخرُ آيةٍ بتُرَاثِهِمْ فأردتُمُوا إبطَالهَا (٢)

وقال يمدح المهدى — عند ما عقد البيعة لابنه الهادى — ويحتج للعباسيين على الطالبيين :

يا بنَ الذِى ورِثَ النبيَّ محمدًا دونَ الأقاربِ من ذَوى الأرْحامِ (٣)
الوحىُ بينَ بَنى البنَاتِ وبَينكم قَطَعَ الخصامَ فلاتَ حينَ خِصَامِ (٤)
مَا للنّساءِ معَ الرجالِ فَرِيضةٌ نَزَلَت بذَلِكَ سُورةَ الأَنعَامِ (٥)
خَلُّوا الطريقَ لمعشَرٍ عاداتُهم حَطْمُ المناكبِ كُلَّ يومِ زحَامِ (٦)
ارْضَوا بما قَسَمَ الإلهُ لكمْ بهِ وَدعُوا وراثَةَ كُلِّ أَصيدَ حَامِ (٧)
أَنّى يكونُ وليسَ ذاكَ بكائنٍ لبَنِى البَنَاتِ وراثَةُ الأعمَامِ (٨)

---

(١) تجحدون ، الجحود : الانكار مع العلم .

(٢) التراث : مايتركه الميت لورثته.ويعنى بآخر آية من سورة الأنفال قول الله تعالى : «وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله » .

(٣) الأرحام : جمع رحم : القرابة . ويريد وراثة أمر المسلمين .

(٤) الوحى : القرآن أو جبريل . وبنو البنات : أولاد على بن أبى طالب من نسل فاطمة بنت الرسول عليه السلام وهم العلويون .

(٥) الفريضة : القسم فى الميراث .

(٦) حطم المناكب : كسرها . ويوم زحام : يوم تنافس فى مجد ، ويريد بالمعشر العباسيين .

(٧) الأصيد : الملك أو السيد . والحامى من يحمى ذويه ومن يلوذ به .

(٨) بنو البنات : هم أولاد على من فاطمة رضى الله عنهما . والأعمام : العباسيون لأن أباهم العباس عم الرسول ، والعم أولى بوراثة ابن أخيه ، وذلك حكم فقهى فى الميراث .

أَلْغَى سِهَامَهُمُ الكِتَابَ فَحَاوَلُوا أن يَشْرَعوا فيها بغَيرِ سِهَامِ(١)
ظفِرَتْ بنُو سَاقِى الحَجِيجِ بحقِّهِم وغُرِرْتُمُ بتَوَهُّمِ الأَحْلامِ(٢)
عُقِدَتْ لمُوسى بالرُّصَافَةِ بَيعَةٌ شَدَّ الإلهُ بها عُرَا الإسلامِ(٣)
مُوسى الَّذِى عَرَفَتْ قُرَيشٌ فَضلَه ولَهَا فضيلتُها عَلَى الأَقوامِ

(٤) العباسُ بنُ الأحنَفِ(٤)

قال :

عَدْلٌ من اللهِ أَبْكَانى وأَضحَكَها فَالحمدُ للهِ عَدْلٌ كلُّ ما صنعا
اليومَ أَبكى على قَلْبى وأَندُبُهُ قَلبٌ أَلَحَّ عليه الُحبُّ فانْصَدَعا(٥)

وقال : وقد اصطحبه الرشيد إلى خراسان وطال مقامه بها ثم خرج إلى أرمينية :

قالُوا . خُرَاسَانُ أَقْصَى ما يُرَادُ بنا ثم القُفُولُ فقدْ جئنا خُرَاسَانا(٦)

---

(١) يشرعوا فيها : ينالوا منها ، بغير سهام : بغير حق .

(٢) ساقى الحجيج : العباس بن عبد المطلب لأنه كانت عليه سقاية الحاج حين يردون مكة ، وذلك فى الجاهلية .

(٣) الرصافة : محلة ببغداد ، شدت بها الخ : قوى بها شأن الدين .

(٤) كان العباس بن الأحنف شاعرا ظريفا . نشأ فى بغداد فى حال يسر ورخاء ، لم يصطنع المدح والتكسب بالشعر ، بل توفر على الغزل فى محبوبته فوز ، ولزم هذا الفن وحده مجيدا موفقا حتى مات سنة ١٩٢ هـ .

ويمتاز شعره بالسهولة ، وحسن التصرف ، وجمال المعانى ، فهو من شعراء الغزل العذريين وأن لم يحكهم تماما .

(٥) ألح فى السؤال : واظب عليه . والالحاح هنا : بمعنى الاسراف . وانصدع : انشق .

(٦) القفول : الرجوع . يقول أنهم قالوا ان أقصى رحلتنا خراسان ثم الرجوع وها نحن أولاء قد بلغناها فلماذا لا نعود .

ما أقْدَرَ اللهَ أنْ يُدْنى على شَحَطٍ   سُكانَ دِجْلَةَ من سُكَّانِ جَيحَانا(١)
يا لَيتَ منْ نتمنى عِنْدَ خَلْوَتِنَا   إذا خَلاَ خَلْوَةً يوماً تمنَّانا(٢)

وقال :

سَلبتْنى من السُّرُورِ ثِيابا   وكَسَتْنى من الهُمُومِ ثيابا
كلَّما أغلقَت من الوصْل باباً   فَتَحتْ لى إلى المَنيةِ بابا
عذّبينى بكل شىء سِوَى الصَّـ   ـدِّ فما ذُقْتُ كالصُّدُودِ عذَابا(٣)

وقال :

إنْ قَالَ لم يَفْعل وإن سيلَ لم   يَبذُلْ وإنْ عُوتِبَ لم يُعتِب(٤)
صَبٌّ بعِصْيَانِى ولَو قالَ لِى   لا تَشْرَبِ البارِدَ لم أشْرَب(٥)
إليكَ أَشْكُو رَبِّ ماحلَّ بى   من صَدِّ هذا المذنِبِ المُغْضَبِ

وقال :

قَلبى إلى ما ضَرَّ بى دَاعِ   يُكْثِرُ أَسْقَامِى وأَوْجَاعِى
كَيْفَ احتِرَاسى من عدُوِّى إذا   كان عدُوِّى بَيْنَ أَضْلاعِى(٦)

---

(١) الشحط : البعد . ويريد بسكان دجلة : سكان بغداد. ودجلة : نهر تقع عليه هذه المدينة وجيحان نهر بين الشام وبلاد الروم .

(٢) نتمنى : نتمناه .

(٣) الصد والصدود : الاعراض .

(٤) سيل : سئل . يعتب بضم الياء وكسر التاء : يرضى ، يقال استعتبت فلانا فأعتبنى استرضينه فرضى .

(٥) صب : مغرم . وسكان جزيرة العرب شديدو الولع بشرب الماء البارد لشدة الحر فى بلادهم ومثل هذا قول الشاعر :

غضبى ولا والله يا أهلها   لا أشرب البارد أو ترضى !

(٦) عدوه الذى بين أضلاعه : قلبه . لأنه هو الذى يغرم بها فيكثر من أوجاعه وأسقامه .

وقال :

قالت ظَلُومُ سَمِيَّةُ الظُّلْمِ مالى رَأَيتُكَ ناحِلَ الجِسْمِ (١)
يا مَنْ رَمَى قَلْبِى فأَقْصَدَهُ أَنْتَ العَلِيمُ بِمَوْضِعِ السَّهْمِ (٢)

(٥) أبو نُوَاس

قال يصف الخمر :

دعْ عنكَ لَومى فإنَّ اللَّوْمَ إغْراءُ وَدَاوِنى بالَّتى كانَتْ هى الدَّاءُ (٤)
صَفراءُ لا تَنزِلُ الأحزانُ سَاحَتَها لو مسَّها حَجَرٌ مسَّتْه سرَّاءُ (٥)

---

(١) ظلوم : اسم من يتغزل فيها . والجسم الناحل الهزيل .

(٢) وأقصده السهم : لم يخطئه .

(٣) أبو نواس واسمه الحسن بن هانىء. نشأ نشأته الأولى فى البصرة ، وكان يكلف بمن يجيدون قرض الشعر . ثم تحول الى الكوفة ليأخذ على والبة بن الحباب وكان والبة شاعرا ماجنا مشتهرا بالشراب وصافا للخمر ثم انتقل الى بغداد .

وبرع أبو نواس فى الشعر حتى بذ أهل عصره ، ولم يجد شاعر قبله ولا بعده وصف الخمر كما أجادها ، وكان ماجنا مستهترا . توفر عمله على تحصيل اللذائذ ما يبالى فى ذلك شيئا . وقرض الشعر فى أبواب المجون ، غير متأثم ولا متحرج .

ولقد أجاد فى كل فنون الشعر ، وأوفى على الغاية . واتصل بمحمد الأمين الخليفة العباسى ، ومدحه بأجل القصيد ، وثبت على الولاء له — حتى بعد أن قتل — ودالت الدولة لأخيه المأمون. وأبو نواس يعظم افتنانه ، وقوة تصرفه فى الشعر ،ومتانة أسلوبه ؛ وجزالة لفظه ، وسلامة نظمه ، لا يعد من أعظم الشعراء العباسيين فحسب ، بل يعد من أعظم شعراء العربية على الاطلاق. وكانت وفاته سنة ١٩٨ هـ .

(٤) دع : اترك ويقال (أغراه بالشىء يغريه اغراء)حضه عليه . يقول الشاعر لصاحبه : لاتلمنى فان لومك يحضنى على طلب ما تنهانى عنه ويريد (بالتى كانت هى الداء) الخمر .

(٥) يريد بالصفراء الخمر . والساحة : الناحية . يريد أن الأحزان والهموم لا تحل بشرابها ، وترقى فى هذا المعنى الى المبالغة الشديدة فزعم أن الحجر الأصم لو أصاب منها لدخل عليه السرور!

رَقَّتْ عن المـاءِ حتى ما يُلائمُهَا لَطَافةً ، وجَفَا عن شكلها الماءُ(١)

فلو مزَجْتَ بها نُورا لمـازجَها حتى تَوَلَّد أنوارٌ وأضواءُ(٢)

دَارَت على فِتْيةٍ دَانَ الزّمانُ لهم فَما يُصيبُهُمُ إلا بمـا شَاءُوا(٣)

لِتِـلك أَبـكى ولا أبكى لمَنْزِلةٍ كانت تحـلُّ بها هِندٌ وأسْماءُ(٤)

وقال أيضاً فى الخمر :

ودَارِ ندامَى عطَّلوهَا ، وأدلَجُوا بها أثرٌ منهم جَـديدٌ ودَارِسُ(٥)

مَساحِبُ منجَرِّ الزِّقاقِعلىالـثَّرى وأضْغَاثُ رَيْحانٍ جَنِيٌّ ويَابسُ(٦)

---

(١) يلائمها : يوافقها . وجفا هنا : بمعنى قلق ولم يطمئن . يريد أن تلك الخمربلغت من اللطف والرقة ما لم يبلغ الماء .

(٢) تولد بحذف احدى التائين : أى تتولد أى أن النور هو الذى يصلح لمزاجها ولو كان ذلك لتولدت منها أنوار وأضواء .

(٣) دان : ذل وأطاع . التفت الشاعر فى هذا البيت الى أصحابه الذين يشاربهم ، فوصفهم بالعزة وارتفاع الأقدار الىحد أن الزمان يذل لهم ؛ فهو لايستطيع أن يصيبهم بشىء الا مايريدونه هم وما يبتغونه ! .

(٤) المنزلة هنا هى الدار.يريد أن شوقه انما هو الى الخمر ، فهو اذا بكى بكى لها ، لاللمنازل التى كانت تسكنها المعشوقات . كما يصنع غيره من الشعراء .

(٥) الندامى : جمع ندمان ، وندامى الرجل من يجالسونه على الشراب . عطلوها : أخلوها . أدلج القوم ادلاجا : ساروا الليل كله أو فى آخره . والدارس : البالى . يذكر الشـاعر فى هذا البيت دارا كان يجتمع فيها الصحب ويتعاقرون الخمر . فهجروها ومضـوا ، وتركوا فيها آثارا لهم جديدة ، وأخرى قديمة بالية .

(٦) الزقاق جمع زق ، وهو وعاء من الجلد يحمل فيه المـاء ونحوه . الثرى التراب الندى ، ويريد هنا الأرض ، والأضغاثجمع ضغث وهو القبضة من العشب الغض.وجنى أى جنى لساعته بين الشاعر فى هذا البيت ذلك الأثر الذى أشار اليـه فى البيت السابق . فاذا هو ما خط على الأرض بسحب زقاق الخمر وما تركوا هناك من أضغاث الريحان ، بين قديم مقطوف لوقته ويابس لطول العهد على قطافه .

حَبَسْتُ بِها صَحْبِى وجَدَّدتُ عَهْدَهُم ... وإنِّى عَلَى أمثـالِ تِلكَ لَحَابِسُ(١)

تَدُورُ علينـا الراحُ فى عَسْجدِيَّةٍ ... حَبَتْها بأنْواعِ التصاوير فارسُ(٢)

قَرَارَتُها كِسْرَى ، وفى جَنَبَاتِها ... مَهًا تَدَّرِيها بالقِسِىِّ الفَوارِسُ(٣)

فَلِلْخمرِ ما زُرَّتْ عليه جُيُوبُهُمْ ... ولِلْماءِ مَا دَارَتْ عليـهِ القَلانِسُ(٤)

وقال يمدح الخليفة محمدا الأمين :

وإذَا المَطِىُّ بِنـا بَلغْنَ مُحمَّداً ... فَظُهورُهُنَّ على الرِّجالِ حَرَامُ(٥)

قَرَّبْنَنَا من خَيْرِ مَنْ وَطِىءَ الحصَى ... فَلَهَا علينـا حُرْمَةٌ وذِمَامُ(٦)

رفعَ الحِجَابُ لَنَا فَلاَحَ لِناظِرٍ ... قَمرٌ تَقَطَّعُ دُونَه الأوهَـامُ(٧)

---

(١) يريد أنه ألزم صحبه هـذه الدار حيث توفروا على لهوهم وشرابهم وأعادوا العهد على مثل هذا العبث . اذ هو نفسه شديد الاهتمام بذلك .

(٢) الراح : الخمر . والعسجدية : نسبة الى العسجد وهو الذهب ، ويريد بها كأسا مذهبة لا من ذهب وحباه بكذا يحبوه : أعطاه ومنحه . وفارس : الأمة المعروفة .

(٣) قرارتها : أسـفلها ، وهى هنا : ظرف مكان . والمها : جمع مهاة ، وهى البقرة الوحشـية يضرب بها المثل فى حسن العيون . ادرى الصـيد : ختله وادرى غفلته بمعنى تحينها . والقسى : جمع قوس . والفوارس والفرسان : جمع فارس وهو راكب الفرس . يريد أن الكأس محلاة من أسفلها بصـورة كسرى ، وهو لقب لملك الفرس . أما جوانبها فمحلاة بصـور فرسان يتحينون غفلة المها ليرموها بسهام أقواسهم .

(٤) الجيب : وجمعه جيوب ، طوق الثوب . والقلانس : جمع قلنسوة ، وهى أشبه (بالبرنيطة) التى يلبسها الفرنجة وكانت من لباس الفرس . يقول : انهم كانوا يصبون الخمر فى تلك الكأس حتى تحاذى أطواق صور الفوارس ثم يمزجونها بالماء حتى تحاذى رءوسهم .

(٥) المطى : جمع مطية ، وهى الدابة التى تركب . وهنا يراد بها النوق ، لأنها كانت مراكب القوم وخاصة فى أسفارهم الطويلة ، يريد أن المطايا التى تحملهم حتى تبلغهم أمير المؤمنين ينبغى ألا يركبها أحد اكراما لها بما فعلت وتشريفا .

(٦) الحرمة والذمام بمعنى واحد ، وهو ما يجب القيام به وعدم التفريط فيه .

(٧) يريد بالقمر وجه ممدوحه الأمين . وتقطع بحذف احدى التاءين . يقول الشاعر انه حين بدا الأمين . فاذا هو قمر لاتستطع الأوهام أن تقدر مبلغ حسنه وبها طلعته .

مَلِكٌ إذا عَلقَتْ يدَاكَ بحَبْـلِهِ لا يَعْتَرِيكَ البؤسُ والإعـدَامُ(١)
فَالبَهْوُ مُشْتَمِلٌ ببـدورِ خلافةٍ لَبِسَ الشَّبَابَ بنُورِهِ الإسْلاَمُ(٢)
سَبْطُ البَنَانِ إذَا احْتَبَى بنِجادِهِ فَرَعَ الجَماجِمَ والسِّماطُ قِيامُ(٣)
إنّ الذى يُرضِى الإلٰه بهَدْيِهِ مَلِكٌ تردَّى المُلكَ وهْوَ غُلامُ(٤)
مَلِكٌ إذَا اعْتَسَرَ الأُمُورُ مَضَى به رأْىٌ يَفُلُّ السَّيْفَ وهْوَ حُسَامُ(٥)
دَاوَى به اللهُ القُلُوبَ من العمَى حتى أفقْنَ وما بهنَّ سَـقَامُ(٦)
أصْبَحتَ يَابْنَ زُبَيْدَةً ابنة جَعفرٍ أملًا لِعَقْدِ حِبَالِهِ استحكامُ(٧)
فَسَلِمْتَ للأمر الذى تُرجَى لَهُ وتقاعَسَتْ عَنْ يومِكَ الأيامُ(٨)

---

(١) علقت : تعلقت واتصلت . والبؤس : الفقر والاعدام كذلك . يصف كرم الممدوح بأن من يلوذ به لا تناله شدة ولا يلحقه فقر .

(٢) يريد بالبهو هنا البيت.ومشتمل : مزدان . ومعنى الشطر الثانى أنه أعاد للدين سلطانه.

(٣) السبط : السهل الذى لا خشـونة فيه . والبنان : أطراف الأصابع . واحدتها بنانة . وسبط البنان : الكريم . والنجاد : حمائل السيف التى يتعلق بها . احتبى بنجاده : لبسه . وفرع الجماجم : علاها . سماط القوم : صفهم .

(٤) تردى : لبس الرداء . والمراد أنه ولى الخلافة فتى .

(٥) اعتسرت الأمور : اشتدت والتوت . يفل السيف : يثلمه . والحسام : السيف القاطع . يريد أن الأمور اذا صعب حلها كان له فيها رأى نافذ سديد .

(٦) عمى القلوب : زيغها وضلالتها . السقام بفتح السين : المرض .

(٧) وزبيدة أم الأمين جاءت به من هارون الرشيد ، وهى بنت جعفر بن المنصور . الأمل هنا المقصود والمأمول . استحكام : قوة . يقول صرت أملا يعلق الناس حاجتهم بك فلا يخيب رجاؤهم وقوله (لعقد) الى آخر الجملة صفة لقوله (أملا) .

(٨) تقاعس : تأخر . يقول : ان أيامك خير الأيام .

وقال يصف ناقة :

ولَقد تجوبُ بِىَ الْفَلاةَ إذا صَامَ النَّهارُ وقالت العُفرْ(١)
شَدَنيةٌ رَعَت الحِمَى فأتَتْ مِلءَ الجِبَال كأنها قَصْرُ(٢)
تَثْنِى على الحاذَيْنِ ذَا خُصَلٍ تَعْمَاله الشَّزَرَان والخَطْرُ(٣)
أَمَّا إِذَا رَفَعَتْهُ شَامِذَةً فَتَقُولُ رَنَّقَ فَوْقَهَا نَسْرُ(٤)
أَمَّا إِذا وَضَعَتْهُ عَارِضَةً فَتَقُولُ ارْخِىَ فَوْقَهَا سِتْرُ(٥)
وَتُسِفُّ أَحْيَاناً فَتَحْسِبُهَا مُتَرَسِّماً يَقْتَادُهُ أَثْرُ(٦)
فإذَا قَصَرْتَ لَهَا الزِّمَامَ سَمَا فَوْقَ المَقَادِمِ مَلْطَمٌ حُرُّ(٧)

---

(١) الفلاة : الصحراء الواسعة . وتجوبها : تقطعها . ويقال : صام النهار اذا توسطت الشمس السماء. والعفر : نوع من الظباء واحدها أعفر . والقائلة : نصف النهار ، ويقال:«قال الرجل يقيل» اذا نام وقت القائلة . يصف ناقته بالقوة والصبر حتى أنها لتجوب به الصحراء فى الوقت الذى ينتصف فيه النهار ، وتقيل الظباء فرارا من شدة الحر ، وهى من بنات الصحراء .

(٢) شدنية : فاعل تجوب فى البيت السابق . والناقة الشدنية : القوية . ورعت الماشية الكلأ أكلته . وحمى الرجل المكان الذى لا يقرب و(ملء الجبال) كناية عن الضخامة والبدونة . يريد أن ناقته كانت مرفهة مدللة تصيب من المرعى ما يمنع على غيرها : فقويت وسمنت حتى أصبحت كالقصر .

(٣) الحاذان : وأحدهما حاذ ، هما موقعا الذنب من الفخذين . والخصال:جمع خصلة.وخصل الشعر ، وخصل الشجر ما تدلى من أطرافه . والشاعر يعنى بذى الخصل ذنب الناقة . تعماله : عمله . والمراد بالشزران تحريك الذنب يمينا ويسارا . وخطر الجمل بذنبه خطرا وخطرانا رفعه مرة بعد مرة وضرب به فخذيه .

(٤) شامذة : شائلة بذنبها الى أعلى . رنق النسر : خفق بجناحيه ورفرف .

(٥) عارضة : سائرة بنشاط .

(٦) تسف : تمر على وجه الأرض برأسها . مترسم : متتبع آثارا يتبينها .

(٧) سما : علا . المقادم : الأعالي الأمامية . الملطم : الخد . حر أصيل .

وقال :

أثْنِ عَلَى الخمـرِ بآلائها وسمِّهَا أحسنَ أَسمائِها(١)
لا تجعَـل المـاءَ لها قَاهِراً ولا تسَلطها عَلَى مَائِها(٢)
كَرْخِيَّةٌ قد عُتِّقت حقبَةً حتى مضَى أكثرُ أجزائِها(٣)
فـلم يكَدْ يُدْرِكُ خمَّارُها منها سِوَى آخِرِ حَوبائِها(٤)
دارَتْ فأحيَتْ غيرَ مذمُومَةٍ نفوسَ حَرَّاهَا وأنْضَائِها(٥)
والخمرُ قد يشربُها مَعشرٌ ليسوا إذا عُدُّوا بأكفائِها

وقال فى الطرَد ينعت كلب الصيد :

لمـا تبَدَّى الصبحُ منْ حِجَابِهِ كطلعةِ الأشمطِ من جِلبابه(٦)
وانعدَلَ الليـلُ إلى مآبه كالحبَشى افـتَرَّ عن أنيابه(٧)
هِجنا بكلبٍ طالما هِجنا به ينْتَسفُ المقودَ من كَلَّابه(٨)

---

(١) الآلاء : النعم والمحاسن .

(٢) أى لا تمزجها بل هاتها صرفة .

(٣) كرخية : نسبة الى الكرخ : محله ببغداد وغيرها. وعتقت : تركت مدة (حقبة) لتقدم وتحسن، ومعنى الشطر الثانى أنها لطفت جدا كأنها لا مادة فيها .

(٤) الحوباء : النفس ، فكأنها من لطفها فنيت الا رمقا أدركه الخمار .

(٥) حراها : النفوس العطشى اليها. والانضاء : جمع نضو : وهو المهزول المتعب ، أى المهزولون لبعد عهدهم بها .

(٦) الأشمط : من يخالط سواد رأسه بياض . والجلباب : الثوب الواسع أو القميص (وهو الأسود هنا) .

(٧) أفتر : كشف وأظهر ، يشبه انكشاف الليل عن الصباح بانكشاف شفتى الحبشى (الأسود) عن أسنانه مبتسما مثلا .

(٨) ينتسف : يقتلع ويجتذب . والكلاب : صاحب الكلب .

كأنَّ مَتْنيهِ لدى انسِلاَبِه مَتنا شُجاعٍ لَجَّ فى انسيابه[١]
كَأَنما الأظفورُ فى قِنابِه مُوسَى صَنَاعٍ رُدَّ فى نِصابِه[٢]
تَراهُ فى الحُضْرِ إذا هَاهىٰ بِه يكاد أن يخرجَ مِنْ إهابه[٣]

وقال يمدح العباس بن عبيد الله بن أبى جعفر المنصور :

أَيُّها المنتابُ عن عُفرِهْ لستَ من ليلِى ولا سَمَرِهْ[٤]
لا أذودُ الطيرَ عَنْ شَجَرٍ قَدْ بَلَوْتُ المرَّ مِنْ ثمَرِهْ[٥]
قد لبِستُ الدهرَ لِبسَ فَتًى أخَذَ الآداب عَنْ غِيَرِهْ[٦]
فاتّصِلْ إن كُنتَ مُتَّصِلًا بِقُوى مَن أنتَ مِن وَطَرِه[٧]
خفتُ مأثورَ الحديثِ غدًا وغَدٌ أدنَى لِمنتَظِرِه[٨]

---

(١) انسلابه : اسراعه الشديد . والشجاع : ضرب من الحيات ، يشبه الكلب فى مروقه بالحية المنسابة سرعة وتلويا .

(٢) القناب : المخلب . والصناع : الماهر .والنصاب : مقبض الموسى (اليد) ؛ فالظفر فى أصل المخلب ، كحديدة الموسى فى النصاب .

(٣) هاهى به : زجره . والاهاب : الجلد ، أى يكاد الكلب لسرعته الشديدة ، يخرج من جلده ليثب الى الغاية فى أقرب فرصة .

(٤) المنتاب لك : القاصدك المتردد عليك ، والعفر بضم فسكون وبضمتين : طول العهد ، ولست من ليلى الخ : لست من سمارى ليلا .

(٥) لا أدفع عمن نالنى شره .

(٦) أى صاحبت الدهر حتى تعلمت من حوادثه التبصر والسداد فلست أغتر .

(٧) الوطر : الحاجة . والقوى : الأسباب (الحبال) والصلات ، أى اتصلى بمن يحب الاتصال بك دونى .

(٨) مأثور الحديث : السمعة السيئة هنا .

خابَ من أسرَى إلى بَلَدٍ غيرِ معلُومٍ مدَى سفَرِه(١)
وسدَّته ثِنْىَ ساعِدِه سِنَةٌ حلَّت إلى شُفرِه(٢)
فامض لا تمنُن علىَّ يدًا ، منُّكَ المعروفَ من كدَرِه(٣)
رُبَّ فِتيانٍ ربَأْتُهُمُ مَسْقَطَ العيُّوقِ مِن سَحَرِه(٤)
فاتقوا بِي ما يَريبُهُمُ . إنَّ تقْوَى الشَّرِّ مِنْ حذَرِه(٥)
وابنِ عمٍّ لا يُكاشِفنَا قَد لبسناهُ عَلَى غمَرِه(٦)
كمَنَ الشنْآنُ فيه لنَا ككُمُونِ النارِ فى حَجَرِه(٧)
ورُضَابٍ بِتُّ أَرْشُفُه يَنقعُ الظمآنَ مِن خَصَرِه(٨)
عَلَّنيهِ خُوطُ أَسحِلَةٍ لانَ متناهُ لِمُهتَصِرِه(٩)

---

(١) أى خاب من لم ينظر فى العواقب .

(٢) الشفر : منبت الشعر من الجفن . والسنة : النوم الخفيف ، وهذا تكميل لما قبله ، يصف المسافر حين يحمله النوم على اتخاذ ساعده وسادة له .

(٣) خطاب لصاحبه ، ومعنى الشطر الثانى أن المن يفسد الصنيعة .

(٤) ربأتهم : حرستهم فكنت لهم ربيئة مخافة النوازل . ومسقط : ظرف زمان . والعيوق : نجم أحمر مضىء يتلو الثريا ، يظهر سحرا ، يقول : ربأتهم فى الشدائد ، وهنا أخذالشاعر يتحدث عن نفسه .

(٥) يريبهم : يفزعهم .

(٦) لا يكاشفنا : لا يظهرنا على العداوة ، لبسناه على غمره : عاشرناه على ما به من حقد .

(٧) الشنآن : البغض. وكمن : استتر ، فالبغض كامن فى نفسه مثل كمون النار فى الحجر الذى يوريه ويقدمه .

(٨) الرضاب : الريق . ينقع : يبرد ويسقى . والخصر : البرد والضمير للرضاب .

(٩) علنية : سقانية مرات ، والخوط : الفصن الناعم تشبه به المرأة. والاسحلة مفرد أسحل : شجر عظيم ينبت بأعالي نجد . والمهتصر : الذي يجذب الغصن (مثلا) ويميله .

ذَا ، ومُغْـبَرٍّ مَخَارِمُهُ تحسِرُ الأَبصارُ عَن قُطرِه(١)

لا ترى عينُ البَصير بهِ مَا خلَا الآجالَ من بَقَرِه(٢)

خاضَ بى لُجيَّـهِ ذو جَرَزٍ مُقفِرُ الصُقلَين من ضُمُرِه(٣)

يكتسِى عُثنـونُه زَبَدًا فنَصـــيلاهُ إلى نُخَرِه(٤)

ثم يَعـتَمُّ الحِجاجُ بهِ كاعتمامِ الفوفِ فى عشَرِه(٥)

ثم تذرُوهُ الرِّياحُ كما طارَ قُطْنُ النّدفِ عن وَتَرِه(٦)

ذُلِّلَت تِلكَ الفجاجُ لَه فهو مُجتـازٌ على بَصرِه(٧)

كلُّ حاجَاتِى تَناولهـا وهو لم تُنْقَضْ قُوَى أَشَرِه(٨)

ثم أدنَانِى إلى مَـلِكٍ يأمنُ الجَانِى إلَى حُجُرِه(٩)

---

(١) ذا ، أى فعلت هذا الذى ذكر ، ثم أخذ يصف الطريق . المخارم : جمع مخرم وهو الطريق فى جبل أو رمل . تحصر الأبصار : تضعف العيون . وعن قطره : عن رؤية نواحيه .

(٢) البصير به :من يعرفه . والآجال : جمع اجل بكسر فسكون وهو : القطيع من بقر الوحش أو الظباء .

(٣) ذو الجرز : الحصان القوى . الصقلان : الجنبان فالفرس قليل اللحم ضامر .

(٤) العثنون : شعرات تحت حنك الفرس . والزبد : لغام أبيض تتلطخ به مشافر الفرس . ونصيلان : مثنى نصيل : حجر مستطيل يدق به يشبه لحى الفرس ، والنخر جمع نخرة : خرق الأنف أى أن الزبد يغطى لحييه ويحيط بخرقى أنفه .

(٥) اعتم : لبس العمامة . والحجاج : عظم الحاجب ، والفوف هنا : الزهر . والعشر : شجر ذو نور ، فالزبد فوق الحجاج يشبه زهر العشر لونا وشكلا وهو أبيض .

(٦) تذروه الرياح : تذهب به وتفرقه .

(٧) الفجاج جمع فج : الطريق الواسع بين جبلين . ومجتاز على بصره : سائر يهدى بصيرته.

(٨) الأشر : النشاط والمرح ، أى سار فنون السير التىأرجوها منه مع بقاء قوته تامة.والقوى: طاقات الحبل . ونقضها : فكها .

(٩) أى ملك يحمى اللاجىء اليه . والحجر : حضن الانسان .

تأخذُ الأيدى مظَالِهـا ثم تَسـتَذرى إلى عَصَره(١)
كيفَ لا يُدنيكَ مِن أمَل مَن رَسولُ اللهِ مِن نفَره(٢)
فَاسلُ عن نوء تؤمّله حسبُكَ العباسُ مِن مَطَره(٣)
مَلِكٌ قَـلَّ الشـبيهُ لَهُ لم تَقعْ عينٌ على خَطَره(٤)
لا تَغَطَّى عنـهُ مكرُمَةٌ برُبًا وادٍ ولا خَمَـره(٥)
سَـبق التفـريطَ رائدُهُ وكفاهُ العينَ مِن أثَره(٦)
وإذَا مَجَّ القَنـا عَلقـاً وتَراءى الموتُ فى صُـوَره(٧)
رَاحَ فى ثنْيي مُفَاضَـتِه أَسَـدٌ يدمَى شَبَا ظُفُره(٨)

---

(١) تستذرى : تلتجىء . والعصر : الملجأ ، تأخذ الأيدى مظالمها الخ : يحمل الناس مظالمهم ويقصدون اليه شاكين فيخلصهم لعدله وانصافه .

(٢) النفر : الجماعة ، وكان الأنسب أن يقول : من هو من نفر رسول الله ، فيضاف الملك الى الرسول تشريفا لا العكس كما هنا .

(٣) النوء : النجم يمطر الناس ابان ظهوره وهو كناية عن المطر ذاته .

(٤) خطره : مثله ، يقال : هذا خطير لهذا وخطر له أى مثله وقل هنا : فقد وعدم .

(٥) لا تغطى : لا تخفى . والربا جمع ربوة : ما ارتفع من الأرض . والخمر : ما يترك من شجر وغيره أى لا يترك مكرمة الا فعلها .

(٦) التفريط : مصدر فرط رسوله قدمه وارسله . والرائد : الرجل يرسله أهله يلتمس لهم منزلا خصبا ، يقول : ان العباس (رائده أى الرائد منه) يسبق الرسل ويعرف ببصيرته المستور ومعنى الشطر الثانى أنه لقوة بصيرته يعرف الأمور بذاتها فلا يحتاج الى آثارها التى تعينه فى المعرفة.

(٧) مج : لفظ ورمى . والقنا الرماح المفرد : قناة . والعلق : الدم ، وتراءى الموت الخ : أى ظهر الموت فى أشكاله المتباينة ، فطعن بالرمح ومضروب بالسيف . وصريع .

(٨) الثنيان : مثنى ثنى بكسر فسكون وهو : ما كف فى طرف الثوب. والمفاضة : الدرع الواسعة والشبا : جمع شباة ، وهى حد السيف أو السنان فى طرفه ، يقول : انه يعود من الحرب مدرعا كالأسد وقد احمرت شباته من دماء الأعداء .

تَتأَبّى الطيرُ غَـدْوَتَهُ ثِقَةً بالشِّبعِ من جزَرِه (١)
وترَى السادات مائلةً لسَليل الشمسِ من قَمرِه (٢)
وكريم الخالِ مِنْ يَمَنٍ وكريم العَمِّ من مُضَرِه (٣)
فَهُمُ شَتَّى ظُنونُهمُ حذَر المكنون من فكَره (٤)

(٦) أَبانُ اللّاحقيّ (٥)

من قوله يمدح الرشيد ويظهر حجة بنى العباس على حقهم فى الخلافة دون بنى علىٍّ رضى الله عنهما .

نَشَدْتُ بِحَقِّ اللهِ مَن كَانَ مُسْلِماً أَعُمُّ بما قَدْ قُلْتهُ العُجْمَ والعرَبْ (٦)
أَعَمُّ رَسُولِ اللهِ أَقْرَبُ زُلْفَةً لَدَيْهِ أَمْ ابْنُ العَمِّ فِى رُتْبَةِ النَّسَبْ (٧)

---

(١) تتأبى : تتعمد وتنتظر . والجزر : قطع اللحم .

(٢) سليل : وليد ، والمعنى المولود من أمه التى هى كالشمس عن أبيه الذى هو كالقمر ، وضمير قمره للممدوح أو لوالده .

(٣) الممدوح خاله يمنى وعمه مضرى .

(٤) شتى : متفرقة منوعة يقول : ان السادات متنوعو الأفكار عما يضمره هو بالنسبة لهم وما يقضى فى شئونهم مخافة منه واجلالا له .

(٥) أبان ابن عبد الحميد اللاحقى من الشعراء السياسيين الموالى المنتصر للفرس على العرب فى مداراة . وكان عابثا محبا للمال ، هجاء مغرورا ملحدا . تردد بين البرامكة والخلفاء ولا سيما الرشيد يمدحهم ويزاحم على بابهم أبا نواس ومروان بن أبى حفصة وسواهما توفى سنة ٢٠٠هـ.

ويمتاز شعره بالسهولة وان لم يكن ممتاز الفن والروعة ، وله شعر تعليمى ينظم فيه الحكم ومسائل الدين وسواها كنظمه كتاب كليلة ودمنة .

(٦) نشدت الله فلانا : استحلفته به .

(٧) الزلفة بضم الزاى : القربة. يستحلف كل مسلم عربيا كان أو أعجميا أعم الرسول صلى الله عليه وسلم أقرب اليه فى درجة النسب أم ابن عمه . ويريد بالعم العباس . وبابن العم على بن أبى طالب رضى الله عنهما .

وَأَيُّهمَا أَوْلَى بهِ وبعهْدِهِ ... وَمَنْ ذَا لَهُ حَقُّ التُّراثِ بمَا وَجَبْ (١)

فَإن كَانَ عَبَّاسٌ أَحَقَ بتِلْـكُمُ ... وَكَانَ عَلَيٌّ بَعْدَ ذَاكَ عَلَى سَبَبْ

فَأَبْنَاءُ عَبَّاسٌ هُمُ يَرِثُونَهُ ... كَمَا العَمُّ لِابْنِ العَمِّ فِى الإِرْثِ قَدْ حَجَبْ (٢)

وبعث بهذه الأبيات للفضل بن يحيي :

يَا عَزيزَ النَّدَى ويَا جَوْهَرَ الجوْ ... هَرِ مِن آل هَاشِمٍ بِالبِطَاحِ (٣)

إِنَّ ظَنِّى ، وَلَيْسَ يُخْلَفُ ظَنِّى ، ... بِكَ فِى حَاجَتِي سَبِيلُ النَّجَاحِ

إِنَّ مِنْ دُونِهَا لَمُصْمَتَ بَابٍ ... أَنتَ مِن دُونِ قُفْلِهِ مِفْتَاحِى (٤)

تَاقَت النَّفْسُ يَا خَلِيلَ السَّمَاحِ ... نَحْوَ بَحرِ النَّدَى مُجَارِى الرِّيَاحِ (٥)

ثُمَّ فَكَّرْتُ كَيفَ لِى وَاسْتَخَرْتُ الـ ... لَّهُ عِندَ الإِمْسَاءِ والإِصْبَاحِ (٦)

وَامْتَدَحْتُ الأَمِيرَ أَصْلَحَهُ اللّٰـ ... ـهُ بِشِعْرٍ مُشَهَّرِ الأَوْضَاحِ (٧)

---

(١) التراث : ما يتركه الميت لورثته . ويريد به هنا الحق فى الخلافة .

(٢) يقول فى البيتين : انه اذا كان العباس أحق بالارث باعتباره العم ، وعلى مؤخر عنه فى الرتبة لأنه ابن العم ، فالواجب أن ينتقل ماورثه العباس الى أبنائه ، والعم يحجب ابن العم ، أى يمنعه من الارث .

(٣) عزيز هنا : بمعنى أنه منقطع النظير . والندى : العطاء . والبطاح : جمع بطحاء . وهى مسيل واسع فيه الرمل ودقاق الحصى ولمكة بطحاء .

(٤) المصمت : المغلق . والضمير فى دونها يعود على حاجتى فى البيت السابق . يريد أن حاجته عسيرة ولكن قضاءها على الممدوح يسير .

(٥) تاقت : اشتاقت . والسماح : الجود . ويقال فلان فى الكرم يجارى الريح أى أنه سريع الى العطاء .

(٦) كيف لى : أى ما ذا أصنع .

(٧) مشهر ذائع : الأوضاح : جمع وضح اسم للغراة أو الحلى من الفضة . والمراد شعر رائع .

فلما قرأها قال له هات مديحك فقال :

أَنَا من بُغيَةِ الأَميرِ وَكَنزٌ … مِن كُنُوزِ الأَميرِ ذُو أَرْبَاحِ (١)

كَاتِبٌ حَاسِبٌ خَطِيبٌ أَدِيبٌ … نَاصِحٌ زَائِدٌ عَلَى النُّصَّاحِ

شَاعِرٌ مُفْلِقٌ أَخَفُّ مِنَ الرِّيـ … ـشَةِ أَوْ مايَكُونُ تَحْتَ الجَنَاحِ (٢)

* * *

إِنْ دَعَانِى الأَميرُ عَايَنَ مِنِّى … شَمَّرِيًّا كَالْبُلْبُلِ الصَّيَّاحِ (٣)

(٧) مسلم ابن الوليد (٤)

قال :

إِذَا المرءُ لم يَبذُلْ مِنَ الوُدِّ مثلَ مَا … بَذلْتُ لهُ فاعلَمْ بأَنِّى مُفَارِقُهُ

فَلا خيرَ فى وُدِّ امرِئٍ مُتَكارِهٍ … عَلَيْكَ ، ولَا فى صَاحِبٍ لاتُوافِقُه

وقال :

دلَّتْ على نفسِها الدُّنيا ، وصَدَّقَها … مَا اسْتَرجَعَ الدهرُ ممَّا كانَ أعطَانِى (٥)

ما كنتُ أَدَّخِرُ الشكْوَى لِحَادِثَةٍ … حَتَّى ابْتَلَى الدهرُ أسرارى فأَشْكَانى (٦)

---

(١) من بغيته : من مطالبه . يريد أن الأمير لو اصطنعه واصطفاه لرأى فيه خيرا كثيرا . وقد عدد مزايا نفسه فى البيتين بعده .

(٢) الشاعر المفلق : المبدع . وأخف الريش وأدقه مايكون عند الجناح . ويريد بالخفة خفة الروح .

(٣) الشمرى بفتح الشين وتشديد الميم المفتوحة وكسر الراء : المجد الماضى فى الأمور . والبلبل طائر صغير الجسم حسن الصوت يشبه طلق اللسان .

(٤) نشأ صريع الغوانى مسلم بن الوليد الأنصارى فى الكوفة وفيها درس وتأدب وعالج الشعر منذ صباه يمدح به الأمراء ويثرى من ذلك ولكنه سخى متلاف . وكان مسلم من أكبر شعراء عصره وممن تكلفوا البديع فى شعرهم حتى رمى بافساده . ولشعره صبغة خاصة تجمع بين الأسلوبين القديم والحديث مع رقة واضحة وقد مات بجرجان سنة ٢٠٨ هـ .

(٥) يقول : قد ظهر غدر الحياة بدليل شبابى الذى استرجعته منى الأيام .

(٦) ما اعتدت الشكوى من الحوادث فلما هجم الدهر على شبابى شكوت . والأسرار هنا : ما يضن به ويريدبها الشباب وأشكاه بعثه على الشكوى .

وقال يهجو دِعْبِل بن علىّ الخُزَاعى الشاعر :

أما الهِجَاءُ فدَقَّ عِرضُكَ دُونَهُ والمدحُ عنْكَ كما علمتَ جَليلُ(١)

فاذهبْ فأنتَ طليقُ عِرضكَ إنَّه عِرضٌ عززْتَ به وأنتَ ذَليلُ(٢)

وقال من قصيدة يمدح بها داود بن يزيد بن حاتم المهلبى :

لا تدْعُ بِى الشوقَ إنى غَيْر معمُودِ نهى النُّهَى عن هَوَى البيضِ الرَعاديد(٣)

* * *

مُوَحَّدُ الراىِ تَنْشَقُّ الظنونُ لَهُ عَن كُلِّ مُلْتَبِسٍ مِنْها ومعْقُودِ(٤)

كالليثِ بل مِثلُهُ الليثُ الهَصُور إذا غَنَّى الحَديدُ غِناءً غيرَ تَغْريدِ(٥)

يلقَى المنِيَّةَ فى أمثَالِ عُدَّتِهَا كالسيل يَقذِفُ جُلمودا بجُلمُودِ(٦)

نَفْسِى فِدَاؤُكَ يَا داودُ إذ عَلِقَتْ أيدِى الرَّدَى بنَواصِى الضُّمَّرِ القُودِ(٧)

يجُودُ بالنفس إن ضَنّ الجواد بِهَا والجود بالنَّفسِ أقصَى غَايَةِ الجُودِ

---

(١) دق : صغر فلا تحتمل مدحا ولا هجاء لصغرك عن الهجاء وحقارتك عن المدح .

(٢) طليق عرضك : أى صانك عرضك الحقير عن الهجو وبذلك كنت كالعزيز الذى لايصح هجوه والواقع أنه ذليل .

(٣) لاتدع بى الشوق : لا تنسبنى اليه . المعمود : من هده العشق . النهى : جمع نهية بضم النون وهى العقل . الرعاديد : جمع رعديدة المرأة الرخصة الناعمة .

(٤) موحد الرأى لا يتردد فيه . لأن ظنه كاف لادراك المعميات والدقائق .

(٥) الليث الهصور : الأسد الذى يكسر فريسته كسرا . غناء الحديد : صوت السلاح فى الحرب التغريد للطائر : رفع الصوت بلغناء .

(٦) المنية : الموت . فى أمثال عدتها أى بجيوش وعدد تدافع الموت وتغالبه . الجلمود : الصخر يشبه الممدوح بالسيل يرمى الموت بمثله كالسيل فى تدفقه يضرب الصخرة بالصخرة .

(٧) علقت : تعلقت . الردى : الموت . الضمر : جمع ضامر : الفرس الخفيف اللحم . القود جمع أقود : وهو الطويل الظهر . يظهر اعجابه بالممدوح والموت معقود بنواصى الخيل وقت القتال حتى قال له أفديك بنفسى .

وقال :

وما ابْقَتِ الأيامُ مِنِّى ولا الصِّبَا ... سِوى كَبِدٍ حَرَّى، وقلْب مُقَتَّلِ (١)
وَيومٍ من اللذَّاتِ خَالَسْتُ عَيْشَهُ ... رَقيباً عَلَى اللذاتِ غيرَ مُغفَّلِ (٢)
فكُنتُ نَدِيمَ الكأسِ حتى إذا انقضت ... تعَوَّضْتُ مِنهَا رِيقَ حَوراءَ عيْطَلِ (٣)
نَهَانِيَ عَنها حبهَا أنْ أرِيبَهَا ... بسُوءٍ ؛ فلَم أفتِكْ ولم أتَبَتَّلِ (٤)
سقَتْنِى بِعَيْنَيْهَا الهوَى وسقَيْتُها ، ... فدَبَّ دَبيب الرَّاح فِي كلِّ مَفْصِلِ (٥)
فلمَّا اسْتَمرَّتْ منْ دُجَى الليلِ دَولَةٌ ... وَكَادَ عَمُودُ الصُّبح بالصُّبْحِ ينْجَلى (٦)
ترَاءَى الهوَى بالشوقِ، فاستحدَثَ البكا ... وَقَالَ لِلَذَّاتِ اللقَاءِ : تَرَحَّلى (٧)
فَلَمْ تَرَ إلا عَبْرَةً بَعْد عَبْرَةٍ ... مُرَقْرَقَةً أو نظرَةً بتَأَمُّلِ (٨)

وقال :

يا رُبَّ خِدْنٍ قد قَرَعْتُ جبينَهُ ... بالطَّاسِ والإبريق حَتَّى مَالَا (٩)
أنْهَضْتُه مِنْ بَعْدِ ما أسْكَرتُهُ ... فمَشَى كأنَّ برِجْلِهِ عُقَّالا (١٠)

* * *

---

(١) الكبدى الحرى : هى التى ألهبها العشق . الصبا : ملاهى الشباب . مقتل . قتله العشق
(٢) خالست الرقيب : تحينت غفلته . ويريد بالرقيب غير المغفل هموم الدهر وأكداره .
(٣) الحوراء : المرأة ذات العين بياضها وسوادها شديدان . العيطل : الطويلة العنق فى حسن
(٤) أفتك : اتبذل . أتبتل : أمتنع متحرجا . يقول : ان حبى لها أكرم موضعها عندى فلم أسرف ولم أتحرج وانما كان لهو معتدل .
(٥) يصف سحر عيونها . الراح : الخمر .
(٦) الدولة هنا : الجانب . عمود الصبح : ضوءه .
(٧) تراءى الهوى بالشوق : ظهرت حرارة الحب .
(٨) العبرة : الدمعة قبل أن تفيض . مرقرقة : تدور فى باطن العين .
(٩) الخدن : الحبيب . الطاس : الاناء يشرب فيه . يريد ساقيته الخمر .
(١٠) العقال : داء يأخذ الدواب فى أرجلها . أى لايستطيع المشى لشدة السكر .

فإذا نظرْتَ رأيتَ قوماً سَادَةً ونجابةً ومَهَابةً وجَمالا

ولَدَيْهِمُ كَرْخِيَّةٌ شَمْسِيَّةٌ قد خُلِّيَتْ فِي دَنِّها أحْوالا(١)

حَتَّى إذا بَلَغَتْ وحَانَ خِطَابُهَا سَاومْتُ صاحِبَها الْبِيَاعَ فغَالَا(٢)

وكأنَّما السَّاقِ لَدَى إبريقهِ بدرٌ أنارَ ضياؤُه فتلألَا(٣)

يَسقيكَ بالعيْنَيْنِ كأسَ صَبَابَةٍ ويُعِيدُهَا من كَفِّهِ جرْيالا(٤)

أصْبَحتُ كالثَّوبِ اللبيسِ قداخْلَقَت جِدَّاتُه مِنْهُ فعَادَ مُذَالا(٥)

وبَقِيتُ كالرَّجُل المُدَلَّهِ عقلُه أَشْكُو الزمانَ وأضرِبُ الأَمثالَا(٦)

سَالَمت عُذَّالِي فآبُوا بالرِّضَا منِّى، وكنتُ أحاربُ العُذَّالَا(٧)

ولقد علمتُ بأنه مامِنْ فتًى إلَّا سَيُبدَلُ بعدَ حال حالا

وقال من وَزْن مُوَلّد :

يأيُّهَا المعمودُ قَدْ شَفَّكَ الصدُودُ(٨)

فأَنتَ مُسْتَهامٌ حالفَكَ السُّهُودُ(٩)

---

(١) كرخية : خمر منسوبة الى الكرخ وهى محلة ببغداد شمسية . خمر الدن : وعاء كبير تختزن فيه الخمر . يريد أنها خمر معتقة . الأحوال : جمع حول . وهو العام .

(٢) خطابها من الخطبة بكسر الخاء : وهى دعوة المرأة للزواج . ساوم المشترى السلعة : طلب بيعها . غالى : تشدد فى المثن وزاد .

(٣) تلالا : تلألأ وأضاء

(٤) الصبابة : الشوق . الجريال : الخمر . يسقيك كأسين احداهما من العين (سحرها) والثانية من اليد .

(٥) اللبيس : الذى أخلقته كثرة اللبس . جدة الثوب : كونه جديدا . مذالا : مهينا مبتذلا.

(٦) المدله : الذاهب عقله من العشق وذلك شأن الرجل اذا أسن وخرف .

(٧) العذال : اللائمون . آبوا : رجعوا

(٨) المعمود : الشديد الوجد أو الحزن . وشفك : أوهنك وأنحلك . والصدود هنا : اعراض الحبيبه ، يتحدث الشاعر عن نفسه .

(٩) المستهام : الذاهب الفؤاد من الحب . والسهود جمع سهد : الأرق .

تَبيتُ ساهِرًا قَدْ وَدَّعَكَ الهُجودُ[1]
وفي الفؤادِ نارٌ ليسَ لها خُمود
تَشُبُّها نيرانٌ من الهَوَى وقُودُ[2]
إذَا أقولُ يوماً قَدْ أُطفِئتْ تَزِيدُ
يَا عاذِلَيَّ كُفَّا فإنَّنِي مَعمودُ
أكْثَرْتُمَا تَفْنِيدِي لو يَنفَعُ التفنيدُ[3]
قَد أقْصَدَتْ فُؤادِي خَمْصَانَةٌ خَرِيدُ[4]
هِجرَانُها قَريبٌ ووَصلُها بَعِيدُ

* * *

مَن لامَ في هواها فَنُصحهُ مَردودُ
يا سِحرُ واصِلِيني فإنَّني عَمِيدُ[5]
إنِّي لِمَا أُلاَقِي من حُبِّكُمْ مجهود
جُودِي لِمُستهامٍ عَذَّبَه التَّسهيدُ
نَسهَرُ من هَواكُمْ وأَنتمُ رُقُودُ
حَتَّى مَتَى مُنَاىَ لا يُنْجَزُ المَوعُودُ
صَارَ الهوى بقَلْبِي يُبْدِي كما يُعِيدُ

* * *

(١) الهجود : النوم .

(٢) تشنها : توقدها وتزيدها . وقود : توقد لها .

(٣) التفنيد : اللوم .

(٤) أقصدت فؤادى : طعنته . خمصانة : ضامرة الحشا . الخريد : البكر والحيية .

(٥) العميد كالمعمود : الشديد الوجد أو الحزن .

وَسَادَةٍ سَراةٍ ما فيهمُ مَسُودُ(١)
كُلُّهمُ جَلِيدٌ مَا فِيهمُ حَرِيدُ(٢)
بَانَ السَّفَاهُ عَنهُمْ فَرَأْيُهمْ سَدِيدُ(٣)
يُسْقَوْنَ صَفْوَ راحٍ لَذيذُها مَوجودُ
كانتْ بِعهدِ نُوحٍ وهُمْ لها جُنُودُ(٤)
حَتَّى إذَا أُبِيدُوا أَورثَهَا ثَمُودُ(٥)
شَمسيَّةٌ شَمولٌ شَيطانُها مَرِيدُ(٦)
مُدَامَةٌ لهَا فِي خُدودِنَا تَورِيدُ
كأن شَارِبِيهَا في سُوقِهِمْ قُيُودُ(٧)
حَتَّى انثَنَتْ عُيُونٌ واحمَرَّت الخُدودُ
فى مَجلِس نَضِيرٍ يَزِينُهُ الشُّهودُ(٨)

---

(١) السراة : جمع سرى ، وهو السيد الشريف .

(٢) الجليد : الجلد القوى الصلب . والحريد : المنفرد الضعيف .

(٣) السفاه : السفه وذهاب الحكمة والسداد .

(٤) أى هى عتيقة قديمة ، وهم : القدامى .

(٥) أى فلما هلك قوم نوح ورثها قوم ثمود فتنقلت فى الأحقاب حتى وصلت الينا .

(٦) شمسية : من صنع الشمس وحرارة الطبيعة ولم تطبخ . شمول: خمراً وباردها.المريد : المتمرد الخبيث ، أى خمر قوية الأثر .

(٧) السوق : جمع ساق : ما بين الركبة والقدم ، يقول : ان شاربيها اقعدهم السكر فكأنهم مقيدون لا يستطيعون حراكا .

(٨) النضير : الحسن . والشهود : الحضور .

غَطارِفٌ كِرَامٌ بيضُ الوجُوهِ صيدُ(١)
مِنْ فَوقِهِم أطيارٌ صِياحُهَا تَغْرِيدَ
وتحتَهمْ جِنانٌ نَباتُها نَضِيدُ (٢)
وعِندَهُمْ دِفافٌ وزَامِرٌ وعُودُ(٣)
خَاضُوا ببحرِ قَصْفٍ تجرِى لَهُ مُدُودُ(٤)
حَتَّى انتشُوا وقَامُوا مجلِسُهمْ محمُودُ
مَنْ نَالَ مِثلَ هذَا فإنَّهُ سَعِيدُ
هَذَا الخُلود عِندِى لَوْ دَامَ لى الخُلودُ

وقال :

أَدِيرى عَلَيَّ الراحَ سَاقِيةَ الخَمرِ ولاتَسأليني واسأَلِى الكأس عن أمرى(٥)
كأنَّكِ بى قَدْ أظْهرَتْ مُضْمَرَ الحشَا لَكِ الكأْسُ حَتَّى أَطْلَعَتْكِ عَلَى سِرِّى(٦)
وقَدْ كُنْتُ أَقْلِى الرَّاحَ أن يَستَفِزَّنى فتَنْطِقَ كأسٌ عَن لِسانى ولاأدرى(٧)

---

(١) غطارف : جمع غطرف وهو السيد أو الكريم أو الشاب الظريف . والصيد : جمع أصيد وهو الملك أو الشريف العزيز .

(٢) نضيد : منضد أى منسق .

(٣) دفاف جمع دف : من آلات الطرب .

(٤) القصف : الاقامة فى الأكل والشراب واللهو . والمدود : الزيادات .

(٥) الراح : الخمر . يقول : الكأس تكشف لك أمرى اذا سكرت منها كما يوضحه البيت التالى .

(٦) أى كأنك ترينني وقد أطلعتك الكأس على سرى الذى أضمره فى نفسى . والحشا هنا : القلب أو الصدر مما هو مكان السر ، والسكران لا يعى شيئا فلا جرم أن يبوح بما فى نفسه .

(٧) أقلى : أبغض . يستفزنى : يستخفني لذهاب وعي ، أى كنت أكره الخمر خوف ذهاب عقلى فيظهر سرى دون أن أشعر .

وَلـكنَّنى أَعْطَيتُ مِقْوَدِى الصِّـبَا ... فَقَادَ بَنَاتِ اللهـو مَخـلوعةَ العُـذْرِ (١)

إذَا شِئتُ غَادانِى صَبُوحٌ مِنَ الهوى ... وإن شِئتُ مَاسَانى غَبوقٌ من الخَمرِ (٢)

ذَهبتُ وَلَمْ أُحـدِدْ بعَينَىَّ نَظرةً ... وأَيقَنتُ أنَّ العينَ هَاتِـكَةٌ سِـتْرِى (٣)

جَعـلنَا عَلاماتِ المـودَّةِ بينَنَـا ... مَصَايدَ لَحْظٍ ، هُنَّ أَخْفَى من السِّحْرِ (٤)

فأعرِفُ مِنهـا الوصلَ فى لين طَرفِهَا ... وأعرفُ منهـا الهجرَ بالنَّظَر الشَّزْرِ (٥)

وفى كُلِّ يومٍ خَشيَةً مِنْ صُـدُودِهَا ... أَبِيتُ عَلَى ذَنْبٍ ، وأغدو على عُذْرِ (٦)

وَمُلْتَطِمِ الأمْواج يَرمى عُبَـابُه ... بِجَرجَـرةِ الآذِىِّ لِلعِـبْرِ فالعِـبْرِ (٧)

مُطعَّمَـةٍ حِيتـانُه ما يُغِبُّهـا ... مآكِلُ زادٍ مِنْ غَريقٍ وِمن كَسرِ (٨)

---

(١) العذر : جمع عذار : الحياء ، وخلع عذاره : اتبع هواه وانهمك فى الغى . يقول : ولكننى عدلت عن بغض الراح ، واتبعت دواعى الصبا ، فقادنى مخلوع العذار الى اللذات . وأوقع الفعل على بنات اللهو وهو واقع عليه هو فهو المقود بيد الصبا .

(٢) الصبوح : الشرب صباحا ، وضـده الغبوق . وغادانى : باكرنى . وصبوح من الهوى : اتصال بالغرام ومراسلة النساء ، فهو بين الهوى والخمر .

(٣) أحدد : أنظر بحدة . اليها : الى المحبوبة ، وذلك خوف ظهور شأنى .

(٤) مصايد لحظ : غمزات العين ، وهن أخفى من السحر لأنه لا يفطن لها أحد .

(٥) النظر الشزر : يكون بجانب العين اعراضا .

(٦) أبيت على ذنب : أى ترمينى بذنب لم أفعله . وأغدو على عذر : أسرع بالاعتذار اليها .

(٧) وهنا انتقل الشاعر الى وصف نهر الفرات والسفينة التى ركبها الى ممدوحه . وملتطم الأمواج :ورب بحر الخ . والمتلاطم : المتناطح . وعباب البحر أو النهر : موجه . وجرجرة الآذى : صوت الموج . والعبر : حافة النهر.

(٨)مطعمة : شبعة . ما يغبها : ما ينقطع عنها . وكسر : كسر سـعينة ، فحيتان النهر موفورة الطعام من كثرة ما تصيب من الغرقى والأمتعة ، يصف النهر بالهول .

إِذَا اعتَنقَتْ فيهِ الجنوبُ تـكفَّأتْ ... جَوَاريهِ أو قَامتْ مع الرِّيحِ لاتَجرِى (١)
كأنَّ مَدبَّ الموجِ فى جَنَبَاتِهـا ... مَدَبُّ الصَّبَا بَيْنَ الوِعاثِ من العُفرِ (٢)
كشَفْتُ أهَاويلَ الدُّجَى عَنْ مَهُولِهِ ... بجَارِيَةٍ محمولَةٍ حَامِلٍ بكْرِ (٣)
لَطمْتُ بِخَدَّيهـا الحَبابَ فأصبحَتْ ... مُوَقَّفَةَ الدَّايَاتِ مَرثومةَ النَّحْرِ (٤)
إِذَا أقبلَتْ رَاعتْ بقُنَّةِ قَرْهَبٍ ... وإن أدْبَرَتْ راقَتْ بقادِمَتَى نَسْرِ (٥)
تَجَافَى بهـا النُّوتِىُّ حَتَّى كأنَّمـا ... يَسيرُ مِنَ الإشفَاقِ فى جَبَلٍ وَعْرِ (٦)
تَخَلَّجُ عَنْ وَجهِ الحَبَابِ كما انثَنَتْ ... مُخَبَّأَةٌ مِنْ كِسْرِ سِتْرٍ إلى سِتْرِ (٧)
أطلَّت بمجذَافَيْنِ يَعتَورانِهـا ... وقَوَّمَها كَبْحُ اللِّجَامِ مِنَ الدُّبْرِ (٨)

---

(١) اعتنقت : اضطربت واستدارت . والجنوب : ريح تهب من الناحية الجنوبية . تكفأت : انقلبت . والجوارى : السفن مع تلك الريح تنكفىء أو تقف لا تسير لهول الحال .

(٢) جنباتها : جنبات السفينة . والصبا : ريح شرقية . الوعاث : الرمال اللينة . والعفر : جمع أعفر وهو الكثيب الأحمر ، يشبه تحرك الموج بجوانب السفينة ، بتحرك الريح بين الرمال فتحمل أجزاءها متنقلة .

(٣) عاد الى النهر يصفه . أهاويل : أهوال ، ومهوله . هول النهر .محمولة يحملها الماء.حامل: تحمل الناس . بكر : لم تركب قبل هذه المرة .يقول : قطعت النهر المهول ، والليل المخوف بتلك السفينة .

(٤) الحباب : الموج ، موقفه لابسة الوقف : سوار من عاج.الدايات : أضلاع الكنف او غضاريف الصدر . مرثومة : بها صبغ من حمرة أو بياض فى مقدمها أو ودع أبيض . يقول : قد أحدث الموج فى جانبى السفينة خطوطا خضرا أو حمرا . وهى مرثومة المقدم مصبوغته أو به ودع أبيض .

(٥) راعت : أفزعت . قنة قرهب : رأس ثور وحشى مسن ، شبه به مقعد النوتى فى صدر المركب . راقت : أعجبت . بقادمتى نسر : بمجذافين كأنهما جناحا نسر .

(٦) تجافى : تنحى عن الخشف وهو حجارة تحت الماء تقرب من أعلاه.والاشفاق : الخوف يقول : ان النوتى تحاشى موطن الخطر فكأنه يسير فى جبل وعر .

(٧) تخلج : تنحى . الحباب : الموج ، والمراد الأماكن التى تضطرب فيها الأمواج ، يشبه تنقل السفينة بين المواضع خشية الأخطار بالجارية تنتقل فى نواحى البيت وأستاره مستترة .

فَحَامَتْ قَلِيلا ثُمَّ مَرَّتْ كأنَّهـا عُقَابٌ تدلَّتْ مِنْ هَواءٍ عَلَى وَكرِ[١]

أنافَ بِهَادِيهَا ومَدَّ زِمَامَها شَدِيدُ عِلاجِ الـكفِّ مُعتمِلُ الظَّهرِ[٢]

إذا مَا عَصَتْ أرخَى الجرِيرَ لِرأسِهَا فَمَلَّـكهَا عِصْيَانَها وَهْيَ لا تَدْرِى[٣]

كأنَّ الصَّبَا تَحْـكِى بِها حِينَ واجَهتْ نَسِيمَ الصَّبَا مَشْىَ العَرُوسِ إلى الخِدرِ[٤]

يَمَّمْنَا بِهَا لَيْلَ التَّمامِ لِأرْبَعٍ فجاءَتْ لِستٍّ قَدْ بَقِينَ مِنَ الشَّهرِ[٥]

فَما بَلَغتْ حَتَّى الطَّلاحُ خَفِيرُها وحَتَّى أتتْ لَوْنَ اللِّحَاءِ مِنَ القِشْرِ[٦]

وحَتى عَلاَهَا الموجُ فى جَنبَاتِها بِأرْدِيَةٍ مِنْ نَسْجِ طُحلُبِـهِ خُضْرِ[٧]

رَمَتْ بِالـكَرى أهوالُها عَنْ عُيونِهم فَبَاتتْ أهاوِيلُ السُّرى بِهِمُ تَسْرِى[٨]

---

(١) حامت : استدارت . والعقاب : طائر من الجوارح . والوكر : العش ، يشبه سرعة السفينة بانقضاض العقاب الى وكره .

(٢) آناف بهاديها : أشرف بعنق السفينة . والمعتمل : العامل . يقول : يعالج السفينة نوتى قوى .

(٣) الجرير : الحبل . عصيانها : تماديها فى الجرى . أى ترك لها العنان لتسير كما تهوى فكأنه حملها على العصيان ، ... ولكنها لا تعقل ذلك .

(٤) يقول : حين تواجه الصبا سفينة تترفق فى مشيها فتشبه فى ذلك مشى العروس الى خدرها، وهو ما تستتربه من بيت أو نحوه .

(٥) أى قصدت بها الممدوح لتمام الليلة الرابعة عشرة من الشهر فوصلت وقد بقى من الشهر ست ليال .

(٦) الطلاح : الكلال والاعياء وفســاد الحال . أى فما بلغت الغاية حتى صار الطلاح كأنه هو الحافظ لها من الهـلاك ، وذلك عجيب . وحتى أتت : حتى صارت . لون اللحـاء : مثل لونه ، واللحاء : قشر الشجرة الرقيق الذى دون القشر الغليظ ، فالسفينة تغير لونها بما ذهب من قشرها.

(٧) الطحلب : طبقة نباتية خضراء تعلو المـاء ، يذكر تعلق الطحلب بجوانب السفينة من تأثير الموج . وخضر : صفة أردية .

(٨) الكرى : النوم ، يقول : ان أهوال السفينة منعت ركابها النوم ، فباتوا يسيرون فى أهوال، والأهاويل : جمع أهوال ، وهذه جمع هول .

تَؤُمُّ مَحَلَّ الراغِبينَ وحَيثُ لَا تُذَادُ إذَا حَلَّت به أرْحُلُ السَّفرِ [١]

ركبْنَا إليه البحرَ فى مُؤْخراتِه فأوفَتْ بنَا مِن بَعدِ بَحرٍ إلى بَحر [٢]

(٨) أبو العتاهية [٣]

قال :

خَانَكَ الطَّرْفُ الطَّمُوحُ أيُّهَا القَلْبُ الجَمُوحُ [٤]

لِدَواعِى الخَيرِ والشَّرِّ دُنُوٌّ وَنزُوحُ [٥]

هَلْ لمطْلُوبٍ بِذَنْبٍ تَوْبَةٌ منه نَصُوحُ [٦]

كَيفَ إصلاحُ قُلُوب إنَّمَا هُنَّ قُرُوحُ [٧]

أَحْسَنَ اللهُ بِنَا أَنَّ الخطَايَا لا تَفُوحُ

فَإذا الْمَسْتُورُ مِنَّا بَينَ ثوبيْهِ فَضُوحُ [٨]

---

(١) تؤم : تقصد أى السفينة . تذاد : تمنع . السفر : المسافرون ، والمعنى أن السفينة تقصد بنا منزلا يقصده الراغبون فى الكرم حيث يرحب بهم .

(٢) فى مؤخراته : أى فى أواخر ركوبه . يقول ان السفينة انتقلت بنا من بحر (الفرات) الى من يشبه البحر كرما .

(٣) هو اسماعيل بن القاسم يكنى أبا اسحق نشأ بالكوفة ، وعالج الشعر صبيا خليعا ثم ألم بمذاهب المتكلمين والفلاسفة حتى خرج زاهدا . وكان بخيلا شديد البخل : غلب عليه مذهب الزهد حتى حانت منيته سنة ٢١١ هجرية ببغداد . ويمتاز شعره بالسهولة ووضوح المعنى وتناول الخواطر العامة فكان صلة حسنة بين الطبقات المتباينة ويكاد شعره من السهولة يكون نثرا

(٤) الطرف العين . الطموح : الطامع يجعلك تتعلق بأمور كثيرة . جموح : نافر لا يقنع .

(٥) نزوح : بعد . ودنو : قرب .

(٦) المطلوب بذنب : العاصى الآثم . نصوح : صادقة ، والاستفهام للنفى .

(٧) قروح : جمع قرح ، وهو الجرح (الاثم) .

(٨) فضوح : مفتضح . مكشوف المساوىء .

كَمْ رأيْنَا مِنْ عَزِيزٍ طُوِيَتْ عَنْهُ الـكُشُوحُ(١)
صَاحَ مِنْهُ بِرَحِيلٍ صَائِحُ الدَّهْرِ الصَّدُوحُ(٢)
سَيَصِيرُ المرءُ يوماً جَسَداً ما فيـه رُوحُ
بَيْنَ عَيْنَى كلِّ حَىّ عَلَمُ الْموتِ يَلُوحُ(٣)
كُلُّنَا فى غَفْلَةٍ والـ ـموتُ يَغْدُو ويَرُوحُ(٤)
نُحْ على نفسِكَ يا مِسـ ـكِينُ إن كُنتَ تَنُوحُ
لَتَموتَنَّ وإن عُمِّـ ـرْتَ ما عُمِّرَ نُوحُ(٥)

ومن قوله :

ألم تَرَ ريبَ الدهرِ فى كلِّ ساعةٍ لهُ عارضٌ فيـهِ المنيَّة تلمَـعُ(٦)
أيا بَانِىَ الدُّنْيَا لغيرِكَ تبتَنِى ويَا جَامعَ الدنيـا لغيرِكَ تجمَعُ
أرى المرءَ وثَّابا على كلِّ فُرصَـة وللمرء يوماً لا محالة مصرَعُ
تبارَكَ مَنْ لا يملِكُ الملكَ غيرُهُ متى تنقضى حاجاتُ من ليس يشبَعُ(٧)
وأَىُّ امرىءٍ فى غاية ليس نفسُه إلى غاية أخرى سـواها تَطَلَّعُ

---

(١) الكشوح : جمع كشح . وهو مابين السرة والظهر . طوى كشحه : أعرض . يقول كم من عزيز صار ذليلا منبوذا .

(٢) الصدوح : مرتفع الصوت . رحيل : موت . يقول : مات .

(٣) علم الموت : مظاهرة وآثاره .

(٤) يغدو ويروح : أى يحصد النفوس دائبا يقظان .

(٥) سيدنا نوح عاش طويلا .

(٦) ريب الدهر : نوائبه . العارض : السحاب . والمنيـة : الموت ، يشبهها بالبرق يكون فى السحاب استعارة مكنية .

(٧) فى الشطر الثاني استفهام تعجبى من طمع الانسان فيما ليس يملكه .

ولما عقد الرشيد العهد لبنيه الثلاثة الأمين والمأمون والمؤتمن قال أبو العتاهية :

رحَلتُ عن الربـع المُحيل قعُودى | إلى ذِى زُحوفٍ جَمّةٍ وجنودِ [١]
وراعٍ يُراعِى اللَّيل فى حِفظ أمَّةٍ | يُدافعُ عنها الشرَّ غيرَ رَقودِ
بألويةٍ ، جبريلُ يقدُم أهلها | وراياتِ نصرٍ حَوله وبُنودِ [٢]
تجافَى عن الدنيا وأيقنَ أنَّها | مفارقةٌ ليستْ بدار خلود
وشدَّ عُرا الإسلام منهُ بفتية | ثلاثةِ أمـلاكٍ وُلاةِ عهود
هُمُ خَيرُ أولادٍ ، لهمْ خيرُ والدٍ | لهُ خير آباء مضَت وجُدودِ
تُقَلِّبُ ألحـاظَ المهابةِ بينهم | عيونُ ظِباء فى قلوب أسود [٣]
خدودهُم شمسٌ أتَتْ فى أهِلَّةٍ | تبدَّت لراءٍ فى نجُوم سعود [٤]

وقال :

دَعْنيَ من ذِكْرِ أَبٍ وجَــدِّ | ونَسَبٍ يُعْليكَ سُورَ الْمَجْدِ
ما الفَخْرُ إلا فى التُّقَى والزُّهْدِ | وطاعةٍ تُعْطِى جِنَانَ الخُلْدِ
لا بدَّ من وِرْدٍ لأَهْلِ الْوِرْدِ | إما إلى ضَحْلٍ وإمَّا عِـدِّ [٥]

---

(١) القعود : الجمل الفتى يقتعده الراعى فى كل حاجـة ورحلته وكبته . المحيل : الدارس . الزحوف جمع زحف : الجيش الكثير يزحف الى العدو . وذو الزحوف هنا : الرشيد .

(٢) يقدم أهلها : يتقدمهم . البنود جمع بند : العلم .

(٣) يقول ان لهم عيونا كعيون الظباء جمالا ، وقلوبا كقلوب الأسد جرأة ، ولعيونهم ألحاظ تبعث الهيبة والروعة فى النفوس .

(٤) الأهلة : الوجوه مجازا . ونجوم السعود : أفراد البيت المالك ، ويجوز أن يراد بها أوقات سعادة .

(٥) الضحل : الماء القليل لا عمق له . والعد : الماء الذي له مدد لا ينقطع .

وقال :

أى عيشٍ يكون أبلغَ من عيـ ـيشِ كَفافٍ قوتٍ بقدر البَلاَغِ[١]

صاحبُ البَغى لَيْسَ يَسْلَمُ منه وعلى نفسهِ بَغى كُلُّ بَاغِى

ربّ ذى نعمةٍ تَعَرَّضَ مِنْهَا حائلٌ بينه وبينَ المسـاغِ

أَبْلَغَ الدهرُ فِى مَواعِظه ، بل زَادَ فِيهِنَّ لِى عَلَى الإِبْلاَغِ

غَبَنَتْنى الأيام عَقْلِى ومالِى وَشَبَابِى وصِحَّتى وفرَاغِى

وقال :

لِدُوا للموت وابْنُوا للخَرَابِ فَكُلُّكُمُ يصير إلى تبَاب[٢]

أَلا يا موت لم أر منكَ بُدًّا أَتَيْتَ وما تَحيفُ وما تُحَابى

كأنكَ قد هَجَمْتَ على مَشِيبى كما هَجَمَ المشيبُ على شَبَابى

وقال فى الغزل :

قال لى أحمـدُ ولم يَدْرِ مابى أَتُحِبُّ الغداة عُتْبةَ حَقًّا ؟

فتنفَّسْتُ ثم قلتُ نَعَمْ حُبّـ ـا جرى فى العروقِ عِرْقا فعِرْقا

لو تَجُسِّينَ يا عُتَيْبَةُ قَلْبى لوجدتِ الفؤاد قرحاً تَفَقَّا[٣]

قد لَعَمْرِى مَلَّ الطَّبِيبُ ومَلَّ الـ ـأَهْلُ مِنِّى مما أُقَاسِى وأَلْقَى

لَيْتَنى مِتُّ فاسْتَرَحْتُ فَإِنِّى أَبداً مَا حَيِيتُ مِنْهُ مُلَقَّى[٤]

---

(١) قوت البلاغ : ما كان على قدر الكفاية .

(٢) التباب : الهلاك .

(٣) تفقأ الجرح : انفتح وسال .

(٤) ملقى : ملاق شره .

جملة من أمثاله :

حَسبُكَ مِمَّا تبتَغِيه الْقُوتُ   ما أكثرَ القوتَ لمن يمُوتُ

* * *

الفقــرُ فيما جاوز الْكفَافَا   مَن اتَّـقى اللهُ رَجَا وَخَافَا

* * *

هى المقادير فَلُمْنِى أو فَذَرْ   إن كُنْتُ أخطأتُ فما أَخْطا الْقَدَرْ

* * *

ما انْتَفَعَ المرء بمثل عَقْلِهِ   وخَيْرُ ذُخْرِ المرءِ حسنُ فِعْلِهِ

* * *

إن الشبابَ والفراغَ والجِدَه   مَفْسَدَةٌ للمرء أىُّ مَفسَدَه

* * *

ما زالتِ الدنيا لنا دَارَ أَذَى   مَمْزُوجَةَ الصَّفْوِ بألوان القَذَى

* * *

الخيرُ والشرُّ بها أزواجُ   لذا نِتَاجٌ ولذا نتاجُ

* * *

من لك بالمَحْضِ وليس مَحْضُ   يخبُثُ بَعْضٌ ويطيب بَعْضُ

* * *

إنك لو تَسْتَنْشِق الشَّحِيحَا   وجدته أنتنَ شئ ريحَا

* * *

والخير والشر إذا ما عُدَّا   بينهما بَوْنٌ بعيدٌ جــدا

(٩) أبو تمام (١)

قال يمدح أمير المؤمنين المعتصم بالله أبا إسحاق محمد بن هارون الرشيد ، ويذكر فتح عمورية :

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً مِنَ الْكُتُبِ ... فِي حدِّهِ الحَدُّ بَيْنَ الجِدِّ واللعِبِ (٢)
بِيضُ الصَّفَائِحِ لاسُودُ الصَّحائِفِ فِى ... مُتُونِهِنَّ جَلاءُ الشكِّ والرِّيَبِ (٣)
وَالْعِلْمُ فِى شُهُبِ الأَرْمَاحِ لَامِعَةً ... بَيْنَ الخَمِيسَيْنِ لافِى السَّبْعَةِ الشُّهُبِ (٤)
أَيْنَ الرِّوَايَةُ بَلْ أَيْنَ النُّجُومُ وَمَا ... صَاغُوهُ مِنْ زُخْرُفٍ فِيها وَمِنْ كَذِبِ؟
تَخَرُّصًا وَأَحَادِيثًا مُلَفَّقَةً ... لَيْسَتْ بِنَبْعٍ إِذَا عُدَّتْ وَلَا غَرَبِ (٥)

---

(١) هو حبيب بن أوس الطائى نسبه الى قبيلة طيىء . ولد فى قرية جاسم من بلاد حوران بالشام ، ثم انحدر الى مصر صبيا فتروى الأدب : وأكثر من حفظ الشعر ، قصيده وأراجيزه ، وعالج القريض حتى أجاده وبرع فيه ثم صار الى بغداد فمدح الخليفة المعتصم وغيره فأبدع وأوفى على الغاية حتى تقدم على سائر شعراء عصره . ويمتاز فى شعره بتخير اللفظ . وتجويد الصياغة وهو من أوائل من عنوا بتحرى فنون البديع ، وبخاصة الطباق والتجنيس وكانت وفاته سنة ٢٣١ هجرية .

(٢) الأنباء: جمع نبأ ، وهو الخبر يقول : ان السيف أصدق مما تضمنته الكتب وقد حكوا أن المنجمين كانوا حذروا المعتصم فتحها فى هذا الأوان ، وقالوا انا نجد فى الكتب أنها لا تفتح الا فى وقت نضج التين والعنب ، فلم يسمع المعتصم لقولهم وسار بجيشه ففتحها .

(٣) الصفائح جمع صفيحة : السيف العريض . والصحائف جمع صحيفة : القرطاس المكتوب ، يقول : ان السيوف البيضاء هى التى تجلو الشك وتزيل الريب لا الصحائف المكتوبة .

(٤) شهب الرماح : أى الرماح التى هى كالشهب . والخميس : الجيش . والسبعة الشهب هى: الشمس والقمر وزحل والمشترى والمريخ وزهرة وعطارد ، يقول : ان العلم الحق انما هو فى السيوف وليس فى النجوم .

(٥) التخرص : الكذب . والنبع : شجر صلب ينبت فى رءوس الجبال . والغرب : نبات رخو منبت على الأنهار ، أى أن أحاديث المنجمين كذب لا أصل له .

عَجَائِباً زَعَمُوا الْأَيَّامَ مُجْفِلَةً ... عَنْهُنَّ فِي صَفَرِ الأَصْفَارِ أَوْ رَجَبِ (١)
وَخَوَّفُوا النَّاسَ مِنْ دَهْيَاءَ مُظْلِمَةٍ ... إِذَا بَدَا الْكَوْكَبُ الغَرْبِيُّ ذُوالذَّنَبِ
وَصَيَّرُوا الْأَبْرُجَ الْعُلْيَا مُرَتَّبَةً ... مَا كَانَ مُنْقَلِباً أَوْ غَيْرَ مُنْقَلِبِ (٢)
يَقْضُونَ بِالْأَمْرِ عَنْهَا وَهْيَ غَافِلَةٌ ... مَا دَارَ فِي فَلَكٍ مِنْهَا وَفِي قُطُبِ (٣)
لَوْ بَيَّنَتْ قَطُّ أَمْراً قَبْلَ مَوْقِعِهِ ... لَمْ تُخْفِ مَا حَلَّ بِالْأَوْثَانِ وَالصُّلُبِ
فَتْحِ الْفُتُوحِ تَعَالَى أَنْ يُحِيطَ بِهِ ... نَظْمٌ مِنَ الشِّعْرِ أَوْ نَثْرٌ مِنَ الْخُطَبِ
فَتْحٌ تَفَتَّحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَهُ ... وَتَبْرُزُ الْأَرْضُ فِي أَثْوَابِهَا الْقُشُبِ
يَا يَوْمَ وَقْعَةِ عَمُّورِيَّةَ انْصَرَفَتْ ... عَنْكَ الْمُنَى حُفَّلاً مَعْسُولَةَ الْحَلَبِ (٤)
أَبْقَيْتَ جَدَّ بَنِي الْإِسْلَامِ فِي صُعُدٍ ... وَالْمُشْرِكِينَ وَدَارَ الشِّرْكِ فِي صَبَبِ (٥)
أُمٌّ لَهُمْ لَوْ رَجَوْا أَنْ تُفْتَدَى جَعَلُوا ... فِدَاءَهَا كُلَّ أُمٍّ بَرَّةٍ وَأَبِ (٦)
وَبَرْزَةُ الْوَجْهِ قَدْ أَعْيَتْ رِيَاضَتُهَا ... كِسْرَى وَصَدَّتْ صُدُوداً عَنْ أَبِي كَرِبِ (٧)

---

(١) يقول : أنهم اختلقوا عجائب فزعموا أن صفرا ورجبا شهرا شؤم لا يأتيان بخير .

(٢) كانوا يقسمون بروج السماء ثلاثة أقسام ـ أربعة منقلبة ـ وهى الحمل والسرطان والميزان والجدى ، وأربعة ثابتة ، وأربعة ذوات جسدين . ويزعمون أن الحوادث تقع وفق الطالع فان كان الحادث سيقع فى برج ثابت فعلوه وان كان فى منقلب لم يفعلوه .

(٣) يقول : ان النجوم نفسها غافلة عما يتحدثون به ويأفكون .

(٤) لمنى : مايتمناه الانسان . وحفل : جمع حافل ، وهى الناقة التى امتلأ ضرعها . والحلب : الحلبة من اللبن ، ومعسولة : حلوة. يقول : ان امانينا عادت وهى حافلة بالسرور لتحقق ما أملت

(٥) الصبب : الانحدار .

(٦) يقول : ان عمورية كانت عزيزة عليهم كأمهم ، وانها كانت ركنا عظيما من أركانهم .

(٧) البرزة : الحسنة الوجه : الفائقة فى الجمال . وكسرى : ملك فارس . وأبو كرب : ملك من ملوك التبابعة باليمن . يقول : ان عمورية جميلة فائقة الجمال قد أعيا فتحها كسرى وأبا كرب .

مِنْ عَهْدِ إِسْكَنْدَرٍ أَوْ قَبْلَ ذَلِكَ قَدْ ... شَابَتْ نَوَاصِي اللَّيَالِي وَهْيَ لَمْ تَشِبِ
بِكْرٌ فَمَا افْتَرَعَتْهَا كَفُّ حَادِثَةٍ ... وَلَا تَرَقَّتْ إِلَيْهَا هِمَّةُ النُّوَبِ
حَتَّى إِذَا مَخَضَ اللّٰهُ السِّنِينَ لَهَا ... مَخْضَ الْبَخِيلَةِ كَانَتْ زُبْدَةَ الْحِقَبِ (١)
أَتَتْهُمُ الْكُرْبَةُ السَّوْدَاءُ سَادِرَةً ... مِنْهَا وَكَانَ اسْمُهَا فَرَّاجَةَ الْكُرَبِ (٢)
جَرَى لَهَا الْفَأْلُ نَحْسًا يوم أَنْقِرَةٍ ... إِذْ غُودِرَتْ وَحْشَةَ السَّاحَاتِ وَالرُّحَبِ (٣)
لَمَّا رَأَتْ أُخْتَهَا بِالْأَمْسِ قَدْ خَرِبَتْ ... كَانَ الْخَرَابُ لَهَا أَعْدَى مِنَ الْجَرَبِ (٤)
كَمْ بَيْنَ حِيطَانِهَا مِنْ فَارِسٍ بَطَلٍ ... قَانِي الذَّوَائِبِ مِنْ آنِي دَمٍ سَرِبِ (٥)
بِسُنَّةِ السَّيْفِ وَالْخَطِّيِّ من دَمِه ... لَا سُنَّةِ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ مُخْتَضِبِ (٦)
لَقَدْ تَرَكْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِهَا ... لِلنَّارِ يَوْمًا ذَلِيلَ الصَّخْرِ وَالْخَشَبِ (٧)
غَادَرْتَ فِيهَا بَهِيمَ اللَّيْلِ وَهْوَ ضُحًى ... يَشُلُّه وَسْطَهَا صُبْحٌ مِنَ اللَّهَبِ (٨)

---

(١) مخض اللبن . خلطه ماء ثم رجه ليستخرج زبدته . ومخض البخيلة أشد لأنها تريد أن تستوفى ما فى اللبن من زبدة . يقول :ان الله حفظ عمورية وظلت الأجيال تمخضها مخض البخيلة حتى استخلصها المعتصم فكانت زبدة الدهور .

(٢) الكربة السوداء : المصيبة العظمى . سادرة متحيرة والضمير فى منها واسمها يرجع على عمورية : يقول : نأ الكارثة العظمى أصابتهم بفتحها وكانت عندهم فراجة الكرب لتعويلهم عليها فى حروبهم .

(٣و٤) كان المعتصم قد فتح أنقرة قبل فتح عمورية . يقول : لما فتحت أنقرة كان فتحها شؤما على عمورية وأهلها فكان خراب أنقرة أعدى من الجرب اذ سقطت بعدها عمورية .

(٥) قانى الذوائب : أحمر الضفائر : والآنى الحار جدا .وسرب : سائل . يقول : كم بين حيطان عمورية وقلعتها من جنود خضبت بالدماء الحارة .

(٦) كان بعض المسلمين يرون من السنة أن يخضب الشعر بالحناء . فهو يقول : ان هؤلاء الأبطال خضبوا من السيوف بالدماء وليس خضابهم — كالسنة — بالحناء .

(٧) يقول لقد تركت الصخر والخشب ذليلين لكثرة ما أعملت فيهما النار .

(٨) يشله :يطرده. يقول : ان الليل المظلم صار نهارا باشتعال النيران التى كانت تطارد الظلام .

حَتَّى كَأَنَّ جَلاَبِيبَ الدُّجَى رَغِبَتْ عَنْ لَوْنِهَا أَوْ كَأَنَّ الشَّمْسَ لَمْ تَغِبِ
ضَوْءٌ مِنَ النَّارِ وَالظَّلْمَاءُ عَاكِفَةٌ وَظُلْمَةٌ مِنْ دُخَانٍ فِي ضُحًى شَحِبِ
فَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ مِنْ ذَا وَقَدْ أَفَلَتْ وَالشَّمْسُ وَاجِبَةٌ مِنْ ذَا وَلَمْ تَجِبِ (١)
تَصَرَّحَ الدَّهْرُ تَصْرِيحَ الْغَمَامِ لَهَا عَنْ يَوْمِ هَيْجَاءَ مِنْهَا طَاهِرٍ جُنُبِ (٢)
لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ مِنْهُمْ يَوْمَ ذَاكَ عَلَى بَانٍ بِأَهْلٍ وَلَمْ تَغْرُبْ عَلَى عَزَبِ (٣)
مَا رَبْعُ مَيَّةَ معموراً يُطِيف به غَيْلاَنُ أَبْهَى رُباً من رَبْعِها الْخَرِبِ (٤)
وَلاَ الْخُدُودُ وَقَدْ أُدْمِينَ مِنْ خَجَلٍ أَشْهَى إِلَى نَاظِرِى مِنْ خَدِّهَا التَّرِبِ (٥)
سَماجَةٌ غَنِيَتْ مِنَّا الْعُيُونُ بِهَا عَنْ كلِّ حُسْنٍ بَدَا أَوْ مَنْظَرٍ عَجَبِ (٦)
وَحُسْنُ مُنْقَلَبٍ تَبْدو عَوَاقِبُهُ جَاءَتْ بَشَاشَتُهُ عَنْ سُوءِ مُنْقَلَبِ
لَمْ يَعلَمِ الْكُفْرُ كَمْ مِنْ أَعْصُرٍ كَمَنَتْ لَهُ الْمَنِيَّةُ بَيْنَ السُّمْرِ والقُضُبِ
تَدْبِيرُ مُعْتَصِمٍ بِاللهِ مُنْتَقِمٍ لِلهِ مُرْتَغِبٍ فى اللهِ مُرْتَقِبِ

---

(١) وجبت الشمس : غربت . يقول ، ان النار كانت قد ملأت القلعة حتى لتظن أن الشمس طالعة وهى لم تطلع ، وتظن من دخانها الكثيف المظلم أنها غربت ولم تغرب بدليل ما ترى من ضياء.

(٢) تصرح : تكشف. يقول : انكشف الدهر كما ينكشف الغمام عن يوم شديد وكان يوما طاهرا جنبا . ويعنى بطهره ماكان فيه من جهاد العدو . وهو مطلب دينى ، ويعنى بجنابته ماكان فيه من سبى وما اليه .

(٣) لم تطلع الشمس على متزوج من العدو لأنه قتل ، ولم تغرب على عزب من المسلمين لأنه قد ناله من السبايا ما بنى بها .

(٤) غيلان : هو ذو الرمة الشاعر المشهور . ومية : محبوبته التى أكثر من التشبيب بها .

(٥) الخد الترب : المعفر فى التراب .

(٦) يقول : ان منظر عمورية وما فيه من خراب وتهدم وسماجة أجمل فى العيون من منظرجميل.

وَمُطْعَمِ النَّصْرِ لَمْ تَكْهَمْ أَسِنَّتُهُ ... يَوْماً وَلاَ حُجِبَتْ عَنْ رُوحِ مُحْتَجِبِ (١)
لَمْ يَغْزُ قَوْماً وَلَمْ يَنْهَدْ إِلَى بَلَدٍ ... إِلا تَقَدَّمَهُ جَيْشٌ مِنَ الرُّعُبِ (٢)
لَوْ لَمْ يَقُدْ جَحْفَلاً يَوْمَ الوَغَى لَغَدَا ... مِنْ نَفْسِهِ وَحْدَهَا فى جَحْفَلٍ لَجِبِ
رَمَى بِكَ اللهُ بُرْجَيْهَا فَهَدَّمَهَا ... وَلَوْ رَمَى بِكَ غَيْرُ اللهِ لَمْ تُصِبِ
مِنْ بَعْدِ مَا أَشَّبُوهَا وَاثِقِينَ بِهَا ... وَاللهُ مِفْتَاحُ بَابِ الْمَعْقِلِ الأَشِبِ (٣)
وَقَالَ ذُو أَمْرِهِمْ لاَ مَرْتَعٌ صَدَدٌ ... لِلسَّارِحِينَ وَلَيْسَ الْوِرْدُ مِنْ كَثَبِ (٤)
أَمَانِيـاً سَلَبَتْهُمْ نُجْحَ هَاجِسِهَا ... ظُبَى السُّيُوفِ وَأَطْرَافُ الْقَنَا السُّلُبِ
إِنَّ الحِمَامَيْنِ مِنْ بِيضٍ وَمِنْ سُمُرٍ ... دَلْوَا الْحَيَاتَيْنِ مِنْ مَاءٍ وَمِنْ عُشُبِ (٥)
لَبَّيْتَ صَوْتاً زِبَطْرِيًّا هَرَقْتَ لَهُ ... كَأْسَ الْكَرَى وَرُضَابَ الْخُرَّدِ الْعُرُبِ (٦)
عَدَاكَ حَرُّ الثُّغُورِ الْمُسْتَضَامَةِ عَنْ ... بَرْدِ الثُّغُورِ وَعَنْ سَلْسَالِهَا الْحَصِبِ (٧)

---

(١) يعنى بمطعم النصر الخليفة المعتصم : ومعنى مطعم النصر أن الله يطعمه النصر كما يطعمه الرزق . وكهمت أسنته : كلت .

(٢) نهد الرجل : نهض .

(٣) أشبوها : حصنوها . والمعقل الأشب : الحصن المنيع .

(٤) ذو أمرهم : قائدهم ، أى قال قائدهم اثبتوا للعدو فأنتم بمأمن اذ ليس مكان قريب تحل به جنود العدو ثم لا يمكن أن تنال من قرب .

(٥) الحمام : الموت . والبيض : السيوف . والسمر : القنا . يقول : ان السيوف والقنا وهما أسباب الموت هما كذلك أسباب الحياة من نيل الماء والعشب .

(٦) زبطريا : نسبة الى زبطرة : بلدة كان قد فتحها الروم فلما أرادوا أن يسبوا امرأة مسلمة فيها نادت وامعتصماه فبلغ ذلك المعتصم وكان فى يده كأس فلم يشربها وأمر بتجنيد الجيش وغزو عمورية .والرضاب : الريق .والخرد : الحسان . والعرب جمع عروب : وهى المرأة المتحببة لزوجها

(٧) عداك : صرفك . والثغور الأولى : البلاد المتاخمة للعدو.والثغور الثانية : أسنان الحسان. وسلسالها : ريقها . الحصب : العذب .

أَجَبْتَهُ مُعْلِناً بالسيف مُنْصَلِتاً وَلَوْ أَجَبْتَ بغَيْرِ السَّيْفِ لم تُجِبِ (١)
حتى تَرَكْتَ عَمُودَ الشرْك مُنْقَعِرا ولم تُعَرِّجْ على الْأَوْتَادِ والطنُبِ
لَمَّا رَأَى الحَرْبَ رَأْىَ الْعَيْنِ تَوْفَلِسٌ وَالحَرْبُ مُشْتَقَّةُ المَعْنى مِنْ الحَرَبِ (٢)
غَدَا يُصَرِّفُ بالْأَمْوَالِ جِرْيَتَهَا فَعَزَّهُ الْبَحْرُ ذُو التَّيَّارِ وَالحَدَبِ (٣)
هَيْهَاتَ زُعْزِعَتِ الْأَرْضُ الوَقُورُ بِهِ عَنْ غَزْوِ مُحْتَسِب لا غزوِ مكتسبِ
لَمْ يُنْفِقِ الذَّهَبَ المُرْبِى لِكَثْرَتِهِ عَلَى الحَصَى وَبِهِ فَقْرٌ إِلَى الذَّهَبِ (٤)
إِنَّ الْأُسُودَ أُسُودُ الغَابِ هِمَّتُهَا يَوْمَ الكَرِيهَةِ فِى المَسْلُوبِ لا السَّلَبِ
وَلَّى وَقَدْ أَلْجَمَ الخَطِّىُّ مَنْطِقَهُ بِسَكْتَةٍ تَحْتَهَا الأَحْشَاءُ فِى صَخَبِ (٥)
أَحْذَى قَرَابِينَهُ صَرْفَ الردى وَمَضَى يَحْتَثُّ أَنْجَى مَطَايَاهُ مِنَ الهَرَبِ (٦)
مُوَكَّلا بيَفَاعِ الأَرْضِ يُشْرِفُهُ مِنْ خِفَّةِ الخَوْفِ لَامن خفَّةِ الطَّرَبِ (٧)
إِنْ يَعْدُ مِنْ حَرِّهَا عَدْوَ الظَّلِيمِ فقد أَوْسَعْتَ جَاحِمَهَا مِنْ كَثْرَةِ الحطبِ (٨)

---

(١) الضمير فى أجبته يعود على الصوت الزبطرى . وهو صوت المرأة المستغيثة .

(٢) توفلس : ملك الروم : والحرب بالفتح : سلب الأموال .

(٣) يقول ان توفلس أخذ يرشى بالمال ليدفع عنه تيار الجيوش فغلبه البحر ذو التيار والحدب. ويعنى بالبحر الجيش العظيم وذو الحدب : ذو الموج المتلاطم .

(٤) الضمير فى ينفق : يعود على المعتصم .

(٥) الضمير فى ولى : يعود على توفلس . وألجم الخطى منطقه ، أى أخرسه السيف .

(٦) أحذى : أعطى . وقرابينه : أى المقربين له . يقول : ان توفلس قدم المقربين اليه هدية لصروف الموت وفر هو على أحسن مطاياه وأنجبها .

(٧) اليفاع : الأرض المرتفعة . ويشرفه : يعلوه .

(٨) يقول : ان فر توفلس من حر النار فرار النعام فذلك لانك أضرمت نارا لا عهد له بها .

تِسْعُونَ أَلْفاً كآسادِ الشَّرَى نَضِجَتْ ... جُلُودُهُمْ قَبْلَ نُضْجِ التِّينِ وَالعِنَبِ (١)
يا رُبَّ حَوْبَاءَ لَمَّا اجْتُثَّ دَابِرُهُمْ ... طَابَتْ وَلَوْ ضُمِّخَتْ بالمِسْكِ لَمْ تَطِبِ (٢)
وَمُغْضَبٍ رَجَعتْ بِيضُ السُّيُوفِ بهِ ... حَيَّ الرِّضَا مِنْ رَدَاهُمْ مَيِّتَ الغَضَبِ
والحَرْبُ قائِمَةٌ فِي مَأْزِقٍ لَحِجٍ ... تَجْثُو الكُمَاةُ به صُغْراً عَلَى الرُّكَبِ (٣)
كَمْ نيلَ تَحْتَ سَنَاهَا مِنْ سَنَى قَمَرٍ ... وَتَحتَ عَارِضِها مِنْ عارِضٍ شَنِبِ (٤)
كَمْ كانَ فِي قَطْعِ أَسْبَابِ الرِّقَابِ بِها ... إِلَى المُخَدَّرَةِ العَذْرَاءِ مِنْ سَبَبِ (٥)
كَمْ أَحْرَزَتْ قُضُبُ الهِنْدِيِّ مُصْلَتَةً ... تَهْتَزُّ ، مِنْ قُضُبٍ تَهْتَزُّ فى كُثُبِ (٦)
بِيضٌ إذا انْتُضِيَتْ مِنْ حُجْبِها رَجَعَتْ ... أَحَقُّ بالبِيضِ أَبْدَاناً مِنَ الحُجُبِ (٧)
خَلِيفَةَ اللهِ ! جَازَى اللهُ سَعْيَكَ عَنْ ... جُرْثُومَةِ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ وَالحَسَبِ
بَصُرْتَ بالرَّاحَةِ الْكُبْرَى فَلَمْ تَرَهَا ... تُنَالُ إِلاَّ عَلَى جِسْرٍ مِنَ التَّعَبِ
إِنْ كانَ بَيْنَ صُرُوفِ الدَّهْرِ مِنْ رَحِمٍ ... مَوْصُولَةٍ أَوْ ذِمَامٍ غَيْرَ مُنْقَضِبِ (٨)

---

(١) يقول : ان جيش العدو كان تسعين ألفا حل أجلهم قبل أن ينضج التين والعنب ، وفى هذا تهكم بقول المنجمين الذى ذكر فى أول القصيدة .

(٢) الحوباء : النفس ويعنى نفوس المسلمين وقد طابت بقطع دابر العدو بأكثر مما تطيب بالمسك .

(٣) المأزق : موضع الحرب . ولحج : ضيق . والكماة : الأبطال . وصغرا : أذلاء .

(٤) العارض الأول : السحاب . والثانى مايعرض من الأسنان ، وشنب : رقيق لطيف .

(٥) يعنى بالمخدرة العذراء عمورية لأنها لم تفتح قبل . يقول : ان قطع الرقاب كان سببا فى فتح عمورية والضمير فى بها للحرب .

(٦) القضب : السيوف . ومصلته : مشهورة . والقضب الثانية : الغصون . أى كم أحرزت هذه السيوف قدودا كالأغصان .

(٧) انتضيت : سلت . والحجب : الأغماد . يقول : ان هذه السيوف أحق أن تغمد فى صدور الأعداء البيض أبدانا من أن تغمد فى جرابها .

(٨) الذمام : الحرمة . ومنقضب : منقطع .

فَبَيْنَ أَيَّامِكَ اللَّاتِي نصرت بِهَا   وَبَيْنَ أَيَّامِ « بَدْرٍ » أَقْرَبُ النَّسَبِ
أَبْقَتْ بَنِي الْأَصْفَرِ الْمِمْرَاضِ كَاسْمِهِمِ   صُفْرَ الْوُجُوهِ وَجَلَّت أَوْجُهَ الْعَرَبِ (١)

وقال يمدح أبا العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مُصْعَب :

وَرَكْبٍ كَأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ عَرَّسُوا   عَلَى مِثْلِهَا وَاللَّيْلُ تَسْطُوا غَيَاهِبُهْ (٢)
لِأَمْرٍ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ صُدُورُهُ   وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهْ (٣)
عَلَى كُلِّ مَوَّارِ الْمِلَاطِ تَهَدَّمَتْ   عَرِيكَتُهُ الْعَلْيَاءُ وَانْضَمَّ حَالِبُهْ (٤)
رَعَتْهُ الْفَيَافِي بَعْدَ مَا كَانَ حِقْبَةً   رَعَاهَا وَمَاءُ الرَّوْضِ يَنْهَلُّ سَاكِبُهْ (٥)
إِلَيْكَ جَزَعْنَا مَغْرِبَ الْمُلْكِ كُلَّمَا   هَبَطْنَا مَلًا صَلَّتْ عَلَيْكَ سَبَاسِبُهْ (٦)
إِلَى سَالِبِ الْجَبَّارِ بَيْضَةَ مُلْكِهِ   وَآمِلُهُ غَادٍ عَلَيْهِ فَسَالِبُهْ (٧)

---

(١) بنو الأصفر : الروم . والممراض : الكثير المرض .

(٢) أطراف الأسنة : أسنة الرماح . عرسوا : نزلوا ليلا . يقول : ان هؤلاء الركب ركبوا على مثل أسنة الرماح وهى كور الجمال التى تشبه الأسنة فى الصلابة والمضاء . وغياهب الليل : ظلمته

(٣) لأمر : متعلق بعرسوا : أى أن هؤلاء الركب ركبوا لأمر وهو نيل العطاء من الممدوح ولكن عليهم أوله وهو السفر وتحمل التعب ليس عليهم تمامه وهو أن يفوزوا بمطلبهم .

(٤) على كل : متعلق بفعل محذوف وهو ساروا . والملاط : عضد البعير . والموار : المتحرك . والحالب : عرق يتصل بأسفل البطن وهو كنية عن الضمور .

(٥) الفيافى : فلوات لاماء بها ، والواو للحال : أى أن هذه الابل كانت ترعى الفيافى أيام نضارتها وهى الآن ترعاها الفيافى فتضعفها وتهزلها .

(٦) جزعنا الأرض : قطعناها عرضا . ومغرب الملك : الشام . وكان أبو تمام بها وكان ممدوحه بخراسان . والملا : الصحراء . وصلت عليه : أثنت عليه . والسباسب : جمع سبسب . الأرض المستوية .

(٧) بيضة الملك : حوزته وأصله. وآمله : طالب العطاء منه : يقول : أنا سرنا الى من يسلب الجبار ملكه ، وطالب العطاء منه يسلبه ماله ، فهو سالب ملك الجبار ومسلوب المال من الطالبين .

وَقدْ قَرَّبَ الْمَرْمَى الْبَعِيدَ رَجَاؤُهُ ... وَسَهَّلَتِ الْأَرْضَ العِزَازَ كتَائِبُهْ

سَمَا لِلْعُلا منْ جَانِبَيْهَا كِليْهِمَا ... سُمُوَّ عُبَابِ الْمَاءِ جَاشَتْ غَوَاربُهْ(١)

فَنوَّلَ حَتَّى لَمْ يَجِدْ مَنْ يُنِيلُهُ ... وَحَارَبَ حَتَّى لَمْ يجِدْ مَنْ يُحَاربهْ

وأَيْنَ بوَجْهِ الْحَزْمِ عَنْهُ وَإِنمَا ... مَرَائى الْأُمُور الْمُشْكلاتِ تَجَاربُهْ(٢)

أَرَى النَّاسَ مِنْهَاجَ النَّدَى بَعْدَمَا عَفَتْ ... مَهَايِعُهُ الْمُثْلَى وَمَحَّتْ لَوَاحِبُه(٣)

فَفِي كُلِّ نَجْدٍ فِي الْبِلادِ وَغَائرٍ ... مَوَاهِبُ لَيْسَتْ مِنْهُ وَهْيَ مَوَاهِبُهْ(٤)

إِذَا مَا امْرُؤٌ أَلْقَى بِرَبْعِكَ رَحْلَهُ ... فَقَدْ طَالَبَتْهُ بِالنَّجَاحِ مَطَالِبُهْ(٥)

وقال يمدح أحمد بن المعتصم :

إنَّ الَّذى خَلَقَ الْخَلَائِقَ قَاتَهَا ... أَقْوَاتَهَا لِتَصَرُّفِ الْأَحْرَاسِ(٦)

فَالْأَرْضُ مَعْرُوفُ السَّمَاءِ قِرًى لَهَا ... وَبنُو الرَّجَاءِ لَهُمْ بَنُو الْعَبَّاسِ(٧)

الْقَوْمُ ظِلُّ اللهِ أَسْكَنَ دِينَهُ ... فِيهِم وَهُم جبَلُ الْمُلُوكِ الرَّاسِى

فِى كُلِّ جَوْهَرَةٍ فِرِنْدٌ مُشْرِقٌ ... وَهُمُ الْفِرِنْدُ لِهَؤُلَاءِ النَّاسِ(٨)

---

(١) يريد بجانبى العلا الشجاعة فى الحرب والكرم . والعباب : معظم الماء . وجاشت : زخرت. وغواربه : أعلى أمواجه .

(٢) أين بوجه الحزم : أى كيف يشكل عليه الحزم . وتجاربه مرآة للمشكلات . ومرائى : جمع مرآة .

(٣) أرى الناس : بين لهم وأوضح . المهايع واللواحب : الطرق الواضحة . وعفت ومحت : درست .

(٤) لما علم الناس الكرم كانت هباتهم ليست منه وهى فى الحقيقة منه لأنه هو الذى علمهم .

(٥) أى من نزل عندك وألقى رحله بربعك ضمن نجح مطلبه .

(٦) الأحراس : جمع حارس .

(٧) الأرض مبتدأومعروف مبتدأثان.وقرى خبر المبتدأ الثانىوالجملة خبر المبتدأ الأول.ومعروف السماء المطر . يقولان الأرض قوتها المطر. وأهل الرجاء لهم بنو العباس يحققون لهم مارجوا.

(٨) الفرند : رونق الشىء .

هَدَأَتْ عَلَى تَأْميلِ أَحْمَدَ هِمَّتِي وَأَطَافَ تَقْليدِي بِهِ وَقِيَاسِي (١)

وَالْحَمْدُ بُرْدُ جَمالٍ اُخْتَالَتْ بِهِ غُرَرُ الْفِعَالِ وَلَيْسَ بُرْدُ لِبَاسِ

أَبْلَيْتَ هَذَا الْمَجْدَ أَبْعَدَ غَايَة فِيهِ وَاكْرَمَ شِيمَةٍ وَنحَاسِ (٢)

إِقْدامُ عَمْرو فى سَمَاحَةِ حَاتِم فِي حِلْمِ أَحْنَفَ فِي ذَكَاءِ إِيَاسِ (٣)

لاَ تُنْكِرُوا ضَرْبِى لَهُ مَنْ دُونَهُ مَثَلاً شَرُوداً فِي النَّدَى وَالْبَاسِ

فاللهُ قَدْ ضَرَبَ الْأَقَلَّ لِنُورِهِ مَثَلًا مِن الْمِشْكَاةِ وَالنبْرَاسِ (٤)

غَلَبَ السُّرُورُ عَلَى هُمُومِى بِالَّذِى أَظْهَرْتَ مِنْ بِرِّى وَمِنْ إِينَاسِى

عَدَلَ الْمَشيبُ عَلَى الشَّبَابِ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ كَبْرَةٍ لَكِنَّهُ مِنْ يَاسِ (٥)

أَثَرُ المطَالِب فِي الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا أَثَرُ السِّنِينَ وَوَسْمُهَا فِي الرَّاسِ

وقال يمدح الحسن بن رجاء :

لما وَرَدْنا سَاحةَ الحسَنِ انقضَى عَنا تَعَجْرُفُ دَولةِ الإمحالِ (٦)

أحيَا الرجاء لنا برغْمِ نوائب كثُرَتْ بِهِنَّ مصَارعُ الآمالِ (٧)

---

(١) يقول : ان همتى استقرت بعد أن أملت أحمدبن المعتصم ، وتقليدى للناس فى السعى اليه وتجاربى حققت امالى .

(٢) تقول : أبليت فلانا نعمة اذا أسديتها اليه . و نحاس : الشيمة والطبع .

(٣) هو عمرو بن معد يكرب ، وحاتم الطائى المشهور بالكرم ، واياس بن معاوية كان قاضيا بالبصرة ، والأحنف بن قيس سيد بنى تميم .

(٤) اشارة الى الآية الكريمة « مثل نوره كمشكاة فيها مصباح » .

(٥) يقول : ان مشيبى تحول الى شباب ولم يكن مشيبى من كبر ولكنه من يأس ، فلماقصدتك زال همى ووقف المشيب وسلكت طريق الشباب .

(٦) التعجرف : التكبر . الامحال : الجدب .

(٧) مصارع : جمع مصرع : وهو الموت ، والمراد عدم تحققها .

أغْلى عَذَارَى الشِّعر أن مُهورَهَا عندالكِرامِ ـ وإنْ رَخُصْنَ ـ غَوَالِى (١)
ترِدُ الظنونُ بنا على تصديقِها ويُحَكِّمُ الآمالَ فى الأموالِ (٢)
ورأيتَنى فسألتَ نفسَك سَيْبَها لِىَ ثم جُدتَ وما انتظرتَ سُؤَالِى (٣)
كالغيث ليس لهُ — أريدَ نوالُه أو لم يُرَدْ — بُدٌّ من التَّهطَالِ (٤)

وقال فى وصف القلم من قصيدة يمدح بها ابن الزيات :

لكَ القَلَمُ الأعلى الذى بشَبَاتِه تُصابُ من الأمرِ الكُلى والمفاصِلُ (٥)
لُعابُ الأفاعى القاتلاتِ لُعابُه وأَرْىُ الجَنَى اشتَارَتْه أيدٍ عواسل (٦)
له ريقَةٌ طَلٌّ وَلكنَّ وقعَها بآثارِه فى الشرقِ والغرب وابل (٧)
فَصيحٌ إذا استنطقتَه وهو رَاكبٌ وأعجمُ إن خاطبتَهُ وهو رَاجل (٨)

---

(١) العذارى جمع عذراء : الفتاة ، والمراد بدائع الشعر التى لم تبتذل .

(٢) يقول : ان ما نظنه ونخاله من الخيرات يدفعنا اليه فنجده حقا ، ثم يعطينا من أمواله ما أملنا فيه .

(٣) السيب : العطاء . يريد أنك رأيتنى فاقتضيت نفسك اعطائى دون أن أسألك ذلك .

(٤) الغيث : المطر . التهطال : المطر المتتابع ، وهذا البيت دليل ما قبله ومثال له .

(٥) الشباة : سن الرمح ، استعارها الشاعر لسن القلم وهو أسلته ، لأن الشباة أشكل بالمعنى الذى أراده . الكلى جمع كلية ، يريد أنه موفق الى الحكمة والاصابة حتى لا يقع رأيه فى تدبير الأمور الا فى الصميم .

(٦) الأرى : عسل النحل . واشتارته : استخرجته من شمعه . واللعاب : الريق . يريد أنه اذا غضب كان قوله كسم الأفاعى ، واذا رضى كان فى حلاوة الشهد استخرجته أيد خبيرة باستخراجه .

(٧) الريقة : الريق . والطل المطر الخفيف . والوابل والوبل المطر الغزير ، يريد أنه وأن لم يصب من المداد الا يسيرا فان أثره فى شرق الأرض وغربها جليل عظيم .

(٨) يريد به راكبا حين تحمله الأنامل للكتابة . وراجلا : حين يلقى . والراجل : ضد الراكب، لأنه انما يعتمد على رجليه .

إذا مَا أُمتَطى الخمسَ اللِّطافَ وأفرِغَت   عليه شِعَابُ الفِكر وهى حَوافل(١)
أطاعتْه أطرافُ القنا ، وتَقَوَّضتْ   لنجواه تقويضَ الخِيام الجحافلُ(٢)
إذا استَغْزَر الذهنُ الجلىُّ وأقبلتْ   أعاليه فى القِرطاس ، وهى أسافِلُ(٣)
وقد رفَدتْهُ الخِنْصَرانِ ، وسَدَّدتْ   ثَلاثَ نواحِيه الثلاثُ الأناملُ(٤)
رأيتَ جَليلاً شأنُه وهْوَ مُرهَفٌ   ضَنًى وسَميناً خَطبُه وهو ناحِلُ(٥)

وقال يرثى محمد بن حُميد الطوسى :

كَذَا فليجِلَّ الخطبُ ، وليَفْدَحِ الأمرُ   فليس لعينٍ لم يَفِضْ ماؤها عُذْرُ(٦)
تُوفِّيت الآمالُ بعدَ محمدٍ   وأصبح فى شُغلٍ عن السفرِ السَّفْرُ(٧)
وما كانَ إلاَّ مالُ من قلّ مالُه   وذُخْراً لمن أمسى ، وليس له ذُخر(٨)
وما كانَ يَدْرى مُجْتدِى جودِ كفّهِ   إذا ما استهلّت أنهُ خُلِقَ العُسر(٩)

---

(١) يريد بالخمس اللطاف الأنامل . واللطاف : الدقاق . والشعاب : جمع شعبة وهى هنا مناحى التفكير . وحوافل : جمع حافلة أى ممتلئة زاخرة .

(٢) القنا : جمع قناة وهى الرمح . وأطراف أسنانها . والجحافل : جمع جحفل وهو الجيش الكثير العدد .

(٣) القرطاس : ويجمع على قراطيس الورق .. ويريد بأعالى القلم أسلته (سنه) .

(٤) رفده : أعانه وأمده . ويريد بالخنصرين : الخنصر والبنصر من باب التغليب كما يطلق العمران على أبى بكر وعمر ، والقمران على الشمس والقمر .

(٥) المرهف : المرفق الحاد . الضنى المرض . الخطب الشأن والقدر . الناحل : النحيف .

(٦) فدح الأمر يفدح صعب وثقل . والفوادح : النوازل .

(٧) السفر : المسافر . يقول : انه بموته انقطعت الآمال لأن الناس لم يكونوا يؤملون الا فيه . وشغلت الناس الرزيئة فيه عن أسفارهم وقضاء حاجاتهم .

(٨) الذخر والذخيرة : ما يحفظ لوقت الحاجة .

(٩) اجتدى يجتدى : سأل العطية والمراد بـ (استهلت) كفه : حتى ان سائليه ماكانوا يدرون أن العسر قد خلق .

أَلَا فى سبيلِ اللهِ مَن عُطِّلَتْ له ... فِجاجُ سبيلِ الله ، وانثغر الثغرُ[1]
فتًى كلما فَاضَت عُيُونُ قَبيلةٍ ... دماً — ضحِكت عنهُ الأحاديثُ والذكْرُ[2]
فتى دهْرُه شطرانِ فيما ينوبه ... ففِى بأسِه شطرٌ ، وفى جُودِه شطرُ[3]
فتًى مات بين الطعنِ والضربِ مِيتَةً ... تَقومُ مقامَ النصْرِ إذ فاته النصرُ[4]
وما ماتَ حتى ماتَ مضربُ سيفِه ... من الضرب،واعتلّت عليهِ القَنا السُّمر[5]
وقد كانَ فَوتُ الموتِ سَهلا فردَّهُ ... إليهِ الحفاظُ المُرُّ والخُلُقُ الْوعرُ[6]
ونَفْسٌ تَعافُ العارَ حتى كأنما ... هُوَ الكُفْر يومَ الرَّوعِ أو دُونَه الكُفر[7]
فأثبتَ فى مستنقَعِ الموتِ رجلَه ... وقال لها : من تحت أَخْمَصِك الحشر ![8]
غَدَا غُدوةً ، والحمدُ نسجُ رِدائه ... فلم ينصرِف إلّا وأكفانُه الأجر[9]

---

(١) فجاج : جمع فج وهو الطريق الواسع الواضح بين جبلين . والمراد بها هنا مجرد الطريق. وانثغر الثغر : أى اجتيزت الحدود .

(٢) يقول : انه مامن قبيلة دحرت فى الحرب حتى فاض الدم من عيونها الا ذكره الناس بالفخر لأنه هازمها .

(٣) ينوبه : يلم به ويشغله . والبأس : الشجاعة والقوة .

(٤) يقول : انه قتل قتلة بطل شجاع حتى أضحت لكرمها وعزتها تعادل النصر حين فاته النصر

(٥) مضرب السيف:حده.واعتلت : اعتذرت وتثاقلت . والقنا : جمع قناة وهى الرمح وتنعت بالسمرة كما تنعت السيوف بالبياض . يقول : انه لم يقتل حتى تثلم حد سيفه من شدة ماضرب به وحتى تقصفت الرماح فى يديه فلم تعد تغنى فى الطعان .

(٦) الحفاظ : الحمية والغضب عند حفظ الحرمة ، والوعر ضد السهل والمراد به هنا الشديد الأنفة يقول : انه كان يستطيع أن يدفع الموت عن نفسه بالهرب ونحوه ، ولكنه آثر الموت أنفة من العار .

(٧) الروع هنا الحرب ، ويجوز أن يراد به الشدة بوجه عام .

(٨) جعل للموت مستنقعا كمستنقع الماء وهو مجتمعه فى بطن الوادى.وأخمص القدم مالايصيب الأرض من باطنها . يريد أنه قد ثبت للموت فلا تتحول رجله الى أن يموت حتى كأن الحشر من تحتها .

(٩) غدا : خرج فى أول النهار . يريد أنه عاش محمودا مشكورا ، ومات مثوبا مأجورا .

تردَّى ثِياب الموت حُمرا ، فما دَجَا لها الليلُ إلاوهْى من سُندس خضرُ(١)
كأنَّ بَنِي نَبهانَ يوم وفاتِه نجُومُ سماءٍ خرّ من بينها البدر(٢)
يُعَزَّون عن ثاوٍ تُعَزَّى به العُلَا ويبكى عليه البأسُ والجودُ والشِعر(٣)
وأنَّى لهم صبرٌ عليه وقد مَضى إلى الموتِ حتى استُشهدا هوَ والصبرُ(٤)
فتًى كان عذبَ الروح لامِنْ غَضَاضةٍ ولكنَّ كِبراً أن يقالَ به كِبرُ(٥)
فتًى سَلَبَتْهُ الخيلُ وهْو حِمًى لها وَبزّتهُ نارُ الحرب وهْو لها جَمرُ(٦)
وقد كانتِ البِيضُ المآثيرُ فى الوغى بواتِر ؛ فهْى الآن مِنْ بعدِه بُتر(٧)
أمِنْ بعد طَيِّ الحادثاتِ محمدا يكونُ لأثواب الندى أبدا نَشر(٨)
إذا شجرات العُرف جُذَّت أصولها ففى أى فرع يُوجَدُ الورق النضْر ؟(٩)
لئن أبغِضَ الدهرُ الخئونُ لفقده لعَهْدِى به ممنْ يُحَبُّ له الدهرُ(١٠)

---

(١) تردى الثوب : لبسه . ودجا الليل : أظلم . والسندس : نسيج الحرير .

(٢) بنو نبهان : قوم المربى . بطن من طيىء .

(٣) ثاو : ثوى بالمكان يثوى فهو ثاو أى مقيم به . والميت ثاو لأنه مقيم فى قبره مايبرحه .

(٤) استشهد الرجل بالبناء للمجهول : مات شهيدا يقول الشاعر : كيف لأهل القتيل بالصبر عليه وقد مات وماتت معه غريزة الصبر فى قومه واللائذين به .

(٥) الغضاضة هنا بمعنى الذلة . يقول : انه كان كريم النفس لين الجانب لامن ذلة ولا استكانة بل أنفة من أن يقال ان فيه تكبرا .

(٦) بزته : يقال بزه ثوبه وأبتزه : سلبه .

(٧) المآثير : جمع مأثور . والسيف المأثور : القديم المتوارث . والوغى : الحرب . وبواتر : جمع باتر وهو القاطع . وبتر : جمع أبتر ؛ أى مقطوعة يريد أن السيوف كانت فى حياته حادة قاطعة فلما مات تثلمت . والمراد أنه حين كان يحمل جيشه السيوف كانت تبلغ من الأعداء كل مبلغ ولما مات لم يبق لها قوة على النضال .

(٨) يقال : طوى الردى فلانا يطويه طيا أى مات . والندى : الجود .

(٩) جذت : قطعت ، والنضر يقال : نضر الوجه واللون والشجر نضارة : فهو نضر أى حسن ونعم .

(١٠) يريد أن الدهر اذاكره لموته فان الدهر كان يحب لأجله بما سجل له من عظائم ومفاخر فى الحياة .

لئن غـدرتْ فى الروعِ أيامُـه به ... فمـا زالتِ الأيامُ شيمتُها الغـدر (١)

لئن أُلبست فيـهِ المصيبةَ طـيّئٌ ... فمـا عَرِيَتْ منها تميمٌ ولا بكـر (٢)

كذلك ما ننفكُّ نفقِـدُ هالـكا ... يُشاركنا فى فقـده البدو والحضْر

سَقَى الغيثُ غيثاً وارتِ الأرضُ شخصَهُ ... وإن لم يكـنْ فِيهِ سحَابٌ ولا قَطر

وكـيفَ احتمالى للغيُوثِ صَنيعَةً ... بإسقائها قبراً ، وفى لحـده البحرُ (٣)

مضى طاهرَ الأثواب لم تبقَ رَوضةٌ ... غداةَ ثوَى إلا اشتهت أنهـا قبرْ

ثوى فى الثَّرى منْ كان يحيا به الثَّرى ... ويَغمُرُ صَرفَ الدهرِ نائـلُه الغمْر (٤)

عليكَ سـلامُ الله وقفًا فإننِى ... رأيتُ الـكريمَ الحرَّ ليسَ لَهُ عمرُ (٥)

(١٠) دِعْبِل (٥)

قال :

أينَ الشـبابُ ؟ وأيَّةً سلـكا ؟ ... لا ، أين يُطلبُ ؟ ضلَّ ، بل هلكا (٦)

لا تَعجَـبى يا سَلْم من رَجُلٍ ... ضحِـك المشيبُ برأسِـه فبَـكى (٧)

---

(١) الشيمة : الخلق والطبيعة .

(٢) يريد أن المصيبة فيه لم تقتصر على طيىء وحدها بل لقد (عمت لجلالة محله) تميما وبكرا .

(٣) كيف احتمل للمطر جميلا هو سقيه هذا القبر مع أن فيه بحرا . ينكر الشاعر على نفسه دعوته للقبر بالسقيا . يعلل ذلك بأن فيه بحرا .

(٤) الثرى : التراب . والنائل : العطاء . والغمر : الكثير .

(٥) دعبل بن على بن رزين يمنى من خزاعة ، نشأ بالكوفة متعصبا لقومه على العدنانية ، هجاء خبيث اللسـان ، لا يسلم منه كبير ولا صـغير حتى الخلفـاء ؛ فعاش مكروها مرهوبا حتى توفى سنة ٢٤٦ هـ . وشـعره من النوع المطبوع ذى الأسلوب القوى لتأثره بنزعته الجريئة فى وجه الدولة ، وبتعصبه للطالبين ، وبميله الى الارهاب والتخويف ، يغلب على شعره الهجاء والمديح .

(٦) أية : أى سبيل .

(٧) ضحك المشيب : ظهر الشيب ، وبين ضحك وبكي طباق .

ياليت شعرى كيفَ يومُكما ... يا صاحِبيَّ إذا دَمِى سُفِكا

لا تأخذا بظُلامتى أحداً ؛ ... قلبى وطرْفِى فى دمى اشترَكا[١]

ومن قوله يَرثى ابنَ عم له من خزاعةَ :

كَانتْ خُزاعةُ مِلءَ الأرضِ ما اتَّسعَتْ ... فَقَصَّ مَرُّ الليالى من حواشيها[٢]

هذا أبو القاسِمِ الثاوى بِبَلْقَعةٍ ... تَسْفِى الرياحُ عليهِ من سوافيها[٣]

هبَّتْ وقد عَلِمَتْ أن لاهُبوبَ بِهِ ... وقد تكونُ حَسِيراً إذْ يُبَارِيها[٤]

اضحى قِرًى للمنايا إذ نَزلنَ به ... وكان فى سالف الأيام يَقريها[٥]

وقد سافر مرة فطال عليه السفر فقال :

أَلَمْ يَأْنِ للسَّفْرِ الذينَ تَحَمَّلوا ... إلى وَطنٍ قبلَ المماتِ رُجوعُ[٦]

فقلت ولم أملك سوابِقَ عَبرةٍ ... نَطقْنَ بما ضُمتْ عليه ضُلوعُ[٧]

---

(١) الظلامة بضم الظاء : مااحتملته من الظلم ، والمراد هنا موته عشقا من أثر النظر بعينه والحب بقلبه .

(٢) الحواشى : الجوانب .والمفرد حاشية .

(٣) الثاوى : المقيم . والبلقعة : الأرض القفر جمعها بلاقع . وسفت الريح التراب : حملته . يريد أنه مدفون بأرض مقفرة تسفى بها الرياح على قبره .

(٤) الحسير : الضعيف الكليل . والمعنى : أن الريح هبت لما علمت بموته ، ولكنها فى حياته كانت تعجز عن مسايرته حين يسرع هو الى المكارم .

(٥) القرى : ما يقدم للضيف من طعام ونحوه ، والمعنى أنه أصبح طعمة الموت بعد ما كان وهو حى يقدم الى الموت ضحاياه من قتلاه فى الحروب ، يصفه بالشجاعة .

(٦) يأتى : يقرب ويحضر . والسفر : المسافرون ورجوع فاعل (يأن) والى وطن متعلق برجوع ، والاستفهام للانكار .

(٧) العبرة بفتح العين : الدمعة.وما ضمت عليه الضلوع : الحزن والشوق الى الوطن والاهل .

تبَيَّنْ ! فكم دارٍ تفرَّقَ شملُها ! وشملٍ شَتيتٍ عادَ وهوَ جميعُ(١)
كذاكَ الليالى صَرْفهنَّ كما ترَى ؛ لكلِّ أُناسٍ جَدْبَةٌ ورَبيعُ(٢)

وكانت مودَّةٌ بين دِعبل ومسلم بن الوليد أعقبتها جفوة ، فكتب إليه دعبل :

أبا مَخلَدٍ كنَّا عَقيدَى مَوَدةٍ هوَانا وقلبانا جميعاً معًا معَا(٣)
أَحوطُكَ بالغيب الذى أنت حائطى وأَجْزَعُ إشفَاقاً منَ أن تتوَجَّعَا(٤)
فصيرتَنِى بعدَ انتكائِكَ مُتهمًا لِنفْسى ، عليها أرهبُ الخلقَ أجمعَا(٥)
غشَشْتَ الهوَى حتى تدَاعت أُصولُه بِنَا ، وابتذلتَ الوصلَ حتى تقَطَّعَا(٦)
وأنزلتَ من بين الجوانح والحشَا ذخيرةَ وُدٍّ طالما قد تمنَّعَا(٧)
فلا تَلْحَيَنى ؛ ليس لى فيكَ مَطمع تَخَرَّقْتَ حتى لم أجد لك مَرقعَا(٨)
فَهبْكَ يَمينى استأكلَتْ فقطعتُها وجشَّمتُ قَلبى صَبْرَةً فتَشجَّعَا(٩)

---

(١) الشمل : ما اجتمع من الامر أو ماتفرق منه . والشتيت : المتفرق . والجميع : المجتمع .

(٢) صرف الليالى : أحداثها . ومعنى جدبة وربيع : حالتا خير وشر .

(٣) العقيد : المعاقد والمعاهد ، والمعنى أننا كنا متعاهدين على الود متحدى الرغبات لانتخالف.

(٤) أحوطك بالغيب الخ : أحفظ عهدك غائبا فأدفع عنك كما تدفع عنى كذلك ، وأخشى أن تتألم لشىء ما .

(٥) انتكائك : انصرافك عنى ، ومعنى متهملنفسى الخ : أننى أتهمهالشدة الخوف عليها من الناس جميعا بعد ما خنتنى وكنت مظنة الوفاء التام .

(٦) تداعت : تساقطت . وابتذلت الوصل : امتهنته .

(٧) الجوانح : الجوانب . والحشا : ما دون الحجاب من الكبد والطحال وغيرهما ، والمراد بما بينهما (القلب) . وتمنع : كان قويا لا يهن .

(٨) لحاه يلحاه ويلحوه : سبه وعابه . والمرقع : مكان ترقيع الثوب ، أى لا أمل فى اصلاحك.

(٩) يمينى : يدىاليمنى . استأكلت : أصابتها الأكلة وهى داء فى العضو يأتكل منه . ومعنى الشطر الثانى : صبرت قلبى على قطيعتك فصبر .

ومن قوله يذكر آل البيت ويهجو الرشيد بعد موته :

وَليسَ حَيٌّ منَ الأحيـاءِ نَعلمهُ مِن ذِي يمَانٍ ، ومن بَكرٍ، ومِن مُضَرِ (١)

إلاَّ وهُمْ شُركاءُ فى دِمائِهِـــم كما تَشَـارَكَ أَيْسَـارٌ عَلَى جُزُرِ (٢)

قَتْلٌ ، وأسرٌ ، وتَحريقٌ ، ومَنْهبَةٌ فعلَ الغُزاةِ بأرض الروم والخَـزَرِ (٣)

أَرَى أُمَيَّـةَ مَعذورينَ إن قَتَلُوا ولا أَرَى لَبنِى العباسِ مِن عُذُرِ (٤)

اِربَعْ بِطُوسَ على قبرِ الزَّكِىِّ إذا ما كُنتَ تربَعُ من دِينٍ عَلَى وَطرِ (٥)

قَبرانِ فى طُوسَ خيرُ الناسِ كُلِّهِم وقبرُ شَرِّهِم ؛ هذا من العِـبَرِ

ماينفعُ الرِّجْسَ من قُرْبِ الزَّكِىِّ ولا على الزَّكِىِّ بقُربِ الرجسِ من ضَرَرِ (٦)

هيهاتَ ! كُلُّ امرىءٍ رهنٌ بما كسبَت له يداه ؛ فخُـذ ما شئتَ أو فَذَرِ (٧)

---

(١) الأحياء : البطون والعشائر ، مفردها : حى ، والشطر الثانى : بيان للأحياء .

(٢) الأيسار : المقامرون . المفرد يسر ، والجزر : النوق تذبح وتقسم أقساما للمقامرة عليها . يقول اشترك الأحياء فى قتل آل البيت كاشتراك المقامرين فى نحر الجزر .

(٣) الخزر : جيل من الناس يسكن سواحل بحر الخزر (طبرستان) .

(٤) يقول : ان الأمويين معذورون فى قتل الشيعة من آل البيت لأن أمية ليسوا كالعباسيين قرابة ، وهم بعد طلاب ملك يخافون عليه أصحابه .

(٥) طوس : عاصمة خراسان قديما ، بها قبر الرشيد وقبرعلى الرضا من آل على بن أبى‌طالب الذى مات أيام المأمون . واربع : أقم . والوطر : الحاجة والبغية أى اذا كنت محتاجا الى أداء حق دينى فعرج على ذلك القبر (قبر على الرضا).

(٦) الرجس : القبيح والقذر .

(٧) هيهات : بعد وفاعله محذوف ، أى بعد جدا تأثر أحد بعد الموت بعمل الآخر .. فكل امرىء محاسب على ما عمل .

وقال فى آل بيت الرسول :

مَدارِس آياتٍ خَلَت مِن تِلاَوةٍ ومنزِلُ وَحْىٍ مُقفِرُ العَـرَصاتِ (١)

لِآلِ رَسول الله بِالخَيفِ مِن مِنًى وبالرُّكنِ والتعريفِ والجَمَـرَاتِ (٢)

ديارُ على والحُسَينِ وجَعفَـرٍ وحمـزةَ والسَّجادِ ذى الثَّفِنَاتِ (٣)

ديارٌ عفَاها كُلُّ جَونٍ مُبَادرٍ ولم تَعفُ للأَيامِ والسـنواتِ (٤)

قِفَا نسأَلِ الدارَ التى خفَّ أهلُها : مَتى عَهدُها بالصَّومِ والصـلواتِ

وأينَ الأُلَى شطَّت بهم غُربة النَّوى أفانينَ فى الآفاقِ مفْـتَرِقاتِ (٥)

وما الناسُ إلا حاسدٌ ومُـكذِّبٌ ومُضطِغِنٍ ذو إحنـة وتِرَاتِ (٦)

إذا ذَكرُوا قَـتْلى ببَدر وخيبرٍ ويوم حُنين أسـبلُوا العـبَرَاتِ (٧)

* * *

(١) المقفر : الخالى من الناس . والعرصات : ساحات الدار ، المفرد عرصة . يقول : خلت ديار آل البيت وتشتت أهلها بعد ما كانت مدارس لتلاوة القرآن ، ومهبط وحى الرسول عليه السلام

(٢) أسماء موضع بمكة لا تزال قائمة لأداء الشعائر الدينية .

(٣) على بن أبى طالب ، ومن بعده من نسله وشيعته الذين نالهم الحكام بالتشتيت والقتل . والثفنة : الركبة ومجتمع الساق والفخذ ، والسجاد ذو الثفنات : على بن الحسين ، لأن طول السجود أثر فى ثفناته .

(٤) عفاها : محاها . والجون المبادر : السحاب الماطر .

(٥) شطت : بعدت وأفرطت . والنوى : البعد . والأفانين : الأنواع والأحوال ، جمع فنون ، مفرده فن . والمعنى أن النون ذهبت بهم مذاهب شتى .

(٦) مضطغن : حاقد والاحنة : العداوة والحقد . والتراث جمع ترة : الثأر .

(٧) بدر وخيبر وحنين : أسماء مواقع كانت بين الرسول وأعدائه ابان الدعوة الى الاسلام . وأسبلوا العبرات : أذرفوا الدموع ، وذلك لمجدهم الضائع .

لَهم كلَّ حينٍ نومةٌ بمضاجع   لَهُم فى نوَاحى الْأرض مُختلفات

وقد كانَ مِنهمْ بالحجازِ وأهلِها   مغاويرُ يُختارُون فى السَّروَاتِ(١)

مَلامَكَ فى أهل النَّبىِّ فإنَّهُم   أحبَّاىَ ما عاشوا وأهلُ ثِقَاتِى(٢)

تَخَيَّرتُهم رُشداً لأمرى فإنَّهُمْ   على كلِّ حال خِيرَةُ الخِيرَاتِ(٣)

فيارَبِّ زِدْنى من يَقينى بصيرةً   وزِدْ حُبَّهُمْ يا رَبِّ فى حسَناتِ

بِنفسِى أَنْتمُ من كُهولٍ وفِتْيَةٍ   لفَكِّ عُنَاةٍ أو لحمل دِيَاتِ(٤)

أُحِبُّ قَصِىَّ الرِّحْمِ منأجل حُبكم   وأَهجرُ فيكمْ أُسرتى وبَناتِى(٥)

وأَكتُمُ حُبِّيكُمْ مَخافةَ كاشِحٍ   عنيد، لأهلِ الحقِّ غَيْرِ مُواتِ(٦)

لَقد حُفَّتِ الْأيامُ حولى بِشَرِّهَا   وإنى لأَرْجُو الأمنَ بعدَ وفاتى

أَلَمْ ترَ أَنِّى مِن ثلاثين حِجَّةً   أَروحُ وأغدُو دائمَ الحَسَرات

أَرَى فَيْئَهُمْ فِى غيرهِمْ مُتَقَسَّما   وأيدِيهِمُ منْ فَيْئهم صَفِرَاتِ(٧)

---

(١) المغاوير: جمع مغوار، وهو كثير الغارات. والسروات: السادات، المفرد: سراة.

(٢) ملامك: أى دع لومك اياى، فى أهل النبى أى فى مدحهم والتعصب لهم.

(٣) الخيرات: جمع خيرة وهى من الشىء أو القوم الأفضل.

(٤) بنفسى أنتم: أفديكم بنفسى. والعناة: جمع عان وهو الأسير. والدايات: جمع دية وهى ما يدفع منالمال فى دم القتيل، يريد أنهم يفكون الأسرى ويحملون الديات عمن تلزمه.

(٥) الرحم بكسر الراء وسكون الحاء: القرابة كالرحم. والقصى: البعيد، يقول: أحبكم وأن كانت صلتى بكم بعيدة فهو يمنى وهم مضرية.

(٦) الكاشح: من يضمر العداوة. المواتى: الموافق والمناصر.

(٧) الفىء: الخراج والغنيمة. وصفرات: خاليات، يريد أن مال الخراج لا يصل اليهم مع أن لهم فيه حقا.

فآلُ رَسولِ اللهِ نُحْفٌ جُسُومُهمْ وآلُ زِيادٍ حُفَّلُ القَصَرَاتِ (١)

بَنَاتُ زِيادٍ فى القصُور مَصونَةٌ وآلُ رَسولِ اللهِ فى الفَلواتِ (٢)

إذَا وُتِرُوا مَدُّوا إلى أهلِ وِترِهمْ أَكُفًّا من الأوتارِ مُنقَبِضاتِ (٣)

فَلولا الذى أرجوهُ فى اليومِ أو غَدٍ لَقُطِّعَ قلبى إثرَهم حَسَرَاتِ (٤)

(١١) على بن الجَهْم (٥)

قال فى الفراق :

يا رَحْمَتَا للغَريب بِالبَلَدِ النَّـا زِحِ مَاذَا بِنفْسِـهِ صَنَعَا (٦)

فَارَقَ أحْبَابَه فمـا انْتَفَعُوا بالعيْش من بَعْده وَلَا انتفعَا (٧)

---

(١) حفل القصرات : ضخام الأعناق ، كناية عن سمنهم .

(٢) الفلوات : الصحارى ، المفرد : فلاة .

(٣) وتروا : ظلموا . والوتر : الظلم والانتقام . والأوتار ، جمع وتر (كسبب) : معلق القوس، أى لا يستطيعون دفع الظلم عن أنفسهم .

(٤) أى لولا ما أرجوه لهم من حسن الحال أو المثوبة لتمزق قلبى من الحسرة والحزن عليهم .

(٥) هو أبو الحسن على بن الجهم . ولد بخراسان ثم انتقل الى بغداد وأقام بهـا واختص بالخليفة المتوكل وكان من خاصته . وأحبه المتوكل ثم ظهر له شىء من سوء أخلاقه لأنه كان واشيا نماما فنفاه الى خراسان سنة ٢٣٢ هـ . وأسلمه الى عامله طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين ليصلبه نهارا كاملا فصلبه . ولما أنزله قال قصيدة جيدة فى ذلك . ولمـا اتهم فى أخلاقه وكراهة آل على وجفاه الناس ذهب الى الشام فى قافلة فخرج عليها جماعة من الأعراب فتقاتلوا فأصابته طعنة مات بسببها سنة ٢٤٩ هـ .

وكان ابن الجهم شاعرا مشهورا جيد الشعر وصافا قوى الأسلوب رائع المعانى حسن التعليل .

(٦) يارحمتا : دعاء بالرحمة . والبلد النازح . البعيد النائى .

(٧) العيش : الحياة .

وقال :

نَطقَ الْهوَى بجوًى هُوَ الْحقُّ ... ومَلَكْتَنِى فَلْيَهنِكَ الرِّقُّ(١)

رِفْقا بِقلْبِى يا مُعَذِّبَهُ ... رِفقاً وليسَ لظالمٍ رِفْقُ

وإذا رأيتُكَ لا تُكلِّمُنِى ... ضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ والأُفْقُ(٢)

وقال :

اعْلَمِى يا أحبَّ شىْءٍ إليّا ... أنَّ شَوْقِى إليكِ قاضٍ عليّا

إنْ قَضَى اللهُ لى رُجُوعاً إليكُمْ ... لا ذَكَرْتُ الفِرَاقَ ما دُمْتُ حيّا

إنَّ حرَّ الفِراقِ أنحلَ جِسْمِى ... وكَوَى القَلْبَ مِنّى الشَّوْقُ كيّا

وقال :

لَأَكْتُمَنَّ الذى فى القَلْبِ من حُرَقٍ ... حتى أمُوتَ ولم يَعْلَمْ بهِ النَّاسُ

وَلَا يُقال شَكَا مَن كَانَ يَعْشَقُهُ ... إنَّ الشَّكَاةَ لِمَنْ تهْوَى هِيَ اليَاسُ(٣)

وَلَا أبُوحُ بشَىءٍ كُنتُ أكْتُمُهُ ... عِنْدَ الجُلوس إذَا مادَارَتِ الكاس(٤)

وقال :

النَّفْسُ بَعْدَكَ لم تَنْظُرْ إلى حَسَنٍ ... والنَّفْسُ بَعْدَكَ لمْ تسْكُنْ إلى سَكَنِ(٥)

كأَنَّ نَفْسى إذا مَا غِبْتَ غَائِبَةٌ ... حَتى إذا عُدْتَ لى عادَتْ إلى بَدَنِى(٦)

---

(١) الجوى : شدة الحرقة من العشق . فليهنك : فليسرك . والرق : العبودية ، ومنه الرقيق وهو العبد . فالشاعر يهنىء معشوقه على أنه ملكه فأصبح هو له عبدا .

(٢) الأفق : مايرى من جانب السماء ماسا الأرض .

(٣) الشكاة : الشكوى .

(٤) الجلوس : جمع جالس. يقول : انه لايبوح بمكنون سره وما صنع به الهوى لجلاسه اذا شربوا الخمر بزعم أن الخمر تحل عقد الألسن ، وتستخرج دفين الأسرار .

(٥) السكن بفتح السين والكاف البيت . والمراد أنها لا تستقر على حال .

(٦) البدن بفتح الباء والدال : الجسم .

وكتب من حبسه إلى الخليفة المتوكل يستغيث به ويسأله العفو :

أقِلْنى أقَالَكَ مَن لم يَزَلْ يَقِيكَ وَيَصْرِفُ عَنْكَ الرَّدَى(١)
وَيَغْذُوكَ بالنِّعَمِ السَّابغَاتِ وَلِيداً وذا مَيْعَةٍ أمْرَدَا(٢)
وَتَجْرِى مَقادِيرُهُ بالذى تُحِبُّ إلى أن بَلَغْتَ المدَى(٣)
وَيُعْلِيكَ حتى لَوَانَّ السَّماءَ تُنَالُ لجاوَزْتَها مُصْعِدَا(٤)
فَشُكْرًا لأَنْعُمِهِ إنَّهُ إذا شُكِرَتْ نِعْمَةٌ جَدَّدَا(٥)
وعفوَكَ عن مُذنبٍ خاضعٍ قَرَنْتَ المُقِيمَ به المُقْعِدَا(٦)
إذا ادَّرَعَ اللَّيْلَ أفْضَى به إلى الصُّبْحِ مِنْ قَبْلِ أنْ يرْقُدَا(٧)
عفَا اللهُ عنْكَ ألَا حُرْمَةٌ تَعُوذُ بفضْلكَ أنْ أُبْعَدَا(٨)

---

(١) أقاله : صفح عنه . والردى الهلاك .

(٢) غذا الرجل يغذوه بالطعام : أعطاه اياه . والمراد هنا يمدك . والسابغات : الواسعات . وليدا : حديث عهد بالولادة . وميعة الشباب : أوله . والأمرد : الشاب الذى لم تنبت لحيته . يريد أن الله تعالى أفاض عليه نعمه من يوم ولد الى أن صار فتى .

(٣) المدى : الغاية . وفى هذا البيت يتم معنى البيت السابق فيقول : ان المقادير ما زالت تجرى بكل مايحب حتى وصل الى الغاية وهى الخلافة .

(٤) تنال بالبناء للمجهول يوصل اليها . ويقال أصعد فى الأرض فهو مصعد ذهب من أرض الى أعلى منها . والمراد هنا مجرد الارتفاع .

(٥) الأنعم : جمع نعمة بسكون العين . والشاعر فى عجز البيت يلمح الى قول الله تعالى : « لئن شكرتم لأزيدنكم » .

(٦) المقيم المقعد : الهم الذى يوجب القلق والاضطراب .

(٧) ادرع بتشديد الدال المفتوحة وفتح الراء : لبس ، والمراد بادراع الليل الدخول فيه . وأفضى به أوصله وانتهى به . يريد أنه لم يذق النوم قط .

(٨) الحرمة : الذمة والحق . وعاذ به يعوذ عياذا ومعاذا بفتح الميم : لجأ اليه .

لَئِن جَلَّ ذَنْبٌ ولم أعْتَمِدْ لَأَنْتَ أَجلُّ وأَعْلى يَدَا(١)
أَلَمْ تَرَ عَبْداً عَدَا طَوْرَهُ وَمَوْلًى عفَا ورَشِيداً هدَى(٢)
ومُفْسِدَ أَمْرٍ تلَافَيْتَهُ فَعَادَ فأَصْلَحَ ما أَفْسَدَا(٣)
فلاَ عُدْت أَعْصيكَ فيما أَمَرْ ت حتى أَزُورَ الثَّرَى مُلْحَدَا(٤)
وإلاَّ فَخَالَفتُ رَبَّ السَّماءِ وخُنْتُ الصَّديقَ وعِفْتُ النَّدَى(٥)

وقال يذم مغنياً :

كُنتُ فى مجْلِسٍ فقَالَ مُغَنِى الـ ـقومِ كم بيْنَنا وبين الشِّتَاءِ
فَذَرَعْتُ البسَاطَ منِّى إليه قُلْتُ هذا المقْدَارُ قبلَ الغنَاءِ(٦)
فإذَ مَا عزَمْتَ أَنْ تَتَغنَّى آذَنَ الحرُّ كلُّه بانْقِضَاءِ(٧)

---

(١) لم أعتمد : لم أعتمده ، أى لم أقصده . واليد المعروف .

(٢) الطور : القدر والحد . وعدا طوره : تجاوز حده . والمولى : السيد ، وهو من الأضداد .

(٣) تلاقى الأمر : تداركه .

(٤) الثرى : التراب . والملحد بضم الميم وفتح الحاء : الذى أدخل فى اللحد وهو القبر . يريد أنه سيقيم على طاعته حتى الممات .

(٥) عاف الشيء يعافه : كرهه فتركه . يقول : انه بعد هذا العهد اذا خرج عن طاعة الخليفة فقد عصى الله وخان الصديق وبرىء من الفضل .

(٦) ذرع البساط يذرعه من باب فتح يفتح : قاسه بالذراع . يريد بالشتاء نفس المغنى لبرودة طبعه .

(٧) آذنه بالأمر : أعلمه . وآذنه بالحرب أنذره بها . يقول : انه اذا غنى فقد ولى الصيف وحل الشتاء .

(١٢) الحسين بن الضحاك (١)

قال :

أَىُّ دِيبَاجةِ حُسْنٍ هَيَّجَتْ لَوْعَةَ حُزْنِى (٢)
إِذْ رَمَانِى القَمَرُ الزَّا هِرُ عَن فَتْرَةِ جفْنِ (٣)
بِأَبى شَمْسُ نَهَارٍ بَرَزَتْ فى يَوْمِ دَجْنِ (٤)
قَرَّبَتْنِى بِالمُنى حَتَّى إِذَا مَا أَخْلَفَتْنِى (٥)
تَرَكَتْنى بَيْنَ ميعَادٍ وَخُلْفٍ وَتَجَنِّى (٦)
مَا أَرَى فِىَّ مِن الصَّبْوَةِ إِلاَّ حُسْنَ ظَنِّى (٧)
إِنَّمَا دَامَتْ عَلَى الغَدْرِ لِمَا تَعرِفُ مِنِّى (٨)
أَسْتَعِيذُ اللهَ مِن إِعْرَاضِ مَنْ أَعْرَضَ عَنِّى (٩)

---

(١) نشأ بالبصرة خليعا ماجنا ظريفا ثم انتقل الى بغداد واتصل بالخلفاء اتصالا قويا ولا سيما الأمين ، ثم عاد الى البصرة أيام المأمون لسخطه عليه ، ولكنه اتصل بالمعتصم وخلفائه بعده حتى توفى سنة ٢٥٠ هـ وقد استلزمت حياته الخاصة اجادة الخمريات والمديح فى أسلوب موسيقى متين ينم عن خلق متين ووفاء جميل مع عبث وفكهة .

(٢) ديباجة الوجه : حسن بشرته . واللوعة : حرقة الوجد .

(٣) الفترة : الانكسار والضعف ، وهى صفة تستحب فى عيون الملاح . ويقال رمى عن القوس أى جعل القوس ترمى بالسهم . وقد شبه الجفن الفاتر بذلك . ويريد بالقمر الزاهر محبوبته .

(٤) يقال بأبى أنت : أى أفديك بأبى . والدجن بفتح الدال وسكون الجيم : الظلمة .

(٥) المنى : جمع منية بضم الميم وسكون النون ، وهى هنا بمعنى ادخال الأمل على نفسه .

(٦) التجنى على المرء : اتهامه بما يفعله فى دلال .

(٧) الصبوة : بفتح الصاد جهلة الشباب والنزوع الى اللهو . يريد أنه لم يبق من أسباب المتاع فى الشباب الا رجاء فى حبيبته .

(٨) لما تعرف منى : أى من الفناء فى هواها والثبات عليه كيفما صنعت .

(٩) يقال : استعاذ الله واستعاذ به وعاذ به : لجأ اليه ، واستجار به من المكروه .

ومن قوله :

وَصَفَ الْبَدْرُ حُسْنَ وجْهِكَ حَتى ... خلْتُ أَنى ، وَمَا أَرَاكَ ، أَرَا كَا(١)
وَإِذَا مَا تَنَفَّسَ النَّرْجِسُ الغَـ ... ـضُّ تَوَهَّمْتُهُ نَسِيمَ شَذَا كَا(٢)
خُـدَعٌ لِلْمُنَى تُعَلِّلُنى فِيـ ... ـكَ بِإِشْرَاقِ ذَا وَنَفْحَةِ ذَا كَا(٣)
لأَدُومَنَّ يا حبيبى عَلَى الْعَهْـ ... ـدِ لهـذَا وَذَاكَ إِذْ حَكَيَا كَا(٤)

وقال :

إِذَا خُنْتُمُ بالغَيْبِ وُدِّى فما لَكُمْ ... تُدِلُونَ إِدْلاَلَ الْمُقِيمِ عَلَى العَهْدِ(٥)
وَلِى مِنْـكَ بُدٌّ فَاجْتَنِبْنِى مُذَمَّمًا ... وإِنْ خِلْتَ أَنى لَيْسَ لى مِنْكَ مِن بُدِّ(٦)

وقال وقد غضب عليه المعتصم وحجبه :

غَضَبُ الإِمَامِ أَشَـدُّ مِن أَدَبهْ ... وَقَدِ اسْتَجَرْتُ وَعُذْتُ مِنْ غَضَبِهْ(٧)
أَصْبَحْتُ مُعْتَصِماً بِمُعْتَصِمٍ ... أَثْنَى الإِلَهُ عَلَيْهِ فِى كُتُبِهْ(٨)

---

(١) يقول : ان البدر ليشبهك حتى اننى اذ رأيته حسبت أننى رأيتك مع أننى لم أرك .

(٢) الغض : النضير . والشذا : قوة الرائحة .

(٣) الخدع بضم الخاء وفتح الدال : جمع خدعة وهى ما يخدع به . والمنى : جمع منية بضم الميم وسكون النون وهى ما يتمنى . وتعللنى : تصبرنى . وذا : اشارة الى البدر فى البيت الأول. وذاك اشرة الى النرجس فى البيت الثانى .

(٤) حكياك : شابهاك .

(٥) بالغيب : من حيث لا أدرى . يقول : ان الثابت على العهـد قد يكون له الحق فى أن يدل ويتيه . ولكن خائن العهد بغير سبب ليس له الحق فى ذلك .

(٦) لى منك بد : أى مخلص . والمذمم : المذموم . يقول : اننى مستطيع أن اتخلص من حبك فاجتنبنى مذموما وان حسبت أننى لا أستطيع الخلاص من هواك .

(٧) أدبه : تأديبه . والامام : الخليفة . يقول : ان من غضب الخليفة أشـد عليه ألما من تأديبه ولو بالجلد أو السجن أو النفى أو غير هذا من ألوان التعذيب .

(٨) اعتصم من الشىء : امتنع والتجأ . يريد أنه لا يلجأ من غضب الخليفة الا اليه ولا يعوذ منه الا به. وفى هذا مافيه من لطف الجناس . ولعل الشاعر يريد بثناء الله على الخليفة المعتصم فى كتبه المنزلة ثناءه على آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم .

لَا وَالَّذِى لَمْ يُبْقِ لِى سَبَباً أَرْجُو النَّجَاةَ بِهِ سِوَى سَبَبِه(١)
مَالِى شَفِيعٌ غَيْرُ حُرْمتِهِ ولكلِّ من أَشْفَى عَلَى عَطَبِه(٢)

(١٣) ابن الرومى(٣)

قال يهجو خالداً القحطبى :

أخالدُ ما أغْراكَ بى من عداوة ولا تِرةٍ لولا الشقاءُ المُقدَّرُ(٤)
حداكَ إلىّ الحَيْنُ حتى استثرْتنى عليكَ ، وإنى فى عَرينى لمُخدِرُ(٥)
فدونكَ ما حاولتَه فبلغْتَهُ وردْتَ ، ولكنْ لا إخالُك تصدُرُ(٦)
فقد كنتَ نِسْياً لا تُمَسُّ ولا تُرَى زمناً طويلاً ، فاصبر الآن تُذكَرُ(٧)

---

(١) يحلف بالله تعالى على أنه لاسبيل الى النجاة من غضب الخليفة سوىعفو الخليفة نفسه .

(٢) الحرمة : ما وجب القيام به من الحقوق وأشفى : أشرف . ويقال أشفى المريض على الموت قاربه . والعطب : التلف . يحلف على أنه لا شفيع له عند الخليفة الا حقه عليه بحكم الولاء له. وكذلك الشأن فى كل من أشرف على مثل هذا الهلاك .

(٣) ولد أبو الحسن على بن العباس الرومى ببغداد وعاش فيها متأثرا بمزاجه اليونانىوبالثقافة العربيــة كذلك فكان شعره صورة طريفة فى الأدب العربى من حيث الابتكار والتنسيق المنطقى والاستقصاء فى أسلوب جزل متين ، وقد أجاد فنون الشعر ؛ وخاصة — الوصف والهجاء — مات سنة ٣٨٣ هـ .

(٤) الترة : الثأر .

(٥) حداك : ساقك . والحين : المحنــة أو الهلاك . العرين : مأوى الأسد . ومخـدر : مقيم يشبه نفسه بالأسد .

(٦) لا اخالك : لا أظنك . تصدر : أى تخرج من هذا المأزق الذى وقعت فيه .

(٧) أى اصبر على مر الهجاء فسوف تذكر بهذا الشعر .

سَتَرْوِى رُواةُ الشعرِ فيك قصائدا يُغَنَّى بها ، ما نودِيَ : اللهُ أكبرُ(١)
سَداهَا مخازيك التى قد علمتَها ولُحمتُها مِنّى الكلامُ المحبَّرُ(٢)
وإن كنتُ لا أهجوكَ إلا كحالمٍ يَرى ما يَراهُ النائمون فيهجرُ(٣)

وقال :

أأيامَ لَهْوى هل مَواضيكِ عُوَّدُ وهل لشبابٍ ضَلَّ بالأمسِ مَنْشَدُ ؟(٤)
أقولُ وقد شابت شَواتى ، وقُوِّسَت قنَاتى ، وأضحتْ كِدْنتى تتمدَّدُ(٥)
ولَذَّتْ أحاديثى الرجالَ ، وأعرضَت سُليمى ورَيَّا عن حديثى ومَهْدَدُ(٦)
وبُدِّلَ إعجابُ الغَوانى تَعَجُّباً ، فهُنَّ رَوانٍ يعتَبِرْنَ وصُدَّدُ(٧)
لِمَا تُؤذِنُ الدنيا به من صُروفها يكونُ بُكاءُ الطفل ساعةَ يُولَدُ(٨)
وإلا فما يُبكيهِ منها ، وإنها لأفسحُ مما كان فيه وأرغَدُ ؟(٩)

---

(١) ما نودى الخ : أى دائما ما دام الناس .

(٢) السدى من الثوب : الخيوط الممدودة . واللحمة : مانسج عرضا.الكلام المحبر :المحسن .

(٣) يقول : أنى لا أكاد أشعر بك فى الصحو الا كحالم لا وجود لك . يهجر يهذى .

(٤) منشد : مكان أنشده فيه وأطلبه .

(٥) الشواة : جلدة الرأس ، والمراد شاب شعرها والقناة هنا صلبه .الكدنة : الشحم واللحم يريد أن سمنته أضحت تهزل .

(٦) أى أصبحت أحاديثى تلذ الرجال بعد ما أعرض عنى الغوانى لشيبى وكان حديثى لذيذا لديهن .

(٧) الاعجاب بالشىء : السرور منه . والتعجب : الاستغراب والانكار .روان دائمات النظر بسكون الطرف . صدد معرضات . يقول : بعد ما كنت أسر الغانيات أصبحت منكرا لديهن فهن ينظرن الى متعجبات .

(٨) يعلل بكاء الطفل ساعة الولادة بما تعلمه به الدنيا من مصائبها .

(٩) أرغد : أطيب .

إذا أبصر الدُّنيا استَهلَّ كأنه ... بما سوف يَلقى من أذاها يُهدَّدُ(١)
وللنفس أحوال تَظَلُّ كأنها ... تُشاهِدُ فيها كلَّ غيب سيُشْهَدُ(٢)

وقال يرثى ابنه محمدًا .

بُكاؤُكُما يَشفِي وإنْ كانَ لا يُجْدِي ... فَجُودا فَقَدْ أَوْدَى نَظِيرُكُما عِنْدِي(٣)
أَلا قاتَلَ اللهُ الْمَنَايَا وَرَمْيَها ... مِنَ الْقَوْمِ حَبَّاتِ الْقُلُوبِ عَلَى عَمْدِ
تَوَخَّى حِمامُ الْمَوْتِ أَوْسَطَ صِبْيَتِي ... فَللَّهِ كيفَ اُخْتَارَ وَاسِطَةَ الْعِقْدِ(٤)
على حِينَ شِمتُ الخيْرَ مِنْ لَمَحَاتِهِ ... وَآنَسْتُ مِنْ أَفْعَالِهِ آيَةَ الرُّشْدِ(٥)
طَوَاهُ الرَّدَى عَنِّي فَأَضْحَى مَزَارُهُ ... بَعيدًا عَلَى قُرْبٍ قَرِيبًا عَلَى بُعْدِ(٦)
لَقَدْ أَنْجَزَتْ فِيهِ الْمَنَايَا وَعِيدَهَا ... وأَخْلَفَتِ الآمَالُ مَا كَانَ مِنْ وَعْدِ
لَقَدْ قَلَّ بَيْنَ الْمَهْدِ وَاللَّحْدِ لُبْثُهُ ... فَلَمْ يَنْسَ عَهْدُ المَهْدِ إِذْ ضُمَّ فِي اللَّحْدِ
أَلَحَّ عليه النَّزْفُ حتى أَحَالَهُ ... إلى صُفْرَةِ الجَادِيِّ عَنْ حُمْرَةِ الْوَرْدِ(٧)
وظلَّ على الْأَيْدِي تَسَاقَطُ نَفْسُه ... ويَذْوِي كما يَذْوِي القَضِيبُ مِنَ الرَّنْدِ(٨)

---

(١) استهل الصبى : رفع صوته بالبكاء .

(٢) يورد هذا البيت تأكيدا لحسن تعليله اذ يقول ان النفس قد تشعر بما سيحدث فكذلك شأن الطفل . وتجد ابن الرومى فى شعره كأنه يعرض أقيسة منطقية .

(٣) بكاؤكما : الخطاب لعينيه . ولا يجدى : لا ينفع . وأودى : هلك .

(٤) توخى : تحرى .

(٥) شمت الخير : توقعته .

(٦) يريد بالقرب قرب المكان . وبالبعد بعد اللقاء .

(٧) الجادى : الزعفران . وهو أصفر . يقول : ان النزيف أحاله من حمرة الورد الى صفرة الزعفران .

(٨) الرند : الغار . وقد يسمى به الآس وهو نوع من الريحان .

فَيالكِ مِنْ نَفْسٍ تَساقَطُ أَنْفُسًا ... تَسَاقُطَ دُرٍّ مِنْ نِظَامٍ بِلاَ عِقدِ
عجبتُ لقَلْبِي كَيْفَ لَمْ يَنفَطِرْ لَهُ ... ولَوْ أَنَّهُ أَقْسَى مِنَ الحجَرِ الصَّلْدِ
وأَسَرَّنِي أَنْ بِعْتُهُ بِثَوَابِهِ ... ولَوْ أَنَّهُ التَّخْلِيدُ فِى جَنَّةِ الْخُلْدِ
ولا بِعْتُهُ طَوْعاً ولَكِنْ غُصِبْتُهُ ... ولَيْسَ عَلَى ظُلْمِ الْحَوَادِثِ مِنْ مُعْدِ (١)
وإِنِّى وإِنْ مُتِّعْتُ بِأَبْنَىَّ بَعْدَهُ ... لَذَاكِرُهُ مَا حَنَّتِ النِّيبُ فِى نَجْدِ (٢)
وأَوْلاَدُنَا مِثْلُ الْجَوَارِحِ أَيُّهَا ... فَقَدْنَاهُ كانَ الْفَاجِعُ الْبَيِّنَ الْفَقْدِ (٣)
لِكُلٍّ مَكَانٌ لا يَسُدُّ اخْتِلاَلَهُ ... مَكَانُ أَخِيهِ من جَزُوعٍ وَلاَ جَلْدِ
هَلِ الْعَيْنُ بَعْدَ السَّمْعِ تَكْفِى مَكَانَه ... أَمِ السَّمْعُ بَعْدَ الْعَيْنِ يَهْدِى كَما تَهْدِى
لَعَمْرِى لَقَدْ حَالَتْ بِىَ الْحَالُ بَعْدَهُ ... فَيالَيْتَ شِعْرِى كَيْفَ حَالَتْ بِهِ بَعْدِى
ثَكِلْتُ سُرُورِى كلَّهُ إِذْ ثَكِلْتُهُ ... وأَصْبَحْتُ فِى لَذَّاتِ عَيْشِى أَخَا زُهْدِ
أَرَيْحَانَةَ الْعَيْنَيْنِ وَالأَنْفِ وَالْحَشَا ... أَلا لَيْتَ شِعْرِى هَلْ تَغَيَّرْتَ عَنْ عَهْدِى
سأَسْقِيكَ مَاءَ الْعَيْنِ مَا أَسْعَدَتْ بِهِ ... وَإِنْ كانَتِ السُّقْيَا مِنَ الدَّمْعِ لاَ تُجْدِى (٤)
أعينىَّ جُودَا لِى فَقَدْ جُدْتُ لِلثَّرَى ... بأنفسَ مِمَّا تُسْأَلاَنِ من الرِّفْدِ (٥)
كأَنِّىَ ما استمتَعْت مِنْكَ بضمةٍ ... ولا شَمَّةٍ فى مَلْعَبٍ لَكَ أَوْ مَهْدِ
أُلاَمُ لِمَا أُبْدِى عَلَيْكَ مِنَ الأَسَى ... وإِنِّى لأُخْفِى مِنْكَ أَضْعَافَ مَا أُبْدِى
محمدُ ما شَىْءٌ تُوُهِّمَ سَلْوَةً ... لِقَلْبِى إلا زَادَ قَلْبِى مِنَ الْوَجْدِ

---

(١) معد من أعدى بمعنى نصر وأعان . يقول ليس هناك من معين على ظلم الحوادث .

(٢) النيب : جمع ناب ، وهو الناقة المسنة .

(٣) الجوارح : أعضاء الانسان .

(٤) أسعدت العين بالبكاء : أعانت .

(٥) الرفد : العطاء والصلة .

أَرَى أَخَوَيْكَ الْبَاقِيَيْنِ كِلَيْهِمَا يَكُونَانِ للأَحْزَانِ أَوْرَى مِنَ الزَّنْدِ
إذا لعِبا فى مَلْعَبٍ لَكَ لَذَّعا فُؤَادِى بمِثْلِ النَّارِ عَنْ غَيْرِ مَا قَصْدِ
فَمَا فِيهِمَا لِى سَلوةٌ ، بل حَزَازَةٌ يَهِيجَانِهَا دُونى وأَشْقَى بِهَا وَحْدِى
وَأَنتَ وإنْ أُفْرِدْتَ فى دار وَحْشةٍ فإنِّى بدَارِ الأُنْس فى وَحْشَةِ الْفَرْدِ
عليك سلامُ الله منى تحيةً ومِنْ كلِّ غَيْثٍ صادِقِ الْبَرْقِ وَالرَّعْدِ

قال يعاتب أبا القاسم التَّوَّزِى الشِّطْرَنْجِى وَيمْدَحُه :

يَا أَخِى أَيْنَ عَهْدُ ذَاكَ الإِخَاءِ أَيْنَ مَا كَانَ بَيْنَنَا مِنْ صَفَاءِ ؟
كَشَفَتْ مِنْكَ حَاجَتِى هَنَوَاتٍ غُطِّيَتْ بُرْهَةً بحُسْنِ اللقَاءِ(١)
تَرَكَتْنى وَلَمْ أَكُنْ سَيِّئَ الظَّنِّ أَسِيئُ الظُّنُونَ بالأَصْدقاءِ
يَا أَخِى هَبكَ لَم تَهَبْ لى مِن سَعْـيِكَ حَظًّا كَسَائِرِ الْبُخَلاءِ
أَوَلا كَانَ مِنْكَ ردٌّ جميلٌ فِيهِ لِلنَّفْس رَاحَةٌ مِن عَنَاءِ
أَجَزَاءُ الصَّدِيقِ إِيطَاؤُهُ الْعُشْـوَةَ حَتَّى يَظَلَّ كَالْعَشْوَاءِ(٢)
تَارِكًا سَعْيَهُ اتِّكَالاً عَلَى سَعْـيِكَ دُونَ الصِّحابِ وَالشُّفَعَاءِ
كالَّذِى غرَّه السَّرَابُ بمَا خَيَّـلَ حَتَّى هَرَاقَ مَا فِى السِّقَاءِ
يَا أَبَا الْقَاسِمِ الَّذِى كُنْتُ أَرْجُو هُ لِدَهْرِى قَطَعْتَ مَتن الرَّجَاءِ
لَا أُجَازِيكَ عَنْ غُرُورِكَ إِيَّا يَ غُرُوراً وُقِيتَ سُوءَ الْجَزَاءِ

---

(١) الهنوات : جمع هنة ، وهى من الشىء الصغير . يقول ان طلبى منك أشياء صغيرة كشف لى عن حقيقتك التى كنت تغطيها بحسن لقائك اياى .

(٢) العشوة : النار . وأوطأه العشوة : كناية عن أنه أضله ولم يهده . والعشواء : الناقة لا تبصر أمامها .

بَلْ أَرَى صِدْقَكَ الْحَدِيثَ وَمَاذَا لَكَ لِبُخْلٍ عَلَيْكَ بِالإِغْضَاءِ
أَنْتَ عَيْنِى وَلَيْسَ مِنْ حَقِّ عَيْنِى غَضُّ أَجْفَانِهَا عَلَى الأَقْذَاءِ
مَا بِأَمْثَالِ مَا أَتَيْتَ مِنَ الأَمْرِ يَحُلُّ الْفَتَى ذُرَا الْعَلْيَاءِ
بَذَلَ الْوَعْدَ لِلأَخِلَّاءِ سَمْحًا وَأَبَى بَعْدَ ذَاكَ بَذْلَ الْعَطاءِ
فَغَدَا كَالْخِلَافِ يُورِقُ لِلعَيْنِ وَيَأْبَى الإِثْمَارَ كُلَّ الإِبَاءِ(١)
لَيْسَ يَرْضَى الصَّدِيقُ مِنْكَ بِبِشْرٍ تَحْتَ مَخْبُورِهِ دَفِينُ جَفَاءِ

* * *

رُبَّمَا هَالَنِى وَحَيَّرَ عَقْلِى أَخْذُكَ اللَّاعِبِينَ بِالْبَأْسَاءِ(٢)
وَرِضَاهُمْ هُنَاكَ بِالنِّصْفِ والرُّبْعِ وَأَدْنَى رِضَاكَ فِى الإِرْبَاءِ
وَاحْتِرَاسُ الدُّهَاةِ مِنْكَ وإِعصَافُكَ بِالأَقْوِيَاءِ وَالضُّعَفَاءِ
عَنْ تَدَابِيرِكَ اللِّطَافِ اللَّوَاتِى هُنَّ أَخْفَى مِنْ مُسْتَسِرِّ الْهَبَاءِ
بَلْ مِنَ السرِّ فِى ضَمِيرِ مُحِبٍّ أَدَّبَتْهُ عُقُوبَةُ الإِفْشَاءِ
فَإِخَالُ الَّذِى تُدِيرُ عَلَى الْقَوْمِ حُرُوبًا دَوَائِرَ الأَرْحَاءِ
وَأَظُنُّ افْتِرَاسَكَ الْقِرْنَ فَالْقِرْنَ مَنَايَا وَشِيكَةَ الإِرْدَاءِ
وَأَرَى أَنَّ رُقْعَةَ الأَدَمِ الأَحْمَرِ أَرْضًا عَلَّلْتَهَا بِدِمَاءِ
غَلِطَ النَّاسُ لَسْتَ تَلْعَبُ بِالشِّطْرَنْجِ لَكِنْ بِأَنْفُسِ اللُّعَبَاءِ
لَكَ مَكْرٌ يَدِبُّ فِى الْقَوْمِ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ الْغِنَاءِ فِى الأَعْضَاءِ

---

(١) الخلاف : شجر من الصفصاف يحسن مرآى ولا يثمر شيئا يؤكل .

(٢) انتقل الى وصف أبىالقاسم فى اجادةلعب الشطرنج وقد قيل انه كان يجيد اللعب ويغلب ولو أدار للرقعة ظهره وأشار من غير نظر الى تحريك القطع كما سيذكره فى القصيدة .

أَوْ مسيرِ الْقَضَاءِ فى ظُلَمِ الْغَيْـ ب إِلَى مَنْ يُرِيدُهُ بِالتَّوَاءِ(١)
تَقْتُلُ الشَّاهَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الرُّقْـ عَةِ طِبًّا بِالْقِتْلَةِ النَّكْرَاءِ(٢)
غَيْرَ مَا نَاظِرٍ بِعَيْنَيْكَ فى الدَّسْـ تِ وَلَا مُقْبِلٍ عَلَى الرُّسَلَاءِ(٣)
بَلْ تَرَاهَا وَأَنْتَ مُسْتَدْبِرَ الظَّهْـ رِ بِقَلْبٍ مُصَوَّرٍ مِنْ ذَكَاءِ
مَا رَأَيْنَا سِوَاكَ قِرْنًا يُوَلِّى وَهْوَ يُرْدِى فَوَارِسَ الْهَيْجَاءِ
وَالْفُؤَادُ الذَّكِىُّ لِلْمُطْرِقِ الْمُعْـ رِضِ عَيْنٌ يَرَى بِهَا مِنْ وَرَاءِ
تَقْرَأُ الدَّسْتَ ظَاهِراً فَتُؤَدِّيـ ـهِ جَمِيعاً كَأَحْفَظِ الْقُرَّاءِ
وَتَلَقَّى الصَّوَابَ فِيمَا سِوَى ذَا كَ إِذَا جَارَ جَائِرُ الآرَاءِ(٤)
فَتَرَى أَنْ بُلْغَةً مَعَهَا الرَّا حَةُ خَيْرٌ مِنْ ثَرْوَةٍ فى شَقَاءِ
وَقَدِيماً رَغِبْتَ عَنْ كُلِّ مَصْحُو بٍ مِنَ الْمُتْرَفِينَ وَالْأُمَرَاءِ
وَرَفَضْتَ التِّجَارَةَ الْجَمَّةَ الرِّبْـ حِ وَمَا فى مِرَاسِهَا مِنْ جَدَاءِ(٥)
لَمْ تَبِعْ طِيبَ عِيشَةٍ بِنُضُولٍ دُونَهُ خُبْثُ عِيشَةٍ كَدْرَاءِ
تَعَبُ النفسِ والمهانَةُ والذِّلَّـ ـةُ وَالْخَوْفُ وَاطِّرَاحُ الْحَيَاءِ(٦)

---

(١) التواء : الهلاك .

(٢) طبا : علما .

(٣) الدست : رقعة الشطرنج . والرسلاء : جمع رسيل ، وهو الموافق لك فى النضال .

(٤) انتقل من الكلام على مهارته فى لعب الشطرنج الى شرح صفاته العامة فهو يريد بما سوى ذاك ما سوى اللعب .

(٥) مافى مراسها من جداء : اى مافى مزاولتها من غنى وثراة .

(٦) تعب النفس : بدل من خبث عيشة فى البيت قبله .

بل أطعتَ النُّهى فَفُزْتَ بحَظٍّ   قَصَّرَتْ عَنْهُ فِطْنَةُ الْأَغْنِياءَ
رَاحَةِ النَّفْسُ والصِّيَانَةِ وَالْعِفَّـ   ـةِ وَالْأَمْن فِي حَيَـاءٍ رُواء(١)
عالِمـاً بالَّذِى أَخَذْتَ وَأَعْطَيْـ   ـتَ حَكِيماً فِي الْأَخْذِ وَالْإِعْطَاءَ
جِهْبِذُ الْعَقْل لَا يَفُوتُكَ شَيْءٌ   مِثْلُهُ فَاتَ أَعْيُنَ الْبُصَرَاءِ
قَائِلاً لِلْمُشِـيرِ بِالْـكَدْحِ مَهْلاً   مَا اجْتِهَادُ اللَّبِيبِ بَعْدَ اكْتِفَاءِ
قَرَّبَ الْحِرْصُ مَرْكَباً لِشَقِيٍّ   إِنَّمَا الْحِرْصُ مَرْكَبُ الْأَشْقِيَاءَ
مَرْحَباً بِالْـكَفَافِ يَأْتِي هَنِيئاً   وَعَلَى الْمُتْعِبَاتِ ذَيْلُ الْعَفَاءِ
ضَلَّةً لِامْرِئٍ يُشَمِّرُ فِي الْجَمْـ   ـعِ لِعَيْشٍ مُشَمِّرٍ لِلْفَنَاءِ
دَائِباً يَكْنِزُ الْقَنَاطِيرَ لِلْوَا   رِثِ وَالْعُمْرُ دَائِبٌ فِي انْقِضَاءِ
حَبَّذَا كَثْرَةُ الْقَنَاطِيرِ لَوْ كَا   نَتْ لِرَبِّ الْكُنُوزِ كَنْزَ بَقَاءِ
يَحْسَبُ الْحَظَّ كُلَّهُ فِي يَدَيْهِ   وَهْوَ مِنْـهُ عَلَى مَدَى الْجَوْزَاءِ
لَيْسَ فِي آجِلِ النَّعِيمِ لَهُ حَـ   ـظٌّ وَمَا ذَاقَ عَاجِلَ النَّعْمَاءِ
ذلك الخائبُ الشقيُّ وإنْ كَا   نَ يُرَى أَنَّهُ مِنْ السُّعَدَاءِ
حَسْبُ ذى إرْبَةٍ ورأى جَلِيٍّ   نَظَرَتْ عَيْنُه بِـلَا غُلَوَاءِ(٢)
صِحَّةُ الدِّينِ وَالْجَوَارِحِ وَالْعِرْ   ضِ وَإِحْرَازُ مُسْكَةِ الْحَوْبَاءِ(٣)
تلك خيرٌ لعارِفِ الْخَيْرِ مِمَّا   يَجْمَعُ النَّاسُ مِنْ فُضُولِ الثَّرَاءِ

---

(١) راحة النفس : بدل من حظ فى البيت قبله . وحياء رواء أى جميل .

(٢) الاربة : العقل .

(٣) الحوباء : النفس ومسكة الحوباء ما يحفظ حياتها : وصحة الدين مبتدأ خبره حسب فى ألبيت قبله .

لَيْسَ لِلْمُكْثِرِ المنغَّص عَيْشٌ إنما عيش عَائِشٍ بالْهَنَاء
يا أبا القاسِمِ الَّذى لَيْسَ يَخفَى عَنْهُ مَكْنُونُ خُطَّةٍ عَوْجَاءِ
أَتَرَى كلَّ مَا ذَكَرْتُ جَلِيًّا وسِوَاهُ مِنْ غَامِضِ الأشْيَاءِ
ثمَّ يَخفَى عَلَيْكَ أَنِّى صَدِيقٌ رُبَّمَا عزَّ مِثْلُهُ بالبَلاءِ
لا لعَمْرُ الإله لَكِنْ تعَاشَيْتَ بَصِيراً فِى لَيْلَةٍ قمْرَاءِ(١)
ظالماً لِى مَعَ الزَّمَانِ الَّذى ابْتَزَّ حُقُوقَ الكِرَامِ لِلُّؤَمَاءِ
ثَقُلَتْ حَاجَتِى إِلَيْكَ فَأَضحَتْ وَهْىَ عِبءٌ من فَادِحِ الأعْبَاءِ
فَتَوَانَيْتَ والتَّوَانِى وَطِىءُ الظَّهْرِ لَكِنَّهُ زَنِيمُ الوِطَاءِ(٢)
كُنتَ مِمَّنْ يَرَى التَّشَيُّعَ لَكِنْ مِلْتَ فِى حَاجَتِى إِلَى الأَرْجَاءِ(٣)
ظُلِمَتْ حَاجَتِى فَلاذَتْ بِحِقْوَيْكَ فَأَسْلَمْتَهَا لِكَفِّ الْقَضَاءِ(٤)
وَقَضَاءُ الْإِلَهِ أَحْوَطُ للنَّاسِ مِن الْأُمَّهَاتِ وَالآبَاءِ
غير أن الْيَقِينَ أَضْحَى مريضًا مرَضاً بَاطِناً شَدِيدَ الْخَفَاءِ
ما وجدتُ امرأً يرَى أنَّهُ يُوقِنُ إلّا وَفِيهِ شَوْبُ امْتِرَاءِ
لَو يَصِحُّ الْيَقِينُ مَا رَغِبَ الرَّاغِبُ إلا إِلَى مَلِيكِ السَّمَاءِ
وعسيرٌ بُلوغُ هَاتِيكَ جدًّا تلْك عُليا مَرَاتِبِ الأنْبِيَاءِ

---

(١) ادعيت عدم الابصار .

(٢) الزنيم : الدعى واللئيم . وزنيم الوطاء : لئيم الموطىء .

(٣) التشيع : مذهب دينى يرى تفضيل على على سائر الصحابة والارجاء مذهب آخر يرى الوقوف على الحياد بالنسبة للفرق المتقاتلة لا يحكمون على أحد بشىء فى الدنيا بل يرجئون الحكم الى يوم القيامة فالشاعر يورى ويقول كنت متشيعا لى ثم طلبت منك مطلبا وقفت على الحياد وأرجأت الحكم على مطلبى .

(٤) الحقوا : الكشح . ولاذت بحقويه : التجأت اليه .

وعزيزٌ عليك عَضِّيك باللَّوْ مِ وَلكِنَّ أصبْتَ صَدْرِى بداء
أَنْتَ أَدْوَيْتَ صَدْرَ خِلِّكَ فَاعْذِرْ هُ على النَّفْثِ إِنَّهُ كَالدَّوَاء
قَدْ قَضَيْنَا لُبَانَةً مِنْ عِتَابٍ وَجَمِيلٌ تعَاتُبُ الْأَكْفَاء
وَالَّذِى أَطْلَقَ اللِّسَانَ فَعَاتَبْ تُكَ عَدِّيكَ أَوَّلَ الفهمَاء
وَأَنَا الْمَرْءُ لَا أَسُوم عتَابِى صَاحِبًا غيرَ صَفْوَةِ الْأَصْفِيَاء
ذا الحِجَا مِنْهُمُ وذا الحِلْم وَالْعِلْـ ـمِ وَجَهْلٌ مَلَامةُ الْجُهَلَاء
إِنَّ مَنْ لَامَ جَاهِلًا لطَبِيبٌ يَتَعَاطَى عِلَاجَ دَاءٍ عَيَاء

وقال يصف العنب الرَّازقى[1] :

وَرَازِقِيٍّ مُخْطَفِ الْخُصُورِ كَأَنَّهُ مَخَازِنُ الْبَلُّورِ[2]
قَدْ ضُمِّنَتْ مِسْكًا إِلَى الشطُورِ وَفِى الْأَعَالِى ماءُ وَرْدٍ جُورِى[3]
لَمْ يُبْقِ مِنْهُ وَهَجُ الحَرُورِ إِلَّا ضِيَاءً فِى ظُرُوفِ نُورِ[4]
لَوْ أَنَّهُ يَبْقَى عَلَى الدُّهُورِ قَرَّطَ آذَانَ الحِسَانِ الْحُورِ
لَهُ مَذَاقُ الْعَسَلِ الْمَشُورِ وَنَكْهَةُ الْمِسْكِ مَعَ الْكَافُورِ
بَاكَرْتُهُ وَالطَّيْرُ فِى الْوُكُورِ وَعُذَرُ اللَّذَّاتِ فِى الْبُكُورِ[5]
بِفِتْيَةٍ مِنْ وَلَدِ الْمَنْصُورِ أَمْلَأَ لِلْعَيْنِ مِنَ الْبُدُورِ

---

(١) العنب الرازقى : نوع من العنب أبيض طويل الحب .

(٢) مخطف الخصر : هزيله .

(٣) الجورى : منسوب الى جور مدينة بفارس ينسب اليها الورد ويعمل فيها ماؤه .

(٤) الحرور : حر الشمس .

(٥) أصل عذرة الفرس ناصيته وأراد بعذر اللذات بوادرها وأول مايظهر منها .

حَتَّى أَتَيْنَا خَيْمَةَ النَّاطُورِ   قَبْلَ ارْتِفَاعِ الشَّمْسِ لِلذُّرُورِ (١)
ثُمَّ جَلَسْنَا مَجْلِسَ الْمَحْبُورِ   عَلَى حِفَافَيْ جَدْوَلٍ مَسْجُورِ (٢)
أَبْيَضَ مِثْلَ الْمُهْرَقِ الْمَنْشُورِ   أَوْ مِثْلَ مَتْنِ الْمُنْصُلِ الْمَشْهُورِ (٣)
يَنْسَابُ مِثْلَ الْحَيَّةِ الْمَذْعُورِ   بَيْنَ سِمَاطَيْ شَجَرٍ مَسْطُورِ (٤)
فَنِيلَتِ الْأَوْطَارُ مِنْ سُرُورِ   تَعِلَّةً عَنْ يَوْمِنَا الْمَنْظُورِ
وَمُتْعَةً من مُتَعِ الْغُرُورِ

(١٤) الْبُحْتُرِى (٥)

قال يصف خروج المتوكل لصلاة عيد الفطر من قصيدة :

بالبِرِّ صُمْتَ وأنت أفضلُ صائمٍ   وبسنَّة الله الرضيَّةِ تُفطِر
فانْعَمْ بيومِ الفِطر عيداً إنه   يومٌ أغرُّ من الزمان مُشَهَّرُ
أظهرتَ عِزَّ الملكِ فيه بجحْفلٍ   لَجِبٍ يُحاطُ الدينُ فيه ويُنصَر (٦)

---

(١) الناطور : حارس العنب . والذرور : مصدر ذرت الشمس طلعت .

(٢) حفافا النهر أو الجدول : جانباه . والمسجور : المملوء .

(٣) المهرق : الصحيفة : والمنصل : السيف .

(٤) السماطان : مثنى سماط وهو الشيء المصطف. يقال علل نفسه بتعلة أى شغل نفسه بشيء .

(٥) هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائى ولد بناحية منبج سنة ٢٠٦ هـ . وتنقل فى قبائل طيء وغيرها من البدو الضاربين فى شواطيء الفرات فغلبت عليه فصاحة العرب واتصل بالمتوكل والفتح بن خاقان محترما حتى قتلا ، وقد مات سنة ٢٨٤ هـ. ويمتاز شعره برقة الأسلوب وحسن الخيال واجادة الوصف والرثاء والعتاب والغزل والمديح .

(٦) الجحفل : الجيش الكثير . لجب : ذو لجب أى صياح وجلبة .

خِلنا الجبال تسير فيه وقد غدتْ عُدَدًا يسير بها العَديدُ الأكثر
فالخيل تَصهَلُ ، والفوارس تدَّعِى ، والبيض تلمعُ ، والأسِنَّةُ تزْهَر (١)
والأرضُ خاشِعةٌ تَميدُ بِثقْلها ، والجو مُعتكِر الجوانب أغبَرُ (٢)
والشمس ماتِعَةٌ توقَّدُ بالضُّحا طوراً ، ويُطفئها العجاجُ الأكْدَر (٣)
حتى طلعْتَ بضوْءِ وجهك فانجلتْ تلك الدُّجى وانجابَ ذاك العِثْيَرُ (٤)
وافتنَّ فيك الناظِرون : فأصبعٌ يُومَى إليك بها ، وعينٌ تنظُر
يجدون رؤيتك التى فازوا بها مِن أنعُم اللهِ التى لا تُكْفَر
ذكرُوا بطلعَتِكَ النبىَّ ، فهلَّلوا لما طلعْتَ من الصفوفِ ، وكبَّروا
حتى انتهيتَ إلى المصلّى لابسا نُورَ الهدى ، يبدُو عليك ويَظهر
ومشَيتَ مِشيةَ خاشِع مُتواضع لله لا يُزهَى ، ولا يتكبَّر
فلو أنَّ مُشتاقا تكلَّفَ فوق ما فى وُسعِه لَسَعَى إليكَ المِنبر

ومن قوله يصف الربيع :

أتاكَ الربيعُ الطلْقُ يختالُ ضاحكا من الحسن حتى كادَ أن يتكلَّما
وقد نبّه النيروزُ فى غَسقِ الدجى أوائلَ وَرْدٍ كُنَّ بالأمس نُوَّما (٥)

---

(١) البيض : السيوف . والأسنة : جمع سنان : نصل الرمح . تزهر : تضىء وتلمع .

(٢) تميد : تتحرك وتضطرب . والجو معتكر أى من ضخامة الجيش أو من غباره .

(٣) ماتعة : مرتفعة . والعجاج : الغبار . والأكدر : الشديد الكدرة وهى ضد الصفاء .

(٤) الدجى : جمع دجية : الظلمة . ويقصد ظلمة العثير الذى هو الغبار .

(٥) النيروزعند الفرس أول أيام السنة الشمسية . غسق الدجى : ظلمة الليل . والمعنى أن مقدم الربيع يصحبه تفتح الورد .

يُفتقُها بردُ الندَى فكأنه يَبُثُّ حديثاً كان قبلُ مُكَتَّما(١)
فمِن شجر رَدّ الربيعُ لباسَهُ عليه كما نشَّرْتَ وشْياً مُنَمْنَما(٢)
أَحَلَّ فأَبْدَى للعُيون بَشاشةً وكان قَذًى للعين إذ كان مُحرِما(٣)
ورقَّ نسيمُ الريح حتى حسبتُه يجيء بأنفاس الأحِبَّة نُعَّما

وقال يمدح محمد بن على بن عيسى القُمِّى :

ذاكَ وَادِي الأراكِ فاحبِس قَليلا مُقْصِراً مِن صَبابةٍ أو مُطيلا(٤)
قِف مَشُوقًا ، أو مُسعِدًا ، أو حَزينا أو مُعِيناً ، أو عاذِراً ، أو عَذُولا(٥)
إنَّ بينَ الكَثيبِ فالجِزْعِ فالآ رامِ ، رَبْعاً لِآلِ هِند مُحيلا(٦)
أَبلَت الريحُ وَالرَّوائحُ وَالأَيَّـ امُ منهُ مَعَالِما وَطُلُولا(٧)
وَخِلَافُ الجميلِ قَوْلُكَ لِلذَّا كِرِ عهدَ الأحبابِ : صَبْراً جَميلا

---

(١) يشبه انتشار الأريج على أثر تفتح الورد بسر كان مكتوما فأذيع .

(٢) الوشى : نقش الثوب . منمنم : محسن . يشبه اكتساء الأشجار بالزهر بالنقش الجميل .

(٣) أحل هنا بمعنى لبس الثياب ، والاحرام التجرد من الخيط . والقذى : ما يقع فى العين فيؤلمها ويسيل دمعها من تبن ونحوه .

(٤) وادى الأراك : واد قرب مكة وقيل موضع بعرفة. واحبس : قف راحلتك أو نفسك مثلا . والصبابة : الشوق والولع الشديد ، يطلب الى صاحبه الوقوف بديار الأحبة وفاء لأهلها الراحلين عنها .

(٥) مشوقا : مولعا يقال شاقه الحب اذا هاجه . ومسعدا : معينا ، أى على حرارة الشوق ، ومعينا أى على الحزن . يقول له قف معى مهما يكن شأنك اذ لا مفر لى من ذلك .

(٦) الكثيب : قرية بالبحرين لبنى محارب . والجزع : موضع بنجد وآخر بأرض طيىء وواد باليمامة . والآرام : دارة . والربع المحيل : الدار الخالية .

(٧) الروائح : جمع رائحة وهى من السحابة التى تجىءعشيا أو الماطرة . والمعالم.مايستدل بها على الطريق أو هى المعاهد . المفرد : معلم . والطلول : جمع طلل وهو الشاخص من الآثار .

لا تَلُمْهُ عَلَى مُوَاصَلَةِ الدَّمْـ ـعِ ، وَلُؤْمٌ لَوْمُ الخليلِ الخليلا
علَّ ماءَ الدُّموعِ يُخمِدُ نارًا مِن جَوَى الُحبِّ أَوْ يَبُلُّ غَليلا(١)
وَبكاءُ الدِّيارِ ممــا يَرُدُّ الـ ـشَّوْقَ ذِكْرًا وَالُحبَّ نِضْوًا ضَئيلا(٢)
لم يَكُنْ يَوْمُنَا طَويلاً بِنَعما نَ ، وَلَكِنْ كانَ البُكاءُ طويلا
قَدْ وَجَدْنَا مُحمَّدَ بنَ عَليٍّ غَايَةَ المجدِ قَائِلاً وَفعُولا
وَلَقِينا شمائِلاً تَنْثُرُ المسْـ ـكَ سَحيقاً كما لَقينا الشَّمولا(٣)
وَرَأَينا سِيماً نَدًى وَسَماحٍ لم نُرِدْ بعدَها عليهِ دَليلا
أَشْعَرِيٌّ ، كفاهُ عِيسى بنُ موسى شَرَفاً بَاتَ للسِّماكِ رَسيلا(٤)
خَلَّفَ البُهرَ للجيادِ ، وَأَلقَى في مدَى المجدِ ، غُرَّةً ، وَحُجولا(٥)
وَبَنُو الأشْعرِ الذى مَلأَ الأرْ ضَ رِجالا ، وَنَجْدَةً ، وَخُيولا
شَوكَةٌ ما أَصَابَت الدهْرَ إلَّا تَركتْ في الغِرارِ منهُ فُلولا(٦)

---

(١) الغليل : شدة العطش ، والمراد هنا حرقة الشوق .

(٢) يرد الشوق ذكرا : يجعله ذكريات للماضى فقط . والنضو : النحيل المتعب ، يريد أن بكاء الديار يشفى النفس من آلام الحب ويخفف لوعته .

(٣) الشمول : الخمر أو الباردة منها والمراد الأخلاق الحميدة . والمسك السحيق : المسحوق ، يشبه به آثار الخلق الطيب .

(٤) أشعرى : منسوب الى الأشعر جده . والسماك : اسم لكل من كوكبين نيرين : أحدهما السماك الأعزل ، والغادى الرامح . ورسيلا : قرينا ، أى كفاه شرف آبائه السامى .

(٥) البهر : انقطاع النفس من الاعياء . والجياد : الخيل . والمدى : الغاية والمنتهى ، والغرة : بياض فى جبهة الفرس ، ومن كل شيءأوله ومعظمه . وغرة القوم : سيدهم . والحجول : جمع حجل وهو البيض فى رجل الفرس ، يريد أنه لايكل ولكنه وصل الى غاية المجد بكريم أفعاله التى تشبه غرة الخيل السابقة وحجولها .

(٦) الشوكة هنا : العزة والسلطان . وغرار السيف : حده . والفلول : جمع فل وهو الثلمة فى حد السيف . يقول : ان صولتهم قوية حتى على صروف الدهر .

بَلَغَ المكرماتِ طُولا وَعَرْضاً وَتَنَاهَتْ إِلَيْهِ عَرْضًا وَطُولا(١)
رَادَةُ الحمد أَوَّلَا وَأَخِيراً وَأُولُو المجدِ وَاحِدا وَقَبِيلا(٢)
وَكَأَنَّ الأصولَ كانت فُرُوعاً وَكَأَنَّ الفروعَ كَانَتْ أُصُولا(٣)
وَنُجُومٌ إِذَا تَوَقَّدْنَ فِي الخطْـ ـبِ تَوَهَّمْتَ فِي النُّجوم أُفولا(٤)
وَمُحِبُّونَ للنَّبى وَأهلِ الـ ـبَيتِ حُبًّا يُرضُون فيهِ الرسولا
سَلَبُوا البِيضَ بَزَّهَا وَأقاموا بِظُبَاهَا التأويلَ وَالتَّنزيلا(٥)
تَحْسَبُ الشِّيبَ فى الْوَقيعةِ شُبَّا نًا إِذَا صافَحُوا الصفيحَ الصَّقِيلا
فَإِذَا حَارَبُوا أَذَلُّوا عَزِيزاً وَإِذَا سَالَمُوا أَعَزُّوا ذَلِيلا(٦)
وَإِذَا عِزُّ مَعشَرٍ زَال يَوْماً مَنَعَ السيفُ عِزَّهُمْ أن يَزُولا
يا أبَا جعفرٍ ، لَقَدْ رَاحَ إفضا لُكَ خَطْباً عَلَى الكِرَامِ جَلِيلا(٧)
رَدَّ مَعروفُكَ الكثيرَ قَلِيلًا وَأَرَى جُودُكَ الجوادَ بَخِيلا

---

(١) تناهت اليه : بلغت غايتها عنده .

(٢) رادة الحمد : سابقون اليه .

(٣) يقول : انهم متساوون فى المجد لا تكاد تفرق بين طبقاتهم فيه ، فكأن الأبناء هم بانوه وكأن البانين من الآباء هم الأبناء .

(٤) نجوم الأولى : رجال كالنجوم سموا ونفاذا ونباهة . ونجوم الثانية : نجوم السماء . يقول : يظهرون فى الشدائد فيخفون من عداهم حتى كأن نجوم السماء غائبة أيضا .

(٥) البيض : السيوف . والبز : الثياب من الكتان أو القطن ، والمراد أغمادها أو بهاؤها ومضاؤها . والظبى : جمع ظبة : حد السيف أو السنان . والتأويل : التفسير (يريد تفسير مسائل الدين) . والتنزيل : القرآن الكريم ، والمراد انهم خدموا الدين بسيوفهم .

(٦) أى هم فى الحروب ليوث وفى السلم يحمون الذليل ويكرمونه .

(٧) يقول : ان كرمك يضر الكرام لأن كرثة عطاياك العظيمة تزرى بما يعطون فلا يظهر لهم فضل.

لا أَظُنُّ البُخَّالَ يُوفُونَكَ الشُّكْـ ... ـرَ ولو كانَ بُكرَةً وأَصِيلا
جَعَلَتْهُمْ مِن غَيْرِهِمْ دُفَعٌ مِنْـ ... ـكَ أفادَتْ حَمْداً وأَعطَتْ جَزِيلا (١)
كَمْ لِجَدواكَ مِنْ مقَامٍ ، لَعَمرِي ... كانَ من رَيِّقِ السحابِ بَدِيلا ! (٢)
عندَ وجْهٍ طَلْقٍ إِذَا ما تبَدَّى ... لِحُزُونِ الْخُطُوبِ عادتْ سُهُولا
يَئِسَ الحاسدون منكَ وكانُوا ... أَسَفاً ينظُرون نَحوكَ حُولَا (٣)
وَرَأَوْا أَنَّهُم إِذَا وَصَلوا تِلْـ ... ـكَ المساعِيَ بِالفِكر ذَابُوا نُحولا (٤)
فَثَنَوْا عَنكَ أَعْيُناً وقلوباً ... لم يَرُدُّوا إلا حَسِيراً كَلِيلا (٥)
وَكَفانِي على الذى يوجَدُ الْفَضْـ ... ـلُ لديهِ بِالحاسِدِينَ دَلِيلا (٦)

(أ) أى أن عطاياك جعلت البخال كغيرهم ممن كانوا يوصفون بالكرم ، لأنها نزلت بهؤلاء الى درجة البخلاء .

(٢) الجدوى : العطاء . وريق السحاب : أفضله وأوله ، أى أن عطاياك لها أثر فى النعمة والخير كأثر السحاب الماطر .

(٣) حولا : ذوى عيون حولاء . والحول : ميل احدى الحدقتين الى الأنف والأخرى الى الصداع، وهذه الحال تدل على الحسرة والأسف .

(٤) يقول : رأوا انهم لا يستطيعون الوصول الى محامدك حتى بمجرد تفكيرهم فيها ولو حاولوا ذلك ذابت جسومهم ضعفا دون الغاية .

(٥) وكانت نتيجة ذلك أن انصرفوا عنك لا يمكنهم النظر الى محامدك السامية ولا التفكير فى ادراكها لأن أبصارهم ضعيفة ، وقلوبهم معيبة .

(٦) أى يكفينى الحاسدون فى الدلالة على صاحب الفضل أين هو ، لكثرة حديثهم عنه وذلك قول أبى تمام :

وإذا أراد الله نشر فضيلة ... طويت أتاح لها لسان حسود

وَقال يمدح المتوكل :

لِي حبيبٌ قَدْ لَجَّ فى الهَجر ِجدّا وَأَعادَ الصـدودَ منـه وَأَبْدَى(١)
ذُو فُنُونٍ يُرِيكَ فى كلِّ يَوْمٍ خُلُقَـاً من جفَائِهِ مُسْتَجِدّا
يتأبَّى مَنْعًا ، وَيُنْعِمُ إسْعَا فًا ، وَيَدنُو وَصْلاً ، وَيَبْعُدُ صَدّا(٢)
أَغْتَدِى رَاضِياً وَقد ِبتُّ غضبا نَ ، وَأُمسِى مَوْلًى ، وأُصبِحُ عَبدا(٣)
وَ ِبنَفْسِى أَفدِى عَلَى كلِّ حَالٍ شَادِناً ، لو يُمَسُّ ِبالحُسْن ِأعدى(٤)
مَرَّ بى خالياً فأطمَع فى الوَصْـ ل ِ وَعرَّضْتُ بالسلام فَرِدّا
وَثَنَى خَدَّه إِلَىّ عَلَى خَوْ فٍ فقَبَّلْتُ جُلَّنَاراً وَوَرْدَا(٥)
سَيّدِى أَنتَ ، ما تَعَرَّضتُ ظُلماً فَأُجَازَى ِبهِ ، وَلا خُنْتُ عهدا
رِقَّ لى من مدامع ليس ترْقا وَاْرْثِ لى من جَوانح ليس تَهْدا
أَترانِى مُسْتبدِلاً بك ما عِشْـ تُ بَدِيلًا ، أوْ وَاجِدا مِنك نِدّا(٦)
حاشَ للهِ ؛ أنتَ أفتَنُ ألحـا ظاً وَأَحلَى شَـكلاً ، وَأَحسنُ قدّا(٧)
خَلَقَ اللهُ جعفَراً قيِّمَ الدُّنـ يا سَدَاداً ، وَقيِّمَ الدِّين رُشْدًا(٨)

---

(١) لج فى الهجر: تمادى فيه ولزمه .

(٢) يتأبى : يأبى ويمتنع . وينعـم : يرفه . والاسـعاف المسـاعدة ، أى يرفه عنى قليـلا فى بعض الأحيان .

(٣) المولى : السيد أو الصاحب ، يذكر تجنى المحبوب واختلاف أحواله معه .

(٤) الشادن : ولد الظبية تشبه بهالفتاة الظريفة ، ثم يقول:لو مسه أحدنالته منهعدوى الحسن

(٥) الجلنار : زهر الرمان يشبه به الخد فى الحمرة .

(٦) الند : المثل والنظير .

(٧) حاش لله : تنزه الله ، ويريد بها هنا نفى استبدال غير حبيبه به أو وجود نظيره .

(٨) القيم : المستقيم ، يريد أنه حسن الدنيا والأخرى لسداده وهدايته .

أكرمَ الناس شِيمةً وَأَتمَّ النَّـ ـاسِ خُلُقاً ، وَأكثرَ الناس رِفْدا(١)
مَلِكٌ حَصَّنَتْ عَزِيمتُهُ المُلْـ ـكَ ؛ فأضحتْ لَهُ مُغَاثاً وَرِدَّا(٢)
أَظهرَ العدلَ ، فاستنارتْ بِه الأر ضُ ، وَعَمَّ البلادَ غَوْرًا ونَجْدا(٣)
وحكَى القَطرَ بل أَبَرَّ على القطْـ ـرِ بِكفٍّ على البَرِيَّةِ تَنْدَى(٤)
هُوَ بحر السماح ، والجودِ ؛ فازدَدْ مِنه قُربا تَزدَدْ من الفقرِ بُعدا
يا ثِمالَ الدُّنْيا عطاءً وَبذْلا وَجَمالَ الدنيا ثناءً وَمجدًا(٥)
وشَبيهَ النَّبيِّ خُلْقًا وخَلْقا ونسيبَ النَّبي جَدًّا فَجَدّا
بِكَ نَسْتَعتِبُ الليالى وَنَستَعْـ ـدِى عَلَى دَهرِنا المسِيءِ فَنُعْدَى(٦)
فابقَ عُمرَ الزمان حتى نُؤدِّى شُكرَ إحسانِك الذى لا يُؤَدَّى

وقال يصفُ الذئبَ حين لَقِيه :

سلامٌ عليكم ، لا وَفاءٌ ، وَلا عهد أَمَا لكُمُ مِن هَجرِ أحْبابِكمْ بُدُّ ؟
أَأَحْبابَنَا قد أنجزَ البينُ وَعْدَهُ وَشِيكاً ، ولم يُنْجَزْ لنا منكُمُ وَعْدُ!(٧)

---

(١) أكرم : أفضل . الشيمة : الخلق والطبيعة . والرفد : العطاء .

(٢) مغاثا : ملجأ . وردا : عمادا .

(٣) الغور : ما انحدر وأطمأن من الأرض وضده النجد ، يريد أن عدله شمل جميع البلاد .

(٤) *القطر : المطر ، أى يشبه بكرمه المطر . وأبر : زاد . تندى : تعطى كثيرا .*

(٥) الثمال : الملجأ والمعتمد . وثمال القوم : الذى يقوم بأمرهم .

(٦) نستعتب الليالى : نطلب منها العتبى (الرضا) أو نعطيها العتبى ونسترضيها (ضد) والأول هو الظاهر هنا أى نطلب من الليالى أن تكون وفق آمالنا . ونستعدى على الدهر : نستعين بك عليه . فنعدى : فنعان ونغلب .

(٧) وشيكا : سريعا . وأنجز البين وعده : فرقنا البعد ووعدهم . هو القرب .

أأطلالَ دَارِ العـامِرِيَّةِ باللِّـوَى سَقَتْ رَبْعَكِ الأَنْوَاءُ! مافَعَلتْ هِندُ؟[١]
أدارَ اللِّـوى بينَ الشقيقةِ فالْحِمَى أَمَا لِلنَّوى إلاَّ رسيسَ الهوَى قَصْدُ ؟![٢]
بِنَفْسِيَ مَنْ عَذَّبْتُ نَفسي بِحُبِّهِ وإنْ لَمْ يَكُن مِنهُ وِصَالٌ ولا وُدُّ
حَبيبٌ، عَنِ الأحبابِ شَطَّتْ بِهِ النَّوى وَأَىُّ حبيبٍ ما أتَى دونَهُ البُعْدُ ؟
إِذَا جُزْتُ صَحراءَ الغُوَيْرِ مُغَرِّباً وَجَازَتْكَ بطحاءُ السواجِيرِ يا سَعدُ[٣]
فَقُل لِبَـنِى الضَّحاكِ مَهلاً ؛ فإنَّنى أنَا الأُفْعُوَانُ الصِّلُّ، والضَّيغَمُ الْوَرْدُ[٤]
بَـنِى ناهلٍ مَهلا ؛ فإنَّ ابنَ أُخْتِـكُمْ لَهُ عزَمَاتٌ هَزْلُ آرَائِها جِدُّ[٥]
مَـتَى هِجتُمُوهُ لا تَهِيجُوا سِوَى الرَّدَى وإن كانَ خرقاً ما يُحلُّ له عَقْـدُ[٦]
مَهِيبٌ كَنَصلِ السيفِ لو ضُرِبَتْ بِهِ ذُرا أجإٍ ظَلّتْ وأعلامُها وَهْدُ[٧]
يَوَدُّ رِجالٌ أنّنى كُنتُ بعضَ مَنْ طوَتْهُ الليالِى لا أرُوحُ وَلا أغدُو[٨]
وَلولَا احتمالى ثِقْـلِ كُلِّ مُلِمَّةٍ تَسوءُ الأعادى ، لم يَوَدُّوا الذى وَدُّوا

---

(١) اللوى : ما التوى من الرمل أو مسترقه . والربع : الموضع . والأنواء : الأمطار .

(٢) الشقيقة والحمى : موضعان . ورسيس الهوى : حرقته وثباته .

(٣) الغوير : ماء لبنى كلب .

(٤) الأفعوان : ذكر الأفعى (الحية الخبيثة) . والصل : الداهية من الحيات . الضيغم : الأسد والورد : الشجاع الجرىء من الأسود .

(٥) أضعف همه قوية نافذة .

(٦) الردى : الهلاك . الخرق : الكريم ، ما يحل الخ أى لايرجع عما اعتزمه .

(٧) أجأ وسلمى : هما جبلاطيىء المشهورين فى الشمال من جزيرة العرب . وذراه :أعاليه وأعلامها أعاليها . وهد : منخفضة جمع وهدة .

(٨) طوته الليالى : هلك .

ذَرِينى وَإِيَّاهم فَحَسْبِى صَرَامَتِى   إِذَا الحَرْبُ لم يُقْدَحْ لمخمدِهَا زَنْدُ(١)
وَلِى صَاحِبٌ عَضْبُ المَضَارِبِ صَارِمٌ   طَوِيلُ نِجَادٍ ، ما يُفَلُّ لَهُ حَدُّ(٢)
وَبَاكِيَةٍ تَشْكُو الفِرَاقَ بِأَدمُعٍ   يُبَادِرْنَهَا سَحًّا كمَا انتَثَرَ العِقْدُ
رَشَادَكِ ،لَا يُحْزِنْكِ بَيْنُ ابْنِ هِمَّةٍ   يَتُوقُ إِلَى الْعَلْيَاءِ لَيْسَ لَهُ نِدُّ(٣)
فمن كانَ حُرًّا فهو لِلْعَزْمِ وَالسُّرَى   وَلِلَّيْلِ مِنْ أَفْعَالِهِ وَالسُّرَى عَبدُ(٤)
وَلَيلٍ كَأَنَّ الصبحَ فى أُخْرَيَاتِهِ   حُشَاشَةُ نَصْلٍ ضَمَّ إِفرِندَهُ غِمدُ(٥)
تَسَرْبَلْتُهُ وَالذئبُ وَسْنَانُ هاجِعٌ   بِعَينِ ابْنِ لَيلٍ ، مَالَهُ بالكَرَى عَهدُ(٦)
أُثِيرُ القَطَا الكُدْرِيَّ عَنْ جَثَمَاتِهِ   وَتَأْلَفُنِى فيه الثَّعالِبُ وَالرُّبْدُ(٧)
وَأَطلسَ مِلءِ العينِ يَحْمِلُ زَوْرَهُ   وَأَضْلَاعَهُ من جَانِبَيْهِ شَوًى نَهْدُ(٨)
لَهُ ذَنَبٌ مثلُ الرِّشَاءِ يَجُرُّهُ   وَمَتْنٌ كَمَتْنِ القوسِ أَعْوَجُ مُنْآدُّ(٩)

---

(١) الصرامة : قوة العزيمة والمضاء ، ولم يقدح الخ ، أى لم ينجح أحد فى اخمادها .

(٢) الصاحب هو السيف ، عضب : قاطع . والنجاد : حمائل السيف ، كناية عن طول قامته.

(٣) رشادك قلت لها : الزمى رشادك . والند : المثل والنظير .

(٤) عبد خبر فهو .

(٥) حشاشة نصل : بقية سيف . وافرند السيف : جوهره ووشيه . يشبه الصبح حين يبدو خطا رفيعا عند الأفق المظلم ببقية سيف أغمد الا نصلا .

(٦) تسربلته : صاحبته وسرت فيه . ابن ليل : دائم السهر . والكرى : النوم الخفيف .

(٧) الكدر : المائل الى السواد والغبرة . وجثماته جمع جثمة كضربة ، أى أثير القطا عن مجاثمه. ومراقده بسيرى فيه . والربد : جمع أربد الأسد .

(٨) وأطلس : ورب ذئب أطلس أى أغبر الى سواد . ملء العين : طويل مهيب . والزور : العزم. والشوى : الأطراف مفرد فى لفظه جمع فى معناه . ونهد : بارز .

(٩) الرشاء : الحبل أو حبل الدلو خاصة . والمتن : الظهر . ومنآد : معوج .

طَوَاهُ الطَّوَىَ حتَّى اسْتَمَرَّ مريرُه ... فَمَا فِيهِ إِلّا العَظْمُ وَالرُّوحُ وَالجِلْدُ(١)

يُقَضْقِضُ عُصْلًا فى أَسِرَّتِها الرَّدى ... كَقَضْقَضَةِ المقرُورِ أرعَده البَرْدُ(٢)

سَمَا لِى وَبِى من شِدَّةِ الجوعِ ما به ... بِبَيْدَاءَ لم تُعرَفْ بها عيشَةٌ رَغْدُ(٣)

كلانَا بهَا ذئبٌ يُحَدِّثُ نَفسَهُ ... بِصَاحِبِهِ ، وَالجَدّ يُتْعِسُه الجَدُّ

عوَى ثم أَقعَى فارْتَجَزْتُ فهِجتُه ... فأَقبلَ مِثْلَ البَرْقِ يَتْبَعُه الرَّعْدُ(٤)

فأَوْجَرْتُه خَزْقَاءَ تَحْسَبُ رِيشَها ... على كوكبٍ يَنقضُّ وَالليلُ مُسوَدُّ(٥)

فما ازدادَ إِلّا جُرأةً وَصَرَامةً ... وَأيقنتُ أَنَّ الأمرَ منهُ هو الجِدُّ

فَأَتبعتُها أُخرى فأَضلَلْتُ نَصلَها ... بحيث يكون اللُّبُّ ، وَالرُّعبُ ، وَالحِقدُ(٦)

فخَرَّ وَقد أَوْرَدْتُه مَنْهَلَ الرَّدَى ... عَلَى ظَمَأٍ لو أَنَّهُ عَذُبَ الوِرْدُ

وَقُمْتُ فَجَمَّعْتُ الحَصى فاشْتَويْتُه ... عليه ، وَلِلرَّمضاءِ مِن تحتِه وَقْدُ(٧)

وَنِلْتُ خَسيساً مِنه ثم تَركتُهُ ... وَأقلت عَنهُ وَهو مُنْعَفِرٌ فَرْدُ(٨)

---

(١) الطوى : الجوع . واستمر مريره : استحكم عليه .

(٢) يقضقض عصلا : يصوت بأسنان صلبة معوجة . وأسرتها : أوساطها . والردى : الهلاك . والمقرور : من أصابه القراى البرد .

(٣) سالى : ظهر لى وقصدنى . والبيداء : الصحراء . والعيش الرغد : الطيب المتسع .

(٤) أقعى : جلس على مؤخره . ارتجزت : رفعت صوتى أو قلت رجزا .

(٥) أوجرته : طعنته ، والخزقاء : المرماة أو السنان . ثم شبهها بالكوكب المنقض اذ يقول : تحسب ريشها على كوكب .

(٦) أضللت نصلها : أدخلته ، بحيث الخ ... أى فى القلب .

(٧) الرمضاء : الأرض الحامية ، وقد : نار .

(٨) منعفر : ممرغ فى التراب .

لَقَدْ حَكَمَتْ فِينَا الليالى بجَوْرِها ... وَحُكْمُ بَنات الدهر ليسَ لهُ قَصْدُ(١)
أفى العَدْلِ أن يشقَى الكريمُ بجَوْرِها ... وَيأخذَ منْها صفوَها القُعدَدُ الوَغْدُ(٢)
ذَرِينِى منْ ضَرْبِ القِداحِ على السُّرى ... فعَزمِىَ لا يَثنيهِ نحْسٌ وَلا سَعدُ(٣)
سأحمِلُ نفسِى عندَ كلِّ مُلِمَّةٍ ... عَلَى مِثْلِ حَدِّ السيفِ أخلَصَهُ الهندُ(٤)
لِيعلَمَ منْ هابَ السُّرَى خَشْيَةَ الرَّدى ... بأَنَّ قَضَاءَ اللهِ ليس له ردُّ
فإن عِشتُ محموداً فَمِثلى بغَى الغِنى ... لِيكْسِبَ مالا أوْ يُنَثَّ له حَمدُ(٥)
وَإنْ متُّ لم أظفَر، فليسَ على امرئٍ ... غَدَا طالباً إلاَّ تَقَصِّيهِ وَالجهدُ(٦)

وَقال يمدح أبا نهشل :

هَاهُوَ الشَّيْبُ لائِمَاً فأَفِيقِى ... وَاتْرُكيهِ إن كانَ غيْرَ مُفيقِ(٧)
فَلقَدْ كَفَّ منْ عَنَاءِ المُعَنَّى ... وَتَلاَفَى من اشْتِياقِ المشُوقِ(٨)
عَذَلَتْنَا فى عِشْقِها أُمُّ عَمْرو ... هل سَمِعتُم بِالعَاذِلِ المَعْشُوقِ

---

(١) بنات الدهر : نوازله ، والقصد : الاعتدال .

(٢) القعدد : الجبان أو اللئيم ، والوغد : الأحمق الدنىء .

(٣) ضرب القداح على السرى : استخبار القداح أأسير أم أقعد ، وكان للعرب قداح يجيلونها فى كيس ثم يخرجون أحدها فان كان مكتوبا عليه صيغة الأمر مضى صاحبه فيما يعتزم ، وإن كان النهى قعد ، فالشاعر يقول : لا يعنينى هذا لقوة عزمى الذى لا يبالى سعدا ولا نحسا .

(٤) أخلصه الهند : سيف أجادت الهند صنعه وطبعه ، يقول : سأحمل نفسى على الشدائد اذا حزبت الأمور .

(٥) ينث : يذاع ويفشى .

(٦) التقصى : بلوغ الغاية فى البحث ، ومعنى البيت أنى اذا لم أظفر بما أبغى من الغنى أو الحمد فلا لوم على مادمت قد سعيت الى الخير جهدى .

(٧) لائما : يلوم العاشق على التمادى فى العشق مع شيبه . والمفيق : الصاحى من سكرة العشق ، والمراد نفسه هو .

(٨) كف : منع وخفف ، وفاعله يعود على الشيب .

وَرأَت لِمَةً أَلمَّ بها الشَّيْـ ... بُ فَرِيعَتْ مِنْ ظُلمةٍ فى شُرُوقِ (١)

وَلعَمْرِى لوْلاَ الأقاحِى لأبْصَرْ ... تَ أَنِيقَ الرِّياض غيْرَ أَنِيقِ (٢)

وَسَـوَادُ العيُونِ لوْ لَمْ يُحَجَّر ... بِبيَاضٍ ، ما كانَ بالمومُوقِ (٣)

وَمِزاجُ الصَّهْبَاء بالماء أمْلَى ... بِصَبُوحٍ مُسْتَحْسَنٍ وَغبُوقِ (٤)

أَىُّ لَيْلٍ يَبْهَى بِغَيْرِ نُجُومٍ ... أَوْ سحَابٍ تَنْدَى بِغيرِى بُرُوقِ (٥)

وَقْفةً فى العَقِيقِ أطرحُ ثِقْلاً ... مِنْ دُموعِى بوَقْفَةٍ فى العَقيقِ (٦)

ماثِلٌ بَيْنَ أَرْبع ماثلاتٍ ... يَنزِعُ الشوقَ من فؤادٍ عَلُوقِ (٧)

أَزْجرُ العيْنَ عَن بُكاهُنَّ والعِيـ ... سُ إلى المُبْتغى بِكلِّ طَريقِ (٨)

واسْتَشفَّتْ مُحمدَ بنَ حُميدٍ ... ما سحيقٌ منَ الغِنى بسَحيقِ (٩)

---

(١) اللمة : الشعر المجاور شحمة الأذن . ريعت : فزعت.ظلمة فى شروق : سواد شعر الشباب فى بياض المشيب .

(٢) الأقاحى : جمع أقحوان : نبات زهره أبيض ، أى لولا الأقحوان لذهبت بهجة الرياض وكذلك الشيب زينة الرأس .

(٣) يحجر : يحاط . والموموق : المحبوب .

(٤) الصهباء : الخمر . وأملى : أمتع . والصبوح : شراب الغداة وعكسه الغبوق ، فالشيب فى الرأس كالماء للخمر .

(٥) كذلك يزدان الليل بالنجوم ، وتمطر السحب البارقة ، فالشيب بهاء الشباب ... كل تلك الصور لقصد تحسين المشيب .

(٦) العقيق : اسم لمواضع عدة فى بلاد الحجازونجد وغيرهما ، وقفة مفعولالفعل محذوف تقديره أتمنى أوقف .

(٧) ماثل : قائم . يعنى نفسه . وأربع جمع ربع : الدار.وفؤاد علوق : شديد التعلقبأحبته.

(٨) العيس : النوق . والمبتغى : المقصود .

(٩) استشفته : نظرت ما وراءه أى قصدته ، ومعنى الشطر الثانى أن الغنى مهما يبعد مكانه فلا يعد بعيدا لحب السعي اليه .

سَابقُ النفعِ يَسْتَقى جُهدَ نَفْسٍ تُسْتَزَادُ اُسْتِزادَةَ المسبُوقِ(١)

قَلَّبَتْهُ الأَيْدِى قديمًا وَالْحَلْبَةِ تُنْضَى الجيادُ بالتَّعريقِ(٢)

كلَّما أَجْرَتِ الخلائقُ أَوْفَى رَادِعاً فى خَلاَئقٍ كالخلوقِ(٣)

صَافيَات عَلَى قُلوبِ الْمُصَافيـ ن ، رِقَاقٍ فى فَهْمِهِنَّ الرقيقِ(٤)

لو تَصَفَّحْتَها لأَخرجتَ منها ألفَ مَعنًى من حاتم مَسرُوقِ(٥)

ليسَ يَخلو منْ فِكرةٍ فى جَليلٍ منْ أَفانينِ مَجدِهِ أَوْ دقيقِ(٦)

يَنظِمُ المجدَ مثلَ ما تَنظِمُ العِقـ دَ يدُ الصانعِ الصَّنَاعِ الرَّفيقِ(٧)

وقال يرثى المتوكل على الله عاشر خلفاء بنى العباس وكان حاضراً مقتله :

مَحَلٌّ عَلَى القَاطُولِ أخلَقَ دَاثِرُهُ وَعادَتْ صُرُوفُ الدَّهرِ جَيْشاً تُغَاوِرُهْ(٨)

كأَنَّ الصَّبَا تُوفِى نُذُوراً إِذَا انبرَتْ تُرَاوِحُهُ أَذْيَالُهَا ، وَتُبَاكِرُهْ(٩)

---

(١) سابق النفع : يسبق الى المحامد ، وان رويت بالقاف كان المعنى سابقا الى الحروب ، ويستقى الخ أى يستخرج من جهد كلما أراد كأنه مسبوق يضاعف جهده ليلحق بغيره أو يسبقه

(٢) قلبته الأيدى : أحكمته التجارب كالسيف يقلب لمعرفة جودته . والحلبة : ميدان السباق ، تنضى الجياد : تتعب وتمرن . والتعريق : التضمير .

(٣) أجرت : فوضت . الخلائق : المخلوقات والثانية بمعنى الطبائع . والخلوق : ضرب من الطيب فيه زعفران . رادعا : مضمخا .

(٤) المصافون : المخلصون . وصف لأخلاقه الحميدة .

(٥) حاتم : هو حاتم الطائى المشهور بالكرم ، يصفه بالكرم المضاعف .

(٦) الأفانين جمع فنون جمع فن : النوع ، يريد أنه دائما فى عمل مجيد مهما تكن درجته .

(٧) الصناع : الماهر الحاذق .

(٨) القاطول : موضع على دجلة حيث قصر جعفر المتوكل المسمى القصر الجعفرى . واخلق : بلى والداثر ، الماحى البالى . وصروف الدهر : نوازله . وتغاوره : تحاربه .

(٩) الصبا : ريح شرقية . تراوحه : تتناوبه فى الرواح (عشيا) . وتباكره : تهب عليه بكرة (صباحا) . أى كأن ذلك نذر عليها لهذا القصر .

وَرُبَّ زَمَان نَاعِمٍ ثُمَّ عَهدُهُ تَرِقُّ حَوَاشِيهِ ، وَيُورِقُ نَاضِرُهْ(١)
تَغَيَّرَ حُسنُ الجَعفَرِيِّ وَأُنْسُهُ وَقوِّضَ بَادِي الجَعْفَرِيِّ وَحَاضِرُهْ(٢)
تَحَمَّلَ عَنْهُ سَاكِنُوه فُجَاءَةً فَعَادَتْ سَوَاءً دُورُهُ وَمَقَابِرُهْ(٣)
إِذَا نَحْنُ زُرْنَاهُ أَجَدَّ لَنَا الأَسَى وقد كانَ قَبلَ اليومِ يَبْهَجُ زَائِرُهْ(٤)
وَلَمْ أَنْسَ وَحْشَ القَصرِ إِذْ رِيعَ سِرْبُهُ وَإِذْ ذُعِرَتْ أَطْلَاؤُهُ وَجَآذِرُهْ(٥)
وَإِذْ صِيحَ فِيهِ بِالرَّحِيلِ فَهُتِّكَتْ عَلَى عَجَلٍ أَسْتَارُهُ وَسَتَائِرُهْ
وَوَحْشَتَهُ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَقُمْ بِهِ أَنِيسٌ ، وَلَمْ تَحْسُنْ لِعَيْنٍ مَنَاظِرُهْ
كَأَنْ لَمْ تَبِتْ فِيهِ الخِلَافَةُ طَلْقَةً بَشَاشَتُهَا ، وَالمُلْكُ يُشْرِقُ زَاهِرُهْ(٦)
وَلَمْ تَجْمَعِ الدُّنْيَا إِلَيْهِ بَهَاءَهَا وَبَهْجَتَهَا وَالعَيْشُ غَضٌّ مَكَاسِرُهْ(٧)
فَأَيْنَ الحِجَابُ الصَّعْبُ حَيْثُ تَمَنَّعَتْ بِهَيْبَتِهَا أَبْوَابُهُ وَمَقَاصِرُهْ(٨)

---

(١) زمان ناعم : ناعم أهله . حواشيه : جوانبه . وترق حواشيه : تسعد أوقاته . والشجر الناضر : الحسن ، والمراد أنه عهد جميل .

(٢) الجعفرى : قصر المتوكل . وقوض : تهدم . وباديه : ظاهره . وحاضره : داخله .

(٣) سواء : متساوية فى اقفارها وخلوها من الأحياء .

(٤) أجدلنا الأسى : جدد لنا الحزن .

(٥) وحش القصر : نساؤه الشبيهات بالبقر الوحشى فى جمال العيون . ريع : أفزع . والسرب: القطيع . والأطلاء : الظباء . المفرد طلا وطلو . والجآذر : أولاد البقرة الوحشية . المفرد جؤذر ، يشبه بها أبناء القصر لما فزعوا وشتتوا لمصرع الخليفة .

(٦) طلقة : بهية ضاحكة . والزاهر : الحسن والمشرق من الألوان أ أى تروع مظاهره .

(٧) مكاسره جمع مكسر : جذع الشجرة حيث تكسر الأغصان أو هو المخبر . يقال : فلان طيب المكسر أى محمود عند الخبرة .

(٨) المقاصر جمع مقصورة : الحجرة أو الدار الواسعة المحصنة .

وَأيْنَ عَمِيدُ النَّاسِ فِي كُلِّ نَوْبَةٍ تَنُوبُ وَنَاهِي الدَّهْرِ فِيهِمْ وَآمِرُهْ (١)

تَخَفَّى لَهُ مُغْتَالُهُ تَحْتَ غِرَّةٍ وَأوْلَى لِمَنْ يَغْتَالُهُ لَوْ يُجَاهِرُهْ (٢)

فَمَا قَاتَلَتْ عَنْهُ المَنَايَا جُنُودُهُ وَلا دَافَعَتْ أمْلاكُهُ وَذَخَائِرُهْ

وَلا نَصَرَ المُعْتَزَّ مَنْ كَانَ يُرْتَجَى لَهُ ، وَعَزِيزُ القَوْمِ مَنْ عَزَّ نَاصِرُهْ (٣)

تَعَرَّضَ نَصْلُ السَّيْفِ مِنْ دُونِ فَتْحِهِ وَغُيِّبَ عَنْهُ فِي خُرَاسَانَ طَاهِرُهْ (٤)

وَلَوْ عَاشَ مَيْتٌ أوْ تَقَرَّبَ نَازِحٌ لَدَارَتْ مِنَ المَكْرُوهِ ثَمَّ دَوَائِرُهْ (٥)

وَلَوْ لِعُبَيْدِ اللهِ عَوْنٌ عَلَيْهِمُ لَضَاقَتْ عَلَى وُرَّادِ أمْرٍ مَصَادِرُهْ (٦)

حُلُومٌ أضَلَّتْهَا الأمَانِي ، وَمُدَّةٌ تَنَاهَتْ ، وَحَتْفٌ أوْشَكَتْهُ مَقَادِرُهْ (٧)

وَمُغْتَصَبٍ لِلْقَتْلِ لَمْ يُخْشَ رَهْطُهُ وَلَمْ تُحْتَشَمْ أسْبَابُهُ وَأوَاصِرُهْ (٨)

---

(١) عميد الناس : سيدهم ، أى الخليفة . والنوبة : النازلة . وناهى الدهر الخ أى المتصرف النافذ الحكم كأنه يملى على الدهر ارادته .

(٢) مغتاله : قاتله غيلة ، وكان من الأتراك الذين جلبهم المعتصم والد المتوكل ، والغرة : الغفلة .

(٣) المعتز : العزيز أو من يعد نفسه عزيزا بسواه فيكون معتزا به ، ومعنى عز ناصره : قوى معينه .

(٤) فتحه : الفتح بن خاقان نديم المتوكل الذى قتل معه أيضا . وطاهره : عبيد الله بن طاهر والى خراسان ذلك الحين .

(٥) أى لو عاش هذا النديم أو كان ذلك الغريب حاضرا لحدثت أمور عظيمة وانتقم للمقتول .

(٦) أى لو أعان على قتلته لأخذهم فلا يفلتون من عقابه . والوراد : الذين يردون الماء أو الأمر . وضاقت مصادره عز الخلاص منه .

(٧) حلوم : عقول ، يشير الى المنتصر بن المتوكل وشيعته من الأتراك الذين تآمروا على قتل الخليفة رغبة من المنتصر فى الخلافة . والحتف : الموت . وأوشكته : قربته .

(٨) الرهط : القبيل والجماعة . وتحتشم : يستحى منها (الأسباب والأواصر) التى هى الصلات بينه وبين قاتله .

صَرِيعٌ تَقَاضَاهُ السيوفُ حُشَاشَةً ... يَجُودُ بِها ، وَالموتُ حُمرٌ أظَافِرُهُ(١)

أُدافِعُ عَنهُ باليدينِ ، وَلَمْ يَكُنْ ... لِيَثْنِي الأعادِي أعزَلَ اللّيلِ حاسِرُهُ(٢)

وَلَو كان سَيْفِي ساعةَ الفتكِ فى يَدِي ... دَرَى الفَاتِكُ العَجْلانُ كيفَ أُساوِرُهُ(٣)

حَرَامٌ عَلَيَّ الراحُ بَعْدَكَ أَوْ أرَى ... دَمًا بدَمٍ يَجرى على الأرضِ مَائِرُهُ(٤)

وَهَلْ أَرتَجى أنْ يَطلبَ الدمَ وَاتِرٌ ... يَدَ الدَّهْرِ ، وَالمَوْتُورُ بالدَّمِ وَاتِرُهُ(٥)

أَكَانَ وَلِيُّ العَهدِ أَضْمرَ غَدْرَةً ... فَمِنْ عَجَبٍ أنْ وُلِّيَ العهدَ غَادِرُهُ(٦)

فَلا مُلِّيَ البَاقِي تُرَاثَ الذي مَضَى ... وَلَا حَمَلَتْ ذَاكَ الدُّعاءَ مَنَابِرُهُ(٧)

ولَا وأَلَ المشكوكُ فِيهِ ولا نَجَا ... مِنَ السيفِ نَاضِي السَّيفِ غَدْرًاوشاهِرُه(٨)

لَنِعمَ الدمُ المسفوحُ لَيلةَ جَعْفَرٍ ... هَرَقْتُم وجُنحُ الليل سُودٌ دَيَاجِرُهُ(٩)

---

(١) تقاضاه السيوف : تأخذ منه ، يقال : تقاضاه الدين اذا طلبه وقبضه منه . والحشاشة : البقية من الروح .

(٢) أعزل الليل : أعزل فى الليل . والأعزل : من لاسلاح معه ، يعنى نفسه . وحاسرة : لادرع معه فى هذه الليلة .

(٣) العجلان : المسرع ، وأساوره : أواثبه وأدافعه .

(٤) أو أرى : الى أن أرى ، ومائره جاريه ومار الدم على الأرض جرى فتردد عرضا واضطرب فى جريانه .

(٥) الواتر : الظالم . والموتور : من قتل له قتيل فلم يأخذ بدمه أحد . يقول : كيف أرتجى الثأر للخليفة مع أن صاحب الثأر هو ابنه المنتصر الذى قتله فهو واتر وموتور معا ؟استفهام للنفى .

(٦) ولى العهد : المنتصر الذى خاف أن يفوز أخوه المعتز بالخلافة دونه .

(٧) ملى التراث : تمتع به طويلا ، يدعو على المنتصر ألا ينعم بميراث أبيه . ثم دعا عليه ألا يخلفه ويدعى له على المنابر .

(٨) وال : نجا . ناضى السيف : استله من غمده .

(٩) الدياجر : جمع ديجور وهو الظلام .

كأنَّكُمُ لم تعلموا مَنْ وَلِيُّهُ ... وَباغيهِ تحتَ المرهفاتِ وَثائِرُه (١)

وَإِنى لَأَرْجُو انْ تردَّ أُمورُكُمْ ... إلى خَلَفٍ من شَخصه لا يُغادِرُه (٢)

مُقلِّبُ آراءٍ تخافُ أناتُهُ ... إذا الأخرقُ العجلانُ خِيفتْ بوادِرُه (٣)

وقال يصف إيوان كسرى بالمدائن ويرثى دولة الفرس :

صُنْتُ نفسى عَمَّا يُدَنِّسُ نَفْسِى ... وَتَرَفَّعْتُ عَنْ جَدا كلِّ جِبْسِ (٤)

وَتَمَاسَكْتُ حينَ زَعْزَعَنى الدَّهْـ ... ـرُ التماسًا مِنهُ لِتَعْسِى وَنَكْسِى (٥)

بُلَغٌ منْ صُبَابَةِ العَيْشِ عِنْدِى ... طَفَّفَتْها الأيَّامُ تطفيفَ بَخْسِ (٦)

وبَعِيدٌ ما بينَ وَارِدِ رَفْهٍ ... عَلَلٍ شُرْبُهُ ، ووارِدَ خِمْسِ (٧)

وكأنَّ الزَّمانَ أَصْبَحَ مَحْمُو ... لَا هَوَاهُ مَعَ الأَخَسِّ الأَخَسِّ (٨)

---

(١) وليه : صاحبه المطالب به.وباغيه : سافكه.والمرهفات : السيوف المرققة.وثائره :باعثه .

(٢) أى أرجو : أن يبقى الحكم فى خلفه لا يخرج منه .

(٣) مقلب آراء : ينظر فى وجوه المسائل ويتخير أحكمها . والأناة : التأنى . وتخاف أناته : يرهب تدبيره فى أناة . والأخرق : ضعيف الرأى : خيفت بوادره : يخشى من عجلته التى تكون خطرا على الأمور .

(٤) الجدا : العطاء . والجبس : الجبان اللئيم .

(٥) تماسكت : ثبت واعتصمت . زعزعنى: حركنى بعنف أى حين نالنى خطوبه.التماسا منه : طلبا منه ومحاولة . التعس : الهلاك أو الشر . والنكس : أن ينقلب الرجل على رأسه ، أى الهزيمة والسقوط .

(٦) بلغ : جمع بلغة وهى مايكفى من العيش ولا يفضل.والصبابة : البقية.طففتها : نقصتها . والبخس : الغبن والظلم .

(٧) الرفه من العيش : الطيب اللين . والعلل : الشرب تباعا .والخمس بالكسر من أظماء الابل وهى أن ترعى ثلاثة أيام وترد الماء فى اليوم الرابع ، يمثل بها الشاعر حال عيشه البئيس القانع .

(٨) يقول : كأن الزمان ينصف الأنذال ، ويجور على الأخيار .

واشْـتِرَائِي العِرَاقَ خُطَّةُ غَـبْنٍ بَعْدَ بَيْعِي الشَّآمَ بَيْعَـةَ وَكْسِ (١)
لَا تَرُزْنِي مُزَاوِلًا لِاخْتِبَارِي عِندَ هَذِي البَلْوَى فَتُنكِرَ مَسِّي (٢)
وَقَدِيمـاً عَهِـدْتَنِي ذَاهَنَاتٍ آبِيَاتٍ عَلَى الدَّنِيَّاتِ شُمْسِ (٣)
وَلَقَدْ رَابَنِي نُبُـوُّ ابنِ عَمِّي بَعْدَ لِينٍ مِنْ جَانِبَيهِ وَأُنْسِ (٤)
وَإِذَا مَا جُفِيتُ كُنتُ حَرِيًّا أَنْ أَرَى غَيْرَ مُصْبِحٍ حَيْثُ أُمْسِي (٥)
حَضَرَتْ رَحْلِيَ الهُمُومَ فَوَجَّهْـ ـتُ إِلَى أَبْيَضِ المَدَائِنِ عَنْسِي (٦)
أَتَسَـلَّى عَنِ الحُظُوظِ وَآسَى لِمَحَلٍّ مِنْ آلِ سَاسَانَ دَرْسِ (٧)
ذَكَّرَتْنِيهِـمُ الخُطُوبُ التَّوَالِي ولقد تُذْكِرُ الخُطُوبُ وتُنْسِي (٨)

---

(١) اشترائى العراق : اقامتى بها . وبيعى الشآم : رحلتى عنها مع أنها موطنى الأصلى .

(٢) رازه : جربه وقدره . فتنكر مسى : تجدنى أبيا عنيفا منكر الجانب .

(٣) الهنات : خصال (شر) . شمس : عنيدة لا تذل ، وآبيات على الدنيات : لا ترضى بالخسيس الدون فتأنف منه .

(٤) رابنى : أوقعنى فى الريب (الشك) أو أرانى ماأكره . والنبؤ : النفور والجفوة .وابن عمه، هو الخليفة المنتصر ، فالبحترى قطحانى والخليفة عدنانى كأنهما أخوان لأنهما أبوا شعبى العرب ، وهذا يدل على أن البحترى قال هذه القصيدة بعد مقتل المتوكل واعراض المنتصر عنه لهجائه اياه فى رثاء أبيه كما مضى .

(٥) حريا خليقا . يقول اذا جفيت تنقلت فلا أصبح فى مكان حتى أمسى فى سواه ، وهذا تمهيد لذكر رحلته الى المدائن حيث القصر الأبيض (قصر الأكاسرة) .

(٦) حضرت رحلى الهموم : طرأت على الأحزان من هذه الحال السيئة . والعنس : الناقة القوية .

(٧) آسى : أحزن . وآل ساسان : أكاسرة الفرس الذين أزال الفتح الاسلامى دولتهم زمن عمر ابن الخطاب . درس : دارس .

(٨) التوالى : المتتالية . ولعله يريد الخطوب التى ألمت بالدولة العباسية فى خلفائها من تحكم العناصر الأجنبية والسيطرة على الخلفاء والتنكيل بهم .

وَهُمْ خَافِضُونَ فى ظِلِّ عَالٍ مُشرِفٍ يُحسِرُ العيونَ وَيُخْسِى (١)

مُغلَقٍ بَابُهُ عَلَى جَبَلِ القَبْـ ـق إلى دَارَتَىْ خِلاَطٍ ومُكْس (٢)

حِلَلٌ لم تَكُنْ كَأطلالِ سُعدَى فى قِفَارٍ من البَسَابِسِ مُلْس (٣)

وَمَسَاعٍ لولا المُحاباَةُ مِنِّى لم تُطِقْهَا مَسْعَاةُ عَنْسٍ وَعَبْسِ (٤)

نَقَلَ الدَّهرُ عَهدَهُنَّ عن الجِدِّ ةِ حَتَّى غدوْنَ أنْضَاءَ لُبْس (٥)

فَكأَنَّ الجِرْماز مِنْ عَدَمِ الأنْـ سِ وَإِخْلاَلِه بَنِيَّةُ رَمْس (٦)

لَوْ تَرَاهُ علِمْتَ أَنَّ اللَّيَالِي جَعَلَتْ فِيهِ مأتماً بَعْدَ عُرْسِ

وهو يُنْبِيكَ عَنْ عَجَائِبِ قَوْمٍ لاَ يُشَابُ البيَانُ فِيهم بِلبْسِ (٧)

فإذا مَا رأيتَ صُورةَ أنْطَا كِيَّةَ ارتَعتَ بَيْنَ رُومٍ وفُرس (٨)

---

(١) هم : آل ساسان ، خافضون : رغيدو العيش فى ظل عال : فى قصر مرتفع (القصر الأبيض) يحسر العيون : يضعفها اذا نظرت تتبين ارتفاعه . يخسى : يؤلم .

(٢) القبق : جبل هو المسمى الآن (جبال القوقاز) فيه أمم مختلفة ولغات متعددة . ويسمى أيضا جبل القبج والقبجان . وخلاط ومكس من مدن أرمينية الوسطى . يريد أن هذا القصر لاتساعه وكثرة ما فيه من الجوارى والخدام والأتباع المختلفى اللغات كأنه مغلق على جبال وبلاد اشتهرت بتعداد أممها .

(٣) هنا يذكر فضل الفرس على العرب . الحلل : جمع حلة وهى المكان ينزل فيه الناس ويقيمون . والبسابس : القفاز . ملس : خالية . يقول : آثار هى خير مما فى جزيرة العرب من الأطلال والقفار .

(٤) مساع : مكارم جمع مسعاة ، لم تطقها : لا تقدر عليها وتساميها . وعنس : قبيلة يمنية . وعبس : قبيلة عنترة العبسى من مضر .

(٥) انضاء جمع نضو : المهزول من الحيوان أو الثوب البالى ، ولبس : استعمال ، أى أبلاها الدهر بعد الجدة .

(٦) الجرماز : بناء كان عند أبيض المدائن ثم عفا أثره . وكان عظيما بجوار القصر . والرمس : القبر .

(٧) البيان : المنطق الفصيح . واللبس : عدم الوضوح .

(٨) أنطاكية : بلد بالشام حيث وقعت معركة بين الفرس والروم وقد صورت فى الايوان ، وارتعت : فزعت .

والمنايا مَوَاثِلٌ وأنو شِرْ وَانَ يُزْجِى الصفوفَ تحْتَ الدِّرَفْسِ (١)

فى اخضِرَارٍ من اللِّبَاسِ عَلَى أَصْ فَرَ يَخْتَالُ فى صَبِيغَةِ وَرْسِ (٢)

وَعِرَاكُ الرِّجالِ بَينَ يدَيْه فِى خُفُوتٍ مِنْهُمْ وإغماضِ جَرْسِ (٣)

منْ مُشِيحٍ يَهْوِى بعَامِلِ رُمْحٍ ومُليحٍ من السِّنانِ بِتُرْسِ (٤)

تَصِفُ العينُ أنهمْ جِدُّ أحيا ءٍ لَهُمْ بَيْنَهُمْ إشارةُ خُرْسِ (٥)

يَغْتَلِى فِيهمُ ارْتِيابِىَ حَتَّى تَتَقَرَّاهُمْ يدَاىَ بِلَمْسِ (٦)

***

كأنَّ الإيوان من عَجَبِ الصَّنْ عَةِ جَوْبٌ فى جَنْبِ أرعَنَ جَلْسِ (٧)

يُتَظَنَّى منَ الكآبَةِ أنْ يَبْ دُو لِعَيْنَىْ مُصَبِّحٍ أوْ مُمَسِّى (٨)

مُزْعَجاً بالفِرَاقِ عنْ أُنْسِ إلْفٍ عَزَّ ، أو مُرْهَقاً بتَطْليقِ عِرْسِ

---

(١) مواثل : قائمات تنتظر العمل وقت الحرب . وأنو شروان : أحد الأكاسرة. يزجى يسوق. والدرفس : العلم الكبير .

(٢) الورس : نبات ذو صبغة حمراء .

(٣) خفوت : سكون صوت . والجرس : الصوت .

(٤) المشيح : الحذر . والمليح : الذى يخاف ويحذر أيضا . والترس المجن .

(٥) تصف العين : يخيل اليها .

(٦) يغتلى الخ : يزيد ارتيابى : شكى فى حياتهم ، تتقراهم : تتبعهم : أى حتى المسهم فى الصورة بيدى لأتبين : أهم أحياء حقا كما يخيل الى .

(٧) الجوب : الخرق . والأرعن : الجبل ذو الرعن وهو أنف يتقدم الجبل. الجلس : الجبل العالى، فكأن الايوان بالنسبة الى القصر الأبيض العظيم الذى يشمل الايوان وغيره من الغرف والمقاصير — خرق فى جانب جبل ارعن وجعل الجبل ارعن لما فيه من الأجنحة والطنف والأبيات الآتية توضح هذا التشبيه .

(٨) يتظنى : يظن . ومفعوله الثانى مصدر أن يبدو ، ومزعجا حال من فاعل يبدو ، أى أن كآبته تجعله يبدو للعين كأنه مزعج بفراقه أليفاً أو عروسا .

عَكَستْ حظَّهُ الليَالِي وَبَاتَ الْمُشْـ ـتَرِي فِيهِ وهو كوكَبُ نحسِ (١)

فَهُوَ يُبدِي تَجَلُّدًا وعليه كَلكلٌ مِنْ كلاكِلِ الدهرِ مُرْسِي (٢)

لم يَعِبْهُ أَنْ بُزَّ مِنْ بُسُط الدِّيـ ـبَاجِ واسْتُلَّ منْ سُتورِ الدِّمَقْسِ (٣)

مُشْمَخِرٌّ تَعْلو لَهُ شُرُفَاتٌ رُفِعَتْ فى رُءوسِ رَضْوَى وَقدْسِ (٤)

لَابِسَاتٌ من الْبَيَاضِ فَمَا تُبْـ ـصِرُ مِنْهَا إلا غَلائلَ بُرْسِ (٥)

لَيْسَ يُدرَى أَصُنْعُ إِنْسٍ لِجِنٍّ سَكَنُوهُ أَمْ صُنعُ جِنٍّ لِإِنْس

غَيْرَ أَنى أَرَاهُ يَشْهَدُ أَنْ لَمْ يَكُ بَانِيهِ فى الْمُلوكِ بِنِكْسِ (٦)

* * *

عُمِرَتْ للسُّرُورِ دَهراً فصارت لِلتَّعَزِّى رِبَاعُهُمْ وَالتأَسِّى

فلهَا أنْ أُعِينَهَا بدُمُوعٍ مُوقفَاتٍ عَلَى الصَّبَابَةِ حُبْسٍ

ذاكَ عِنْدِى وَلَيسْت الدَّارُدارِى باقترابٍ منها ، ولا الجنسُ جِنسِى

غيرَ نُعمَى لأهلِهَا عنْدَ أَهْلِى غرسوا مِن زَكائِها خَيْرَ غرْسِ (٧)

أيَّدُوا مُلْكنَا ، وشدُّوا قُوَاهُ بكُماةٍ تحت السَّنَوَّرِ حُمسِ (٨)

---

(١) المشترى : كوكب سعد ، ولكنه تحول نحسا فى هذا القصر بتأثير القصر فيه .
(٢) التجلد : تكلف الجلد والصبر . والكلكل : الصدر : أى نازلة .
(٣) بز : سلب . واستل : أخرج وانتزع. والديباج : الثوب سداه ولحمته حرير . والدمقس: الحرير الأبيض .
(٤) مشمخر : عال . شرفات القصر : ما أشرف من بنائه . ورضوى : جبل . وقدس : جبل عظيم بنجد ، يشبه القصر فى ضخامته وارتفاعه بهذين الجبلين .
(٥) الغلائل جمع غلالة : وهى شعار يلبس تحت الثوب . والبرس : القطن أو ما يشبهه .
(٦) النكس : الضعيف الدنىء .
(٧) زكائها : نمائها .
(٨) السنور : كل سلاح من حديد . وحس : شجعان . يشير الى بلاد فارس .

وأعانُوا على كَتَائبِ أَرْيا طَ بطْعنٍ على النُّحور ودَعْس (١)

وأرانِي منْ بَعدُ أكلَفُ بالأشْ رَافِ طُرًّا من كلِّ سِنْخٍ وجِنْسِ (٢)

(١٥) ابن المعتَزِّ(٣)

قال يصفُ الروض :

وَعَلَى الأرضِ اصفِرَارٌ وَاخضِرَارٌ واحْمِرَارُ

فكأن الرَّوْضَ وَشْيٌ بالغتْ فِيه التجار(٤)

نَقْشُهُ آسٌ ونِسْرِينٌ وَوَرْدٌ وبَهَارُ(٥)

وقال في سُرَّ منْ رأى بَعْدَ تَهدُّمِها :

قَدْ أقْفرتْ سُرَّ من رَا فَمَا لشيء دَوَامُ(٦)

فالنِّقْضُ يُحمَلُ مِنها كأنها الآجَامُ(٧)

---

(١) أرياط . قائد حبشي فتح اليمن قديما ، ثم خلفه القائد أبرهة صاحب الفيل وأبناؤه ، ثم طرد سيف بن ذي يزن الاحباش بمعرفة الفرس . والدعس . الذود والطعن .

(٢) أكلف بالاشراف . أولع بهم . والسنخ . الأصل والمنبت .

(٣) هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله الخليفة العباسي ولد سنة ٢٤٩ هـ . وقد نشأ وتربى تربية الخلفاء وأخذ العلم والأدب عن علماء عصره وأولع بالشعر ونبغ فيه ، ولما خلع المقتدر لعسف الأتراك من شيعته بويع عبد الله هذا بالخلافة . ولكن جند المقتدر الأتراك حملوا على دار ابن المعتز وقاتلوا أصحابه حتى هزموهم وقبضوا على هذا الخليفة الجديد وقتلوه أول ليلة من حكمه سنة ٢٩٦ هـ . وقد برع في الشعر ولا سيما الأوصاف . ويمتاز شعره بطابع الترف ورقة الأسلوب مع تكلف للبديع فهو ثالث أبي تمام ومسلم بن الوليد في ذلك .

(٤) الوشي : الثوب المحسن بالألوان . التجار : جمع تاجر .

(٥) اسماء أزهار مختلفة الألوان .

(٦) سر من رأى : مدينة قديمة كانت تسمى سامرا جددها المعتصم واقام بها.أقفرت :تخربت وخلت من مظاهر الحياة .

(٧) النقض : البناء المهدم . الآجام جمع أجمة : الشجر الكثير الملتف .يريدأن الناس يحملون أنقاضها كما يحتطبون فروع الشجر من الغابات .

مَاتَتْ كما مَاتَ فِيلٌ تُسَلُّ منه العِظَامُ(١)

وقال يصف هلالَ شوال :

أهلاً بفطرٍ قد أنافَ هِلَالُه فالآنَ فاغْدُ على المُدَام وبكِّرِ(٢)
وانْظُرْ إليهِ كزَوْرَقٍ مِنْ فِضَّةٍ قد أثقلتْهُ حُمُولَةٌ من عَنْبَرِ(٣)

وقال يصف سحابة :

وَسَارِيَةٍ لا تَمَلُّ البُكَا جَرَى دَمعُها فى خُدودِ الثَّرى(٤)
سرت تقدَحُ الصُّبحَ فى ليلِها بِبَرقٍ كهِنـدِيَّةٍ تُنْتَضَى(٥)
فلمَّا دنَتْ جلْجَلتْ فى السما ءِ رعدًا أجَشَّ كجَرْسِ الرَّحا(٦)
ضَمَانٌ عليهَا ارْتِدَاعُ اليفَاعِ بأنوارِهَا واعتِجَارُ الرُّبَا(٧)
فَمَا زالَ مَدمَعُها باكِياً عَلَى التربِ حَتّى اكتَسَى مَا اكتَسَى(٨)
فأضحتْ سَوَاءً وجوهُ البلادِ وَجُنَّ النَّبَاتُ بِهَا والتقَى(٩)

---

(١) أى أن أنقاض المدينة تستخرج كما تستخرج عظام الفيل للانتفاع بها .

(٢) أناف : أطل وأشرف . غدا بكر . المدام : الخمر . يدعو الى الشراب بعد الحرمان منه طول رمضان .

(٣) الزورق : السفينة الصغيرة . يشبه الهلال وسط الظلمة بزورق فضى حمولته العنبر تشبيه تمثيل .

(٤) السارية : السحابة تسرى ليلا . ويريد بالبكاء الأمطار . الثرى : الأرض .

(٥) تقدح : تبرق . والأصل قدح بالزند : حاول اخراج النار منه . هندية : سيوف منسوبة الى الهند ، لأنها كانت تجيد طبعها . تنتضى : تستل . يقول ان برقها يلمع فى الليل كأنه صباح، والبرق يشبه السيوف المصلتة شكلا وبريقا .

(٦) جلجلت : رعدت . أجش : غليظا . الجرس : الصوت .

(٧) اليفاع : ماارتفع من الأرض . الاعتجار : لف العمامة . الربا جمع ربوة : الأرض المرتفعة . الأنوار جمع نور بفتح النون . الزهر . كأن السحابة تكفلت باكتساء الأرض بالأزهار .

(٨) اكتسى ما اكتسى : أى اكتسى رداء جميلا .

(٩) وجوه البلاد : جوانبها ونواحيها . جن النبات : زكا وطال .

وقال يصف سيفه :

وَلِي صَارِمٌ فيه المنايَا كَوَامِنٌ   فما يُنتضَى إلا لِسفكِ دِماءِ[١]
تَرى فوقَ مَتنيهِ الفِرِنْدَ كأنَّهُ   بقيَّةُ غيمٍ رَقَّ دُونَ سَمَاءِ[٢]

وقال يصف غديرا :

غَديرٌ تُرَجْرِجُ أمواجَه   هُبُوبُ الرياحِ ومَرُّ الصَّبَا[٣]
إذا الشمسُ من فوقِه أشرقَتْ   توَهَّمتَهُ جَوْشَنًا مُذْهَبَا[٤]

وقال يحذّر الطالبيين من طَلَبِ الخلافة ويتوعدهم .

أَبَى اللهُ إلَّا ما تَرَوْنَ فما لكُمْ   عِتابٌ على الأقْدار يا آلَ طَالِبِ[٥]
تَركنا كُمُ حِيناً فهَلَّا أَخَذْتُمُ   تُرَاثَ النبيِّ بالقنَا والقواضِبِ[٦]
زمانَ بنو حَربٍ ومروانَ مُمسِكو   أَعِنَّةِ مُلْكٍ جائِرِ الحُكْمِ غَاصِبِ[٧]
ألا رُبَّ يومٍ قد كَسوْكُمْ عَمائِمًا   من الضَّرْبِ في الهَامَاتِ حُمْرَ الذَّوَائِبِ[٨]
فلمَّا أراقُوا بالسُّيوفِ دِماءَكُمْ   أَبَيْنَا ولم نَمْلِكْ حَنِينَ الأَقَارِبِ
فحِين أَخَذْنَا ثأرَكُمْ من عَدُوِّكُمْ   قَعَدْتُم لنَا تُورُونَ نَارَ الحُبَاحِبِ[٩]

---

(١) الصارم : السيف القاطع . المنايا جمع منية : الموت . كوامن : ساكنة .

(٢) فرند السيف : وشيه وجوهره . دون : أسفل . فالفرند للسيف : كالغيم للسماء .

(٣) الصبا : ريح شرقية .

(٤) الجوشن : الدرع . مذهب : مموه بالذهب . فأشعة الشمس فوق صفحة الماء كماء الذهب فوق الدرع .

(٥) يريد أن الله أبى عليكم أن يوليكم أمر المسلمين ويجعل الخلافة فيكم .

(٦) التراث : الميراث . والقنا : الرماح . والقواضب : السيوف .

(٧) زمان : مضاف الى الجملة الاسمية بعده . ويريد ببنى حرب ومروان دولة بنى أمية .

(٨) الهامات : الرءوس . والذوائب : ضفائر الشعر . يقول : ان بنى أمية كانوا يضربون رءوسكم بالسيوف فتحمر من دمائكم .

(٩) الحباحب : ما اقتدح من شرر النار فى الهواء من تصادم الحجارة ونحوها ، وأورى نار الحباحب كناية عن الفتن التى لا تفيد شيئا .

وحزْنَا الَّتي أَعْيَتْكُمُ قَدْ عَلِمْتُمُ ... فما ذَنْبُنَا ؟ هلْ قاتلٌ مثلُ سَالِب؟
عَطِيَّةُ مُلْكٍ قَدْ حَبَانَا بفضْلِهِ ... وَقَدَّرَهُ رَبٌّ جزيلُ المواهِبِ
وَلَيْسَ يُريدُ الناسُ أن تَمْلِكُوهمُ ... فلا تَنْبُوا فِيهمْ وُثُوبَ الجَنَادِبِ (١)
وإيَّاكُمُ إيَّاكُمُ وحَذَارِ من ... ضَرَاغِمَةٍ فِي الْغَابِ حُمْرِ المخالِبِ (٢)
إلا إنها الحَرْبُ الَّتي قَدْ عَلِمْتُمُ ... وَجَرَّبْتُمُ وَالْعِلْمُ عِنْدَ التجَارِبِ

وقال فى الطَّرَد : (٣)

لمـا تعرَّى الأُفُقُ بالضِّيَاءِ ... مِثْلَ ابتسامِ الشَّفَةِ اللَّمْيَاءِ (٤)
وَشَمِطَتْ ذَوَائِبُ الظَّلْمَاءِ ... وَهَمَّ نَجْمُ الليلِ بالإغْفَاءِ (٥)
قُدْنا لِعِينِ الوحشِ والظِّبَاءِ ... دَاهِيَةً مَحْذُورَةَ اللِّقَاءِ (٦)
شَائِلَةً كالعقْرَبِ السمْرَاءِ ... مُرْهَفَةً مُطْلَقَةَ الأَحْشَاءِ (٧)
كَمَدَّةٍ من قَلَمٍ سَوْدَاءِ ... أو هُدْبَةٍ مِنْ طَرَفِ الرِّدَاءِ (٨)
تَحْمِلُهَا أَجْنِحَةُ الهَوَاءِ ... تَسْتَلِبُ الخَطْوَ بلا إِبْطَاءِ

---

(١) الجنادب : جمع جندب : حيوان كالجراد كثير القفز .

(٢) الضراغمة : الأسود . والغاب مأوى الأسد . والمخالب : الأظفار . ويريد بالضراغمة العباسيين وجنودهم .

(٣) الطرد بفتحتين : مزاولة الصيد وهو باب من أبواب الأدب أكثر القول فيه كثير من الشعراء كأبى نواس وابن الرومى وابن المعتز .

(٤) تعرى : تكشف . يريد لما استهل الصباح ، والشفة اللمياء المشربة سمرة فى حسن .

(٥) شمطت : اختلط سوادها ببياضها .

(٦) العين : جمع أعين وهو ثور بقر الوحش ، ويريد بالداهية كلبة الصيد يقول : لما أصبح الصباح خرجنا للصيد ومعنا كلبة تخشى الحيوانات لقاءها .

(٧) شائلة : مرتفعة الذنب . مرهفة : مدببة .

(٨) المدة : الخط الممتد والهدبة الطرف .

وَمُخْطَفًا مُوَثَّقَ الْأَعْضَاءِ خَالَفَهَا بِجِلْدَةٍ بَيْضَاءِ(١)
كَأَثَرِ الشِّهَابِ فِي السَّمَاءِ وَيَعْرِفُ الزَّجْرَ مِنَ الدُّعَاءِ
بِأُذُنٍ سَاقِطَةِ الْأَرْجَاءِ كَوَرْدَةِ السَّوْسَنَةِ الشَّهْلَاءِ(٢)
ذَا بُرْثُنٍ كَمِثْقَبِ الْحَذَّاءِ ومُقْلَةٍ قَلِيلَةِ الْأَقْذَاءِ(٣)
صَافِيَةٍ كَقَطْرَةٍ مِنْ مَاءِ يَنْسَابُ بَيْنَ أُكَمِ الصَّحْرَاءِ
مِثْلَ انْسِيَابِ حَيَّةٍ رَقْطَاءِ آنَسَ بَيْنَ السَّفْحِ وَالْفَضَاءِ(٤)
سِرْبَ ظِبَاءٍ رُتَّعِ الْأَطْلَاءِ فِي عَازِبٍ مُنَوِّرٍ خَلَاءِ(٥)
أَحْوَى كَبَطْنِ الْحَيَّةِ الْخَضْرَاءِ فِيهِ كَنَقْشِ الْحَيَّةِ الرَّقْشَاءِ(٦)
كَأَنَّهُ ضَفَائِرُ الشَّمْطَاءِ يَصْطَادُ قَبْلَ الْأَيْنِ وَالْعَنَاءِ(٧)

* خَمْسِينَ لا تَنْقُصُ فِي الْإِحْصَاءِ *

---

(١) المخطف : الضامر ، وهو عطف على داهية السابقة : يريد أنه خرج الى الصيد بكلبة وصفها وكلب شرع يصفه فقال : انه موثق الأعضاء أى شديدها محكمها ، وأنه يخالف الكلبة بما فيه من بقعة بيضاء كأثر الشهاب فى السماء .

(٢) الأرجاء : الانحاء . والسوسن : الزنبق .

(٣) البرثن : الناب . والحذاء : الاسكاف .

(٤ و٥) السفح : عرض الجبل . وآنس : أبصر . والفاعل : ضمير يعود على المخطف . وسرب ظباء فى البيت بعده مفعوله : أى أن هـذا الكلب أبصر سرب غزلان . ترتع أطلاؤها : أى أولادها فى عازب : أى مرعى خصيب مزهر .

(٦) الأحوى : شديد الخضرة فى سواد وهو وصف للعازب قبله .

(٧) الأين : التعب . يقول : ان هذا الكلب يصيد مالا يقل عن خمسين قبل أن يدركه التعب .

الأندلس

(١) النثر

النثر الفنى

١ — نبذة من الرسالة الجديدة لابن زيدون(١)
وهى التى كتبها لأبى الحزم بن جهور أمير قرطبة
وهو فى سجنه يستعطفه

« يا مولاىَ وسيِّدى الذى ودادى له ، واعتمادى عليه ، واعتدادى به وامتدادى منه ، وَمن أَبقاهُ اللهُ تعالى ماضِىَ حَدِّ العزمْ ، وَارِىَ زَنْدِ الأمل ، ثابتَ عهدِ النعمة . إنسلبتَنى — أعزَّكَ اللهُ — لباسَ إنعامك ، وعَطَّلْتَنى مِن حَلْى إيناسِك ، وَأَظمأتنى إلى بَرُودِ(٢) إسعافك ، وَنَفَضْتَ بى كَفَّ حِياطتك ؟ وَغضَضْتَ عَنِّى طَرْفَ حِمايتك ، بعد أن نظَرَ الأعمى إلى تأميلى لك ، وَسَمِعَ الأصمُّ ثنائى عليك ، وأحسَّ الجماد باستحمادى لك ، فلا غَرْوَ قد يَغَصُّ(٣) بالماء شاربه ، وَيَقْتُلُ الدواء المستشفِىَ به ، وَيُؤْتَى الحذِر مِن مَأمنِه ، وتكون مَنِيَّة الْمُتَمَنِّى فى أُمْنِيَّته والحَيْنُ(٤) قد يسبقُ جهد الحريص :

كلُّ المصائب قد تمرُّ على الفتَى ... وتهون غير شَماتَة الْحُسَّاد

---

(١) هو ذو الوزارتين أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون القرطبى وزير آل جهور بقرطبة ثم آل عباد بأشبيلية وصاحب الرسالتين الجدية والهزلية توفى سنة ٤٦٣ ﻫ .

(٢) البرود : الماء البارد ، أى اسعافك الذى هو كالماء البارد فى اروائه للغليل .

(٣) يغص : يشرق .

(٤) الحين : الهلاك .

وإنى لأتجلَّدُ ، وأرى الشامتين أنّى لِريبَ الدهرِ لا أتضعضع ؛ فأقولُ : هل أنا إلّا يدٌ أَدْمَاها سِوارُها ، وجَبينٌ عَضَّ به إكليله ، وَمَشْرَفىٌّ (١) ألصقه بالأرض صَاقِلُه ، وَسَمْهَرىٌّ (٢) عرَضه على النار مُثَقِّفُه ، وَعَبْدٌ ذَهَبَ به سيِّدهُ مذهَبَ الذى يقول :

فَقَسَا ليَزْدَجِرُوا ؛ ومَنْ يَكُ حَازماً   فليَقْسُ أحياناً على مَن يَرْحَمُ

هذا العتب محمودٌ عواقبُه ، وهذه النبوة (٣) غَمْرَةٌ ثم تنجلى ، وهذه النكبةُ سَحَابَةُ صيْف عن قليل تَقَشَّع (٤) ولَنْ يريبنى مِن سيّدى أَن أبطأَ سَيْبُهُ (٥) ، أو تأخر غَير ضنين غَناؤه ، فأبطأ الدِّلاء فيضاً أملؤها ، وأثقل السَّحائب مشيا أحفَلها ، وأنفع الحيا ما صَادَفَ جدْبا ، وألذُّ الشَّرَاب ما أصَابَ غليلا . ومع اليومِ غد ، ولكلِّ أجل كتاب . له الحمد على اهْتباله (٦) ، ولا عَتْب عليه فى إغفاله .

فإن يكن الفعل الذى ساءَ واحدا   فأفعالُه اللائى سَرَرْنَ ألوف

---

(١) المشرفى : السيف ينسب الى مشارف الشام .

(٢) السمهرى : الرمح ينسب الى سمهر وهو صانع للرماح وزوجه ردينة كانت تعمل معه السلاح واليهما تنسب الرماح .

(٣) النبوة : الجفوة .

(٤) تقشع : تتكشف وتزول .

(٥) السيب : العطاء .

(٦) الاهتبال : الاغتنام ، أى اغتنام معروفة .

وأعودُ فأقول : ما هذا الذنبُ الذى لم يَسَعْهُ عفوكَ ، والجهلُ الذى لم يأت مِن ورائِهِ حِلمك ؟ والتطاول الذى لم يستغرقْه تَطَوُّلُك[١] ، والتحامل الذى لم يَفِ به احتمالك ؟ ولا أخلُو مِن أن أكونَ برِيئا ، فأين العدل ؟ أو مسيئاً ، فأَيْنَ الفضل ؟

إلّا يكن ذَنْبٌ فعدلُك واسِعٌ   أو كان لى ذنْبٌ ففضلك أوْسَع

ومنها :

وهل لَبِسَ الصَّبَاحُ إلّا بُرْداً طَرَّزْتَه بفضائلك[٢] ؟ وتَقَلَّدَتِ الجوزاء إلّا عِقْدًا فَصَّلْتَه بمآثرِك ؟ واسْتَمْلى الربيع إلّا ثَنَاءً ملأتهُ بمحاسنِك ؟ وبَثَّ المسكُ إلّا حَديثا أذعتَه فى محامِدك ؟ ما يَوْمُ حليمة[٣] بسِرٍّ ! وإن كُنتُ لم أكْسُك سَلِيباً ، ولا حليتك عطلا ، وسمتك غفلا ، بل وجدت آجرا وجِصا فبنيت ، ومكان القول ذا سَعةٍ فقلت .

(٢) الفتح بن خاقان

قال فى كتابه قلائد العقيان فى ترجمة أبى الفضل بن حَسْداى[٤] :

ولما أعرسَ المستعينُ بالله ببنت الوزير الأجل أبى بكر بن عبد العزيز احتفل أبوه المؤتَمَن بالله فى ذلك احتفالا شَهرَه ، وأبدع فيه إبداعا راقَ مَن حضَره وبَهَرَه ،

---

(١) التطول : التكرم .

(٢) يبالغ فى أن بياض الصبح مستعار من مشهور ثنائه عليه وكذلك العبارات الآتية .

(٣) هذا مثل يضرب للأمر المتعالم المشهور . وحليمة هذه : هى بنت الحارس بن أبى شمر الغسانى وجه أبوها جيشا الى المنذر بن ماء السماء فضمختهم بالطيب جميعا فقيل : مايوم..الخ

(٤) ابن حسداى : كان وزيرا للمؤتمن والمستعين من ملوك الطوائف . وكان يهوديا وأسلم وله كتابة بليغة موجزة تظهر عليها مسحة الفلسفة .

فإنه أحْضَر فيه من الآلات المبتَدَعة ، والأدواتِ المخترعة ، ما بَهرَ الألبات ، وقَطَع دُونَ مَعْرِفتها الأسباب ، واستدعى إليه جميعَ أعيان الأندلس من دَانٍ وقاص ، ومُطيع وعاص ، فأتَوْهُ مسرِعين ، ولبَّوْهُ متبَرِّعين ، وكان مديرَ تلك الإراغة[1] ومُدَبِّرَها ، ومنشيءَ مخاطبَاتها ومُحبِّرها الوزيرُ الكاتبُ أبُو الفضل ، وصدَرتْ عنه فى ذلك الوَقْت كُتبٌ ظَهرَ إعجازُها ، وبَهَر اقتضابُها وإيجازُها . فمن ذلك : ماخاطب به صاحِبَ المظالم أبَا عبد الرحمن بن طاهر :

« مَحلُّك أعَزَّك اللهُ فى طَىِّ الجوانح ثابتٌ وإن نزَحَتِ الدَّار ، وعيانُك فى أحناءِ الضُّلوع بادٍ وإن شَحَط المزار ، فالنفسُ فائزةٌ منك بتمْثِيل الخاطر بأوْفَرِ الحظ ، والعَيْنُ نازعةٌ إلى أن تَتمَتَّعَ من لقائك بظَفَرِ اللَّحْظ ، فلا عائدةَ أسبغُ بُرْدًا ، ولامَوْهِبةَ أسوغُ وِرْدا ، مِنْ تفَضُّلك باللُّحُوقِ إلى مأنَسٍ يَتِمُّ بمشاهدتك التئامُه ، ويتَّصِلُ بمُحَاضَرَتك انتظامُه . ولكَ فَضْلُ الإجمال ، بالإمتاع عن ذلك بأعظِم الآمال . وأنا (أعزَّك اللهُ) على شَرَفِ سُؤددِك حَاكِم ، وعلى مَشْرَعِ سنائك حَائم . وحسبى ما تتَحَقَّقُه من نِزَاعى وتَشَوُّقى ، وتَتَيَقَّنُهُ من تَطلعى وتَتَوُّقى . وقد تمَكَّنَ الارتياحُ باستحكام الثقة ، واُعترض الاقتراح ، بارتقاب الصِّلة . وأنت وَصَل اللهُ سَعْدَكَ بسماحة شيَمِك ، وبارع كَرَمِك ، تنشىء للمؤانسة عهدا ، وتُورِى بالمُكارمة زَنْدا ، وتقتضى بالمشاركة شُكْرًا حافِلاً وحَمْدا . لا زلت مُهَنَّأً بالسُّعود المقتَبلة ، مُسَوَّغًا اجتلاءَ غرر الأمانىِّ المتَهلِّلة بمنّه .

---

(١) الاراغة : الارادة والطلب والدعوة .

(٣) الوزير الكاتب أبو عمرو الباجى[١]

كتب رحمه الله تعالى يصف مطرا نزل بعد قحط قال :

إن لله تعالى قضايا واقعةً بالعدْل ، وعطايا جامعةً للفضل ، ومِنَحًا يبسُطُها إذا شاء ترفيهاً وإنعاما ، ويقبضها إذا أراد تنبيها وإلهاما ، ويجعلُها صلاحاً وخَيْرًا ، وعلى آخَرين فساداً وضَيْرا : (وهو الذى يُنزلُ الغيثَ مِن بَعْدِ ما قَنَطوا ويَنْشُرُ رحمَتَه وهو الوَلىُّ الحميد) . وإنه بعد ما كان من امتساك الحيا[٢] ، وتوقُّف السُّقيا الذى رِيعَ[٣] به الآمن ، واستُطيرَ له الساكن ، ورجفَت الأكباد فزَعاً ، وذَهِلت الألبابُ جزَعا وأذكتْ ذُكاءُ[٤] حرّها ، ومنَعَتِ السماءُ درَّها ، واكتسَت الأرضُ غُبْرَةً بعد خُضرة ، ولبسَتْ شُحوبا بعد نَضْرَة ، وكادت بُرودُ[٥] الأرض تُطْوَى ، ومُدُودُ[٦] نِعم الله تُزْوَى[٧] — نشرَ اللهُ تعالى رحمَتَه ، وبسَطَ نِعمتَه ، وأَتاح[٨] مِنّتَه ، وأزاح مِحْنَتَه ، فبعثَ الرياحَ لواقِحَ ، وأرسل الغمامَ سَوافح ، بماء دَفَق ، ورَواء غَدَق[٩] مِنْ سماء طَبَق[١٠] ، استَهَلَّ جفنُها فدَمع ، وسحَّ دَمعُها فهَمع ،

(١) هو أحد كتاب الأندلس البلغاء ، خدم بالكتابة فى عدة دول من ملوك الطوائف وأخصهم المقتدر ابن هود صاحب سرقسطة .

(٢) الحيا : المطر .

(٣) ريع : خوف .

(٤) ذكاء : اسم للشمس .

(٥) البرود : الثياب ، يريد بها ما يكسو الأرض من الخضرة .

(٦) المدود : جمع مدد بمعنى المعونة .

(٧) تزوى : تمنع وتطوى .

(٨) أتاح : هيأ وقدر .

(٩) الرواء : المطر الذى يروى . وغدق : كثير شامل .

(١٠) السماء هنا : المطر . والطبق : المطر العام .

وصابَ وبلُها فنقَع ، فاستوْفت الأرض رِيًّا ، واستكملت من نباتها أثاثا ورِئْيا[١] فزينةُ الأرض مشهورة ، وحُلّةُ الروْض منشورة ، ومنة الرّبِّ موفورة ، والقلوبُ ناعمةٌ بعد بُوسِها ، والوجوهُ ضاحكةٌ بعد عبوسِها ، وآثارُ الجزَع ممحوّةٌ ، وسُوَرُ الحمد متْلُوّة ، ونحن نستزيدُ الواهبَ نعمةَ التوفيق ، ونستهديه فى قضاء الحقوق إلى سواءِ الطريق ، ونستعيذُ به من المِنّة أن تصيرَ فِتْنة ، ومن المِنْحة أن تعودَ مِحْنة . وهو حسبنا ونعم الوكيل !

(٤) ابن خفاجه[٢]

فصل من رسالة فى وصف رياض غب مطر :

ولما أكَبَّ الغمامُ إكبابا ، لم أجِدْ منه إغبابا[٣] ، واتّصَلَ المطرُ اتصالا ، لم آلَفِ منه انفصالا ، أذِنَ اللهُ تعالى للصَّحْو أن يُطْلِعَ صَفْحَتَه ، ويَنْشُرَ صحيفَتَه ، فقشعتِ الريح السحابَ ، كما طَوَى السِّجِلُّ الكتابَ ، وطَفِقَت السماء تخلَعُ جِلْبابَها ، والشمسُ تُميطُ نِقابَها ، وطَلعَتِ الدُّنيا تَبْتَهِجُ كأنّها عَرُوسٌ تَجلَّتْ ، وقد تحلَّتْ ، فذَهَبْتُ فى لُمَّةٍ مِن الإخْوان نَسْتَبِقُ إلى الراحةِ رَكْضًا ، ونَطْوى للتَفَرُّج أَرضًا ؛ فلا أنْدَفِع إلا إلى غَدِيرٍ نَمِير ، قد اُسدارَتْ مِنه فى كلِّ قرارةِ ماء ، سحابةٌ غَمّاء[٤] ، وانساب ، فى تَلعتِه حَباب . فتردَّدْنا بتلك الأباطِح نَتَهادى تَهادِىَ أغصانِها ، ونَتَضَاحَكُ تضاحُكَ أُقحوانِها ، وللنسيمِ ، أثناءَ ذلك

---

(١) الرئى : الثوب ، جمال المنظر .

(٢) هو أبو اسحق ابراهيم بن عبد الله بن خفاجة شاعر شرقى الأندلس وأشهر وصاف الطبيعة بالأندلس ، وكان قليل التكسب بشعره ، توفى سنة ٥٣٣ هـ .

(٣) الاغبـاب : أن يجىء المرء القـوم يوما ويغيب يوما . والمعنى أن الغمام لم يغب يوما بل بقى هاطلا .

(٤) الغماء : السحابة لافرجة فيها أى اشبهت الأرض السماء فقرارات الغدران أشبهت سحب السماء الملتئمة .

المَنظر الوَسيم تَرَسَّلَ[(١)] مشى ، على بساط وَشْى ؛ فإذا مَرَّ بِغَدِيرٍ نَسَجَهُ دِرعا ، وأحكَمَه صُنْعاً[(٢)] ، وإن عَثَرَ بجدولٍ شَطَبَ[(٣)] مِنهُ نَصْلاً ، وأخْلَصَه صَقْلا ؛ فلا ترَى إلا بطاحا ، مملوءة سِلاحا ؛ كأنما أُنهزمتْ هنالِك كتائبُ ، فألْقَتْ بما لَبِسَته مِن دِرع مَصْقُول وسَيفٍ مسلول .

(٥) وهذا فصل للأديب أبى عامر بن عقال[(٤)]

كتب به عن الأمير إبراهيم يصف اجتياز أمير المسلمين البحر سنة خمس عشرة وخمسمائة ، وفى الساعة الثانية من يوم الجمعة كان جوازه (أيده الله تعالى) من مرسى جزيرة طريف على بَحْرٍ ساكنٍ قد ذَلَّ بعْدَ استِصعابه ، وسهُلَ بعد أن رأى الشامِخَ من هِضابه ، وصارَ حَيُّه مَيْتاً ، وهَدْرُه صَمْتا ، وجبالُه لا ترَى فيها عِوَجا ولا أَمْتاً ، وضعُفَ تعَاطيه ، وعقدَ السِّلْمَ بين مَوجه وشَاطيه ، فعَبَرَ آمنا مِن سطوَاته ، مُتَملِّكاً لصَهوَاته ، على جَوادٍ يَقطَعُ الجروفَ لَمْحَا ويكادُ يسبِقُ الريحَ سَبْحًا ، لم يحمل لجاما ولا سَرْجا ، ولا عَهِدَ غيرَ اللجة الخضراءِ مَرْجا ، عِنانهُ فى رِجْله[(٥)] . وهُدْبُ العَيْن يحْكِى بَعْضَ شَكْلِه ، فلله درُّه مِن جَواد ، له جسم وليس له فؤاد ، يَخْرِق الهواء ولا يرهَبُه ، ويَرْكَبُ الماءَ ولا يَشْرَبُه .

---

(١) الترسل : المشى على مهل وهوادة .

(٢) أى نأ النسيم يجعد صفحة الماء فيجعلها كنسج حلق الدرع المجلوة .

(٣) شطب الحداد السيف : جعل فيه حزوزا غائرة على طوله . وفيه تشبيه الجدول فى صفائه وانحنائه بالسيف العربى .

(٤) كان أديبا شاعرا كاتبا من كتاب بنى قاسم من ملوك الطوائف . ثم لما ملك المرابطون الأندلس وأزالوا ملك الطوائف اتصل بالأمير ابراهيم بن يوسف بن تاشفين سلطان المرابطين فكان كاتب انشائه .

(٥) رجل السفينة : سكانها (دفتها) أى لأن له مجاديف متراصة متقاربة من الجانبين كأنها الأهداب .

(ب) النثر العلمى

باب ما يهمز فيكون له معنى ، فإذا لم يهمز كان له معنى آخر

من كتاب « المخصص »

يقال : قد روَّأْت فى الأَمر . وقد رَوَّيْتُ رأسى بالدُّهن . وقد تملَّأْت من الطعام والشَّراب ، وقد تملَّيْتُ العيش : إذا عشتُ مليا أى طويلا . وتقول : قد تخطَّأْتُ له فى هـذه المسألةِ ، وقد تخطَّيْتُ القَدمَ ؛ لأنه من الخطوة . وقد قرأتُ القرآن وما قرأَتِ الناقةُ سَلاً قطُّ ، أى لم تُلق وَلدًا أراد أنها لم تحمل . وقد قَرَيْتُ الضيف ، وقد سَوَّأْت عليه ما صنع ، إذا قلتُ له : أسأتَ ، وقد سوَّيت الشَّىْء . والعرب تقول : إن أصبتُ فصَوِّبْنى ، وإن أخطأتُ فخطِّئْنِى ، وإن أسأْتُ فسوِّئْ علىّ . وقد خَبأَ الشَّىْءَ يخبؤُه خَبْئا — وقد خَبَتِ النارُ خُبُوًّا — إذا ذهب لهَبُهَا ، وقد برأتُ مِن المرَض أبرأُ بُرْءًا ، وَقد بَرَيْتُ القَلَمَ . وقد بارأْتُ شريكى — إذا فارقته — وقد بارأ الرجل امرأَته ، وَباريتُ فلانا إذا كنتَ تفعَلُ ما يفْعَلُ ؛ وفلان يُبارِى الريحَ سخاءً .

---

(١) صاحبه أبو الحسن على بن اسماعيل النحوى اللغوى الضرير المعروف بابن سيده المتوفى سنة ٤٥٨ هـ . عن ٦٠ سنة .

(١) ابن هانئ الأندلسى[1]

قال من قصيدة يمدح بها المعز لدين الله ويصف أسطوله وكان يومئذ أقوى أسطول فى البحر الأبيض المتوسط :

أَمَا وَالجوارِى المنشآتِ التى سَرَتْ   لقــد ظاهَرَتها عُدَّةٌ وعَديدُ
قِبَابٌ كما تُزْجَى القِبابُ عَلَى المَها   وَلكِنَّ مَنْ ضُمَّتْ عليهِ أُسود[2]
ولِلهِ — مِمَّا لا يرَوْنَ — كتائِبٌ   مُسَوَّمَةٌ تَحْدُو بها وجُنود[3]
أطاعَ لها أن الملائكَ خلفها   كما وَقَفَتْ خَلْفَ الصُّفوفُ رُدود[4]
وأن الرِّيَاحَ الذاريات كتائبٌ   وأنَّ النُّجومَ الطالعاتِ سُعود

---

(١) هو أبو القاسم محمد بن هانىء الأندلسى الأزدى. ولد بأشبيلية بالاندلس ، ونشأ بها فقال الشعر وفاق كل أدباء المغرب فى عصره . ولازم وهو شاب أمير أشبيلية ، فمدحه بمدائح تغالى فيها ، حتى اتهموه بالكفر ، فخرج الى عدوة المغرب . وهناك الدولة الفاطمية مستولية عليه ، فاتصل بالمعز ومدحه وأعجب به . ولما فتح القائد جوهر مصر وبنى القاهرة انتقل اليها المعز ، وبعد مدة لحق به شاعرنا ، فمات فى الطريق ولم يبلغ الأربعين سنة ٣٦٢ هـ .

(٢) أى على الحسان اللاتى يشبهن المها .

(٣) ولله كتائب مسومة : أى من الملائكة تحدوها .

(٤) أطاع لها : أى دان لها وتهيأ وانقاد . وأن الملائك وما عطف عليه فاعل أطاع . والردود : جمع رد بالكسر وهو ما يعتمد عليه ويرجع اليه .

وما راعَ مَلْكَ الرُّوم إلا اطّلاعُها   تُذَشَّرُ أَعــــلامٌ لهــا وبُنود
عليها غمامٌ مُــكْفهِرٌّ صَبيرُهُ   له بارقاتٌ جَمَّــةٌ ورُعــــود(١)
مواخرُ فى طامِى العُبابِ كأنها   لِعزْمِك بأسٌ أو لــكفّك جُود
أنافتْ بها أعلامُها ، وسمَا لهــا   بناءٌ على غــــير العَراء مَشيد
وليس بأعلى شاهقٍ، وهو كوكبٌ ،   وليس من الصُّفّاح ، وهو صَلود
من الراسيات الشّمّ لولا انتقالُها   فمنهــا قِنانٌ شُمَّخ ورُيود(٢)
من الطير إلا أنهن جوارحٌ   فليس لها إلّا النفوسَ مَصيدُ
من القادحاتِ النار تُضْرَمُ للصِّلى   فليس لهــا يومَ اللقاء خمود
إذا زَفَرَتْ غيْظا ترامت بمارِجٍ   كما شُبّ من نار الجحيم وَقود
فأفواهُهُنّ الحامياتُ صواعقٌ   وأنفاسهُن الزافراتُ حَــديد
يُشَبُّ لآلِ الجاثليق سَعيرُها   وما هى من آل الطريد بَعيــد
لها شُــعَلٌ فوق الغِمار كأنها   دماءٌ تَلقّتْها ملاحِفُ سُـــود
تُعانِقُ مَوْجَ البحرِ حتى كأنه   سَليطٌ لها فيه الذُّبالُ عَتيد
ترى الماءَ فيها ، وهو قانٍ عُبابُه   كما باشرتْ رَدْعَ الخَلوقِ جُلود(٣)
فليس لهــا إلا الرياحَ أَعِنةٌ   وليس لها إلا الحَبابَ كديدُ(٤)

(١) الصبير : السحابة فوق أخرى ، أو السحاب المتراكم . يريد به دخان مقذوفاتها ونيرانها وأصواتها .

(٢) الريود : جمع ريد وهو القطعة من الجبل . والقنان . جمع قنة .

(٣) الردع : الزعفران أو أثر الطيب فى الجسد . والخلوق : ضرب من الطيب .

(٤) الحباب : يراد به الموج . والكديد : الأرض الصلبة .

وغَيْرُ المَذاكِى نَجْرها غير أنها مُسَوَّمَةٌ تحت الفوارس قُودُ(١)
ترى كُلَّ قَوْداءِ التَّليل إذا انْثَنَتْ سوالفُ غيدٍ بالمها وَقُدُود(٢)
رحيبة مَدّ الباع وهى نضيحة بغير شَوَى ، عذراء وهى ولود(٣)
تَكَبَّرْنَ عن نَقْعٍ يُثار ، كأنها مَوالٍ ، وجُرْدُ الصافناتِ عَبيد
لها من شُفوفِ العبقرىِّ ملابسٌ مُفَوَّفَةٌ فيها النُّضارُ جَسيد(٤)
كما اشتملتْ فوق الأرائك خُرَّدٌ أو التفعتْ فوق المنابرِ صيد(٥)
لُيُوثٌ تَكُفُّ المَوْج ،وهو غطامط وتدرأ بأسَ اليَمِّ ، وهو شديد(٦)
فمنه دروعٌ فوقها وجواشنٌ ومنه خَفاتينٌ لها وبُرود
ألا فى سبيل الله تبذل كُنْهَ ما تَضِن به الأنواء وهى جَمُود
فلا غَرْوَ إن أعْزَزتَ دين مُحَمَّدٍ فأنتَ له دون الملوك عَقِيدُ

---

(١) المذاكى : الخيل . والنجر والنجار: واحد وهو الأصل . والقود : جمع أقواد أو قوداء وهو الذلول المنقاد : أى تنسب لغير الخيل مع أن ركابها فرسان .

(٢) قوداء التليل : طويلة العنق : أى اذا انثنت شعور سوالف الغيد الحسان الشبيهات بالمها على أعناقهن ، أو تمايلت قدودهن كانت السفينة من هذه السفن تشبهها بانثناء عنقها على صدرها وكانوا يجعلون فى مقدم السفينة صورة رأس ثور أو كبش أو نعامة .

(٣) يريد بالباع المجاديف ؛ فهى تمد باعها ، وليس لها شوى أى أطراف . وقوله وهى ولود أى أنه يتبعها أو يكون لها زوارق صغار .

(٤) أى لها من النقوش الجميلة الألوان مايشبه الثياب العبقرية المفوقة أى المخططة بالبياض المذهبة .

(٥) أى أنها تشتمل بهذه النقوش كماتشتمل الجوارى الخرد الثياب، وهن جالسات على الأرائك، أو يلتفع الخطباء الصيد وهم فوق المنابر .

(٦) بحر غطامط وموج غطامط : عظيم هائج .

وقال من قصيدة يمدح بها القائد جوهراً ويذكر توديعه عند خروجه من القيروان إلى مصر ويصف الجيش وخروجه للتشييع وكان الزحام قد أفاته مقابلة القائد جوهر حتى لحقه ليلا :

رأيتُ بعَيْنِي فوقَ ما كنتُ أَسمعُ   وقد رَاعَنى يومٌ من الحَشْر أرْوُع
غَداةَ كأنَّ الأفْقَ سُـدَّ بمِثْلِه   فعادَغُروبالشمس مِن حيثُ تَطلُعُ
فلم أَدْرِ إذْ سَلَّمْتُ كيفَ أشيِّعُ   ولم أدرِ إذْ شيَّعْتُ كَيْفَ أودِّع
وكيف أَخُوض الجيشَ والجيشُ لُجَّةٌ   وإنِّى بمَن قاد الجُيوشَ لَمُولَع
وأينَ ؟ ومالى بَين ذا الجمع مَسْلَكٌ   ولا لِجَوادِى فى البسيطة موضِع
ألا إنَّ هذا حَشْدُ مَن لم يَذُقْ له   غِرارَالـكَرَى جَفْنٌ، ولابات يَهجع
نصيحتُه للمُلْكِ سَدَّتْ مَذاهِبى   فما بَيْنَ قِيد الرمحِ والرُمحِ إصْبَع
فَقَدضَرعَتْحتى الرَّوَاسِى لِمارأَتْ   فـكيفقلوبُالإِنسِ؟ والإنسُأضْرَع
فلا عسكرٌ من قَبْلِ عَسكرِ جَوْهرٍ   تَخُبُّ المطايا فيه عَشْراً ، وتُوضِع (١)
تَسيرُ الجبالُ الجامداتُ لسَيْرِه   وتَسْجدُمن أَدْنَى الحَفِيفِوتَرْكَعُ
إذا حل فى أرضٍ بناها مدائنا   وإن سار عن أرض ثوَتْ وهى بَلْقع (٢)
سمَوْتُ له بعدَ الرحيل ، وفاتَـنِى   فأقسمتُ أن لاَ لاَ يُلاَئِمَ مَضْجَعُ
فلما تداركْتُ السُّرادِقَ فى الدُّجَى   عَشَوْتُ إليه ، والمشاعِلُ تُرفَع

---

(١) الخبب والايضاع : نوعان من السير . أى أن المطايا تسير فى امتداده عشر ليال ، مبالغة فى طوله .

(٢) اذا حل أى جوهر ، أو نفس الجيش يحتاج الى بناء مدينة . وكذلك كانت القاهرة فى أول بنائها معقلا للعساكر .

فَبِتُّ ؛ وَبَاتَ الجيشُ جَمّا سَمِيرُه يُؤَرِّقُنِى ، والجنُّ فى البِيد هُجَّعُ
فَتَخرِقُ جَيْبَ المُزْنِ وَالْمُزْنُ دائِع وَنُوقِدُ مَوْجَ اليمّ ، واليم أَصْقَعُ (١)
وَهَمْهَمَ رَعدٌ آخرَ الليـل قاصِفٌ وَلاح مع الفجر البوارقُ تلمعُ
وأَوْحَتْ إلينا الوحْشُ : ما اللهُ صانِعٌ بِنا وَبِكُم من هَوْل ما نتسمَّع ؟
وَلم تعلَمِ الطَّيْرُ الحوائِمُ فَوْقَنا إلى أين نَسْتَذْرِى ولا أين تَفْزَع (٢)
إلى أن تبدَّى سيفُ دَولة هاشِم على وجهه نُورٌ من الله يسطَع

وقال من قصيدة يمدح بها يحيى بن على :

فَتكاتُ طَرْفِكِ ، أم سيوفُ أبيكِ وَكُئوسُ خَمْرٍ ، أم مَراشفُ فيكِ
أَجِلادُ مُرْهَفةٍ وفَتْكُ مَحاجرٍ ؟ ما أَنْتِ راحِمةٌ ولا أَهْلوكِ !
يَا بِنْتَ ذِى البُرْدِ الطويلِ نِجادُهُ أكذا يجوزُ الحكمُ فى ناديكِ ؟ (٣)
قد كانَ يدعُونى خيالُكِ طارِقاً حتى دعانى بالقنا داعيك
عَيْناكِ أم مَغْناكِ مَوْعِدُنا ؟ وفى وادِى الكَرى أَلْقاكِ أم واديكِ ؟
منعُوكِ من سِنَةِ الكَرى ، وسروا ؛ فلوْ عَثروا بطَيْفٍ طارِقٍ ظَنُّوكِ
ودعَوْكِ نشْوَى ، ما سَقَوْكِ مُدامةً ! لمّا تمايَلَ عِطفُكِ اتّهمُوكِ
حسِبُوا التَّكحُّلَ فى جفُونِكِ حِلْيَةً تاللهِ ما بأكفِّهم كَحَلُوكِ !

---

(١) فتخرق أى المشاعل المتقدمة :أى ضوء المشاعل يخترق السحاب الدائح أى المتسع العظيم ويمتد الى البحر فيجعله كأنه متقد مع أن البحر بارد . أصقع أى كأنه مغطى بالصقيع .

(٢) تستذرى : تطلب ذرا تلتجىء اليه أى كنفا .

(٣) يريد أنها بدوية أبوها يلبس البرد .

وَجَلَوْكِ لِي إِذْ نَحْنُ غُصْنا بَانَةٍ   حتى إِذَا احْتَفَلَ الهَوَى حجَبُوكِ !
ولَوَى مُقَبَّلَكِ اللثَامُ ، وما دَرَوْا   أَنْ قَدْ لُثِمْتِ بِهِ ، وقبلَ فُوكِ
فَضَعِى الْقِنَاعَ فَقَبْلَ خَدِّكِ حُمِّرَتْ   راياتُ يحيَى بالدَّمِ المسفوكِ

وقال يرثى والدة يحيى وجعفر ابنى على :

إِنَّا ، وفِى آمالِ أَنْفُسِنا   طُولٌ ، وفى أعمارِنا قِصَر
لَنَرَى بأَعْيُنِنَا مَصارِعَنا   لو كانتِ الأَلبابُ تَعتبر !
مِمّا دَهَانا أَنَّ حاضِرَنا   أجفانُنا ، والغائِبُ الفِكَرُ
وإذا تَدَبَّرْنا جوارِحَنا   فأَكَلُّهُن العَيْنُ والنَّظَر
لو كان للأَلباب مُمْتَحِنٌ   ما عُدَّ مِنهَا السَّمْعُ والبَصَرُ[1]
أَيُّ الحياةِ أَلَذُّ عِيشَتَهَا   مِن بَعْدِ عِلْمِى أَنَا بَشَر ؟
خَرِسَتْ لَعَمْرُ اللهِ أَلْسُنُنَا   لَمَّا تَكَلَّمَ فَوْقَنا القَدَر

(٢) ابن بُرْد الأصغر من شعراءِ الأندلس

قال يصف السحب والبرق :

وما زِلْتُ أَحسَبُ فيه السَّحابَ   ونارُ بَوَارِقِهَا تلتهِب
بَخاتِيَّ تُوضِعُ فى سَيْرِها   وقد قُرِعَتْ بِسِيَاط الذَّهب

---

(١) أى ماعد من الألباب : السمع والبصر ، لأن السمع يسمع المواعظ فلا يتعظ ، والبصر يبصر العبر فلا ينزجر .

(٣) أحمد بن عبد ربه الأندلسى (١)

قال فى الوصف ؛ يصف حماما :

ونائحٍ فى غُصون الدَّوْح أرَّقنِى　　وما عُنيتُ بشىْء ظلَّ يَعْنيه
مُطوَّقٍ بعُقُودٍ ما تُزايلُهُ　　حتى تُزايله إحدى تراقيه (٢)
قد بات يبكى بشَجْوٍ مادَرَيْتُ به　　وبتُّ أبكى بشَجْوٍ ليسَ يدْريه

وقال فى المدح :

كريمٌ على العِلَّات جَزْلٌ عطاؤهُ　　مُنِيلٌ وإن لم يُعْتَمَدْ لِنَوالِ
وما الجودُ مَن يُعْطِى إذا ماسألتَهُ　　ولكِنَّ مَن يُعطى بغير سُؤَالِ

وقال يصف سيفا :

وذى شُطَبٍ تَقْضِى المنايا بحُكْمِه　　وليس لما تَقْضِى المنيةُ دافِعُ (٣)
فِرِنْدٌ إذا ما اُعتنَّ للعين راكدٌ　　وبَرْقٌ إذاما اُهتزَ بالكفّ لامِعُ (٤)
يُسَلّلُ أرْوَاحَ الكُماةِ انسلالهُ　　ويرْتاعُ منه الموتُ والموتُ رائعُ
إذا ما الْتَقتْ أمثالُه فى وَقيعةٍ　　هُنالِكَ ظَنُّ النَّفس بالنَّفسِ واقِعُ (٥)

---

(١) هو الأديب الكاتب الشاعر الوشاح المؤلف أحمد بن عبد ربه صاحب كتاب العقد الفريد الذى يعد من أركان الأدب العربى توفى سنة ٣٢٨ هـ .

(٢) يريد بالعقود ما يرى من الألوان فى عنقه .

(٣) الشطب : الحزوز فى جانبى السيف طولا .

(٤) اعتن : ظهر وبدا .

(٥) أى ماتظنه النفس من الهلاك واقع لا محالة .

وقال أيضاً :

بكلّ مأثورٍ على مَتْنـــه مِثلُ مدَب النَّمل فى القاع[١]
يرتدّ طرْفُ العَيْن عن حَدِّه عن كوكبٍ الموْت لمَّاعِ

(٤) ابن زيدون[٢]

قال :

أَضحىٰ ٱلتنائِى بَديلاً مِن تَدانِينا وناب عن طِيبِ لُقيانا تجافِينا
بِنْتُمْ وبِنَّا ؛ فما ابْتلَّتْ جوانحُنا شوقاً إليكم ، ولا جَفَّتْ مآقينا[٣]
يكادُ حِينَ تُناجيكم ضمائرُنا يقضِى علينا الأسىٰ لولا تأَسِّينا[٤]
حالَتْ لفقدِكُم أيامُنا ، فغَدَتْ سُوداً ، وكانتْ بِكُم بيضاً ليالينا[٥]
إذْ جَانِبُ العَيْشِ طلقٌ مِن تألُّفِنا ومَوْرِدُ اللهْوِ صافٍ مِن تَصافينا
وإذْ هَصَرْنا غُصونَ الأُنْسِ دانيةً قُطوفُها ؛ فَجَنَيْنَا مِنه ماشِينا[٦]
ليُسْقَ عهدُكُم عهدُ السرور ؛ فما كُنْتُم لأرواحنا إلّا رياحينا

---

(١) أى يلوح ويتراءى لمن ينظر اليـه أمثال مداب النمل من انعكاس الضـوء وانكساره على صفحته ، وذلك يبين فى السلاح المجلو من الفولاذ الذكر .

(٢) مرت ترجمته عند نثره .

الجوانح : جمع جانحة : وهى الضـلع . والمراد بالجوانح : ما تجنه من القلب والحشا الملتهب بالحب . وقوله : (ولا جفت مآقينا) أى ما جفت عيوننا من الدمع والبكاء عليكم .

(٤) التأسى : التصبر .

(٥) حالت : استحالت من بيض الى سود .

(٦) هصرنا : أملنا الى ناحيتنا .

مَنْ مُبلِغُ المُلبِسينا بانتزاحِهِمُ حُزْناً مع الدهر لا يَبْلَى ، ويُبْلِينا[(١)]
إن الزَّمانَ الذى ما زَالَ يُضحِكُنا أُنْسًا بِقربكمُ قد عادَ يُبكينا
ما حَقُّنَا أن تُقِرُّوا عيْنَ ذى حسدٍ بنا ، وَلا أن تَسُرُّوا كاشحاً فينا[(٢)]
غِيظَ العِدَى من تَساقينا الهوَى فدَعَوْا بأن نَغَصّ ، فقال الدهرُ : آمينا !
فانحلَّ ما كان معقوداً بأنفسِنا وَانْبَتَّ ما كان موصولا بأيدينا
وقد نَكُونُ ، وما يُخشَى تفرُّقُنا فاليومَ نحنُ ، وَما يُرجَى تلاقينا
لم نعتقِدْ بَعْدَكم إلا الوفاءَ لكمْ رَأياً ، ولم نتقلَّد غيرَه دِينا
لا تحسَبُوا نَأيَكمْ عنا يُغَيِّرُنا إنْ طالمَا غَيَّرَ النأىُ المُحِبِّينا
وَاللهِ ما طَلَبتْ أهْواؤنا بدَلًا منكم ، ولا انصرفتْ عنكم أمانينا
وَلا استفدْنا خَليلًا عنك يَشغَلُنا وَلا اتَّخَذْنَا بديلًا منك يُسلِينا
ياساريَ البَرْقِ غَادِ القصرَ فاسقِ به مَن كانَ صِرْفَ الهَوى والوُدّ يَسقِينا
ويا نسيمَ الصَّبا بَلِّغْ تَحِيّتَنَا مَنْ لَوْ عَلَى البُعد حَيًّا كانَ يُحيينا
يا رَوضَةً طالما أجْنَتْ لواحظَنَا ورْدًا جلاه الصِّبا غَضًّا ونِسرينا[(٣)]
ويا حياةً تَمَلَّيْنَا بِزَهْرَتها مُنًى ضُرُوباً ولذَّاتٍ أفانينا[(٤)]

---

(١) الانتزاح : الافتراق .

(٢) أقر الله عينه بالسلامة : ضد أسخنتها بالوجع والمراد أن تسروا الحاسد . والكاشح : المضمر للعداوة . والواشى : المبغض .

(٣) النسرين : نوع من الورود أكثر ما يكون أبيض الزهر عطر الرائحة .

(٤) تملينا : استمعنا ، والمنى جمع منية. والضروب هنا : الأنواع . والأفانين هنا جمع أفنون وهو النوع والضرب أى لذات مختلفة الشكول .

ويا نَعِيما خطَرْنَا من غَضارتِه ... فى وشْى نُعْمَى سَحَبْنا ذَيْلَها حِينا(١)
لسنا نُسَميكِ إجلالاً وتَكْرِمَةً ... وقَدرُكِ المُعتَلِى عن ذاكِ يغْنِينا
إذَا انفردتِ وما شُورِكتِ فى صِفَةٍ ... فحسبُنا الوصفُ إيضاحاً وتَبْيينا
يا جنةَ الخُلدِ أُبدِلْنا بسَلْسَلِها ... والكوثرِ العذبِ زَقوماً وغِسْلِينا(٢)
كأنَّنَا لم نَبِتْ والوصلُ ثالثُنا ... والسَّعْدُ قد غَضَّ مِنْ أجفانِ واشِينا
سِرَّانِ فى خاطِرِ الظّلماءِ يكتمُنا ... حتى يكادَ لِسَانُ الصُّبْحِ يفْشِينا
إن كانَ قَدْ عزَّ فى الدنيا اللقاءُ ففى ... مَواقِفِ الحشرِ نَلقاكُمْ ويَكفينا
لاغَرْوَ فى أن ذكَرْنا الحزنَ حينَ نَهتْ ... عنه النُّهَى وتركْنَا الصبرَ ناسينا
إنا قرأْنا الأسَى يومَ النوَى سُوَرًا ... مكتوبةً ، وأخذْنا الصبرَ تَلقِينا
أمَّا هواكِ فلم نَعْدِل بمَنهلِه ... شِرْبا ، وإن كان يُروينَا فيُظمينا
لم نجفُ أُفقَ جَمالٍ أنتِ كَوْكبُه ... سالِينَ عنهُ ، ولم نهجُرْهُ قالينا
ولا اختيارًا تَجَنَّبناكِ عن كَثَبٍ ... لكنْ عدَتْنَا عَلَى كُرْهٍ عَوادِينا(٣)
نأسَى عليكِ إذا حُثَّتْ مُشَعْشَعَةً ... فينا الشَّمولُ وغَنَّانا مُغَنِّينا(٤)
لا أكْؤُسُ الرَّاحِ تُبدِى من شمَائِلنَا ... سِيمَا ارْتِياحٍ ، ولا الأوتارُ تُلْهِينَا

---

(١) خطر الرجل فى مشيته رفع يديه ووضعهما عجبا وتيها . والغضارة : النعمة والسعة والخصب . والوشى نوع من الثياب الحريرية المنقوشة .

(٢) السلسل : الماء العذب المبارد . والكوثر : الكثير من كل شيء ، والنهر ، ونهر فى الجنة . والزقوم المذكور فى القرآن الكريم ، يراد به ضرب من العذاب فى النار جاء تمثيله بأنه طعام شجرة تكون فى أصل الجحيم هذا اسمها . والغسلين : ما ينغسل من الثياب ونحوها . وغسلين النار : ما ينغسل من جلود الكفار فيها .

(٣) عن كثب : عن قرب . وعدتنا العوادى : صرفتنا الصوارف . وهى شواغل الدهر وصروفه .

(٤) الشمول : من أسماء الخمر والمشعشعة الممزوجة بالماء .

دُومِى على العهدِ مادُمنا مُحافِظَةً فالحرُّ مَن دان إنصافاً كما دِينا
فما ابتَغَينا خليلا منك يَحبِسُنا ولا استفدنا حبيباً عَنك يُغنينا
ولو صَبا نحوَنا من عُلوِ مطلَعِه بَدْرُ الدُّجى لم يكن ـ حاشاك ـ يُصبينا
أوْلِى وَفاءً ، وإن لم تَبْذُلِى صِلةً فالذكرُ يُقنِعُنا ، والطيفُ يَكفينا
وفى الجواب اقتناعٌ لو شَفَعْتِ به بيضَ الأيادى التى ما زِلتِ تُولينا
عليكِ منى سلامُ اللهِ ما بَقِيَتْ صبابةٌ منك نُخفِيها فتخفينا

وقال فى الذكرى متوجعا :

ودَّعَ الصبرَ مُحِبٌّ ودَّعَكْ ذائعٌ من سِرِّهِ مااستودَعَكْ
يقرَعُ السِّنَّ على أنْ لم يَكُنْ زاد فى تلك الخُطا إذ شَيَّعَكْ
يا أخا البدرِ سَناءً وسنى حَفِظ اللهُ زمانا أطْلَعَكْ
إن يَطُلْ بعدَكَ ليلى فلَكَمْ بِتُّ أشكو قِصَرَ الليل مَعَكْ

(٥) أبو بكر محمد بن عمار(١)

قال :

وهَوِيتُه يَسقِى المُدامَ كأنَّه قمرٌ يطوف بكوكبٍ فى حِنْدِسِ
مُتأرِّجَ الحرَكاتِ تَنْدَى ريحُهُ كالغُصْنِ هزَّته الصَّبا بتنفُّسِ
يسعَى بكأْسٍ فى أنامل سَوْسنٍ ويُدير أُخرى فِى محاجِرِ نرجِسِ(٢)

---

(١) هو أبو بكرمحمد بن عمار وزير المعتضد بن عبادملك أشبيلية ، ثم وزيرابنه المعتمد،وبيد المعتمد قتل بعد خيانة له فى الملك والسياسة سنة ٤٧٧ هـ . وكان شاعرا بليغا يتشبه بالمتنبى فى مطامعه فى الملك والدولة .

(٢) السوسن والنرجس : زهران أبيضان من الفصيلة البصلية .

ومن قوله فى الاستعطاف :

سَجَاياكَ إن عافيْتَ أندَى وأسمحُ وعُذْرُكَ إن عاقبْتَ أجْلى وأوضح
وإن كان بَيْنَ الخُطَّتَين مَزِيَّةٌ فأَنْتَ إلى الأدنَى مِن اللهِ أجنح
حَنانَيْكَ فى أخذى برأيكَ لا تُطِعْ عُدَاتى ، وإن أثْنَوْا عَلَىَّ وأفصَحوا
وماذا عسَى الأعداء أن يَتَزَيَّدُوا سِوَى أن ذَنبى وَاضِحٌ مُتَصَحِّحُ
نَعمْ لِىَ ذَنْبٌ ! غير أن لِحِلْمِكم صَفاةً يَزِلُّ الذنبُ عنها فيسفح(١)
وإنَّ رجائى أن عندكَ غيرَ ما يخوضُ عدوِّى اليوم فيه ويَمرَح
ولِمْ لا ؟ وقد أسلفتُ وُدًّا وَخِدْمَةً يكُرَّانِ فى لَيْلِ الخطايا فيُصبِح
وَهَبْنِىَ قد أعقبتُ أعمالَ مُفسدٍ أما تَفسُدُ الأعمالُ ثُمَّتَ تَصْلُح(٢)
أَقِلْنى بما بَيْنِى وبينكَ من رِضاً له نحوَ رَوْحِ الله بابٌ مُفَتَّح !
وعَفِّ عَلَى آثارِ جُرْمٍ جنيتُه بهَبّةِ رُحْمَى منك تمحو وتَصفَح
ولا تلتَفِتْ رأىَ الوُشاة وقولَهم ؛ فكل إناء بالذى فيه يَرْشَحُ(٣)
سَيَاتيكَ فى أمْرى حديثٌ ، وقد أتَى بزُورِ بنى عبد العزيز مُوَشَّحُ(٤)
ما ذاكَ إلا ما علمتَ ؛ فإننى إذا ثُبتُ لا أنْفكُّ آسو وأجرح(٥)

---

(١) أى أن حلمه كالصخرة الملساء يزل وينزل عنها الذنب .

(٢) ثمت : هى (ثم) العاطفة لحقتها تاء التأنيث كما تلحق (رب) فيقال : (ربت) . وأصلها أن تكون ساكنة ، ولكنها تفتح معهما كثيرا .

(٣) تلتفت مضمن معنى فعل متعد ، تقديره : (تعتبر أو تقبل) .

(٤) كانوا من موالى المنصور بن أبى عامر ، ورثوا أبناءه وأحفاده فى شرقى الأندلس ، وكانت لهم به دويلة دامت ردحا من الزمان .

(٥) اذا ثبت : اذارجعتالى ماكنت عليه من وزارتك.وآسو : من أساالجرح أى دواه وعالجه. والمراد لاأنفك أنفع وأضر ؛ فينالهم منى شر .

نَخيلتهُم ، لا درَّ للهِ درُّهُمْ ؛ أشارُوا تِجاهى بالشَّماتِ ، وصرَّحوا[١]
وقالوا : سيجزيهِ فلانٌ بفعلِهِ ! فقلتُ : وقد يعفو فلانٌ ، ويَصْفح !
ألا إن بَطْشاً للمؤيَّدِ يتَّقَى ولـكن حِلْمًا للمؤيَّد أرجح
وبينَ ضُلوعى من هَواهُ تَميمةٌ ستنفَعُ لو أنّ الحِمامَ مُجَلِّحُ[٢]
سلامٌ عليهِ كيفَ دارَ بهِ الهوى : إلىَّ فيَدْنو ، أو علىّ فينزَح[٣]
ويَهْنيهِ إن مِتُّ السُّلُوُّ ؛ فإنَّـنِى أموت ، ولِى شوقٌ إليه مُبَرِّحُ

(٦) ابن وهبون فى الوصف

قال الأديب أبو محمد عبد الجليل بن وهبون المرسى الأندلسى من شعراء شرق الأندلس ، وكان خدم المعتمد بن عباد من ملوك الطوائف بعلمه وشعره يصف النيلوفر[٤] :

وبِركةٍ تَزهُـو بنَيْلُوفَر نَسيمُه يُشبِهُ رَوحَ الحَبيبْ
حتى إذا اللَّيلُ دَنَا وقتُه ومالتِ الشمسُ لِعين المَغيبْ
أَطبقَ جفْنَيْهِ على إلْفِهِ وغاصَ فى الماءِ حذارَ الرقيبْ

---

(١) نخيلتهم : أى هذه نخيلتهم . والنخيلة : الطبيعة والنصيحة . وكلا المعنيين لائق . ودر هنا فعل ماض من در اللبن : ودرهم فاعله على نحو جد جده وجل جلاله . والجملة : دعاء عليهم ، أى لا كان درهم لله بمعنى لا وفقهم الله للخير .

(٢) التميمة : خرزة رقطاء كان الأعراب يعلقونها فى أعناق أطفالهم لتقيهم شر العين والشياطين . والمجلح : الأكول . والمعنى فى قلبه حب سينفعنى ويشفع عنده اذا أراد الموت أكلى .

(٣) ينزح : يبعد .

(٤) النيلوفر : ضرب من الرياحين ينبت فى المياه الراكدة .

(٧) ابن خفاجة الأندلسى(١)

قال فى الاعتبار ويصف ليلا وجبلا :

بِعَيْشِكَ هل تدرِى أَهُوجُ الجنائِبِ ... تَخُبُّ بِرحْلِى أم ظهورُ النَّجائِبِ ؟(٢)
فما لُحْتُ فى أولَى المشارِقِ كوكباً ... فاشرقتُ حتى جِئتُ أخْرَى المغارِبِ
وَحِيداً تَهادَانِى الفيافِى فأَجتلِى ... وُجوهَ المنايا فى قِناعِ الغياهِبِ
ولا جارَ إلا من حُسامٍ مُصَمِّمٍ ... ولا دارَ إلا فى قُتُودِ الركائبِ(٣)
ولا أُنْسَ إلا أَنْ أضاحِكَ ساعةً ... ثُغُورَ الأَمانى فى وُجُوهِ المطالب
وَلَيْلٍ إذا ما قلتُ : قد بادَ فانقضَى ، ... تكشَّفَ عن وَعْدٍ مِنَ الظَّنِّ كاذِب
سَحَبْتُ الدَّياجِى فيه سُودَ ذَوائب ... لأَعْتَنِق الآمالَ بِيضَ تَرائب
فَخَرَّقْتُ جَيْبَ اللَّيْلِ عن شَخْصِ أطلَسٍ ... تَطَلَّعَ وَضَّاحَ المَضاحِكِ قاطِبِ(٤)
رأيتُ به قِطعاً مِنَ الفَجْرِ أغبَشاً ... تَأَمَّلَ عن نجم تَوَقَّدَ ثاقِبِ(٥)
وأَرْعَنَ طَمَّاحِ الذُّؤَابةِ باذِخٍ ... يُطاوِلُ أعنانَ السماءِ بغارِبِ(٦)

---

(١) مرت ترجمته عند نثره .

(٢) هوج الجنائب : الرياح الجنوبية الهوجاء . والنجائب : جمع نجيبة : الناقة الكريمة .

(٣) القتود : أخشاب الرحال .

(٤) أطلس : أى شخص أفق أطلس ، والأطلس : الذى فى لونه غبرة الى سواد ، وهو وضاح المضاحك من جهة أنه تتراءى فى خلاله أشعة الفجر ، وقاطب من حيث انه لا يزال عليه من غبش الليل بقية .

(٥) أى رأيت به قطعا أغبش من الفجر لا يزال يبدو فيه نجم متوقد ثاقب ، وهو الزهرة أو عطارد لأنهما من كواكب الصباح يكونان بالتبادل على الأفق عند طلوع الفجر .

(٦) أرعن : ورب جبل أرعن طويل القمم يطاول السماء بكاهله .

يسُدُّ مَهَبَّ الريح عن كلّ وِجْهة ... ويزحم ليلاً شهْبَهُ بالمناكب
وَقورٌ على ظهر الفلاةِ كأَنَّه ... طِوالَ الليالى مُفْكِرٌ فى العواقب
يلُوث عليه الغَيْمُ سُودَ عمائمٍ ... لها مِن وَمِيض البَرْقِ حُمْرُ ذوائب[(١)]
أَصَخْتُ إليهِ ، وهوأخرسُ صامتٌ ! ... فحدَّثَنِى ليلَ السُّرى بالعَجائب
وقال : إِلَى كَمْ كُنْتُ مَلْجأَ قاتِلٍ ... ومَوْطِنَ أَوَّاهٍ تَبتَّل تائب[(٢)]
وكم مَرَّ بى مِنْ مُدْلِج ومُؤوِّبٍ ... وقالَ بِظِلِّى مِنْ مَطِيٍّ وراكِب
ولاطَمَ مِن نُكْب الرِّياح مَعاطِفِى ... وزاحَمَ مِن خُضْرِ البِحار غَوارِبى[(٣)]
فما كان إلا أَنْ طَوَتْهم يَدُ الرَّدَى ... وطارتْ بِهِم رِيحُ النَّوَى والنوائب
فما خَفقُ أَيْكِى غيْرُ رُجفَةِ أَضْلُع ... ولا نَوْح وُرْقِى غَيْرُ صَرْخَةِ نَادب[(٤)]
وما غَيَّضَ السُّلوانُ دمعى ، وإنما ... نَزَفْتُ دموعِى فى فِراقِ الصواحِب
فحتَّى متَى أبقى ؟ ويَظْعَنُ صاحبٌ ... أُوَدِّعُ منه راحلاً غير آئب
وحتى متى أرعَى الكواكبَ ساهراً ؟ ... فمِنْ طالع أُخرَى الليالى وغارِب
فرُحماكَ يا مولاىَ دَعْوةَ ضارِع ... يَمُدُّ إلى نُعْماكَ راحةَ راغب !
فأَسمَعَنى من وَعْظِهِ كلَّ عِبْرةٍ ... يُتَرْجِمها عنهُ لِسانُ التجارِبِ

---

(١) يلوث : يلف ويعمم على رأسه من الغيم عمائم سوداء لها بروق حمر .

(٢) يريد بالأواه التائب : الراهب الذى يبنى صومعته فى رءوس الجبال .

(٣) النكب : جمع نكباء ، وهى الريح تهب بين مهبى ريحين . ومعاطفى وغواربى : يريد بهما جوانبى وأظهرى .

(٤) أى خفق غصون أيكى . والأيك : اسم جمع لأيكة ، وهى الأشجار المتكائفة . والورق : جمع ورقاء وهى : الحمامة .

فسلّى بما أبكى وسرّى بما شجا وكانَ على عهدِ السُّرى خيرَ صاحب
وقلتُ ، وقد نكّبتُ عنهُ لطيَّةٍ : سلامٌ ! فإنّا مِنْ مُقيمٍ وذاهِب (١)

وقال :

أحسُ المُدامةَ والنسيمُ عليلُ والظلُّ خفّاقُ الرُّواقِ ظليلُ (٢)
والنَّوْرُ طرْفٌ قد تنبّه دامعٌ والمـــاء مبتسمٌ يروقُ صقيل
وتطلّعتْ مِن برْقٍ كل غمامةٍ في كل أُفْقٍ رايةٌ ورعيـــل (٣)
حتى تهادَى كلُّ خُوطةِ أيْكةٍ ريًّا وغصَّبَ تلْعَةٌ ومسيـــل (٤)
عطفَ الأراكةَ فانثنتْ شكْراً لهُ طرَباً ورجّعَ في الغُصون هديلُ (٥)
فالرَّوْضُ مُهتزُّ المعاطِفِ نعْمةً نشْوانُ يعطِفُه الصَّبَا فيميل
ريَّانُ فضَّضَهُ النَّدَى ثمَّ انجلى عنــهُ فذهّبَ صفْحتيْهِ أصيل
وارتدَّ ينظُرُ في نِقاب غمامةٍ طرْفٌ يُمرِّضُه النُّعاسُ كليل (٦)
ساجٍ كمَا يرنُو إلى عُوَّادِه شاكٍ ويلتمِحُ العزيزَ ذليلُ

---

(١) نكبت عليه : ملت عنه وانصرفت. والطية : الحاجة والقصد ووجهة المسافر . ومن فى (من مقيم) زائدة أو بيانية . أى فانا من بين مقيم ، وهو أنت ، وذاهب ، وهو نحن .

(٢) الرواق : مقدم البيت . وقد شبه الظل ببيت مضروب يخفق هواء رواقه .

(٣) الرعيل : الجماعة من الخيل ، شبه السحب بجماعات الخيل وكتائبها فى الحرب وشبه البروق المنبعثة منها بالرايات المنشرة الحمر فوق رءوسهم .

(٤) كل خوطة : أى كل غصـن . والأيكة : الشجر الملتف . والتلعة : مجرى المـاء من الجبل الى الوادى .

(٥) عطف : أى عطف النسيم العليل الأراكة . والهديل : ذكر الحمام .

(٦) طرف : أى طرف كل شـارب منا أى أن الشرب الذين كانوا يشربون قضـوا النهار وجاء الأصيل ثم دخل الليل فبعد أن كان طرف الناظر منهم ينظر الى أزهار الروض ارتد ينظر فى غمامة كأنها النقاب ، وهذا الطرف كليل من السكر ، يغالبه النعاس ساج فاتر كأنه طرف المريض يرنو الى أعواده ، أو طرف الذليل يلمح العزيز .

وقال :

رُبَّما أُستضحكَ الحبابَ حبيبٌ　　تَفَضَتْ ثوبَها عليه المدامُ
كلَّما مَرَّ قاصِرًا من خُطاهُ　　يتهادَى كما يَمُرُّ الغمامُ
سَلَّمَ الغُصْنُ والكثيبُ علينا　　فعلى الغُصْنِ والكثيبِ السَّلامُ

وقال فى طول الليل :

يا ليلَ وَجْدٍ بنَجْدٍ　　أمَا لِطَيْفِكَ مَسْرى
ومَا لِدَمْعِى طَليقاً　　وأنجُمُ الجوِّ أسْرَى
وقد طَمَى بَحْرُ لَيْلٍ　　لم يُعْقِبُ المدَّ جَزْرَا
لا يَعبُرُ الطَّرْفُ فيهِ　　غيرَ المَجَرَّةِ جِسْرا

(٨) ابن سهل الأندلسى (١)

قال :

سَلْ فِي الظَّلامِ أخاكَ البَدْرَ عَنْ سَهَرِى　　تَدْرِى النجُومُ كما يَدرِى الوَرَى خَبَرِى
أبيتُ أَهْتِفُ بالشَّكْوى وأشْرَبُ مِن　　دَمْعِى وأَنْشَقُ رَيَّا ذِكْرِكَ العَطِرِ
حتى أُخَيَّلُ أنى شاربٌ ثَمِلٌ　　بَيْنَ الرِّيَاضِ وَبَيْنَ الكأْسِ وَالوَتَرِ
مَنْ لِى به ؟ اُختلفتْ فيه الملاحةُ إذْ　　أوْمَتْ إلى غيره إيماءَ مُحْتَضَرِ (٢)

---

(١) هو الشاعر الرقيق الوشاح ابراهيم بن سهل الأشبيلى الأندلسى وكان يلقب قبل اسلامه بالاسرائيلى . كان يهوديا وأسلم ومات غرقا سنة ٦٤٩ هـ .

(٢) أى تفاوتت فيه الملاحة عن نفسهاعند الناس فهى فيه كاملة وفى غيره بمنزلة اشارة ضعيفة كاشارة المحتضر عند الموت .

مُعطَّلٌ فالحلى منه مُحلَّأةٌ   تغنى الدرارى عن التقليد بالدُّرَرِ (١)
بخدِّه لفؤادى نسبةٌ عجبٌ   كِلاهما أبداً يدمى من النظرِ (٢)

وقال ابن سهل فى توشيح له :

هَلْ دَرَى ظَبْيُ الحِمَى أنْ قدْ حَمَى   قَلْبَ صَبٍّ حَلَّهُ عَنْ مَكْنِس
فهو فى حَرٍّ وخَفْقٍ مِثْلَمَا   لَعِبَتْ رِيحُ الصَّبَا بالقَبَس

* * *

يا بدورًا أَشْرَقتْ يومَ النَّوَى   غُرُرًا تسلُك بى نَهْجَ الغَرَرْ (٣)
ما لنَفْسى فِى الهوَى ذَنْبٌ سِوَى   مِنكم الحسنى ومِن عَيْنى النظر
أَجْتَنى اللذاتِ مَكْلُومَ الجوَى   وأَلْتذاذى مِنْ حبيبى بالفِكَر (٤)

* * *

كلَّمَا أشْكُوهُ وجْدِى بسَمَا   كالرُّبَا بالعارِض المُنْبَجِس (٥)
إذ يُقيمُ القَطْرُ فيها مَأْتَما   وهى من بَهْجَتِها فى عُرُسِ (٦)

* * *

(١) محلأة : ممنوعة .

(٢) أى أن فؤادى يدمى من نظرات المحبوب الرامية بسهام التأثير ، وخده كان يدمى من حمرة الخجل عند نظرى اليه .

(٣) الغرر : التغرير والخطر .

(٤) أى وانما التذاذى من حبيب بالتفكر فيه .

(٥) أى كابتسام الربا المشرقة بالأزهار بعد أن سقاها العارض المنبجس : أى السحاب الهاطل .

(٦) أى أن نزول القطر الشبيه بقطرات الدمع يقيم فى الربا مأتما ومناحة ببكائه على حين أن الربا فى أعراس من بهجتها .

أيُّها السائلُ عَن جُرْمِى لَدَيْهِ لِى جزاءُ الذّنْب وهو المُذْنِبُ
أَخذتْ شمسُ الضحا من وَجْنَتَيْهِ مَشْرِقاً للشمس فيه مَغْرِبُ(١)
ذهَبَ الدمعُ بأَشْواقى إلَيه وله خدٌّ بلحْظِى مُذْهَبُ(٢)

* * *

يَنْبُتُ الوَرْدُ بغَرْسى كلَّما لاحَظْتَهُ مُقْلَتى فى الخَلَس
ليتَ شِعْرِى أىُّ شَىْءٍ حَرَّما ذلكَ الوردَ على المُغْتَرِس

* * *

كلَّما أشكو إليهِ حَرَقِى غادرتْنِى مقلتاهُ دَنِفا
تَركتْ ألحاظُهُ من رمقِى أَثَرَ النّمْلِ على صُمِّ الصَّفا(٣)
وأنا أشكُرُه فيما بَقِى لستُ ألحاهُ على ما أتْلفَا

* * *

فهو عندى عادلٌ إنْ ظَلَما وعذولى نُطْقُه كالخَرَس
ليس لى فى الأمرِ حكمٌ بعدَما حلّ مِن نفسى مَحَلَّ النفَس

* * *

منه للنّار بأحشائى ضِرَامْ تتَلَظَّى كلَّ حِين ما تَشَا
هِىَ فى خدَّيهِ بَرْدٌ وسلامْ وهى حَرٌّ وحَرِيقٌ فى الحشا
أَتَّقِى منهُ على حُكمْ الغرَام أسَدًا وَرْدا وأهواهُ رَشَا

* * *

(١) أى أن حمرة المشرق قبيل ظهور الشمس على الأفق وحمرة شفقها بعيد الغروب مستعارة من وجنتيه الحمراوين .

(٢) أى مذهب من الخجل . وهذا المعنى مكرر جره اليه جناس الاشتقاق بين (ذهب) فى أول البيت و (مذهب) فى آخره .

(٣) أى أثرا ضعيفا لأن النمل لايؤثر مشيه فى الصخرة الملساء .

قلتُ — لما أن تبدى مُعْلَمَا   وهو من ألحاظِه فى حرَس
أيهـا الآخِـذُ قلبى مَغْنَمَا   اجعَلِ الوَصْلَ مكان الخُمُس (١)

(٩) وقد عارضه فى هذا التوشيح الوزير (٢)

أبو عبد الله بن الخطيب فقال :

جادَكَ الغيث إذا الغيْثُ همَى   يا زمانَ الوَصْلِ بالأندلُسِ
لم يكن وصلُك إلا حُلُمَا   فى الـكَرى أو خِلْسة المختَلِس

＊＊＊

إذ يَقُودُ الدّهرُ أشتاتَ المُنى   تَنْقُلُ الخطْـوَ على ما يَرْسُمُ
زُمَرًا بين فُـرَادَى وثُنَى   مثلما يدعو الوُفودَ المَوْسِمُ
والحَيَا قد جَلَّلَ الرَّوضَ سَنَى   فثغُور الزهر منـه تَبْسِمِ

＊＊＊

ورَوَى النُّعْمَانُ عن ماء السما   كيف يَروِى مالكٌ عن أَنَس (٣)

---

(١) أى أن الجيش الفاتح لا يأخذ كل الغنيمة بل يكون خمسها للدولة تنفقه فى مصالح الناس وصدقاتهم .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن سعيد الغرناطى الأندلسى المعروف بلسان الدين بن الخطيب وزير بنى الأحمر ملوك غرناطة . وكان وزيرا لأبى الحجاج يوسف من عظماء ملوكهم ، ثم لابنه ، فاتهم بالخيانة فى السياسة وبالزندقة ، ففر الى المغرب ، وسعى أعداؤه به حتى أسلموه فقتل سنة ٦٩٠هـ وكان شاعرا كاتبا مؤرخا فقيها متفلسفا . وله عدة كتب وشعر رقيق وكتابة يروى صاحب نفح الطيب وصاحب صبح الأعشى منها كثيرا .

(٣) فى النعمان وماء السماء تورية ؛ اذ النعمان أما شقائق النعمان لزهر أحمر ، وهو المراد هنا، وماء السماء هو هنا المطر، وأما النعمان وماء السماء من ملوك الحيرة اللخميين والثانى جد الأول، وهما غير مرادين هنا . ومالك هو الامام مالك بن أنس امام المذهب المشهور . والمعنى أن بين شقائق النعمان والمطر من النسبة ما بين مالك وأبيه أنس من أن الأول فى كلا الجانبين ابن للثانى وناشىء عنه .

فكساه الحسنُ ثوْباً مُعلَمَا　　يزدَهِي منهُ بأَبهَى ملبَسِ

* * *

فى ليالٍ كَتَمتْ سرَّ الهوَى　　بالدُّجَى لولا شُموسُ الغُرَر
مالَ نَجْمُ الكأْس فيها وهوى　　مستقيمَ السَّيْرِ سَعْدَ الأَثَرِ
وطَرٌ ما فيه من عيْب سوَى　　أنه مرَّ كلَمحِ البَصَر

* * *

حينَ لذّ الأنْسُ شيئاً أو كما　　هجمَ الصبْحُ هجُومَ الحَرَس
غارت الشُّهبُ بنا أوْ رُبَّما　　أثَّرَتْ فينا عيونُ النرْجِس

المغرب ومماليك البربر

النـــثر

(ا) النـــثر الفنى

(١) التلمسـانى[١]

قال فى الفراق .

الدهرُ ذو غِيَرَ ، وَمَن ذا يحكمُ على القَدَر ؟ وما ضَرَّه لو غَفَل قليلا ، وشَفَى بلقاء الأَحِبّةِ غَليلا ، وسَمَح لنا بساعة اجتماع ، ووصل ذلك الأمل القَصيرَ بباع ، وزَوَى[٢] ؛ مَسافةَ أيام ، كما طَوَى مَراحلَ أعوام . يامؤْيِسِى[٣] ، أفلا أشفقتَ مِن عذابى ، وسمَحْتَ ولو بسلام أحبابى ، أسلمْتَنى إلى ذَرْع[٤] البِيد ، ومُحالَفَةِ الذَّميل والوَخيد[٥] ، والتنقّل فى المشارق والمغارب ، والتمطّى فى

---

(١) هو أبو اسحق بن بكر الأنصارى العلامة الأديب الكاتب الشاعر الرحالة من أهل سبتة . دخل الأندلس وبلاد التكرور ومصر والشام والعراق والحجاز واليمن . وتوفى سنة ٦٩٠ هـ بسبتة عن سن عالية .

(٢) زوى : طوى .

(٣) يخاطب الدهر .

(٤) مصدر ذرع : بمعنى قاس بالذراع .

(٥) ضربان : من سير الابل وغيرها .

الصَّهوَاتِ(١) والغوارب . يا سائقَ البَيْن دَعْ مَحْمِلَهْ ، فما بَقِيَ فى الْجسم لَنْ يَحْمِله ، ويا بناتِ جَدِيل(٢) ، ما لَـكُنَّ وللذَّميل ؟ ثم مَا للزاجر الـكاذب ، وللغراب الناعب ؟ يجعَلُه نذيرَ الجلا ، ورائدَ الخلاَ ، ما أبعدَ ابن زَاجر(٣) ، عن دَارِ الزاجر ؛ إنما فعَلَ ما ترى ، ذاتُ الغَارِب والقرَا(٤) ، المختالةُ فى الأَزمَّة والبُرَى(٥) ، والمتَرَدِّدَةَ بين التأويب والسُّرى(٦) ؛ طالمَا باكَرَتِ النَّوى(٧) ، وصَدَعَت صَدْع الهوَى ، وتركت الهائم بين رَبع مُحِيل(٨) ، ورَسِمٍ مُستحيل(٩) ، يَقْفو الأَثَرَ بجده ، ويسأَلُ الطلَلَ عَن عهدِه . وإنْ أَنصفْتَ فما لِعِيرٍ(١٠) مَقُودَةً ، وإبل مطَرودة ، غَلَّتْ(١١) عن الْحَوْضِ والشَّوْط(١٢) ، وأُسلِمَتْ إلى الحَبل والعصا والسَّوْط . ولو خُيِّرَ البازِى لأَقام ، ولو تُرِكَ القَطَا لَيلاً لنام ؛ لـكنّ الدَّهْر أبُو بَراقش(١٣) ، وسهمُ بَيْنِه بَيْنَ بَنيهِ غَيْرُ طائش ، فهو الذى شَتَّتَ الشَّمْلَ وصَدَعه ، وما رُفِعَ سَقْفٌ بِعِمادِه إلاَّ وَضَعَه ، ولا بَلَّ غليلاً أَحرقَه بنار وجده ولا نَقَعَه .

---

(١) الصهوة : ظهر الفرس . والغارب : كاهل الجمل .

(٢) بنات جديل : النوق الكريمة تنسب الى أبيها جديل وهو جمل كريم كان للنعمان بن المنذر .

(٣) يريد بابن زاجر : الغراب .

(٤) القرا : الظهر . يريد الناقة .

(٥) البرى : جمع برة ، وهى حلقة صغيرة تكون فى أنف البعير لربط الخطام أحيانا .

(٦) التأويب : السير جميع النهار . والسرى : السير بالليل .

(٧) النوى : الفراق .

(٨) مضى عليه حول .

(٩) متغير .

(١٠) ابل الميرة .

(١١) شربت ولم ترو .

(١٢) مجرى الماء بين جبلين .

(١٣) أبو براقش : طائر ذو ألوان .

(ب) النـــثر العلمى

لابن شَرف القَيْروانى(١) فى كتابه أعلام الكلام

قال أبو عبد الله بن شرف القَيْروانى :

هذه أحاديثُ صَغتها مختلفةَ الأنواع ، مؤتلفةً فى الأسماع ، عربياتِ المواشم ، عربيات التراجم ، واختلقت فيها أخباراً فصيحات الكلام ، بديعاتِ النظام ، لها مقاصدُ ظِراف ، وأسانيدُ طِراف ، يروقَ الصغيرَ معناها ، والكبير مغزاها ، وعَزَوْتها إلى أبى دَيَّان الصَّلْتِ بن السَّكَن من سَلامان(٢) ، وكان شيخاً هِمًّا(٣) فى اللسان ، وبَدرا تمًّا فى البيان . قد بَقِىَ أحقابا . ولَقِى أعقابا ، ثم أَلْقَتْهُ إلينا مِن باديته الأَزمات ، وأوْرَدَتْه علينا العَزَمات . فامْتَتَحْنا(٤) مِن عِلمه بحراً جارياً ، وَقدَحْنا من فَهمه زَنْدا وَارياً ، وَأدَرْنا من برّه طرفاً ، واجتنينا من ثمره طُرفا . ونحن إذ ذاك والشبابُ مُقْتَبِل . وغفلةُ الزمان تَهْتَبِل(٥) : واحتذيتُ فيما ذهبتُ إليه ، ووقَعَ تَعريضى عليه ، من بَثّ هذه الأحاديث ما رَأيتُ الأوائلَ قد وضعتْه فِى كتاب كليلة ودمنة ، فأضافوا قولَ الحِكْمة إلى الطير الحوائم ، ونَطَقُوا به على ألسنة الوَحْش والبهائم لِتتَعلَّقَ به شَهَوات الأحداث ، وتُسْتَعْذَبُ بسَمَره

---

(١) هو الأديب الكاتب الشاعر المؤلف أبو عبد الله محمد بن أحمد شرف الجذامى القيروانى . كان قرين ابن رشيق فى خدمة المعز بن باديس ومنادمته . وكانت بينهما منافسة شديدة زالت بعد موت المعز . فارتحل ابن شرف الى الأندلس زمن ملوك الطوائف ، ومات بها . وتوفى سنة ٤٦٠ هـ ولابن شرف شعر رقيق وهجاء موجع ومدح بليغ ووصف بديع ، ويشوب شعره مزاج من البديع وخاصة الجناس .

(٢) سلامان : بطن من طيىء وهم سلامان بن ثعل بن الغوث بن طيىء .

(٣) الهم : الشيخ الكبير الفانى ، يريد كبيرا فى فصاحة اللسان .

(٤) امتتح الماء : نزعه من بئر ونحوه .

(٥) تهتبل : تفتنم .

ألفاظُ الحُدّاث . وقد نحا هذا النحوَ سهلُ بن هارون الكاتب فى تأليفه كتاب النمر والثعلب ، وهو مشهور الحكايات بديعُ المراسلات ، مليح المكاتبات . وزوّرَ أيضاً بديع الزمان ، الحافظ الهمذانى . وهو الأستاذ أبو الفضل أحمد بن الحسين ، مقامات كان يُنشِئُها بديهاً فى أواخر مجالسه ، وينسبُها إلى راوية رواها له يُسمِّيه عيسى ابنَ هشام . وزعم أنه حَدَّثَه بها عن بليغ يُسَمِّيه أبا الفتح الاسكندرى . وعددُها فيما يزعم رُواتها أربعُمائة مَقامة ؛ إلا أنها لم تصلْ هذه العِدةُ إلينا . وهى متضمنةٌ معانىَ مختلفة ، ومبنية على مبانىَ شتى غير مؤتلفة ، لينتفع بها من الكتاب والمحاضرين مَن صرَفها مِن هَزْل إلى جدّ . ومِن ندّ إلى ضِدّ . فأقمت من هذا النحو عشرين حديثاً ، أرجو أن تبَينَ فضلَها ، ولا تقصر عما قبلها . ولعمرى ما أشكُرُ مِن نفسى ولا أُثْنى على شىء من حِسى ، إلا ظفرى بالأقل مما حاولتُه ، على ما أضْرَمَته نيرانُ الغربة من قلبى ، وثَلَمَتْه صَعقَاتُ الفِتنة من لُبّى . وقطعت أهوالُ البرِّ والبَحر من خواطرى ، وأضعَفَت الوَحشةُ والوَحدة من غرائزِى وبصائرى ، لكنّ نيّةَ القاصد وسعةَ المقصود . أعانا ذا الوُدّ على إتحاف المودود . واللهَ أسألُ توفيقاً . ينهَجُ لنا إلى الرشد طريقاً .

(ج) الشـــعر

(١) على بن محمد الإيادى

من شعراء الفاطميين وهم بالمغرب يصف أسطول القائم الفاطمى قال :

اعْجَبْ لِأسطول الإمامِ مُحَمّد ورِحُسنِهِ وزَمانِه المُستَغْرَبِ
لبِسَت به الأمواجُ أحْسَن مَنْظَر يَبْدو لَعَيْنِ الناظر المستَعْجِبِ
مِن كلِّ مُشْرِفةٍ على ما قَابَلَت إشرافَ صَدْرِ الأجْدَلِ المُتَنَصِّبِ (١)
دهماء قد لبِستْ ثِيابَ تصنُّع تَسْبي العُقولَ على ثِيابِ تَرَهُّبِ (٢)
من كلِّ أبيضَ فى الهواءِ مُنَشَّر منها . وأسحمَ فى الخَليج مُغَيَّبِ (٣)
محفوفةٌ بمجادِفٍ مَصْفُوفةٍ فى الجانبين دُوَيْن صُلْب صُلَّبِ (٤)
كقوادِمِ النَّسْرِ المُرَفْرِفِ عُرِّيَتْ من كاسِيات رياشِهِ المُهَدبِ (٥)
وتَحُثُّهَا أيدى الرجال إذا وَنَتْ بمُصَعِّد منها بُعَيْدَ مُصَوِّبِ

---

(١) الأجدل : الصقر .

(٢) ثياب تصنع : هى النقوش المصطنعة ، وثياب الترهب هى طلاء القار الأسود عليها من أسفل لأن الرهبان يلبسون سود الثياب .

(٣) يريد بالأبيض المنشر : القلع .

(٤) الصلب : الظهر والمتن . والصلب بتشديد اللام كسكر : القوى الشديد .

(٥) شبه المجاديف المرصوفة بقوادم النسر .

خَرْقاءُ تَذْهَبُ إِنْ يَدٌ لم تَهْدِهَا فى كل أَوْبٍ للرياح ومَذْهَب
جوفاءُ تحمِلُ كوكبا فى جَوْفِهَا يَوْمَ الرِّهَانِ ، وتَسْتَقِلُّ بِمَوْكب
ولها جناحٌ يستعارُ لطَيْرِهَا طَوْعَ الرياح وراحةِ المتطرِّبِ
يعلو بها حَدَبَ العُباب مُطارةً فى كل لُجٍّ زاخرٍ مُغْلَوْلِب
تسمو بأجردَ فى الهواءِ مُتَوَّج عُريانَ مَنْسُوج الذُّؤَابَةِ شَوْذَبِ(١)
يَتَرَكَّبُ المَلاحُ مِنهُ ذُبابَةً لو رامَ يركَبُهَا القَطَا لم يَرْكب
فكأنما رَامَ اسْتراقةَ مقعدٍ للسَّمْع إلا أَنَّهُ لم يُشْهَب
وكأنما جِنٌّ ابن دَاودٍ هُمُ رَكِبُوا جَوانِبَهَا بأَعْنَفِ مَرْكَب
سَجَرُوا جوَانبَ نارِها ، فتقاذَفُوا مِنْها بأَلْسُنِ مَارِجٍ مُتَلَهِّب
مِن كلِّ مَسجُون الحريقِ إذا انْبَرى مِن سِجنِهِ انْصلَتَ انْصِلاتَ الكوكب(٢)
عُريانَ يَقْدُمُهُ الدُّخانُ كأنّه صُبْحٌ يكرُّ على الظَّلام الغَيْهَب
ولَوَاحقٍ مِثْلَ الأَهِلَّةِ جُنح لُحَقَ المُطالب فائتاتِ المَهْرَب
يذْهَبْن فيما بينَهُن لَطافَةً ويجئْن فِعْلَ الطائر المُتَقَلِّب
كنضائِضِ الحيَّاتِ رُحْنَ لَواعبًا حتَّى يَقعْنَ ببِرْكِ مَاءِ الميزَب
شَرَجُوا جوانبَها مجادفَ أتعَبَت شَأْوَ الرِّياحَ لها ، ولمَّا تَتْعَب
تَنْصَاعُ مِنْ كَثَب كما نَفَر القَطا طَوْرا ، وتجْتَمِعُ اجتماعَ الرَّبْرَب

(١) الشوذب الطويل الحسن الخلق أو الصنع : يريد به الصارى والدقل فى أعلاه برج صغير يجلس فيه ملاح يرقب البحر من أعلى المركب .

(٢) كانوا يرمون بقدور وقنانى من الزجاج والفخار بها سائل من نفط ومواد ملتهبة يقذفون بها مراكب العدو وهى النار الاغريقية التى جهل الآن تركيبها .

والبَحْرُ يجمع بَيْنَها فكأنَّه ... لَيْلٌ يُقرِّبُ عقرباً مِن عَقْرَب
وعَلَى كَوَاكِبِها أسُودُ خِلَافةٍ ... تختالُ فى عُدَدِ السلاحِ الْمُرْهِب
فكأنما البحرُ استعارَ بزِيِّهِمْ ... ثَوْبَ الجمالِ مِنَ الرَّبيعِ الْمُذْهِب

(٢) إبراهيم الرقيق بن القاسم القَيْرواني(١)

قال يتشوّق إلى مصر ومعاهده بها . وكان رحل إليها بهدية من باديس بن زيرى إلى الحاكم بأمر الله الفاطمى :

هَلِ الرِّيحُ إنْ سَارَتْ مُشَرِّقَةً تَسْرِى ... تُؤَدِّى تَحِيَّاتٍ إلى سَاكِنى مِصْر
فما خَطَرَتْ إلّا بَكَيْتُ صَبَابَةً ... وَحَمَّلْتُهَا ماضاقَ عن حَمْلِهِ صَدْرى
تَرَانى إذا هَبَّتْ قَبُولَا بنَشْرِهِمْ ... شَمِمْتُ نَسِيمَ المِسْكِ فى ذلك النَّشْر
وإن أنسَ مِن شَىْءٍ سِوَى العَهْدِ دُونَه ... فليس بخالٍ من ضَمِيرى وَمِنْ فِكْرِى
لَيَالٍ أَنِسْنَاها عَلَى غِرَّةِ الصِّبَا ... فطابتْ لنا إذْ وَافَقَتْ غِرَّةَ الدهر
لعَمرِى لَئِن كانت قِصَارا أَعُدُّها ... فَلَسْتُ بمُعْتَدٍّ سِوَاهَا مِنَ العُمْر
أُخادِعُ دَهرِى أن يَعُودَ بفُرْصَةٍ ... فَيَنْقُذَ رُوحَ الوَصْلِ من راحةِ الهَجْر
وتَرجِعُ أَيَّامٌ خَلَتْ بمَعَاهِدٍ ... مِنَ اللَّهْوِ لا تَنفَكُّ مِنِّى عَلَى ذُكْر
فكَمْ لِىَ بالأَهْرَامِ أو دَيْرِ نَهْيَةٍ ... مَصَايِدُ غِزْلانِ المَكَايِدِ وَالقَفْر(٢)

---

(١) هو ابراهيم بن القاسم الملقب بالرقيق شاعر رقيق الشعر أديب مؤرخ . وكان يتكسب بالكتابة فى دواوين القيروان . وله كتب منها تاريخ افريقية أثنى عليه ياقوت وتوفى سنة ٤٠٠ هـ.

(٢) دير نهية كان على مقربة من بولاق التكرور ، وليس بها دير الآن . ويريد بغزلان المكايد الجوارى الحسان ، وغزلان القفر ما يصاد فى بادية الهرم .

إلى الجيزةِ الدُّنْيَا ومَا قد تَضَمَّنَتْ جَزِيرَتُهــا ذاتُ النواعِيرِ والجِسْر
وبالمَقْــسِ والبُسْتَانِ للعَيْنِ مَنْظَرٌ أنيقٌ إلى شَاطِئِ الخليجِ إلى القَصْرِ (١)
وفى سَرَدُوسِ مُسْــتَرادٌ ومَلْعَبٌ إلى دَيْرِ مَرْحَنَّا إلى ساحِلِ البَحْرِ (٢)
وكَمْ بَيْنَ بُسْتَانِ الأميرِ وقَصْرِهِ إلى البِـرْكَةِ الزَّهْرَاءِ من زَهْرٍ نَضِرِ
تَرَاهَا كمِرآةٍ بَدَتْ فى رَفارِفٍ مِنَ السُّنْدُسِ المَوْشِيِّ يُنْشَرُ للتَّجْرِ

(٣) أبو عبد الله محمد بن جعفر القزاز القيروانى (٣)

قال يتغزل :

أمَا وَمَحَلِّ حُبكِ مِن فُؤادِى وَقَدْرِ مَــكانِه فيــه المَــكِينِ
لو انبسَطَتْ لِى الآمالُ حَتَّى تُصَيِّرَ مِن عِنانِكِ فى يمِيــنى
لَصُنْتُكِ فى مَــكانِ سَــوَادِ عَيْنِى وخِطْتُ عليكَ مِنْ حَذَرٍ جُفونى
فأبْلُغُ مِنْــك غاياتِ الأَمَانى وآمَن فِيــكِ آفاتِ الظنونِ
فلِى نَفْسٌ تجــرَّعُ كلَّ حِينٍ عَلَيْك بِهِنَّ كَاسَاتِ المَنُونِ (٤)
إذا أمِنَتْ قُلُوبُ الناسِ خافتْ عليــك خَفِىَّ ألحــاظِ العُيونِ

---

(١) المقس موضــعه الآن : مسجد أولاد عنان . ويريد بالبستان : البستان الكافورى كان على الخليج غربى القاهرة . ويريد بالقصر القصر الكبير. وموضعه الآن المسجد الحسينى وخان الخليلى وخان جعفر وبيت القاضى الى جهة قصر الشوق .

(٢) سردوس : خليج من خلجان سبعــة كانت فى الوجــه البحرى . وكان يتفرع من النيــل شمالى القاهرة .

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن جعفر القزاز القيروانى التميمى امام العربيــة والآدب بالقيروان وصاحب المعجم العظيم المسمى بالجامع فى اللغة. رتبه على حروف المعجم : وكان أديبا كاتبا شاعرا رقيق الشعر . مات بالقيروان سنة ٤١٢ هـ . وقد قارب التسعين .

(٤) بهن أى بآفات الظنون .

وقال :

أضمِرُوا لِي وُدًّا ولا تظهِرُوهُ   يُهْدِهِ مِنكُمْ إليَّ الضَّمِيرُ
ما أُبالِي إذا بلغتُ رضاكُمْ   في هَواكُمْ لأيِّ حالٍ أصِيرُ

(٤) إبراهيم بن على الحُصْرِىُّ القَيْرَوانِيّ(١)

قال :

يا هَلْ بكَيْتُ كما بكَتْ   وُرْقُ الحمائم فى الغُصُونِ
هتَفَتْ سُحَيْرًا والرُّبَا   للقَطْرِ رَافِعَةُ الجُفُونِ
فكأنما صاغَتْ عَلَى   شَجْوِى شَجَا تلك اللُّحُون

وقال :

كَتَمْتُ هواكِ حتّى عيلَ صَبْرِى   وأدْنَتْنِى مُكاتمَتِى لِرَمْسِى
ولم أَقْدِرْ عَلَى إخفاءِ حالٍ   يحُول بها الأَسَى دُونَ التَّأسِّى
وحبُّكِ مالِكٌ لَحْظِى ولفْظِى   وإظْهارِى وإضمارِى وحِسِّى
فإن أَنطِق ففيكِ جميعُ نُطْقِى   وإنْ أَسْكُتْ ففيك حديثُ نَفْسِى

(٥) ابن رشيق القيروانى(٢)

قال :

أُحِبُّ أخى وإن أعرَضْتُ عَنْهُ   وَقَلَّ عَلَى مسامِعِه كلامى
ولِى فى وجْهِهِ تقطيبُ راضٍ   كما قَطَّبْتَ فى وَجهِ المُدامِ

(١) صاحب كتاب زهر الأداب وغيره المتوفى سنة ٤٥٣ هـ.

(٢) هو الحسن بن رشيق من موالى الأزد . كان أبوه مملوكا روميا صائغا ، فتعلم ابنه الأدب والكتابة والشعر وعلومه ، وألف فيه كتاب العمدة الذى لم يؤلف المتقدمون مثله فى نقد الشعر وكان من كتاب المعز أبن باديس الصنهاجى خليفة الفاطميين على أفريقية ومن خيرة شعرائه وينافسه فى كل صناعته ابن شرف . توفى ابن رشيق بجزيرة صقلية سنة ٤٥ هـ. بمدينة مازر آخر مدن المسلمين بها .

ورُبَّ تَجهُّمٍ من غَيْرِ بُغْضٍ ... وضِغْنٍ كامِنٍ تحت ابتسام

وله أيضاً :

مَن جفانى فإنّنى غَيْرُ جافٍ ... صِلَةٌ أوْ قطعيةٌ فى عَفاف
رُبّما هاجَر الفتَى مَن يُصافيهِ ... وَلاقَى بالبِشرِ مَن لا يُصافى

وقال :

ومِن حَسناتِ الدَّهرِ عندىَ ليلةٌ ... مِنَ العُمْرِ لم تَتْرُكْ لأَيّامِها ذَنْبا
خَلَوْنَا بها نَنْفِى القذى عن عُيوننا ... بِلُؤْلُؤَةٍ مَمْلُوءَةٍ ذَهَبًا سَكْبَا(١)

وله أيضاً :

فِى النـاسِ مَن لا يُرتجَى نَفعُهُ ... إلّا إذَا مُسَّ بإضْرَارِ
كالعُودِ لا تَطْمَعُ فى طِيبهِ ... إنْ أَنْتَ لم تَمْسَسْهُ بالنّار

وقال :

وَلَوْ غَيْرُكَ المرسومُ عِندى بِرِيبةٍ ... لأَعْطَيْتُ فيه مُدَّعى القومِ ما ادَّعَى
فلا تَتَخالَجْكَ الظنونُ فإنّها ... مآثِمُ واتْرُكْ للصنائِعِ مَوْضِعاً
فواللهِ ما طَوَّلْتُ باللوم فيكمُ ... لِساناً ولا عَرَّضْتُ للذَّمِّ مَسْمَعاً
ولا مِلْتُ عنكم بالودادِ ولا انطوتْ ... حبالِى ولا وَلَّى ثنائى مُوَدِّعاً
بَلَى رُبَّما أَكرمتُ نفسِى فلم تَهُنْ ... وأَجْلَلْتُها عن أَنْ تَذِلَّ وتَخْضَعا
فبايَنتُ لا أَنَّ العَداوَةَ بايَنَتْ ... وقاطعتُ لا أَنَّ الوفاءَ تَقَطَّعا

---

(١) بلؤلؤة الخ يريد بكأس مملوءة خمراً .

(٦) ابن شرف القَيْروانىّ[1]

من قوله :

إنْ تَدْعُكَ الغُـرْبَةُ فى مَعشَر ... قَدْ جُبِـلَ الطبعُ عَلَى بُغْضِهِمْ
فدارِهِمْ ما دُمْتَ فى دارِهِمْ ... وأَرْضِهِمْ ما دُمتَ فى أرضهم

وقـوله :

احْذَرْ محاسِنَ أوجُهٍ فَقَدَتْ محَا ... سِنَ أنفُسٍ ، وَلَوْ أنهـا أَقْمَارُ
سُرُجٌ تلوحُ إذا نَظَرْتَ فإنهـا ... نُورٌ يُضىء وَإنْ مَسَسْتَ فنَارَ

وقوله فى العود :

سَقَى اللهُ أرضاً أنبَتت عودَكَ الذى ... زكَتْ منهأغصانٌ،وطَابتْمَغَارسُ
تَغَـنى عَلَيْهِ الطيْرُ والعُودُ أخْضَرٌ ... وغَنّتْ عليهِ الغِيدُ ، والعُودُ يابسٌ

وقوله :

لا تسأَلِ الناس والأيامَ عَن خبَرٍ ... هُمَا يَبُثَّانِكَ الْأَخبَـارَ تَـطفِيلا
ولا تُعَاتِبْ على نَقْص الطباعِ أَخاً ... فإن بَدْرَ السمَا لم يُعْطَ تـكميلا
لا يُؤْيِسَـنَّكَ من أَمْرٍ تَصَعُّبُهُ ... فاللهُ قد يُعقِبُ التَّصْعِيبَ تَسهيلا
بِعْ مَن جفاكَ ولاتبخلْ بسلْعَتِهِ ... واطلبْ به بَدَلا إن رَامَ تبديلا
وصَيِّر الْأَرْضَ داراً والورَىرَجُلَا ... حتى تُرى مُقْبِلاً فىالناس مَقْبُولَا

---

(١) تقدمت ترجمته عند نثره .

وقولُه :

يا ثاوياً في مَعْشَرٍ قد اُصطلَى بنارِهِمْ
إن تبْكِ منْ شرَارِهم على يدَىْ شِرَارِهم
أو تُرْمَ من أحْجارِهم وَأنتَ في أَحْجَارِهم
فما بقيتَ جارَهُم ففِى هواهُمْ جارِهم
وأرضهم في أرضهم ودارهم في دارِهِمْ

(٧) عبد الجبار بن حَمْديس

قال يصف بركة يجرى إليها الماء من شاذروان من أفواه طيور وزرافات وأسود من صفر ، منها ما يقذف الماء صعدا ، ومنها ما يحدره إلى أسفل ، ومنها ما يقطعه كرات وبنادق :

وَالمـاءُ منه سَبَائِكٌ من فِضَّةٍ ذابتْ عَلَى دُولاب شاذَرْوَانِ (٢)
فـكأنما سَيْفٌ هناكَ مُشَطَّبٌ أَلْقَتْهُ يومَ الرَّوْعِ كَفُّ جبانِ (٣)
كَمْ شاخِصٍ فيه يُطيلُ تَعَجُّباً من دَوحَة نَبَتَتْ من العِقْبَانِ (٤)
عَجَباً لهـا تَسْقِى هنَاكَ يَنَائِعاً يَنَعَتْ من الثمرات وَالأغْصان (٥)

---

(١) هوأبو محمد عبد الجبار بن محمد بن حمديس الأزدى الصقلى أحد وصافى الطبيعة والمصانع البديعة . نشأ بمدينة سرقوصة من صقلية فى أواخر دولة العرب بها ولما ملكها رجار النرماندى هاجر منها الى الأندلس وغيرها حتى مات بجزيرة ميورقة سنة ٢٥٧ ﻫ .

(٢) الشاذروان : كلمة معربة ومعناه كل ما خرج قليلا من جدار أو نصب عما فوقه من بقية البناء أو النصب أو ما كان كمصاطب الفوارات أو قصاعها كالرفرف وهو المراد هنا .

(٣) شبه الماء النازل من الثقوب منحنيا بالسيوف .

(٤) العقيان : الذهب .

(٥) الينائع : جمع ينيعة .

خُصَّتْ بِطَائِرَةٍ عَلَى فَنَنٍ لها　　حَسُنَتْ فَأُفْرِدَ حسنها من ثانى

قُسُّ الطيور السَّاجِعَات بلاغةً　　وفصاحة من مَنْطِق وبَيَانِ(١)

فإذا أتيحَ لها الـكلامُ تَـكَلَّمَتْ　　بِخَرِير ماء دائم الهملَانِ

وكأن صانعها اُستبدَّ بصنْعةٍ　　فَخَرَ الجمادُ بهـا على الحيوان

أَوْفَت على حوْض لها فكأنها　　منها إلى العَجَبِ العُجَاب رَوانِي

وكأنها ظنَّتْ حلاوةَ مائهـا　　شَهْدًا فذَاقَتْهُ بِكُلِّ لِسَان

وزرافة فى الجوِّ من أُنْبوبِهَا　　ماءٌ يُرِيكَ الجَرْىَ فى الطَّيَرَانِ

مَرْكُوزَة كالرُّمْح حيث ترى له　　من طَعْنِهِ الحَلَقَ انْعِطَاف سِنَان(٢)

وكأنمـا ترى السماءَ ببُنْدُق　　مُسْتَنْبَط من لُؤْلُؤ وَجُمَان

لو عاد ذاك المـاءُ نِفطاً أَحْرقت　　فى الجوّ منه قميصَ كلِّ عَنَانِ

فى بِرْكة قامت على حافاتها　　أسْدٌ تَـذِلُّ لِعِزَّةِ السُّلطانِ

نزَعت إلى ظُلْم النفوس نفُوسُها　　فلذلك انتُزِعَتْ من الأبدان

وكأنما الحَيَّاتُ من أفواهها　　يَطرَحْن أنفسَهُنَّ فى غُدْرَان

وكأنما الحيتان إذْ لم تخشها　　أَخذت من المنصور عهد أمان(٣)

وقال يصف دارا بناها المعتمد بن عباد من أبيات :

ويا حبَّـذا دار قضى الله أنّها　　يُجَدَّدُ فيها كلُّ عزّ ولا يَبْلَى

وما هى إلا خِطَّـةُ المَلِكِ التى　　يحُطُّ إليها كلُّ ذِى أمل رَحْلاَ

---

(١) كان الماء اذا خرج من فيها ظهرت لها أصوات كهديل الحمام .

(٢) الحلق : الدروع .

(٣) الحيتان : سمك البركة .

إذا فُتِحت أبوابُها خِلْتَ أنّها تقول بترحيب لداخلها : أهْلا !
وقد نَقَلَتْ صُناعها من صفاته إليها أفانيناً ، فأحسنت النَّقْلا
فمن صَدْرِه رُحْباً ، ومن نوره سنى ومن صيته فرعاً ، ومن حلمه أصْلا
فأعلَتْ به فى رُتبةِ المُلْك نادياً وقلّ له فوق السما كين أن يُعلى
نسيتُ به إيوانَ كسرى لأننى أراه له مَوْلى من الحسن لا مِثْلاً
ترى الشمس فيه لِيقَةً تستمدّها أكفٌّ أقامت من تصاويرها شكلا(١)
لها حركاتٌ أُودعت فى سُكونها فما تَبِعت من نقلهنّ يَدٌ رجْلا
ولما عَشِينا من توقّد نُورها تخِذْنا سناه فى نواظرنا كُحْلا

---

(١) الليقة : القطنة ونحوها توضع فى الدواة .

تم بعون الله تعالى وتوفيقه طبع هذا الـكتاب فى ١٦ صفر سنة ١٣٧٣ ﻫ
(الموافق ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٥٣) بمطابع دار الـكتاب العربى بمصر
لصاحبها ومديرها محمد حلمى المنياوى

وزارة المعارف العمومية



جمعه وشرحه

أحمد الإسكندري — أحمد أمين بك — علي الجارم بك

عبد العزيز البشري — الدكتور أحمد ضيف

الجزء الرابع

للسنة الرابعة الثانوية

المطبعة الأميرية بالقاهرة

١٩٤٤

فهرس

العصر الجاهلي

الشعر

صفحة

صفحة

صفحة

(ب) الشعر :

صفحة

صفحة

العصر الجاهلى

الشـــعر

(١) لامرئ القيس من معلقته : (١)

قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ ... بسِقْط اللّوَى بين الدَّخولِ فحَوْملِ (٢)

* * *

ولَيْـلٍ كموج البحرِ أَرْخَى سُدولَه ... علىَّ بأنواع الهُمـــومِ ليبتَــلِى (٣)

فقُلتُ له لمَّـا تمطَّى بِصُلْبِــهِ ... وأردفَ أَعجازًا وناءَ بكَلْـكَلِ : (٤)

أَلَا أيُّهَا اللَّيْــلُ الطويلُ أَلا انْجلى ... بِصُبحٍ ، وما الإِصباحُ منكَ بأَمثَلِ (٥)

---

(١) هو امرؤ القيس بن حجر الكندى أشهر شعراء الجاهليـة ، وأحد الأربعـة المقدّمين على غيرهم من شعرائها . وكان يعيش قبل الإسلام بنحو ثمانين سنة . وله ديوان شعر مشروح مطبوع ، منه هذه القصيدة اللامية إحدى القصائد العشر الشهيرة بالمعلقات .

(٢) قفا : فعل أمر للاثنين ، يريد بهما صاحبيه على عادة الشعراء فى مخاطبة الاثنين ، ولو كان المراد واحدا . وسقط اللوى والدخول وحومل مواضع بنجد وفى سقط اللوى كان منزل محبوبته — يقول (عند ما مر بالمنزل الذى كانت حبيبته نازلة به قديما) : يا صاحبى قفا معى هنـا وأسعدانى بالبكاء ، لتذكرى العيش الذى قضيته مع حبيب عزيز على كان ينزل فى هذا المكان الذى بين الدخول وحومل الخ .

(٣) السدول : الستور جمع سدل ، و يبتلى : يختبر ، أى ورب ليـل كموج البحر فى كثافته وظلمته شملنى بأنواع الهموم ليختبرنى أأصبر أم أجزع .

(٤) تمطى بصلبه : تمدد بوسطه . والأعجاز : جمع عجز ، وهى الأطراف . ومعنى أردف أعجازا : باعد أطرافه عن صلبه فطال من آخره . والكلكل : الصدر . ومعنى ناء بكلكل : بعد بصدره الى الأمام ، أى أن الليل طال عليه لقلقه وأرقه فى جميع أجزائه : أوله ووسطه وآخره ؛ فلم ينعم فى جزء منه .

(٥) انجلى بصبح : أى انكشف عن صبح . والياء للمد مثل الألف فى قوله تعالى "سنقرئك فلا تنسى" ثم راجع نفسـه متحسرا فقال : وما الإصباح بأمثل منك ، أى و إذا جاء الصباح فليس بأفضل منك ، ولا يفرج من همومى ، فهمومى دائمة ليلا ونهـارا .

فيَا لَكَ من ليـلٍ كأنَّ نُجومَه   بكلِّ مُغارِ الفَتْلِ شُـدَّتْ بيَذْبُلِ (١)

كأنَّ الـثُرَيَّا عُلِّقت في مَصَامِهَا   بأمراسِ كتَّانٍ إلَى صُمّ جَنـدَلِ (٢)

*
* *

وقد أغتدِي ، والطيرُ في وُكُنَاتِهَـا   بمُنجَردٍ قيْـدِ الأوابِدِ هَيْكَلِ (٣)

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ معًـا   كجُلْمُودِ صخرٍ حَطّه السيلُ من عَلِ (٤)

---

(١) ثم تعجب من طوله فقال (فيا لك من ليل) أى يا عجبا لك من ليـل ، ومعنى قوله (بكل مغار الفتل) أى بكل حبل محكم الفتل متين . ويذبل جبل من جبال نجد . يعنى كأن نجوم هـذا الليل لطوله ربطت بحبال متينة بالجبل المسمى بيذبل ؛ فلا تزحزح من مكانها .

(٢) الثريا : مجموع من كواكب صغيرة القدر متضامّ بعضها إلى بعض ، كأنها كف إنسان أو عنقود عنب . والمصام : الموقف . والأمراس : الحبال . (المعنى) وكأن الثريا من نجومك — أيها الليل — قد علقت أيضا بحبال كتان متينة الى جنادل وصخور صماء ؛ فهى لا تنتقل أيضا من مكانها .

(٣) أغتدى : أبكر وأذهب غدوة ؛ أى قبـل طلوع الشمس . والوكنات : جمع وكنة وهى الموضع الذى يبيض فيه الطائر أو يبيت فيه . والمنجرد : الأجرد الشعر أى القصيره ، وذلك من محاسن الخيـل . والأوابد : جمع آبد وهو الوحش النافر ، والهيكل : الطويل المرتفع (المعنى) يقول : وقد أخرج مبكرا قبل أن تنهض الطير من أوكارها راكبا فرسا أجرد ضخما كأنه فى سرعته قيد للوحوش لأنها لا تفلت ؛ كأنها واقفة مقيدة ، فيسهل على راكبه صيدها . وهذا التشبيه من أحسن تشبيهات امرئ القيس وقد أخذه عنه شعراء كثيرون .

(٤) مكر مفر : صفتان لهذا الفرس ، وهما بمعنى مقبل ومدبر . وقوله (معا) أى أن هاتين الصفتين اجتمعتا له معا ؛ فهو يصلح للإقبال كما يصلح للإدبار ، فعنده هذا وهذا ، لا أن الكر والفر يقعان منه فى وقت واحد ؛ لأن ذلك محال عقلا ؛ ثم أنه شبهه فى سرعته أيضا بجلمود من الصخر أسقطه السيل من مكان عال وفيه إشارة إلى صلابته .

كُمَيْتٍ يزِلُّ اللِّبْدُ عن حالِ مَتْنِـهِ كما زَلَّتِ الصَّـفواءُ بالمُتَنَزِّلِ (١)
على الذَّبْلِ جَيَّاشٍ، كأنَّ اهْتِزَامَهُ إذا جَاشَ فيـه حَمْيُهُ غَلْيُ مِرْجَلِ (٢)
مِسَحٍّ إذا ما السابحاتُ علَى الوَنَى أَثَرْنَ الغُبَارَ بالكَدِيد المُرَكَّلِ (٣)
يَزِلُّ الغُـلامُ الخِفُّ عن صَهَواته ويُلوِى بأثوابِ العنيفِ المُثَقَّلِ (٤)
دَرِيرٍ كخُذْرُوفِ الولِيـدِ أَمَرَّهُ تَتَابُعُ كَفَّيْهِ بخيطٍ مُوَصَّـلِ (٥)

---

(١) الكميت : الفرس الأحمر الذى تميل حمرته إلى السواد . وحال متنه : وسط ظهره . والصفواء : الصخرة الملساء . والمتنزل بصيغة اسم الفاعل : السـيل أو المطر الذى ينزل الصخور و يجرّها إلى أسـفل (المعنى) أنه فرس مكتنز اللحم أملس الظهر، ولملاسته يزل اللبد الذى يوضع على ظهره تحت السرج عن ظهره كما تزل الصخرة الملساء إذا أنزلها السيل .

(٢) الذبل : الضمور . والجياش : الذى يجيش فى عدوه كما تجيش القدر فى غليانها . والاهتزام : شدّة الصوت المتقطع ، يريد به صوت جوفه . وحميه : غليه وارتفاع حرارته . والمرجل : القدر الكبيرة (المعنى) أن هذا الفرس على ضموره متوقد النشاط ؛ كأنه فى استرسال عدوه ، وتردد صهيله فى صدره ، قدر تغلى وتجيش .

(٣) المسح : الذى يسح العـدو سحا كالمطر . والسابحات : الخيل التى تسبح فى عدوها وتبسط أيديها كالسباح فى المـاء . والونى : الفتور . والكديد : الأرض اليابسة . والمركل : الذى تركله الخيل بأرجلها (المعنى) أن هـذا الفرس عنـد ما تفتر الخيـل السابحات ، ويبطؤ سعيها حتى تثير الغبار — لا يفتر هو ؛ بل يصب العدو صبا ، ولا يثير الغبار ؛ لأنه لنشاطه لا يلمس الأرض إلا بأطراف حوافره .

(٤) المعنى أن هذا الفرس إذا ركبه الغلام الخفيف الجسم زل عن ظهره ، و إذا ركبه العنيف الثقيل الجسم أطار ثيابه ؛ فلم يتمالك أن يصلحها ؛ فلا يستطيع ركو به إلا فارس ماهر لشدّة قوّته .

(٥) درّ الفرس : عدا عدوا شديدا سهلا فهو درير . والخذروف : لعبة تلعب بها الصبيان ، وهى شظية من خشب ونحوه يثقب وسطها ، و يدخل فيه خيط ، فيجرّ الصبى الخيط بيديه فتدور الشظية دورانا شديدا يسمع له حفيف . وأمرّ الخيط : أحكم فتله . شبه الفرس فى شدّة عدوه بسرعة الخذروف فى دورانه . ووصف الخيـط بأنه موصل إشارة الى أن اللاعب صبي كثير اللعب بالخذروف حتى أن الخيط يتقطع فيصـــله

له أيْطَلا ظَبْيٍ ، وساقا نَعامَةٍ ، و إرخاءُ سِرْحانٍ ، وتقريبُ تَتْفُل (١)
ضَليع إذا استدبرتَه سَدَّ فرجَهُ بضافٍ فُوَيْقَ الأرضِ ليس بأعزَلِ (٢)
كأنَّ على المَتْنَيْن منه إذا انتحى مداكَ عروسٍ ، أو صَلايةَ حَنظل (٣)
كأنَّ دماءَ الهادياتِ بنَحْرِه عُصارةُ حِنَّاءٍ بشَيْبٍ مُرَجَّل (٤)
فَعَنَّ لنا سِرْبٌ كأنَّ نِعاجَه عَذارَى دَوارٍ فى مُلاءٍ مُذَيَّل (٥)
فأدبَرْن كالجَزْعِ المفصَّلِ بينَه بجِيدٍ مُعَمٍّ فى العشيرةِ مُخْوِل (٦)

(١) أيطلا الظبي ونحوه : خاصرتاه ، وخص الظبي لضمور أيطليه . والإرخاء : الجرى الذى فيه سهولة . والسرحان : الذئب . والتتفل : ولد الثعلب . وتقريب الفرس فى العدو : رفع يديه معا ووضعهما معا (المعنى) أن هـذا الفرس فيـه عدة محاسن ، فخاصرتاه ضامرتان ، وساقاه طويلتان صليبتان . وهو فى جريه الخفيف يشبه الذئب ، وفى الشديد يشبه الثعلب .

(٢) يقول إن هـذا الفرس عظيم الصدر ، واسع الأضلاع ، سابغ الذنب بحيث إذا نظرت إليه من خلفه رأيت ذنبه يسدّ الانفراج الذى بين فخذيه ، وذنبه فويق الأرض ليس بقصير ولا طويل طولا فاحشا فيطأه الفرس برجليه ، وليس هذا الذنب بمعوج إلى جانب .

(٣) المتن : الظهر — والمراد بالمتنين هنا جانبا ظهره — وانتحى : وقف فى ناحيـة من البيت . والمـداك : الحجر الذى يداك به الطيب أى يسحق . والصـلاية : الصخرة الملساء يدق بهـا لب الحنظل (المعنى) أن هـذا الفرس إذا وقف بجانب البيت غير مسرج رأيت ظهره براقا أملس كأنه مداك العروس أو صلاية الحنظل ، وخص العروس لاهتمامها بأمر الطيب .

(٤) الهاديات : جمع هادية ، وهنّ الأوائل والمتقدمات فى السير من سرب الوحش . والمرجل : المسرح . (المعنى) أن هذا الفرس يلحق أوائل الوحش بله أواخرها ، فعند ما يطعنها أو يضربها راكبه يصيب رشاش دمائها نحر هذا الفرس ، فيصبغه بالحمرة ؛ فكأنّ عصارة حناء صبغت منه شعرا شائبا مسرحا . و يفهم من هذا أن لبة هذا الفرس الكميت بيضاء .

(٥) عنّ : ظهر . ودوار (بفتح الدال) : اسم صنم كان بالجاهلية . والملاء : جمع ملاءة . والمذيل الذى لون ذيله أسـود (المعنى) ظهر لنا سرب من بقر الوحش كأنّ نعاجه بنات أبكار يطفن حول دوار لابسات ملاءات سود الذيول : وذلك لأن بقر الوحش بيض الظهور سود القوائم .

(٦) الجزع : خرز فيه بياض وسواد ، والبياض فى الوسط ، وكذلك بقر الوحش فإن قرونها وقوائمها سود . والجيد : العنق . والمعم المخول : الصبي الذى له أعمام وأخوال كرام ؛ فهو عزيز على أهله =

فألحقنا بالهاديات ، ودونه   جواحرها فى صرة لم تزيل (١)

فعادى عداء بين ثور ونعجة   دراكا ، ولم ينضح بماء فيغسل (٢)

فظل طهاة اللحم من بين منضج   صفيف شواء أو قدير معجل (٣)

ورحنا يكاد الطرف يقصر دونه ،   متى ما ترق العين فيه تسفل (٤)

فبات عليه سرجه ولجامه   وبات بعينى قائما غير مرسل (٥)

= يقلدونه قلائد الجزع (المعنى) أن هذا الفرس سبق سرب البقر ، فردها على أعقابها ، فدارت حيرة ، وكانت أشبه بقلادة جزع مختلفة الألوان فرق بين خرزاتها بخرزات أخرى ، وكانت هذه القلادة فى عنق صبى كريم على أهله ؛ فبذلك تكون خرزاتها أجود وأصفى .

(١) الجواحر : المتخلفات . والصرة : الجماعة . وتزيل : أصله تتزيل ، أى لم تتفرق (المعنى) فألحقنا هذا الفرس بأوائل الوحش ، وبقيت أواخرها لم تتفرق ، يصفه بشدة العدو .

(٢) عادى : والى . المعنى ثم لما تفرقت البقر بعد ذلك عادى هذا الفرس عداء متواصلا بين ثور ونعجة ، فأدركهما فى طلق واحد ولم يعرق عرقا يعم جسده ؛ حتى يصير كأنه غسل بماء . أى أنه دركهما وصادهما من غير مشقة .

(٣) الطهاة : جمع طاه وهو الطباخ . والصفيف من الشواء : ما صفف مرققا على الجمر . والقدير : ما طبخ فى القدر (المعنى) فظل الطباخون يعالجون لحم الصيد ، فمنهم من يشوى ، ومنهم من يطبخ فى القدر متعجلا . ويجر لفظ (قدير) على المجاورة أو على العطف على منضج ؛ أى من بين منضج صفيف شواء . أو منضج قدير بالإضافة . فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه ؛ فجر مثله .

(٤) الطرف : البصر . ورحنا : من الرواح أى الرجوع عشية . ويقصر : يحير دون إدراك محاسنه . (المعنى) أننا بعد ما أدركنا العشى بقينا ننظر بأبصارنا الى محاسن هذا الفرس ؛ فلا يدرك البصر كل محاسنه جملة ؛ فبينا يتجه النظر الى محاسن أعالى جسمه ، إذا بمحاسن أسافله تجذب النظر اليها ؛ فلا يمكننا حصر النظر فى شىء واحد من محاسنه .

(٥) المعنى فبت وقد بات عليه سرجه ولجامه ، وبات بمرأى عينى قائما غير مطلق ؛ لأننا على سفر ، فنحن على استعداد لركوبه فى أى وقت وعند أى خطر . يصفه بالنشاط وعدم التعب ووصل اليوم بالغد فى احتمال الركوب والعدو .

أصاحِ ترى برقًا أُريكَ وميضَهُ كَلَمْعِ اليَدَيْنِ فى حَبِيٍّ مُكَلَّلِ (١)
يُضِيءُ سناهُ، أو مصابيحِ راهبٍ أمالَ السَّليطَ بالذُّبَالِ المفتَّلِ (٢)
قعدتُ له، وصُحبتى بين ضارجٍ وبينَ العُذَيبِ، بُعْدَ ما مُتأمَّلِي (٣)
على قَطَنٍ بالشَّيْمِ أيمنُ صَوْبِهِ، وأيسرُهُ على السِّتارِ فَيَذبُلِ (٤)
فأضحى يَسُحُّ الماءَ حولَ كُتَيفةٍ يكبُّ على الأذقانِ دَوْحَ الكَنَهْبُلِ (٥)
ومَرَّ على القَنَانِ من نَفَيانِهِ فأنزلَ منه العُصْمَ من كلّ منزِلِ (٦)

(١) بعد أن فرغ من وصف الصيد والفرس أخذ فى وصف الغيث وما يتعلق به فقال : (أصاح الخ) و(صاح) : ترخيم صاحبى . والوميض : لمع البرق ونحوه . والحبى من السحاب : المتراكم بعضه على بعض كأنه يحبو لثقله . والمكلل : الذى صار أعلاه كالإكليل وهو التاج . (المعنى) يا صاحبى أنت ترى البرق الذى أريك لمعه كلمع اليدين وحركتهما السريعة ـــ وهذا البرق يلمع فى سحاب متراكم مكلل .

(٢) المعنى كأن هذا البرق ـــ حال كونه يضىء ـــ لمع اليدين ، أو كأنه مصابيح راهب أمال السليط ، وهو الزيت بذبال المصابيح المفتل ، وهى الفتيلة ، وفى الكلام قلب . أى أمال الذبال بصب السليط . أو أن الباء بمعنى مع ؛ أى أمال السليط مع الفتيلة الى جانب لتكون متغذية دائما بالزيت ، فتكون أشد إضاءة .

(٣) صحبتى : أصحابى . وضارج والعذيب مكانان . (المعنى) قعدت لذلك البرق أنظر من أين يجىء بالمطر ، ويا بعد ما تأملت أى ما أبعده ، يتعجب من بعد نظره .

(٤) قطن والستار ويذبل : أسماء جبال ، والشيم : النظر . والصوب : المطر (المعنى) أن مطر هذا البرق امتد فى جهات مترامية ، فكان يمينه على جبل قطن ، وكان يساره على جبلى الستار فيذبل ، بحسب نظرنا وتقديرنا لأنه لا يرى هذه الجبال .

(٥) كتيفة : اسم أرض أو هضبة . والدوح : الشجر العظيم . والكنهبل : شجر شائك (المعنى) فأضحى المطر يسح الماء حول كتيفة و يقلب سيله الأشجار العظيمة فيجعل عاليها سافلها .

(٦) القنان : اسم جبل . والنفيان هنا : ما يتطاير من رشاش الماء والسيل أو ما يشذ عن معظمه (ومن) هنا : بمعنى الباء كقوله تعالى (ينظرون اليك من طرف خفى) . والعصم : الوعول ، واحدها أعصم ، وهو ما كان فى معصمه بياض يخالف لونه ، ومن شأن الوعول أنها تسكن الجبال ، ولا تكاد توجد فى غيرها . (المعنى) ومر هذا المطر على جبل القنان برشاشه فأكره الوعول على النزول منه من كل ناحية .

وتيماءُ لم يترُكْ بها جِذْعَ نخلةٍ ولا أُطُماً إلا مَشِيداً بجَنْدَلِ (١)

كأنَّ ثَبِيراً فى عرانينِ وَبْلِهِ كبيرُ أُناسٍ فى بِجادٍ مُزَمَّلِ (٢)

كأنَّ ذُرَى رأسِ المُجَيْمِرِ غُدوةً من السَّيلِ والغُثَاءِ فَلْكَةُ مِغْزَلِ (٣)

وألْقَى بصحراء الغَبيطِ بَعَاعَهُ نُزُولَ اليمانى ذى العِيابِ المُحَمَّلِ (٤)

كأنَّ مَكاكِىَّ الجِواءِ غُدَيَّةً صُبِحْنَ سُلافاً من رَحيقٍ مُفَلْفَلِ (٥)

---

(١) وتيماء : كانت من مدن اليهود قديما فى الجاهلية ، وهى بين مدائن صالح وتبوك من طريق الشام الى المدينة . وكان بها نخل كثير وقصور حصينة منها الأبلق الفرد . وتسمى العرب القصر العالى والحصن المرتفع أطما (المعنى) أما تيماء فلم يترك بها سيل هذا المطر جذع نخلة لأنه أسقطها جميعا ولم يترك بها بناء قائما إلا اذا كان مشيدا بالجنادل والصخور العظيمة .

(٢) ثبير : اسم جبل . والعرانين : جمع عرنين وهو : أول الشيء ومقدمه . الوبل : المطر الشديد الضخم القطر . والبجاد : الكساء المخطط . والتزميل : اللف فى الثوب ، فالثوب مزمل به (المعنى) كأن هذا الجبل عند أوائل هذا المطر رجل كبير فى بجاد مزمل به . وذلك أنه شبه الجبل وقد غطاه الماء والغثاء إلا رأسه الأسود بشيخ ملتف فى كساء مخطط . وجرّ مزمل على المجاورة اذ كان صفة لكبير . أو هو مجرور على أنه صفة لبجاد على تقدير فى بجاد مزمل به .

(٣) المجيمر : اسم جبل ، وذراه : أعلاه . والغثاء : ما احتمله السيل من حطام النبات ونحوه ، وفلكة المغزل : الخشبة المستديرة فى أعلاه كالقرص (المعنى) أن هذا المطر كشف ما على رأس المجيمر من التراب والنبات ، وأحاط سيله وغثاء سيله بجوانبه على استدارة جعلت رأس المجيمر كأنه فلكة مغزل .

(٤) صحراء الغبيط : من صحارى بلاد العرب ، وأصل الغبيط : الأرض المنخفضة . والبعاع : الثقل والحمل . والمراد هنا السحاب المثقل بالماء . والعياب : جمع عيبة ، وهى : وعاء من جلد يحمل فيه الثياب ونحوها (المعنى) وألقى هذا المطر أثقاله بصحراء الغبيط فأنبتت نباتا حسنا . مختلفا ألوانه وأزهاره ؛ فكان نزوله بها كنزول التاجر اليمانى اذا جاء محملا بعياب ثياب مختلفة الألوان والأصباغ ، ونشرها أمام الناس ترغيبا لهم فى شرائها .

(٥) المكاكى : جمع مكاء كرمان ، وهو طائر كثير الصفير . والجواء : البطن الواسع من الأرض . وصبحن : من الصبوح ، وهو الشرب صباحا . والسلاف : أول ما يعصر من الخمر . والرحيق : صفوة الخمر . والمفلفل : الذى يلذع لذع الفلفل أو الذى وضع فيه الفلفل (المعنى) أن هذا المطر بعد ما نزل فى هذا الوادى جعله روضة من النبات والزهر ، وأصبحت تغرد فيه الطيور مبتهجة كأنها شربت صباحا رحيق سلاف مفلفل فسكرت وطربت ..

كأنَّ السباعَ فيه غرقَى عشيةً ... بأرجائه القُصْوى أنابيشُ عُنْصُلِ (١)

وله من قصيدته التى مطلعها :

ألا أنعِم صباحًا أيّها الطَّلَلُ البالِى ... وهل يَنعمَنْ من كان فى العُصُر الخالى؟ (٢)

*
* *

(١) السباع : جمع سبع ، وهو كل حيوان مفترس أسدا كان أو غيره . والأرجاء : جمع رجا ، وهو الناحية . والعنصل : بصل برى تختفى أصوله تحت الأرض فتنبش ، فهى بعد النبش أنابيش ، جمع أنبوشة . أو لا مفرد لها (المعنى) أن هذا المطر استحال فى بعض الأودية سيلا عظيما أغرق السباع واحتملها طافية على وجه مائه بادية خراطيم رءوسها وأطرافها ؛ كأنها أنابيش عنصل .

(٢) عم صباحا ، وأنعم صباحا : تحية الصباح فى الجاهلية ، كقولهم : عم ، وأنعم مساء : لتحية المساء ، وعم ظلاما : لتحية الليل . و (عم) : فعل أمر من وعم يعم كوزن يزن ، وأنعم صباحا : من النعمة والنعيم . وهو بمعنى عم أيضا . والطلل : الشاخص من الأشياء على وجه الأرض . والمراد هنا آثار دار المحبوبة الشاخصة . والبالى : الدارس الذى كادت معالمه تخفى . والعصر : لغة فى العصر . والخالى : الماضى . (المعنى) أنه مر صباحا على دار كانت تنزلها محبوبته فى العصر الماضى ، فشاهد طللها الدارس فحياه بقوله : أنعم صباحا الخ . ثم راجع نفسه ، وقال : كيف أدعو بالنعمة لشىء وجد منذ زمان طويل ففارقه أهله وبلى ، وفارقته النعمة بفراقهم .

وقـــد أغتدى ، والطيرُ فى وُكُناتِها لِغَيثٍ من الوَسْمِىِّ رائــدُه خالِ(١)

تَحَاماهُ أطــرافُ الرماح تحاميًا وجاد عليـــه كلُّ أسْحَمَ هَطَّال(٢)

بِعِجْلِزَة قـــد أترَزَ الجـــرىُ لحمَها كُمَيْتٍ كأنّها هِراوةُ مِنْـــوال (٣)

ذَعَرتُ بها سِربًا نقيًّا جلودُه ، وأكْرُعُه وَشْىُ البُرود من الخـال(٤)

كأن الصُّـــوارَ إذ تَجاهَـــدْنَ غُدوةً على جَمَزى — خَيـــلٌ تجولُ بأَجْلال(٥)

---

(١) المراد بالغيث هنا : البقل والمرعى ، لأنه أثر الغيث ، وهو المطر . والوسمى : أول مطر الربيع . والرائد : من يبعثه أهله فى طلب المرعى . وخال : أى خال بنفسه . (المعنى) وقد أبكر (والطير لم تزل جاثمة فى أوكارها) لطلب الصيد فى مرعى لم يجسر أحد على رعيه ، فاذا راده رائد جرىء مثلى وجد نفسه منفردا لا يزاحمه عليه مزاحم .

(٢) الأسحم هنا : السحاب الأسود اللون المتراكم . والهطال : الكثير المطر . (المعنى) أن هـذا المرعى منيع تحاماه الرماح أى الفرسان الحاملوها ، لأنه بين حيين متعاديين ؛ فيخشى رعيـه كل منهما ؛ ولكنى بجراءتى قصدته للصيد ، وهو خصب لتوالى الأمطار عليه .

(٣) العجلزة : الفرس الصلبة العضل . وأترز الجرى لحمها : أى أيبسه وضمّره . والكميت : الحمراء الى سواد . والهراوة : العصا الغليظة . (المعنى) أنه يذهب الى الصيد فى هذا الوادى بفرس مضمرة صلبة كأنها الخشبة الغليظة الصلبة التى تلف عليها شقة الثياب عند نسجها بالمنوال .

(٤) ذعرت : أخفت وأفزعت . والسرب : القطيع من بقر الوحش . والأكرع : جمع كراع وهى أطراف القوائم . الخال : الثوب الناعم من ثياب اليمن . (المعنى) أفزعت وهجت بهذه الفرس قطيعا من الوحش بيض الجلود مخططة الأكارع بالسواد ؛ فكأنها ثياب اليمن الموشاة .

(٥) الصوار : القطيع من بقر الوحش ، وتجاهدن : اجتهدن فى العدو ، وعلى : بمعنى مع . والجمزى : نوع من العدو . والأجلال : جمع جل ، وهو ما يوضع على ظهر الفرس ساترا له . (المعنى) كأن قطيع بقر الوحش عند ما اجتهدن فى أن يجرين جرية الجمزى (وهو جرى سريع مع وثب) خيول تجرى عليها أجلال

بجَالِ الصُّـــوارِ ، واتَّقـيْنَ بِقَرهَبٍ ... طويلِ القَرَا والرَّوْقِ أخنَسَ ذَيّالِ(١)

فَعَاديْتُ منــه بين ثورٍ ونَعْجةٍ ... وكان عِدائى إذ رَكِبتُ على بالِى(٢)

كأنّى بِفَتْخـاءِ الجَنَـاحَيْنِ لَقْـوةٍ ... على عَجَلٍ منهـا — أُطَأطِئُ شِملالِ(٣)

تَخَطَّفُ خِزّانَ الأُنَيْعِمِ بالضُّـحَى ... وقــد جَحَرتْ منهـا ثَعالِبُ أوْرَالِ(٤)

كأنّ قلوبَ الطـيرِ رطبًا ويابسًـا ... لدى وَكرِها — العُنّابُ والحَشَفُ البالى(٥)

---

(١) بجال : دار . والقرهب : الكبير الضخم من الثيران ، والقرا : الظهر . والروق : القرن ، والأخنس : المنخفض قصـبة الأنف ، وذلك من صفات البقــر ، والذيال : الطويل الذيل . (المعنى) فدار هذا القطيع دورة . واتقين الصائد بهذا القرهب وتسترن به ، وجعلنه مما يلى الصائد ؛ لأنه أشدّهن . وهذا القرهب طويل الظهر والقرن أخنس الأنف طويل الذنب .

(٢) فعاديت منـه : أى به وعادى بين الصيدين عداء : والى العــدو وتابعه فى طلق واحد . وكان عدائى الخ أى كان على تهمم منى واشتغال به .

(٣) الفتخ : لين وطول فى جناح الطائر . واللقوة : السريعة التى تخطف كل شىء . وطأطأ فرسه : وخزه بفخذيه وحركه للعدو ، والشملال السريعة الخفيفة ؛ يريد فرسه . (المعنى) كأنى عند ما حثثت فرسى وهجتها للعدو — أستحث عقابا طويلة الجناحين سريعة عجلة . أى أن فرسه تشبه العقاب .

(٤) الأنيعم وأورال : موضعان . والخزان : جمع خزز «بضم ففتح» وهو ذكر الأرانب . وجحرت : اختفت فى أجحارها . (المعنى) أن هذه العقاب التى شبه بها فرسه تخطف أرانب الأنيعم ، أما ثعالب أورال فلخبثها تدخل أجحارها .

(٥) العناب : ثمر كالنبق أحمر . والحشف : الردىء المتقبض من التمر (المعنى) كأن قلوب الطير الرطب منها واليابس فى وكر هذه العقاب عناب وحشف بال ، أى أنها تأتى بقلوب الطير تطعم فراخها بها لصغر حجمها . ولكثرة ما تصيد يبقى الكثير منها فى وكرها ما بين حديث رطب وعتيق يابس .

فلو أنّ ما أسـعَى لأدنى معيشـةٍ	كفانى (ولم أطلبْ) قليلٌ مِن المـال[١]
ولكنما أسـعى لمجـد مُـؤَثَّلٍ	وقد يُدرك المجـدَ المؤثّل أمثـالى[٢]
وما المـرءُ ما دامتْ حُشاشةُ نفسه	بمُدرِكِ أطـرافِ الخُطوب ولا آلِ[٣]

ومن مأثور قوله :

وقـد طَـوَّفتُ فى الآفاق حَتَّى	رَضِيتُ منَ الغَنيمـةِ بالإيَاب[٤]

ومنه قوله :

إذا المـرءُ لم يَخزُنْ عليـهِ لسـانَه	فلَيسَ على شيء سـواه بخـزّان[٥]

(١و٢) فاعل كفانى : لفظ قليل — ومفعول أطلب محذوف تقديره ولم أطلب الملك الذى أسعى لاسترجاعه ، وانمـا يرضى بالقليل من يسعى لأدنى معيشة ، أى أطلب عيشة الملك والمجـد المؤثل الأصيل فينا ولو لم أسع له لـكفانى القليل من المـال .

(٣) الحشاشة : بقية النفس . والخطوب : الأمور العظيمة . وأطرافها : غاياتها . والآلى : المقصر. (المعنى) أن الانسان مع سعيه فى دوام حياته لا يدرك نهاية كل ما يريد ، ولو لم يقصر فى الطلب .

(٤) أى وقد أكثرت الطواف فى الآفاق حتى أعيانى الطواف ، وحتى رضيت أن أعود بدل الغنيمة الى أهلى بنفسى . وكان أكثر خروجهم وأسفارهم لطلب الغنائم .

(٥) أى اذا عجز المرء عن ضبط الكلام الذى يخرج من لسانه فهو عن ضبط غيره أعجز .

(٢) لزهير(١) بن أبي سُلْمى من معلقته التي مطلعها :

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّمِ بِحَوْمَانَةِ الدَّرَّاجِ فَالْمُتَثَلَّمِ(٢)

سَعَى سَاعِيَا غَيْظِ بْنِ مُرَّةَ بَعْدَمَا تَبَزَّلَ مَا بَيْنَ الْعَشِيرَةِ بِالدَّمِ(٣)

فَأَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الَّذِي طَافَ حَوْلَهُ رِجَالٌ بَنَوْهُ : من قُرَيْشٍ وَجُرْهُمِ(٤)

---

(١) هو زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزنى ، أحد فحول شعراء الجاهلية الأربعة . وهم : امرؤ القيس ، والنابغة ، وزهير ، والأعشى ثم هو أعفهم قولا وأكثرهم تهذيبا لشعره ، وآل أبي سلمى نشأوا في غطفان أحلافا لهم ، وإن كان نسبهم في مزينة ، وتخرج زهير في الشعر على بشامة بن الغدير الشاعر خال أبيه ، وعلى زوج أمه أوس بن حجر شاعر مضر في زمانه ، ففاقهما في الشعر ، وله ديوان شعره كثير منه في مدح هرم بن سنان الذبياني المرّى ، ومن مدائحه فيه هذه المعلقة ، مدحه بها لحسن سعيه هو والحارث بن عوف في الصلح بين عبس وذبيان في حرب داحس والغبراء بتحملهما ديات القتلى ، وقد بلغت ثلاثة آلاف بعير . ومات قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بسنة .

(٢) أم أوفى : امرأة زهير ، والدمنة : ما اسودّ من آثار الدار من الرماد ونحوه ، وحومانة : القطعة من الرمل ، الدراج والمتثلم : موضعان بنجد (المعنى) أمن دمن أم أوفى دمنة لم تتكلم عند وقوفنا عليها وسؤالنا لها : أين أصحابك ؟ أو قولنا لها : ما كان أطيب أيامنا فيك !

(٣) غيظ بن مرة : حي من غطفان منه هذان الرجلان الساعيان في الصلح بين العشيرة ، يريد بهما هرم بن سنان والحارث بن عوف الممدوحين ، وتبزل بالدم : تشقق به (المعنى) سعى هذان السيدان في الصلح بعد ما تشقق ما بين العشيرة من الألفة والمودّة بالدم .

(٤) جرهم : قبيلة يمانية كانت تملك سدانة الكعبة قبل قريش .

يَمِينًا لَنِعْمَ السَّيِّدانِ وُجِدْتُمَا ... على كُلِّ حالٍ : من سَحِيلٍ ومُبْرَمِ (١)

تَدارَكْتُمَا عَبْسًا وذُبْيانَ بَعْدَ مَا ... تَفانَوْا ، ودَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشِمِ (٢)

وقد قُلْتُمَا : إن نُدْرِكِ السِّلْمَ واسعًا ... بِمالٍ ومَعْروفٍ من الأَمْرِ ــ نَسْلَمِ

فأَصْبَحْتُمَا منها على خَيْرِ مَوْطِنٍ ... بَعِيدَيْنِ فيها من عُقُوقٍ ومَأْثَمِ (٣)

عَظِيمَيْنِ فى عُلْيا مَعَدٍّ وغيرِها ... ومَنْ يَسْتَبِحْ كَنْزًا من المَجْدِ يَعْظُمِ (٤)

فأَصبَح يجرى فيهمُ مِنْ تِلادِكُمْ ... مَغانِمُ شَتَّى مِن إِفَالِ المُزَنَّمِ (٥)

تُعَفَّى الكُلُومُ بالمِئِينَ ، فأَصبحتْ ... يُنَجِّمُها مَن ليس فيها بِمُجْرِمِ (٦)

فمَنْ مُبْلِغُ الأَحْلافِ عَنِّى رِسالَةً ... وذُبْيانَ : هل أقسمتُمُ كُلَّ مُقْسَمِ (٧)

فلا تَكْتُمُنَّ اللهَ ما فى نفوسِكُمْ ... لِيَخْفَى ، ومَهْما يُكْتَمِ اللهُ يَعْلَمِ

---

(١) السحيل : الخيط أو الحبل يفتل فتلا واحدا ، والمبرم : ما يفتل خيطين ثم يفتلان ثانية ويجعلان خيطا واحدا (المعنى) أقسم يمينا لنعم السيدان أنتما فى حال الرخاء وحال الشدّة .

(٢) « دقوا بينهم عطر منشم » : مثل يضرب فى شدّة التشاؤم وانتشار الشر بين القوم ، وأصله أن امرأة عطارة تعطر أقوام بعطرها وخرجوا للحرب فهلكوا .

(٣) العقوق : قطيعة الرحم ، والمأثم : الإثم .

(٤) معد بن عدنان أبو القبائل النزارية ومنها الممدوحان .

(٥) التلاد من الإبل : ماولد عندك ، والإفال : جمع أفيل ، وهو الفصيل الصغير ، والمزنم : فحل كريم من الإبل زنموا أذنه ، أى ميزوه بعلامة . يقول : أصبح يجرى فى أولياء المقتولين من نفاس أموالكم غنائم شتى من إبل صغار معلمة .

(٦) التعفية : المحو وإزالة الأثر . والكلوم : الجراح . وينجمها : يدفعها نجوما أى أقساطا . (المعنى) أن الجراح يمحى أثرها ببذل المئين من الإبل يغرمها على أقساط من لم يجن فيها جريمة ، وهما الممدوحان .

(٧) يريد بالأحلاف القبائل التى حالفت ذبيان على حرب عبس ، و « هل » هنا بمعنى « قد » مثل « هل أتى على الانسان حين من الدهر » . (المعنى) أبلغ ذبيان وأحلافها بأنكم قد أقسمتم كل قسم عظيم على الصلح ، فلا تضمروا الغدر وتكتموه ؛ فان الله يعلمه ، و يعاقبكم عليه فى يوم الحساب ، أو يعجل عقابكم — ومن هذا يعرف أنه كان مؤمنا بالبعث .

يُؤَخَّرْ ، فَيُوضَعْ فى كتابٍ ، فَيُدَّخَرْ لِيَوْمِ الحِسابِ ، أَوْ يُعَجَّلْ ، فَيُنْقَمِ

وَمَا الحَرْبُ إِلَّا ما عَلِمْتُمْ وَذُقْتُمُ وما هُوَ عنها بالحَدِيثِ المُرَجَّمِ (١)

مَتَى تَبْعَثُوها تبعثوها ذَمِيمَةً وَتَضْرَ إِذَا ضَرَّيْتُمُوها ، فَتَضْرَمِ (٢)

فَتَعْرُكُكُمْ عَرْكَ الرَّحا بِثِفَالِها ، وتَلْقَحْ كِشَافًا ، ثُمَّ تَحْمِلْ ، فَتُتْئِمِ (٣)

فَتُنْتِجْ لَكُمْ غِلْمَانَ أَشْأَمَ ، كُلُّهُم كَأَحْمَرِ عادٍ ، ثم تُرْضِعْ فَتَفْطِمِ (٤)

فَتُغْلِلْ لَكُمْ ما لا تُغِلُّ لِأَهْلِها قُرًى بالعِراقِ مِن قَفِيزٍ ودِرْهَمِ (٥)

---

(١) المرجم من الحديث المقول بطريق الظن ، لا عن تحقيق . أى : وما حديثى عن الحرب وتخويفكم و يلاتها بالحديث المفترى ، بل أنتم قد علمتم و يل الحرب وذقتموه ، فلا تقربوها .

(٢) الضرى والضراوة : شدة الحرص ، والتضرية : الحمل على الضراوة . وضرمت النار تضرم : التهبت . (المعنى) متى تهيجوا الحرب تهيجوها مذمومة ، و يشتد حرها ، وتضطرم نارها .

(٣) العرك : الدلك ، والثفال : الجلد أو الخرقة توضع تحت الرحا ليقع عليها الطحين ، والباء فى « بثفالها » بمعنى « مع » أى الرحا فى حال طحنها . و « تلقح كشافا » أى وتلقح لقاحا كشافا بأن تحمل فى عامين متواليين ، وتتئم أى تأتى فى كل مرة من المرتين بتوأمين . (المعنى) إذا هجتم الحرب طحنتكم طحن الرحا ، وتدوم زمنا طويلا فى شدة ، فتكون كالناقة التى تحمل حملين فى عامين متتابعين ، ثم هى لا تلد إلا توأمين .

(٤) أشأم : مصدر من الشؤم على وزن أفعل أو صفة لمحذوف . وأحمر عاد لقب لعاقر ناقة صالح نبى ثمود عليه السلام ، وسموه قدارا ، وكان عقره لهذه الناقة شؤما على قومه ، و يريد بعاد هنا ثمود : إما توهما وخطأ ، و إما أن ثمودا من عاد . (المعنى) ان هذه الحرب يطول أمرها وتنتج لكم غلمان شؤم أو غلمان أب أشأم شؤم قدار عاقر الناقة ، ثم تعيش هذه الغلمان ، فترضع وتفطم . وكل ذلك كناية عن طول الحرب وشرورها .

(٥) أى تغل لكم غلة ليست كغلة قرى العراق من الحب الذى يكال بالقفيز ، أو من ثمن الغلة وهى الدراهم . وإنما تغل لكم غلة هى الموت والهلاك .

لَعَمْرِي لَنِعْمَ الحَيُّ جَرَّ عَلَيهِمُ ... بِمَا لَا يُؤَاتِيهِمْ حُصَيْنُ بْنُ ضَمْضَمِ (١)
وكَانَ طَوَى كَشْحًا على مُسْتَكِنَّةٍ ... فلا هــو أَبْدَاها ، ولم يَتَجَمْجَمِ (٢)
وَقَالَ : سَأَقْضِي حَاجَتِي ، ثُمَّ أَتَّقِي ... عَــدُوِّي بأَلْفٍ مِن ورائِيَ مُلْجَمِ (٣)
فَشَــدَّ ، ولم تَفْزَعْ بُيُوتٌ كَثِيرَةٌ ... لَدَى حَيْثُ أَلقَتْ رَحْلَهَا أُمُّ قَشْعَمِ (٤)
لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السِّلاحِ مُقَذَّفٍ ... لــه لِبَــدٌ ، أَظْفَـارُه لم تُقَــلَّمِ (٥)
جَرِيءٍ مَتَى يُظْلَمْ يُعَاقِبْ بِظُلْمِـهِ ... سَرِيعاً ، وإِلَّا يُبْـدَ بِالظُّلْمِ يَظْلِمِ (٦)

---

(١) يؤاتيهم : يوافقهم . (المعنى) نعم الحى الذين رضوا بالصلح بعد ما جر عليهم الحصين بن ضمضم من تلك الجريرة والجناية التى لا تجعلهم يوافقون على الصلح ، ثم أخذ يقص قصة الحصين بقوله : « وكان طوى كشحا الخ » وملخص هذه القصة أن رجلا من بنى عبس قتل أخا للحصين بن ضمضم قبل الصلح ، فلما اصطلحت عبس وذبيان أضمر الحصين بن ضمضم الأخذ بالثأر بقتل قاتل أخيه أو بقتل رجل من أهله الى أن لقى رجلا من عبس فشدّ عليه وقتله ، واعتمد على أن يناصره ألف فارس من قومه اذا غضبت عبس لقتيلها ، فثارت عبس وتدارك الحارث بن عوف الشر ، فدفع لعبس مائة من الإبل دية القتيل وتم الصلح بين عبس وذبيان .

(٢) مستكنة أى فعلة أو جريمة مستكنة مستترة فى نفسه ، فلا هو أظهرها حتى يؤخذ الحذر منه ولا هو تردد فى الإقدام عليها .

(٣) أى وقال فى نفســه : سأقضى حاجتى بقتل قاتل أخى ، وأدفع عن نفسى بألف فرس ملجم أى بألف فارس من قومى .

(٤) أم قشعم : كنية للمنية ، ومعنى إلقاء رحلها فى مكان تحقق الموت فيه . (المعنى) فشدّ الحصين على العبسى غدرا من غير أن تعلم بذلك بيوت كثيرة من عبس ، فكانت تفزع لصاحبها وتدفع عنه ، وإنما شدّ عليه عند موضع نزل فيه الموت المحقق الذى لا يدفع .

(٥) يصف جيش عبس الذى لم يعلم بالجريمة ولو علم بها لدافع عنها . ويقول : كان هذا عند رجل كالأسد الذى له لبد على عنقه ، ولم تقلم أظفاره ، وأنه شاكى السلاح يقذف به فى الحروب .

(٦) يصف هذا الجيش بأنه جرىء ، إذا ظلم عاقب ظالمه سريعا بظلمه ، وإن لم يبدأه الناس بالظلم بدأهم هو بظلمه لثقته بنفسه .

رَعَوْا مارَعَوْا مِن ظِمْئِهِم، ثمّ أَوْرَدُوا ... غِمَاراً تَسِيل بالرماح وبالدم (١)

فَقَضَّوْا مَنَايَا بينهم، ثُمَّ أَصْدَرُوا ... إلى كَلَإٍ مُسْتَوْبَلٍ مُتَوَخَّم (٢)

لَعَمْرُكَ ما جَرَّتْ عليهم رِمَاحُهُم ... دَمَ ابنِ نَهِيكٍ أَوْ قَتِيلِ المُثَلَّم (٣)

وَلا شَارَكُوا في القَوْمِ في دَمِ نَوْفَلٍ، ... ولا وَهَبٍ منهم، ولا آبنِ المُخَزَّم

فَكُلّاً أَرَاهُمْ أَصْبَحُوا يَعْقِلُونَه ... عُلَالَةَ أَلْفٍ بَعْدَ أَلْفٍ مُصَتَّم (٤)

تُسَاقُ إلى قَوْمٍ لِقَوْمٍ غَرَامَةً ... صَحِيحَاتِ مَالٍ طَالِعَاتٍ بِمَخْرَم

لِحَيٍّ حِلَالٍ يَعْصِمُ النَّاسَ أَمْرُهُم ... إذا طَلَعَتْ إحْدَى اللَّيَالِي بِمُعْظَم (٥)

---

(١) يقال رعت الماشية الكلأ ورعاها صاحبها الكلأ أيضا، والظمء: ما بين الشربتين وحبس الإبل عن الماء الى غاية النوبة، والغمار: جمع غمر وهو الماء الكثير. ويريد بالظمء هنا وبورود الغمار الرجوع الى الحرب. (المعنى) تركوا الحرب وبقوا يتمتعون بنعيم السلم مدّة، ثم عادوا وأوردوا أنفسهم غمارا منها لا تسيل إلا بالرماح والدم.

(٢) قضوا: أنفذوا. وأصدروا: أرجعوا، والكلأ المستوبل: هو ما تجده وبيلا من العشب، أى يجلب الوبال، والمتوخم بمعناه. (المعنى) أنهم بمنزل رعى الكلا الوبيل. ثم أضرب عن هذا الكلام وعاد الى مدح الذين أعطوا ديات القتلى فقال: لعمرك الخ.

(٣) ابن نهيك، والقتيل الذى قتل فى المكان المثلم، ونوفل ووهب وابن المخزم، كل هؤلاء عقلهم هرم بن سنان والحارث بن عوف، أى غرموا دياتهم لأولياء دمائهم مع أنهم لم يقتلوهم برماحهم، وإنما غرموا تبرعا وإيثارا للصلح بين القبيلتين.

(٤) العلالة: الشيء بعد الشيء. والمصتم: التام. والمخرم: الطريق فى أعلى الجبل (المعنى) أرى هؤلاء الكرام يعقلون القتلى بألف تام العدد بعدها ألف أخرى من الابل الصحيحات التى تساق الى أولياء القتلى طالعات فى أعالى الجبل لأجل الرعاية للقوم القاتلين.

(٥) الحى الحلال: الكثير العدد، أو المتقاربون فى المنازل، المعظم: الخطب العظيم. (المعنى) تساق هذه الابل، لأجل المحافظة على ولاء حى يحفظون جيرانهم اذا نزلت بهم الخطوب العظيمة وهم =

كِرامٍ، فلا ذُو الوِتْرِ يُدرِكُ وِتْرَه   لَدَيْهِمْ، ولا الجَانِي عليهم بمُسْلِم

(٣) لعَمرو بن كُلثوم من معلقته التى مطلعها :[١]

أَلَا هُبِّي بِصَحنِك فَاصْبَحِينا   ولا تُبْقِي خُمورَ الأَنْدَرِينَا[٢]

***

أَبَا هِنْدٍ فلا تعجَلْ علينا   وأَنظِرْنا نُخَبِّرْكَ اليقينَا[٣]

بِأَنَّا نُورِدُ الرَّاياتِ بِيضًا   ونُصْدِرُهُنَّ حُمْرًا قَدْ رَوِينَا[٤]

وَأَيَّامٍ لنا غُرٍّ طِوالٍ   عَصَيْنَا المَلْكَ فِيهَا أن نَدِينَا[٥]

وسَيِّدِ مَعْشَرٍ قد تَوَّجُوه   بتاجِ المُلْكِ يَحْمِي المُحْجَرِينَا[٦]

= كرام شجعان لا يدرك صاحب الوتر – أى الثأر – وتره منهم، ولا الجانى عليهم ، اجرءايهم من الجنايات فى العشائر الأخرى بمسلم أى مخذول لا ينتصر له .

(١) هو عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب التغلبى سيد تغلب وفارسها وأحد فتاك العرب وشعرائهم المشهورين بقصيدة واحدة والمجيدين للفخر . وأمه ليلى بنت مهلهل أخى كليب . قال هذه المعلقة فى ملاحاة وقعت بينه و بين الحارث بن حلزة اليشكرى فى مجلس الملك عمرو بن هند يصف فيها حديثه مع ابن هند، ويفتخر بأيام قومه وغاراتهم المشهورة — ومات قبل الإسلام بنحو نصف قرن .

(٢) الصحن : القدح الواسع ، وأصبحينا أى أسقينا الصبوح وهو الشرب فى الصباح ، والأندرين : قرية جنوبى حلب من بلاد الشام .

(٣) أنظرنا : أى أمهلنا .

(٤) أى أنا نورد راياتنا الحرب وهى بيض ، ونصدرها وهى حمر ، وقد رويت من دماء أعدائنا .

(٥) أى ونخبرك بأيام حرب لنا مشهورة عصينا الملك فيها أن نخضع له ونذل .

(٦) المحجرون : اللاجئون الى من يحميهم ، مشتق من أحجره اذا ألجأه الى المضيق . وخبر "سيد" فى البيت الذى بعده .

تركنا الخيلَ عاكفةً عليه مُقلَّدةً أعنّتَها صُفونا (١)
وأنزلنا البيوتَ بذى طُلُوحٍ إلى الشاماتِ تَنْفِي الموعِدينا (٢)
وقد هرّتْ كِلابُ الحيِّ منّا وشذّبنا قَتادةَ من يَلِينا (٣)
متى نَنْقُلْ إلى قومٍ رَحانا يكونوا فى اللّقاءِ لها طَحِينا
يكونُ ثِفالُها شرقيَّ نجدٍ ولُهْوتُها قُضاعةَ أجمَعِينا (٤)
نزلتم منزلَ الأضيافِ منّا فأعجلنا القِرى أن تَشتِمونا (٥)
قرَيْناكمْ فعجّلنا قِراكُم قُبَيْلَ الصُّبحِ مِرْداةً طَحونا
نَعُمُّ أُناسَنا ، ونَعِفُّ عنهمْ ونَحمِلُ عنهمُ ما حَمَّلُونا (٦)

(١) أى قتلناه واسترحنا منه ونزلنا عن خيولنا لأخذ سلبه وسلب أصحابه ، فبقيت خيولنا واقفة عليه صافنة . والصافن : القائم ، أو الذى يرفع إحدى قوائمه لعبا .

(٢) ذو طلوح : مكان بجنوب نجد بين اليمامة ومكة ، والشامات : جمع شامة ، والشامة والشامات تسمى بهما بلاد الشام أحيانا ، وننفى الموعدين أى نزيل من بين هذين البلدين أعداءنا الذين يوعدوننا ، فنملك هذه الأرضين الواسعة ، وننزل بها بيوتنا .

(٣) هرت الكلاب : نبحت خوفا ، والتشذيب : قطع أغصان الشجرة أو شوكها ، والقتادة : الشوكة ، أى أذهبنا شوكة من يلينا و يقرب منا من الأعداء .

(٤) الثفال : جلدة أو خرقة تجعل تحت الرحا يسقط عليها الطحين ، واللهوة : القبضة من الحب تلقى فى الرحا (المعنى) أن كيدنا وحربنا تشبه الرحا ، وهذه الرحا تدور بالحرب فى شرقى نجد وتلتهم قضاعة أجمعين وهى قبيلة عظيمة .

(٥) القرى : الضيافة . يسخر بأعدائه و يقول : نزلتم علينا فى إغارتكم كالأضياف ، فعجلنا قراكم بحرب طحون خشية شتمكم إيانا ، وجعلنا ضيافتكم قتالا طحنكم كطحن المرداة للحجارة . والمرداة الصخرة التى تكسر بها الحجارة و يدق بها النوى .

(٦) أى نعم قومنا بخيرنا اذا أيسرنا ، ونعف عن أموالهم اذا أعسرنا ، ونتحمل عنهم ما حملونا من الديات والمغارم والدفاع .

نُطاعِنُ ما تَراخى الناسُ عنّا ... ونَضرِبُ بالسُّيوفِ إذا غُشِينا (١)

بِسُمْرٍ من قَنا الخطِّيِّ لُدْنٍ ... ذَوابِلَ ، أو بِبِيضٍ يَعْتَلينا (٢)

نَشُقُّ بها رءوسَ القوْمِ شقًّا ... ونُخْليها الرِّقابَ ، فتَخْتَلينا

كأنَّ جَماجِمَ الأبْطالِ فيها ... وُسُوقٌ بالأَماعِزِ يَرْتَمِينا (٣)

وأنَّ الضِّغْنَ بعدَ الضِّغْنِ يبدو ... عليك ، ويُخرِجُ الداءَ الدَّفينا (٤)

ورِثْنا المجْدَ قد عَلِمتْ مَعَدٌّ ... نُطاعِنُ دونَهُ حتى يَبِينَا (٥)

ونحنُ إذا عِمادُ الحَيِّ خرَّتْ ... على الأَحْفاضِ نَمنَعُ من يَلِينَا (٦)

نَجُدُّ رءوسَهمْ فى غيرِ بِرٍّ ... فما يَدرون ماذا يَتَّقُونا (٧)

---

(١) أى أننا نحسن استعمال السلاح ؛ فنطاعن أعداءنا بالرماح اذا لم يلاصقونا ودنت أشخاصهم منا ، فاذا لاصقونا ضاربناهم بالسيوف .

(٢) ثم وصف هذه الرماح التى يطاعن بها ، فقال : إنها سمر لنضجها فى منابتها ، وانها من القنا الخطىّ أى منسوبة الى بلدة الخط على ساحل البحرين من خليج فارس تجلب منها الرماح ، واللدن جمع لدن (كسهم) وهو المرن فى صلابة . و وصف السيوف فقال إنها بيض تعتلى الرءوس فتشق هاماتها ، ونضرب بها الرقاب فتقطعها كما يقطع المحش الخلا وهو النبات الرطب ، أى نجعل الرقاب لها كالخلا ، فتختليها أى تحشها .

(٣) الأماعز : جمع أمعز ، وهى الأرض الصلبة الكثيرة الحصى ، والوسوق : جمع وسق ، وهو الحمل . يقول كأن رءوس الشجعان أحمال إبل تسقط فى الأراضى الصلبة .

(٤) الضغن : الحقد الذى يخفى .

(٥) معد بن عدنان أبو الشعب العظيم المقابل لشعب قحطان ، والشاعر من شعب معد — يقول : تعلم قبائل معد جميعهم أننا ورثنا المجد عن آبائنا فلم نفرط فيه بل دافعنا دونه حتى لا يزايلنا ويخفى عنا .

(٦) العماد : جمع عمود ، وخرت : سقطت ، والأحفاض : جمع حفض (كسبب) وهو متاع البيت . وسقوط الأعمدة على أمتعة البيت كناية عن تقويض البيوت للرحلة والطعن (المعنى) إذا حل غيرنا خيامهم للهرب ، فنحن لا يطمع فينا طامع بل نحمى أنفسنا ، ونمنع جيراننا .

(٧) أى فنقطع رءوسهم فى غير بر منا ، ولا شفقة عليهم ، ونذهلهم ؛ فلا يدرون أى شىء يجانبونه ، ويبتعدون عنه من السلاح لأن سيوفنا تعجلهم عن الاتقاء .

كأنَّ سُيوفَنا فِينَا وفيهِمْ ... مَخَارِيقٌ بأيدِي لاعبينا (١)

كأن ثيابَنا منّا ومنهمْ ... خُضِبْنَ بأُرْجُوانٍ أو طُلِينا (٢)

إذا ما عَيَّ بالإِسْنَافِ حَيٌّ ... من الهَوْلِ المُشَبَّهِ أن يكونا (٣)

نَصَبْنَا مثلَ رَهْوَةَ ذاتَ حَدٍّ ... مُحافظةً، وكُنَّا السابِقينا

بشُبانٍ يَرَوْنَ القتلَ مَجْداً ... وشِيبٍ في الحروب مُجَرَّبينا

حُدَيَّا الناسِ كلِّهمُ جميعاً ... مقارعةً بنيهِمْ عن بنينا (٤)

فأما يومَ خَشْيَتِنا عليهمْ ... فتُصْبِحُ خيلُنا عُصَباً ثُبِينا (٥)

وأما يوْمَ لا نخشى عليهم ... فنُمعِنُ غارةً متلَبِّبينا (٦)

---

(١) لم يصف أعداءه بالجبن وقلة الدفاع عن أنفسهم، بل يقول. إننا انتصرنا على أقوام شجعان ماهرين فى استعمال السيوف مثلنا؛ فكانت سيوفنا وسيوفهم كمخاريق بأيدى لاعبين. والمخاريق: جمع مخراق، وهو المنديل أو الخرقة تلف ويضرب بها، وهى لعبة من لعب الصبيان (الطره).

(٢) الأرجوان: صبغ أحمر، كأن ثيابنا وثيابهم صبغت بالصبغ الأحمر من كثرة الدماء.

(٣) عيّ بالأمر: تحير فيه ولم يهتد لوجه الصواب فيه، والإسناف التقدم بالخيل الى القتال (المعنى) اذا تحير قوم فى الإقدام على القتال من شدة الهول المخشى أن يقع نصبنا نحن للقتال كتيبة ضخمة مثل جبل (رهوة) ذات حد وشوكة محافظة على أحسابنا؛ وكان غيرنا المترددين، وكنا نحن السابقين الى القتال بشبان الخ.

(٤) الحديا: مصغر الحدوى: اسم من التحدى، وهو المباراة ومنازعة الغلبة فى الأمر العظيم (المعنى) نحن حديا الناس كلهم لا نخشى قوما منهم، بل نتحدى الجميع، ونقول لهم اخرجوا الى قتالنا: نفعل ذلك من أجل مقارعتنا (أى مضاربتنا وممانعتنا) بنيهم عن بنينا.

(٥) العصب: الجماعات، والثبون الجماعات من الخيل والناس فى تفرقة، جمع ثبة (بالضم).

(٦) أمعن فى الأمر: أبعد فيه وتوغل، وهو يتعدى بحرف الجر (فى) واذن فتكون غارة منصوبة على أنها مفعول مطلق، أو على الظرفية على تقدير وقت الغارة، أو على نزع الخافض، والتلبب التحزم =

بِرأسٍ من بَنِي جُشَمَ بنِ بَكْرٍ   نَدُقّ به السُّهولةَ والحُزونا (١)

ومنها يفتخر بقومه :

وقد عَلِمَ القبائلُ من مَعَدٍّ   إذا قُبَبٌ بأبطَحِها بُنِينا
بأنّا المطعِمُون إذا قَدَرنا   وأنا المهلِكُون إذا ابتُلينا (٢)
وأنا المانِعُون لما أردنا   وأنا النازِلُون بحيثُ شِينا (٣)
وأنا التاركون إذا سَخِطنا   وأنا الآخِذون إذا رضِينا (٤)
ونشْرَبُ إن وَرَدْنا الماءَ صَفْوًا   ويشربُ غيرُنا كدَرًا وطِينا (٥)
إذا ما المَلْكُ سام الناس خَسْفًا   أَبَيْنا أن نُقِرَّ الذُّلَّ فينا
لنا الدنيا ومَن أمسَى عليها   ونَبْطِشُ حينَ نبطش قادرينا
بُغاةً ظالمين وما ظُلِمنا   ولكنا سنبدأ ظالمينا (٦)

= بالسلاح، والتشمير فى الأمر (المعنى) أننا يوم خوفنا على أبنائنا من إغارة أعدائنا علينا نستعد للقتال ميكرين وننشر خيلنا فى الأرض فرقا وجماعات للدفاع عنهم، وفى يوم أمننا عليهم نبادئ نحن غيرنا من الأعداء بالإغارة عليه مبعدين فيها، منشمرين لها، مدججين بالأسلحة؛ فالقتال دأبنا فى الخوف والأمن .

(١) الرأس : الحى الذين لا يحتاجون إلى إعانة أحد، أو الرأس : رئيس القوم وسيدهم، وجشم بن بكر أحد أجداد الشاعر . (المعنى) أننا عند إمعاننا فى الغارة نغير على أعدائنا بحى من بنى جشم ابن بكر لا يحتاجون الى نجدة غيرهم، فندق بهم السهول والأوعار، أى نهزم الضعاف والأشداء، أو نغير عليهم يقودنا فارس هذه صفته .

(٢) يعنى أننا إذا قدرنا على الناس لا نستذلهم بل نطعمهم ونرغد عيشهم، وإذا ابتلانا عدونا بحرب أهلكناه .

(٣) يريد أننا نمنع ونحمى ما نريد من البلاد والناس، فلا يستطيع أحد أخذه منا ولا معارضتنا فلنا البلاد ننزل أى مكان شئنا .

(٤) أى أننا أقوياء أحرار لا سيطرة لأحد علينا، نترك الشىء ونأخذه كما نهوى .

(٥) أى لا يشرب الناس من المورد إلا بعد أن نشرب، فيكون الماء قد تكدر بالطين .

(٦) كانت العرب تتباهى بالحرية والمنعة ويفخرون بأنه ليس فى استطاعة غيرهم أن يظلمهم لقوته، بل هم الذين يبدءون غيرهم بالظلم لاعتقادهم أن (من لا يظلم الناس يظلم) .

ملأْنا البَرَّ حتى ضاق عنا ونحن البحرَ نملؤه سَفينا (١)

إذا بَلَغَ الرضيعُ لنا فِطاما تخِرُّ له الجبابرُ ساجدينا

(٤) عنترة بن عمرو بن شدّاد العبسىّ (٢) :

من معلقته التى مطلعها :

هل غادرَ الشعراءُ مِنْ مُتَرَدَّمِ أم هلْ عرَفْتَ الدارَ بَعْدَ توَهُّمِ (٣)

* * *

أثني علىَّ بما علِمتِ ، فإننى سَمْحٌ مُخالَقَتى إذا لم أُظْلَمِ (٤)

فإذا ظُلِمْتُ فإن ظُلْمِىَ باسلٌ مرٌّ مَذاقَتُه كطعمِ العَلْقَمِ (٥)

---

(١) كانت تغلب تسكن شواطئ الفرات وربما امتدت ديارهم إلى ساحل الخليج الفارسى ؛ ولذلك يقع فى شعر تغلب وأختها بكر بن وائل ذكر السفن وأدواتها .

(٢) هو أحد فرسان العرب وأغربتها (سودانها) وأجوادها وشعرائها المشهورين بالفخر والحماسة ، وأمه أمة حبشية يقال لها « زبيبة » على وزن كبيرة . وكان أبوه وأهله يعدونه فى عداد العبيد على عاداتهم فى أبنائهم المولدين من الإماء ، فكان يرعى إبلهم وخيلهم ، ولكنه كره ذلك ، ومارس الفروسية ، وأنقذ قومه من المهالك فى غارات أعدائهم عليهم ، فأعتقه أبوه ، وخاض مع قومه أكثر الوقائع ، ومنها حروب داحس والغبراء ، حتى صار فارس عبس الأوحد ، وضرب به المثل فى الشجاعة . ومات قبيل الإسلام .

(٣) غادر بمعنى ترك و (من) زائدة . والمتردم : اسم مفعول من تردم ثوبه بمعنى أصلحه ورقعه . و (أم) بمعنى بل للإضراب . والتوهم : التفرس . (المعنى) هل ترك الشعراء شيئا من الشعر لم يصلحوه ويهذبوه أو معنى لم يسبقوا اليه حتى يتهيأ لمثلى أن يأتى به . ثم خاطب نفسه وقال : بل هل عرفت دار محبوبتك بعد تفرسك فى آثارها .

(٤) المخالقة : المعاشرة بخلق حسن ، والخطاب لحبيبته .

(٥) الباسل هنا الكريه ، والبشع الطعم . والعلقم : الحنظل وكل شىء مر الطعم جدا .

ولقد شَرِبْتُ من المُدامةِ بعْـدَ ما ... رَكَدَ الهـواجرُ بالمَشُوفِ المُعْلَمِ (١)

بزُجاجةٍ صـفراءَ ذاتِ أسِرَّةٍ ... قُرِنَتْ بأزهرَ فى الشِّمال مُفَـدَّمِ (٢)

فاذا شَرِبتُ فإنّنى مسـتهلِكٌ ... مالِى ، وعِرضى وافـرٌ لم يُكْلَمِ (٣)

و إذا صَحوتُ فمـا أُقَصِّرُ عن نَدًى ... وكما علِمتِ شمـائلى وتكرُّمى

وحَليـلِ غانيـةٍ تركتُ مُجَـدَّلًا ... تمكو فريصتُه كشِدْقِ الأعلمِ (٤)

عَجِلتْ يداىَ له بمـارِقِ طَعْنـةٍ ... ورَشاشِ نافـذةٍ كلونِ العَنْـدَمِ (٥)

هلَّا سألتِ القـومَ يآبنـةَ مالكٍ ... إن كنتِ جاهلةً بمـا لَمْ تعلَمى

---

(١) الهواجر : جمع هاجرة ، وهى نصف النهار عنـد زوال الشمس أو من زوالهـا الى العصر . ومعنى ركود الهواجر سكونها ، أى سكون الناس فيها فى بيوتهم . والمشوف : المجلو . والمعلم : المنقوش ، وأراد به القـدح الذى شرب به الخمر ، أو الدينار ، أو الدرهم الذى اشتراها به ، والأقرب الأوّل ؛ لأن البيت الآتى يوضحه .

(٢) الزجاجة الصفراء : يريد بها القدح ، وصفرتها آتية من صفرة الخمرة . والأسرة جمع سرار بالكسر ، وهو الخط فى بطن الكف أو الوجه والجبهـة ، والمراد بهـا الحزوز والخطوط فى الكأس . والأزهر : الأبيض الحسن يريد به الأبريق . والمفدم : الذى عليه الفدام ، وهى المصفاة تكون على فم الأبريق . (المعنى) ولقد شربت المدامة بزجاجة صفراء أى كأس صفراء مقرونة بإبريق أبيض ركبت على فمه مصفاة كان فى جهة الشمال من الكأس أو فى شمال الساقى .

(٣) وافر أى تام سليم لم يجرح بسب أو طعن فيه .

(٤) الحليل : الزوج . ومجدلا : صريعا على الجدالة وهى الأرض . وتمكو : تصفر وتصوّت . الفريصة : العضـلة التى ترعد من جسم الدابة أو الإنسان إذا خاف . والأعلم : المشقوق الشفة العليـا . (المعنى) ورب زوج غانية حسناء قتلته ، وتركته صريعا على الأرض تصوّت فريصته من شدّة انفجار الدم منها بعد طعنة فيها كشدق الرجل الأعلم .

(٥) مارق طعنة : أى بطعنة عاجلة . ورشاش نافذة : أى وبرشاش طعنة نافذة الى الجوف . ولون هذا الرشاش كلون الصبغ الأحمر المسمى العندم .

إذ لا أزالُ على رِحالةِ سابحٍ ... نَهْدٍ تَعاوَرُهُ الكُماةُ مُكَلَّمِ (١)
طورًا يُعرَّضُ للطِّعانِ ، وتارةً ... يأوِي إلى حَصِدِ القِسِيِّ عَرَمْرَمِ (٢)
يُخْبِرْكِ مَنْ شهِدَ الوقائعَ أنني ... أَغشىْ الوغَى وأَعِفُّ عند المغنَمِ (٣)
ومُدَجَّجٍ كرِهَ الكُماةُ نِزالَهُ ... لا مُمْعِنٍ هرَبًا ولا مستسلِمِ (٤)
جادت يدايَ له بِعاجِلِ طعنةٍ ... بِمُثقَّفٍ صَدْقِ القَناةِ مُقَوَّمِ
بِرَحيبةِ الفَرْغَيْنِ يَهدي جرسُها ... بالليلِ مُعْتَسَّ السِّباعِ الضُّرَّمِ (٥)
فشكَكْتُ بالرمحِ الطويلِ ثيابَه ... ليس الكريمُ على القَنا بمحرَّمِ (٦)

---

(١) الرحالة : سرج كان يعمل من جلود الغنم بأصوافها ؛ يتخذ للجرى الشديد ليس له قربوس ولا مؤخرة . والسابح : الفرس الذى يبسط يديه معا عند العدو . والنهد : الغليظ الصدر ، وتعاوره الكماة أى تتعاوره وتتناوبه الفرسان التامو السلاح بالطعن ، والكماة : جمع كمى ، والمكلم المجرح .

(٢) الحصد من القسى : المحكم فتل أوتاره وربطها . والشىء العرمرم : الكثير . (المعنى) هذا الفرس يهيأ مرة لمقابلة الطعان ، وتارة للقسى المتينة الكثيرة ؛ فهو مدرب على الحروب .

(٣) يخبرك مجزوم فى جواب (هلا سألت) لأنه بمنزلة الأمر .

(٤) المدجج بالسلاح : الذى ستربه أى أنه تام السلاح مثل الكمى و(هربا) منصوب على أنه مفعول مطلق لأن أمعن يتعدّى بفى فكان حقه فى غير الشعر أن يكون لا ممعن فى الهرب ، ولكن لما كان لفظ ممعن يراد به معنى الهارب كان بمنزلة لا أدعه تركا (المعنى) ورب فارس تام السلاح تكره الأبطال التامو السلاح مثله نزاله ، وهو لا يهرب من الأعداء لفرط بأسه ، ولا يستسلم لهم فيأسروه ، فتنته بطعنة عاجلة من رمح مثقف مقوّم صدق القناة صلبها مستويها .

(٥) برحيبة الفرغين : بيان لقوله (بعاجل طعنة) ، ورحيبة : واسعة . والفرغ : مصب الماء من الدلو ، وللدلو فرغان . والجرس : الصوت . والمعتس من السباع : الطالب الشىء ليلا . والضرم : الجياع (المعنى) جادت يداى له بطعنة شقت من جسمه كالدلو الواسعة ، يهدى خرير الدماء منها جياع السباع الى قتيلها فتأتى لتأكله .

(٦) قالوا إن الثياب هنا كناية عن القلب لأن الرجل لا يقتل بشك الثياب وإنما المراد : أن الرمح شق ثيابه وخرق صدره وقلبه .

فتركته جَزَرَ السباعِ يَنُشْنَه ما بين قُلَّةِ رأسِه والمِعصَمِ (١)
ومِشَكِّ سابغةٍ هَتَكْتُ فُروجَها بالسيف عن حامى الحقيقةِ مُعْلَمِ (٢)
رَبِذٍ يَداهُ بالقِداحِ إذا شَتا هَتَّاكِ غاياتِ التِّجارِ مُلَوَّمِ (٣)
بَطَلٍ كأنَّ ثيابَه فى سَرْحةٍ يُحْذَى نِعالَ السِّبتِ ليس بِتَوْءَمِ (٤)
لما رآنى قد قصدتُ أريده أبدَى نواجذَه لغيرِ تَبَسُّمِ (٥)
فطعنتُه بالرمح ، ثم عَلَوْتُه بمهنَّدٍ صافى الحديدة مِخْذَمِ (٦)

---

(١) الجزر : جمع جزرة ، وهى الشاة تذبح أو الناقة . وينشنه : يعنى يتناولنه بالأكل من رأسه الى يده .

(٢) المشك : الدرع التى أحكم اتصال حلقها ومساميرها ، صفة جاءت على وزن مفعل كمسعر مشتقة من الشك بمعنى اللزوم واللصوق وشدة الاتصال . والسابغة : الدرع الطويلة . ومعنى (هتكت فروجها) : شققت منافذها بالسيف . والحقيقة : ما يحق على الرجل أن يمنعه من الأهل والمال . والمعلم الذى أعلم نفسه فى الحرب بعلامة فلا يتنكر لجبنه (المعنى) ورب درع سابغة ملتصقة الحلقات ضيقة المنافذ شققتها بضربة من سيفى ، فانكشفت عن جسم فارس حام لأهله وقومه ، لا يتنكر فى الحرب بل يعلم نفسه بعلامة يعرف بها من فرط شجاعته .

(٣) الربذ : السريع الضرب بالقداح ، والغايات : الرايات ، والمراد بالتجار هنا تجار الخمر (المعنى) يصف هذا الفارس الذى هتك درعه بأنه كان كريما حاذقا يلعب القمار والميسر وخاصة فى الشتاء ، لأنه زمن الجدب فى بلاد العرب . فاذا نزل تجار الخمور بحيه ونصبوا راياتهم وعلاماتهم جاء فاشترى الخمر كلها لأصحابه ، فيقلعون راياتهم ، ويذهبون فيأكل الناس من الجزور التى كسبها أو خسرها ويشربون من الخمر فيكثر لوم أهله ونصحائه له على إتلافه ماله ، وهى صفات يفتخر بها أهل الفتوة من الأعراب .

(٤) السرحة : الشجرة الطويلة العظيمة غير الشائكة . والسبت بالكسر : جلود البقر أو كل نعال مدبوغة بالقرظ . والتوءم المولود مع غيره فى بطن واحد . يصف قتيله بالطول والضخامة والغنى وبأنه ليس من صعاليك الأعراب الذين يحتذون النعال غير المدبوغة وانه ليس بتوءم اذ التوءم يكون ضعيفا غالبا .

(٥) النواجذ : جمع ناجذ ، وهو آخر الأضراس : أى فتح فمه من الفزع فبدت نواجذه .

(٦) أى علوته بسيف من صنع الهند قاطع .

عهــدى به شَدَّ النهـارِ كأنَّمـا خُضِبَ البَنانُ ورأسُـه بالعِظْلِمِ (١)

إلى أن قال :

نُبِّئْتُ عَمْـرًا غيرَ شاكِرِ نِعـمَتِي والكُفْر مَخْبَثَةٌ لِنفسِ المنعِـمِ (٢)

ولقد حفِظتُ وَصاةَ عمِّيَ بالضحى إذ تَقْلِصُ الشَّفتانِ عن وَضَحِ الفَمِ (٣)

فى حَوْمةِ الموتِ التى لا تَشْـتَكِي غَمـراتِها الأبطـالُ غيرَ تغمغُـمِ (٤)

إذ يتَّقونَ بِيَ الأسِنَّةَ لم أخِمْ عنهـا، ولو أنّى تضايقَ مُقْـدَمِي (٥)

لمـا رأيتُ القـومَ أقبـلَ جمعُهمْ يتـذامرون كَرَرْتُ غيرَ مذمَّمِ (٦)

يَدْعُونَ عنترَ، والرماحُ كأنَّهـا أشطانُ بئرٍ فى لَبـانِ الأدهمِ (٧)

---

(١) شدّ النهار : أى عند شدّ النهار ، أى عند ارتفاعه ، وهو وقت الضحى . والعظلم : نبات النيلج تصبغ الثياب بعصارته ، فيكون لونها أسود الى زرقة . أى أن دم هذا القتيل جف على رأسه أصابه فاسود فصار كصبغ النيلج (النيلة) .

(٢) كفر النعمة : جحودها و (مخبثة) مصدر ميمى من خبث ضد طاب . أى أن كفران النعمة تنفر نفس المنعم عن الإنعام .

(٣) تقلص : تقصر وترتفع — أى حفظ وصـية عمه بثباته وصبره عند ما حاربوا أعداءهم وقت الضحى ، وقد انكشفت الشفتان من كل محارب عن بياض فمه ، أى عن أسنانه ، خوفا من القتل .

(٤) حومة كل شيء : معظمه ، أى فى ساحة الموت العظيمة . وفى حومة تتعلق بحفظت فى البيت السابق . والغمرات : الشدائد . والتغمغم : الصوت يسمع ولا يفهم .

(٥) لم أخم أى لم أجبن ، بل أقدم عليها ولو كان الموضع الذى أقدم عليـه أمامى متضايقا من تزاحم الأعداء بهجومهم علىّ .

(٦) يتـذامرون : أى يحض بعضهم بعضا على القتال ، فعنـدئذ عطفت عليهم غير مذموم على عملى بل ممدوحا عليه .

(٧) عنتر : أى ياعنترة حذفت التاء للترخيم ، وروى المبرد أنه كان يسمى عنترا أيضا . والأشطان : جمع شطن ، وهى الحبال الطويلة الشديدة الفتل . واللبان : الصدر . والأدهم : فرسه .

ما زلت أرميهم بثُغْرة نَحْرِهِ ولَبانه حتى تَسَرْبَلَ بالدمِ (١)
فازورَّ من وَقْعِ القنا بلَبانه وشكا إلىّ بِعَبْرة وتَحَمْحُمِ (٢)
لو كانَ يدري ما المحاورةُ اشتكى ولكانَ لو عَلِمَ الكلامَ مُكَلِّمِي
والخيلُ تَقتحِمُ الخَبارَ عوابسًا من بَيْنِ شَيظَمة وأجرَدَ شَيظمِ (٣)
ولقد شفَى نفسي، وأبرأ سُقْمَها قِيلُ الفوارس: وَيْكَ عنترَ أَقْدِمِ (٤)
ذُلُلٌ جِمالي حيثُ شِئتُ، مشايعي لُبِّي، وأَحفِزُه بِرأيٍ مُبْرَمِ (٥)
إني عداني أن أزورَكِ فاعلَمِي ما قد علمتِ، وبعضُ ما لم تعلَمِي (٦)
حالت رماحُ ابنَيْ بَغِيضٍ دونكم وزَوَتْ جَوانِي الحربِ مَنْ لم يُجرِمِ (٧)

---

(١) أى بنقرة نحره .

(٢) العبرة : تردّد البكاء فى الصدر قبل أن تفيض الدمعة ، والتحمحم : الصوت المتقطع دون الصهيل ، ويفعله إذا طلب العطف عليه والرقة لحاله .

(٣) الخبار : الأرض اللينة . والشيظم : الطويل . والأجرد : القصير الشعر ، وهما صفتا حسن للفرس الكريم .

(٤) ويك مركبة من (وى) وكاف الخطاب ، ووى تعجب ، كأنهم قالوا : عجبا لك ! أقدم ! أو هى مخففة من ويلك ، أو ويحك .

(٥) الذلل : جمع ذلول ، وهو من الإبل وغيرها ضد الصعب الحرون . ومشايعى قلبى أى متابعى ومشجعى . وأحفزه : أدفعه . والمبرم : المحكم . (المعنى) يصف نفسه بأنه رجل أسفار ، وأن جماله لذلك مذللة لتعوّدها السير لا يصعب أن يوجهها الى أى أرض . ويصف نفسه أيضا بأنه حاضر العقل لا يعزب عقله فى أى حال من الأحوال ، بل هو أيضا يدفعه ويقويه برأى محكم .

(٦) المعنى : صرفنى عن زيارتك ما قد علمته من الأسباب ، وما لم تعلميه . وجملة (فاعلمى) معترضة .

(٧) بغيض بن ريث بن غطفان : أبو الحى الذى يجمع بين عبس وذبيان ، فكلاهما ابنا بغيض وزواه زيا وزويا : نحاه ، وأبعده . والجوانى : جمع جانية من الجناية . (المعنى) صرح ببعض الأسباب التى حالت دون زيارة محبوبته ، فقال : صرفنى عنك الحرب الناشبة بين عبس وذبيان ، وصرفنى عشائر القبيلتين بجناية بعض على بعض ، فاضطررت لمظاهرة قومى فى حروبهم مع أنى لست من جناتها ، ولم يكن لى دخل فى الأسباب التى جرتها .

ولقد خشيتُ بأن أموتَ ولم تدُرْ ... للحــربِ دائرةٌ على ٱبنَىْ ضَمْضَمِ (١)

الشاتمَىْ عِرضِى ، ولم أَشْتِمْهُما ... والنـاذِرَيْنِ إذا لَمَ ٱلْقَهما دَمِى (٢)

إن يفعَلا فلقـــد تركتُ أباهمـا ... جَزَرًا لِخامِعَــةٍ ونَسْرٍ قَشْعَـمِ (٣)

(٥) لبيد بن ربيعة (٤) من معلقته التى مطلعها :

عَفَتِ الديارُ : مَحَلُّها فمُقامُهـا ... بِمِنًى ، تأبَّدَ غَوْلُهـا فرِجامُهـا (٥)

---

(١) ابنـا ضمضم : هما هرم وحصين ، وكان عنترة قتل أباهما ضمضما فكانا يتوعدانه .

(٢) يقال نذرت دم فلان : اذا أبحته لكل من يقدر على قتله .

(٣) الخامعـة : الضبع كأن فى مشيها خمعا أى عرجا ، والقشعم : من النســور الكبير . (المعنى) إن ينذرا دمى فقد قتلت أباهما ضمضما وتركته جزور الضباع والنسور القشاعم .

(٤) هو أبو عقيل لبيد بن ربيعـة العامرى أحد أشراف الشعراء والقوّاد والمعمرين الأجواد ، وهو من بنى عامر بن صعصعة : إحدى القبائل المضرية ، وأمه عبسية ، وكان فى الجاهلية شجاعا فاتكا جوادا شاعرا ، شهد له النابغة ، وهو غلام ، بأنه أشعر هوازن حين سمع معلقته ، ولما ظهر الإسلام أسلم وتنسك وحفظ القرآن كله حتى لم يرو له فى الإسلام غير بيت واحد وهو :

ما عاتب الحر الكريم كنفسه ... والمرء يصلحه الجليس الصالح

ولما فتح المسلمون الأمصار سكن الكوفة حتى مات سنة إحدى وأربعين من الهجرة . قيل إنه عاش ثلاثين ومائة سنة ولبيد شاعر يجيد الفخر والرثاء فى لفظ جزل ومعنى بارع وحكمة وموعظة .

(٥) عفت الديار : درست ، ومحلها : بدل أو عطف بيان من الديار ، فمقامها معطوف على محلها ، والمقام : مكان الإقامة وهى الثبات والاستقرار فى المكان طويلا بأن يصير دار إقامة . وتأبد : توحش ، وخلا من أهله . ومنى وغول ورجام : مواضع فى وسط نجد . وليست منى هنا (منى مكة) . المعنى : درس مكان النزول ومكان الإقامة من ديار أحبتنا بمنى متوحشا غولها ورجامها منهم .

أو لم تكنْ تدرى نَوارُ بأنني وَصّالُ عَقْدِ حَبائِلٍ جَذّامُها (١)
تَرّاكُ أمكنـةٍ إذا لم أرضَها أو يَعتلقْ بعضَ النفوسِ حِمامُها (٢)
بل أنتِ لا تدرين كم من ليلةٍ طَلْقٍ لذيذٍ لَهْوُها ونِدامُها (٣)
قد بِتُّ سامرَها ، وغايةِ تاجرٍ وافيتُ إذْ رُفعتْ ، وعَزَّ مُدامُها (٤)
أَغْلِي السِّباءَ بكلِّ أَدْكَنَ عاتقٍ أو جَوْنةٍ قُدحتْ وفُضَّ خِتامُها (٥)
وغداةِ ريحٍ قد وَزعْتُ وقِرَّةٍ قد أَصبحتْ بيدِ الشَّمالِ زِمامُها (٦)

---

(١) نوار : اسم امرأة ، والجذام : القطاع ، والحبائل : جمع حبالة : مصيدة الصائد وشركه . المراد بها هنا العهد . وهذا البيت وما بعده من الأبيات يتحدّث بها عن مفاخر نفسه ومآثر قومه . المعنى) أو لم تكن تعلم نوار بأنى أصل من يستحق المواصلة وأقطع من يستحق القطيعة .

(٢) اعتلق الشيء : تعلق به ، و (بعض النفوس) يريد به نفسه ، والحمام : الموت . والمعنى أنى تراك أمكنة إذا لم أرضها إلا أن أموت

(٣) التفت فى كلامه الى نوار وقال : (بل أنت ... البيت) والليلة الطلق : التى لا حر ولا برد فيها يؤذيان ، والندام : المنادمة .

(٤) السامر : من يتحدّث بالليل (وغاية تاجر) الغاية هنا : الراية ، والتاجر : الخمار يرفع رايته عند نزوله على الحى إعلانا للشراب . وغاية بالجر : معطوفة على ليلة فى البيت السابق (المعنى) كم من ليلة طلق يلذ فيها اللهو والمنادمة قد بت المسامر فيها ؛ وكم من راية تاجر خمر وافيتها عند ما رفع التاجر رايته واشتريت مدامها عند ما عزت بارتفاع ثمنها لكثرة المشترين لها — يصف نفسه بأنه طيب الحديث ، يحب اللهو والطرب ، و يبذل فى ذلك نفيس المال .

(٥) السباء : شراء الخمر وجلبها ، ولا يستعمل لشراء غيرها . والأدكن : يريد به زق الخمر لأنه أغبر ، والعاتق : القديم . والجونة (بفتح الجيم) السوداء يريد بها الخابية ، وقدحت وفض ختامها : بمعنى واحد

(٦) الغداة : البكرة والصباح ، والقرة : البرد ، ووزعت : كففت ، والشمال أبرد الرياح (المعنى) ورب صباح يوم بارد ذى رياح قد أصبح زمام برده بيد ريح الشمال ؛ فهى تصرفه وتمعن فيه كيف شاءت . قد كففته عن الإخوان بشرب الخمر والتدفئة والسماع ، يتحدث بالفتوة والكرم .

بِصَبُوحِ صافيةٍ وجَذْبِ كَرِينةٍ ... بمُوتَّرٍ تأتالُه إبهامُها (١)
باكرتُ حاجتَها الدجاجَ بسُحرةٍ ... لأَعَلَّ منها حين هَبَّ نيامُها (٢)
ولقد حَميتُ الحيَّ تحمِلُ شِكَّتي ... فُرُطٌ، وِشاحي إذْ غدوتُ لجامُها (٣)
فَعَلَيْتُ مرتقبًا على مرهوبةٍ ... حَرَجٍ إلى أعلامِهِنَّ قَتامُها (٤)
حتى إذا ألقتْ يدًا في كافرٍ ... وأجنَّ عَوْراتِ الثغورِ ظلامُها (٥)
أسهلتُ، وانتصبتْ كجِذْعِ مُنيفةٍ ... جرداءَ يَحْصَرُ دونَها جُرّامُها (٦)

(١) الصبوح: الشرب صباحا، أى بشرب خمر صافية، والكرينة: المغنية الضاربة بالعود، والوتر: العود لأنه ذو أوتار وتأتاله: تصلحه أى أنه يشرب الخمر ويتلهى بسماع مغنية عوادة.

(٢) حاجتها: أى حاجة الخمر: أى حاجته هو اليها، وأضاف الحاجة الى الخمر توسعا، والدجاج: يريد بها الديكة، والعلل: الشرب بعد شرب (المعنى) استبقت بشربها صياح الديكة لأكرر شربها حين استيقظ نوامها أى سقاتها النائمون.

(٣) ثم أخذ يصف نفسه بالكفاية والغناء وحماية قومه وأصحابه فقال: (ولقد حميت الحى الخ) وشكتى: جميع سلاحى، يريد تحملنى شاكى السلاح، وفرط: أى فرس تقدم أصبح لجامها وشاحا لى، وتوشح الفارس بلجام فرسه: أن يلقيه على عاتقه ويخرج يده منه لتفرغ يداه كلتاهما للعمل بالسلاح.

(٤) عليت وعلوت واحد، وعلى مرهوبة أى على جبال عالية، وحرج: مرتفع فى تكاثف وتراحم والقتام: الغبار.

(٥) والضمير فى ألقت يعود على الشمس المفهومة من المقام. والكافر: الساتر، وهو من أسماء الليل، وأجن: ستر، والثغر: موضع المخافة، أى علوت على الجبال التى ينعقد فى أعاليها الغبار المتصاعد أو الضباب الحامل للغبار أرقب حركات العدو حراسة لأصحابى طول النهار؛ حتى اذا ألقت الشمس يدها فى الليل، وبدأت تغيب فيه، وستر الظلام مواضع الخوف من نواحى العدو، ولم يعد لمراقبتى فوق الجبل فائدة نزلت الى السهل.

(٦) أسهلت: نزلت الى السهل. (وبجذع منيفة): أى بجذع نخلة مرتفعة، وجرداء: خالية من السعف ملساء، ويحصر: يكل ويضجر، وجرامها: قطاع ما تحمله النخلة عند نضجها (المعنى) عندما أسهلت مرحت فرسى ونشطت وانتصبت كأنها جذع نخلة عالية ملساء يضجر ويتعب دون الوصول الى رأسها من يجد لمقتطفه — ثم أخذ فى بقية وصف الفرس بالأبيات الثلاثة الآتية.

رفعتها طَــرَدَ النَّعامِ وشَــلَّهُ | حتى اذا سَخَنتْ ، وخَفَّ عظامها [١]
قَلِقتْ رِحالتُها وأسبلَ نَحْــرُها | وابتــلَّ مِن زَبَدِ الحَمــيمِ حِزامُها [٢]
تَرقَى ، وتَطعَنُ فى العَنان ، وتنتحى | وِرْدَ الحَمــامة إذ أَجَدَّ حَمَــامها [٣]
وكثيرة غُرَباؤُها مجهــولةٍ | تُرجَى نوافلُها ويُخشَى ذامُهــا [٤]
غُلْبٍ ، تَشَــذَّرُ بالذُّحُول ، كأنَّهــا | جِنُّ البَــدِيِّ رواسيًا أقدامُها [٥]
أنكرتُ باطلَها ، وبُؤتُ بحقها | عنــدى ، ولم يفخَــر علىَّ كِرامها [٦]

(١ و ٢) رفعتها : أى جعلتها تعدو العدو المسمى بالمرفوع ، وهو فوق العدو الموضوع ، وهما مصدران جاءا على وزن المفعول كالميسور والمعسور ، وطرد النعام : عدوه . والشل : الطرد ، وخف عظامها : أى خف قصب قوائمها بمعنى أسرعت ، والرحالة : سرج كان يعمل من جلود الشاة بصوفها لا قربوس له ولا مؤخرة يتخذ للجرى الشديد ، وأسبل نحرها : أى سال بالعرق . والحميم : العرق (المعنى) .طردتها طرد النعام حتى اذا حميت واشتدت سرعتها اضطرب سرجها عن مكانه وسال نحرها بالعرق وابتــل حزامها من زبده .

(٣) ترقى : ترفع رأسها ، وتطعن أى تعتمد فى العنان كما يعتمد الطاعن ، تنتحى أى تقصد ، ويريد بالحمامة هنا القطاة (المعنى) أن هــذه الفرس ترفع رأسها تارة وتخفضه فى العنان أخرى ، تمر فى سيرها مر القطاة الى الماء ، وقد سبقها اليه جماعة حمام مسرعة فهى تجد مسرعة فى أثره .

(٤ و ٥ و ٦) هذه الأبيات الثلاثة يصف فيها نفســه بالشجاعة والانتصاف من الأعداء الأقوياء قال (وكثيرة غرباؤها مجهولة) : أى ورب كتيبة كثيرة الغــرباء ؛ لما يحضرها من ألوان الناس قــد جهل بعضها بعضا ، ونوافلها : غنائمها ، وذامها : عيبها وعار هزيمتها ، وغلب : جمع أغلب وهو الغليظ العنق وهو كناية عن قوة البدن ، وتشــذر بالذحول : تهدد وتتوعد بالأحقاد والثارات . والبدى هنا : واد لبــنى عامر يحسب أنه كان موحشا . وبؤت بحقها انصرفت به (المعــنى) ورب كتيبة حرب كثيرة المقاتلة المختلفة الأنساب والألوان المجهول بعضهم لبعض لغربتهم ترجى مغانمها وأنفالها بالظفر فيها ويخشى عار الهزيمة منها ، ومقاتلتها غلاظ الأعناق تهدّد وتتوعد بأخذ الثار كأنها جن البدى راسخة الأقدام فى القتال تلك الكتيبة التى صفاتها ما ذكرت قد انتصفت منها ؛ فأنكرت باطلها المزعوم عليها ، وفزت فيها بالحق بمحض قوتى وحسن بلائى ولم يفتخر على كرامها .

وجزورِ أيسارٍ دعوتُ لحتفها ⁂ بمَغالقٍ مُتشابهٍ أجسامُها (١)

أدعُو بهِنَّ لعاقرٍ أو مُطفِلٍ ⁂ بُذِلَتْ لجيرانِ الجميعِ لِحامُها (٢)

فالضيفُ والجارُ الجنيبُ كأنما ⁂ هبطا تَبالةَ مُخصِبًا أهضامُها (٣)

تأْوِى الى الأطنابِ كلُّ رَذِيَّةٍ ⁂ مِثلِ البَلِيَّةِ قالصٍ أهدامُها (٤)

ويُكَلِّلُونَ اذا الرياحُ تناوحَتْ ⁂ خُلُجًا تُمَدُّ شَوارِعًا أيتامُها (٥)

(١ و ٢) يصف فى الأبيات الخمسة الآتية نفسه بأنه متلاف للمال يلعب الميسر بالجزور ويطعم لحومها الجيران والضيفان والأرامل والأيتام وكان ذلك عندهم من الكرم والفتوة — الجزور : الناقة تشترى للذبح ، والأيسار : جمع يسر وهو الذى يضرب بالقداح ، وهى أعواد تسوى وتوضع عليها علامات الكسب والخسارة فى القمار ، والمغالق من نعوت قداح الميسر التى يكون لها الفوز ، (أدعو بهن) أى بالمغالق ، (لعاقر أو مطفل) أى للعب بها على جزور عاقر فتكون سمينة أو لجزور ذات طفل فتكون أغلى ثمنا ، ولحامها أى لحومها جمع لحم (المعنى) ورب جزور مقامرين دعوت من أجل نحرها سواء كانت عاقرا أم مطفلا بقداح متشابهة العلامات فائزة عند اللعب بها — تبذل لحومها لجيران الجميع .

(٣) تبالة : بلد بين اليمن والحجاز (فى العسير) أهضامها ، أى وديانها وهى من أخصب بلاد العرب (المعنى) أى أن ضيفه وجاره الغريب يكونان من الخصب بمنزلة من نزل تبالة .

(٤) الأطناب : جمع طنب وهى حبال الخيام ، والرذية : المرأة الضعيفة جوعا أو الأرملة البائسة ، والبلية فى الأصل : الناقة يموت صاحبها ، [illegible] عند قبره حتى تموت ، ويقولون إنه يبعث عليها فى القيامة ، وإنما يفعل ذلك من يعتقد منهم بحشر الأجساد ، وقالص : صفة لرذية . والأهدام : جمع هدم وهو الثوب الخلق البالى . (المعنى) تأوى الى أفنية خيامنا كل رذية بائسة توشك أن تموت جوعا وهزالا ، قصيرة الثياب البالية ، فنطعم .

(٥) التكليل : نضد اللحم بعضه على بعض . الخلج : هنا الجفان الكبيرة ، وتمد أى يزاد فيها ، وشوارعا : نعت للخلج ، والشوارع النوق ترد الشريعة وهى منهل الماء ، ويريد بها هنا اليتامى من الناس . (المعنى) أنه يطعم المعوزين والأرامل واليتامى لحوما يكللون بها جفانهم عند تناوح الرياح اوشتداد هبوبها من كل ناحية وذلك فى الشتاء ، وهو زمن الجهد عندهم .

إنا اذا التقتِ المجامعُ لم يَزَل ... مِنّا لِزازُ عظيمةٍ جَشّامُها (١)

ومقسِّمٌ يُعطِى العشيرَة حقَّها ... ومُغَذمِرٌ لحقوقها هَضّامُها (٢)

فَضْلًا وذو كرمٍ يُعين على الندَى ... سمحٌ كسوبُ رغائبٍ غنّامُها (٣)

مِنْ مَعشرٍ سَنّتْ لهم آباؤهم ... ولكلِّ قومٍ سُنّةٌ وإمامُها (٤)

لا يَطبَعون ولا يَبورُ فَعالُهم ... إذ لا يَميلُ مع الهوَى أحلامها (٥)

فاقنعْ بما قسَمَ المليكُ؛ فإنّما ... قسَمَ الخلائقَ بيننا علّامها (٦)

واذا الأمانةُ قُسِّمَتْ فى مَعشرٍ ... أَوْفى بأوفرِ حظِّنا قَسّامُها (٧)

فبنى لنا بيتًا رفيعًا سَمْكُهُ ... فسما اليه كَهْلُها وغُلامُها

وهم السعاةُ إذا العشيرةُ أفظِعَتْ ... وهُمُ فوارسُها، وهُمْ حُكّامُها (٨)

---

(١) أخذ يمدح بقومه، ويعدد مآثرهم، فقال: (إنا اذا التقت المجامع ... الخ) ولزاز كل شىء: الملازم له . والجشام: المتكلف القيام بالأمور الشاقة . المعنى: اذا اجتمع الناس لخطب عظيم لم يخل المجامع من رجل منا يقمع الخصوم .

(٢ و٣) ومنا العادل الذى يقسم الغنائم فى العشيرة؛ فيعطى كل ذى حق حقه، ومنا الرئيس المستبد الذى يحكم على قومه بما شاء؛ فلا يرد حكمه لهيبته، ولو هضم حق هذا وأعطاه ذاك، وإنما يفعل ذلك رغبة فى الفضل على غيره وزيادة التحكم فيه . ومنا الكريم السمح الأخلاق الكثير الكسب والغنم للنفائس .

(٤) أى سنت لهم آباؤهم هذه السنة الكريمة، والإمام: المثال الذى يحاكى فى كل شىء .

(٥) الطبع: الدنس، والبوار: الهلاك، والفعال كسحاب: فعل الخير، والأحلام: العقول . (المعنى) لا يدنسون أعراضهم، ولا يفنى عملهم للخير، ولا تغلب أهواؤهم عقولهم .

(٦) الخلائق: الطبائع، وعلامها هو الله تعالى .

(٧) أى أوفى قسام الحظوظ — وهو الله تعالى — بأوفر نصيب لنا من الأمانة .

(٨) أى اذا حل بالعشيرة خطب فظيع سعوا لنجدتها وإسعافها .

وهمُ ربيعٌ للمجاوِرِ فيهمُ ... والمرملاتِ إذا تطاولَ عامُها [١]
وهمُ العشيرةُ أن يُبَطِّئَ حاسدٌ ... أو أن يميلَ مع العدو لئامُها [٢]

(٦) قال النابغة الذبيانى [٣]

كِلِينى لِهمٍّ يا أُمَيْمةُ ناصبِ ... وليلٍ أُقاسيه بطىءِ الكواكبِ [٤]
تطاولَ، حتى قلتُ ليس بمُنقضٍ ... وليس الذى يرعَى النجومَ بآيبِ [٥]

---

(١) وهم ربيع أى بمنزلة الربيع فى الخصب لمن جاورهم ، وللمرملات أى الأرامل إذا تطاول عامها وكانت الأرملة تبقى بلا زواج مدة . كان ذلك فى الجاهلية وأول الإسلام ، ثم جعلت تلك المدة أربعة أشهر وعشرا .

(٢) وهم العشيرة أى هم متوافقون ، وأن يبطئ حاسد : أى خشية أن يبطئ حاسد (المعنى) أنهم متعاضدون خشية أن يبطئ الحساد بعضهم عن نصر بعض ، أو أن يميل لئامهم إلى الاعداء .

(٣) هو أبو أمامة زياد بن معاوية أحد أشراف قبيلة ذبيان من القبائل المضرية وأحد فحول شعراء الجاهلية . لقب بالنابغة لنبوغه فى الشعر فجاءة وهو كبير . وهو ممن تكسب بالشعر فى الجاهلية ، ولكنه آثر مدح الملوك : ملوك المناذرة بالحيرة والغساسنة بالشام ، وكان ممن مدحهم من الأولين النعمان بن المنذر فقربه اليه ، ثم وشى به عنده ، وهم بقتله ، ففرّ الى ملوك الشام . فمدحهم ، ولم يطب مقامه بالشام ، فعاد يستعطف النعمان بقصائد رائعة كانت سببا فى عفوه عنه . وطال عمر النابغة ، ومات قبيل الإسلام . ويعده كثير من أصحاب المعلقات وأن معلقته هي قصيدته التى أوّلها :

عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار ... ما ذا تحيون من نؤى وأحجار

ومن أشهر قصائده القصيدة التى نشرحها وهى التى مدح بها عمرو بن الحارث الأصغر من ملوك بنى غسان بالشام .

(٤) كليني لهم : أى دعيني وهى من وكله للشيء أى أسلمه له . وأميمة : اسم امرأة تصغير أم وناصب صفة لهم أى هم ذى نصب أى تعب . وبطىء الكواكب أى غروب كواكبه . توهم أن ليله بطىء الكواكب وأنه طويل لكثرة ما يقاسيه فيه من الهموم .

(٤) وليس الذى يرعى النجوم بآيب . أى وحتى قيل : ليس الذى « البيت » والذى يرعى النجوم يريد النجم الذى يتقدمها فيكون بمنزلة الراعى لها ويؤيد ذلك رواية (وليس الذى يهدى النجوم) وإياب النجوم والشمس مغيبها كأنها رجعت الى مبدئها ومسقطها : أى وحتى قيل إن أوّل النجوم الطالعة فى هذا الليل لا يغيب مع أنه سابقها فكان حقه أن يكون أوّل غائب . وقيل ان الراعى هو الصبح . وكل ذلك كناية عن طول الليل .

وَصَـدْرٍ أراحَ الليلُ عازبَ هَمِّهِ ... تضاعفَ فيه الحزنُ من كلّ جانب (١)
عليّ لعَمْرٍو نعمـةٌ بعدَ نعمـةٍ ... لوالدِه ليستْ بذاتِ عقـارب (٢)
حلفتُ يمينـاً غيرَ ذى مَثْنَوِيّةٍ ... ولا عِلْمَ إلا حسنُ ظَنٍّ بصاحِب (٣)
لَئِنْ كان لِلْقَـبرينِ قبرٍ بِجِلّقٍ ... وقبرٍ بصَيْداء الذى عنـد حارب (٤)
وللحـارثِ الجَفْنِيّ سـيدِ قومِه ... لَيَلْتمِسنْ بالجيش دارَ المُحَارب
وَثِقتُ له بالنصرِ إذْ قِيل قد غَزَتْ ... كتائبُ من غسانَ غيرُ أشائبِ (٥)
بنـو عمّه دُنْيَا، وعمـرُو بنُ عامرٍ ... أولئـك قـومٌ بأسُهم غيرُ كاذب (٦)
إذا ما غزَوْا بالجيش حَلّقَ فوقَهمْ ... عصائبُ طـيرٍ تهتـدى بعصائب (٧)

(١) وصـدر : أى وكلينى أيضا لصدر . وأراح الليل : من الرواح وعازب : غائب (المعنى) ودعينى أيضا وصدرى المتضاعف الحزن الذى أرجع هذا الليل ما كان غائبا من همه . ثم اقتضب الكلام اقتضابا وشرع فى مدح عمرو بن الحارث فقال (على لعمرو) .

(٢) عقارب النعمة : تكديرها بالمن والأذى . (المعنى) على لعمرو نعمة حديثة بعد نعمة قديمة لوالده لم يكدرهما منّ ولا أذى .

(٣) أى حلفت يمينا لم استثن فيها ولاعلم لى بصحة هذه اليمين إلا ثقتى وحسن ظنى بصاحبى الذى أمدحه

(٤) أى لئن كان الممدوح عمرو منسوبا لصاحبى هـذين القبرين وهو الواقع . وجلق : اسم لدمشق . وصـيداء ، من مدن ساحل الشام ، موضع قريب منها ، وحارب اسم رجل أو بلد وصاحبا القبرين : هما الأب ، والجد الأول ، والحارث الجفنى : هو الجد الثالث لأن الممـدوح هو عمرو ابن يزيد بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر بن أبى شمر الجفنى لأنه سيد آل جفنـة . (المعنى) لئن كان هذا الممدوح ابن هؤلاء الملوك العظام (وهو يعلم أنه ابنهم وإنما بالغ فى المدح) ليبلغنّ مبلغهم وليطلبن بجيشه أعداءه فيغزوهم فى عقر دارهم كما كان آباؤه وأجداده يفعلون .

(٥) أشائب : جمع أشابة وهم الأخلاط ، أى أن هذه الكتائب كلها من صلب غسان .

(٦) أى أن هذه القبائل هم بنو عمه الأدنون ، وبنو عمه الأبعدون فى القرابة وهم بنو عمرو بن عامر.

(٧) أى اذا غزوا حلقت عليهم جماعات النسور والعقبان والرخم لتأكل ممن يقتلونهم .

يُصاحِبْنَهم حتى يُغِـيْرن مُغَارَهُمْ   من الضاريات بالدماءِ الدَّوارب (١)

تراهُنّ خلْفَ القومِ خُزْرًا عيونُها   جلوسَ الشيوخِ في ثياب المَرانب (٢)

جَـوانحَ قد أيقنّ أنّ قبيلَه   إذا ما التقى الجمعانِ أوّلُ غالب (٣)

لهُنّ عليهِـمْ عادةٌ قـد عرَفْنَها   إذا عُرِّض الخَطّيُّ فوقَ الكَواثب (٤)

على عارفاتٍ للطعانِ عوابِسٍ   بهنّ كلومٌ بين دامٍ وجالب (٥)

اذا اسـتُنزِلُوا عنهن للطعْن أَرقلوا   إلى الموت إرقالَ الجمالِ المصاعب (٦)

فهـمْ يتساقَوْنَ المنيـةَ بينهـمْ   بأيديهـمُ بيضٌ رِقاقُ المضارب (٧)

---

(١) أى تسير جماعات الطير معهم كأنها تغير باغارتهم على الأعداء ضاريات متدربات على دماء القتلى .

(٢) خزرا : جمع أخزر وخزراء ، أى ضيقة العيون خلقة ، أو أنها تخازر أى تقبض أجفانها لتحدد النظر . جلوس الشيوخ الخ . أى أنها عند اشتداد القتال تقع على أعالى الارض والهضاب كأنها فى ريشها ووقوفها وتحديد النظر ترقب القتلى جالسة جلوس الشيوخ إذا التفوا بأكسية المرانب يحدّدون النظر الى شىء بعيد . والمرانب : جمع مرنبانى وهو الثوب المبطن بفراء الأرانب .

(٣) جوانح : أى مائلات للوقوع .

(٤) أى القنا الخطى المنسوب الى الخط : بلد بالبحرين . والكواثب : جمع كاثبة ، وهى من جسم الفرس ما تحت الكاهل الى الظهر بحيث اذا نصب عليه السرج كانت أمام القربوس يضع الفارس عليها رمحه مستعرضا : أى اعتادت الطير أن الرماح اذا عرضت على الكواثب كان ذلك لرزق يساق إليها .

(٥) على عارفات : أى على خيول صابرات لطعان الأعداء عابسات الوجوه . والكلوم : الجراح . والدامى : الذى يسيل دما . والجالب : الجرح الذى يبس أعلاه .

(٦) أرقلوا : أسرعوا . والجمل المصعب : الفحل الصعب . (المعنى) اذا أنزل هؤلاء الأقوام عن هذه الخيول لضيق فى المكان ، ووقع الالتحام — أسرعوا الى الموت على أرجلهم كأنهم الجمال المصاعب .

(٧) يتساقون : أى يسق بعضهم بعضا .

يَطِيرُ فُضاضًا بينها كلُّ قَوْنَسٍ ... ويتبعُها منهم فَراشُ الحواجب (١)

ولا عَيْبَ فيهمْ غيرَ أن سيوفَهم ... بهنّ فُلولٌ من قِراعِ الكتائبِ (٢)

تُوُرِّثْنَ من أزمانِ يومِ حليمةٍ ... إلى اليومِ قد جُرِّبْنَ كلَّ التجارب (٣)

تَقُدُّ السَّلوقيَّ المضاعَفَ نسجُه ... وتوقِدُ بالصُّفّاحِ نارَ الحُباحب (٤)

بضربٍ يُزيلُ الهامَ عن سَكَناتِه ... وطعنٍ كإيزاغِ المَخاضِ الضوارب (٥)

لهمْ شِيمةٌ لم يُعْطِها اللهُ غيرَهمْ ... من الجود، والأحلامُ غيرُ عوازب (٦)

---

(١) الفضاض: ما انفض وتفرق. والقونس أعلى البيضة التي توضع على الرأس من الفولاذ. وفراش الحواجب أى فراش الجمجمة وهى العظام الرقاق التي تكون أسفل الجمجمة فوق الحنك والحلق. والضمير في يتبعها يعود على (كل قونس) لأنه فى معنى الجمع — كقوله تعالى: «وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق» — (المعنى) يطير بين هذه السيوف قوانس الفرسان فضاضا، ويتبع هذه القوانس فى الطيران فراش جماجم الفرسان.

(٢) الفلول: جمع فل، وهو الثلمة فى حد السيف. والقراع: المضاربة بالسيوف. وهذا الاستثناء سماه ابن المعتز تأكيد المدح بما يشبه الذم إذ أن انفلالها من قراع الكتائب فخر وفضل؛ لأنه دليل على صبرهم وشجاعتهم وكثرة ضربهم للأعداء.

(٣) أى أن هذه السيوف ورثت عن الآباء الذين حضروا يوم حليمة، وهو يوم انتصرت فيه الغساسنة على المناذرة. وحليمة هذه ابنة الحارث بن أبي شمر جد الممدوح الثالث وكانت ضمخت عسكر أبيها عند رجوعهم منصورين بالطيب فقيل فى المثل (ما يوم حليمة بسر).

(٤) السلوقى: أى الدرع السلوقى. والدرع مؤنثة، وقد تذكر كما هنا، وهو منسوب الى بلد سلوقية من ساحل أنطاكية بالشام. والصفاح: الحجارة العراض، ونار الحباحب: شعاع يضيء بالليل من ذباب يسمى الحباحب (المعنى) أن هذه السيوف تقطع الدرع المضاعفة النسج واذا ضرب بها الحجارة قدحت شررا يتطاير كأنه نار الحباحب.

(٥) الهام: جمع هامة وهى الرأس، وسكناته: حيث يسكن ويستقر. والإيزاغ: دفع الناقة ببولها. والمخاض: النوق الحوامل. والضوارب: التى تضرب بأرجلها (المعنى) اذا ضرب بها أزالت الهام عن الأعناق واذا طعن بها خرج الدم فى إثرها خروجا كاندفاع بول النوق الحوامل.

(٦) الأحلام: العقول. والعوازب: البعيدة أو الغائبة: أى أنهم أجواد حاضرو العقول.

مَحَلَّتُهُمْ ذاتُ الإلهِ ، ودينُهُمْ ... قويمٌ ، فما يَرْجُونَ غيرَ العواقبِ (١)

رِقاقُ النعالِ طَيِّبٌ حُجُزاتُهُمْ ... يُحَيَّونَ بالرَّيحانِ يومَ السباسبِ (٢)

تُحَيِّيهِمُ بيضُ الولائدِ بينَهم ... وأكسيةُ الإضْريجِ فوقَ المشاجبِ (٣)

يَصونونَ أجسادًا قديمًا نعيمُها ... بخالصةِ الاردانِ خُضرِ المناكبِ (٤)

ولا يحسبونَ الخيرَ لا شرَّ بعدَه ... ولا يحسبون الشرَّ ضَرْبةَ لازِبِ (٥)

حبوتُ بها غسانَ إذ كنتُ لاحقًا ... بقومي ، وإذ أعيَتْ عليَّ مذاهبي (٦)

وقال يمدح النعمان ، ويعتذر اليه ، من قصيدة مطلعها :

عَفا ذُوحُسًا من فَرْتَنَى ، فالفوارعُ ... فجنبا أريك ، فالتِّلاعُ الدوافعُ (٧)

(١) يروى محلتهم ذات الإله ومجلتهم فمعنى الأولى مسكنهم دار نفس الإله يريد بيت المقدس والأرض المقدسة . ومعنى الثانية : كتاب حكمتهم ومقروؤهم ذات الإله . أى عبادة الإله . والعواقب : جمع عاقبة أى عاقبة أعمالهم بجزاء الإله لهم عليها . يصفهم بأنهم متدينون .

(٢) رقاق النعال : أى أن نعالهم رقيقة لا يخصفونها طاقا ، وذلك كناية عن قلة مشيهم لأنهم ملوك لا يمشون بل يركبون الخيل غالبا . وحجزة الأزار والسراويل : مجمع شدهما على الوسط من الجسم ، كناية عن عفتهم . والريحان الزهر الطيب الرائحة . والسباسب : يوم الشعانين ، وهو يوم عيد عند النصارى وكان الممدوح نصرانيا ، وذلك كناية عن رقة أمزجتهم وحسن أذواقهم أو محافظتهم على التقاليد المرعية .

(٣) الولائد : الإماء . والإضريج : الخز الأحمر اللون ، والخز : ثياب تنسج من الصوف المخلوط بالحرير ، والمشاجب : جمع مشجب ، وهو الأعواد تنشر عليها الثياب وتعلق . أى أنهم ملوك أهل نعمة خدمهم الولائد البيض ، وثيابهم ثمينة مصونة تعلق على المشاجب .

(٤) الأردان : جمع ردن ، وهو مقدم كم القميص (المعنى) يصونون أجسادهم العريقة فى التنعم بثياب بيض الأردان خضر المناكب . وكان هذا الزى من لبس الملوك .

(٥) اللازب : الثابت اللازم (المعنى) أنهم قد عرفوا تصرف الزمان وتقلبه ، فاذا أصابهم خير لم يثقوا بدوامه فيبطروا ، وإذا أصابهم شر لم يرهقهم ، وأيقنوا أنه لا يدوم فلم يقنطوا ؛ فوصفهم بالاعتدال .

(٦) أى حبوت بقصائدى غسان عند ما كنت لا حقا بقومى غير خائف من أحد وعند ما كنت خائفا هاربا من النعمان ، وضاقت على مذاهبى . أى أنهم خير من يمدحهم فى حالى الأمن والخوف .

(٧) عفا : درس ، وذو حسا والفوارع وأريك والتلاع : أسماء مواضع ، وفرتنى اسم امرأة . (المعنى) عفا من منازل فرتنى ذو حسا وما جاوره من الفوارع وجانبي أريك فتلك التلاع التى تدفع المياه إلى الوادى

ومنها :

أتانى — أَبيْتَ اللَّعنَ — أنَّكَ لُمْتَنى ... وتلك التى تَسْتَكُّ منها المسامع [١]

مقالةُ أَنْ قد قُلْتَ : سوفَ أنالُه ، ... وذلكَ من تِلقاءِ مِثلِك رائعُ [٢]

لعَمرى — وما عمرى على بِهَيِّنٍ — ... لقد نَطَقَتْ بُطْلاً عَلَّى الأقارعُ [٣]

أقارعُ عَوْفٍ ، لا أحاولُ غيرَها ... وُجوهُ قُرودٍ تبتغى مَن تُجادِعُ [٤]

أتاكَ امرُؤٌ مستبطِنٌ لىَ بُغْضةً ... له مِن عدوٍّ مثلِ ذلك شافعُ [٥]

أتاك بِقولٍ هَلْهَلِ النسجِ كاذبٍ ... ولم يأتِ بالحق الذى هو ناصع [٦]

أتاك بقول لم أكنْ لِأقولَه ... ولو كُبِلتْ فى ساعِدَىَّ الجوامع [٧]

حلفتُ ، فلم أترك لنفسك رِيبةً ... —وهل يأثَمَنْ ذوأمَّة ،وهو طائع— [٨]

بمُصْطحباتٍ من لِصافٍ وثَبْرةٍ ... يَزُرنَ إلالاً ، سَيْرهُنَّ التدافُع [٩]

---

(١) أبيت اللعن : كلمة يدعى بها للملوك ، أى حفظت مما تلعن به . وتستك : تضيق (المعنى) أتتنى عنك ملامة يضيق عنها السمع و يأباها .

(٢) مقالة مرفوع على أنه بدل من فاعل أتانى فى البيت السابق ، سوف أناله أى بأذى . أى وذلك خبر مفزع منك ومن مثلك من أهل القدرة والسلطان .

(٣) أراد بالأقارع بنى قريع بن عوف ، وكانوا وشوا به الى النعمان .

(٤) تجادع : تشاتم .

(٥) أى أتاك امرؤ منهم مستبطن لى بغضا له يشفعه آخر مثله من الأعداء بالوشاية .

(٦) هلهل كجعفر : صفة لقول ، أى أتاك بقول سخيف النسج كاذب ، ولم يأتك بالحق الواضح .

(٧) الجوامع : جمع جامعة وهى : الغل والقيد فى اليد أو العنق ، وكبلت أى ضيقت .

(٨) الأمة : الدين والاستقامة أى وهل آثم فى يمينى ، وأنا أدين لك وفى طاعتك .

(٩) لصاف وثبرة ماءان يستقى منهما الركبان على طريق مكة . و إلال جبل عن يمين إمام الحج حيث يقف بعرفة (المعنى) حلفت بنوق مصطحبات للحجاج يمتطونها من لصاف وثبرة الى عرفة حيث ينتهين الى إلال يزرنه ، ثم يقصدن مكة متدافعات فى السير أى يدفع بعضهن بعضا من الازدحام . وحلف بهذه النوق التى تزور عرفة ومكة تعظيما لها .

سَمَامًا تُبارِى الرِّيحَ خوصًا عيونُها ... لَهُنَّ رذايا بالطَّريقِ ودائع (١)
عليهِنَّ شُعْثٌ عامِدون لحجِّهِمْ ... فهُنَّ كأطرافِ الحَنِىِّ خواضع (٢)
لَكَلَّفْتَنِى ذنبَ امرئٍ ، وتركتَهُ ... كذى العُرِّ يُكْوَى غيرُه وهو راتع (٣)
فإن كنت لاذو الضِّغْنِ عنِّى مُكَذَّبٌ ... ولا حَلِفِى على البَرَاءةِ نافع
ولا أنا مأمونٌ بشىءٍ أقولُه ... وأنت بأمرٍ — لا محالةَ — واقع (٤)
فإنكَ كالليلِ الذى هو مُدركى ... وإن خِلْتُ أنَّ المنتأَى عنك واسع (٥)
خطاطيفُ حُجْنٌ فى حِبالٍ متينةٍ ... تُمَدُّ بها أيدٍ إليك نوازع (٦)

---

(١) السمام : طائر أكبر من الخطاف سريع الطيران . وتبارى الريح : تعارضها . وخوصا عيونها : أى ضيقات عيونها ، والرذايا : جمع رذية ، وهو المتروك المطروح من الإبل الهالك فى أثناء الطريق . (المعنى) تزور هذه الإبل إلا لا حال كونهن سريعات السير كالسمام ضيقات العيون من الجهد واتقاء الغبار ، وقد سقط منها هوالك فى الطريق مودعة به .

(٢) شعث : جمع أشعث ، وهو المغبر الشعر من طول السفر المتفرقه ، والحنىّ : جمع حنية ، وهى القوس . (المعنى) على هذه النوق رجال شعث قاصدون للحج ، وقد أصبحت هذه النوق من عناء السفر ضامرة كالأقواس المبرية خاضعة الأعناق إعياء وتعبا

(٣) لكلفتنى : جواب القسم . والعر : قروح مثل القوباء تخرج من الإبل متفرقة فى مشافرها وقوائمها ، فتكوى الصحاح فى هذه المواضع لئلا تعديها المراض . (المعنى) لقد آخذتنى بذنب الجانى وتركته ؛ فأنا وهو كمثل الفصيل المعرور : يترك راتعا يأكل ما شاء فى مرعاه ، و يكوى غيره وهو سليم .

(٤) وأنت بأمر لا محالة واقع ، أى وأنت فى أمر إيذائى واقع لا محالة .

(٥) فانك كالليل الخ أى فان عقابك ومؤاخذتك كالليل أى لا أنجو من عقابك مهما اتسعت أمامى مذاهب البعد منك والهرب عنك . وخص الليل دون النهار لأن الليل موحش يخشى شره كما يخشى عقاب الملك .

(٦) خطاطيف : خبر لمبتدأ محذوف أى لك خطاطيف : جمع خطاف . أو مبتدأ سوّغ الابتداء به الوصف وتمد خبره . وحجن : جمع أحجن أى معوج . (المعنى) أن لك خطاطيف تمتد إلى بها أيد تنزع بى إليك وتجذبنى .

أتُوعِـدُ عبدًا لم يخنْـك أمانةً — ويُـترَكُ عبـدٌ ظَالمٌ وهـو ضالع (١)
وأنت ربيعٌ يُنعِشُ النـاسَ سَيبُه — وسـيفٌ أُعِـيرَتْهُ المنيَّـةُ قاطـع (٢)
أبَى اللهُ إلَّا عـدلَهُ ووفاءَهُ — فلا النُّكرُ معروفٌ، ولا العُرفُ ضائع (٣)
وتُسقَى إذا ما شِئْتَ غيرَ مُصَرَّدٍ — بزوراءَ، فى حاناتهـا المسكُ كانع (٤)

(٧) قال أعشى قَيْس : (٥)

ودِّعْ هُرَيْرَةَ إنّ الركبَ مُرْتَحِـلُ — وهـل تطيقُ وَداعًا أيُّهـا الرجلُ (٦)

---

(١) الضالع : الجائر المذنب . (٢) السيب : العطاء .

(٣) أى أن الله عادل : ليس النكر مقبولا عنده ، ولا المعروف ضائعا وهو جاعل النعمان بارادته عادلا . واذا أعدنا الضمير على النعمان فالمعنى ظاهر أيضا .

(٤) التصريد : الشرب دون الرى ، وزوراء : دار كانت بالحيرة للمناذرة ، وكنع المسك بالشىء : تراكم ولزق . والبيت دعاء للنعمان .

(٥) هو أبو بصير ميمون الأعشى بن قيس بن جندل القيسى البكرى ، أحد فحول شعراء الجاهلية ، والمتكسبين بالشعر منهم ، وينتهى نسبه إلى بكر بن وائل ، وكان يسكن أرض اليمامة فى قرية منها تسمى "منفوحة" ، قال الشعر وأجاده وذاع صيته ، ومدح الملوك والاجواد ، ومنهم المناذرة ، وملوك نجران ، حتى طمع فى جوائز كسرى ، فرحل اليه ومدحه ، وله شعر غزير جيد ، وقصائد مطولة ، وهو أحد المكثرين فى وصف الخمر . عرب فى شعره كثيرا من الالفاظ الفارسية بعد دخوله أرض فارس . ولشعره حلاوة ورنة فى نفس سامعه حتى سمى صناجة العرب ، ومات فى أوائل ظهور الإسلام ، وعده كثير من أصحاب المعلقات وأن معلقته القصيدة اللامية التى مطلعها :

ما بكاء الكبير فى الأطلال — وسؤالى وما ترد سؤالى

وقيل : معلقته هى القصيدة التى نحن بصدد شرحها .

(٦) هريرة اسم قينة كانت لرجل من آل عمر بن مرثد أهداها إلى قريب له ، فولدت خليدا الآتى ذكره فى شعره .

غَرَّاءُ فَرْعاءُ مصقولٌ عوارضُها ... تمشي الهُوَيْنَى كما يمشي الوَجِي الوَحِلُ (١)
كأن مِشيتَها من بيتِ جارتِها ... مَرُّ السحابةِ ، لا ريثٌ ولا عَجَل (٢)
تسمعُ للحَلْيِ وَسْواسًا إذا انصرفتْ ... كما استعانَ بريحٍ عِشْرِقٌ زَجِلُ (٣)
ليستْ كمن يكرهُ الجيرانُ طَلعتَها ... ولا تراها لسرِّ الجارِ تختَتِلُ (٤)
يكاد يَصْرَعها (لولا تشدُّدُها) ... إذا تقومُ إلى جاراتها — الكَسَل (٥)
إذا تقوم يَضُوعُ المِسْكُ أَصْورةً ... والزَّنْبَقُ الوَرْدُ من أردانِها شَمِل (٦)
ما روضةٌ من رياضِ الحَزْنِ مُعشِبةٌ ... خضراءُ جاد عليها مُسْبِلٌ هَطِل (٧)

---

(١) الغراء : البيضاء الواسعة الجبين ، والفرعاء : الطويلة الفرع أى الشعر ، والعوارض هنا : الرباعيات والأنياب من الأسنان ، يريد أنها نقية الأسنان ، الوجى : الذى يشتكى حافره ولم يحف بعد ؛ فيكون مشيه متثاقلا ، فكيف اذا كان وحلا ؟ أى يمشى فى الوحل . يعنى : أن هذه الجارية لسمنها وتدللها تمشى متمهلة متمايلة .

(٢) الريث : البطء .

(٣) الوسواس : صوت الحلى ، والعشرق : شجيرة مقدار ذراع لها أكمام فيها حب صغار إذا جفت فرت بها الريح تحرك الحب فسمع له خشخشة على الحصى . شبه وسواس حليها بصوته اذا ضربته الريح .

(٤) تختتل : أى تتسمعه استراقا .

(٥) يصفها بالسمن والترف ، وكانوا يمدحون المترفات بالكسل وقلة العمل فى البيت لأنهن مخدومات

(٦) يضوع المسك : أى تذهب رائحته هنا وهناك ، وأصورة : جمع صوار بالضم ، وهو نافجة المسك أو حقه ، والزنبق عند العرب : زيت الياسمين ، وأجوده ما كان يميل الى حمرة ، ولذلك وصفه بالورد . (المعنى) اذا قامت هذه الجارية تضوع منها المسك شديدة رائحته كأنما تضوع من عدة حقاق ، وكذلك كانت رائحة زيت الياسمين المنبعثة من أطراف أكمامها شاملة عامة للمكان الذى هى فيه .

(٧) الحزن : الأرض الغليظة ، والحزن المراد هنا : موضع ببلاد بنى يربوع من اليمامة فيه رياض وقيعان .

يُضاحِكُ الشمسَ منها كوكبٌ شَرِقٌ ... مُؤَزَّرٌ بعَمِيمِ النبتِ مكتهل (١)

يومًا بأطيبَ منها نَشْرَ رائحةٍ ... ولا بأحسنَ منها إذ دنا الأُصُل (٢)

صدَّت هريرةُ عنا ما تكلمنا ... جهلًا بأم خليد، حبلَ مَنْ تَصِل؟ (٣)

أأَنْ رأتْ رجلًا أعشى أضرَّ بهِ ... رَيبُ المنونِ ودهرٌ مُفْنِدٌ خَبِل (٤)

قالت هريرةُ لما جئتُ زائرها: ... وَيْلِي عليك! ووَيْلِي منك يا رجل! (٥)

إما تَرَيْنا حُفاةً، لا نِعالَ لنا ... إنَّا كذلك ما نَحْفَى وننتعل (٦)

وقد أقودُ الصِّبا يومًا، فيتبعُني ... وقد يصاحبُني ذو الشِّرَّةِ الغَزِل (٧)

(١) كوكب كل شيء: معظمه ويريد به هنا جماعة الزهر، أى يضاحك الشمس منها ويدور معها حيث دارت زهرها، أو يتفتح ويشرق عند شروقها، وهذا الزهر مؤزر أى يكنفه نبات تام النمو ملتف عليه كالتفاف الإزار.

(٢) الأصل: جمع أصيل وهو من العصر الى الظلام، وخص هذا الوقت لأن الجو يبرد فيه فيهب النسيم حاملا رائحة الأزهار، وبأطيب خبر قوله ما روضة السابقة، يعنى أن رائحة الروضة الموصوفة بهذه الصفات الحسنة ليست بأفضل من رائحة هريرة.

(٣) أم خليد: كنية هريرة وقوله (حبل من تصل؟) استفهام تعجبي، يعنى: اذا هجرتنا ولم تكلمنا فمن تكلم إذن؟.

(٤) الأعشى: الذى لا يبصر بالليل، والمفند: الآتى بالفند وهو السفه فى الرأى، ومثله الخبال.

(٥) «ويلى عليك وويلى منك» أى أتفجع عليك لأنك تسعى بزيارتك لى فى هلاك نفسك، وأتفجع منك لأن زيارتك لى تجر إلى هلاكى. (المعنى) أمن أجل أن رأتنى هريرة رجلا أعشى قد أهلك الموت أهله وخانه دهر سفيه مخبول تقول لى لما زرتها «ويلى عليك الخ».

(٦) ثم أخذ يعاتبها ويدفع عن نفسه بأن الصفات التى صدت عنه من أجلها طارئة عليه بفعل الموت والزمان، وأنه كان شابا غنيا طروبا غزلا يشرب الخمر مع فتيان مثله ويستمع للقيان وينعم بهن فقال: «إما ترينا حفاة لا نعال لنا ... الخ» أى إن ترينا نتبذل مرة فنمشى حفاة فليس هذا دأبنا دائما فانا نمشى أيضا منتعلين فطورا نفتقر وطورا نغنى.

(٧) أقود الصبا الخ: أى أتصابى، وآتى بأفعال الفتيان، ويصحبنى منهم الغزل ذو الشرة، وهى

وقد غدوتُ إلى الحانوت يتبعُنى ... شاوٍ مِشَلٌّ شَلُولٌ شُلْشُلٌ شَوِل (١)
فى فتيةٍ كسيوف الهندِ قد علموا ... أنْ هَالِكٌ كُلُّ مَنْ يحفىٰ وينتعل (٢)
نازعتُهم قُضُبَ الرَّيحان متكئا ... وقهوةً مُزَّةً رَاوُوقُها خَضِل (٣)
لا يستفيقون منها، وهى راهنةٌ ... إلا بهاتِ، وإن عَلُّوا، وإن نَهِلوا (٤)
يسعىٰ بها ذو زجاجاتٍ له نَطَفٌ ... مُقَلِّصٌ أسفلَ السِّربال مُعْتَمِلُ (٥)
ومستجيبٍ تخالُ الصَّنجَ يُسمِعُه ... إذا تُرَجِّع فيه القَيْنةُ الفُضُل (٦)

(١) الحانوت : بيت الخمار، والشاوى : الذى يشوى اللحم، والمشل : السوّاق الخفيف، والشلول والشلشل : المشترى، فيحمله له ويرفعه . (المعنى) قد أبكر الى حانة الخمار يتبعنى غلام طاه يشوى لى اللحم ويسوق دابتى سوقا حسنا، ويحمل لى ما أشتريه فى نشاط وخفة روح، وذكر هذه الألفاظ المتقاربة الحروف والمعانى مبالغة، ولكنها عيبت عليه .

(٢) أى كالسيوف فى المضاء والصرامة وأن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن المحذوف وجملة خبرها «هالك كل من ... الخ» فهالك خبر مقدم وكل مبتدأ مؤخر . (المعنى) أى فى فتية قد علموا أن جميع الناس هالكون فهم يبتدرون اللذات خوف أن يفوتها الموت عليهم .

(٣) الريحان : كل زهر طيب الرائحة، ونازعتهم قضب الريحان : أتناولها مرة ويتناولونها أخرى؛ والقهوة : الخمرة، والراووق : الوعاء الذى تروق فيه الخمر، وخضل : دائم الندى لا يجف لكثرة شربهم .

(٤) راهنة : دائمة أمامهم أى لا ينتهون إلا اذا أبطأ عليهم الساقى فصاحوا به "هات" ولو شربوا عللا بعد نهل أى مرة بعد أخرى .

(٥) النطف : القرطة من اللؤلؤ، ومقلص : مشمر، والسربال : القميص، والمعتمل : النشيط . (المعنى) يسعى بالخمرة ساق يحمل زجاجاتها مقرط الأذن بلؤلؤ، مشمر ذيله معتمل نشيط .

(٦) ومستجيب : أى ورب عود طرب مستجيب لصوت الصنج كأنه يسمعه النغم فيجيبه بمثله؛ أى أن العود والصنج متفقان فى النغم لا يشذ أحدهما عن الآخر . والصنج : دوائر رقاق من نحاس يصفق بإحداهما على الأخرى وهى التى نسميها فى زماننا «الكاسات» وهو أيضا نوع من الآلات الوترية، وترجع : تردد النغم، والقينة : الأمة، وقيل : إذا كانت مغنية، والمرأة الفضل : التى تلبس ثوبا واحدا كأنها متبذلة .

والساحباتُ ذُيولَ الرَّيْطِ آونةً والرافلاتُ على أعجازها العِجَلِ (١)

من كل ذلك يومٌ قد لَهَوْتُ به وفي التجارب طولُ اللهوِ والغَزَلِ (٢)

* * *

أبلغ يزيدَ بني شَيْبانَ مَأْلُكَةً : أبا ثُبَيْتٍ أمَا تنفكُّ تأْتَكِلُ (٣)

ألستَ منتهيًا عن نَحْتِ أَثْلَتِنا ولستَ ضائرَها ما أطَّتِ الإبلُ (٤)

كناطحٍ صخرةً يومًا ليُوهِنَها فلمْ يَضِرْها وأَوْهَى قَرْنَه الوعِلُ

تُغرِي بنا رَهْطَ مسعودٍ وإخوتِه يومَ اللقاءِ، فتُرْدِي، ثم تعتزِلُ (٥)

لا أعرِفَنَّكَ إن جَدَّتْ عداوتُنا والتُمِسَ النَّصرُ منكم عَوْضُ تُحْتَمَلُ (٦)

نُلحِم أبناءَ ذي الجَدَّين إنْ غضبوا أرماحَنا، ثم تلقاهُمْ، وتعتزِلُ (٧)

لا تقعُدَنَّ، وقد أكَّلْتَها حَطَبًا تَعوذُ من شرِّها يومًا وتبتهِلُ (٨)

---

(١) والساحبات بالنصب على أنه مفعول لفعل مقدّر : أي وترى الساحبات ، أو على أنه معطوف على الصنج ، أي وتخال الصنج يسمعه وتخال الساحبات كذلك ، أي يوافقن فى غنائهن نغم العود ، والريط : الملاءات ، وآونة : جمع أوان . والرافلات : الجارّات لثيابهن خلفهن ، والعجل : القرب الصغيرة شبه بها أعجازهن .

(٢) أى لهوت وتغزلت طويلا فى تجاربى .

(٣) المألكة : الرسالة ، وتأتكل : يأكل بعضك بعضا من الغيظ .

(٤) أصل الأثلة الشجرة من الأثل ، والمراد بها هنا أصلنا ومجدنا المؤثل ، وأطت الإبل : أنت تعبا وحنينا . (المعنى) لست بضارنا أبد الدهر .

(٥) تغرى بنا رهط مسعود : أى تلصق العداوة بيننا و بينهم فتهلك الناس باغرائك ثم تعتزل القتال .

(٦) عوض : ظرف لمستقبل الزمان ضدّ قط التى هى للماضى ، تقول عوض لا أفارقك . أى لا أفارقك أبدا ، وتحتمل بالبناء للمجهول . من احتمل الرجل أغضب . أى لا أظنك إن احتدم الشر بيننا والتمس منك المساعدة تغضب للتمس وتنصره .

(٧) أى تجعلهم لحمة وطعاما لرماحنا وذو الجدّين : قيس بن مسعود من أشراف العرب .

(٨) أكلتها : أججتها ثم تعوذ بالله من شرها وتبتهل اليه فى اجتنابها .

سائل بنى أسـدٍ عنّا، فقد علموا ... أنْ سوف يأتيك من أنبائنا شَكَلُ (١)

واسألْ قُشَيْـرًا وعبـدَ الله كلَّهمُ ... واسألْ ربيعةَ عنـا كيفَ نفتعل (٢)

إنا نقـاتلهم حـتى نُقَتِّلهـمْ ... عندَ اللقاءِ، وإنْ جاروا، وإنْ جهلوا

قد كانَ فى آلِ كهفٍ إن همُ احتربوا ... والجاشرية من يسـعَى ويَنتضل (٣)

إنى لعمـرُ الذى خطَّتْ مناسِمُها ... تَخْدِى، وسِيقَ إليه الباقرُ الغُيُلُ (٤)

لئن قتلتم عميـدا لم يكن صَـدَدًا ... لَنَقْتُلَنْ مثـلَه منكم، فنمتثِل (٥)

لئن مُنيتَ بنـا عن غِبِّ معركةٍ ... لا تُلْفِنا عن دماءِ القـومِ ننفتـل (٦)

لا تنتهون، ولن يَنْهَى ذوو شَطَطٍ ... كالطعنِ يذهب فيه الزَّيْتُ والفُتُل (٧)

---

(١) شكل : أزواج، أى خير ثم خير .

(٢) نفتعل : نأتى بالامر العظيم المبتدع .

(٣) آل كهف والجاشرية : حيان من العرب، أى لقد كان فى هذين الحيين من يسعى لأخذ ثاره ويناضل فادخولك أنت بينهم ولست منهم .

(٤) خدلت : صفت التراب بمناسمها، والمناسم : جمع منسم كمجلس، طرف الخف من البعير وتخدى : تسرع فى السير مع اضطراب، والباقر : البقر، والغيـل ككتب، جمع غيول : الكثير من الإبل والبقر ونحوها (المعنى) إنى أحلف بالله الذى ترحل إلى بيته إبل الحجيج سرعة تثير التراب بمناسمها ويساق اليه البقر الكثير ليضحى به هديا يتقرب به إليه .

(٥) العميد : السيد، وصدد الشىء : المقابل له أو القريب منه فنمتثل أى نتخير الأمثل فالأمثل (المعنى) لئن قتلتم منا سيدا لم يكن فى رفعة الشأن مقاربا للقاتل لنقتلن به أفضل سيد فيكم .

(٦) منيت : أصيبت وابتليت بنا بعد معركة، وننفتل : نلوى وننصرف (المعنى) لئن ابتليت بحربنا لا تجدنا نجحد دماء قومك ونتبرأ منها بل نعترف بها ونستعد للاقاتكم عند ما تريدون أخذ الثأر منا .

(٧) الشطط : الجور والظلم أى أنكم لا تنتهون عن أذانا، ولا ينها كم عن ظلمنا الا طعنة جائفة إذا عولجت بوضع الزيت والفتيل ذهب الزيت والفتيل فيها لغورها، ولم يغن العلاج وبقى الجرح بلا برء .

حتى يَظَلَّ عميـدُ القومِ مرتفِقًا ... يَدْفَعُ بالرَّاحِ عنه نِسْـوةٌ عُجُـلُ (١)

أصابَهُ هِنـدُوانِيٌّ، فأَقْصَـدَهُ ... أو ذابلٌ من رماح الخَطِّ معتدِلُ (٢)

كَلَّا ! زعمـتُمْ بأنا لا نقاتلُكـم ... إنا لأمثالِكم يا قومَنـا قُتُـلُ (٣)

نحن الفوارسُ يومَ الحِنْوِ ضاحِيةً ... جَنْبَي فُطَيْمَةَ لا مِيـلٌ ولا عُزُلُ (٤)

قالوا: الطعانُ. فقلنا: تلك عادتُنا، ... أو تنزِلونَ، فإنا مَعْشَرٌ نُزُلُ (٥)

قد نخضِبُ العَيْرَ فى مَكنونِ فائِلِهِ ... وقـد يَشيطُ على أرماحِنا البَطَلُ (٦)

---

(١) العجل : جمع عجول : المرأة الثكلى، أى لا تنتهون عن غيكم حتى نصرع سيد قومكم، فيظل معتمداً على مرفقه يهم بالقيام فلا يستطيع، وقد فزعنه أنصاره أو قتلوا، ولم يبق مدافع عنه إلا نسوة ثكالى يدفعن عنه بأكفهن خشية أن تدوسه الأرجل .

(٢) الهندوانى : المنسوب الى الهند أى سيف هندوانى، وأقصده : أصابه فلم يخطئه . أو ذابل : أى رمح ذابل من رماح الخط وهى بلد فى البحرين تجلب منها الرماح .

(٣) قتل : جمع قتول أى قتال .

(٤) الحنو : المعوج من جبل و رمل ومن كل شىء : و يوم الحنو : من أيامهم ويسمى « حنو قراقر، وحنو ذى قار» . وفطيمة : اسم موضع بالبحرين انتصر فيه قومه على بنى شيبان . وفعل الشىء ضاحية : أى علانية — والميل : جمع أميل وهو الذى لا يثبت فى القتال . والعزل : جمع أعزل وهو الذى لا سلاح معه وحركت الزاى بالضم (المعنى) نحن الفوارس المنتصرون علانية يوم الحنو بجانبى وادى فطيمة حيث لم نكن ثمة فارّين ولا عزلا من السلاح .

(٥) أى أو تنزلون عن خيولكم فنجالدكم بالسيوف بدل المطاعنة بالرماح فانا مثلكم نازلون .

(٦) العير : المراد به هنا حمار الوحش الذى يصاد بالرماح، والفائل : عرق يجرى من الجوف الى الفخذ . ومكنون فائله : الدم الذى ينفجر منه . و يشيط : يهلك (المعنى) اننا بصراء بمواضع الطعن فاذا كان الصيد والطرد طعنا حمار الوحش فى فائله فخضبنا العير بدمائه التى تنزف منه، واذا كان القتال طعنا الفارس فرفعناه على رماحنا .

(٨) قال طَرَفة بن العبد (١) :

لِخَولةَ أطلالٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ ... تلوحُ كباقي الوَشْمِ في ظاهرِ اليدِ (٢)

وُقوفًا بها صَحْبي عليَّ مَطِيَّهم ... يقولون : لا تَهْلِكْ أسًى وتَجَلَّدِ (٣)

كأنَّ حُدوجَ المالكيّةِ غُدْوةً ... خَلايا سَفِينٍ بالنواصف من دَدِ (٤)

عَدَوْليّةٌ أو مِن سَفِينِ ابن يَامِنٍ ... يَجورُ بها المَلّاحُ طَوْرًا، ويهتدي (٥)

---

(١) هو طرفة بن العبد البكرى أحد فحول شعراء الجاهلية ، مات أبوه وهو صغير ورباه أعمامه ، ومال الى البطالة وقول الشعر ، وتعرض به لهجاء الناس والملوك ، وكان ممن هجاهم عمرو بن هند ، فجاء يوما يعترض لمعروفه ، فأحاله على عامل له بالبحرين بأن يأخذ جائزته منه ، وأوعز ابن هند الى الوالى بقتله فقتله وهو شاب لم تزد سنه على ست وعشرين سنة . وهو من أوصف الناس للناقة ، يميل الى الغريب من اللفظ والكناية حتى تكاد تخفى معانيه فى بعض أبيات من شعره ، وله ديوان صغير أشهره معلقته التى نحن بصدد شرحها .

(٢) خولة : اسم امرأة . والأطلال : الآثار الشاخصة من الديار بعد دروسها . والبرقة فى الأصل : المكان الذى اختلط ترابه بحجارة أو حصى براق . و برقة ثهمد : اسم ديار محبوبته . الوشم : النقش على اليد بالنيلج أو بصبغ أسود بغرز الإبر فى الجلد .

(٣) وقوفا : منصوب على أنه حال وهو جمع واقف ، وصحبى فاعل اللفظ (وقوفا) لأنه اسم فاعل يعمل عمل فعله ومطيهم مفعول لأنه بمعنى حبس المتعدّى . (المعنى) لاحت لى هذه الأطلال ، وأصحابى حابسون مطيهم من أجلى فى هذه البقعة ناصحين لى بالتجلد والصبر ، يقولون : لا تهلك حزنا وتجلد .

(٤) الحدوج : جمع حدج وهو مركب يوضع على الجمال للنساء خاصة . والمالكية : أى المنسوبة الى بنى مالك بن سعد . والخلايا : جمع خلية ، وهى السفينة العظيمة . والنواصف : جمع ناصفة ، وهى الرحبة الواسعة فى الوادى . ودد اسم مكان (المعنى) كأن هوادج المالكية وهى تسير بالرحاب الواسعة من المكان المسمى ددا سفن عظيمة لكبرها وتمايلها ثم أخذ فى وصف هذه السفن فقال عدولية الخ .

(٥) عدولى : قرية بالبحرين كان أهلها يصنعون السفن العظيمة . وابن يامن ملاح أو تاجر من أهل هجر . ويميل بها الملاح : أى يجور بها عن طرق السفن المسلوكة طورا ويهتدى طورا على حسب تصاريف الرياح .

يَشُقُّ حَبابَ الماءِ حيزومها بها   كما قَسَمَ التُّرْبَ المفايِلُ باليد (١)

وفى الحَىِّ أحْوَى ينفُضُ المَرْدَ شادِنٌ   مُظاهِرُ سِمْطَى لُؤلُؤٍ وزَبرْجَد (٢)

خَذُولٌ تُراعى رَبْرَبًا بخميلةٍ   تناوَلُ أطرافَ البَريرِ وترتدى (٣)

وتبسِمُ عن ألْمى كأنَّ مُنَوِّرًا   تَخَلَّلَ حُرَّ الرَّمْلِ دِعْصٌ له نَدِ (٤)

---

(١) الحباب: موج البحر المزبد. والحيزوم: الصدر. والمفايل: الذى يلعب لعبة الفيال أو المفايلة، وهى لعبة لصبيان الأعراب، وهى تراب يكومونه، ثم يخبئون فيه خبيئا، ثم يشق المفايل تلك الكومة بيده فيقسمها قسمين، ثم يقول: فى أى الجانبين خبأت؟ فان أجاب المسئول بالصواب ظفر وإلا قمر وغلب.

(٢) وفى الحى: أى فى منازل القبيلة ظبي أحوى، أى أسود العين، يريد به محبوبته، ثم ذكر بعض أوصاف الظبي وبعض أوصاف المحبوبة فقال: هذا الظبي ينفض المرد أى يأكل ثمر الأراك نفضا بفمه. شادن: أى صغير السن. وهذه المحبوبة تتقلد سمطين أحدهما فوق الآخر، سمطا من اللؤلؤ، وسمطا من الزبرجد. واللؤلؤ: خرز كريم يكون فى جوف نوع من الأصداف. والزبرجد: جوهر كريم من جواهر البر أخضر اللون.

حشية أو الظبية اذا خذلت صواحبها وأقامت على ولدها وهى خاذل أيضا وصفها على التشبيه هنا بوصف المؤنث. وفى السابق بوصف المذكر بقوله (أحوى) من أجل أن هذه المرأة تشبه الغزال مرة وتشبه مرة البقرة الخذول وإن رعت مع صواحبها لا تزال تتلفت إلى ولدها والهة عليه ترنو الى ناحيته بحنو. وذلك ما يريده فى وصف محبوبته عند تلفتها ونظرها بتدلل لمن يراعيها. وتراعى بمعنى ترعى مع غيرها. والربرب: القطيع من البقر والظباء. والخميلة: الأرض اللينة ذات الأشجار الكثيفة الغضة المتهدلة. والبرير: ثمر الأراك (المعنى) أن هذه الفتاة حسنة التلفت والنظرات كأنها مهاة مذعورة على ولدها، فهى ان رعت مع صواحب لها خذلتهن واجتنبتهن ولا تزال متلفتة الى ناحية ولدها، وهى متنعمة كالمهاة التى ترعى البرير وتدخل فى خلال أغصان الشجر فتكون كأنها مرتدية بها.

(٤) الثغر الألمى: الأسمر اللثة، وهم يمدحون سمرتها لدلالتها على اكتناز الدم فيها، وهو أمارة الصحة. والمنوّر: صفة لموصوف محذوف أى كأن أقحوانا منوّرا. وخبر كأن محذوف تقديره (هو) وتخلل الشيء حل فى خلله. وحر الرمل خالصه. والدعص: الكثيب من الرمل (المعنى) أن الحبيبة تبسم عن ثغر كأن فيه أقحوانا منورا تخلل دعصه الندى الذى نبت فيه رملا خالصا نقيا. والأقحوان الذى ينبت فى الرمل الندى النقى يكون أنقى بياضا.

سَقَتْهُ إياةُ الشَّمسِ إلّا لِثاتِهِ ... أُسِفَّ، ولم تَكدِمْ عليه، بإثْمِدِ (١)

ووجهٌ كأنَّ الشمسَ ألقتْ رداءَها ... عليـــهِ نقيُّ اللونِ لم يَتَخـدَّدِ (٢)

وإني لأُمْضِي الهَمَّ عندَ احتضارِه ... بعَوْجاءَ مِرْقالٍ تروحُ وتغتـــدي (٣)

الى أن قال :

على مثلِها أَمْضِي اذا قال صاحبي: ... ألا ليتَني أَفْديكَ منها ، وأفتدِي (٤)

وجاشتْ اليه النفسُ خَوفًا ، وخالَهُ ... مُصابًا ، ولو أمسى على غيرِ مَرْصَدِ (٥)

اذا القومُ قالوا : مَنْ فتًى ؟ خلتُ أنَّني ... عُنِيتُ ؛ فلم أَكْسَلْ ولم أَتَبَـلَّدِ (٦)

---

(١) وصف الثغر : باعتبار بياض أسنانه بأن سقته إياة الشمس أى ضوؤها بياضا وحسنا أى أشربته حسنها . واستثنى اللثة لأن بياضها عيب ودليـل على ضعف الدم بل هى سمراء كأنما ثغرها أسـف بأثمد أى ذرّ عليه الأثمد وهو الكحل فاسودّت لثته وبقيت مرسلة على الأسنان لم تتقلص الى أعلى لأنها مترفة فى المأكل لا تكدم على ثغرها بأكل الأشياء اليابسة الغليظة التى تكشف اللثة عن أصول الأسنان بل تأكل اعم اللين .

(٢) ووجه : ولهـا وجه أبيض كأن الشمس خلعت رداءها عليه فهو نقى اللون لم يتخدّد أى يتكسر جلده ويتغضن فيطفئ ذلك رونقه .

(٣) أمضى : أنفـذ ، والهم ما يهـم من الأمور ، واحتضاره : حضوره . والعوجاء : الضامرة الملتصقة البطن ، فتكون معوجة الأسفل . والمرقال : السريعة السير ، وتروح وتغتدى : أى تصـل سير الرواح بسـير الغدو . أى اذا همنى أمر يستدعى السفر أمضيته من ساعة حضوره بركوب ناقة ضامرة سريعة تصل الرواح بالغدو .

(٤) على مثلها الخ : أى على مثل الناقة أسـير فى الفلاة الموحشة التى يقول صاحبى من خوفها : إنا هالكون ، فياليتنى أقدر على أن أفديك منها ، وأفتدى نفسى — وضمير فيها يعود على الفـلاة المفهومة من المقام كقوله تعالى « حتى توارت بالحجاب » أى الشمس .

(٥) وجاشت إليـه النفس خوفا : أى ارتفعت ، فلم تستقر : كما تجيش القدر إذا ارتفع غليانها . والمرصد : المكان الذى يترصد فيه اللصوص والأعداء من يمر بهم (المعنى) وذعرت نفسه ، وظن نفسه مصابا هالكا ، ولو لم يكن هناك من يرصده . ثم أخذ يفتخر بخصاله فقال « إذا القوم الخ ... » .

(٦) أى إذا قال القوم : من فتى لسلوك هذه الفـلاة و إمضاء هـذه المهمة العظيمة ؟ علمت أنهم يعنوننى ؛ فقمت بها غير كسل ولا متبلد .

أحلْتُ عليها بالقَطِيع ، فأَجْذمتْ وقَـد خَبَّ آلُ الأَمْعَزِ المُتوقِّـد (١)

فذالتْ كما ذالتْ وَليـدةُ مَجلِس تُرِى ربهـا أذيالَ سَحْـل مُمَـدَّد (٢)

ولستُ بحـلّالِ التِّـلاع مخافةً ولَكن متى يسترفِدِ القومُ أَرفِد (٣)

فان تَبغِنى فى حَلْقةِ القـومِ تلقَنِى وان تلتمسْنِى فى الحوانيتِ تَصطَد (٤)

متى تأْتِنى أصبحْكَ كأْسًا رَوِيَّةً وان كنتَ عنها ذا غِنًى فاغْنَ وازدَدِ (٥)

وإن يلتَـقِ الحىُّ الجميـعُ تلاقِنى الى ذِروة البيتِ الشريفِ المُصَمَّد (٦)

نداماىَ بِيضٌ كالنجومِ وقَيْنَـةٌ تروحُ إلينـا بيْنَ بُرْدٍ ومُجْسَد (٧)

(١) القطيع : السـوط ، وأحلت على الناقة بالقطيع ضربتها به ضربا فى إثر ضرب . وأجذمت : أسرعت ، وخب : ارتفع . والآل : السراب ، أو هو سراب أول النهار خاصة . والأمعز والمعزاء : المكان الغليظ الكثير الحصى ، والمتوقد : الملتهب بالحر (المعنى) قمت بسـلوك هذه المفازة فركبت ناقتى ، وضربتها بالقطيع فأسرعت ، وقد اشتد الحر وارتفع السراب فى الأماعز الملتهبة من الحر .

(٢) فذالت أى ماست وتبخترت . والوليدة : الجارية المولدة فى بلاد العـرب . والسحل : الثوب الأبيض (المعنى) فتبخترت هذه الناقة كما تتبختر جارية تعرض فى مجلس سيدها تجر أذيال ثوبها الأبيض الضافى .

(٣) التلاع : جمع تلعة ، وهى مجارى المياه من رءوس الجبال إلى الأودية حيث تشق فيها شـقا . واسترفد : طلب الرفد وهو المعونة والعطاء (المعنى) لست ممن يستتر فى التلاع وشقوق الجبال مخافة الضيفان والمسترفدين ، ولكن متى يطلب القوم إعانتى أعنهم .

(٤) الحانوت : حانة الخمار يعنى إذا طلبت معونتى تجدنى إما فى حلقة القوم عنـد المشورة وإجالة الرأى . وإما فى حانات الخمارين ، أى أنى رجل جد اذا جد الأمر ، ورجل لهو اذا فرغت .

(٥) يقول إذا جئتنى أصبحك بشرب كأس ترويك ، وإن كنت غانيا عنها بما عندك فاغن به وازدد بما عندنا .

(٦) ذروة كل شىء : أعلاه . والمصمد : الذى يصمد اليه فى الحوائج أى يقصد (المعنى) إن يجتمع الحى للفاخرة بالأنساب تجدنى أنتمى الى أعلى بيت شريف يقصد فى الحوائج .

(٧) النـدامى : جمع نديم . والقينة : الأمة المغنية وقد تطلق على الأمة أيا كانت . تروح علينا أى تأتينا عشية . والمجسد : الثوب المصبوغ بالجساد ، وهو الزعفران أو الثوب الذى يلى الجسد وهو=

إذا نحنُ قُلْنا : أسمعينا ، انبرتْ لنا على رِسْلِها مطروفةً لم تَشَدَّدِ (١)
إذا رَجَّعَتْ فى صَوْتِها خلتَ صَوْتَها تجاوُبَ أَظْآرٍ على رُبَعٍ رَدِى (٢)
وما زال تَشرابِى الخمورَ ولَذّتى وبَيْعِى وإنفاقى ، طَرِيفى ومُتْلَدِى (٣)
إلى أن تحامتْنى العشيرةُ كلُّها وأُفرِدْتُ إفرادَ البعيرِ المُعَبَّدِ
رأيتُ بنى غَبْراءَ لا يُنكِرونَنى ولا أَهْلُ هذاكَ الطِّرافِ المُمَدَّدِ (٤)
ألا أيُّها ذا الزاجرى أَحْضُرَ الوَغَى وأنْ أَشْهَدَ اللذاتِ ، هل أنتَ مُخْلِدِى (٥)
فإن كنتَ لا تسطيعُ دفعَ مَنِيَّتِى فدعْنِى أُبادِرْها بما ملكَتْ يدى (٦)

= الشعار (المعنى) نداماى أحرار بيض ليسوا مولدين من إماء سود فهم مثل النجوم الوضاءة ، ومن نداماى مغنية تجىء الينا عشية عليها برد تحته قميص أحمر اللون ، أو تحته قميص واحد على جسدها .

(١) أى اذا قلنا لهذه المغنية : أسمعينا غناءك اعترضت لنا وظهرت تغنى على رسلها هينة فى رفق وتؤدة ، مطروفة العين (أى ساكنة الطرف) لم تبالغ فى صياحها .

(٢) رجعت فى صوتها : كررت النغم . والأظآر : جمع ظئر ، وهى هنا الناقة المرضع . والربع : الفصيل الذى ولد فى الربيع . والردى : الهالك (المعنى) اذا رجعت هذه المغنية فى صوتها أشبه حنين صوتها حنين النياق التى فقدت فصلانها .

(٣) تشرابى : أى شربى . والطريف : المال الذى يكتسبه المرء بنفسه . والتليد والمتلد : الذى يرثه عن آبائه ، والمعبد : البعير الأجرب المطلى بالقطران المبعد عن الإبل (المعنى) ما زال شربى للخمر ولذتى بها وبيعى وانفاقى لأجلها هو كل ثروتى الحديثة والقديمة حتى تحامتنى عشيرتى لإفراطى فى اللذات ، وأصبحت متفردا بلذاتى عنهم كالبعير الأجرب .

(٤) الغبراء : اسم للأرض . وبنو غبراء : الفقراء أو الأضياف . والطراف : القبة من الجلد يتخذها المياسير والأغنياء . والممدد الذى مدّ بالأطناب (المعنى) إن اعتزلونى لا أكن مجهولا ؛ فان الفقراء يعرفوننى بعطائى لهم ، وكذلك الأغنياء بجلالتى وشرف نسبى .

(٥ و ٦) الوغى : الحرب (المعنى) يامن يزجرنى من أجل حضورى الحروب وانهما كى فى اللذات بأن كلا منهما يجر الى الموت هل أنت ضامن لى الخلود فى الدنيا ؟ فان كنت لا تستطيع دفع منيتى فدعنى أستبق اليها بانفاق ما ملكت يدى فى لذاتى .

أرى قبرَ نحَّام بخيل بماله ... كقبر غويٍّ فى البطالة مُفسِدِ (١)
ترى جُثوَتين من تُراب عليهما ... صفائحُ صمٌّ من صَفيح منضَّدِ (٢)
أرى الموتَ يعتامُ الكرامَ ويصطفي ... عقيلةَ مالِ الفاحش المتشدِّد (٣)
أرى العيشَ كنزًا ناقصًا كلَّ ليلة ... وما تَنقُصِ الأيامُ والدهرُ يَنفَدِ (٤)
لعمرك إن الموتَ ما أخطأَ الفتى ... لكالطِّوَل المُرخى وثِنْياه باليدِ (٥)
متى ما يشأْ يوما يَقُدْه لحَتفِه ... ومن يكُ فى حبلِ المنيَّة ينْقَدِ (٦)

*
* *

---

(١) النحام : الكثير النحيم ، وهو التنحنح بخلا ، والمراد بالغوىّ هنا المسرف فى ماله المبدّد له بانفاقه فى غير صالح .

(٢) الجثوة : الكومة من التراب أو الحجارة ، والصفائح : جمع صفيحة وهى الحجر العريض كالبلاط . المنضد : المصفف المسوّى بعضه الى بعض — أى أن البخيل والمسرف يتساويان بعد موتهما ؛ فلكل منهما قبر عليه كومة من التراب وبعض حجارة مصففة .

(٣) يعتام : يصطفى ويختار . وعقيلة كل شىء : خيرته وأنفسه عند أهله ؛ فهم يعقلونه أى يمنعونه الناس لذلك . والفاحش المتشدّد : الشّديد البخل .

(٤) العيش هنا : العمر والحياة .

(٥) ما أخطأ الفتى : أى مدّة إخطائه له بابقائه حيا دهرا طويلا . والطول : الحبل ، وثنياه : طرفاه المثنيان منه . (المعنى) أن الموت إذا أغفل بعض الناس ، فطال عمرهم لا يخرجون عن قدرته وسلطانه ؛ فمثله كمثل من بيده طرفا حبل مربوط برأس فرس إذا شاء جذبه اليه فانقاد له . كذلك الإنسان لا محالة ميت ، وإن طال عمره .

(٦) الحتف : الموت — يقول : إن زمام الإنسان بيد الموت متى أراد جره الى هلاكه . ولا مناص للمرء من الموت .

ومنهـا :

وظلم ذوى القربى أشدّ مضاضةً   على المرء من وقع الحسام المهند [1]

* * *

ومنهـا :

أرى الموتَ أعدادَ النفوسِ ولا أرَى   بعيدًا غدًا، ما أقربَ اليومَ من غَدِ!

ستُبدى لك الأيامُ ما كنتَ جاهلا   ويأتيـك بالأخبارِ مَن لم تُزَوِّدِ [3]

ويأتيك بالأخبار من لم تبِع له   بتاتًا، ولم تضرب له وَقْتَ موعد [4]

* * *

---

(١) أشد مضاضة : أى أشد حرقة وألما

(٢) الأعداد هنا : جمع عد بكسر العين ، وهو الماء الدائم الذى لا تنقطع مادته مثل ماء العيون لا بار لا ماء الغدران . (المعنى) أرى الموت موردا للأحياء دائما لا يفنى ؛ فهم دائما واردوه .

(٣) أى ستظهر لك الأيام ما كان خافيا عليك ، و يأتيك بالأخبار من لم تسأله عنها وتتكلف مؤونة زاده ليسافر ويجلبها لك .

(٤) تبع : هنا بمعنى تشترى ، وهو من كلمات الأضداد فى اللغة . والبتات : الزاد والجهاز .

وقال أيضا :

سائلوا عنّا الذى يعرفنا ... بقُوانا يومَ تحلاقِ اللِّمَم (١)
يومَ تُبدِى البيضُ عن أسْوُقِها ... وتلُفّ الخيلُ أعراجَ النَّعَمْ (٢)
أجْدَرُ الناس برأسٍ صِلْدِمٍ ... حازِمِ الأمر شُجاعٍ فى الوَغَم (٣)
كاملٍ يَحمِلُ آلاءَ الفتى ... نَبِهٍ سيّدِ ساداتٍ خِضَم (٤)
خيرُ حىٍّ من مَعَدٍّ عَلِمُوا ... لِكَفِىءٍ ولجارٍ وابنِ عم (٥)
يَجْبُرُ المحروبُ فينا مالَه ... ببناءٍ وسَوامٍ وخَدَم (٦)
نُفُلٌ للشَّحْمِ فى مَشْتاتنا ... نُحُرٌ للنِّيبِ طَرّادُو القَرَم (٧)

---

(١) يوم تحلاق اللمم : يوم انتصرت فيه بكر على تغلب من أيام البسوس ، وكان يقود بكرا الحارث ابن عباد البكرى ، وقد أمر بحلق شعورهم ليتميزوا .

(٢) أى النساء البيض أى يوم يكشفن عن سوقهن ، كناية عن هول ذلك اليوم ، والأعراج : جمع عرج بفتحتين ، القطيع من الإبل من الثمانين فما فوق ، والنعم : الإبل ، واللف : الجمع والضم ضد النشر . أى وتحوز خيلنا أى فرسانها قطائع إبل تغلب .

(٣) الرأس الصلدم : القوى الصلب ، ويريد به هنا رأس القوم فى الحرب ، أى رئيسهم ، والوغم : الحرب . (المعنى) نحن أجدر الناس بأن يقودنا رئيس قوى حازم شجاع فى الحرب .

(٤) الآلاء : جمع ألا (كعصا) أو ألو (كدلو) ، ومن معانى الألو والألا : العطية والنعمة والجهد وكلها مناسبة هنا . والخضم : السيد الحمول المعطاء ، خاص بالرجال أى إن هذا الرئيس كامل يحمل نعم الفتى الكامل أى يتصف بمحاسنه ، أو يحمل عطاء الفتى القاصد له ، أو يحمل ضعفه وجهده باعانته وحمايته .

(٥) نحن خير حى من قبائل معد — وعلموا بالبناء للمعلوم أى عرفونا بذلك . والكفىء : الكاسف اللون المتغيره بؤسا — أى نحن خير حى فى معد عرفه الناس مرجوا للكفىء وللجار ولابن العم .

(٦) المحروب : المسلوب المال . والبناء : المسكن ، والسوام كسحاب : الإبل السائمة — أى أن المسلوب المال اذا أقام فينا جبرنا ماله ، وأسكناه وأعطيناه إبلا سائمة وخدما .

(٧) نفله : أعطاه نفلا أى عطية ، والقرم : شدة اشتهاء اللحم لبعد العهد بأكله . يعنى أننا نعطى من يقصدنا الشحم فى الشتاء ، وهو زمن الجهد ونحر النوق النيب ، ونطرد عن مشتهى اللحم قرمه باطعامه إياه .

نَزَعُ الجاهلَ في مجلسنا   فترى المجلس فينا كالحَرَم (١)
وتفرّعْنا من ابنى وائلٍ   هامةِ المجدِ وخُرطومِ الكَرَم (٢)
من بنى بكر اذا ما نُسِبُوا   وبنى تغلبَ ضرّابِى البُهَم (٣)
حين يحمى الناسُ نحمى سِربَنا   واضحِى الأوجُهِ معْروفِى الكرم (٤)
بِحُسامات تراها رُسَّبًا   فى الضريبات مُتِرّاتِ العُصُم (٥)
وفحولٍ هيكلاتٍ وُقُحٍ   أعوَجيّاتٍ على الشأوِ أُزُمْ (٦)
وقنًا جُردٍ وخيلٍ ضُمَّرٍ   شُزَّبٍ من طُول تعلاكِ اللُّجُم (٧)

---

(١) نزع : مضارع وزع بمعنى كف وزجر . والحرم : ما يحارب عنه الإنسان و يحميه ، أو أنه يريد حرم مكة — بمعنى أننا نكف الجاهل فلا يأتى فى مجلسنا بسفاهة فكأن مجلسنا حرم نحميه أو حرم يحترم دينا .

(٢) على صيغة الماضى بسكون العين والخرطوم الأنف — أى وقد تفرعنا ونسلنا من ابنى وائل بكر وتغلب اللذين هما بمنزلة هامة للمجد ، ويكنون بالأنف عن الأنفة والعز والشمم .

(٣) ثم فسر معنى ابنى وائل بأنهما بكر وتغلب وضرابه البهم . جمع بهمة وهو الشجاع لا يعلم من أين يضرب .

(٤) والسرب بالكسر : النساء أو النفس .

(٥) جمع الحسام على حسامات نادر . ورسب : جمع راسب ، وهو السيف يغيب فى الضريبة . واذا قرئت رسبا ككتب كان جمع رسوب بمعنى الراسب أيضا . والوزن لا يمنع من ذلك والمترّ القاطع ، والعصم : جمع عصام ، كل ما يعصم الشيء و يشده و يربطه من الحبال ونحوها وقيل : أراد بها المعاصم على المعنى لأنها تعصم البدن بالدفع عنه .

(٦) الفحل : الذكر من كل حيوان ، و يريد بالفحول هنا الخيل الذكور ، والهيكل : العظيم الجسم ، وجمعه على هيكلات نادر ، ووقح : جمع وقاح ، يريد الفرس الصلب الحافر ، وأعوجيات : جمع أعوجى ، وهو الفرس ينسب الى أعوج : اسم فرس كريم عتيق ، وأزم : جمع أزوم ، وهو الفرس يعض على فأس اللجام من شدة نشاطه . والشأو : السبق ، أى ونحمى سربنا بخيول فحول صلبة الحوافر أعوجيات شديدة فى السبق .

(٧) وقنا جرد : أى رماح مجردة من الكعوب الغليظة ، وخيل ضمر : أى ضامرات ، وشزب : ضامرات صلاب ، وتعلاك اللجم وعلكها تحريكها والعض عليها بالفم . واللجم : جمع لجام .

آدت الصنعةُ فى أمْتُنِها ... فهى من تَحْتُ مُشيحاتُ الحُزُم (١)

تتّقِى الأرض برحٍّ وُقُحٍ ... وُرُقٍ يَقْعَرن أنباكَ الأَكَمْ (٢)

وتَفَرّى اللّحْمُ من تعدائها ... والتَغَالِي ؛ فهى قُبٌّ كالْعَجَمَ (٣)

خُلُجُ الشدِّ مُلِحَّاتٌ إذا ... شالت الأيدى عليها بالجذَم (٤)

قُدُما تنضو إلى الدّاعى اذا ... خَلَّلَ الداعى بدعْوَى ، ثم عَمّْ (٥)

بشبابٍ وكُهُول نُهُدٍ ... كَلُيوثٍ بين عِرِّيس الأَجَم (٦)

(١) آدى : قوّى . وصنعة الفرس : حسن القيام عليه والعناية بعلفه وتسمينه ، والأمتن : جمع متن ، وهو الظهر . ومشيحات الحزم : أى أن أحزمتها متقدّمة الى الأمام ، أو أنها مرتفعات الحزم لعظم صدرها ومتنها — يعنى أن هذه الخيل قد قوّى متونها وأعظمها حسن القيام على علفها حتى إنك لترى حزمها من تحتها مرتفعات جدا لعظم متنها وصدرها .

(٢) الأرح : الحافر العريض ، والجمع رح . ووقح : جمع وقاح ، وهو الحافر الصلب ، وورق : جمع أورق ، وهو الذى لونه الورقة ، وهى سواد فى بياض قليل كلون الرماد ، و يقعرن : يقتلعن ، والأنباك : جمع نبك ، وهى الأرض المرتفعة أو الأكمة المحدّدة الرأس . أى تتق تأثير مشيها على الأرض بحوافر صلبة ورقاء تقتلع الآكام .

(٣) تفرى : تشقق ، وتفرت العين : انبجست بالماء ، وكلا المعنيين مناسب ، والتعداء : العدو ، والتغالى : شدّة الارتفاع ، يريد صعود المرتفعات ، والقب : جمع أقب ، والقبب دقة الخصر وضمور البطن ، وهو من محاسن الخيل ، والعجم : نوى كل شىء (المعنى) أن هذه الفرس يتشقق لحمها و ينبجس بالعرق من شدّة عدوها وصعودها الآكام فأصبحت لذلك ضامرة البطن دقيقة الخصر يابسة العضل ، كأنها النوى فى اليبوسة .

(٤) الخلج : جمع خلوج ، وهى السريعة الجرى ، والشد : العدو . والملحات : المنصبات فى الجرى من ألح السحاب : دام مطره ، وشالت الأيدى : ارتفعت . والجذم : جمع جذمة ، وهو السوط .

(٥) قدما تنضو : أى تسبق وتسرع قدما أى تجرى أمام أمام بدون انحراف ، وخلل : خصص . والداعى : المستغيث — أى تسرع الى نجدة المستغيث قدما اذا خصص بادئ بدء . فصاح : يا لفلان ! ثم اضطر بعد الى التعميم لاشتداد الكرب عليه فعمم الدعوى .

(٦) والنهد : جمع ناهد ، وهو الشجاع الذى يمضى على كل حال وهو أيضا الأسد ، والعريس : مأوى الأسد . والأجم : الأجمات .

(٩) الحارث بن حلِّزة اليَشْكُرى [1]

من معلقته التى مطلعها :

آذنتنا بِبَيْنِها أسماءُ رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ منهُ الثَّواءُ [2]

* * *

وأتانا مِن الحوادثِ والأنباء خَطْبٌ نُعنَى به ونُساء [3]

أن إخوانَنا الأَراقِمَ يَغْلُو نَ علينا فى قِيلهم إِحْفَاءُ

---

(١) هو الحارث بن حلزة اليشكرى أحد فحول الشعراء المقلين، وصاحب المعلقة الهمزية المشهورة . كان فى بكر بن وائل بمنزلة عمرو بن كلثوم فى تغلب شجاعة وحماسة وفصاحة وارتجالا . وكثير من الرواة يقولون : إنه ارتجل هذه القصيدة بحضرة الملك عمرو بن هند إثر ملاحاة وجدال بين أعيان بكر وتغلب عند الملك عمرو، وكان يتعصب لتغلب ، فهاج ذلك الحارث بن حلزة ، وارتجلها على طولها وكثرة غريبها ، يفتخر بقومه وأيامهم فى حروب البسوس مع تغلب ، وفى غيرها — وعمر الحارث طويلا .

(٢) آذنتنا : أعلمتنا ، وبينها : بفراقها لنا ، وثاو : مقيم . أى كثيرا ما تكره إقامة المقيم بين قوم لثقل كلفته أو لشره ، وليست أسماء من هؤلاء ، ففراقها شاق علينا .

(٣) نعنى به : نقصد به نحن دون غيرنا . ونساء به : يصيبنا منه سوء ، والأراقم : أحياء من تغلب معادية لبنى بكر قبيلة الشاعر ، ويغلون علينا : يتجاوزون الحد فى التقوّل علينا ، والقيل : القول ، والإحفاء : شدة الإلحاح والاستقصاء (المعنى) بلغنا من الأخبار خبر يقصد به إساءتنا ، وهو أن الأراقم من تغلب ينالون ويتشددون فى نسبة مالم نفعل إلينا .

يخلِطون البَرِيءَ منّا بذى الذّنْـ ـب، ولا ينفع الخَلِيَّ الخلاءُ (١)
زَعَمُوا أنّ كلَّ مَنْ ضرب العَيْـ ـرَ مَوالٍ لنا، وأنَّا الوَلاء (٢)
أجمعوا أمْرَهم عِشاءً فلما أصبحُوا أصبحتْ لهم ضَوْضاء:
من مُنادٍ، ومن مُجيبٍ، ومن تَصْـ ـهالِ خيل، خِلالَ ذاك رُغاء (٣)
أيها الناطقُ المرقِّش عنّا عند عَمْرو، وهل لِذاكَ بَقاء (٤)
لا تَخَلْنا على غِراتِك، إنّا قَبلُ ما قد وَشى بنا الأعداءُ (٥)
فبقينا على الشَّناءةِ تَنمِيـ ـنا حُصُون، وعِزّةٌ قعساء (٦)
قبلَ ما اليومِ بيَّضَتْ بعيون النـ ـاس فيها تَعَيُّظٌ وإباء (٧)

(١) الخلى هنا: الخالى من الذنب، والخلاء: الخلو من الذنب كذلك، أى لا تنفع البرىء عندهم براءته من الذنب فهم يأخذونه بذنب المجرم.

(٢) أى فهم يلزموننا ذنوب الناس ولو لم تكن ذنوبهم مما يؤاخذ عليه؛ فعندهم أن كل من ضرب حمارا مثلا مذنب، وأنه من موالينا وأنصارنا، ونحن دون غيرنا ولاته وأنصاره.

(٣) أى يتلمسون أى ذنب، ويتشاورون فى الليل فى أمر حربنا، والتعبئة له فلا يصبح الصباح حتى تكون لهم جلبة وضوضاء من مناد الخ. قيل إن هذين البيتين أوجز ما قيل فى وصف التأهب للارتحال وأصدقه وأوضحه تصويرا للحقيقة.

(٤) المرقش: المزين القول بالباطل، وهل لذلك الخ: أى لتزيينك الباطل دوام.

(٥) لا تخلنا: أى لا تحسبنا، والغرة: اسم مصدر من الإغراء، وما زائدة والمفعول الثانى محذوف (المعنى) لا تحسبنا جازعين لإغرائك الملك بنا؛ فمن قبلك وشى بنا الأعداء فلم يفلحوا.

(٦) الشناءة: البغض، وتمينا: ترفعنا. والقعساء: الثابتة، أى فبقينا على بغضك لنا فى عزة ثابتة وحصون منيعة من أن يصيبنا منكم مكروه.

(٧) قبل ما اليوم: أى قبل اليوم وما زائدة، وبيضت بعيون الناس: بيضتها أى أعمتها، والباء زائدة، والتعيط: الترفع والإباء (المعنى) قبل اليوم أعمت عزتنا القعساء أبصار الناس، فلا يتطلعون الى إذلالنا، وكان فى عزتنا ترفع وإباء عن أن ننال بسوء.

وكأن المنون تردى بنا أر عن جونًا ينجاب عنـه العماء (١)
مكفهرًا على الحوادث لا تر توه للدهر مؤيد صماء (٢)
أيما خطة أردتم فأدو ها إلينا تمشى بها الأملاء (٣)
إن نبشتم ما بين ملحة فالصا قب فيه الأموات والأحياء (٤)
أو نقشتم، فالنقش يجشمه النا س، وفيه الصلاح والإبراء (٥)
أو سكتم عنا، فكنا كمن أغ مض عينًا فى جفنها أقذاء (٦)

(١) تردى : ترمى وترجم، والباء فى (بنا) للتجريد نظير قولهم : لئن لقيت فلانا لتلقين به الأسد، أى لتلقين الأسد، أى هو كالأسد . والأرعن هنا : الجبل الذى له حيود وأطراف تخرج عن معظمه ، والجون : الأسود، وينجاب عنه : ينشق عنه، والعماء : السحاب الأبيض (المعنى) كأن المنون اذا رمتنا إنما ترمى جبلا عاليا يشق السحاب، وذلك من منعتنا وقوتنا .

(٢) وصف هذا الجبل بأنه مكفهر، والمكفهر من الجبال : الصلب المنيع ، ولا ترتوه : لا تنقصه وتنال منه، والمؤيد : الداهية . وصماء : لاتسمع اعتذارات — أى أن هذا الجبل منيع على حوادث الدهر لاتنال منه الدواهى الصم .

(٣) الخطة : الأمر يقع بين القوم، أو الإقدام على الأمر . والأملاء : جمع ملأ، وهم الأشراف والرؤساء . (المعنى) أى أمر أو طريقة تجرون عليها فى معاملتنا فابعثوها الينا مع سادتكم وسفرائكم .

(٤) ملحة والصاقب : موضعان — أى إن كانت الخطة التى ترضونها أن تثيروا القتال الذى وقع بيننا فى هـذين المكانين ففيه أموات وأحياء أى فكانت عاقبته قتلى وأسرى منكم لم تدركوا منا ثأرهم — وحذفت الفاء الواقعة فى جواب الشرط (وهو فيه الأموات الخ.) للضرورة، أو أن جواب الشرط محذوف تقديره فلنا الفخار بذلك، أو أن جواب الشرط الآتى جواب له ولهذا .

(٥) أو نقشتم أى دققتم فى الاستقصاء، ويجشمه : يتكلفه على مشقة . (المعنى) إن دققتم الحساب فيما وقع بيننا و بينكم فان ذلك مع ما فيـه من المشقة والكلفة يفضى بنا الى صـلاح أمورنا و إبرائنا من العار .

(٦) و إن سكتم عنا فانا نسكت، ونغضى أعيننا على القذى لأن الحق فى جانبنا .

أو منعتم ما تُسألُون فمَن حُـدِّ ... ثْتُمُـوهُ له عَلَينـا العَـلاء ؟ (١)
هل علمـتمْ أيامَ يُنتَهبُ النا ... سُ غواراً لِكل حَيٍّ عُواء (٢)
اذ ركبْنا الجمالَ من سَعَف البحْـ ... ـرين سيراً حتى نَهاها الحِساء (٣)
ثم مِلْنـا على تمـيم فأحْرَمْـ ... ـنا، وفينـا بَنـاتُ مُرٍّ إماء (٤)
لا يُقيم العـزيزُ بالبـلَد السهـ ... ـلِ، ولا ينفَعُ الذليـلَ النجاء (٥)
ليس يُنجي مُوائلا من حِذارٍ ... رأسُ طَـودٍ وحَرةٌ رَجْـلاء (٦)

وقال أيضـا من قصيدة يفتخر :

وَلَئن سألتَ إذا الكَتيبة أحجمت ... وتبيَّنتْ رِعَةَ الجَبانِ الأَهْوجِ (٧)
وحسبتَ وقْعَ سُيوفنا برءوسهم ... وَقْعَ السَّحاب على الطِّراف المشرَج (٨)

(١) وان منعتم ما تسألون فيه من الصلح والتراضي فمن الذى أخبركم أن له العلو علينا حتى تطمعوا فينا .

(٢) غوارا : أى مغاورة بعض على بعض، والعواء : الصياح . (المعنى) إن كنتم لا تنتهون عنا فقد علمتم فعالنا وحفظنا لأنفسنا، بل بغلبنا على غيرنا من قبائل تميم فى تلك الأيام التى تعرفونها، أيام كان الناس ينهب بعضهم بعضا، و يغير بعضهم على بعض، وفى كل حى منهم صياح .

(٣) يريد بالسعف النخل، والحساء : جمع حسى، وهو الرمل يكون الماء تحته قريبا، أى هل علمتم إذ ركبنا الجمال من نخل البحرين حتى انتهينا الى الحساء .

(٤) فأحرمنا : أى دخلنا فى الأشهر الحرم فامتنعنا عن قتالهم وفينا بناتهم سبايا .

(٥ و ٦) النجاء : الإسراع والفـرار، والموائل : الذى يطلب موئلا أى ملجأ، والطود : الجبل . والحرة : الأرض ذات الحجارة السوداء . والرجلاء : الغليظة . (المعنى) أن الشـدة كانت عامة فلم يقم العزيز فى البلد السهل لما فيه الناس من الخوف . ولم ينفع الذليل فراره ولو التجأ الى رأس جبل أو تحصن فى حرة غليظة .

(٧) الرعة : الخوف . والأهوج : الأحمق الطائش الطويل .

(٨) السحاب هنا : المطر . والطراف : البيت أو القبة من أدم أى جلد . والمشرج : المخيط بعض قطعه فى بعض . وشبه وقع السيوف على الرءوس بوقع المطر على القبة من الجلد لبيان كثرة وقعها وتميز صوت وقعها ؛ لأنه حينئذ يكون كالطبل .

وإذا اللِّقاحُ تروّحتْ بعَشيّةٍ ... رَتْكَ النعامِ إلى كنيفِ العَرْفَجِ (١)

ألفيتَنا للضيفِ خيرَ عِمارةٍ ... إنْ لم يكنْ لبَنٌ فعَطْفُ المدمَجِ (٢)

(١٠) دريد بن الصمة (٣)

قال فى رثاء أخيه :

أرَثَّ جديدُ الحَبْلِ مِن أمِّ معبَدِ ... بعاقبةٍ ، أم أخلفتْ كلَّ موعِدِ (٤)

---

(١) اللقاح : جمع لقحة وهى الناقة ذات اللبن . وتروحت : رجعت الى مباركها آخر النهار والرتك : مقاربة الخطو ، والكنيف حظيرة من شجر للإبل . والعرفج : شجر سريع الالتهاب . أى واذا راحت النوق ذوات اللبن الى كنفها المتخذ من شجر العرفج مسرعة إسراع النعام ألفيتنا الخ .

(٢) ألفيتنا : وجدتنا ، والعمارة : هنا العشيرة والأهل . والمدمج : قدح الميسر الذى يقامر به أى ان لم يكن لبن عطفنا على القداح فضربناها ونحرنا النوق التى ربحنا الضيف .

(٣) هو دريد بن الصمة أحد فرسان العرب وسيد بنى جشم من قبائل هوازن . و يقال إنه أشعر فرسان العرب وأكثرهم غزوا . وأدرك الإسلام ولم يسلم . وخرج مع قومه فى غزوة حنين ، ولا فضل فيه للحرب ، وانما أخرجوه تيمنا برأيه ، فقتل فى ذلك اليوم . وكان له إخوة ثلاثة ، قتلوا فى غارات مختلفة ، منهم عبد الله قتله بنو غطفان ؛ لأن دريدا كان أغار عليهم واستاق إبلهم ، فنزل عبد الله فى الطريق ليقتسم الغنيمة فنهاه دريد خوف لحاق غطفان بهم ، فأصر ، فلحقت بهم عند منعرج اللوى فقتلت بنو عبس منهم عبد الله ، وأراد دريد أن ينقذه فلم يغن ، وسقط هو أيضا ، فتماوت ، وظنته غطفان قتيلا ، فنجا ، وهزمت جشم قبيلته . وبقى حزينا على أخيه يرثيه دهرا ، فلامته امرأته أم معبد ، وصغرت شأن أخيه ، فطلقها ، وقال فيها وفى قصة مقتل أخيه هذه القصيدة .

(٤) رث الحبل : بلى ، والمراد عهده من أم معبد ، وبعاقبة أى بآخرة : أى أخيرا ، والاستفهام من باب تجاهل العارف ؛ اذ هو عارف بأنه رث .

وبانت ، ولم أحمدْ إليك نوالَها ... ولم ترجُ منّا رِدّةَ اليـومِ أو غدِ (١)
كأنّ حُمولَ الحيِّ إذ متَعَ الضُّحى ... بناصيةِ الشَّحناء ، عَصْبةُ مِذْودِ (٢)
أو الأثأبُ العمُّ المُحرَّمُ سُوقُهُ ... بكابةَ لم يُخْبَطْ ، ولم يتعضَّدِ (٣)
فقلتُ لعارِض وأصحاب عارض ... ورهطِ بنى السوداء ، والقومُ شُهَّدى (٤)
عَلانيةً : ظُنُّوا بألفَىْ مُدَجَّجٍ ... سَراتُهُمُ فى الفارسىِّ المُسَرَّدِ (٥)
وقلتُ لهم : إن الأحاليفَ هذه ... مُطَنِّبَةٌ بين السِّتارِ وثَهْمَدِ (٦)
ولما رأيتُ الخيلَ قُبْلًا كأنها ... جَرادٌ يُبارى وِجْهَةَ الريحِ مُغْتَدِى (٧)
أمرتُهُمُ أمرى بمُنعرَجِ اللِّوَى ... فلم يستبينوا الرُّشْدَ إلّا ضُحى الغد (٨)

---

(١) وبانت : بعدت ، ونوالها : خيرها ، والردة : الرجوع . (المعنى) بانت أم معبد غير حميدة الصحبة ، فلا ترجو منا ردّة لطلاقها .

(٢) الحمول : جمع حمل بالكسر : ما يحمل على الإبل مثلا ، ومتع الضحى : بلغ آخر غايته ، وهو الضحى الأكبر ، والعصبة بفتح فسكون الشجرة تعلق فى شىء عال فتكون كالخيمة عليه كشجر اللبلاب ونحوه ، ومذود : اسم جبل (المعنى) كأن حمول الحى عند ترحلهم عصبة عاقت فى عرانين الجبل .

(٣) الأثأب : شجر . والعم : العظيم . والمحرم : الممنوع قطع سوقه . وكابة : موضع . ولم يخبط أى لم تعصب فروعه وتخبط بالعصى فيكسر ولم يتعضد أى يقطع .

(٤) عارض : أخ له حضر غزاتهم هذه ، ورهط بنى السوداء أصحاب أخيه عبد الله .

(٥) علانية : جهرة ، ظنوا أى أيقنوا أن سيلحقكم ألفا مدجج بالسلاح ، والفارسى : الدرع . والمسرد : المتتابع الحلق ، أى أنه ضيق النسج .

(٦) الأحاليف : جمع أحلاف وهم المتحالفون على نصرة بعضهم لبعض ، ومطنبة : ضاربة الأطناب بين هذين المكانين .

(٧) قبلا : أى عيانا ومقابلة ، يبارى : يسابق ، ومغتد : أى فى الغداة .

(٨) بمنعرج اللوى : المكان الذى نزله أخوه .

فلما عصَوْنى كنتُ منهم ، وقد أرَى غَوايتَهم أنى بهــمْ غيرُ مُهتَـدِى (١)

وهل أنا إلا من غَزِيّةَ ؟ إن غوَتْ غَوَيْتُ و إنْ تَرْشُـدْ غَزِيّةُ أَرْشُدِ (٢)

دعانى أخى ، والخيل بينى و بينَه فلمـا دَعانى لم يجِـدْنى بقُعْدُدِ (٣)

أخ أرضَـعتْنى أمُّه مِن لِبانها بِثَـدْىِ صَـفاءٍ بيننـا لم يُجـدَّدِ (٤)

فجئتُ إليـه ، والرماحُ تَنُوشُـهُ كوقْعِ الصَّياصِى فى النَّسيجِ المُمَدَّدِ (٥)

وكُنتُ كذاتِ البَوِّ رِيعَتْ فأقبلتْ إلى قِطَـعٍ مِن جِلدِ بَوٍّ مُجَـلَّدِ (٦)

فطاعنتُ عنه الخيلَ حتى تنهْنَهتْ وحتى علانِى حالكُ اللون أسـود (٧)

قِتالَ امرئٍ آسَى أخاهُ بنفســه و يعلَمُ أنَّ المــرءَ غيرُ مُخَـلَّدِ (٨)

تنادَوْا ، فقالوا: أردَتِ الخيلُ فارسا ! فقلتُ : أعبدُ الله ذلكم الرَّدِى ؟ (٩)

فإنْ يكُ عبــدُ الله خَلَّى مكانَه فمـا كانَ وقّافًا ولا طائشَ اليــدِ (١٠)

---

(١) كنت منهم أى كنت على رأيهم مع أنى أراهم غاوين ضالين وأنى غير مهتد باتباعهم .

(٢) غزية : حى من جشم ، وهم رهط دريد الأدنون .

(٣) القعدد : الجبان يقعد عن نصرة قومه ، أى أنى عطفت عليه لإنقاذه .

(٤) لم يجدّد : لم يقطع رضاعها له حتى أتم مدّة الرضاع .

(٥) تنوشه : تتناوله بالطعن . والصياصى : جمع صيصاة : شوكة يسوّى بها الحائك نسجه .

(٦) البو : ولد الناقة والبقرة ، يحشى جلده تبنا ، فتجد رائحته فيه ، فترأمه وتدر اللبن له .

(٧) تنهنهت : كفت أسود بالضم ، وفيه عيب الإقواء . وهو اختلاف حركة الروى أى الحرف الأخير فى الاعراب . وقيل انه على تقدير ياء نسب مخففة للوزن ، وأنه أسودى والياء للمبالغة .

(٨) قتال امرئ : أى قاتلت عنه قتال امرئ فادى أخاه بنفسه .

(٩) أردت : أهلكت ، والردىّ : الهالك .

(١٠) وقافا : هيابا يقف عن القتال جبنا ، ولا طائش اليد . أى مخطئ اليد فى الضرب والرمى .

ولا بَرَمًا إمَّا الرياحُ تناوحَتْ ... برَطْبِ العِضاهِ والضَّريعِ المُعضَّدِ (١)

وتَخْرج منـه صِرَّةُ القُـرِّ جُرأَةً ... وطُولُ السُّرى دُرِّىَّ عَضْبٍ مُهنَّدِ (٢)

كَميشُ الإزارِ خارجٌ نِصفُ ساقِه ... صبورٌ على الضرَّاءِ طَلَّاعُ أنْجُـد (٣)

قليلُ تشكِّيهِ المصيباتِ ذاكرٌ ... مِن اليومِ أعقابَ الأَحاديثِ فى غد (٤)

اذا هَبَط الأرضَ الفضاءَ تَزيَّنَتْ ... لرُؤْيتـهِ كالمَأْتَمِ المُتَنـددِ (٥)

وكم غارةٍ بالليـلِ واليومِ قبـلَه ... تداركـها منّى بِسِـيدٍ عَمَرَّدِ (٦)

سليمُ الشظى عَبْلُ الشَّوَى شنِجُ النَّسا ... طويلُ القَرا نَهْـدٌ أسيلُ المُقَلَّدِ (٧)

يفُوتُ طويلَ القومِ عَقْدُ عِذاره ... مُنيفٌ كجِـذعِ النَّخلةِ المَتجـرِّدِ (٨)

---

(١) البرم: من لا يدخل مع القوم فى الميسر ضنا بالجزور، وكانوا يطعمون لحومها الفقراء، و إما الرياح: إن شرطية وما زائدة، وتناوحت: هبت من كل ناحية، وذلك زمن البرد والشتاء، والعضاه: الشجر الشائك. والضريع: نبات لا تقربه الدواب لخبثه، والمعضد: المقطع.

(٢) صرة القر: شدّة البرد، والسرى: السير بالليل — أى وتخرج منه شدّة البرد وطول السرى رجلا ماضيا فى الأمور كأنه السيف المهند اللامع.

(٣) كميش الإزار: إما أن يكون كناية عن خفته وسرعته، و إما أنه لا يطيل إزاره كالمترفين المشبهين بالنساء بل إن نشاطه يستدعى أن يقصر ثوبه بحيث يظهر نصف ساقه. وطلاع أنجد: كناية عن اقتحام الصعاب، والأنجد: جمع نجد.

(٤) أى يحسب حساب العواقب، فلا يقول اليوم ما يحاسب عليه غدا.

(٥) المأتم فى الأصل مجمع الرجال والنساء فى الغم أو الفرح، ثم خص به اجتماع النساء للموت، والتنديد: رفع الصوت. والمعنى إذا نزل أرضا اجتمع الناس حوله وارتفعت أصواتهم فى قضاء الحوائج ونحو ذلك.

(٦) أى تداركها عنى بفرس يشبه ذئبا شرسا.

(٧) الشظى: العظم الملازق بالساعد أو الساق، والعبل: الضخم. والشوى: الأطراف. والنسا عصب يجرى فى الفخذ والساق. والشنج: المتقبض، وهو مدح فى الفرس. والقرا: الظهر. والأسيل: الأملس المستوى. والمقلد: العنق.

(٨) وصف هذا الفرس بارتفاع رأسه، فقال يفوت الخ. والعذار من اللجام: ما سال على خد الفرس وعقده على رأسه خلف أذنه. يعنى أن أعلى رأسه أطول من قامة رجل طويل، ومنيف: عال، والمتجرّد من النخيل: الذى زالت أصول كربه فصار أملس. ثم رجع الى رثاء أخيه فقال: وكنت الخ.

وكنتُ كأنّى واثق بمُصَــدَّرٍ يُمَشّى بأكناف الجُبَيل فتَهْمَــدِ (١)
له كُلُّ مَنْ يَلْقَى من الناس واحدًا وإن يَلْقَ مَثْنَى القَوم يفرَحْ ويَزْدَدِ (٢)
وهَوَّنَ وَجْدِى أنّنى لم أقُـلْ له : كَذَبتَ، ولم أبْخَل بما مَلَكتْ يَدِى (٣)

(١١) قال عَلْقَمة بن عَبَدَة التميمى : (٤)

طحَا بكَ قَلْبٌ فى الحِسانِ طَرُوبُ بُعَيْدَ الشَّبابِ عَصْرَ حانَ مشيبُ (٥)
يُكَلِّفُنى لَيْــلَى، وقد شَطَّ وَلْيُهــا وعادَتْ عَوادٍ بينَنــا وخُطوب (٦)

---

(١) المصدّر : الأسد . والجبيل وثهمد : موضعان — أى وكنت عند ثقتى بأخى كأنى واثق بأسد يمشى بأكناف الجبيل فثهمد .

(٢) أى له مقاتلة كل منفرد يلقاه من الناس فاذا لقى اثنين لم يجبن عنهما ، بل يفرح ويزداد فرحة ويحمل عليهما .

(٣) أى طيب نفسى أنى لم أجفه ، ولم أبخل عليه بما ملكت يدى فلم ألم نفسى بعد قتله بأنى لم أقم بحقه ، وجعل لم أقل له كذبت كناية عن الجفاء .

(٤) هو علقمة الفحل بن عبدة بن ناشرة التميمى ، شاعر جاهلى مجيد من أقران امرئ القيس . مات قبل الإسلام بزمن طويل . وإنما قيل له «الفحل» من أجل أن يتميز فى الأخبار من شاعر آخر فى قبيلته أيضا يسمى علقمة الخصى بن سهل ، ويكنى أبا الوضاح أدرك الإسلام ، وأسلم . وقيل سمى «الفحل» لأنه خلف امرأ القيس على زوجته بعد أن طلقها ؛ لأنها فضلت علقمة عليه حين حكاها فى شعرهما .

(٥) طحا به قلبه : ذهب به كل مذهب ، والطروب : من الطرب ، وهو خفة السرور والشوق الى الشيء ، وبعيد : تصغير بعد — وحان المشيب : قرب ، أو آن أوانه — أى أضلك قلبك الطروب فى حب الحسان بعد ما ذهب الشباب وقرب المشيب — والخطاب لنفسه . ثم أخذ يتكلم عن نفسه ، فقال : يكلفنى الخ .

(٦) وشط وليها : بعد عنك قربها ودنوها ومواصلتها — وعادت : شغلت وصرفت ، مقلوب عداه عن الأمر : صرفه ، والعوادى : جمع عادية ، وهى الأمر الشاغل عن الشيء . والخطوب : جمع خطب ، وهو الأمر العظيم من حوادث الدهر . (المعنى) أن قلبى هذا يكلفنى حب ليلى مع أنها بعدت عنه ، وعز عليه قربها ، وحالت بينه وبينها حوائل وشواغل وحوادث صوارف عنها .

مُنعَّمَةٌ ، ما يُستطاعُ كلامُها ... على بابِها مِن أن تُزارَ رَقيب (١)

إذا غاب عنها البَعْلُ لم تُفشِ سِرَّهُ ... وتُرضِى إيابَ البَعلِ حِينَ يؤوب (٢)

فلا تَعدِلى بينى وبين مُغَمَّر ... سَقَتكِ رَوايا المُزْنِ حين تصوب (٣)

سَقاكِ يمانٍ ذو حَبِيٍّ وعارِض ... تروحُ به جُنْحَ العَشِىِّ جَنُوب (٤)

وما أنتَ ؟ أم ما ذِكرُها رَبَعيَّةً ... يُحَطُّ لها من ثَرْمَداءَ قَليب (٥)

فإن تسألونى بالنساءِ فإننى ... بَصيرٌ بأدواءِ النساءِ طبيب (٦)

إذا شابَ رأسُ المرءِ أَوْ قلَّ مالُه ... فليسَ له من وُدِّهِنَّ نَصيب

يُرِدْنَ ثَراءَ المالِ حيثُ عَلِمْنَه ... وشَرْخُ الشبابِ عندهُن عَجيبُ (٧)

(١) منعمة : من النعيم فهى محجبة يعنى بحراستها أهلها .

(٢) لم تفش سره : كناية عن أنها لم تخنه ، ولذلك هى ترضى إيابه فلا يعجبها غيره ، وإذا قرئ وترضى (بالضم) كان المعنى وتجعل إيابه رضيا حميدا بألا يشك فى صونها .

(٣) فلا تعدلى : أى فلا تسوى ، والمغمر من الرجال : المحمق الذى يستجهله الناس ، سقتك الخ : يدعو لها بأن تسقيها المزن الروية أى التى تروى حين تمطر — يريد أنه رجل عاقل نبيل ينبغى لها أن تحرص عليه . ثم عاد الى الدعاء لها فقال : سقاك الخ .

(٤) أى سقاك سحاب يمان أى يأتى من ناحية جنوبى نجد . أصله يمنىّ خففوا ياء النسب وزادوا الألف عوضا عنها ، فعومل المنسوب معاملة المنقوص ، الحبىّ : السحاب المتراكم بعضه على بعض ، فيكون سيره بطيئا ، كأنه يحبو ، ويكون لذلك مطره غزيرا ، والعارض : السحاب المعترض فى الأفق ، والجنوب : الريح الجنوبية . (المعنى) سقاك سحاب يمان مركوم . وسقاك سحاب عارض تسوقه فى الليل ريح جنوبية . ثم عدل عن هذا ، وقال : وما أنت الخ .

(٥) وما أنت : ما استفهامية للتعجب وأم للإضراب بمعنى بل ، أى ما شأنك ؟ بل ما الداعى لذكرك ليلى ، وهى ربعية من ربيعة وأنت تميمى ، وقد رحلت الى بلادها حيث خط لها فى ثرمداء قليب . والقليب البئر وثرمداء موضع . ثم أخذ يصف أخلاق النساء وطباعهن ، فقال : فإن تسألونى الخ .

(٦) الأدواء : جمع داء ، أى بطباعهن المعيبة التى بمنزلة الأمراض فيهن .

(٧) الثراء : الكثرة ، أى يحببن من يعلمن عنده مالا . وشرخ الشباب أوله ، وعجيب : معجب .

فدعْها ! وسلِّ الهمَّ عنكَ بجَسْرةٍ كَهَمِّكَ فيهَا بالرداف خَبِيبُ [١]

الى الحارث الوَهّاب أعملتُ ناقتى بِكَلْكَلِها والقُصْرَيَيْنِ وجيب [٢]

(١٢) قال سَلامةُ بنُ جَندَل السعدى التميمى : [٣]

أودَى الشبابُ حميدًا ذو التعاجيب أودى ، وذلك شأوٌ غيرُ مطلوب [٤]

وَلّى حَثِيثًا ، وهذا الشيبُ يتبعهُ لو كانَ يُدركه رَكْضُ اليَعَاقِيب [٥]

أَودى الشبابُ الذى مجدٌ عواقبُه فيــه نَلَذُّ ، ولا لَذَّاتِ للشيب [٦]

---

(١) الجسرة : الناقة القوية الماضية ، وكهمك أى مثل همتك فى المضاء والقوة ، والرداف : جمع رديف ، والرديف والردف : كل شىء يكون خلف الراكب ، ولو حقائب . والخبيب : السير السريع . (المعنى) أى فدع ليلى هذه ، وسل الهم عنها برحلة على ناقة قوية سريعة مثل همتك فى المضاء والنفاذ ، وفى سيرها سرعة ولو حملت خلف الراكب لها عدة أثقال .

(٢) والحارث الوهاب : يريد به الحارث بن جبلة بن أبى شمر الغسانى ، وكان أسر أخاه شاسا ، فرحل اليه يطلب خلاصه وفكه ، وأعمل الناقة : وجهها وأجهدها ، والكلكل : الصدر وما بين الترقوتين ، وهو المناسب هنا ، والقصريان : ضلعان تليان الترقوتين ، والوجيب : خفقان القلب . أى أنه لشدة إجهادها فى السير اشتد نبض قلبها ، وبان ذلك فى كلكلها وقصريها لقرب القلب منهما .

(٣) شاعر جاهلى مجيد من فرسان تميم ، وشعره متين سلس صحيح الرواية ، وكان معاصراً لعمرو بن هند والنعمان بن المنذر .

(٤) أودى : هلك وزال ، والتعاجيب : العجائب ، والشأو : الغاية . (المعنى) مضى الشباب ذو العجائب محمودا بما كان فيه من اللذات العجيبة ، مضى وأصبح الآن غاية لا تدرك .

(٥) حثيثا : سريعا ، واليعاقيب : جمع يعقوب ، وله معان : منها أنه ذكر القطا والحجل ، وملكة النحل ، والعقاب ، والخيل المشبهة بيعاقيب الحجل فى الركض لسرعتها ، وكلها مناسبة هنا ، ولو هنا : للتمنى .

(٦) المجد : الكرم وشرف الفعال . (المعنى) زال الشباب الذى انتهى بفعال كلها شرف وكرم .

يومانِ يومُ مقاماتٍ وأنديةٍ ... ويومُ سيرٍ الى الأعداءِ تأويب (١)
همّتْ معدٌّ بنا همًّا فنهنهها ... عنَّا طِعانٌ فضربٌ غيرُ تذبيب (٢)
بالمَشْرَفِيّ ومصقولٍ أسنّتُها ... صُمِّ العوامِلِ صَدْقاتِ الأنابيب (٣)
يجْلُو أسنّتَهَا فتيانُ عاديةٍ ... لا مُقْرِفين ولا سُودٍ جَعابيب (٤)
سوّى الثّقافُ قَناها ، فهى مُحكَمَةٌ ... قليلةُ الزّيْغِ مِن سَنٍّ وتركيب (٥)
زُرْقًا أسنّتُها حُمْرًا مُثَقَّفَةً ... أطرافُهنّ مَقيلٌ لليعاسيب (٦)
كأنّها بأكفّ القومِ إذْ لحِقوا ... مواتِحُ البئرِ أو أشطانُ مَطلوب (٧)

(١) يومان : أى لنا يومان ، والتأويب : السير السريع ، اى ان لنا يومين : يوما نجلس فى المقامات والأندية للسمر أو للتشاور ، و يوما نسير الى الأعداء سيرا سريعا .

(٢) معدّ : الشعب العظيم الذى يشمل ربيعة ومضر ، ونهنهها : كفها ، و يقال : طعان غير تذبيب : اذا بولغ فيه ، وجعله هنا صفة للضرب أىْ همت قبائل معد بقتالنا مرة فكفها عنا طعاننا وضربنا الشديدان .

(٣) بالمشرفى : بالسيف المنسوب الى مشارف الشام ، وهى القرى العربية التى على حدود الشام تجلب منها السيوف المشرفية ، ومصقول أسنتها : أى وبرماح مصقول أسنتها ، وعامل الرمح : صدره أى الجزء الذى يلى منه السنان ، والصدق : الصلب المستوى من الرماح . والأنابيب : كعوب الرماح .

(٤) العادية : أوّل جماعة تحمل من الرجالة أو الفرسان ، والمقرف : الذى تكون أمه عربيـة وأبوه أعجميا بعكس الهجين ، والجعابيب : جمع جعبوب وهو الضعيف النذل لا خير فيه ، أو القصير الدميم .

(٥) الثقاف : الآلة التى يسوّى بها الثقاف الرماح أى يسوّيها ، وهى خشبة فى وسطها نقب ، الزيغ : الميل والعوج ، ولا يريد أن بها زيغا قليلا بل لا زيغ فيها . والسن : تركيب السنان أى أن أسنتها ركبت فيها معتدلة غير معوجة .

(٦) والمقيل : القيلولة فى الظهر ، واليعاسيب : جمع يعسوب ، وهو عظيم النحل . (المعنى) سوى الثقاف القنا زرقا أسنتها حمرا مثقفة فكانت أطرافهن مكانا لتعليق رءوس السادات من الأعداء .

المواتح : الحبال الطويلة التى يمتح بها البئر أى ينزح ماؤها ، والأشطان : الحبال الطويلة . مطلوب : اسم بئر بين المدينة والشام بعيدة القعر .

كِلَا الفريقين : أعلاهُمْ وأسفلَهُمْ يشــقَى بأرماحنــا غيرَ التكاذيب (١)
إني وَجَدتُ بَني سَــعْد يُفضِّلهم كلُّ شهاب على الأعداء مشبوب (٢)
الى تميـمٍ حُمـاةِ العِــزِّ نسبتُهُمْ وكلِّ ذِي حَسَب فى الناس منسوب (٣)
قومٌ إذا صَرَّحَت كَحْلٌ بيوتُهُــمُ عِزُّ الذليل، ومأوى كلِّ قُرضوب (٤)
يُنجيهم من دواهِي الشر إن أزِمَتْ صَبْرٌ عليها ، وقِبصٌ غيرُ محسوب (٥)
كُنَّا نُحِــلُّ إذا هبَّتْ شآميــةٌ بكل وادٍ حَطيبِ الجَوْف مجدوب (٦)
شيبِ المَبارك مَدروس مدافعُه هابِي المَراغ قليل الوَدْق مَوْظوب (٧)

---

(١) غير التكاذيب : أى غير ذوى التكاذيب ، جمع تكذيب وهو أن يحمل الفارس على الأعداء ، ثم لا يصدق الحملة ؛ فيرتد عنهم جبنا . (المعنى) كلا الفريقين من الأعداء ، الأشراف منهم والوضعاء، أصيبوا برماحنا إلا من فر منهم جبنا .

(٢) بنو سعد بطن من تميم قوم الشاعر . (المعنى) إنى وجدت قومى يفضلهم على الناس أن كل شجاع فيهم بمنزلة الشهاب المتقد على الأعداء .

(٣) نسبة بنى سعد الى تميم والى كل ذى حسب معروف النسب .

(٤) الكحل : السنة الشديدة الجدب ، والقرضوب : الفقير الذى لا يصيب شيئا إلا أكله .

(٥) أزمت : عضت . والقبص : العدد الكثير لا يقدر على حسبه من كثرته . ثم وصف صبرهم على الشدائد والجدب بالبيتين الآتيين .

(٦) الريح الشآمية : باردة وإذا هبت فى الشتاء ، وهو زمن الجدب عندهم،كانت أبرد . (المعنى) نصبر على الجدب ونحل الوديان المجدوبة التى ليس بها إلا الحطب .

(٧) شيب : يعنى أن مبارك إبلهم فى الوادى المجدوب الذى نزلوه شيب أى بيض من الغبار والجدب لا خضرة فيها ، أو من الصقيع لأنهم ينزلونه زمن الشتاء . والمدروس : العافى المحو المعالم . والمدافع : جمع مدفع ، وهو مجرى المياه ، وهابى المراغ أى أن المكان الذى تمرغ فيه إبلهم هاب لقلة المطر الذى يثبته ، والموظوب : الذى قد وظب حتى أكل ما فيه . (المعنى) هذا الوادى الذى نضطر الى الإقامة فيه زمن الشتاء — مباركه بيض لا خضرة فيها أو أن الصقيع كساه بالبياض ، ومجارى مياهه مدروسة لعدم المياه التى تجرى فيها ، ومراغ إبله هاب بالتراب والغبار ، وقد أكل كل ما فيه من العشب ، فلم يبق فيه شيء يرعى . يصف قومه بالجلد والصبر على الشدائد .

كنا اذا ما أتانا صارخٌ فَزِعٌ ... كان الصُّراخُ له قَرْعَ الظنابيب

وشَدَّ كُورٍ على وَجناءَ ناجيةٍ ... وشَدَّ سَرْجٍ على جرداء سرحوب (٣)

يقالُ : مَحْبِسُها أدنى لمَرْتَعِها ... وإن تعادَى بِبَكْءٍ كلُّ محْلُوب (٤)

حتى تُرِكْنَا، وما تُثْنَى ظعائنُنا ... يأخُذْنَ بين سواد الخَطِّ فاللُّوب

(١٣) وقَال عَبْدُ يَغُوثَ الحَارِثِي • (٥)

ألا لا تَلوماني كفى اللومَ ما بِيَا ... فما لكُما في اللوم خَيرٌ ولا لِيا (٦)

أَلَمْ تعلَما أن الملامةَ نفعُها ... قليلٌ وما لومى أخِى من شِماليا (٧)

(١) ظنابيب : جمع ظنبوب، وهو حرف عظم الساق من أمام • أى اذا استصرخ بنا واستنجد مستغيث أسرعنا فى نجدته • وهو مثل يضرب للتهيؤ للأمر بسرعة • وأصله من قرع ظنابيب الإبل لتبرك سريعا فتركب • وفسر هذا التهيؤ بالبيت الآتى •

(٢) الكور : الرحل الذى يوضع على ظهر الناقة ليركب عليها ، والوجناء : الناقة الصلبة الجسم ، والناجية : السريعة السير، والجرداء : الفرس القصيرة الشعر وذلك من محاسنها ؛ والسرحوب : الطويلة •

(٣) يقال محبسها الخ يعنى يقال فى وصفها : إن محبس هذه الإبل وهذه الخيل على الجدب ومقابلة العدو على الثغر ومواضع المخافة — أدنى وأقرب وأولى من أن ترتع وتخصب فتضيع الثغر • وتعادى : تبارى فى العدو، والبكء : قلة اللبن فى المحلوب • أى ولو جرت النوق التى تحلب بلبن قليل لقلة رعيها •

تثنى : ترجع و يرد بعضها على بعض أى تمنع عن سيرها وتحال دونه • والظعينة : المرأة المسافرة فى هودجها ، وسواد الخط : يريد بلاد الخط من ساحل البحرين ، واللوب : الحجارة السود، وتكون فى الجبال الغربية من بلاد العرب • (المعنى) ما زلنا ندافع العدوّ حتى ترك لنا البلاد فأصبحت ظعائننا يسرن ما بين سواحل البحرين الى حدود الحجاز، لا يثنيهن العدوّ عن طريق

(٥) هو عبد يغوث بن وقاص الحارثى اليمنى أسر يوم الكلاب وهو يوم بين تميم واليمن ، وقد أسرته تيم الرباب وهو شاعر فارس مقدّم فى قومه ينتمى الى بيت معرق فى الشعر •

(٦) أى كفى اللوم ما أنا فيه : فلا تحتاجون الى لومى مع ما ترون من أسرى وجهدى •

(٧) يقول : ليس لومى أخى من شمائلى أى أخلاقى

فيا راكبًا إمّا عَرضْتَ فبلغن ... نداماىَ من نَجرانَ أنْ لا تلاقيا

أبا كَرِب والأَيْهَمَين كِليْهما ... وقَيْسًا بأعلَى حضرَموتَ اليمانيا (١)

جزى الله قوْمى بالكُلاب مَلامةً ... صريحَهُمُ والآخَرينَ المَواليا (٢)

ولو شئتُ نَجّتْنى من الخيل نَهْدةٌ ... تَرى خلفَها الحُوَّ الجيادَ تَواليا (٣)

ولكنّنى أحمِى ذِمارَ أبيكُمُ ... وكانَ الرماحُ يَختطفن المُحاميا (٤)

أقولُ وقد شَدُّوا لسانى بِنِسْعةٍ : ... أَمعْشَرَ تَيْمٍ أطلِقُوا عنْ لِسَانيا (٥)

أمعشرَ تيمٍ قد ملكتم فأسْجِحوا ... فإنَّ أخاكم لم يكنْ من بَوَائيا (٦)

فإن تَقتُلونى تقتلوا بِىَ سَيّدًا ... وإن تُطلِقونى تَحْرُبونِى بما ليا (٧)

أحقًّا عبادَ اللهِ أَنْ لستُ سامعًا ... نشيدَ الرِّعاءِ المُعْزِبينِ المَتاليا (٨)

وتضحكُ منى شيخةٌ عبشميةٌ ... كأنْ لَم ترى قبلِى أسيرا يمانيا (٩)

---

(١) أبو كرب والأيهمان : من اليمن ، وقيس بن معد يكرب الكندى كذلك .

(٢) صريحهم : خالصهم ومحضهم . والموالى هنا : الحلفاء .

(٣) النهدة : الفرس المرتفعة الخلق ، والحو : الخيل التى تضرب الى خضرة ، وقوله تواليا أى تتلوها وتتبعها لأن فرسه خفيفة قد تقدمت الخيل .

(٤) الذمار : ما يجب على الرجل حفظه من منعه جاراً وطلبه ثأرا — يختطفن : يذهبن به .

(٥) هذا مثل ، فاللسان لا يشد بنسعة ، وانما أراد أفعلوا بى خيرا لينطلق لسانى بشكركم وانكم مالم تفعلوا فلسانى مشدود لا أستطيع مدحكم .

(٦) اسجحوا : مهلوا ويسروا أمرى ، والبواء : النظير . أى أن صاحبكم ليس نظيرى فلا أقتل به ، يقال : يا فلان بؤ بفلان أى اذهب به ، يقال ذلك للمقتول بمن قتل .

(٧) أى وإن تطلقونى أدفع دية عظيمة لصاحبكم بحيث يهلك منها مالى .

(٨) المعزب : المتنحى بإبله ، والمتالى التى قد نتج بعضها وبقى بعض ، والواحدة متلية .

(٩) عبشمية نسبة الى عبد شمس ، والأسير : المشدود .

وقـد علِمَتْ عِرسى مُلَيكةُ أننى ... أنَا الليثُ مَعْـدُوًّا عـلىّ وعَاديا

وقد كنتُ نَحَّارَ الجزور، ومُعْمِلَ الْ ... مَطِىِّ، وأمضِى حيثُ لاحَىَّ ماضيا (١)

وأنحَـرُ للشَّرْب الكريم مطيَّـتى ... وأصدعُ بين القَيْنَتَين ردائيـا

وكنتُ إذا ما الخيلُ شَمَّصَها الْقنَا ... لَبِيقًا بتَصريف القنـاةِ بَنَـانيا (٢)

وَعَادِيةٍ سَومَ الجـرادِ وَزَعْتُهـا ... بكفِّى وقـد أَنْحَوْا الىَّ العواليـا (٣)

كأنِّىَ لم أركَبْ جوادًا ولم أقُـلْ ... لِخَيـلِىَ: كُرِّى نَفِّسى عن رجاليا

ولم أَسبأِ الزِّق الرَّوىَّ، ولم أقُل ... لِأَيْسار صِدْقٍ أعظِموا ضوْءَ ناريا

(١٤) وقال ذو الإصبع العَدْوانى: (٥)

لِىَ ٱبنُ عمٍّ على ما كانَ من خُلُقٍ ... مختلفـانِ: فَأَقْليـه، ويَقْلينى (٦)

---

(١) الشرب الشاربون، المفرد شارب كصحب وصاحب. والمطية: البعير هنا — أصدع أشق والقينة الأمة مغنية كانت أو غير مغنية والأول هو المراد هنا يصف نفسه بالكرم والترف.

(٢) شمص: ضرب ونخس، والقنا: الرماح، واللبيق الحاذق.

(٣) العادية: القوم يعدون، والخيل كذلك. سوم الجراد: انتشاره فى طلب المرعى. وزعتها: كففتها ومنعتها — أنحوا الرماح: أمالوها وقصدوا بها الى، والعوالى: الرماح. يقول: ورب جماعة من الفرسان تعدو على فى كثرة الجراد وشيوعه قد كففتها عنى، وقد أمالوا رماحهم نحوى فى القتال.

(٤) السباء: اشتراء الخمر، والأيسار الذين يضربون القداح فى المقامرة، يقول: كأنى لم أشرب الخمر، ولم أقل للقامرين معى أعلوا ضوء النار للشواء أولا كرام الضيفان الذين يقصدونها، وكان ذلك من مفاخر العرب.

(٥) هو حرثان بن الحارث من عدوان من مضر شاعر فارس من قدماء الشعراء فى الجاهلية وقد عمر طويلا حتى خرف وأهتر ومات قبل الإسلام.

(٦) على ما كان من خلق أى من تخالق ومعاملة بيننا، يريد أنهما مختلفان، أقليه: أبغضه.

أزرى بنا أنّنا شالتْ نعامتُنا — فخالني دُونَه ، وخِلتُه دوني [(١)]

يا عمرُو إلّا تدعْ شتْمي ومَنْقصتي — أضْرِبْكَ ،حتى تقولَ الهامةُ : اسقوني [(٢)]

لاهِ ابنُ عمّك !لا أفضلْتَ في حَسَبٍ — عنّي ، ولا أنتَ ديّاني فتَخْزُوني [(٣)]

ولا تقُوتُ عيالي يومَ مَسْغَبةٍ ، — ولا بِنفْسِك في العَزَّاء تَكفيني [(٤)]

اني لَعَمْرُكَ ما بابِي بذي غَلَق — عن الصَّديقِ ، ولا خَيْري بممنُونِ [(٥)]

ولا لساني على الأدنى بمنطلِق — بالفاحشاتِ ، ولا فتْكي بمأمونِ

عفٌّ يؤوسٌ ، إذا ما خِفْتُ من بَلَدٍ — هُونًا فلستُ بِوقّافٍ على الهُونِ [(٦)]

عَنّي اليكَ ، فما أمّي براعيةٍ — ترعَى المخاضَ ، وما رأْيي بمغبُونِ [(٧)]

كلُّ امرئٍ راجعٌ يوماً لشيمتِه — وإن تخلّق أخلاقًا إلى حين [(٨)]

---

(١) أزرى بنا : قصر بنا وعابنا ، وقوله شالت نعامتنا : معناه تفرّق أمرنا واختلف ، فتنافرنا فصرت أراه أقل مني ويراني أقل منه .

(٢) الهامة : الرأس . وكان العرب يعتقدون أن الرجل اذا قتل فلم يدرك بثأره خرجت هامة من نوع البوم من قبره فلا تزال تصيح : اسقوني ، حتى يثأر له ، والمراد : أضربك حتى تقتل .

(٣) لاه ابن عمك : أصله لله ابن عمك فحذفت اللام الخافضة اكتفاء بالتي تليها ، والديان : القائم بالأمر . يقول : لست القائم في أمري فتخزوني أي تسوسني وتدبر أمري .

(٤) مسغبة : المجاعة . والعزاء : الضيق والشدّة .

(٥) أي لا أدّخر عن صاحبي شيئا ولا أمنّ عليه .

(٦) عف : أي عفيف عما ليس لي ، يؤوس : لست بذي طمع ، فأنا يائس مما في يد غيري ، والهون : الهوان والذلة .

(٧) أي لست بابن أمة ، وخص المخاض لأن رعيها عمل المهين .

(٨) الشيمة : الطبع ، يريد أن التخلق لا يدوم ولا بد أن يرجع الإنسان إلى طباعه .

إنى أبىٌّ أبىٌّ ذو مُحافظةٍ وابنُ أبىٍّ أبىٍّ من أبيّين (١)
وأنتم معشرٌ زيدٌ على مائةٍ فأجمِعوا أمرَكم كُلًّا فكيدونى (٢)
فإن علِمْتم سبيلَ الرُّشْدِ فانطلِقوا وإن جَهِلتم سبيلَ الرشد فأْتونى (٣)
ماذا علىَّ وإن كنتم ذوِى كرم ألّا أحِبَّكُمُ إذْ لم تحِبُّونى
لو تشرَبُون دمى لم يُرْوِ شارِبَكُم ولا دِماؤُكُمُ جَمْعًا تُرَوِّينى
اللهُ يَعلَمُنِى ، واللهُ يَعلَمُكُمْ واللهُ يَجْزِيكُمُ عنِّى ، ويَجْزِينى
قد كنتُ أُوتيكُمُ نُصْحى ، وأمنحُكُم وُدّى على مُثْبَتٍ فى الصَّدْرِ مكنونُ (٤)
لا يُخْرِجُ الكُرْهُ مِنى غَيْرَ مأبيةٍ وَلَا أَلِينُ لِمَن لا يَبْتَغِى لِينى (٥)

(١٥) عبيد بن الأبرص(٦) :

قال من بائيته المشهورة التى أولها :

أقْفَرَ من أهلِه مَلْحُوبُ فالقُطَّبِيَّاتُ فالذَّنوبُ (٧)

* * *

(١) يصف نفسه وآباءه بالعز والمنعة .

(٢) زيد على مائة : زيادة عليها .

(٣) أى فان عرفتم سبيل الرشد فاذهبوا لوجهتكم ، وان فزعتم إلى رأيى أجبتكم ونصحت لكم .

(٤) مكنون : مستور .

(٥) يقول ، إذا أكرهت على الشىء لم يكن عندى إلا الإباء له فلا أعطى على القسر شيئا .

(٦) هو عبيد بن الأبرص الأسدى أحد فحول شعراء الجاهلية وقدمائهم ، وبائيته التى منها هذه الأبيات من مجزوء البسيط ، وأكثر أبياتها مضطربة الوزن ولكن أغراضها ومعانيها شريفة .

(٧) ملحوب والقطبيات والذنوب : أسماء أماكن .

وكلُّ ذى غَيبةٍ يؤوبُ وغائبُ الموتِ لا يؤوب
أعاقرٌ مثلُ ذاتِ وُلْدٍ أو غانمٌ مثلُ مَنْ يخيبُ
من يَسألِ الناسَ يحرِموه وسائلُ اللهِ لا يخيبُ
ساعِدْ بأرضٍ إن كنتَ فيها ولا تقلْ : إنني غريب

(١٦) وقال الأفوَهُ الأَوْدِىّ (١) :

البيْت لا يُبتَنى إلا له عَمَدٌ ولا عمادَ اذا لم تُرْسَ أوتادُ (٢)
فإنْ تجمَّعَ أوتادٌ وأعمِدةٌ وساكنٌ بلَغُوا الأمرَ الذى كادوا (٣)
لا يصلُحُ الناس فوضَى لا سَراةَ لهم ولا سَراةَ إذا جُهّالُهم سادوا
تُهدَى الأمورُ بأهلِ الرأيِ ما صلَحتْ فان تولّتْ فبالأشرار تنقاد *
إذا تولّى سَراةُ الناس أمرَهمُ نَمَا على ذاكَ أمرُ القوْمِ فازدادوا

---

(١) هو صلاءة بن عمرو الأودى أحد فحول شعراء الجاهلية وحكمائها وسادتها وفرسانها .

(٢) هذا البيت والذى بعده تمثيل لمذهبه ورأيه فى سياسة الناس وصلاح أمورهم إذا تولى حكمهم وقيادتهم سراتهم وذوو الأحساب والرأى فيهم فما دام هؤلاء بأيديهم الحل والعقد صلحت أمورهم وعظمت شؤونهم وبلغوا ما أرادوا ، فاذا تغلب الجهال بقوتهم عم الفساد .

(٣) كادوا هنا بمعنى أرادوا .

عصر صدر الاسلام وبنى أمية

(١) آيات من القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

يأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين (١) من قبلكم لعلكم تتقون (٢) . الذى
جعل لكم الأرض فراشا (٣) والسماء بناء (٤) وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا
لكم فلا تجعلوا لله أندادا (٥) وأنتم تعلمون (٦) .

تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون (٧) .

إن فى خلق السموات والأرض واختلاف (٨) الليل والنهار والفلك (٩) التى تجرى فى البحر

---

(١) معطوف على الضمير المنصوب فى خلقكم

(٢) الجملة حال من الضمير فى اعبدوا أى اعبدوا ربكم راجين أن تنخرطوا فى سلك المتقين .

(٣) كالفراش المبسوط .

(٤) كالقبة المضروبة عليكم .

(٥) الأنداد : جمع ند بكسر النون : المثل .

(٦) أى والحال أنكم من أهل العقل والمعرفة الذين لا يصدقون صحة الشرك .

(٧) الأمة : الجماعة . والمراد هنا الأنبياء الماضون وأتباعهم الذين ينتسب اليهم المجادلون من الكفار،
خلت : مضت — المعنى أن هؤلاء قوم لهم أعمالهم لا تفيدكم شيئا كما أنكم لا تسألون عن سيئاتهم .

(٨) الاختلاف : التعاقب .

(٩) الفلك : السفينة للواحد والجمع .

بمـا ينفع الناس وما أنزل الله من السماء(١) من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث(٢) فيها من كل دابة وتصريف الريح(٣) والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيت لقوم يعقلون . ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين ءامنوا أشد حبا(٤) لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب(٥) . إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا و رأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب(٦) . وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة(٧) فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعملهم حسرات(٨) عليهم وما هم بخرجين من النار .

ليس البر(٩) أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من(١٠) ءامن بالله واليوم الآخر والملئكة والكتب(١١) والنبيين وءاتى المال على حبه(١٢) ذوى القربى واليتمى(١٣)

---

(١) السماء : جهة العلو .

(٢) البث : النشر والتفريق .

(٣) تصريف الرياح : تدبير مهابها وأحوالها .

(٤) أشد حبا : لأنه لا تنقطع محبتهم لله بخلاف غيرهم المترددين بين الأصنام ، أو اللاجئين الى الله حين الشدة فقط .

(٥) جواب لو محذوف أى لندموا إذ يرون العذاب يوم القيامة ، وأجرى مجرى الماضى لتحقق الوقوع كقوله تعالى « ونادى أصحاب الجنة » . ومعنى ظلموا أنهم ظلموا أنفسهم باتخاذهم الأنداد .

(٦) الأسباب : الصلات التى كانت بين التابع والمتبوع .

(٧) كرة : أى عودة الى الحياة الدنيا .

(٨) حسرات : ندامات ، المفرد حسرة .

(٩) البر : كل فعل مرضى . والخطاب لأهل الكتاب الذين خاضوا فى أمر قبلة الصلاة حين حولت من بيت المقدس الى الكعبة بمكة . و يصح أن يكون الخطاب عاما .

(١٠) أى أن البر الذى ينبغى أن يهتم به هو بر من آمن . (١١) المراد بالكتاب الكتب المنزلة .

(١٢) أى مع حب المال . (١٣) يريد المحاويج منهم .

والمساكين وابن السبيل (١) والسائلين وفى الرقاب (٢) وأقام الصلوة وءاتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس (٣) أولئك الذين صدقوا (٤) وأولئك هم المتقون .

ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل (٥) وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم (٦) وأنتم تعلمون .

ومن الناس من يعجبك قوله فى الحيوة الدنيا ويشهد (٧) الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام . وإذا تولى (٨) سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد . وإذا قيل له اتق الله أخذته (٩) العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد . ومن الناس من يشرى (١٠) نفسه ابتغاء مرضات الله والله

---

(١) ابن السبيل : المسافر .

(٢) أى فى تخليص الرقاب بفك الأسرى وعون المكاتبين .

(٣) البأساء : المصيبة فى المال . والضراء : المصيبة فى النفس . البأس : مجاهدة العدو .

(٤) صدقوا : أخلصوا للدين واتباع الحق وطلب البر . المتقون : المبتعدون عن الكفر وسائر الرذائل .

(٥) أى لا يأكل بعضكم مال بعض بوجه غير مباح .

(٦) تدلوا بها إلى الحكام : أى تلقوا بالحكومة فيها إليهم . بالإثم : أى بما يوجب إثما كشهادة الزور واليمين الكاذبة . وأنتم تعلمون : جملة حالية . وذلك أن عمل الذنب مع العلم به أقبح .

(٧) أى يحلف على إخلاصه . ألد الخصام : شديد العداوة والجدال للمسلمين .

(٨) تولى : أدبر وانصرف عنك أو إذا غلب وصار واليا . الحرث : الزرع . والنسل : الماشية .

(٩) أخذته بكذا : حملته عليه وألزمته إياه . والمعنى على ذلك أن الأنفة وحمية الجاهلية حملته على الإثم الذى يؤمر باتقائه . فحسبه جهنم أى كفته جزاء وعذابا . ولبئس المهاد : جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف للعلم به . والمهاد : الفراش ، أى بئس المهاد مهاده .

(١٠) يشرى نفسه : يبيعها ويبذلها فى الجهاد مثلا . ابتغاء مرضاة الله : أى طلبا لرضاه . والله رءوف بالعباد لإرشادهم الى مثل هذا الشراء ليكونوا مقتربين فائزين .

رءوفٌ بالعباد . يأيها الذين ءامنوا ادخلوا فى السِّلْم(١) كافَّةً ولا تتبعوا خطوت الشيطان إنه لكم عدوٌّ مبين(٢) . فان زللتم(٣) من بعد ما جاءتكم البينت فاعلموا أن الله عزيزٌ حكيم(٤) .

كُتب عليكم القتال وهو كُرهٌ لكم(٥) وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خيرٌ لكم وعسى أن تحبوا شيئًا وهو شرٌّ لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون .

مَثَلُ الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل(٦) حبةٍ أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلةٍ مائةُ حبةٍ والله يضعف لمن يشاء ، والله وسعٌ عليم . الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منًّا(٧) ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون .

قل اللهم ملك الملك(٨) تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شىءٍ قدير . تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل(٩) وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى(١٠) وترزق من تشاء بغير حساب .

(١) السلم بفتح السين وكسرها : الاستسلام والطاعة . (٢) مبين : ظاهر العداوة .

(٣) زللتم : حدتم عن الدخول فى السلم . والبينات : الآيات والحجج الشاهدة على أنه الحق .

(٤) عزيز : لا يعجزه الانتقام . حكيم : عادل لا ينتقم إلا بحق .

(٥) كره لكم : شاق عليكم مكروه طبعا .

(٦) أى مثل نفقتهم كمثل حبة الخ . والمراد أن الله يضاعف لهم الثواب على هذا الإنفاق .
واسع : لا يضيق فضله . عليم : بنية المنفق وقيمة إنفاقه .

(٧) المنّ : أن يعتد الانسان بإحسانه على من أحسن اليه .

(٨) الملك هنا : كل شىء فمعناه عام وما بعده خاص .

(٩) إيلاج الليل والنهار : إدخال أحدهما فى الآخر بالتعقيب أو الزيادة والنقص .

(١٠) المراد باخراج الحى من الميت و بالعكس إنشاء الحيوان من موّاده وإماتته واستحالته الى موات .

إنّ الذين يشترون بعهد الله وأيمٰنهم ثمنا قليلا (١) أولٰئك لا خلاق (٢) لهم فى الآخرة ولا يكلّمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيٰمة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم .

واعتصموا بحبل الله جميعا (٣) ولا تفرّقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم (٤) أعداء فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوٰنا وكنتم على شفا حفرة من النار (٥) فأنقذكم منها كذٰلك يبيّن الله لكم ءايٰته لعلكم تهتدون . ولتكن منكم أمّة يدعون إلى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر وأولٰئك هم المفلحون . ولا تكونوا كالذين تفرّقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينٰت وأولٰئك لهم عذاب عظيم .

فبما رحمة من الله لنت لهم (٦) ولو كنت فظّا غليظ القلب لانفضّوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت (٧) فتوكّل على الله إنّ الله يحب المتوكّلين . إن ينصركم الله فلا غالب لكم و إن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكّل المؤمنون .

---

(١) يشترون : يستبدلون . عهد الله : الأيمان . أيمانهم : ما حلفوا به كقولهم لنؤمنن بالله ولننصرنه . الثمن القليل : هو متاع الدنيا .

(٢) لا خلاق لهم : لا نصيب لهم من الخير والثواب . لا يزكيهم : لا يثنى عليهم .

(٣) اعتصموا : تمسكوا . حبل الله : دين الإسلام أو القرآن .

(٤) أى فى الجاهلية إذ كنتم تتقاتلون .

(٥) الشفا : الحرف . والمعنى : كنتم مشفين على الوقوع فى النار لكفركم فأنقذكم بالإسلام .

(٦) فبما رحمة : أى فبرحمة وما زائدة للتأكيد . الفظ : سيئ الخلق الجافى . غليظ القلب : قاسيه . انفضوا من حولك : تفرقوا عنك .

(٧) عزمت : وطنت نفسك على شىء بعد الشورى .

وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لو تَرَكُوا من خَلْفِهِم ذُرِّيَّةً ضِعٰفًا خافُوا عليهم فَلْيَتَّقُوا اللهَ ولْيَقُولُوا[(١)] قَوْلًا سَدِيدًا . إن الَّذِينَ يأكُلونَ أمْوٰلَ اليَتٰمى ظُلمًا إنما يأكلون فى بطونهم نارا[(٢)] وسيَصلَونَ سَعيرًا .

وإذا حُيِّيتُم بتحية فَحَيُّوا بأحسنَ منها أو رُدُّوها إن اللهَ كان على كلِّ شيءٍ حَسيبا[(٣)] .

ولا تُجٰدِلْ عَنِ الَّذِينَ يَختانُونَ[(٤)] أنفسَهم إن اللهَ لا يُحِبُّ من كان خَوّانًا أثيما . يَستخفُونَ[(٥)] من الناس ولا يَستخفُونَ من الله وهو معهم إذ يُبيِّتون مالا يَرْضَى من القَولِ وكان اللهُ بما يعمَلُونَ محيطا . هٰأنتم هٰؤُلاءِ جٰدَلْتُم عنهم فى الحَيوٰةِ الدُّنيا فَمَنْ يُجٰدِلُ اللهَ عنهم يومَ القيٰمةِ أم مَنْ يكونُ عليهم وَكيلا[(٦)] . وَمَن يَعمَلْ سُوءًا أو يَظْلِمْ[(٧)] نفسَه ثم يستغفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غفورًا رحيما .

✤ ✤ ✤

يٰأيها الذينَ ءامنوا إنَّما الخمرُ والمَيْسِرُ والأنصابُ والأزْلٰمُ رِجْسٌ[(٨)] من عَمَلِ الشيطٰنِ فاجتَنِبُوه لعلَّكم تُفلِحون . إنَّما يُرِيدُ الشيطٰنُ أن يُوقِعَ بينكم العَدٰوةَ والبَغضاءَ فى الخمرِ

---

(١) هذا أمر للأوصياء بمخافة الله فى أمر اليتامى وأن يفعلوا بهم ما يحبون أن يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم . والقول السديد يظهر فى الإنصاف وحسن العشرة .

(٢) أى ما يجر الى النار . يصلون سعيرا : يدخلون نارا شديدة . (٣) يحاسبكم على التحية أيضا كما يحاسبكم على غيرها . (٤) يختان نفسه : يخونها بالمعاصى . الأثيم : المنهمك فى المعاصى .

(٥) يستخفون : يستترون . يبيتون : يدبرون زورا .

(٦) الوكيل : المحامى الدافع عنهم عذاب الله . (٧) يظلم نفسه بالشرك أو بذنب لا يتعداه ضرره .

(٨) الميسر : القمار مطلقا . الأنصاب : الأصنام نصبت للعبادة . الأزلام : جمع زلم وهو القدح . وذلك أن العرب كانوا إذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة أقداح مكتوب على أحدها أمرنى ربى . وعلى الآخر نهانى ربى . والثالث غفل . فان خرج الآمر مضوا ، وإن خرج الناهى تجنبوا ، وإن خرج الغفل أجالوها ثانية . رجس : قذر تعافه العقول .

والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوٰة فهل أنتم منتهون (١) وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم (٢) فاعلموا أنما على رسولنا البلٰغ المبين .

* * *

ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذنٰهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون (٣)، فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا (٤) ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطٰن ما كانوا يعملون، فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبوٰب كل شيء (٥) حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذنٰهم بغتة فاذا هم مبلسون (٦)، فقطع دابر القوم الذين ظلموا (٧) والحمد لله رب العٰلمين .

وإذ قال إبرٰهيم لأبيه ءازر (٨) أتتخذ أصنامًا ءالهة إنى أرٰك وقومك فى ضلٰل مبين، وكذلك نرى إبرٰهيم ملكوت السمٰوٰت (٩) والأرض وليكون من الموقنين، فلما جن (١٠)

(١) هذا الاستفهام إيذان بأن أمر المنع والتحذير بلغ الغاية، وأن الأعذار قد انقطعت .

(٢) أى فان أعرضتم فلن تضروا الرسول بأعراضكم لأن عليه البلاغ وقد أداه .

(٣) أى فكفروا فأخذناهم الخ. البأساء : الشدة والفقر . الضراء : الضر والآفات . يتضرعون : يتذللون ويتوبون .

(٤) معناه نفى تضرعهم فى ذلك الوقت مع قيام ما يدعوهم اليه .

(٥) أى لما نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء فتحنا عليهم أبواب النعم امتحانا لهم بالشدة والرخاء .

(٦) مبلسون : متحسرون آيسون .

(٧) دابرهم : آخرهم بحيث لم يبق منهم أحد ، (والحمد لله) على هلاكهم إذ هو نعمة للناس .

(٨) آزر : عطف بيان لأبيه .

(٩) ملكوت السموات : عجائبها وبدائعها . ليكون من الموقنين أى ليستدل ويستيقن .

(١٠) جن عليه الليل : ستره بظلامه . وهنا أراد سيدنا إبراهيم هداية قومه من طريق النظر والاستدلال .

عليه الَّيـلُ رءَا كوكبًا قال هذا ربِّى فَلَمَّا أَفَلَ(١) قال لا أُحِبُّ الآفِلِين . فلما رءَا القَمَرَ
بَازِغًا(٢) قال هذا رَبِّى فلما أفل قال لئِن لَّمْ يهدِنِى رَبِّى لأَكونَنَّ من القَوْم الضالِّين . فلما رءَا
الشمسَ بازِغةً قال هٰذا رَبِّى هذا أكبرُ فلمّا أفلتْ قال يٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىءٌ مما تُشركون(٣) .
إِنى وَجَّهتُ وَجْهِىَ(٤) للذى فَطَر السمٰواتِ والأرضَ حَنيفًا وما أنا من المشركين .
إِن اَللهَ فالِقُ الحبِّ والنَّوَى(٥) يُخرِجُ الحىَّ من المَيِّت ومُخْرِجُ المَيِّتِ من الحىِّ ، ذلكُمُ اَللهُ
فَأَنَّى تُؤْفَكون(٦) . فالِقُ الإِصْباحِ وَجَعَلَ الَّيلَ سَكَنًا والشمسَ والقمرَ حُسْبانًا ذَلك تقديرُ
العَزيزِ العليم(٧) . وهو الَّذى جعلَ لكم النجومَ لِتَهْتَدُوا بها فى ظُلُمٰتِ البرِّ والبَحرِ قد فصَّلْنَا(٨)
الأيٰتِ لِقوم يعلَمون . وهو الذى أنشأَكم مِن نَفْسٍ واحدةٍ فَمُستقَرٌّ ومُستودَعٌ قد فصَّلْنَا
الأيٰتِ لِقَوْم يفقهون(٩) ، وهو الذى أَنزَلَ من السماءِ ماءً فأخرجْنَا به نَبَـاتَ كُلِّ شىءٍ(١٠)

---

(١) أفل النجم : غاب .

(٢) بازغا : مبتدئا فى الطلوع .

(٣) أى من الأجرام السماوية المحدثة المحتاجة الى من يصرفها .

(٤) وجهت : توجهت بالإيمان والعبادة . فطر : خلق . حنيفا : حال من التاء فى وجهت . والحنيف : المسلم .

(٥) فالقه بالنبات والشجر الذى ينبت منه .

(٦) تؤفكون : تنصرفون عنه الى غيره .

(٧) فالق الإصباح : شاق عمود الصباح عن ظلمة الليل . سكنا : يسكن اليه التعب نهارا مطمئنا اليـه . حسبانا : أى على أدوار يحسب بها الوقت . وهو مصدر حسب بالفتح . وقيل : جمع حساب كشهاب وشهبان . العزيز العليم : القادر والخبير بتدبيرهما حسب الأصلح .

(٨) فصلنا الآيات : بيناها فصلا فصلا .

(٩) نفس واحدة : هى آدم عليه السـلام . مستقر : فى الأصلاب أو فوق الأرض . مستودع : فى الأرحام أو تحت الأرض .

(١٠) أى نبت كل صنف من النبات .

فأخرجنا منه خضراً (١) نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية (٢) وجنت من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشبه، انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن فى ذلكم لأيت لقوم يؤمنون .

قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالولدين إحسنا (٣) ولا تقتلوا أولدكم من إملق (٤) نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفوحش (٥) ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ذلكم وصكم به لعلكم تعقلون . ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده (٦) وأوفوا الكيل والميزان بالقسط (٧) لا نكلف نفسا إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا (٨) ولو كان ذا قربى، وبعهد الله أوفوا ذلكم وصكم به لعلكم تذكرون، وأن هذا صرطى مستقيما (٩) فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصكم به لعلكم تتقون .

---

(١) الخضر : شىء أخضر يخرج من الحبة متشعبا . الحب المتراكب : هو السنبل .

(٢) أى وأخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان، وهى الأعذاق : جمع قنو كصنوان جمع صنو . دانية : قريبة التناول أو ملتفة متقاربة . وجنات : عطف على نبات كل شىء . ينعه : نضجه . الآيات : العلامات والأدلة على وجود الخالق الحكيم .

(٣) أى وأحسنوا بهما إحسانا .

(٤) الإملاق : الفقر . ومن : للسببية .

(٥) الفواحش : كبار الذنوب .

(٦) أى بالطريقة النافعة محافظة واستثمارا . الأشد : جمع شدة كنعمة وأنعم . والمراد حتى يصير بالغا .

(٧) القسط : العدل والتسوية .

(٨) اعدلوا : قولوا الحق والعدل ولو على القريب .

(٩) صراط الله : شريعته . والمراد بالسبل : الأديان المختلفة أو الأهواء الضالة .

واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب (١) .
واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم
وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون (٢) .

آيات من القرآن الكريم جارية مجرى الأمثال

لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون (٣) . الآن حصحص الحق (٤) . وضرب لنا مثلا
ونسى خلقه (٥) . ذلك بما قدمت يداك (٦) . قضى الأمر الذى فيه تستفتيان (٧) . إن موعدهم
الصبح أليس الصبح بقريب (٨) . وحيل بينهم وبين ما يشتهون (٩) . لكل نبإ مستقر (١٠)
ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله (١١) . قل كل يعمل على شاكلته (١٢) . وعسى أن تكرهوا

---

(١) أى اتقوا ذنبا يعمكم أثره : كإقرار الأشرار ، وترك التناهى عن المنكرات ، ومن أوجه إعراب لا تصيبن أنها جواب الأمر على معنى ان أصابتكم . ولذلك أكد الفعل .

(٢) يمتن الله عليهم بحمايتهم ونصرتهم حينما كانوا ضعافا أول الإسلام .

(٣) تستعمل فى الحث على بذل النفيس المحبوب .

(٤) حصحص : بان وظهر . تستعمل لظهور الأمر بعد خفائه أو الشك فيه .

(٥) تقال للشخص ينظر الى وجه ضعيف دون القوى المهم . وأصلها أن الإنسان يعجب من البعث ناسيا أن الله الذى خلقه من التراب قادر على بعثه .

(٦) يجابه بها من فرط فوقع فى مغبة عمله .

(٧) تستعمل فى اليأس من الرجوع فى الحكم أو العمل .

(٨) فى قرب المنتظر .

(٩) فى الحرمان .

(١٠) للنص على أن لكل شىء غاية .

(١١) مدبر الشر يقع فيه .

(١٢) تستعمل الشاكلة فى دلالة العمل على طبيعة صاحبه .

شيئًا وهو خيرٌ لكم (١) . كلُّ نفسٍ بما كسبت رهينة (٢) . ما على الرسولِ إلّا البلٰغ (٣) . ما على المحسنين من سبيل (٤) . هل جزاءُ الإحسانِ إلّا الإحسانُ (٥) . كم من فئةٍ قليلةٍ غلبت فئةً كثيرةً بإذن الله (٦) . ءآلئن وقد عصيت قبلُ (٧) . تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتّىٰ (٨) . ولا ينبئك مثلُ خبير (٩) . كلُّ حزب بما لديهم فرحون (١٠) . ولو علم اللهُ فيهم خيرًا لأسمعهم (١١) . وقليلٌ من عباديَ الشكور (١٢) . لا يكلّفُ اللهُ نفسًا إلا وسعها (١٣) . لا يستوى الخبيثُ والطيبُ (١٤) . ظهر الفسادُ فى البرِّ والبحرِ (١٥) . ضعُف الطالبُ والمطلوبُ (١٦) . لمثلِ هذا فليعملِ العاملون (١٧) . وقليلٌ ما هم (١٨) . فاعتبروا يأولى الأبصر (١٩) .

---

(١) فى ظهور الخير من غير مظانه .

(٢) تستعمل فى تحمل الإنسان نتيجة عمله .

(٣) فى الرجل يقوم بواجبه لا يعنيه المهمل .

(٤) للمحسن يجود بما يشاء .

(٥) فى الخير جزاؤه الخير .

(٦) الضعيف يفوز بالقوى .

(٧) عدم فائدة التوبة بعد فوات الفرصة . والأصل تطيع الآن الخ .

(٨) تستعمل للجماعة كالمتفقين وأهواؤهم مختلفة .

(٩) يضرب للرجل يعرف الشيء أكثر من غيره .

(١٠) تعصب الإنسان لما عنده .

(١١) تضرب للقوم يفقدون خيرا لا يستحقونه .

(١٢) إنكار الجميل . (١٣) الاكتفاء بغاية الجهد .

(١٤) للفرق بين المتباينات . (١٥) للشر يعم .

(١٦) يضرب لاستضعاف المتكبر المتجاهل .

(١٧) استكبار الشيء وتجيله .

(١٨) للأشياء النادرة .

(١٩) تستعمل فى لفت النظر إلى مواطن العبرة والتبصر .

(ب) الشـــعر

(١) قال كعب بن زهير (١) :

بانتْ سُعادُ فقلبي اليومَ متبولُ ... متيَّمٌ عندَها لم يُجزَ مكبولُ (٢)

وما سُعادُ غداةَ البين إذ برزَتْ ... إلا أغَنُّ غضيضُ الطرْف مكحول (٣)

تجلو عوارضَ ذى ظَلْمٍ إذا ابتسمتْ ... كأنه مُنْهَلٌ بالراح معلول (٤)

شُجَّتْ بذى شَبَمٍ من ماءِ مَحْنِيَةٍ ... صافٍ بأبطحَ أضحى وهو مشمول (٥)

تنفي الرياحُ القذَى عنه وأفرطَه ... من صَوْبِ غاديةٍ بيضٌ يعاليل (٦)

ويلُمِّهَا خُلَّةً لو أنها صدقَتْ ... بوعدها ولو أنَّ النصحَ مقبول (٧)

---

(١) هو كعب بن زهير بن أبى سلمى الشاعر الجاهلى . وقد نشأ كعب فى أسرة شاعرة ذات خواص فنية متشابهة . وأسلم ومدح الرسول بهذه القصيدة التى نشرحها . و يعدّ شعره من النوع القوى الجزل مع غرابة لفظ ، وجودة وصف ، و يقال إنه توفى سنة ٢٤ هـ .

(٢) بانت : فارقت . والمتبول : الذى أسقمه الحب . ومكبول : مقيد .

(٣) الغزال الأغنّ : الذى فى صوته غنة ، وهى صوت محبوب . غضيض الطرف : أى فى طرفها تكسر وفتور .

(٤) تجلو : تكشف . والمراد بالعوارض هنا : الأسنان . ذى ظلم : أى ثغر ذى ظلم . والظلم : ماء الأسنان و بريقها . ومنهل معلول : أى مسق بالخمر مرة بعد أخرى .

(٥) شجت : أى مزجت بالماء لتذهب سورتها . و بذى شبم أى بماء ذى شبم . والشبم : البرد . والمحنية : منعطف الوادى لأن ماءها يكون أصفى وأرق . والأبطح : مسيل فيه دقاق الحصى . والمشمول : الذى ضربته ريح الشمال حتى برد . أى كأن فى ثغرها راحا مزجت بماء بارد نقى صاف .

(٦) القذى : ما يسقط فى الماء . وأفرطه : أى ملأه . والصوب : المطر . والغادية : الغمامة تأتى صباحا . واليعاليل : الجبال ، أى وملأ هذا الأبطح سيل آت من جبال بيض .

(٧) ويل أمها : تضاف كلمة ويل الى أم وتركبان كأنهما كلمة واحدة وتستعمل فى التعجب ، وفى رواية ابن هشام : فيالها ... والخلة هنا : الصديقة . أى ما أعجبها صديقة لو وفت بما وعدت : وسمعت نصيحة النصاح لها فى أمرى .

لكنها خُلَّةٌ قد سِيطَ مِن دمِها … فجْعٌ ووَلْعٌ و إخلافٌ وتبديل (١)
فما تقومُ على حالٍ تكون بها … كما تلوّنُ فى أثوابها الغُول (٢)
ولا تَمَسَّكُ بالعَهدِ الذى زعَمتْ … إلا كما يُمسِكُ الماءَ الغرابيل
كانت مواعيدُ عُرْقوب لها مثلا … وما مواعيدُها إلا الأباطيل (٣)
أرجو وآمُلُ أن تدنو مودّتُها … وما إخالُ لدينا منكِ تنويل (٤)
فلا يَغُرَّنْك ما منّتْ وما وَعَدتْ … إن الأمانىَّ والأحلامَ تضليل
أمست سُعادُ بأرضٍ لا يُبَلِّغُها … إلا العِتاقُ النَّجِيّاتُ المراسيل (٥)

*
* *

وقال كل خليلٍ كنت آمله … لا الهينك إنى عنك مشغول
فَقُلتُ : خلُّوا سَبيلى لا أبا لكم … فكل ما قدّر الرحمنُ مَفْعولُ
كل ابنِ أنثى و إن طالت سلامته … يوما على آلةٍ حدباء محمول
نُبِّئْتُ أنَّ رسولَ الله أَوْعَدَنِي … والعفْوُ عندَ رسولِ الله مأمولُ (٦)
فَقَدْ أتيتُ رسولَ الله معتذِرًا … والعُذْرُ عِندَ رَسُولِ الله مَقْبولُ
مَهْلًا هَدَاكَ الذى أَعْطَاكَ نافلَةَ الْـ … قُرآنِ فيها مواعيظٌ وتَفْصِيلُ (٧)
لا تَأخُذَنِّى بأقوالِ الوُشاةِ ، وَلَمْ … أُذْنِب ، وَلَوكَثُرتْ فىَّ الأَقاوِيلُ

(١) سيط : من ساط الماء ونحوه يسوطه : خلطه بغيره . والفجع : الإصابة بالمكروه . والولع : الكذب .
(٢) الغول : من خرافات العرب يزعمون أنها تتراءى لهم فى الفلوات وتتلون لهم وتضلهم عن الطريق .
(٣) عرقوب : يضرب به المثل فى خلف الوعد ، قيل انه وعد أخا له ثمر نخلة ، وقال : ائتنى اذا أطلع النخل ، فلما أطلع قال : اذا أبلح . فلما أبلح قال : اذا أزهى . فلما أزهى قال : اذا ارطب . فلما أرطب قال : اذا صار تمرا . فلما صار تمرا جدّه من الليل ولم يعطه شيئا .
(٤) مفعول إخال الأول ضمير شأن مقدر . والمفعول الثانى جملة لدينا الخ .
(٥) لا يبلغها : أى لا يبلغنها أو لا يبلغها اياها الا العتاق الخ . والعتاق : الابل أو الخيل الكريمة . والنجيات : السريعات . والمراسيل : جمع مرسال ، وهو السريع .
(٦) أوعد : هدّد . (٧) نافلة القرآن : عطية القرآن . والتفصيل : التبيين .

لقــد أقومُ مَقامًا لو يَقــومُ به ... يرى ويَسمَعُ ما قد أسمعُ الفيــل (١)
لظلَّ تُرعَدُ من وَجْدٍ بوادرُه ... إن لم يكن من رسـول الله تنويل (٢)
ما زلتُ أقتطعُ البَيـداءَ مُدَّرِعًا ... جُنْحَ الظلامِ، وثوبُ الليلِ مسبول (٣)
حتى وضَعتُ يميني ما أنازِعُهـا ... فى كفِّ ذى نَقِماتٍ قولُه القِيـل (٤)
فَلَهْوَ أخْوفُ عنـدِى إذ أكلِّمُه ... وقيـل : إنك منسوبٌ ومسئول (٥)
من ضَيْغَمٍ بضَراءِ الأرضِ مُخْـدَرُه ... فى بطن عَثَّرَ غِيـلٌ دونه غيــل (٦)
يغـدو فيَلْحَمُ ضِرْغامَيْن عَيْشُهما ... لحمٌ من النـاس معفورٌ خراديل (٧)
إذا يُساوِرُ قِرْنًا لا يحِـلُّ له ... أن يترُكَ القِـرنَ إلا وهـو مغلول (٨)
منـه تظلُّ حَميرُ الجـوِّ نافرةً ... ولا تَمَشَّى بواديه الأراجيـل (٩)

---

(١) أى لقد شهدت برؤية الرسول مشهدا عظيم الهيبـة لو شهده الفيل أو سمع الفيل ما يدور به من الحديث لظل يرعد .

(٢) ظل ترعد، جواب لو فى البيت السابق . والبوادر : جمع بادرة، وهى هنا بين المنكب والعنق .

(٣) ادّرع الظلام أى لبسه كأنه درع .

(٤) ما أنازعها : أى لا أجذبها . والقيل : أى القول الحق .

(٥) أخوف : أى أعظم مسبب للخوف ومنسوب : أى مسئول عن نسبك . أى ان مقامى بين يدى رسول الله بعد أن قيل لى انك تسأل عما نسب اليك من القبيح لأشد إخافة لى من ضيغم الخ

(٦) من ضيغم : متعلق بأخوف فى البيت السابق . وضراء الأرض أى الأرض المستوية التى تأويها السباع وبها نبذ من الشـجر . والمخدر : مكان إقامة الأسـد . وبطن عثر مأسدة . أى مخدره غيل من بطن عثر دونه غيل . والغيل : الأجمة — يصفه بالمنعة والتوحش .

(٧) يلحم : أى يطعم اللحم . معفور : أى ملق فى التراب . والخراديل : القطع، والمعنى يصبح الأسد فيطلب صيدا لولدين أكلهما من لحوم الناس المعفورة المقطعة .

(٨) يساور : يواثب . والقرن : المماثل . ولا يحل : لا يسوغ . والمغلول : المقيد . ويراد به هنا لا يستطيع المشى . وفى رواية مجدول . وفى أخرى : مفلول .

(٩) الجو : البر الواسع . والأراجيل : جمع الأرجال، والأرجال جمع رجل، اسم جمع لراجل أى غير راكب .

ولا يزالُ بِوَادِيهِ أخو ثِقَةٍ مضرَّجُ البَزِّ والدُّرْسَانِ مأكول (١)
إنّ الرسولَ لَنورٌ يُستَضاءُ به مهنَّدٌ من سيوفِ اللهِ مسلول
فى عُصبةٍ من قريش قال قائلُهُم ببطن مكّةَ لما أسلموا : زُولوا (٢)
زالوا ، فمازال أنكاسٌ ولا كُشُفٌ عند اللقاءِ ولا ميلٌ معازيل (٣)
يمشُون مَشىَ الجمالِ الزُّهْرِ يَعصِمُهُمْ ضربٌ إذا عَرَّدَ السودُ التنابيل (٤)
شُمُّ العرانينِ أبطالٌ لَبُوسُهُمُ من نسجِ داودَ فى الهَيْجا سرابيل (٥)
بِيضٌ سوابغُ قد شُكَّتْ لها حَلَقٌ كأنها حَلَقُ القَفْعاءِ مجدول (٦)
ليسوا مفاريحَ إن نالتْ رِماحُهُمُ قوماً ، وليسوا مَجازيعاً إذا نيلوا (٧)
لا يقعُ الطعنُ إلا فى نُحورِهِمُ وما لهم عن حِياضِ الموت تهليل (٨)

---

(١) البز : الثياب . والدرسان : أخلاق الثياب ، جمع دريس ؛ أى أن بوادى هذا الأسد تجد شجاعا كان يثق بنفسه فافترسه وأصبحت ثيابه خلقا ممزقة .

(٢) زولوا : أى انتقلوا من مكة إلى المدينة .

(٣) النكس : الضعيف . والكشف : جمع أكشف وهو من لا ترس له . والميل : جمع أميل وهو من لا سيف له أو من لا يحسن الركوب . والمعازيل : جمع معزال وهو من لا سلاح له .

(٤) الزهر : البيض . وعرد : فر وأعرض . والتنابيل : القصار .

(٥) شم العرانين : شم الأنوف ، أى أعزة . واللبوس : اللباس . والسرابيل : الدروع ، أى لباسهم دروع من نسج داود .

(٦) بيض : صفة للسرابيل . والسوابغ الطوال . والقفعاء : نبات ينبسط على الأرض تشبه به حلق الدروع .

(٧) المفاريح : جمع مفراح . والمجازيع : جمع مجزاع .

(٨) التهليل : الجبن والفرار .

(٢) قالت قُتَيلةُ(١) بنت النَّضر بن الحارث تبكى أخاها :

يا راكبًا إنَّ الأُثَيْلَ مَظِنَّةٌ ... من صُبْح خامسةٍ ، وأنت موفقُ (٢)

أَبْلغْ بها مَيْتًا بأنَّ تحيَّةً ... ما إن تزالُ بها النجائبُ تخفِقُ (٣)

مِنِّى اليك ، وعَبْرَةً مسفوحةً ... جادتْ بوا كِفِها ، وأخرى تَخْنُقُ (٤)

هل يَسْمَعنِّى النَّضْرُ إن ناديتُه ... أم كيف يسمعُ مَيِّتٌ لا ينطِق (٥)

أمحمدٌ يا خيرَ ضِنْءِ كريمةٍ ... فى قومها ، والفَحْلُ فحلٌ مُعْرِق (٦)

ما كان ضَرَّكَ لو مَنَنْتَ ؟ ورُبَّما ... مَنَّ الفتى وهو المَغيظُ المُحْنَق (٧)

أو كنت قابِلَ فِدْيةٍ فَلْيُنْفَقَنْ ... بأعزِّ ما يغلو به ما يُنْفَقُ (٨)

---

(١) قتيلة بنت النضر وقيل أخته نشأت فى قومها بنى عبد الدار بن قصى من قريش . وكان أخوها أو أبوها النضر مع قريش على الرسول فى غزوة بدر فأمر الرسول عليه السلام بقتله . وترى أن شعرها على قرنه أكرم شعر موتور وأعفه وأكفه وأحلمه .

(٢) الأثيل : موضع فيه قبر النضر ، تقول إن الأثيل يظن أن تبلغه فى صبح الليلة الخامسة ، إذا وفقت ولم يعقك عائق .

(٣) النجائب : جمع نجيبة . وهى جياد الإبل . وخفقان النجائب : شدة اهتزازها ، و إن زائدة .

(٤) منى متعلق بأبلغ ، والمسفوحة : المصبوبة ، أى بلغه منى رسالة ، واذكر له عبرة على فقده سالت ، وعبرة أخرى جمدت ، وأخذ حزنها بالحلق فخنقه .

(٥) أم هنا للإضراب : أى بل كيف يسمع الخ .

(٦) الضن : الأصل ، والولد . والكريمة : النجيبة . والمعرق : من له أصول راسخة فى الكرم المعنى أن أمك شريفة وأباك عريق فى المجد .

(٧) المعنى اذا كنت كذلك فما كان ضرك لو مننت على أخى وأطلقته فقد يعفو الكريم ، وهو منطو على الغيظ والحنق .

(٨) أى وما ضرك لو قبلت فدية ، فانك ان فعلت أنفقنا لفديته أعز وأغلى ما نملك .

فالنضر أقرب من أسرت قرابة ... وأحقهم إن كان عتق يعتق (١)
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه ... لله أرحام هناك تشقق! (٢)
صبرًا يقاد إلى المنية متعبًا ... رسف المقيد، وهو عانٍ موثق (٣)

(٣) قال أمية بن أبي الصلت يعتب على ابن له : (٤)

غذوتك مولودًا وعلتك يافعًا ... تعل بما أدني إليك وتنهل (٥)
إذا ليلة نابتك بالشكو لم أبت ... لشكواك إلا ساهرًا أتململ (٦)
كأني أنا المطروق دونك بالذي ... طرقت به دوني، وعيني تهمل (٧)
تخاف الردى نفسي عليك، وإنها ... لتعلم أن الموت حتم مؤجل (٨)
فلما بلغت السن والغاية التي ... إليها مدى ما كنت فيك أؤمل

(١) كان تامة : أي وأحقهم بأن يعتق إن حصل منك عتق وفكاك .

(٢) تنوشه : تتناوله، ولله أرحام : تعجب أي لم يقتله أحد غير بني أبيه فعجبا من أرحام يقطعها أصحابها .

(٣) صبرا أي حبسا حتى يقتل، والمعنى أنه يقاد يموت بعد الحبس وهو متعب يرصف رسف المقيد، أي وهو أسير موثق .

(٤) هو عبد الله بن أبي ربيعة الثقفي نشأ بالطائف جاهليا يلتمس المعارف الدينية متعبدا راجيا أن يكون نبي العرب؛ حتى اذا كانت بعثة النبي صلى الله عليه وسلم نفسها عليه، وناضله مع أعدائه حتى مات بالطائف سنة ٩ ه . ويمتاز شعره بالسهولة، والدخيل من الألفاظ، وتناول الأساطير، والأمور الدينية مع المدح والحكمة وكان أكثر مدحه في عبد الله بن جدعان القرشي .

(٥) غذاه : قام بمؤونته، وعاله : كفله وقام به، واليافع : من قارب العشرين، تعل : من العلل، وهو الشرب الثاني . والنهل : الشرب الأول، يريد أنه يسبغ عليه من نعمه مرة بعد مرة .

(٦) أتململ : أتقلب على الملة وهي الجمر .

(٧) تهمل : أي يسيل منها الدمع .

(٨) الردى : الهلاك، حتم أي لا مفر منه . مؤجل أي له وقت .

جعلتَ جزائى منك جَبْهًا وغِلْظَةً ... كأنكَ أنتَ المنعِمُ المتفضِّلُ (١)

فليْتَكَ إذ لم ترعَ حقَّ أبُوَّتى ... فعلْتَ كما الجارُ المجاوِرُ يفعلُ (٢)

وسمَّيْتَنِي باسمِ المفنَّدِ رأيُه ... وفى رأيك التفنيدُ لوكنتَ تعقلُ (٣)

تراه مُعَدًّا للخلافِ كأنه ... بِرَدٍّ على أهلِ الصوابِ مُوَكَّلُ (٤)

(٤) وقال كعب بن مالك : (٥)

عَجِبتُ لأمرِ اللهِ واللهُ قادرٌ ... على ما أراد ، ليس لِلهِ قاهرُ

قضَى يومَ بدرٍ أن نُلاقِيَ معشراً ... بَغَوْا ، وسبيلُ البغْيِ بالناسِ جائرُ

وقد حَشَدُوا ، واستَنْفَروا من يَليهِمُ ... من الناسِ ، حتى جَمْعُهم مُتكاثرُ

وسارتْ إلينا لا تُحاوِلُ غيْرَنا ... بأجمعِها : كَعْبٌ جميعاً ، وعامرُ

وفينا رسولُ اللهِ ، والأوْسُ حولَه ، ... له مَعْقِلٌ منهم عزيزٌ وناصرُ

وجَمْعُ بنى النجارِ تحتَ لوائِه ... يُمَشُّون فى الماذِىِّ ، والنَّقْعُ ثائرُ (٦)

فلمّا لَقيناهمْ ، وكلٌّ مجاهدٌ ... لأصحابه مُستبسِلُ النفْسِ صابرُ

---

(١) الجبه : مقابلة الانسان بما يكره .

(٢) أى ليتك إذ أبيت أن تعاملنى معاملة الأب عاملتنى كما يعامل الجار جاره .

(٣) فنده : نسبه الى سوء العقل أى وصمتني بسوء الرأى والغباوة ، ولو عقلت لعلمت أن الفند حقيق بأن ينسب اليك لا إلى .

(٤) معدا : أى محضرا ومهيئا ، أى أنه يهيئ الخلاف ، ويقابل به كل رأى كأنه كلف أن يفند آراء أهل الصواب .

(٥) هو كعب بن مالك الخزرجى من شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه نشأ فى المدينة وأسلم ودافع أعداء الرسول عنه ، وروى عنه كثيرا من الأحاديث ثم كان عثمانيا يدعو الأنصار لنصر عثمان ، وتغلب على شعره النزعة الدينية فى أسلوب واضح متين .

(٦) الماذى هنا : السلاح من الحديد المجلو ، والنقع : غبار الحرب .

شهِدْنا بأن الله لا ربَّ غيْرُه ... وأنَّ رسولَ اللهِ بالحقِّ ظاهر

وقد عَرِيَتْ بيضٌ خِفاف كأنها ... مَقَابِيسُ يُزْهيها لعينيكَ شاهر (١)

بِهِنَّ أَبَدْنا جمعَهمْ فتبدَّدُوا ... وكانَ يُلاقِي الحَيْنَ مَنْ هو فاجر (٢)

فَكُبَّ أبو جهلٍ صريعا لِوجهِه ... وعُتْبَةُ قد غادرْنَه وهو عاثِر (٣)

وشَيْبَةَ والتَّيْمِيَّ غادرْنَ في الوغَى ... وما منهمُ إلّا بذى العَرش كافر

فأمسَوْا وَقُودَ النارِ في مُستَقَرِّها ... وكلُّ كفورٍ في جهنمَ صائر

وكانَ رسولُ الله قد قالَ : أقبلوا ... فولَّوا ، وقالُوا : إنما أنتَ ساحر

لأمرٍ أراد اللهُ أن يَهلِكوا به ... وليس لأمرٍ حَمَّه الله زاجر (٤)

---

(١) البيض الخفاف : السيوف ، والمقابيس : جمع مقباس ، وهو شعلة النار ، و يزهيها : يشعلها ، وشاهر السيف : رافعه .

(٢) الحين : الموت والهلاك .

(٣) كب : صرع والنون في غادرنه للسيوف ، والعاثر يراد به المصروع .

(٤) حمه الله : قضاه ، زاجر رادّ .

(٥) قال مالكُ بنُ الرَّيْبِ التميمى(١):

ألا ليتَ شِعْرِى هل أَبيتنَّ ليلةً	بجنبِ الغضى أُزجى القِلاصَ النواجيا
فليتَ الغضى لم يقطع الركبُ عرضَهُ	وليتَ الغضى ماشى الركابَ لياليا
لقد كانَ فى أهلِ الغضى لو دَنا الغضى	مزارٌ ولكنَّ الغضى ليسَ دانيا
ألم ترَنى بِعتُ الضلالةَ بالهدى	وأصبحتُ فى جيشِ ٱبنِ عفّانَ غازيا(٢)
دعانى الهوى من أهل أُودَ وصُحبتِى	بِذِى الطَّبَسَيْنِ فالتفتُّ ورائيا(٣)
أجبتُ الهوى لما دعانى بزفرةٍ	تقنَّعتُ منها أن أُلامَ ردائيا(٤)
لعمرِى لئن غالتْ خُراسانُ هامتِى	لقد كنتُ عن بابَىْ خُراسانَ نائيا(٥)
فلله درِّى يومَ أتركُ طائعا	بَنِىَّ بأعلى الرَّقْمتينِ وماليا(٦)

(١) مالك بن الريب المازنى التميمى شاعر فاتك لص نشأ فى بادية بنى تميم عند البصرة يقول الشعر الرقيق الجيد وينال الناس بالشر فيطلبه الولاة فيفر حتى اتخذه معه سعيد بن عثمان بن عفان والى خراسان من قبل معاوية وعند قفولهما من خراسان مرض مالك هذا فقال يذكر مرضه وغربته بهذه القصيدة . وشعر مالك كما ترى جيد متين حسن التعبير .

(٢) فى جيش ٱبن عفان : هو سعيد بن عثمان بن عفان كان خرج معه لما ولى خراسان فلما كان ببعض الطريق أراد أن يلبس خفه فلدغته حية فى داخله .

(٣) أود : موضع بالبادية من بلاد العرب . الطبسان : كورتان بخراسان ، أى دعانى الهوى وأنا فى المكان ذى الطبسين .

(٤) أن ألام : أى مخافة أن ألام . وردائيا : مفعول تقنعت .

(٥) الهامة : الرأس .

(٦) لله درى : تركيب يقال فى المدح والدعاء ، أى ما أنا فيه من الخير إنما هو من الله فى أصل المعنى ، وأراد بهذا التركيب هنا التعجب من نفسه والتقريع لها . والرقمتان : قريتان قرب البصرة .

ودرُّ الظبـاءِ السـانحاتِ عَشيـَّةً ... يُخَـبِّرنَ أني هالك مَنْ ورائيـا[١]

ودرُّ كَبيرَيَّ اللَّـذَينِ كلاهمـا ... عَـلَيَّ شَـفيقٌ ناصح لو نَهانيـا[٢]

ودَرُّ الهوى من حيثُ يدعو صِحَابَه ... ودرُّ لجَاجاتى ودرّ انتهـائيـا[٣]

تذكرتُ مَن يبكى علىَّ فلم أجِدْ ... سِـوى السيفِ والرمح الرُّدَينِيِّ باكيا[٤]

وأشـقَرَ خنْـذيذٍ يجُـرُّ عِنـانه ... الى المـاءِ لم يترك لهُ الدهرُ ساقيـا[٥]

* * *

ولكنْ بأطراف السُّـمَينَة نِسـوةٌ ... عـزيزٌ عليهنّ العَشـيةَ ما بِيـا[٦]

صريعٌ عـلى أيدى الرجال بقَـفْرة ... يُسَـوُّونَ قبرى حيثُ حُمَّ قَضائيـا

ولمّـا تراءَتْ عنـد مَرْوَ مَنيَّـتى ... وخَلَّ بهـا جِسـمِى وحانتْ وَفاتيـا[٧]

أقولُ لأصحـابى : ارفعُـونى لأنّنى ... يقَـرّ لعينى أن سُهَيلٌ بدا ليـا[٨]

فياصاحِبَيْ رَحـلِى دنا المـوتُ فانزلاَ ... برابيـة ؛ إنى مقـيم لياليـا

---

(١) إما أنه يقصـد بالظباء النساء من أهله ، وأنهن كن يتشاءمن من سفرته : و إما أنه يقصد الظباء الحقيقية وأنها وان سنحت وجاءت من المياسر الى الميامن وهو ما كانت تتيمن به العرب كانت خداعة فى هذا وأنها فى الحقيقة كانت نذير الشؤم والهلاك .

(٢) لو نهانيا : لو للتمنى . والضمير يعود للشفيق .

(٣) ودرلجاجاتى يتهكم بأن مطامعه دفعته الى الهلاك وأن الموت كان انتهاء مطامعه .

(٤) الرديني منسوب الى ردينـة ، وهى امرأة كانت تقوم الرماح ، أى لا أجد من يبكى على فى الغربة إلا سيفى و رمحى .

(٥) وأشقر : أى وفرس أشقر . خنذيذ : أى طويل صلب .

(٦) السمينة : موضع .

(٧) خل بها جسمى : اختل .

(٨) سهيل : نجم يكون فى سمت بلاد اليمن .

أقيما علىَّ اليومَ أو بَعض ليلة ... ولا تَعجلانى ، قد تبيَّن ما بيا

وقوما إذا ما استُلَّ رُوحى وهيئا ... لى السِّدر والأكفان ثم ابْكيا ليا(١)

وخُطَّا بأطرافِ الأسنَّة مَضْجَعى ... ورُدَّا على عَيْنَىَّ فضلَ ردائيا

ولا تَحْسُدانى — باركَ الله فيكما — ... من الأرض ذاتِ العَرْض أن تُوسعا ليا

خُذانى فجُرَّانى ببُردى إليكما ... فقد كنتُ قبلَ اليوم صَعْبًا قِياديا

وقد كنتُ عَطَّافًا إذا الخيل أدبرت ... سَريعًا الى الهَيْجا إلى مَن دعانيا

وقد كنتُ محمودًا لدى الزادِ والْقِرَى ... وعن شتمى ابْنَ العم والجارَ وانيا

وقد كنت صبَّارًا على القِرْن فى الوغى ... ثقيلًا على الأعداء عَضْبًا لسانيا(٢)

وطورًا ترانى فى ظلال ومَجْمَعٍ ... وطورًا ترانى والعِتاقُ ركابيا(٣)

وطورًا ترانى فى رَحًى مستديرة ... تُخَرِّقُ أطرافُ الرماح ثيابيا(٤)

وقُوما على بِئر الشُّبَيْك فأسْمِعا ... بها الوحشَ والبيضَ الحسان الروانيا(٥)

بأنكما خَلَّفْتُمانى بِقَفْرةٍ ... تهيل علىَّ الريحُ فيها السوافيا(٦)

ولا تنسيَا عهدى خليلَىَّ إننى ... تَقَطَّعُ أوصالى وتبلَى عظاميا(٧)

---

(١) السدر : شجر النبق . والمراد هنا ورقه لأنه يغسل به الميت .

(٢) القرن : المثيل فى الحرب . والعضب : السيف القاطع .

(٣) يصف نفسه فى السلم بأنه كان متمتعا بلذات العيش فى ظلال نعيم ، وأنه كان صاحب رأى إذا التفت المجامع ، ويصف نفسه فى الحرب بأن مكانه متون الخيل . والعتاق : جمع عتيق ، وهو الفرس الكريم .

(٤) أى فى الحرب التى تدور رحاها .

(٥) الشبيك : موضع . والروانى : النواظر .

(٦) السوافى : جمع سافية ، وهى الريح تحمل الغبار .

(٧) الأوصال : المفاصل .

فلن يعــدَم الوالون بيتــا يُجِنُّنِي ولن يعدَمَ الميراثُ منِّي المَواليــا (١)

يقولون : لا تَبْعَدْ ! وهم يدفنونني وأين مكانُ البعــدِ إلا مكانيــا (٢)

غــداةَ غدٍ يالهفَ نفسي على غــد إذا أدلجــوا عني وخُلِّفْتُ ثاويا (٣)

وأصــبح مالي من طَريفٍ وتالد لغيري وكان المــال بالأمس ماليا (٤)

فياليت شِعْرِي هل تَغيرت الرحى رحى المُثل أو أضحت بفَلْج كما هيا (٥)

إذا القــوم حَلُّوها جميعًــا وأنزلوا بهــا بَقَــرًا حُمَّ العُيــون سواجيا (٦)

وعَيْنَ وقد كان الظلامُ يُجِنُّها يَسُــفْنَ الخُزامَى نَوْرَها والأقاحيا (٧)

وهل ترْكَ العيسُ المراقيلُ بالضُّحا تعاليهَا ، تعــلو المتون الفياقيــا (٨)

إذا عُصَبُ الرُّكبان بين عُنَيْزَةٍ وبَوْلَان عاجوا المُبْقياتِ المَهاديا (٩)

وياليتَ شِعري هل بكتْ أُمُّ مالك كما كُنتُ لو عالَوا نَعِيَّكِ باكيا (١٠)

---

(١) بيتا يجننى : قبرا يوارينى . والموالى : الأقارب .

(٢) بعد يبعد من باب فرح هلك ، وكان من عادة العرب عند دفن الميت أن يقولوا لا تبعد .

(٣) غداة الظرف متعلق بيقولون ، أدلجوا : ساروا ليلا . وثاو : مقيم .

(٤) الطريف : المال المكتسب . والتالد : المال الموروث .

(٥) رحى المثل بضم الميم . والمثل : موضع . وفلج : موضع .

(٦) حلوها : أي نزلوا بها . حم : جمع حماء وهى السوداء . والسواجى : جمع ساجية وهى العين الساكنة ، وهى صفة حسن والظاهر أنه يقصد بالبقر هنا النساء الحسان وما فى البيت بعده ترشيح .

(٧) يجنها : يخفيها ، وساف يسوف : شم . والخزامى : نبت طيب الرائحة . والأقاحى : جمع أقحوان هو نبت زهره أبيض مفلج .

(٨) العيس : الإبل . والمراقيل : جمع مرقال وهى السريعة . والتعالى : الارتفاع فى السير . والمتون : الجهات المرتفعة . والفياقى : جمع فيفاءة وهى الأرض الغليظة .

(٩) عنيزة : مكان فى وادى بطن فلج . المبقيات : التى يبقى جريها بعد انقطاع جرى غيرها وكلالها .

(١٠) عالوا : رفعوا أي بلغوا . أى كما كنت باكيا عليك يا أم مالك لو بلغونى نعيك .

إذا مِتُّ فاعتادِى القبورَ فسلِّمى على الرَّيْمِ أُسقيتِ الغمامَ الغواديا (١)

تَرَىْ جَدَثًا قد جَرَّت الريحُ فوقَه غُبارًا كلونِ القَسْطَلانىِّ هابيا (٢)

رهينةَ أحجارٍ وتُرْبٍ تضمَّنت قرارتُها منِّى العظامَ البواليا

* * *

أقلِّبُ طَرْفى فوقَ رحلى فلا أرى به من عيونِ المؤنساتِ مُراعيا

وبالرَّملِ مِنَّا نِسْوةٌ لو شَهِدْنَنى بَكَيْنَ وَفَدَّيْنَ الطبيبَ المداويا

فمِنْهُنَّ أمِّى وابنتاها وخالتى وباكيةٌ أخرى تَهِيجُ البواكيا (٣)

وما كان عهدُ الرَّملِ منِّى وأهلِه ذميمًا ، ولا بالرملِ ودَّعْتُ قاليا

(٦) وقال أَعْشَى باهلةَ (٤) :

إنِّى أَتَتْنِى لسانٌ ما أُسَرُّ بها من عَلُو لا عَجَبٌ فيها ولا سَخَرُ (٥)

جاءت مُرَجَّمَةً قد كنتُ أحْذَرُها لو كان يَنفعُنِى الإشفاقُ والحَذَرُ (٦)

---

(١) الريم : القبر . الغوادى : جمع غادية . السحابة الباكرة المطر .

(٢) القسطلانى : نسبة إلى القسطلان وهو غبار الحرب . هاب من هبا الغبار إذا سطع أو اختلط بالتراب .

(٣) يريد زوجته .

(٤) هو عامر بن الحارث بن عوف بن معن شاعر مشهور كان له أخ من أمه يدعى المنتشر بن وهب قتله بنو الحارث بن كعب فى رجل منهم فرثاه الأعشى بهذه الرائية .

(٥) لسان : أى رسالة . وعلو الشىء : أعلاه . ويريد هنا من بعد وهو هنا مبنى على الضم لأنه ظرف مبهم قطع عن الإضافة . والسخر : الاستهزاء ، أى أن الخبر الذى وصل اليه من مكان بعيد خبر لا عجب فيه ، لأنه كان ينتظر ، ولا استهزاء بصحته .

(٦) مرجمة : الحديث المرجم : ما لا يوقف على حقيقته . والإشفاق : الخوف .

تأتى على الناسِ لا تَلوِى على أحدٍ ... حتى أتتنا ، وكانت دوننا مُضَرُ (١)
إذا يُقادُ لها ذِكرٌ أُكذِّبُه ... حتى أتتنى بها الأنباءُ والخَبَرُ (٢)
فَبِتُّ مكتئبًا حيرانَ أندُبُه ... ولستُ أدفع ما يأتى به القَدَرُ
فجاشتِ النَّفْسُ لما جاء جَمعُهُم ... وراكبٌ جاءَ من تَثْليثَ مُعتَمِرُ (٣)
إن الذى جئتَ من تَثْليثَ تَندُبُه ... منه السَّماحُ ومنه الجُودُ والغِيَرُ (٤)
تَنْعَى امرأً لا تُغِبُّ الحىَّ جَفنَتُه ... إذا الكواكبُ خَوَّى نَوْءَها المطَرُ (٥)
وراحت الشَّوْلُ مُغبَرًّا مناكِبُها ... شُعْثًا تَغَيَّرَ منها النِّىُّ والوَبَرُ (٦)
وأَجْحَرَ الكلبَ مُبيَضُّ الصَّقيعِ به ... وضَمَّت الحىَّ من صُرَّاده الحُجَرُ (٧)
عليه أوَّلُ زادِ القومِ قد علموا ... ثم المطىُّ إذا ما أرمَلُوا جُزُرُ (٨)

---

(١) لا تلوى على أحد : أى لا تتوقف ولا تنتظر . أى أن هذه الرسالة كانت تمرّ على الناس سريعا حتى وصلت الىّ وكان بينى و بينها قبائل مضر .

(٢) الأنباء : الأخبار . يريد كنت أكذبها حتى تواترت الانباء والأخبار .

(٣) جاشت : غلت واضطربت من الحزن . وتثليث : موضع . ومعتمر : معتم .

(٤) الغير : جمع غيرة ، وهى النخوة .

(٥) نعى الميت ينعاه : أخبر بموته . أغبتهم : جاءتهم يوما وتركت يوما . والجفنة : القصعة . وخوى الكوكب : لم يمطر . والنوء : مظهر خاص فى الكواكب ينذر بالمطر . والمعنى أنه كان كريما يرسل الجفان الى الحى حتى فى أوقات الشدائد والجدب حينما يخلف المطر ما كانت تنذر به علامات سقوطه .

(٦) الشول : جمع شائلة . وهى الناقة جف لبنها . والشعث : جمع شعثاء وهى المغبرة الرأس المتلبدة الوبر . والنى : الشحم والسمن .

(٧) أجحر الكلب : ألزمه جحره . والصقيع : ما يسقط بالليل كأنه ثلج . والصراد : السحاب شديد البرد ولا مطر فيه .

(٨) أرملوا : قل زادهم ، والتصقت أيديهم بالرمل . والجزر : جمع جزور ، وهى الناقة التى تنحر . خبر المطى .

لا تأمَنُ البازِلُ الكَوْماءُ ضَربَتَـهُ ... بالمَشْرَفِيِّ إذا ما اخرَوَّطَ السَّـفَرُ (١)
قد تَكْظِمُ البزل منه حين يفجَؤُها ... حتى تقطَّعَ فى أعناقها الجِـرَرُ (٢)
أخـو رغائبَ يُعطيهـا ويُسأَلُهـا ... يَخشى الظُّلامَةَ منـه النَّوفَلُ الزُّفَرُ (٣)
مَنْ ليس فى خيره مَنٌّ يُكَدِّرُه ... على الصديق ولا فى صفوه كدَرُ
يَمشى بِبيـداءَ لا يمشى بها أحـدٌ ... ولا يُحَسُّ خلا الخَافِي بهـا أَثَرُ (٤)
كأنه بعـد صَدْق القوم أنفسَهمْ ... بالبأس يلمعُ من أقدامه الشَّـرَرُ (٥)
وليس فيـه إذا استَنْظَرتَه عَجَلٌ ... وليسَ فيـه إذا ياسَرتَه عَسَـرُ (٦)
إمَّا يُصِبـهُ عَدُوٌّ فى مُنـاوأةٍ ... يومًا فقدكانَ يَستَعلِي ويَنتَصِرُ (٧)
أخو حروبٍ ومِكسابٌ إذا عدِموا ... وفى المخـافة منـه الجِدُّ والحَـذَرُ (٨)

---

(١) البازل : مابرز نابه من جمل أو ناقة ، وتكون سنه إذاً نحو تسع سنين . الكوماء : الناقة الضخمة السنام . واخروط السفر : أى طالت مدّته ، وبعدت طريقته .

(٢) تكظم : أى تحبس غيظها على مضض . ويفجؤها : يجيئها بفجاءة وبغتة . والجرر : جمع جرة . وهى الكرش التى يضع فيها البعير طعامه ليأكله ثانيـة . يعنى أنه لكثرة عادته بعقر الإبل إذا رأته كظمت وحبست جررها خوفا وهيبة حتى تكاد تقطع أعناقها .

(٣) الرغائب : العطايا ، يعطيها ويسألها : أى مرة يعطى بلا سؤال ومرة بعد سؤال . والظلامة : ما يتظلم منه . والنوفل : الكثير العطاء . والزفر : السيد .

(٤) البيداء : الفلاة . والخافى : الجنى ، يصفه بالجرأة وقوة القلب والعزيمة .

(٥) صدق القوم أنفسهم : أى إجهادهم أنفسهم . والبأس : القوة ، يعنى إذا جاراه وسابقه قوم فانك تراهم بعد أن أجهدوا أنفسهم ليبلغوا مداه قد خابوا ، وتراه وقد لمع الشرر من أقدامه لقوة عدوه .

(٦) استنظرته : طلبت منه الانتظار . وياسرته : لاينته ولاطفته . والعسر : قلة السماحة وضيق الخلق .

(٧) إما : هى إن الشرطية المدغمة فى ما . والمناوأة : المعاداة .

(٨) الجد : الاجتهاد فى الأمر .

مِرْدَى حُروبٍ شهابٌ يستضاء به   كما أضاء سوادَ الطُّخْيَة القَمَرُ (١)
مُهَفْهَفٌ أهضمُ الكَشْحَين مُنْخَرِقٌ   عنه القميصُ، لسير الليل مُحْتَقِرُ (٢)
ضَخْمُ الدسيعَةِ مِتْلاف أخو ثِقَةٍ   حامى الحقيقة منه الجودُ والفَخَرُ (٣)
طَاوِى المَصِيرِ على العَزَّاءِ مُنْجَرِدٌ   بالقوم ليلةَ لا ماءٌ ولا شجرُ (٤)
لا يَتَأَرَّى لما فى القِدْر يرقُبُه   ولا يَعَضُّ على شُرْسُوفِه الصَّفَرُ (٥)
تكفيه فِلْذَةُ لحم إن أَلَمَّ بها   من الشِّواء، ويروى شَرْبَهُ الغُمَرُ (٦)
لا يأمَنُ الناسُ مُمْسَاهُ ومُصْبَحَهُ   فى كل فَجٍّ، وإن لم يَغْزُ يُنْتَظَرُ (٧)
المعجِلُ القومِ ان تَغْلِي مَراجِلُهُمْ   قبلَ الصباح، ولَمَّا يُمْسَحِ البصَرُ (٨)
لا يَغْمِزُ الساقَ من أَيْنٍ ولا نَصَبٍ   ولا يزالُ أمامَ القوم يُقْتَفَرُ (٩)

---

(١) المردى: الحجر الذى يرمى به أو الذى تكسر به الصخور. والشهاب: شعلة من النار. والطخية: الظلمة.

(٢) المهفهف: الخفيف اللحم. أهضم الكشحين. أى ضامر الخصر. منخرق عنه القميص: هذا كناية عن طول أسفاره.

(٣) الدسيعة: العطية. والحقيقة: مايحق على الرجل أن يمنعه ويدافع عنه كالشرف والعرض وغيرهما.

(٤) المصير: المعى، وجمعه مصران. والعزاء: السنة الشديدة المجدبة، والمنجرد هنا: المسرع بالسير يعنى أنه فى السنة المجدبة يطوى أحشاءه على الجوع، ويسير بالقوم لمواطن القوت فى ليلة لا ماء فيها ولا نبات.

(٥) يتأرى: يتحبس وينتظر. والشرسوف: غضروف الضلع المشرفة على البطن. والصفر والصفار: دويبة تزعم العرب أنها فى البطن تعض الضلوع عند الجوع.

(٦) الفلذة: القطعة الصغيرة. والشرب: أصله الشرب وسكنت الراء وهو مصدر شرب بمعنى عطش. والغمر: قدح صغير أو أصغر الأقداح.

(٧) أى أنه يخوف فى كل الأوقات وأنه إذا لم يغز قوما انتظروا حملته فى خوف.

(٨) أى أنه يدعو القوم إلى العجلة والإسراع إلى الغارة دون أن ينتظروا غليان قدورهم وذلك قبل الفجر وقبل أن يمسح القوم أعينهم من آثار النوم.

(٩) الأين والنصب التعب. و يقتفر: يتبع ويجرى على أثره.

عِشْـنَا به بُرْهةً دهرًا فودَّعنا　　كذلك الرمحُ ذو النَّصلين منكسر
فنِعمَ ما أنتَ عند الخيرِ تسألُه　　ونعمَ ما أنتَ عند البأس تُحتضَرُ (١)
أَصبْتَ فى حَرَمٍ منّا أخا ثقةٍ　　هِنْدَ بنَ سَلْمَى، فلا يَهْنأْ لك الظَّفَرُ!
فإن جَزِعنا فإن الشرَّ أجزعَنا　　وإن صَبَرْنا فإنا مَعشرٌ صُبُرُ (٢)

(٧) قالت الخنساء (٣) ترثى أخاها صخرا :

ما هاج حُزنَكَ؟ أم بالعين عُوّارُ　　أم ذَرَّفتْ أنْ خَلَتْ من أهلها الدارُ (٤)
كأنَّ عينِي لِذِكراهُ إذا خطرتْ　　فَيْضٌ يَسيلُ على الخدين مِدرار (٥)
تبكي لصخرٍ هى العَبْرَى وقد وَلِهتْ　　ودونَه من جديد التُّرب أستار (٦)
تبكى خُنَاسُ فما تَنْفَكُّ ما عَمَرتْ　　لهـا عليه رَنينٌ، وهى مِقْتار (٧)

(١) البأس : الشدة، وتحتضر أى يطلب حضورك .

(٢) صبر : جمع صبور .

(٣) هى تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمى نشأت فى بيت مجد وسيادة فى الجاهلية تقول المقطوعات من الشعر فلما قتل أخواها صخر ومعاوية اشتد جزعها عليهما حتى نبغت فى الرثاء . وتعد الخنساء على رأس الشواعر العربيات لقوة شعرها مع جمال الأسلوب وسلاسته . وكانت وفاتها بالبادية فى خلافة معاوية سنة ٤٦ هـ .

(٤) ما : استفهامية . والعوار : رمد العين : وذرفت : قطرت قطرا متتابعا . تقول : أى شىء هاج حزنك أبك رمد ؟ أم سكبت الدموع لخلو الدار من أهلها ؟

(٥) كأن عينى أى دموع عينى . والفيض : الماء الكثير . والمدرار الغزير .

(٦) الضمير فى تبكى يعود على الخنساء . والعبرى : التى لا تجف دموعها وعبراتها . والوله : شدة الجزع والأستار هنا : الأحجار والتراب يهال على الميت . وقولها من جديد الترب يدل على قرب موته، وهذا يستلزم شدة الجزع .

(٧) ما عمرت : أى مدة عمرها . والمقتار : التى أصابتها فترة أى ضعف .

تبكى خُناسُ على صخرٍ ، وحقّ لها ... إذْ رابها الدهرُ ، إنَّ الدهرَ ضرّار (١)
لا بُدَّ من ميتــةٍ فى صَرْفها غِيَرٌ ... والدهرُ فى صَرفِه حَوْلٌ وأطوار (٢)
ياصخــرُ ورّادَ ماءٍ قــد تَنـاذَرَهُ ... أهــلُ الموارد ما فى وِرْدِهِ عار (٣)
مَشْىَ السَّبَنْتَى إلى هَيْجاءَ مُضْلِعَةٍ ... له ســلاحانِ أنيـابٌ وأظفار (٤)
فما عجــولٌ على بوٍّ تُطيفُ به ... لهـا حنينانِ إصغار وإكبار (٥)
ترتَعُ ما رَتَعتْ حتى إذا ادّكَرَتْ ... فإنمـا هى إقبـالٌ وإدبار (٦)
لاتَسمنُ الدهرَ فى أرضٍ وإن رُبِعتْ ... فإنمـا هى تَحْنانٌ وتَسْــجار (٧)
يوما بأوجدَ مــنى يومَ فارقــنى ... صخــرٌ ، وللدهرِ إحلاءٌ وإمرار (٨)
وإنَّ صخــرًا لكافينا وســيدُنا ... وإنَّ صخرًا إذا نشــتو لَنَحَّارُ (٩)

---

(١) رابها الدهر : أى رأت منه ما تكرهه .

(٢) فى صرفها : أى فى حدوثها وتصرفها . وغير الدهر : أحداثه وأحواله . والحول : التحول والتقلب . والأطوار : الأحوال .

(٣) تناذره أهل الموارد : أنذر بعضهم بعضا ، وخوف بعضهم بعضا عاقبة وروده . تقول : وردت حوض المنية وقد خافه كل وارد ، على أنه ليس فى وروده من عار لأنه لا مفرّ منه .

(٤) السبنتى : الجرىء والنمر . والهيجاء : الحرب . والمضلعة : الشديدة .

(٥) العجول من الإبل والنساء : التى يموت ولدها وهو صغير . والبو : جلد ولد الناقة محشوا يدنى منها فتر أمه والإصغار فى الحنين : خفض الصوت به . والاكبار : رفعه .

(٦) رتعت الناقة رعت ، أى أنها ترعى مادامت ناسية ما أصاب ولدها حتى اذا ذكرته لم يقر لها قرار من شدّة الحزن .

(٧) ربعت : أصابها مطر الربيع ، أى تبقى هزيلة على مدى الأيام حتى لو كانت فى أرض معشبة أصابها مطر الربيع لأنها دائما فى حنين . والتسجار : مدّ الصوت بالحنين من سجر يسجر

(٨) بأوجد : خبر ما عجول قبل هذا البيت ببيتين

(٩) نشتو أى ندخل فى الشتاء . وخصصته لأنه زمن الجدب والشدّة

وان صخرا لمقدامٌ إذا ركبوا ... وإنّ صخرا اذا جاعوا لعقار (١)

أغرُّ أبلج تأتمّ الهداة به ... كأنه علمٌ فى رأسه نارُ (٢)

جَلْدٌ جميلُ المحيّا كاملٌ ورِعٌ ... وللحروب غداةَ الرَّوْعِ مِسْعار (٣)

حمّالُ ألويةٍ هبّاطُ أوْدِيةٍ ... شهّادُ أنديةٍ للجيش جرّار (٤)

فبتُّ ساهرةً للنجم أرقُبُه ... حتى أتى دونَ غوْرِ النجمِ أستار (٥)

ليبكه مُقْتِرٌ أفنى حَرِيبَتَه ... دهرٌ، وحالَفَهُ بؤسٌ وإقتار (٦)

ورُفْقةٌ حارَ هاديهم بمَهْلكةٍ ... كأنّ ظُلمتَها فى الطِّخْيَةِ القار (٧)

لا يمنع القومَ إن سالوه خِلْعتَه ... ولا يجاوزه بالليل مُرّار (٨)

---

(١) عقر الإبل : نحرها .

(٢) الأغر : الكريم الفعال والشريف . والأبلج : البعيد ما بين الحاجبين ، وهذا مما يمدح به الرجل . والعلم : الجبل . تصفه بأنه هادى الهداة وأنه فى الشهرة والظهور أو فى هداية الناس إلى الشرف والمجد كالجبل فى قمته نار .

(٣) الجلد : الشديد القوى . والورع : المجتنب لما لا يعنيه . وفى رواية ذرع والذرع الحسن العشرة . والروع : الخوف والحرب . ومسعار : أى موقد نار الحرب .

(٤) تصفه بالشجاعة والسيادة ؛ فهو حامل اللواء فى الحرب ، وهو لا يعتصم بالجبال خوفا ، بل يهبط الوديان للقتال ، ثم انه حكيم راجح الرأى يشهد أندية عقلاء القبيلة وأهل الرأى فيها .

(٥) الغور : غروب النجم وسقوطه ؛ تريد بالنجم الثانى صخرا أى حتى عجلت ظلمات القبور ، فغيبت صخرا دون أن يبلغ من الحياة أمد أمثاله .

(٦) المقتر : الفقير . والحريبة : ما يعيش الإنسان به من المال .

(٧) المهلكة : مكان الهلاك . والطخية : الظلمة الشديدة .

(٨) المرار : جمع مار ، أى لو سئل ثوبه ما منعه ، ولا يمر بداره إنسان إلا أضافه .

(٨) قال حسان بن ثابت(١) يذكر الحارث بن هشام وهزيمته يوم بدر . وقد حسن إسلامه بعد ذلك واستشهد بأجنادين :

تَبَلتْ فُؤادَكَ فى المنامِ خَرِيدةٌ ... تَسْقِى الضَّجيعَ ببَاردٍ بسَّامِ (٢)

* * *

يامَنْ لِعَاذلةٍ تلومُ سَفاهَةً ... ولقد عَصَيْتُ على الهوى لُوَّامى (٣)

بكَرَتْ علىَّ بسُحْرَةٍ بعد الكَرَى ... وتَقَارُبٍ من حادث الأَيام (٤)

زعمت بأن المرءَ يُكْرِبُ يومَهُ ... عُدْمٌ لمعتكرٍ من الأَصرام (٥)

إن كنتِ كاذبةَ الذى حدَّثتِنِي ... فنجوتِ مَنْجَى الحارثِ بنِ هشام

تركَ الأحبةَ أن يقاتِلَ عنهمُ ... ونجا برأس طِمِرَّةٍ ولِجام (٦)

---

(١) هو أبو الوليد حسان بن ثابت الأنصارى . نشأ جاهليا نابها فى الشعر يمدح المناذرة والغساسنة ، وقد أسلم مع الأنصار بعد الهجرة ، وصار شاعر الرسول . محببا اليه والى خلفائه حتى مات فى خلافة معاوية سنة ٥٤ هـ . ويتناول شعره المدح والهجاء والفخر بنفسه وبقومه . ويختلف أسلوبه الإسلامى عن الجاهلى بتأثير البيئة الجديدة فصار سهلا مألوفا بعد أن كان وعرا غريب الألفاظ

(٢) تبله الحب : ذهب بعقله وأسقمه . والخريدة : المرأة الحيية الطويلة السكوت ، الخافضة الصوت المستترة . والضجيع : المضاجع . والبارد البسام : الفم العذب كثير الابتسام .

(٣) أى من يسعدنى لدفع عاذلة . والسفاهة : الجهل ، مصدر سفه .

(٤) بكر يبكر الى الشىء : عجل . والسحرة : قبيل الصبح . ويريد بالتقارب من حادث الأيام : الكبر والقرب من الموت .

(٥) يكرب : يدنى . والمعتكر : الجيش اذا اختلط رجاله . والأصرام : جمع صرم ، وهو : الصف والجماعة . يقول : إن العاذلة تدعى أن فناء قوم الرجل وأهله يدنى أجله ؛ فهى تنفره من الحرب وخوض غمارها .

(٦) الطمرة : الفرس الجواد المستعد للوثب ، أى نجا مسرعا بفرسه متشبثا برأسها ولجامها فرارا من هول الحرب .

تـــذَرُ العَنَاجِيجَ الجِيــادَ بِقَفــرَةٍ ... مَرَّ الدَّمــوكِ بمُحْصَــدٍ ورِجامِ (١)

مَلأَتْ به الفَرْجَيْن فارمَــدَّتْ به ... وثوى أحبَّتُــه بشَــرِّ مُقَـامِ (٢)

وبنو أبيه ورهطُه في مَعْــرَكٍ ... نَصَــرَ الإلهُ به ذوِى الإســلام

طحنَتْهُمُ — والله يُنْفِذُ أمرَه — ... حربٌ يُشَبُّ سـعيرُها بضِــرام

لــولا الإلهُ وجريُهـا لتركْنه ... جَزَرَ الســباعِ ودُسْنَه بحَوامِي (٣)

من كلِّ مأسورٍ يَشُدُّ صِفادَه ... صَــقْرٌ إذا لاقى الكتيبةَ حامى (٤)

ومجــدَّلٍ لا يستجيب لدعــوةٍ ... حــتى تزولَ شــوامخُ الأعلام (٥)

بالعــارِ والذلِّ المُبيـــن إذا رأوا ... بيضَ السيوف تسوق كلَّ هُمـام (٦)

بيدَىْ أغــرَّ إذا انتمى لم يُخْــزِه ... نسبُ القِصارِ سَمَيْـذَعٍ مِقــدامِ (٧)

بيضٌ إذا لاقتْ حديدًا أصمتَتْ ... كالبرقِ تحتَ ظلالِ كُلِّ غمـامِ (٨)

---

(١) العناجيج : جياد الخيل . الدموك : البكرة يستقى بها على البئر ، والمحصد : حبل شديد القتل ، والرجام : حجر يربط في الدلو ليكون أسرع لها عند إدلائها .

(٢) ملأت ... الخ : المراد بالفرجين الفضاء بين يديها ورجليها . وأرمدت : صارت بلون الرماد لكثرة ما أصابها من غبار . ثوى : أقام .

(٣) الضمير في تركنه للخيل ، وجزر السباع : أي طعمتها ويريد بالحوامي سنابك الخيل .

(٤) صقر : فاعل يشد ، وفيه تشبيه الرجل الشجاع بالصقر . والصفاد : ما يوثق به الأسير .

(٥) جدله صرعه على الجدالة : وهي الأرض ذات الرمل الرقيــق أو عام . يقول إن هــذا المجدل فارق الحياة ، فلا يستجيب لمن يدعوه حتى تزول الجبال .

(٦) بالعار : متعلق بمحذوف أي يشعرون .

(٧) الأغر : الكريم الفعـال والشريف . ونسب القصار أي نسب قصار النسب ، يقــولون فلان قصير النسب أي أبوه معروف إذا ذكره الابن كفاه عن ذكر الجد . والسميذع : السيد الكريم الشريف السخيّ الموطأ الأكناف والشجاع والرجل الخفيف في حاجته . بيدى متعلق بمحذوف حال من بيض .

(٨) بيض : خبر لمبتدأ محذوف أي سلاحه بيض ، وأصمتت بمعنى أسكتت لشدة هولها . ثم شبهها في لمعانها بالبرق في ظلمة الغمام .

وقال يمدح عمراً بن الحارث الغسانى وقومه :

أسألتَ رَسْمَ الدارِ أَمْ لم تسألِ ... بين الجَوابِى فالبُضَيعِ فحَوْمَلِ (١)

فالمرجِ مَرْجِ الصُّفَّرَيْنِ فجاسِمٍ ... فديارِ سلمى دُرَّسًا ، لَمْ تُحْلَلِ (٢)

دِمَنٌ تعاقَبُها الرِّيَاحُ دوارِسٌ ... والمُدْجِنَاتُ من السِّماكِ الأَعْزَلِ (٣)

دارٌ لقومٍ قد أراهم مَرَّةً ... فوقَ الأعزةِ عِزُّهم لم يُنْقَلِ

لله دَرُّ عصابةٍ نادمتُهم ... يوما بجِلَّقَ فى الزمانِ الأولِ (٤)

يَمْشُون فى الحُلَلِ المضاعِفِ نسجُها ... مَشْىَ الجِمالِ إلى الجِمالِ البُزَّلِ (٥)

الضاربون الكبشَ يَبرُق بَيْضُهُ ... ضَرْبا يَطيحُ له بَنَانُ المَفْصِلِ (٦)

والخالطون فقيرَهُمْ بغنيِّهِمْ ... والمنعِمون على الضعيفِ المُرْمِلِ (٧)

أولادُ جَفْنَةَ حولَ قبرِ أبيهِم ... قبرِ ابن ماريةَ الكريمِ المُفْضِلِ

---

(١) رسم الدار : بقية آثارها . والجوابى والبضيع وحومل : مواضع .

(٢) مرج صفر وجاسم : موضعان بالشام . ودرسا : جمع دارسة ، وهى البالية . لم تحلل أى لم ينزل أحد بها .

(٣) الدمن : جمع دمنة ، وهى آثار الدار . وتعاقبها الرياح أى تهب عليها آنا فآنا . ودوارس : جمع دارسة . والمدجنات : السحب الكثيرة الأمطار .

(٤) جلق : دمشق .

(٥) الحلل : الدروع ، والمضاعف نسجها : التى نسجت حلقتين حلقتين . والبزل : جمع بازل ، وهو ما برزت نابه من الإبل ، وذلك عند ما يبلغ التاسعة .

(٦) الكبش : سيد القوم وقائدهم . والبيض : جمع بيضة ، وهى الخوذة تلبس على الرأس . وقصد بقوله (ضربا يطيح له بنان المفصل) أن الضرب سريع والسيف حاد حتى أنه يقطع أجزاء الجسم الصغيرة فى سرعة .

(٧) المرمل : الذى فنى زاده والتصق بالرمل . يصفهم بالجود والرفق والتواضع .

يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ البَرِيصَ عليهمُ ... بَرَدَى يُصَفَّقُ بالرحيقِ السَّلْسَلِ (١)
يَسْقُونَ دِرْياقَ الرحيقِ ، ولم تكن ... تُدْعَى ولائدهم لنَقْفِ الحَنْظَلِ (٢)
بيضُ الوجوهِ كريمةٌ أحسابُهم ... شُمُّ الأُنوفِ من الطِّرازِ الأوَّلِ
فَلَبِثْتُ أزْمَانًا طويلًا فيهمُ ... ثم ادَّرَكْتُ كأنني لم أفعلِ (٣)
إِمّا تَرَىْ رَأْسِي تَغَيَّرَ لونُهُ ... شَمَطًا ، فأصبحَ كالثَّغامِ المُحْوِلِ (٤)
ولقد يراني مُوعِدِيَّ كأنني ... في قصرِ دُومَةَ أو سَواءِ الهَيْكَلِ (٥)
ولقد شَرِبْتُ الخمرَ في حانوتِها ... صَهْبَاءَ صافيةً كطعمِ الفُلْفُلِ (٦)
يسعى عليَّ بكأسِها مُتَنَطِّفٌ ... فيُعِلُّنِي منها ، ولو لم أُنْهَلِ (٧)

---

(١) البريص : موضع بدمشق . وبردى : نهر دمشق الأعظم . وصفق الرجل الشراب : حوله ممزوجا من إناء الى إناء ليصفو . والرحيق : الخمر أو أطيبها . والسلسل : العذب البارد ، أى أنهم يسقون من وفد عليهم ماء من النهر ممزوجا بالخمر العذب البارد المصفى .

(٢) الدرياق : لغة فى الترياق وهو الخمر . والولائد : جمع وليدة ، وهى الصبية أو الأمة . ونقف الحنظل : شقه . ويكنى بأن إماءهم لا تشق الحنظل ليسارهم ولأنهم فى خصب .

(٣) طويلا . صفة لمفعول مطلق أى لبثا طويلا . وادركت : أى امتنعت عن اللهو بتاتا .

(٤) إما : إن الشرطية المدغمة فى ما . والشمط : بياض الشعر يخالط سواده . والثغام : نبت يبيض ورقه إذا يبس وجواب الشرط محذوف أى فلا تجزعى .

(٥) أوعده : أنذره بالشر . وأصل موعدى موعدوى ، فقلبت الواو ياء وأدغمت الياء فى الياء . وقصر دومة : حصن . والهيكل : بيت لعبادة النصارى . يقصد أن أعداءه يرونه بعيدا عن أن ينالوه حتى كأنه فى الحصن .

(٦) الحانوت : الحانة .

(٧) المتنطف : لابس القرط . وأعله : سقاه ثانية . والنهل : من الأضداد يقع على الرى والعطش ، أى يسقينى ثانية ، ولو لم أظمأ .

إنّ التى ناولْتِنِى فَـرَدَدْتُهـا قُتِلَتْ ـ قُتِلْتَ ـ فَهَاتِهَا لم تُقْتَلِ (١)
كلتاهمـا حَلَبُ العصيرِ فعاطِنى بزجاجةٍ أرخاهمـا للمَفْصِـلِ (٢)
بزجاجةٍ رقَصت بمـا فى قعـرِهَا رقْصَ القَلوصِ براكبٍ مستعجلِ (٣)
نَسَبِي أصيلٌ فى الكرام ومِذْوَدِى تَكْوِى مواسِمُه جُنُوبَ المُصطَلِى (٤)
ولقـد تُقَلِّدُنَا العشـيرةُ أمرَها ونسـودُ يومَ النائباتِ ونَعْتَـلِى
ويسـودُ سـيِّدُنا جَحاجِحَ سادةً ويُصيب قائلُنا سواءَ المَفْصِـلِ (٥)
ونُحـاوِلُ الأمرَ المهـمَّ خَطابةً فيهم، ونفصِل كلَّ أمرٍ مُعْضِلِ (٦)
وتزورُ أبوابَ الملوكِ ركائبُنـا ومتى نُحَكَّمْ فى البريَّةِ نعـدلِ

وقال يوم فتح مـكة :

عَفَتْ ذاتُ الأصابِعِ فالجِواءُ إلى عَـذْراءَ منزِلُهـا خَلاءُ (٧)
دِيارٌ مِنْ بَنِى الحَسْحاسِ قَفْـرٌ تُعَفِّيهـا الروامِسُ والسـماءُ (٨)
وكانتْ لا يزالُ بهـا أنيسٌ خِلالَ مُرُوجِهـا نَعَمٌ وشاءُ (٩)

---

(١) قتل الشراب : مزجه بالماء ، وقتلت دعاء على الساقى ولم يقصد به الشر هنا .

(٢) كلتاهما : أى الخمر الصرف والمزوجة . فاسقنى أشدهما إرخاء للفاصل ، وهى الخمر الصرف .

(٣) معنى رقص الكأس بما فى قعرها : صعود الفقاقيع من أسفل الى أعلى لشدة ثوران الخمر فيها . والقلوص : الناقة .

(٤) المذود : اللسان . والمواسم : جمع ميسم ، وهو آلة يكوى بها . والمصطلى : المستدفئ . والكلام على التشبيه أى أن لسانه يشبه المكواة التى تكوى من تصيبه .

(٥) سيد جحجاح : مسارع فى المكارم . سواء : وسط . المفصل كمسجد : كل ملتق عظمين فى الجسد . يريد أنه يصيب شاكلة الصواب .

(٦) المهم : المشكل .

(٧) ذات الأصابع والجواء وعذراء مواضع بالشام .

(٨) الروامس : الرياح التى تدفن الآثار ، والمراد بالسماء الأمطار .

(٩) النعم : الإبل والشاء ، أو خاص بالإبل .

فدع هذا ، ولكن من لطيف يؤرّقنى إذا ذهب العشاء ؟(١)

*
* *

عدمنا خيلنا إن لم تروها تثير النقع موعدها كداء (٢)

يبارين الأسنة مصغيات على أكتافها الأسل الظماء (٣)

تظل جيادنا متمطرات تلطمهن بالخمر النساء (٤)

فإمّا تعرضوا عنا اعتمرنا وكان الفتح وانكشف الغطاء (٥)

وإلّا فاصبروا لجلاد يوم يعين الله فيه من يشاء

وقال الله : قد يسرت جندا هم الأنصار عرضتها اللقاء (٦)

لنا فى كل يوم من معدّ قتال أو سباب أو هجاء

فنحكم بالقوافى من هجانا ونضرب حين تختلط الدماء (٧)

---

(١) العشاء من المغرب الى العتمة ، والمعنى دع الحديث فى الأطلال ، وأرشدنى الى من يدفع عنى طيف الخيال الذى يؤرقنى إذا اشتد ظلام الليل .

(٢) كداء : ثنية بالقرب من مكة ، وجملة عدمنا : دعائية .

(٣) المباراة : المسابقة . والأسنة : جمع سنان ، وهو حديد الرمح ، والأسل : الرماح ، أى أن الخيل تسابق الأسنة التى يضمها الفرسان حذاء عنقها ظنا منها أن الأسنة تجرى معها شوطا ، ومصغيات : حال من الأسنة أى مائلات للطعن ، وظمأ الرماح : شدة شغفها بالدم والقتال .

(٤) تمطرت الخيل : جاءت يسبق بعضها بعضا ، ولطمه : ضربه ، والخمر : جمع خمار ، وهو الثوب تغطى به المرأة رأسها . أى أن النساء يمسحن بخمرهن على الخيل لما أصابها من الجهد . ولما غشيها من عرق وغبار .

(٥) فإما : أصلها إن ما ، وهى إن الشرطية المدغمة فى ما الزائدة ، واعتمرنا : أدينا العمرة وهى زيارة البيت الحرام ، أى إن أعرضتم عنا تركنا الحرب وزرنا البيت وتم فتح مكة بلا قتال .

(٦) عرضتها : أى همتها وقوتها ، أى أن الأنصار قوتها فى اللقاء والقتال

(٧) حكم الفرس : جعل للجامه حكمة ، فأخضعه ، أى نخضع بشعرنا من هجانا ، ونقاتل بشجاعة حينا تختلط دماؤنا بدماء أعدائنا ، فنحن أقوياء اللسان والقلب .

وقال اللهُ : قد أرسلتُ عبدًا لحقَّ القَول إن نفع البَلاء (١)

شهِدتُ به ، وقومى صدَّقوه ، فقُلتم : ما نُجيب ، وما نشاء

وجِبريلٌ أمينُ اللهِ فينا ، وروحُ القُدْسِ ليس له كِفاء (٢)

أَلَا أبلغ أبا سُفيانَ عَنِّى فأنت مُجَوَّفٌ نَخِبٌ هَواء (٣)

بأن سيوفَنا تركتك عبدًا وعبدُ الدارِ سادتُها الإِماء

هجوتَ محمدا ، فأجبتُ عنه وعند اللهِ فى ذاك الجزاء

أتهجوهُ ، ولستَ له بكفء ، فشرُّكما لخيركما الفِداء

فمن يهجو رسولَ اللهِ منكم ويمدَحُه وينصُره سَواء

فإنَّ أبى ووالدَه وعِرْضى لِعِرْضِ محمدٍ منكم وِقاء

(٩) قال الحُطَيئة : (٤)

وَطَاوِى ثَلاثٍ عَاصِبِ البَطنِ مُرْمِلٍ بِبَيْداءَ لم يَعرِفْ بهَا سَاكِنٌ رَسْمَا (٥)

أَخى جَفْوةٍ فيهِ مِنَ الإنس وَحشةٌ يرَى البؤْسَ فيها من شَراسَتِه نُعْمَى (٦)

---

(١) البلاء : الاختبار مصدر بلاه يبلوه .

(٢) الكفاء : أى المكافئ أى المساوى .

(٣) المجوّف : من لا قلب له ، والنخب : الجبان ، والهواء : الفارغ .

(٤) أبو مليكة جرول الحطيئة العبسى ، نشأ معلول النسب قبيح الصورة ناقما على الناس هجاء ، وهو جيد الشعر مستوى الأسلوب يعدّ سيد المخضرمين فى الناحية الفنية وغلب عليه المدح والهجاء حتى مات سنة ٥٩ هـ .

(٥) الطاوى : الجائع . ثلاث أى ليال ثلاث . عاصب البطن : معصوب به من شدة الجوع . مرمل : فاقد الزاد فقير . بيداء : فلاة . الرسم : العلامة وما كان لاحقا بالأرض من آثار الديار — يذكر رجلا بائسا فى مفازة مقفرة .

(٦) الشراسة : سوء الخلق والحال — يقول : إن سوء الحال بلغ به أن يعدّ البؤس نعمة .

وأفــردَ فى شِعْب عجــوزًا إزاءَهَا ثلاثةُ أشــباحٍ تخالُهُمُ بَهْمـا(١)
حُفاةً عراةً ما اغتــذَوْا خُبزَ مَــلّةٍ ولا عَرَفُوا للبُرِّ مُــذ خُلِقُوا طَعْما(٢)
رأى شَبَحًا وَسْـطَ الظَّلامِ فراعَه فلمّـا رأى ضَـيفًا تَشَـمّرَ واهْتَمّا(٣)
فقال: هيا ربّاه! ضيفٌ ولا قِرَى! بحقِّكَ، لا تحـرِمْه تا الليــلةَ اللحما(٤)
فقال ابنُــه لمّـا رآه بحَــيْرةٍ أيا أبتِ اذْبَحْـنِي! ويَسِّرْ لهم طُعْما
ولا تَعْتذر بالعُــدمِ علّ الذى طــرا يَظُــنُّ لنـا مالًا فيُوسِــعَنا ذَمّا
فروّى قليــلًا، ثم أحجمَ برهَـــةً، وإن هُوَ لم يَذْبَحْ فتاهُ فقد هَمّا
فبينا هُمـا عَنّتْ على البُعــدِ عانةٌ قد انتظمت من خَلف مِسْحَلِها نَظْما(٥)
عِطاشًا تُرِيدُ الماءَ فانسابَ نحـوَها على أنّهُ منهـا إلى دَمِهـا أظْما
فأمهلَهـا حتى تروّتْ عِطاشُهـا فأرســلَ فيها من كِنانَتِــه سَهْمًا(٦)
فخرّتْ نَحوصٌ ذاتُ جَحْشٍ سَمِينةٌ قد اكتنزتْ لحمًـا وقد طُبِّقَتْ شَحْما(٧)
فيا بِشْرَهُ إذ جَرَّها نحـوَ قومـه ويا بِشْرَهُم لمـا رأوا كَلْمَهـا يَدْمَى(٨)

---

(١) الأشباح: جمع شبح وهو الشخص. البهم: جمع بهمة أولاد البقر والمعز والضأن.

(٢) الملة: رماد التنور الحار وخبزها ما يخبز فيها، يصف بؤس أهل هذا البيت.

(٣) راعه: أفزعه.

(٤) هيا حرف نداء. القرى: ما يقدم للضيف من طعام ونحوه. تا الليلة: أى هذه الليلة.

(٥) عنت: ظهرت واعترضت. والعانة: القطيع من حمر الوحش. المسحل: حمار الوحش يقود القطيع أثناء السير الى الماء أو غيره.

(٦) تروت: رويت بمعنى شربت.

(٧) خرت: سقطت صريعة. نحوص: سمينة. اكتنزت: امتلأت. طبقت: تفشت وعمها الشحم.

(٨) الكلم: الجرح.

وباتُوا كِراما قد قَضَوا حق ضيفِهِم ... وما غَرِمُوا غُرما ، وقد غَنِموا غُنْما
وبات أبُوهُم من بشاشَته أباً ... لضيفهُم والأمُّ من بشْرِها أمّا

وقال يمدح بغيض بن عامر :

ألا طَرقَتْنا بعد ما هجَعُوا هِنْدُ ... وقد سِرْنَ خَمْسًا واتْلأَبَّ بنا نَجْدُ (١)
ألا حبّذا هندٌ وأرْضٌ بها هِنْدٌ ... وهندٌ أتى من دونها النّأْىُ والبُعْدُ
وهندٌ أتى من دونها ذو غَوارِبٍ ... يُقَمِّصُ بالبُوصِىِّ مُعرَوْرِفٌ وَرد (٢)
وإنَّ التى نَكَّبتُها عن مَعاشِرٍ ... غِضابٍ علىَّ أن صددتُ كما صدُّوا (٣)
أتت آلَ شمَّاسِ بن لأْيٍ وإنما ... أتاهم بها الأحلامُ والحَسَبُ العِدُّ (٤)
فإنّ الشَّقِىَّ من تُعادِى صدورُهم ... وذو الجَدِّ من لانُوا إليه ومن وَدُّوا (٥)
يسوسون أحلامًا بعيدًا أناتُها ... وإن غضبوا جاء الحفيظةُ والجِدُّ (٦)

---

(١) يقول : ألا زارنا طيف خيال هند بعد أن هجعت الأعين ، وبعد أن سارت الإبل خمس ليال وظهر لنا نجد .

(٢) من معانى الغارب أنه أعلى كل شىء ، وذو الغوارب : البحر ، لأن أمواجه عالية ، وقمص البحر بالسفينة : حركها بموجه والبوصى : ضرب من السفن . والمعرورف : المتراكم الأمواج . والورد : الجرىء أو الأحمر الضارب الى الصفرة . يقول : إن بينى وبين هند بحرا يقذف بالسفن ، متراكم الأمواج .

(٣) نكبتها أى نحيتها وأبعدتها . والضمير للمدحة والمعاشر آل الزبرقان بن بدر أى أن المدحة التى عدلت بها عن قوم غضبوا على لأنى صددت عنهم كما صدّوا عنى .

(٤) جملة أتت خبر إن فى البيت قبله . والأحلام : العقول . والحسب : الشرف . والعدّ : القديم أو الكثير . أى جاء فى هذه المدحة الإشادة بأحلامهم وحسبهم

(٥) نسب العداوة الى الصدور لأنها مكان الغيظ والعداوة والجد : الحظ .

(٦) أى يحكمون الناس إذا رضوا بأحلام بعيدة النظر طويلة التأنى . إذا غضبوا كانوا أهل حفيظة أى غيظ . وجد أى اجتهاد وعجلة .

أقِـلُّوا عليهم ـ لا أبا لأبيكمُ ـ من اللومِ أو سُدُّوا المكانَ الذى سدّوا (١)

أولئك قومٌ إن بَنَوا أحسنُوا البُنَى وإن عاهدوا أوفَوْا وإن عقَدوا اشدّوا (٢)

وإن كانت النُّعْمَى عليهم جَزَوْا بها وإن أَنعَمُوا لا كَدَّروها ولا كَدُّوا (٣)

وإن قال مولاهم على جُلِّ حادثٍ من الدهر رُدُّوا بعضَ أحلامِكم رَدُّوا (٤)

وإن غاب عن لأيٍ بَغيضٌ كفتْهُمُ نواشئُ لم تَطْـرُرْ شوارِ بهـم مُرْدُ (٥)

وكيف ولم أَعْلَمْهُـمُ خذلوكمُ على مُفْظِعٍ، ولا أديمَكم قَـدُّوا (٦)

مطاعينُ فى الهيجا مكاشيفُ للدجَى بنى لهـمُ آباؤُهم، وبنَى الجَـدُّ (٧)

فمن مبلغٌ لأْيًا بأن قد سـعَى لكم إلى السُّـورةِ العُليا أخٌ لكمُ جَلْد (٨)

---

(١) لا أبا لأبيكم : شتم . والأصل أنهم لا يعرفون لهم آباء ينتسبون اليها عند المفاخرة .

(٢) البنى أو البُنى بكسر الباء وضمها والأول جمع بنية بكسر الباء . والثانى جمع بنية بضمها ، والمراد أنهم يحسنون عمل المكارم . وإن عقدوا شدّوا أى وإن عقدوا العزيمة أوثقوها أو إن عقدوا على الحرب جدوا .

(٣) أى كدوا من أعطوه بطلب الجزاء على النعمة .

(٤) المولى : ابن العم أو الجار أو الحليف . على جل حادث أى عند الخطب العظيم أى إن استغاث بهم المولى فى شأن أضربه واستشارهم أمدوه بالرأى السديد .

(٥) لأى : عشـيرة بغيض بن عامر . ونواشئ : جمع ناشئة يريد بهـم فتيان القبيـلة . ولم تطرر شوار بهم : لم تظهر .

(٦) المفظع : الأمر تجاوز الحد فى الشـناعة . والأديم هنا : العـرض . أى وكيف تعادونهم ولم يخذلوكم فى خطب ملم ، ولم ينالوا من عرضكم .

(٧) مطاعين ومكاشيف : جمع مطعان ومكشاف . والدجى : الليـل يريد به ظلمة الخطوب . أى أنهم يكشفون ظلمة الليل بنار قراهم أو يبددون ظلمة الخطوب بشجاعتهم وحسن رأيهم .

(٨) سورة المجد : أثره وعلامته وارتفاعه . والجلد : القوى ، يتمنى أن يبلغ إنسان لأيا بأن أخاهم سعى للمجد حتى وصل الى قمته العليا .

جَرَى حينَ جارَى لا يُسارِي عِنانَه عِنانٌ ولا يَثْنِي أجارِيَّهُ الجَهْد (١)

رأى مجدَ أقوامٍ أُضِيعَ فَحَثَّهُمْ على مجدهم لما رأى أنه الجِد (٢)

وقد لامني أفْنَاءُ سعد عليهمُ وما قلتُ إلّا بالذى علِمتْ سعد (٣)

وقال يهجو الزِّبْرِقانَ بن بدر :

والله ما معشرٌ لاموا امرءًا جُنُبًا فى آلِ لَأْيِ بن شَمَّاسٍ بأكياس (٤)

لقد مَرَيْتُكُمُ لو أنّ دِرَّتَكُمْ يومًا يَجيءُ بها مَسْحِى وإبساسى (٥)

وقد مدحتكم عمدًا لأُرشِدَكُمْ كيما يكونُ لكم مَتْحِى وإمْراسى (٦)

وقد نظرتكمُ إيناءَ صادرةٍ للخِمس طال بها حَوْذِى وتَنْساسى (٧)

---

(١) لا يسارى عنانه عنان : أى لا يجاريه . والأجارى : جمع إجرية ، وهى : الجرى والجهد والطبيعة ، والكلام على التمثيل أى أنه إذا سابق أحدا فى طريق المجد لم يسبقه أحد ، ولم يقعد به تعب أو لا يترك طبعه مهما يجده .

(٢) أى لما رأى أن المجد انما هو فى الجد والاجتهاد فى الأمور .

(٣) الأفناء جمع فنء : الجماعة .

(٤) الجنب هنا : القريب . فى آل لأى أى فى مديح آل لأى . وأكياس : جمع كيس ، وهو اللبيب الفطن والمراد بالمعشر الزبرقان ورهطه .

(٥) أصل المرى : المسح على ضرع الناقة لتدرّ . والإبساس : أن تدعو الناقة باسمها أو تلاطفها لتدرّ . يريد أنه حاول تملقهم كثيرا فلم ينل منهم شيئا .

(٦) المتح : أن يقف الرجل فوق البئر ليجذب الدلو ، والإمراس : وضع حبل البئر فى البكرة بعد أن انزلق منها . يريد أنه تعمد أن يقصر عليهم جهوده ، ويختصهم بمدحه ليرشدهم إلى ما غاب عنهم من أسباب المجد .

(٧) الإيناء : مصدر أونى بمعنى أتعب ، والصادرة : الآتية من الماء . والخمس من أظماء الإبل وهو أن ترعى ثلاثة أيام وترد الماء فى اليوم الرابع ، والحوذ مصدر حاذ الدابة ساقها سريعا . والتنساس : مصدر نس الناقة من باب نصر وضرب : ساقها وزجرها . يقول انتظرت عطاءكم مجهدا إجهاد ناقة أعياها التعب فهى تساق وتزجر .

لمـا بدا لىَ منــكم عيبُ أنفسِكمْ ... ولم يكن لجراحى منكُمْ آسى (١)

أجمعتُ يأسًا مبينًا من نوالِكُمُ ... ولا تَرى طاردًا للحـرِّ كاليـاس

ما كان ذنبُ بغيضٍ أن رأى رجلًا ... ذا فاقة حل فى مستوعِرٍ شاسى (٢)

جارًا لِقوم أطالوا هُونَ منزله ... وغادروه مقيمًا بين أرماس (٣)

ملُّوا قِــراه ، وهَرَّتْهُ كِلابُهُــمُ ... وجرَّحُــوه بأنيابٍ وأضراس (٤)

لا ذنبَ لى اليوم إن كانت نفوسُكُمُ ... كفاركٍ كرِهتْ ثوبى وإلباسى (٥)

من يفعلِ الخيرَ لا يعدَمْ جوازِيَهُ ... لا يذهبُ العُرْفُ بين الله والناس

دع المكارمَ لا ترْحَــلْ لبُغْيَتِها ... واقعُدْ فإنك أنت الطاعمُ الكاسى (٦)

وابعثْ يســارًا إلى وَفْرٍ مُذَمَّمَــةٍ ... واحدِجْ إليها بذى عَرْكين أنكاس (٧)

ما كان ذنبىَ أنْ فَلَّتْ معاوِلَكُم ... من آل لأى صفاةٌ أصلُها راسى

---

(١) الآسى : الطبيب . وفى رواية غيب أنفسكم أى ما كان مستورا من بخلكم .

(٢) المستوعر : المكان الوعر . والشاسىْ بالهمز وبهل المكان الغليظ المرتفع . أى لم يكن ذنب بغيض عند الزبرقان إلا أنه رأى رجلا فى مكان وعر قاحل فأعانه .

(٣) الهون : المذلة . والأرماس : القبور أى وتركوه كالميت بين أموات القبور .

(٤) هرته الكلاب : نبحته . وهذا كناية عن أنه كان غريبا مضطهدا بينهم . وقوله (جرحوه) يريد أن آل الزبرقان سبوه ونهشوا عرضه .

(٥) الفارك : المرأة تبغض زوجها . أى ليس الذنب ذنبى إذا كنتم تبغضون شعرى أو مقامى فيكم بخلا كما تبغض المرأة زوجها ، وتكره أن ترى ثوبه وأن تلبسه إياه .

(٦) الطاعم : المطعوم . والكاسى : المكسوّ ، وهذا من أقذع الهجاء لأنه قام بحاجته فأصبح كالمرأة

(٧) يسار : اسم عبد للزبرقان . والوفر : السقاء الكامل لم ينقص من أديمه شىء . والمذممة : يريد بها هنا المملوءة يقال : بئر ذمة أى قليلة الماء أو غزيرته : ضد . وحدج البعير يحدجه : شد عليه الرحل والعرك : انفتاق فى إبط البعير ، والمراد أن هذا هو عملكم دون المكارم .

(١٠) قال الأخطل(١) يمدح عبد الملك بن مروان ويهجو قيسًا وبنى كُليب من قصيدة أولها :

خَفَّ القَطِينُ فرَاحُوا مِنكَ أو بكَرُوا ... وأزعَجَتْهـم نَوًى فى صَرفِها غِـيَرُ(٢)

* * *

فِى نَبْعَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ يَعْصِبُونَ بِهَا ... مَا إنْ يُوَازَى بِأَعْلَى نَبْتِها الشَّجَرُ(٣)

حُشْدٌ عَلَى الحَقِّ، عَنْ قَوْلِ الخَنَا خُرُسٌ ... وَإنْ أَلَمَّتْ بِهِمْ مَكْرُوهَةٌ صَبَرُوا(٤)

فَإنْ تَدَجَّتْ عَلَى الآفَاقِ مُظْلِمَةٌ ... كَانَ لَهُمْ مَخْرَجٌ مِنْهَا ومُعْتَصَرُ(٥)

أَعْطَاهُمُ اللهُ جَدًّا يُنْصَرُونَ بِهِ ... لَا جَدَّ إلا صَغِيرٌ بَعْدُ مُحْتَقَرُ(٦)

لَمْ يَأْشَرُوا فِيهِ، إذْ كَانُوا مَوَالِيَهُ ... وَلَوْ يَكُونُ لِقَوْمٍ غَيْرِهِمْ أَشِرُوا(٧)

شُمْسُ العَدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ، ... وَأَعْظَمُ النَّاسِ أحْلَامًا إذا قَدَرُوا(٨)

---

(١) هو أبو مالك غياث الأخطل التغلبي . نشأ فى قومه تغلب بأرض الجزيرة ينتصر لهم على مضر عامة وقيس خاصة . ولما كان متصلا بالخلفاء وبحروب قومه مع قيس صار يجيد مدح الملوك ووصف المعارك، وكذا الخمر لمعاقرته إياها فى وقت أحجم المسلمون فيه عن شربها ، وكانت وفاته أوّل خلافة الوليد .

(٢) خف : أسرع . القطين : القطان ، أى السكان والمعاشرون . راح : ذهب فى الرواح أى العشى ضد بكر . أزعجتهم : أقلقتهم — نوى فى صرفها ونوائبها غير وأحداث .

(٣) النبعة هنا : الأصل يعصبون بها : يلزمونها . والحديث عن عبد الملك وقومه .

(٤) حشد : مجتمعون . الخنا : الفحش . ألمت : نزلت . مكروهة : نازلة .

(٥) تدجت : أظلمت . معتصر : ملجأ ، أى يستطيعون الخلاص من الأزمات .

(٦) الجد : البخت والإقبال .

(٧) يأشروا : يبطروا ويطغوا . مواليه : أولياء .

(٨) شمس : جمع شموس أى عسر شديد على عدوّه — يستقاد لهم أى يذل ويخضع لهم العدو . أحلام : جمع حلم وهو الصبر والأناة . قدروا تمكنوا من العدوّ . والمعنى : أنهم يعفون اذا انتصروا .

لَا يَسْتَقِلُّ ذَوُو الأَضْغَانِ حَرْبَهُمُ ... وَلَا يَبِينُ فِي عِيدَانِهِمْ خَوَرُ(١)

هُمُ الَّذِينَ يُبَارُونَ الرِّيَاحَ إِذَا ... قَلَّ الطَّعَامُ عَلَى العَافِينَ أَوْ قَتَرُوا(٢)

بَنِي أُمَيَّةَ نُعْمَاكُمْ مُجَلِّلَةٌ ... تَمَّتْ، فَلَا مِنَّةٌ فِيهَا وَلَا كَدَرُ(٣)

بَنِي أُمَيَّةَ إِنِّي نَاصِحٌ لَكُمُ ... فَلَا يَبِيتَنَّ فِيكُمْ آمِنًا زُفَرُ(٤)

وَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا، إِنَّ شَاهِدَهُ ... وَمَا تَغَيَّبَ مِنْ أَخْلَاقِهِ دَعَرُ(٥)

إِنَّ الضَّغِينَةَ تَلْقَاهَا، وَإِنْ قَدُمَتْ ... كَالعُرِّ يَكْمُنُ حِينًا ثُمَّ يَنْتَشِرُ(٦)

بَنِي أُمَيَّةَ قَدْ نَاضَلْتُ دُونَكُمُ ... أَبْنَاءَ قَوْمٍ هُمُ آوَوْا، وَهُمْ نَصَرُوا(٧)

حَتَّى أَقَرُّوا، وَهُمْ مِنِّي عَلَى مَضَضٍ، ... وَالقَوْلُ يَنْفُذُ مَا لَا تَنْفُذُ الإِبَرُ(٨)

---

(١) يستقل : يحتمل . الأضغان : جمع ضغن ، أى حقد — فى عيدانهم أى فى أنفسهم — خور ضعف .

(٢) يبارون الرياح : يسابقونها فى الإسراع الى الكرم . العافون : الذين يطلبون القوت . قتروا : افتقروا ، وقل ما عندهم . يقول : إنهم يسرعون إلى الكرم وقت الإمحال .

(٣) نعماكم : عطاياكم للناس . مجللة : عامة . المنة على الناس : ذكر المعروف الذى أسدى اليهم .

(٤) زفر بن الحارث بن كلاب الكلابى ، وكان زعيم قيس على تغلب وعلى أمية .

(٥) شاهده : ظاهره . دعر : فساد ، أى لا تغتروا بصلحه .

(٦) العر : الجرب . يقول : إن الجرب وإن كمن فى الجسم لا بد أن يظهر ، فكذلك العداوة ، وإن بعد عهدها .

(٧) ناضلت دونكم : دافعت عنكم الأنصار الذين آووا الرسول بعد الهجرة ونصروه . والأخطل هو الذى هجا الأنصار لما دعاه الى ذلك يزيد بن معاوية . واليه ينسب البيت المشهور :

ذهبت قريش بالمكارم والعلا ... واللؤم تحت عمائم الأنصار

(٨) أقروا : سكنوا . مضض : وجع . نفذ القول : مضى وجرى ؛ يشبه الكلام بالإبر فى النفاذ والأثر .

أَفْحَمْتُ عنكمْ بَنِي النَّجارِ قَـدْ عَلِمَتْ — عُلْيَا مَعَـدٍّ، وَكانُوا طَالَمَا هَدَرُوا(١)
وَقَيْسَ عَيْلانَ حَتَّى أقبلُوا رَقَصًا — فَبَايَعُوكَ جِهَارًا بَعْـدَ مَا كَفَرُوا(٢)
ضَجُّوا مِنَ الحَرْبِ إِذْ عَضَّتْ غَوَارِبَهُمْ — وَقَيْسُ عَيْـلانَ مِن أخْلاقِهَا الضَّجَرُ(٣)
فَلا هَـدَى اللهُ قَيْسًا مِن ضَلالَتِهَا — وَلا لَعًا لِبَنِي ذَكْوانَ إذْ عَـثَرُوا(٤)
مَا إِنْ سَعَى مِنْهُمُ سَاعٍ لِيُدْرِكَنَا — إِلَّا تَقَـاصَرَ عَنَّـا وهُـوَ مُنْبَهِـرُ(٥)
وَلَم يَزَلْ بِسُـلَيْمٍ أمْرُ جَاهِلِـها — حَتَّى تَعَايَا بِهَـا الإِيرادُ والصَّـدَرُ(٦)
حَتَّى أَصَابَ سُـلَيْمًا مِن عَدَاوَتِنَا — إِحْدَى الدَّوَاهِي التي تُخْشَى وتُنْتَظَـرُ
كَانُوا ذَوِي إِمَّـةٍ حَتَّى إذا عَلِقَتْ — بِهِـمْ حَبَائِلُ لِلشَّيطَانِ وابْتَهَروا(٧)
صُـكُّوا على شَارِفٍ صَعْبٍ مَرَاكِبُهَا — حَصَّـاءَ لَيسَ لَهَـا هُلْبٌ وَلَا وَبَرُ(٨)

(١) أفحمت : أسكت . بنو النجار : أخوال الرسول من الأنصار، منهم أم عبد المطلب . معد : جد النزارية . هدروا : افتخروا عليكم وهجوكم، يقال هدر البعير إذا ردد صوته فى حنجرته .

(٢) قيس عيلان كانت مع ابن الزبير لما خرج على الأمويين بعد معاوية وقتل فى عهد عبد الملك . رقصا مسرعين . كفروا خرجوا عليك .

(٣) غوارب : جمع غارب وهو للبعير ما بين السنام والعنق (المعنى) أن الحرب آلمتهم .

(٤) لا لعا لهم : لا أقالهم الله . يقال للعاثر دعاء عليه . و يقال لعا له أى أقال الله عثرته دعاء له . بنو ذكوان : قبيلة من سليم رهط عمير بن الحباب والجحاف السلميين ، وكانا قد خرجا على بنى أميـة، وحاربا تغلب قبيلة الأخطل .

(٥) تقاصر : قصر وتأخر . انبهر الرجل : انقطع نفسه من الإعياء .

(٦) سليم قبيلة عمير بن الحباب وهو المقصود هنا بقوله « جاهلها » . تعايا بها : أعجزها . الإيراد : من ورود الماء والصدر عن الماء — يعنى أعجزها تدبير الأمور .

(٧) الإمة : النعمة — علقت بهم الخ : ضلوا . ابتهروا : افتخروا بما ليس فيهم .

(٨) صكوا على شارف ، أى حملوا على خطة . الناقة الشارف : الكبيرة المسنة . حصاء : لا وبر لها . الهلب : شعر الذنب .

فأَصبحتْ مِنهمُ سِنجارُ خاليةً والمَحلبيَّاتُ فالخابورُ فالسِّرَرُ(١)
كَرُّوا إلى حَرَّتَيْهِمْ يَعمُرونَهما كما تَكُرُّ إلى أوطانِها البَقَرُ(٢)
إذْ يَنظُرونَ وَهُمْ يَجنُونَ حَنظَلَهُمْ إلى الفُراتِ . فقُلْنا : بُعْدَ ما نَظَروا(٣)
وَلا يُلاقُونَ فَرّاصًا إلى نَسَبٍ حَتّى يُلاقِيَ جَدْيَ الفَرْقَدِ القَمَرُ(٤)
ولا الضِّبابَ إذا اخضَرَّتْ عُيونُهمُ وَلا عُصَيَّةَ إلّا أنَّهُمْ بَشَرُ(٥)
أمّا كُلَيبُ بنُ يَربوعٍ فَلَيسَ لَهُمْ عِندَ التَفارُطِ إيرادٌ ولا صَدَرُ(٦)
وقد نُصِرتَ أميرَ المؤمنينَ بِنا لما أتاكَ بِبَطْنِ الغُوطَةِ الخَبَرُ(٧)
يُعرِّفونَكَ رأسَ ابنِ الحُبابِ، وقدْ أضحَى وللسيفِ في خَيْشُومِهِ أثَرُ(٨)

---

(١) سنجار : قصبة كورة الفرج من تل أعفر . المحلبيات : بلدة صغيرة بين الموصل وسنجار . الخابور : اسم نهروواد . السرر : أرض بالجزيرة كسائر المواضع المذكورة .

(٢) الحرة : موضع فيه حجارة سود نخرة كأنما أحرقتها النار وحرتهم بعالية نجد . كروا : رجعوا .

(٣) الحنظل : نبت مر . يقول : طمعوا فينا ، و يابعد ما نظروا . وكانت تغلب قبيلة الأخطل تقيم بالجزيرة فى حوض الفرات .

(٤) فراص بن معن بن سعد بن قيس من باهلة و بنو فراص ينتسبون الى تغلب — جدى الفرقد نجم الى جنب القطب يدورمع بنات نعش تعرف به القبلة ، ولا يلتق مع القمر . يقول إنهم قصروا عن نسب هؤلاء ، ولا يشبهونهم إلا فى أنهم بشر .

(٥) الضباب من قيس عيلان ، عصية بطن من سليم ، اخضرت : اسودت .

(٦) كليب بن يربوع : رهط جرير . التفارط : التقدم فى طلب الماء . (المعنى) ليس لهم نصيب فى السبق الى المحامد .

(٧) الغوطة : الكورة التى منها دمشق وهى احدى منازه الدنيا الأربع : الصغد والأبلة وشعب بوان والغوطة . وكانت دمشق عاصمة بنى أمية — وكان رهط الأخطل مع الخليفة فى الحروب الداخلية .

(٨) ابن الحباب هو عمير بن الحباب السلمى ، وقد قتل وحمل رأسه إلى قبائل غسان ، وكان يزدريهم . الخيشوم : أقصى الأنف .

وقال يفضل الفرزدق على جرير:

بكَرَ العواذلُ يبْتدِرْنَ ملامتي ... والعالمون فكلُّهم يلحاني(١)
في أن سقيت بشربة مَقْذِيَّةٍ ... صِرفٍ مُشعشعةٍ بماء شُنانِ(٢)
فَظَلِلْتُ أَسْقِي صاحبي من بردها ... عمداً لأرويَه كما أرواني
وذكَرْتُ - إذ جرت الشمال وهيَّجَتْ ... شوقاً لنا - رَيَّا وأُمَّ أبَانِ(٣)
والحارثيَّةَ، إنني مُهدٍ لها ... مدحاً يُشَبُّ بهنَّ كلَّ مكانِ(٤)
لاقيتُهنَّ بمجمَعٍ فأرينني ... صُورَ المها بزخارف البُنيانِ(٥)
ونُحورهنَّ دياسقٌ من فضةٍ ... ونواهدٌ كنواعم الرُّمَّانِ(٦)
ومُرمَّلُ الحنَّاءِ يُصبح قانئاً ... كدم الذبيح - بأَرْوُحٍ وبَنَانِ(٧)
ينظُرْنَ من خَلَلِ السُّتُورِ بأعينٍ ... نُجْلٍ يُمِتْنَ العاشقين حسانِ(٨)
نظراً مخالسةً وهنَّ صوائدٌ ... بخدورهن وأحسن الألوانِ(٩)
وإذا رأَيْنَ الشَّيْبَ لم يقربْنَهُ ... والغانياتُ عن الكبير غواني
يَقْطَعْنَ منه حبلَ كُلِّ مودَّةٍ ... جهلاً، وهن إلى الشَّبابِ رواني(١٠)

(١) العواذل: جمع عاذلة، اللائمة. يبتدرن ملامتي: يسرعن إلى لومي. يلحاني: يعيبني.
(٢) مقذية: نظيفة ليس فيها قذى. صرف: نقية جيدة. مشعشعة: ممزوجة. شنان: ماء بارد، وواد بالشام.
(٣) ذكرت: تذكرت. الشمال: ريح تهب بين الشرق وبنات نعش. ريا وأم أبان: علمان لامرأتين أي ذكرت هؤلاء النسوة حين هبت الشمال. (٤) يشب الخ: يذكرن في كل مكان.
(٥) المها: جمع مهاة، البقرة الوحشية، تشبه بها المرأة في جمال العينين. الصورة: الشكل. يعني أنهن يشبهن الصور التي تزين بها الأبنية.
(٦) نحور جمع نحر: أعلى الصدر. دياسق: جمع ديسق، وهو الصحن من الفضة، يشبه نحورهن بالفضة صفاء وصقلا.
(٧) مرمل الحناء: يقصد الحناء المرمل أي المزينة به المرأة يديها ورجليها. قانئا: شديد الحمرة. أروح: جمع راحة وهي باطن الكف دون الأصابع. البنان: أطراف الأصابع. المفرد بنانة. والمراد: أروحهن وبنانهن. (٨) خلل: جمع خلة، الثقبة. نجل: جمع نجلاء، الواسعة العين الحسنة.
(٩) مخالسة: مسروقا بسرعة وختل. الخدور: جمع خدر الستر أو البيت.
(١٠) الجهل هنا: الجفاء. رواني: دائمات النظر، المفرد رانية.

إنى أُدِيمُ لذى الصفاءِ مودّتى   وإذا تغيّر كنتُ ذا ألوانِ (١)
وأصُدُّ عن صَرْمِ الصديق تكرُّمًا   حِينًا ، وما دهرى له بِهَوانِ (٢)
وأفارقُ الخُلّانَ عن غير القِلَى   وأُميتُ عندى السِّرَّ بالكتمانِ (٣)
ولقد غدوتُ على القنيص بنَهْدَةٍ   عند البَدِيهة سَهْوَةِ القَذَفانِ (٤)
تَنْقَضُّ فى أَثَر الأوابدِ مثلَ ما   تنقضُّ كاسِرَةٌ من العِقبانِ (٥)

* * *

مَا بَالُ قومٍ لا تَغِبُّ أذاتُهم   قُعْسِ الظُّهور مِنَ الحَبين بِطانِ (٦)
همْ هيّجوا حَرْبى ومَا لَهُمُ بها   لو واجَهَتْهم باللقاء يَدانِ (٧)
حَرْبَ امرئٍ ما إنْ تَرِثُّ سلاحُه   أبدًا ولا يَغْتَرُّ بالحَدَثانِ (٨)
قَبَح الإلهُ بنى كُلَيْبٍ إنّهم   لا يحفظون محارِمَ الجيرانِ (٩)

(١) كنت ذا ألوان : أى تغيرت له كما تغير .

(٢) صرم : قطيعة وهجر . يقول : ماهى هوانه .

(٣) الخلان : جمع خليل ، الصديق . القلى : البغض . أميت السر : لا أبدية فكأنه ميت .

(٤) غدوت : بكرت . القنيص : المصيد . نهدة : فرس حسن جسيم . عند البديهة الجرى حين تفجؤها به . السهوة : المواتية . القذفان : سرعة الركض . يصف فرس الصيد .

(٥) الأوابد : جمع آبدة وهى الوحش . كاسرة : منقضة . العقبان : جمع عقاب بضم العين ، طا من الجوارح .

(٦) ما بالهم : أى ما حالهم وما حصل لهم . لاتغب : لا تنقطع . قعس الظهور : مفرده أقعس ، وهو من خرج صدره ودخل ظهره ، ضدّ الأحدب . الحبين : وجع فى البطن . بطان : عظام البطون ، المفرد بطن و بطين . بطان صفة لقوم (جرير) .

(٧) ما لهم بها يدان : أى ليست لهم عليها قدرة . اللقاء : الحرب .

(٨) ترث : تبلى . الحدثان : النوائب . لا يغتر بالحدثان : لا تأخذه النوائب على غرة لاستعداده لها دائما .

(٩) بنو كليب : رهط جرير . محارم : جمع محرم ، ما لا يحل انتهاكه .

وإذا تُنُودِبَ للمكارم والعُلا ... لم يُنْدَبُوا لترادف الأعوان (١)

أجرير إنك والذى تسموله ... كأَسِيفَةٍ فخرت بِحِدْجِ حَصان (٢)

حملت لربّتها فلمّا عُولِيَتْ ... نسلت تُعارضها مع الأظعان (٣)

أتَعُدُّ مأثُرَةً لغيرك فخرها ... وسناؤها فى سالف الأزمان (٤)

تاجُ الملوك وفخرُهُمْ فى دارمٍ ... أيامَ يربوعٌ مع الرُّعيان (٥)

متلفّفٌ فى بُردة حبقيّةٍ ... بفناء بيتِ مذلّةٍ وهوان (٦)

يَغْذُو بنيه بثَلّةٍ مذمومةٍ ... ويكون أكبرَ همّه رِبْقانِ (٧)

سبقُوا أباك بكلّ مجمع تلعةٍ ... بالمجد عندَ مواقف الركبان (٨)

إخسأ كُليبُ، إليك، إنّ مُجاشعًا ... وأبا الفوارس نهشلًا أخوان (٩)

قومٌ إذا خطرتْ عليكَ قُرومُهمْ ... طرحوك بين كلاكل وجِران (١٠)

---

(١) تنودب : ندب الناس ودعوا . الترادف هنا : التعاون . يقول : لا يصلحون للمكارم والمعالى .

(٢) تسموله : تتعلق به من مفاخر ليست لك . الأسيفة : الأمة . الحدج : مركب النساء على البعير كالهودج . الحصان هنا : الحرّة ضدّ الأمة . يقول ان فخرك بما ليس لك كفخر الأمة بحدج سيدتها .

(٣) أى حملت حدج سيدتها . عوليت : علت الحدج . نسلت : أسرعت . تعارضها أى تعدو حيالها الأظعان : النساء فى الهودج .

(٤) مأثرة : محمدة ومفخرة . السناء : الشرف . سالف الأزمان : ماضيها . يقول له : تفخر بمآثر مضر وأنت من فخذ حقير هو يربوع لا مجد له .

(٥) دارم : رهط الفرزدق ، ويريد الأخطل تفضيله على جرير بهذا الشعر . الرعيان جمع راع : من يقوم على الماشية يخدمها .

(٦) حبقية : نسبة الى صانع أو الى نوع من الغنم .

(٧) الثلة : الصوف أو جماعة الغنم . الربقان مثنى ربق : حبل يشدّ فى عنق البهم .

(٨) التلعة : ما علا من الأرض . عند مواقف الركبان : أى عند المفاخرة والتحاكم .

(٩) اخسأ : ابتعد محتقرا . اليك : تنح وابعد . مجاشع : قبيلة الفرزدق . نهشل : قبيلة من تميم كمجاشع .

(١٠) خطر الجمل بذنبه : رفعه مرة بعد أخرى . القروم : الفحول والأماجد جمع قرم . والكلاكل : جمع كلكل وهو الصدر . والجران : صفحة العنق . يقول : إن رجالهم يعلون عليك مفاخرة .

(١١) وقال الفرزدق[1] يذكر تفضيلَ الاخطل إياه على الشعراء ويمدح بني تغلب ويهجو جريرا :

يابنَ المراغةِ والهجاءُ إذا التقتْ ... أعناقُهُ وتماحَك الخصْمانِ (٢)

يا بن المراغةِ انَّ تغلبَ وائلٍ ... رفعوا عَنَاني فوق كُلِّ عَنانِ (٣)

كان الهُذَيلُ يقود كُلَّ طِمِرَّةٍ ... دهماءَ مُقْرَبَةٍ وكلَّ حِصانِ (٤)

يَصْهَلْنَ بالنظرَ البعيدِ كأنّما ... إرْنانُها بِبَوائنِ الأشطانِ (٥)

يَقْطَعْنَ كُلَّ مدًى بَعيدٍ غَوْلُه ... خَبَبَ السِّباعِ يُقَدْنَ بِالأرسانِ (٦)

(١) الفرزدق هو أبو فراس همام بن غالب التميمي الدارمي أحد فحول الشعراء الأمويين . نشأ بالبصرة والبادية يروى الشعر ويعالجه حتى نبغ فيه ، واتصل بولاة العراق يمدحهم ويهجوهم ، ورحل الى دمشق يمدح الخلفاء وينال جوائزهم . وله مع جرير نقائض تعد وثيقة تاريخية لعصرهما ولكثير من أيام العرب وأحوالهم في الجاهلية والإسلام . ويمتاز شعر الفرزدق بخشونة الألفاظ ووعورة المعاني والميل الى الفخر في هجائه والفحش في غزله وقد مات سنة ١١٤ هـ .

(٢) ابن المراغة : جرير . خبر الهجاء : متعلق إذا . أي حاصل وذائع إذا ... الخ أعناقه : جماعته أي يكون إذا تناشده القوم بعضهم على بعض . تماحك : تخاصم وتمارى .

(٣) تغلب من ربيعة : قوم الأخطل . العنان بالكسر : سير اللجام ، وبالفتح : الجانب وهو الأنسب هنا .

(٤) أي الهذيل بن هبيرة . الطمرة : الفرس الطويلة السريعة . الدهماء : السوداء . مقربة أي قريبة اليهم لكرمها وسرعتها يعمدون اليها حين الفزع .

(٥) الصهيل : صوت الخيل . الإرنان : التصويت . البوائن : الآبار المفرد بيون وهي البئر التي يصيب حبلها نواحيها . الأشطان جمع شطن : الحبل . يقول : كأنها تصهل من آبار بوائن لسعة أجوافها ومعنى يصهلن بالنظر البعيد أنها تصهل إذا رأت شبحا من بعد لحدة نظرها ونشاطها .

(٦) كل مدى : كل غاية بعيدة . غوله : بعده . الخبب للفرس : عدو فيه يقوم على رجليه تارة وعلى يديه أخرى . الأرسان جمع رسن : الحبل ، يشبه الخيل بالسباع في العدو .

وكأنّ راياتِ الهُـذيْلِ إذا بَدَتْ   فوقَ الخَميس كواسِرُ العِقبانِ (١)
وَرَدُوا إرابَ بجحفلٍ من وائل   لَجِبِ العشيّ ضُـبارِمِ الأركانِ (٢)
وَيبيتُ فيـه منَ المخافةِ عائذا   ألْفٌ عليـهِ قوانسُ الأبدانِ (٣)
تَرَكُوا لِتَغْلِبَ إذ رأوا أرماحَهُـمْ   بِإرَابَ كُلَّ لئيمـةٍ مِدران (٤)
تُدْمِي — وتَغْلِب يمنعونَ بَنَاتِهم —   أقـدامَهُن حِجَارةُ الصَّـوَّانِ (٥)
يَمْشِـين فى أثَرِ الهُـذَيْلِ وتارةً   يُرْدَفْنَ خلفَ أواخرِ الركبانِ (٦)
لولا أناتُهُـمُ وَفَضْـلُ حُلُومِهِمْ   بَاعُـوا أبَاكَ بِأوكَسِ الأثمَـانِ (٧)
وَالحوْفزَانُ أميرُهُمْ مُتَضائِلٌ   فى جَمْـعِ تَغْلِبَ ضَاربٌ بِجِرَانِ (٨)

(١) الخميس : الجيش الضخم . كواسر العقبان : أى المنقضة من العقبان : جمع عقاب ، طائر من الجوارح وهذا وصف لاسراع الخيل .

(٢) إراب : موضع ، وهو يوم بين بنى يربوع و بكر بن وائل يقودهم الهذيل هـذا . الجحفل : الجيش الكثير الخيل . لجب العشى : كثير الأصوات بالعشى وقت النزول للعلف فالأصوات كثيرة . الضبارم : الغليظ . الأركان : النواحى ، فأركان هذا الجيش شديدة ضخمة .

(٣) عائذا : محتميا . القوانس : أعالى البيض من الحديد ، المفرد : قونس . الأبدان : الدروع غير السوابغ . يقول : يعتاذ بهذا الجيش جيش فيه ألف مسلحون .

(٤) مدران : كثيرة الوسخ . أى خلوا نساءهم وهربوا .

(٥) تدمى : تسيل دمها ، والفاعل حجارة ، وأقدامهن مفعوله . وذلك لأنهنّ يسقن حفاة .

(٦) يردفن : الردف الراكب خلف الراكب .

(٧) أوكس : أبخس .

(٨) يظهر معنى هذا البيت من أن الهذيل غزا بلاد سعد فى تغلب وكذلك غزاها الحوفزان فى بكر ابن وائل فلما التقى الجيشان سار الحوفزان تحت لواء الهذيل . متضائل : متصاغر . الجران : مقدّم عنق البعير ، وضرب بجرانه : برك .

أَحبَبْنَ تَغلِبَ إذْ هَبَطْنَ بِلادَهُمْ لَمَّا سَمِنَّ وكُنَّ غيرَ سِمانِ

يَمْشِينَ بالفَضلاتِ وسْطَ شُرُوبِهِمْ يَتْبَعْنَ كُلَّ عَقِيرَةٍ ودُخَانِ (١)

يَتَبَايَعُونَ إذا انْتَشَوْا بَنَاتِكُمْ عِنْدَ الإيابِ بأوكَسِ الأثمانِ (٢)

واسْأَلْ بِتَغلِبَ كيفَ كانَ قَدِيمُها وقَدِيمُ قَومِكَ أولَ الأزمانِ

قَومٌ هُمُو قَتَلُوا ابنَ هِندٍ عَنْوَةً عَمْرًا، وهُمْ قَسَطُوا على النُّعْمانِ (٣)

قَتَلُوا الصنائِعَ والملوكَ، وأَوقَدُوا نَارَيْنِ قد عَلَتَا على النِّيرانِ (٤)

لَوْلا فَوارِسُ تَغْلِبَ ابنةِ وائِلٍ نَزَلَ العَدُوُّ عَلَيْكَ كُلَّ مَكانِ

حَبَسُوا ابنَ قَيْصَرَ وابْتَنَوْا بِرِماحِهِمْ يَوْمَ الكُلابِ كأكرمِ البُنْيانِ (٥)

إنَّ الأَرَاقِمَ لَنْ يَنَالَ قَدِيمَها كَلْبٌ عَوَى مُتَهَتِّمُ الأسْنانِ (٦)

قومٌ اذا وُزِنُوا بقومٍ فُضِّلوا مِثْلَيْ مُوازِنِهِم على الميزانِ

---

(١) الفضلات: الخمور أي يسقين الرجال ويخدمنهم. الشروب: القوم يشربون الخمر. يتبعن كل عقيرة: يتسمعن الغناء. دخان أي موضع الطبخ والشواء.

(٢) انتشوا: سكروا.

(٣) ابن هند عمرو بن هند: ملك الحيرة. يروون أن عمرو بن كلثوم التغلبي قتله في قصة مشهورة. قسطوا: جاروا. النعمان بن المنذر من ملوك الحيرة أيضا.

(٤) صنائع الملوك: أنصارهم، المفرد صنيعة. أوقدوا نارين: اشارة الى يوم خزازى لتغلب على كنانة وعلى بكر بن وائل.

(٥) يوم الكلاب الأول حيث قتلوا شرحبيل بن الحرث الكندي عم امرئ القيس.

(٦) الأراقم: حي من تغلب. متهتم متكسر والمراد بالكلب جرير الذي يهجوهم.

وقال يمدح سعيد بن العاص بالمدينة وقد فر اليه لما طلبه زياد بالعراق بسبب هجوه الشائع :

وَكُومٍ تُنعِمُ الأَضْيَافَ عَيْنًا ... وتُصبِحُ فى مَبَارِكِهَا ثِقَالَا (١)

حُوَاسَاتِ العَشَاءِ خُبَعْثِنَاتٍ ... إِذَا النكبَاءُ رَاوَحَتِ الشَّمالا (٢)

كَأَنَّ فِصَالَهَا حَبَشٌ جِعَادٌ ... تَخَالُ على مَبَارِكِهَا جُفَالَا (٣)

لِأَكْلَفَ أُمُّهُ دَهْمَاءُ مِنْهَا ... كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ جَلَدٍ جِلَالَا (٤)

أَرِقْتُ فَلَمْ أَنَمْ لَيْلًا طَوِيلًا ... أُرَاقِبُ هَلْ أرى النَّسْرَينِ زَالَا (٥)

فأَرَّقَنِي نوائبُ مِنْ هُمُومٍ ... عَلَيَّ، ولم يَكُنْ أَمرِى عِيَالَا (٦)

وكان قِرَى الهُمُومِ إِذَا اعترَتْنِي ... زَمَاعًا لا أُرِيدُ بِهِ بِدَالَا (٧)

---

(١) الكوم : الجمال ذات السنام الضخم ، الواحد أكوم . تنعم : تقرو تسر . المبارك : جمع مبرك موضع البروك . ثقالا : ضخاما . كوم مبتدا بعد واو ربّ ، خبره محذوف أى لهذا الممدوح .

(٢) الحواسات بضم الحاء : الإبل المجتمعة والكثيرة الأكل . خبعثنات : ضخام شديدات ، المفرد خبعثنة . النكباء : ريح انحرفت عن مهاب الرياح . راوحت : عارضت . الشمال : ريح تهب ما بين مطلع الشمس و بنات نعش .

(٣) الفصال ، جمع فصيل : ولد الناقة اذا فصل عنها . الجعاد جمع جعد : عكس المسترسل

(٤) الأكلف : الفحل المائل الى السواد . دهماء : سوداء الجلد : جلد البو . الجلال جمع جل : وهو للدابة كالثوب للإنسان .

(٥) أرقت : سهرت . النسران : كوكبان . يقال لأحدهما النسر الطائر ، وللآخر النسر الواقع يقول : أرى هل زالا فيطلع الصباح ، وذلك بسبب همه .

(٦) أرقنى : أسهرنى . النوائب المصائب المفرد نائبة . عيالا جمع عيل ، أى ليس همى بسبب أبنائى الذين أعولهم .

(٧) قرى : اكرام . الزماع : المضاء والعزم . بدال : عوض .

فعادَلْتُ المَسالكَ نصفَ حَوْلٍ   وحَوْلا بعــدَه حَتّى أحَالَا (١)

فَقَالَ لِيَ الّذى يَعْنِيــهِ شَأْنِى   نَصيحَةَ قَــوْلِه سِرًّا وقالا : (٢)

عَلَيْكَ بَنِي أُمَيَّــة، فاستَجِرْهُمْ   وخُذْ مِنهــمْ لِمَا تَخْشَى حِبالا (٣)

فإنَّ بَنِي أُمَيَّــةَ في قُرَيْشٍ   بَنَوْا لِبُيوتِهِــمْ عَمَــدًا طِوَالا (٤)

فَرَوَّحْتُ القَلوصَ إلى سَعِيدٍ   إذَا مَا الشَّاءُ فى الأَرْطَاةِ قَالَا (٥)

تَخَطّى الحَــرَّةَ الرَّجْلاءَ لَيْــلًا   وتَقْطَــعُ فى مَخَارِمِهَا نِعَالا (٦)

حَلَفْتُ بِمَنْ أَتَى كَنَفَيْ حِراءٍ   ومَــنْ وَافَى بحِجّتِــه إلَالَا (٧)

اذا رَفَعُوا سَمِعْتَ لهــم عَجِيجًا   عَجِيــجَ مُحَلِّئٍ نَعَــمًا نِهَــالَا (٨)

ومَن سَمَــكَ السماءَ له فقامَتْ   وسَخَّــر لابــنِ دَاودَ الشَّمالَا (٩)

---

(١) عادلت الخ : وازنت بين المسالك لا أدرى لأيها أصير . أحال : انقضى الحول .

(٢) يعنيه : يهمه . شأنى : أمرى وحالى .

(٣) عليك بنى أميــة : اقصدهم ، وسعيد بن العاص أموى . أستجرهم : أستغث بهم . حبال جمع حبل : العهد والذمة .

(٤) العمد : جمع عمود ما يقوم عليه البيت ، والمراد أنهم بنوا مجدا وشرفا .

(٥) روحت : سقت . القلوص من الإبل : الطويلة القوائم . الأرطاة : شجرة مرة تأكلها الإبل غضة . قال : نام فى منتصف النهار . يعنى شدة الحر .

(٦) الحرة : الأرض ذات حجارة نخرة كأنها أحرقت بالنار . الرجلاء الخشنة يترجل فيها أو الكثيرة الحجارة . المخارم : الطرق ، المفرد مخرم . النعل هنا : طبق من جلد يوقى به الخف ، يصف وعورة الطريق .

(٧) الــكنف : الظل أو الجانب . حراء : غار خارج مكة كان يتحنث فيه رسول الله و يتعبد قبل الرسالة ، وفيه نزل عليــه الوحى لأول مرة . إلال : جبل بعرفات حيث يقف الحاج . والمعنى أنه الذى ظهر ظل دينه فى مكة . يحلف بالنبي و بالحجيج .

(٨) أى رفعوا أيديهم وأصواتهم بالتلبية . العجيج : رفع الصوت والصياح . المحلىء هنا : مانع الابل عن المــاء . النعم : الابل . النهال : العطاش ، واحدها : ناهل يشبه صوت الحاج بصوت المحلىء ... الخ .

(٩) سمك : رفع ابن داود : هو سيدنا سليمان . الشمال : الريح . يشير الى معجزة سليمان وتسخير الريح له . والشاعر يقسم بالله كما أقسم قبل بالرسول .

وَمَنْ نَجَّى مِنَ الغَمَرَاتِ نُوحًا ... وأرْسَى فى مَوَاضِعها الجبَالا (١)

لَئِنْ عَافَيْتَنِي ونَظَرتَ حِلْمِي ... لَأَعْتَنِنَنْ إِنِ الحدثان آلا (٢)

إِلَيْكَ فَرَرْتُ مِنكَ ومن زِيادٍ ... ولم أَحسبْ دَمِى لَكُمَا حَلَالَا (٣)

ولكنِّى هجوتُ ، وقد هَجَتْنى ... مَعَاشر قد رَضَخْتُ لهم سِجَالا (٤)

فإنْ يكن الهجاءُ أَحَلَّ قَتْلِي ... فقد قُلْنَا لِشَاعِرِهِمْ وقَالَا (٥)

وان تَكُ فى الهِجاءِ تُرِيد قَتْلِي ... فَلَمْ تُدْرِكْ لِمُنْتَصِرٍ مَقَالا (٦)

تَرَى الشُّمَّ الجَحَاجِحَ من قُرَيْشٍ ... إذا مَا الأَمرُ فى الحَدَثانِ عَالَا (٧)

بَنِى عَمِّ النَّبِى ورَهْط عَمْرٍو ... وعُثمانَ الذينَ عَلَوْا فَعَالَا (٨)

قِيامًا يَنْظُرون إلى سَعِيدٍ ... كَأَنَّهُم يَرَوْنَ بِهِ هِلَالَا (٩)

ضَرُوبٌ لِلقَوانِسِ غيرُ هَدٍّ ... إذا خَطَرَتْ مُسَوَّمَةً رِعَالَا (١٠)

---

(١) الغمرات : جمع غمرة معظم البحر . نوح الرسول وفى عهده كان الطوفان .

(٢) عافيتنى : دفعت عنى البلاء والسوء وكان الشاعر فارا من زياد حاكم العراق . نظرت حلمى : راعيت عقلى وأناتى . اعتنن : اشتد وقوى . الحدثان النوائب . آل : رجع .

(٣) زياد ابن أبيه : والى العراق ، وقد طلب الفرزدق حين رفع أمره اليه لشدة هجائه ، ولكن الشاعر فر الى سعيد هذا .

(٤) رضخت لهم : أعطيتهم قليلا من هجائى . السجال جمع سجل : الدلو العظيمة . ويقال الحرب بينهم سجال أى تارة لهم وتارة عليهم .

(٥) قلنا لشاعرهم وقال أى تهاجينا ، فلم أقتل أنا دونه ؟

(٦) فى الهجاء أى بسببه . ومعنى الشطر الثانى : فلم تسمع مقال المستجير . المنتصر : المستظهر على عدوه .

(٧) الشم جمع أشم وهو السيد العزيز . الجحاجح جمع جحجح : السيد . عال : اشتد وتفاقم .

(٨) الرهط : قوم الرجل . الفعال : الفعل الحسن .

(٩) قياما : حال من مفعول نرى فى البيت الذى قبل السابق ومعنى يرون به يرونه فالباء للتجريد .

(١٠) القوانس : أعالى البيض من الحديد ، المفرد قونس . الهد : الرجل الضعيف . المسومة : الخيل المعلمة لكرمها . الرعال : جمع رعلة : القطعة من الخيل . يصفه بالشجاعة والإقدام .

وقال يهجو جريرا :

إنّ الذى سَمَكَ السماءَ بنَى لنا بيتًا دعائمُه أعزُّ وأطولُ (١)

بيتًا بناهُ لنا المليكُ ، وما بَنَى حَكَمُ السماءِ فإنّهُ لا يُنْقَلُ (٢)

بيتًا زُرارةُ مُحتَبٍ بِفِنائِهِ ومُجاشعٌ وأبُو الفوارِسِ نَهْشَلُ (٣)

يَلِجُون بيتَ مُجاشعٍ وإذا احْتَبَوْا بَرَزُوا كأنّهمُ الجِبَالُ المُثَّلُ (٤)

لا يَحْتَبِي بِفِنَاءِ بيتِكَ مِثلُهُمْ أبدًا إذا عُدَّ الفَعَالُ الأفضلُ (٥)

مِنْ عِزِّهِمْ جَحَرَتْ كُلَيْبٌ بَيْتَهَا زَرْبًا كأنّهمُ لديْهِ القُمَّلُ (٦)

ضَرَبَتْ عليكَ العنكبوتُ بنَسْجِها ، وقَضَى عليكَ بهِ الكتابُ المُنْزَلُ (٧)

أيْنَ الذينَ بِهِمْ تُسامِي دارِمًا أمْ مَنْ إلَى سَلَفَيْ طُهَيَّةَ تَجْعَلُ (٨)

يَمْشُونَ فى حَلَقِ الحديدِ كما مشَتْ جُرْبُ الجِمالِ بِهَا الكُحَيْلُ المُشْعَلُ (٩)

والمانِعُونَ إذَا النّساءُ ترادفَتْ حَذَرَ السِّباءِ جِمالُهَا لا تُرْحَلُ (١٠)

---

(١) سمك : رفع . الدعائم : جمع دعامة وهى عمود البيت . أعز : أقوى .

(٢) المليك : الله جل جلاله . حكم السماء : أى القوى المقتدر . لا ينقل : لا يزول . يريد بيت شرف وعز .

(٣) زرارة ومجاشع ونهشل : أولاد دارم جدّ عشيرة الفرزدق يفخر بهم على جرير .

(٤) يلجون : يدخلون . احتبوا : اشتملوا بالثوب . المثل : الراسيات ، جمع ماثل .

(٥) فناء البيت : الساحة أمامه . الفعال بفتح الفاء : الفعل الحسن والخطاب لجرير ، أى ليس لك رجال أشراف كهؤلاء المعدودين تفاخرنى بهم .

(٦) كليب : قوم جرير . جحرت : دخلت زربا كأنه الجحر . الزرب : حفيرة تتخذ لحبس الجداء . القمل : جمع قملة ، كالجرادة وأقل منها

(٧) يعنى أن بيت جرير فى الوهن والذل كبيت العنكبوت . والشطر الثانى إشارة إلى الآية الكريمة " وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت " .

(٨) تسامى : تفاخر . طهية : أم جماعة من قوم الفرزدق يفخر بهم على جرير . تجعل هنا : معناها تقرن بهم وتباهى .

(٩) الحلق : جمع حلقة وهى الدرع . جرب الجمال : أى الجمال المصابة بداء الجرب . الكحيل : القطران . المشعل : الكثير . يشبه الرجال فى عظمهم ولون الحديد عليهم بالجمال المهنوءة بالقطران

(١٠) ترادفت : ركب بعضهن خلف بعض . السباء : الأسر فى الغارات . لا ترحل : لا توضع عليها الرحال للعجلة . يقول : إن قومى يمنعون حرمهم إذا كانت الغارات وفزعت النساء فركبت الجمال أعزاء .

يَحمِى إذا اخترِطَ السيوفُ نساءَنا ... ضَرْبٌ تَخِرُّ له السواعِدُ أَرْعَلُ (١)
ومُعَصَّب بالتاجِ يَخفِقُ فوقَهُ ... خِرَقُ الملوكِ لَه خَميسٌ جَحْفَلُ (٢)
مَلِكٌ تَسوقُ له الرماحَ أكفُّنَا ... مِنه تُعَلُّ صُدورُهُنَّ وتُنْهَلُ (٣)
قَدْ مَاتَ فِي أَسَلاتِنَا أوْ عَضَّهُ ... عَضْبٌ برَوْنَقِهِ الملوكُ تُقَتَّلُ (٤)
وَلَنا قُراسِيَةٌ تَظَلُّ خَواضِعًا ... مِنهُ مَخافَتَهُ القُرومُ البُزَّلُ (٥)
مُتَخَمِّطٌ قَطِمٌ لَهُ عَادِيَّةٌ ... فِيهَا الفَراقِدُ والسِّماكُ الأعزَلُ (٦)
ضَخْمُ المَناكِبِ تحتَ شَجْرِ شُئُونِهِ ... نَابٌ إذَا ضَغَمَ الفُحُولةَ مِقْصَلُ (٧)
وَإذا دَعَوْتُ بنى فُقَيْمٍ جاءَنِى ... مَجْرٌ لَهُ العَدَدُ الذِى لا يُعْدَلُ (٨)

---

(١) اخترط : سل . تخر : تسقط . أرعل : مسترخ مائل وهو صفة لضرب . وإنما يريد أنه يميل ما قطع فيسترخى .

(٢) معصب : متوج ، والواو واو رب . وما بعدها : مبتدأ ، وقد مات : خبره — يعنى حسان وقابوس ابنى المنذر . خرق الملوك : الرايات . الخميس : الجيش الضخم . الجحفل : الكثير الخيل .

(٣) منه : أى من الملك — تعل وتنهل من الدم ، والإنهال : الطعن الأول ، والعلل : الطعن الثانى .

(٤) الأسلات : الرماح ، المفرد أسلة . العضب : السيف القاطع . رونقه : فرنده وجوهره .

(٥) القراسية : الضخم الغليظ من الإبل . يقول : لنا عز قديم شبيه بالفحل وهو القراسية . القروم : جمع قرم ، وهو السيد أو الفحل الكريم . البزل : جمع بازل ، وهو الذى نبت نابه .

(٦) متخمط : متغضب فى كبر . قطم : هائج . عادية أولية قديمة ، وأصل الفرقد نجم يهتدى به والسماك الأعزل يكون فى نوء المطر ، أى لنا عز وشرف عال كمكان النجوم التى لا تنال ، بعضنا يقتدى به والبعض كريم يستق منه .

(٧) الشجر : مجتمع اللحيين . الشئون : ملتقى قبائل الرأس ، الواحد شأن . ضغم : عض . مقصل : قاطع .

(٨) فقيم من دارم : عشيرة الشاعر . المجر : الجيش الكثير العدد — لا يعدل : ليس له عدل من غيره أى نظير .

وَإذا الرَّبائــع جاءَنى دُفَّاعُهــا ... مَوْجًا كأنَّهمُ الجــرادُ المُرْســلُ (١)
هَــذا وفى عَــدَوِيِّتى جُرثومــةٌ ... صَعْبٌ مَناكِبُها نِيافٌ عَيْطَــلُ (٢)
وإذا البَرَاجِمُ بالقُــرومِ تخاطَــرُوا ... حَــوْلى بأغلبَ عِزُّهُ لا يُــنزَلُ (٣)
وإذا بَــذَخْتُ وَرَايَتِى يَمْشى بِهـا ... سُفْيَانُ أو عُدُسُ الفَعَالِ وجَنْـدَلُ (٤)
الأكثرونَ إذا يُعَــدُّ حَصَاهُمُ ... والأكرمُونَ إذا يُعَــدُّ الأوّلُ (٥)
وزَحَلْتَ عن عَتَبِ الطريقِ ولم تجِدْ ... قَدَمَاكَ حيثُ تقُومُ سُــدَّ المَنْقَــلُ (٦)
إنَّ الزِّحامَ لِغَــيرِكم فتحيَّنــوا ... وِرْدَ العَشِىِّ، إلَيهِ يَخْــلُ المَنْهَــلُ (٧)
حُلَلُ الملوكِ لِبَاسُــنَا فى أهْلِنَــا ... والسابغــاتِ إلى الوغَى نَتَسَرْبَلُ (٨)

---

(١) الربائع : جمع ربيعــة وهى ربيعة الكبرى والصغرى والوسطى . الدفاع : دفاع الســيل حين يكثر ويمتد . شبه كثرة الرجال بالسيل حين يدفع .

(٢) العــدوية : فكيهة بنت مالك من زيد مناة نسب اليها بنوها . الجرثومة . الأصــل والتراب يجتمع فى أصــل الشجرة فيرتفع على ما حوله . صعب مناكبها : يعنى نواحيها . نياف طويلة مشرفة . عيطل : طويلة .

(٣) البراجم فى الأصــل : رءوس الأشاجع التى هى أصول الأصابع ، والمراد هنــا : بنو حنظلة ابن مالك ، وهم خمسة تبرجوا على سائر إخوتهم . القروم : الفحول . تخاطروا كما تخطر الفحول بأذنابها إذا تهدد بعضها بعضاً . الأغلب : الغليظ العنق .

(٤) بذخت : فخرت فى كبر . والأسماء المذكورة فى البيت من بنى دارم .

(٥) حصاهم : عددهم . الأول يعنى من الآباء والأجداد أو من المساعى والأفعال .

(٦) زحلت : تنحيت ، والخطاب لجرير . العتب : الغلظ فى ارتفاع أى عن وضح الطريق . المنقل : الطريق فى الجبل . يقول اذا سلكنا تنحيت لنا ، وسد عليك الطريق ، فلم تدر أين تسير ، وتضع قدميك .

(٧) ورد العشى : ورود الماء ليلا . يقول إنكم لضعفكم ومهانتكم لاقبــل لكم بالزحام بل تشربون من فضل غيركم .

(٨) الحلة : إزار ورداء . السابغات : الدروع . الوغى : الحرب . نتسربل : نتقمص . فهم فى السلم ملوك ، وفى الحرب ليوث .

أَحْلَامُنَا تَزِنُ الجِبَالَ رَزَانَةً ... وَتَخَالُنَا جِنًّا إذا مَا نَجْهَلُ (١)

فادْفَعْ بِكَفِّكَ إنْ أَرَدْتَ بِناءَنَا ... ثَهْلانَ ذَا الهَضَبَاتِ، هَلْ يَتَحَلْحَلُ (٢)

وَأَنَا ابنُ حَنظَلَةَ الأغرِّ وإنَّنِي ... فِى آلِ ضَبَّةَ لَلْمُعِمُّ المُخْوِلُ (٣)

فَرْعَانِ قَدْ بَلَغَ السَّمَاءَ ذُرَاهُمَا ... وَإِلَيْهِمَا مِنْ كُلِّ خَوْفٍ يُعْقَلُ (٤)

فَلَئِنْ فَخَرْتُ بِهِمْ لِمِثْلِ قَدِيمِهِمْ ... أَعْلُو الحُزُونَ بِهِ، وَلا أَتَسَهَّلُ (٥)

زَيْدُ الفَوَارِسِ، وابنُ زَيْدٍ مِنْهُمُ ... وَأَبُو قَبِيصَةَ، والرَّئِيسُ الأوَّلُ (٦)

أَوْصَى عَشِيَّةَ حِينَ فَارَقَ رهطَهُ ... عِندَ الشهادَةِ فى الصحِيفَةِ دَغْفَلُ (٧)

أَنَّ ابنَ ضَبَّةَ كانَ خَيْراً وَالِدًا ... وأَتَمَّ فى حَسَبِ الكِرَامِ وأَفْضَلُ (٨)

مِمَّنْ يَكُونُ بَنُو كُلَيْبٍ رَهْطَهُ ... أو مَنْ يَكُونُ إلَيهِمُ يَتَخَوَّلُ (٩)

---

(١) الأحلام : جمع حلم الصبر والأناة أو العقل وضدّه الجهل والسفه . رزانة : وقارا .

(٢) ثهلان: جبل عظيم بنجد . الهضبات : جمع هضبة الجبل الصغير . هل يتحلحل : أى هل يزول ويتحرك؟. فكذلك عزنا .

(٣) حنظلة : هو ابن مالك بن زيد من رهط الشاعر وأمه من ضبة . الأغر : المشهور بالعز والشرف . المعم المخول : الكريم الأعمام والأخوال .

(٤) ذروة كل شىء : أعلاه . يعقل : يلجأ . أى يلجأ إليهما الناس عند المخاوف

(٥) الحزون : ماغلظ من الأرض ، مفرده حزن . السهل : ماسهل ولان . إن فخره بهؤلاء يسمو به

(٦) زيد الفوارس : هو زيد بن حصين سمى بذلك لأنه والى بين سبعة فوارس فى ثأر أبيه حصين . وابنه هو الحصين بن زيد . وأبو قبيصة خوار بن عمرو منهم أيضا . والرئيس الأول محلم بن سويط من سعد بن ضبة .

(٧) رهط الرجل : قومه الأدنون . دغفل : هو ابن حنظلة النسابة من وائل . وهو فاعل أوصى .

(٨) بنو ضبة . رهط الشاعر لأمه . الحسب : مفاخر الآباء .

(٩) بنو كليب : رهط جرير . يتخول : من الخئولة ، أى يدعيهم أخوالا . فهو فى هذه الأبيات يفضل نفسه نسبا وحسبا على جرير .

وَهُـمْ عَلَى ابنِ مُزَيْقِيَاءَ تَنَـازَلُوا   والخيـلُ بَيْنَ عَجَاجَتَيْهَا القَسْطَلُ (١)
وهُمُ الذينَ عَلَى الأَمِيـلِ تداركوا   نَعَمًا يُشَـلُّ إلَى الرَّئِيس ويُعْكَلُ (٢)
ومُحَرِّقًا صَفَدُوا إليـهِ يَمِينَـهُ   بِصِفادِ مقتَسِرٍ أخُوهُ مُكَبَّلُ (٣)
مَلِكَانِ يَـومَ بُزَاخَـةٍ قَتَلُوهُمَا   وَكِلَاهُمَا تَاجٌ عَلَيْـهِ مُكَلَّلُ (٤)
وَهُمُ الذينَ عَلَوْا عُمَـارَةَ ضَرْبَةً   فَوْهَاءَ فَـوْقَ شُئُونِهِ لا تُوصَـلُ (٥)
وَهُمْ اذا اقْتُسِمَ الأكَابِرُ رَدَّهُمْ   وَافٍ لِضَبَّـةَ ، والرِّكاب تُشَـلَّلُ (٦)
جَارٌ إذا غَـدَرَ اللِئَامُ وَفَى بِهِ   حَسَبٌ ودَعْوَةُ مَاجِدٍ لا يُخْـذَلُ (٧)
وعَشِـيَّةَ الجَمَـلِ المُجَلَّلِ ضَارَبُوا   ضَرْبًا شُئُونُ فَرَاشِـهِ تَتَزَيَّلُ (٨)

---

(١) ابن مزيقياء هو الحارث عمرو بن عامر قتله أحد بنى ضبة ، وابناه : محرق وزياد قتلهما زيد الفوارس ، تنازلوا : نزلوا فى ساحة القتال فتضاربوا . العجاجتان : مثنى عجاجة : الدخان والغبار . القسطل : الغبار . والمقصود أن الغبار ثائر بين الجيشين المتحاربين .

(٢) الأميل : رمل يعرض ويستطيل مسيرة يوم أو يومين ، وهو كذلك اسم يوم لبنى ضبة على بنى شيبان . وذلك أن بسطام بن قيس بن مسعود الشيبانى أغار على بنى ضبة ، فاستاق ألف بعير لمالك بن المنتفق رئيس بنى ضبة ، فتداركت ضبة الخيل وردت النعم . يشل : يطرد . يعكل : يرد ويحبس .

(٣) محرق : سبق ذكره . صفدوا : جمعوا ، أى أسروه ، واستوثقوا منه . الصفاد : القيد أو الحديد الذى قيد فيه . أخوه : صاحبه أى صاحب هذا الصفاد مقتسر ومغتصب .

(٤) بزاخة : وقعة لضبة على غسان ، والملكان محرق وزياد كما سبق . مكلل : معقود فوق رأسه .

(٥) عمارة بن زياد العبسى قتله شرحاف الضبى يوم أعيار . فوهاء : واسعة ذات فم واسع . الشئون : ملتقى قبائل الرأس ، الواحد شأن ، ومن الشئون تجرى الدموع . لا توصل : لا تلتئم .

(٦) اقتسم الأكابر : أسروا وتوزعوا . والأكابر شيبان وعامر وجليحة من بنى تيم الله بن ثعلبة ، أجارهم بدر بن حمراء الضبى ، فوفى لهم . تشلل : تطرد .

(٧) جار : يعنى بدر بن حمراء الضبى . الماجد جيرانه من بنى تيم الله الذين التجأ اليهم فى إحدى السنين ، فوفوا له .

(٨) الجمل : وقعة الجمل مع السيدة عائشة وقتل من بنى ضبة كثير . الفراش : جمع فراشة كل رقيق من العظم أو الحديد . تتزيل : تتفرق .

* * *

يَا بْنَ المَرَاغَةِ أينَ خَالُكَ إنَّنِى ... خَالِى حُبَيْشٌ ذو الفَعَالِ الأفضَلُ (١)

خَالِى الذى غَصَبَ الملوكَ نُفُوسَهمْ ... وإليهِ كانَ حِبَاءُ جَفْنَةَ يُنْقَلُ (٢)

إنَّا لَنَضْرِبُ رأسَ كُلِّ قَبِيلَةٍ ... وأبُوكَ خَلْفَ أتَانِهِ يَتَقَمَّلُ (٣)

وشُغِلْتَ عن حَسَبِ الكِرَامِ وما بَنَوْا ... إنَّ اللئيمَ عَنِ المَكَارِمِ يُشْغَلُ (٤)

إنَّ التِى فُقِئَتْ بها أبصارُكُمْ ... وَهِىَ التى دَمَغَتْ أبَاكَ الفَيْصَلُ (٥)

وقال يصف ذئبا صادفه فى أثناء سفره فأطعمه من زاده :

وأطلَسَ عَسَّالٍ وما كانَ صَاحِبًا ... دَعَوْتُ بنَارِى مَوْهِنًا فَأتَانِى (٦)

فَلَمَّا دَنَا قُلتُ : ادْنُ دونَك، إنَّنِى ... وإيَّاكَ فِى زَادِى لَمُشْتَرِكَانِ (٧)

---

(١) ابن المراغة : جرير . حبيش : من ضبة أسر عمرو بن الحارث الغسانى ، بجز ناصيته ، واشترط عليه أن يبعث اليه كل سنة بحباء حتى يموت .

(٢) الحباء : العطية ، والمراد هنا الضريبة . جفنة من آباء الغساسنة اليه ينسبون ، ويسمون آل جفنة ملوك الشام فى الجاهلية .

(٣) الرأس : الرئيس . الأتان : الحمارة . يتقمل : يكثر قمله .

(٤) اللئيم : الدنىء الأصل والبخيل .

(٥) دمغت : أى بلغت دماغه . الفيصل : مقطع الحق فيما بيننا و بينكم . وهذه القصيدة كانت تسمى الفيصل .

(٦) الأطلس : أغبر اللون . عسال : مضطرب فى مشيه . موهنا : نحو منتصف الليل .

(٧) أدن : اقترب . دونك : أمامك .

فَبِتُّ أَقُدُّ الزَّادَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ... عَلَى ضَوْءِ نَارٍ مَرَّةً وَدُخَانِ (١)

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَكَشَّرَ ضَاحِكًا ، ... وَقَائِمُ سَيْفِي من يَدِي بِمَكَانِ : (٢)

تَعَشَّ ، فإِنْ وَاثَقْتَنِي لَا تَخُونُنِي ... نَكُنْ مِثْلَ مَنْ (يَاذِئْبُ) يَصْطَحِبَانِ (٣)

وأَنْتَ امْرُؤٌ يا ذئبُ والغَدْرُ كنتُمَا ... أُخَيَّيْنِ كَانَا أُرْضِعَا بِلِبَانِ (٤)

ولو غَيْرَنَا نَبَّهْتَ تَلْتَمِسُ القِرَى ... أَتَاكَ بِسَهْمٍ أَوْ شَبَاةِ سِنَانِ (٥)

وكُلُّ رَفِيقَيْ كُلِّ رَحْلٍ – وإِنْ هُمَا ... تَعَاطَى القَنَا قَوْمَاهُمَا – أَخَوَانِ (٦)

فَهَلْ يَرْجِعَنَّ اللهُ نَفْسًا تَشَعَّبَتْ ... عَلَى أَثَرِ الغَادِينَ كُلَّ مَكَانِ (٧)

فَأَصْبَحْتُ لا أدرِي أَأَتْبَعُ ظَاعِنًا ... أَمِ الشَّوْقُ مِنِّي لِلْمُقِيمِ دَعَانِي (٨)

وما مِنْهُمَا إلا تَوَلَّى بِشِقَّةٍ ... من القَلْبِ فالعينانِ تَبْتَدِرانِ (٩)

---

(١) أقد : أقطع .

(٢) تكشر : كشف عن أسنانه ، قائم السيف : مقبضه .

(٣) واثقتني : عاهدتني .

(٤) أخيان : أخوان توءمان .

(٥) شباة سنان : طرف الرمح .

(٦) تعاطى القنا قوماهما : أى تحارب أهلهما . أخوان : خبر كل .

(٧) تشعبت : توزعت فى كل مكان من الهموم . الغادون : الميتون يشير الى بنيه المتوفين .

(٨) ظاعنا : راحلا الى القبر . المقيم : الباقى على قيد الحياة — يصف اضطراب نفسه بين الحزن والجذب .

(٩) تولى بشقة : أخذ ناحية من قلبه ، فشغلها . تبتدران الدمع : تدمعان .

(١٢) وقال جرير يرثي زوجه خالدة بنت سعد[1] :

لَوْلَا الحَيَاءُ لَهَاجَنِي آسْتِعْبَارُ ... وَلَزُرْتُ قَبْرَكِ ، والحَبِيبُ يُزَارُ (٢)

وَلَقَدْ نَظَرْتُ ، وما تَمَتُّعُ نَظْرَةٍ ... في اللَّحْدِ حيثُ تَمَكَّنَ الأَحْفَارُ (٣)

وَلَهَتْ قَلْبِي إذ عَلَتْنِي كَبْرَةٌ ... وذَوُو التَّمَائِمِ من بَنِيكِ صِغَارُ (٤)

أَرْعَى النُّجُومَ ، وقد مَضَتْ غَوْرِيَّةً ... عُصَبُ النُّجُومِ كَأَنَّهُنَّ صُوَارُ (٥)

نِعْمَ القَرِينُ ، وكُنْتِ عِلْقَ مَضَنَّةٍ ... وَارَى بِنَعْفِ بُلَيَّةَ الأَحْجَارُ (٦)

عَمِرَتْ مُكَرَّمَةَ المَسَاكِ ، وفَارَقَتْ ... ما مَسَّهَا صَلَفٌ ولا إِقْتَارُ (٧)

فَسَقَى صَدَى جَدَثٍ بِبُرْقَةِ ضَاحِكٍ ... هَزِمٌ أَجَشُّ وَدِيمَةٌ مِدْرَارُ (٨)

---

(١) ينتسب أبو حزرة جرير بن عطية بن الخطفى الى يربوع من تميم كما ينتسب الفرزدق الى دارم من تميم كذلك . وقد ولد باليمامة ونشأ فى البادية يأخذ الشعر عن أسرته وغيرها ويتكسب به لدى الخلفاء والولاة حتى اشتبك مع الفرزدق فى التهاجى والسباب لعوامل سياسية واجتماعية . ومات بعد الفرزدق بقليل سنة ١١٠ هـ .

(٢) استعبار : حزن ودمع .

(٣) الأحفار : جمع حفر البئر المتسعة ، وهو هنا القبر .

(٤) ولهت : حيرت من الحزن . كبرة : كبر وضعف . التمائم : جمع تميمة ، وهى العوذة تعلق على الصبي خوف الحسد .

(٥) أرعى النجوم : أراقبها . غورية : غائبة . عصب : جماعات . الصوار : القطيع من بقر الوحش .

(٦) القرين : الزوج والصديق أى أنت . العلق : النفيس أو الجراب . المضنة : ما يضن به . نعف بلية : مكان قبرها .

(٧) عمرت : عاشت . المساك : الإمساك ، والمراد البقاء مع زوجها . الصلف : مجاوزة قدر الظرف والادعاء تكبرا . إقتار : بخل .

(٨) الصدى هنا : جثمان الميت . جدث : قبر ، برقة ضاحك : موضع . والبرقة فى الأصل الأرض الغليظة . هزم : سحاب راعد ، أجش : غليظ الصوت ، ديمة : مطر يدوم فى سكون . مدرار :

مُـتَراكِمٌ زَجِلٌ يُضِيءُ وَمِيضُـهُ ... كالبُـلْقِ تحتَ بُطُونِها الأمْهَـارُ (١)
كانتْ مكرَّمةَ العَشِيرِ ولم يَكن ... يَخشَى غوائلَ أُمِّ حَزْرَةَ جارُ (٢)
ولقد أراكِ كُسيتِ أجملَ منظرٍ ... ومعَ الجمالِ سكينةٌ ووقارُ (٣)
والرِّيحُ طيِّبـةٌ إذا استقبلتِها ... والعِرضُ لا دَنِسٌ ولا خَـوّارُ (٤)
وإذا سريتُ رأيتُ نارَكِ نوَّرتْ ... وَجْهًا أغرَّ يَزِينُـه الإسفارُ (٥)
صَلَّى الملائكةُ الذين تُخُيِّروا ... والصالحُون عليكِ والأبرارُ (٦)
وعليكِ من صلَواتِ رَبِّك كُلَّما ... نَصَبَ الحجيجُ مُلبِّدينَ وغارُوا (٧)
يا نَظْرةً لكَ يومَ هاجَتْ عَبرةً ... من أُمِّ حَزْرَةَ بالنُّمَيرةِ دارُ (٨)
تُحيي الروامسُ رَبعَها فتُجِدُّه ... بعدَ البِلَى، وتُمِيتُه الأمطارُ (٩)
وكأنَّ منزلةً لها بِجُلاجِلٍ ... وَحْيُ الزَّبورِ تُجِدُّه الأحبارُ (١٠)

---

(١) زجل : رفع صوته . البلق : جمع أبلق فرس فى لونه سواد و بياض . أمهار : جمع مهر .

(٢) الغوائل : مفرده غائلة وهى الشر والفساد والداهية .

(٣) الوقار : الرزانة .

(٤) خوار : مريب .

(٥) سريت : سرت ليلا . أغر : حسن له غرة . الإسفار : كشف الوجه .

(٦) الأبرار : جمع بار الصالح أو كثير الإحسان .

(٧) نصب : جد وتعب . الحجيج : جمع حاج . ملبدين : محرمين ومتخذين صمغا ليتلبد شعرهم . غاروا : نزلوا الغور .

(٨) عبرة : دمعة . النميرة : جبل أو هضبة بين نجد والبصرة .

(٩) الروامس : الرياح الدوافع للآثار . الربع : الدار . تجد : تجدد .

(١٠) جلاجل : موضع أو جبل بالدهناء . الوحى : المكتوب أو الرسالة . الزبور : الكتاب ، وغلب على مزامير داود . الأحبار : جمع حبر : العالم الصالح والرئيس الدينى .

لا تُكْثِرَنَّ إذا جعلتَ تلومُنى لا يَذْهَبَنَّ بحلمِكَ الإكثارُ (١)
كانَ الخليطُ هُمُ الخليطَ فأصبحُوا مُتَبَدِّلينَ وبالديارِ ديارُ (٢)
لا يُلبِثُ القُرَناءَ أَن يَتَفَرَّقوا ليلٌ يَكُرُّ عليهمُ ونهارُ (٣)

وقال جرير يجيب الفرزدق عن قصيدته السالفة التى مطلعها

إن الذى سمك السماء :

لِمَنِ الديارُ كأنَّها لم تُحلَلِ بَينَ الكِناسِ وبينَ طَلْحِ الأَعْزَلِ (٤)
ولقدْ أرَى بِكِ، والجديدُ إلى بِلًى، موتَ الهوَى وشِفاءَ عَينِ المجتلِي (٥)
نظرتْ إليكَ بمِثلِ عَيْنَى مُغزِلٍ قَطَعَتْ حِبالَتَها بأعلى يَلْيَلِ (٦)
واذا التَمستَ نَوالَها بَخِلتْ بهِ واذا عَرضْتَ بوُدِّها لم تَبخَلِ
ولقد ذكرتُكِ، والمَطِيُّ خواضِعٌ، وكأنَّهنَّ قطا فَلاةٍ مَجْهَلِ (٧)

---

(١) الحلم : الصبر والأناة والعقل .

(٢) الخليط : الصحاب . متبدلين : متغيرين . وبالديار الخ مسافرين الى ديار أخرى .

(٣) لا يلبث ... لا يمهلهم حتى يفرقهم . القرناء : جمع قرين العشير أو المصاحب .

(٤) الكناس : موضع من بلاد غنى . طلح : شجر . الأعزل : واد لكليب . كأنها لم تحلل : أى قد درست كأنها لم تكن مسكونة .

(٥) المجتلى : الناظر، أى كنا بك فكان الهوى مستترا ، فلما تفرقنا ظهرت آثاره بسبب الفراق .

(٦) المغزل : ظبية ذات غزال . حبالتها : مصيدتها . يليل : موضع قرب وادى الصفراء بين الحرمين .

(٧) خواضع : مجدة فى السير . قطا : طير . فلاة : صحراء واسعة مجهل : مفازة لا يهتدى فيها .

يَسْقِينَ بالأُدَمَى فِراخَ تَنُوفــةٍ ... زُغْبًــا حواجِبهُن حُمْــرَ الحَوصَلِ (١)
يا أمَّ ناجيــةَ ! السلامُ عليــكُمُ ! ... قبْـلَ الرَّواحِ وقبْـلَ عَذْلِ العُــذَّلِ (٢)
وَإِذَا غــدوْتِ فباكرَتْك تحيَّــةٌ ... سبقَتْ سُروحَ الشاحِجَات الحُجَّـلِ (٣)
لو كنتُ أعلَمُ أنَّ آخِر عَهــدِكمْ ... يومَ الرَّحيــلِ فعلتُ ما لم أفعَــلِ (٤)
أو كنتُ أرهَبُ وَشْكَ بَيْنٍ عاجلٍ ... لَقنِعْتُ أو لَسألتُ ما لم يُسألِ (٥)
أعْددتُ للشُّــعَراء سَمًّــا ناقِعًــا ... فَسَــقَيْتُ آخرَهُــمْ بِكأْسِ الأَوَّلِ (٦)
لمَّــا وضَعْتُ على الفرزْدقِ ميْسمى ، ... وضَغَا البَعيثُ جَدَعْتُ أنفَ الأخطلِ (٧)
أخْزَى الذي سَمَــكَ السماءَ مُجاشِــعًا ... وبنَى بِناءَكَ في الحضيضِ الأسفلِ (٨)
بيْتًــا يُحَمِّــمُ قَيْنُكــم بِفِنَــائِه ... دَنِسًــا مقــاعِدُه خَبيثَ المدْخَلِ (٩)
ولقــد بنيتَ أخَسَّ بَيْتٍ يُبْتَــنَى ... فَهَدمتُ بيتَــكُم بِمثْــلَىْ يذبُــلِ (١٠)

---

(١) الأدمى : موضع . تنوفة : برية لا ماء فيها ولا أنيس . زغبا : قليلة الريش . والزغب أول ما يبدو من الشعر أو الريش .

(٢) الرواح : الذهاب عشية . وربما كان الأولى يا آل ناجية .

(٣) الشاحجات : الغربان تشحج في صياحها . الحجل : تحجل في مشيها .

(٤) عهدكم : لقائكم .

(٥) وشك : قرب . قنعت بالقليل من الود دون الطمع وبعد الأمل الذي قضى عليه الفراق .

(٦) ناقعا : قاتلا (هجاء مرا) .

(٧) الميسم : المكوى ، يريد الشعر . ضغا : تذلل . جدع الأنف : قطعه .

(٨) سمك : رفع . مجاشع : قوم الفرزدق . الحضيض : أسفل الجبل .

(٩) يحمم : يدخن فيه فيسوده . القين : الحداد ، يرمى الفرزدق بأن قومه حدادون .

(١٠) يذبل : جبل مشهور بنجد يشبه به مجده .

أَنِّى بَنَى لِى فى المَكارِمِ أَوَّلِى ... وَنَفَخْتَ كِيرَكَ فى الزَّمانِ الأَوَّلِ (١)
أَعيَتْكَ مأثُرَةُ القُيُونِ مُجاشِعٍ ... فانظُر لعلَّكَ تَدَّعى من نَهْشَلِ (٢)
وامْدَحْ سَراةَ بَنى فُقَيمٍ إنهمْ ... قَتَلُوا أَبَاكَ وثأرُه لم يُقْتَلِ (٣)
ودَعِ البَراجِمَ إنَّ شِرْبَكَ فيهمُ ... مُرٌّ مَذاقَتُه كَطَعْمِ الحَنظَلِ (٤)
إِنِّى انْصَبَبْتُ من السماءِ عليكُمُ ... حتى اختطَفْتُكَ يا فَرَزْدَقُ من عَلِ (٥)
مِن بَعدِ صَكَّتِيَ البَعيثَ كأنَّه ... خَرَبٌ تَنَفَّجَ مِنْ حِذارِ الأَجدَلِ (٦)
ولقد وسَمتُكَ يا بَعيثُ بِمِيسَمى ... وضَغَا الفَرَزْدَقُ تحت حَدِّ الكَلكَلِ (٧)
أنّى إلى جَبَلَىْ تَميمٍ مَعقِلى ... ومَحَلُّ بَيْتِى فى اليَفَاعِ الأَطوَلِ (٨)
أَحْلامُنَا تَزِنُ الجِبالَ رَزانةً ... ويَفُوقُ جَاهِلُنَا فِعَالَ الجُهَّلِ (٩)
فارجع إلى حَكَمَىْ قُرَيْشٍ، إنهم ... أهلُ النُّبُوَّةِ والكتابِ المُنْزَلِ (١٠)

---

(١) أوّلى : آبائى . (٢) مأثرة : مكرمة، أى لا فخر لك فى مجاشع . تدعى : تنتسب . نهشل ومجاشع : أخوان من تميم .

(٣) سراة : جمع سرى وهو الشريف . بنو فقيم : من دارم، الثأر : القاتل، وكان ذكوان الفقيمى سبب موت أبى الفرزدق، وقد عقر بعيرى أمه وأخته جعثن فى قصة طويلة .

(٤) البراجم : قوم من أولاد حنظلة بن مالك كما سبق . الشرب : هنا الحظ والنصيب .

(٥) عل : أعلى .

(٦) الصك : الضرب الشديد . الخرب : ذكر الحبارى طائر كالديك . تنفج : نفش ريشه خوفا . الأجدل : الصقر .

(٧) الكلكل : الصدر . الحدّ : الصلابة .

(٨) المعقل : الملجأ أو الجبل المرتفع، والمراد الشرف . اليفاع : ما ارتفع من الأرض .

(٩) الجاهل : السفيه .

(١٠) حكما قريش : هاشم وعبد مناف .

فَسَائِلْ إذا خرج الخِــدامُ وأُحمِشَتْ ... حربٌ تُضَرَّم كالحريق المُشْــعَلِ (١)
والخيل تَحِطُ بالكُماة ، وقــد رأَوْا ... لمعَ الرَّبِيئَــةِ فى النِّيَافِ العَيْطَلِ (٢)
أَبَنُــو طُهَيَّــةَ يَعْــدِلُون فوارسى ... وبنو خُضاف ، وذاك ما لم يُعْدَلِ (٣)
وإذا غَضِبتُ رمى وَرَائِى بالحَصى ... أبنــاءُ جَنْــدلَتِى كخَيْرِ الجنــدَلِ (٤)
عَمْرٌو وســعْدٌ يا فرزدقُ فيهِــمُ ... زُهْرُ النُّجُومِ وَبَاذِخاتُ الأَجْبُــلِ (٥)
كانَ الفــرَزْدقُ إذْ يَعُــوذُ بِخَالِه ... مِثْلَ الذليــل يَعُوذُ تحت القَرْمَلِ (٦)
وَافْخَــرْ بِضَــبَّةَ إِنَّ أُمَّك مِنْهُــمُ ... ليس ابنُ ضَــبَّةَ بالمُعِمِّ المُخْوِلِ (٧)
وقَضَتْ لنــا مُضَرٌ عليك بِفَضْلِنَا ... وقَضَتْ رَبِيعةُ بالقَضاءِ الفَيْصَــلِ (٨)
إن الذى سَمَكَ السَّماءَ بنَى لنَــا ... عِزًّا عَلاكَ فمــا لَه من مَنْقَــلِ (٩)
أَبْلِــغْ بنى وَقْبَانَ أَنَّ حُلُومَهُــمْ ... خَفَّتْ ، فَلَا يَزِنُونَ حَبَّــةَ خَرْدَلِ (١٠)

---

(١) الخدام : الفرس المحجل ، يعنى فى الغارة . أحمشت : أوقدت . تضرم : تشتعل .

(٢) تحط : تصوت من الإعياء والتعب . الكماة : جمع كمى : المدجج بالسلاح . الربيئة : طليعة الجيش . النياف : الطويل من الإبل . العيطل : الطويل العنق .

(٣) طهية : أم جماعة من تميم منهم مجاشع ونهشل ودارم . خضاف : هم بنو مجاشع .

(٤) الحصى : العدد الكثير . جندلة : بنت تيم الأدرم ، وهى أم يربوع قوم جرير .

(٥) عمرو وسعد : حليفا عشيرة جرير . زهر النجوم : النابهون . باذخ : عظيم . الأجبل : جمع جبل ، والمراد عظماء الرجال .

(٦) يعوذ : يحتمى . القرمل : شجر ضعيف بلا شوك ، ومنه المثل ذليل عاذ بقرملة .

(٧) ضبة : من طابخة أخوال الفرزدق . المعم : الكريم الأعمام ، والمخول : كريم الأخوال .

(٨) ربيعة ومضر : شعبا عدنان العظيمان . الفيصل : الفاصل بين الحق والباطل .

(٩) منقل : متحول وانتقال .

(١٠) وقبان : لقب مجاشع ، معناه الحمق . حلوم : جمع حلم : العقل والرزانة .

وقال يمدح عبد الملك بن مروان :

أتَصْحُو ، أمْ فُؤادُكَ غيرُ صاحِ عَشِـيَّةَ هَمَّ صحبُـكَ بالرَّواحِ (١)
تَقولُ العاذِلاتُ : عَلاكَ شَيْبٌ ! أهـذا الشيبُ يمنعنى مِراحى ؟ (٢)
يُكَلِّفنى فـؤادى من هَـواهُ ظعائنَ يجترعنَ على رِماحِ (٣)
ظعائنَ لم يَدِنَّ مع النَّصارى ولا يدرينَ ما سَمَكُ القُـراحِ (٤)
فبعضُ المـاء مَاءُ رَبابِ مُزْنٍ و بعضُ المـاءِ من سَبَخٍ مِلاحِ (٥)
سَيَكفيك العـواذلَ أرحَبِيٌّ هِجانُ اللون كالفَرد اللَّياحِ (٦)
يَعِـزُّ عَلَى الطريق بِمَنْكِبَيهِ كما ابترك الخليعُ على القِـداحِ (٧)

---

(١) تصحو : تترك الباطل . الرواح : الذهاب عشية . و يصح أن تكون أم بمعنى بل أى للإضراب .

(٢) المراح : الاختيال والتبختر .

(٣) الظعائن جمع ظعينة : المرأة فى الهودج ، يجتزعن بقدود كالرماح .

(٤) القراح : قرية بين النهر ، وربما كانت للنصارى .

(٥) الرباب جمع ربابة : السحابة البيضاء . المزن البرد أو السحاب ذو الماء . السبخ مفرده سبخة : أرض ذات نز وملح . ملاح : مالحة .

(٦) يكفيك : يكف عنك . أرحبي : جمل منسوب الى أرحب بطن من همدان . هجان : أبيض كريم . الفرد : الثور المنفرد ، واللياح : الأبيض ، أى سأستريح من العواذل بهذا الجمل أركبه الى الخليفة .

(٧) يعز : يشتد . ابترك : حنا للركب . الخليع : المقامر . القداح جمع قدح : سهم الميسر .

تعــزّت أمُّ حَزْرَةَ ثم قالتْ : رأيتُ الواردينَ ذوِى امتناح (١)
تُعــلِّلُ وهْى ســاغِبةٌ بَنيها بأنفــاسٍ من الشَّبِمِ القَــراح (٢)
سَأَمْتــاحُ البحـــورَ فجنِّبيني أَذاةَ اللــومِ وانتــظرِى امتياحِى (٣)
ثِقِى باللهِ ليسَ لــهُ شَــرِيكٌ ومن عنــدِ الخليفــةِ بالنجاح
أغِثْنِى — يا فِداكَ أبى وأُمِّى — بِسَيْبٍ منكَ ؛ إنكَ ذُو ارتيــاح (٤)
فإنِّى قــد رأيتُ علىَّ حقًّــا زِيارَتِىَ الخليفــةَ وامتِــداحى
سأشكُرُ انْ رَدَدتَ علىَّ رِيشى وأنبَتَّ القــوادِمَ فى جَناحِى (٥)
ألَستُمْ خيرَ مَنْ ركِبَ المَطَايا وأندَى العــالَمِينَ بُطونَ رَاح (٦)
وقَومٍ قــد سَموتَ لهم فـدانُوا بدُهْــمٍ فى مُلَمْلَمــةٍ رَداح (٧)
أبَحتَ حِمى تِهامةَ بعــد نَجــد وما شىءٌ حَمَيْتَ بمُستَبـاح (٨)

(١) أم حزرة : زوج جرير . امتناح : عطاء .

(٢) تعلل : تشغل وتلهى . ساغبة : جائعة . الشبم : البارد من الماء . القراح الصافى .

(٣) امتاح الماء : استقاه واستخرجه من البئر ، والمراد العطاء الذى يناله من عبد الملك بن مروان المشبه بالبحر عطاء .

(٤) السيب : العطاء . ذو ارتياح أى الى الكرم .

(٥) القوادم جمع قادمة : الريش فى مقدم الجناح وهى كبار الريش وضدها الخوافى . والمراد إن أعززتنى .

(٦) المطايا : جمع مطية . الراح جمع راحة : بطن الكف .

(٧) سموت لهم : خرجت اليهم محاربا . دانوا : خضعوا . دهم : خيل سود ، الواحد أدهم . الململة : الكثيرة المجتمعة . رداح : كتيبة ثقيلة .

(٨) أبحت : حللت . الحمى : ما يحميه الإنسان ويمنعه إشارة الى حروبه فى بلاد العرب .

لَكُمْ شُمُّ الجبالِ من الرواسى وأعظمُ سَيلٍ مُعْتلجٍ البِطاح (١)

دعوتَ الملحدين أبا خُبَيب جِماحًا هل شُفيتَ من الجِماح (٢)

فقد وَجَدوا الخليفةَ هِبْرِزِيًّا أَلَفَّ العِيصِ ليسَ من النواحى (٣)

فما شَجَراتُ عِيصِكَ فى قُرَيشٍ بِعَشَّاتِ الفُروعِ ولا ضَواحى (٤)

رأى الناسُ البَصيرةَ فاستقامُوا وَبيَّنَتِ المِراضُ من الصِحاحِ (٥)

(١٣) وقال عُبيد الله بن قَيس الرُّقَيَّات (٦) يمدح عبد العزيز بن مروان :

لم يَصْحُ هذا الفؤادُ من طَرَبِهْ وميلِهِ فى الهوى وفى لَعِبِهْ (٧)

أهلًا وسهلًا بمن أتاكَ من الرَّ قَّةِ يسرى اليكَ فى سُخُبِهْ (٨)

---

(١) شم الجبال : أعاليها . اعتلجت الأرض : طال نبتها ، والأمواج : التطمت . البطاح : جمع بطحاء مسيل واسع فيه حصى دقيق . يشير الى عظم سلطانه .

(٢) الملحد : المائل عن الدين الطاعن فيه . أبو خبيب عبد الله بن الزبير الخارج على بنى أمية . جماحا : نافرين . والاستفهام تقريرى .

(٣) هبرزيا : أسدا . والهبرزى : الأسوار من أساورة الفرس . ألف : كثير ملتف . العيص : الشجر الكثير أو الأصل . النواحى : البعداء . والمعنى أنهم وجدوك ذا بأس كريم الأصل .

(٤) عشات الفروع : لثيات أصول نبتها . ضواح : بمات ظلها لعدم الورق .

(٥) البصيرة أيضا : العبرة والفطنة . وبينت : تبينت المراض جمع مريض : الباطل والمعوج ، ضده الصحيح .

(٦) عبيد الله بن قيس الرقيات القرشى من شعراء الغزل والسياسة نشأ فى قريش حريصا على سيادتهم ناقما على بنى أمية اعتزازهم باليمن متنصرا لابن الزبير ، حتى اذا قتل واستقر الحكم للأمويين اطمأن اليهم وكان أول أمره مطاردا من الخلفاء يتنقل مختفيا بين الكوفة والمدينة حتى نال الأمان ولزم عبد العزيز ابن مروان والى مصر إلى أن مات سنة ٧٥ هـ . وابن الرقيات سهل الشعر رقيق المعانى ولا سيما فى الغزل والرثاء وقد يرجع ذلك الى مزاجه الصافى والى الموضوعات التى يعالجها .

(٧) يصحو : يفيق . الطرب : الاهتزاز فرحا . يصف فؤاده بالعشق والهيام

(٨) الرقة : بلدة على الفرات . وأخرى غربى بغداد وغيرهما . السخب : جمع سخاب قلادة من قرنفل وغيره . والخطاب فى البيت لنفسه او لفؤاده ملتفتا إليه . ومن أتاه من الرقة هو طيف الحبيب .

بَاتَتْ بِحُلوانَ تَبْتَغِيكَ كما ... أرسل أهلُ الوليدِ فى طَلَبه (١)

فَدَلّهَا الحُب فاشتفيتَ كما ... تَشفِى دماءُ الملوكِ من كَلَبِه (٢)

سَقْيًا لِحُلوانَ ذِى الكُروم وما ... صُنِّفَ من تِينه ومن عِنَبِه

نَخلٍ مواقيرَ بالفِناء من الـ ... بَرْنِىِّ غُلْبٍ يَهتزُّ فى شَرَبه (٣)

أَسْوَدُ سُكّانه الحَمام فما ... تَنفكُّ غِربانُه على رُطَبِه

لِتَهْنِه مصرُ والعراقُ وما ... بالشأم من بَزِّه ومن ذَهَبِه (٤)

فيهم بَهاءٌ اذا أتيتَهُمُ ... ونائل لا يَغِيضُ من حَلَبِه (٥)

أَثْنِ على الطيِّبِ ابن ليلى اذا ... أَثْنَيْتَ فى دِينه وفى حَسَبِه (٦)

من يَصدقُ الوعدَ والقتالَ ويخـ ... ـشى اللهَ فى حِلْمه وفى غَضَبِه (٧)

وَمَن تُفيضُ الندى يداه وَمن ... يَنتَهِبُ الحمدَ عند مُنتَهَبِه (٨)

أُمُّكَ بيضاءُ من قُضاعةَ فى الـ ... ـبيت الذى يُستظَلُّ فى طُنُبِه (٩)

---

(١) حلوان مصر هى المرادة هنا . تبتغيك : تطلبك . الوليد : الصبى .

(٢) الكلب : داء عضة الكلب يشفى بدماء الملوك فى زعمهم .

(٣) مواقير : جمع موقر . النخلة الثقيلة الحمل . البرنى : التمر . غلب جمع غلباء : الحديقة المتكائفة . الشرب حوض صغير حول النخلة يسع ريها .

(٤) تهنه : تسره . البز : الثياب ؛ من الكتان والقطن .

(٥) بهاء : حسن وظرف . نائل : عطاء . يغيض : ينقص . حلب : لبن محلوب أو استخراج ما فى الضرع . والمراد العطاء الدائم .

(٦) ابن ليلى : الممدوح . الحسب : الشرف .

(٧) يصدق القتال : يظهر بسالة فيه . (٨) ينتهب الحمد : يسبق اليه .

(٩) قبيلة عظيمة تنسب الى قحطان أحيانا والى عدنان أخرى . الطنب : حبل يشد به سرادق البيت والمراد يحتمى به .

وأنتَ فى الجوهرِ المهذَّب من   عَبـدِ منافٍ، يداكَ فى سَبَبه (١)

يَخْلُفُكَ البيضُ من بَنِيـكَ كما   يُخلَف عودُ النُّضارِ فى شُـعَبِه (٢)

لَيْسُوا من الخِروع الضَّعيف كما   جَلَّت صُقُورُ الصُّلَيب من حَدَبِه (٣)

نحنُ على بَيعــةِ الرسولِ وَمَا   أُعطِىَ مِن عُجمِـه ومِن عَرَبِه (٤)

بِهـا نُصِرنَا على العــدُو ونَرْ   عَى الغَيبَ فى نأيِه وفى قُربِه (٥)

نأتِى اذا ما دَعوتَ فى الحَلَقِ الـ   ـمَاذِى أبــدانه وفى جَبَبِـه (٦)

نُهدى رِعالًا أمامَ أرعَنَ لا   يُعرف وجهُ البَلْقاءِ فى لَجَبِــه (٧)

فيهــم كُرَيْبٌ يقــود حمــيرَ لا   يَعدِل أهلُ القضاء عن خُطَبِه (٨)

وعارضٌ كالجبال من مُضر الـ   ـحمراء يَشفِى ذَا العُرِّ من جَرَبِه (٩)

وابنـا نِزارٍ اذا هُمـا اجتمعا   لم يَتركـا هاربًا على هَرَبِه (١٠)

---

(١) الجوهر : الطبيعة والجبلة . عبد مناف أصل بنى أمية . السبب : الحبل .

(٢) النضار : الأثل أو الطويل المستقيم الغصون . الشعب : الغصون .

(٣) الخروع : نبت معروف يعظم قرب المياه . الصليب : جبل . حدبه : أعلاه . أى ليسوا مستضعفين فيستذلهم قوى . بل هم كالجبل تنظر من قمته الطيور .

(٤) ما أعطى : أى على العهد الذى عاهده جميع الناس عليه .

(٥) نرعى الغيب : نحفظ العهد .

(٦) الحلق : جمع حلقة وهى الدرع . الماذى : الدرع اللينة أو السلاح كله . الجبب جمع جبة : وهى من السنان ما دخل فيه الرمح .

(٧) رعال جمع رعلة : القطعة من الخيل أو البقر . الأرعن : الجيش الكثيف . البلقاء : بلد بالشام . والمراد أننا نجيب دعوتك لنا بجيش ضخم يساعدك .

(٨) كريب : يطلق على جماعة من الأشراف والعلماء والمقصود واحد بعينه .

(٩) العارض : الجيش . مضر الحمراء : هو مضر بن نزار أبو قبيلة عدنانية تعرف به . العر : الجرب والمراد الزيغ .

(١٠) ابنا نزار ربيعة ومضر .

وقال من قصيدة يمدح مصعب بن الزبير ويفتخر بقريش :

حبّذا العَيشُ حين قَوْمى جَميعٌ … لم تُفرِّقْ أمورَها الأَهْــواءُ

قبل أن تطمع القبائل فى ملـ … ـك قُريشٍ وتَشمَتَ الأعداء

أيُّها المشتهى فَناءَ قُريشٍ … بيَــدِ اللهِ عُمرُها والفَناءُ

إنْ تُودِّع من البِلادِ قُريشٌ … لا يكُنْ بعدَهمْ لحىٍّ بَقاء (١)

لو تقفّى وتَتْرُكُ النـاسَ كانوا … غنمَ الذئبِ غابَ عنها الرِّعاء (٢)

هــل تَرى من مُخَلَّدٍ غير أَن الـ … ـلهَ يَبقَى وتذهبُ الأشــياء

يأمُلُ الناسُ فى غدٍ رُغَبَ الدهـ … ـرِ، ألا فى غدٍ يكون القضاء (٣)

لم نَزَلْ آمِنينَ يحسُدنا النا … سُ ويجرى لنا بذاك الثَّراءُ (٤)

فرضينا، فَمُتْ بدائك غمًّا … لا تُميتَنَّ غــيرَكَ الأدواءُ

لَو بَكتْ هــذه السماءُ على قو … مٍ كِرامٍ بكت علينا السماء

* * *

إنمـا مُصعبٌ شهاب من اللـ … ـهِ تجلّتْ عن وجههِ الظَّلْمـاء (٥)

مُلكه مُلكُ قُوَّة ليس فيـــه … جَــبَروتٌ ولا بِهِ كِبرِياء

يتّقى اللهَ فى الأمور وقــد أفـ … ـلَحَ من كان همَّه الاتِّقاء

* * *

عينُ فابكى على قريش وهل يُر … جِعُ ما فات إن بكيتِ البكاءُ

---

(١) تودع : تهلك . البلاء : الغم والوهن .

(٢) تقفى : تذهب . الرعاء : جمع راع . يقول لو ذهبت قريش كان الناس كالغنم تكون طعمة الذئاب اذا تركها الرعاة .

(٣) رغب الدهر : رغائبه . (٤) الثراء : الخير .

(٥) الشهاب : الكوكب . تجلت : انكشفت .

مَعْشَرٌ حَتْفُهُم سيوفُ بَنِي العَـ ـلَّاتِ يخشَون أن يضيعَ اللّواء (١)
تركَ الرأسَ كالثَّغَامَة مِنِّي نَكَبَاتٌ تَسرِى بها الأَنْبَاء (٢)
مثلُ وقعِ القَدُوم حلَّ بِنَا فالنـ ـاسُ مما أصابَنا أَخْلاءُ (٣)
ليسَ لِلهِ حُرمةٌ مثلُ بَيتٍ نحن حُجّابُه عليه المُلاء (٤)
خَصَّهُ اللهُ بالكرامةِ فالبا دُون والعاكِفُونَ فيه سواءُ (٥)
حَرقتْه رِجَال لَخْمٍ وعَكٌّ وجُذامٌ وحِميرٌ وصُداءُ (٦)
فَبَنَيناه بعدَ ما حَرَّقوه فاستوَى السَّمك واستقلَّ البناء (٧)
كَيفَ نَرمِي على الفِراشِ ولَمَّا يَشْمل الشأمَ غارةٌ شَعْوَاءُ (٨)
تُذهِلُ الشيخَ عنْ بَنيهِ وتُبدِى عن بُراها العقيلةُ العَذْراء (٩)

---

(١) الحتف : الموت . بنو العلات : الأقارب . والأصل فيهم بنو أمهات شتى من أب واحد . يقول : إن قريشا منقسمة على أنفسها فى سبيل الملك ، فمن هلك منها فبيد بنيها .

(٢) الثغامة : شجرة بيضاء الزهر ، أى أشيب . تسرى : تسير ليلا .

(٣) أخلاء جمع خلو : أى خالٍ أى ليس عليهم وزر فيما نحن فيه من شقاق .

(٤) الحرمة : المهابة والذمة وما لا يحل انتهاكه . الملاء جمع ملاءة : الريطة والثوب يلبس على الأفخاذ .

(٥) العاكف : المقيم فى المسجد . البادى : من هو خارجه ، والمراد من فى مكة وخارجها .

(٦) لخم وجذام وصداء وحمير من اليمن وعك من نزار .

(٧) السمك : السقف والقامة من كل شىء طويل ثخين . استقل : ارتفع .

(٨) غارة شعواء : حملة متفرقة ، يقصد حرب الأمويين وكانت دمشق الشام حاضرتهم .

(٩) تذهل : تنسى . البرى : حلقات السوار والقرط والخلخال ، المفرد برة . العقيلة : الكريمة المخدرة من النساء . العذراء : البكر . ولا تسفر البكر إلا وقت الهول والفزع .

أَنَا عنكُمْ بَنِي أُمَيَّةَ مُزْوَرٌّ ، وَأَنتمْ فى نفسىَ الأعداء (١)
إنّ قتلَى بالطَّفِ قد أوجعتْنِي كانَ منكمْ لئن قُتِلتمْ شفاء (٢)

وقال يمدح عبد الملك بن مروان :

عَادَ لَهُ مِن كَثيرةَ الطَّربُ فعينُه بالدُّموع تَنْسكِبُ (٣)
كُوفِيَّةٌ نازِحٌ مَحلَّتُها لَا أَمَمٌ دَارُها ولا صَقَبُ (٤)
واللهِ ما إن صَبَتْ إلَىَّ ، ولا يُعلَمُ بيْنِي وبيْنَها سَبَبُ (٥)
إلَّا الذى أَوْرثتْ كَثيرةُ فى الْ قَلْب ، وللحُبِّ سَوْرةٌ عَجَبُ (٦)
لا باركَ اللهُ فى الْغَوانى فَمَا يُصْبِحْنَ إلا لَهُنَّ مُطَّلَبُ (٧)
أَبْصَرْنَ شَيْبًا عَلَا الذُّوابَةَ فى الرَّ أسِ حديثًا كأنه الْعَطَبُ (٧)
فَهُنَّ يُنْكِرْنَ مَا رأيْنَ ، وَلَا يُعْرَفُ لِي فى لِدَاتِيَ اللَّعِبُ (٩)
ما ضَرَّهَا لو غدا بحاجتنا غَادٍ كَريمٌ أو زائرٌ جُنُبُ (١٠)

---

(١) مزور : مائل وكاره .

(٢) الطف : موضع قرب مكة دار فيه القتال بين بنى أمية والزبيريين . وترى فى الأبيات حدبه على قريش عامة وكرهه بنى أمية وذلك قبل استقرار الحكومة فيهم .

(٣) كثيرة : امرأة آوت الشاعر بالكوفة حين أهدر الخليفة دمه . تنسكب : تسيل .

(٤) نازح محلتها : بعيد منزلها . أمم : قريبة . صقب : مجاورة .

(٥) صبت : حنت . سبب : صلة .

(٦) سورة : حدة . (٧) مطلب : مطلب وحاجة .

(٨) الذوابة : الناصية : شعر مقدم الرأس . العطب : الهلاك .

(٩) ينكرن : يعبن . لداتى : أقرانى ، جمع لدة .

(١٠) غاد : مبكر . جنب : غريب أو صاحب سفر — يريد ما يضرها لو زرتها .

لم يأتِ عن رِيبـــةٍ وأجْشَمَه الْـ ـحبُّ فأمسى وقلبـــه وَصِبُ (١)
يا حبَّـــذا يَـــثْرِبٌ ولذّتُهـــا من قبـــلِ أنْ يَهْلِكوا ويَحْترِبوا (٢)
وقبْـــل أَنْ يخـــرُجَ الذين لَهُمْ فِيهـــا السَّـــنَاءُ العظيمُ والحَسَب (٣)
بَغتْ عَلَيْهِـــمْ بِهـــا عَشـــيرَتُهُمْ فَعُوجِلُوا بالجَـــزَاء واطُّلِبُـــوا (٤)

(١٤) قَطرىّ بن الفُجاءة (٥)

قال فى الحماسة :

لا يرْكَنَـــنْ أحدٌ إلى الإحْجَـــام يوم الوَغَى مُتَخوِّفًا لِحِمَـــامِ (٦)
فلَقَـــد أرانى للرِّماح دَرِيئَـــةً مِنْ عَنْ يَمِينِى مَرَّةً وأَمَامِى (٧)
حتى خَضَبْتُ بمـــا تَحَدَّرَ مِنْ دَمِى أَكْنافَ سَرْجِى أو عِنَانَ لِجَامِى (٨)

---

(١) ريبة : تهمة . أجشمه : كلفه النصب . وصب : مريض .

(٢) يثرب : المدينة . يحتربوا : يتحاربوا ، والضمير يعود على حزب ابن الزبير والذين حاربوهم من الأمويين ، وكان الشاعر زبيريا أكثر حياته .

(٣) السناء : الرفعة . الحسب : الشرف .

(٤) بغت : عدت . اطلبوا : أخذوا .

(٥) هو قطرى بن الفجاءة المازنى من زعماء الخوارج الشعراء والخطباء ، قضى مدة طويلة فى حروب مع الأمويين حتى قتل بطبرستان سنة ٧٩ هـ .

(٦) الإحجام : التراجع . الوغى : الحرب . الحمام : الموت .

(٧) الدريئة : الحلقة يتعلم الطعن والرمى عليها .

(٨) تحدر : سال . أكناف ، جمع كنف : الجانب . العنان : سير اللجام .

ثم انْصَرفتُ، وقد أَصَبْتُ ولم أُصَبْ   جَذَعَ البَصيرةِ قارِحَ الإقدامِ (١)

وقال :

أقولُ لها وقد طارَتْ شَعاعًا   من الأبطالِ : وَيْحَكِ! لَن تُراعِي (٢)

فإنكِ لو سألتِ بَقاءَ يومٍ   على الأَجَلِ الذى لكِ لم تُطاعِي (٣)

فصَبْرًا فى مَجالِ الموت صَبْرًا   فما نيلُ الخلودِ بمُستَطاعِ (٤)

ولا ثوبُ البقاءِ بثوبِ عِزٍّ   فيُطوَى عنْ أخى الخَنَعِ اليَراعِ (٥)

سبيلُ الموت غايةُ كلِّ حَىٍّ   فداعيهِ لأهلِ الأرضِ داعِ (٦)

ومن لا يُعتَبَطْ يَسأمْ ويهرمْ   وتُسلِمْه المَنُونُ الى انقِطاعِ (٧)

وما للمرءِ خيرٌ فى حَياةٍ   إذا ماعُدَّ من سَقَطِ المَتاعِ (٨)

---

(١) جذع : شاب . البصيرة : العقل والفطنة والحجة . القارح من ذى الحافر : ماشق نابه وطلع ، والمراد القوى .

(٢) لها : لنفسه . طارت شعاعا : تبددت من الخوف . ويحك ! : رحمة لك منصوبة بإضمار فعل . تراعى : تفزعى .

(٣) الأجل : غاية العمر .

(٤) مجال الموت : ميدانه .

(٥) الخنع : اللين ، وبالضم الذل . اليراع : الجبان .

(٦) داعى الموت : سببه من فناء العمر .

(٧) يعتبط : يموت شابا . تسلم : تترك .

(٨) سقط المتاع : رديئه .

(١٥) وقال عمران بن حطان(١) أحد شعراء الخوارج يخاطب روح بن زنباع لما دعاه لمقاتلة عبدالملك بن مروان، فارتحل تاركاً له هذه الأبيات.

يا رَوحُ كم مِن أخي مَثْوًى نزلتُ به ... قد ظَن ظَنَّكَ من لَخمٍ وغَسَّانِ(٢)

حتى إذا خِفتُه فارقتُ منزلَه ... من بعدِ ما قيلَ: عِمرانُ بن حِطّان!(٣)

قد كنتُ جارَك حولًا ما تُرَوِّعُني ... فيهِ رَوائعُ من إنسٍ ومِن جانِّ(٤)

حتى أردتَ بيَ العُظمى فأدركني ... ما أدرَكَ الناسَ من خَوفِ ابنِ مَرْوانِ(٥)

فاعذِر أخاكَ (ابنَ زِنباع) فإنّ لَه ... في النّائباتِ خُطوبا ذاتَ ألوانِ(٦)

يومًا يَمانٍ إذا لاقيتُ ذا يَمَنٍ ... وإنْ لَقيتُ مَعَدِّيًا فَعَدْنانِي(٧)

لو كنت مستغفِرًا يوما لطاغيةٍ ... كنتَ المقدّمَ في سِرِّي وإعلاني(٨)

لكنْ أبتْ لِيَ آياتٌ مُطَهَّرةٌ ... عندَ الوِلايةِ في طهَ وعمرانِ(٩)

---

(١) نشأ عمران بن حطان السدوسي بالبصرة حيث تعلم وتأدب، وأصبح شاعرا مجيدا صادقا في شعره دينا ورعا. ثم اعتنق مذهب الشراة من الخوارج فطارده الحكام. وأخذ يتنقل بين العراق والشام وعمان متخفيا حتى مات بالكوفة سنة ٨٩ هـ. ولشعره منزلة سامية لصدق الشعور وحسن الأداء وقوة العقيدة.

(٢) المثوى: منزل الضيافة. أخو: صاحب. ظن ظنك: رأى في رأيك من أني رجل هين. لخم وغسان من اليمن من كهلان.

(٣) أي من بعد ما عرفته حقيقتي تركته. (٤) تروعني: تفزعني.

(٥) العظمى: لقاء عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي. وكان حربا على الخوارج.

(٦) الخطوب: جمع خطب، الأمر العظيم.

(٧) يمان: أي أنا يمان أنتسب الى اليمن. وكان عمران أثناء هربه ينتسب لمن ينزل به بما يلائمه فهو عند ابن زنباع أزدي، وعند زفر بن الحارث أوزاعي. (٨) الطاغية: الجبار.

(٩) أبت: منعتني الاستغفار لك. آيات جمع آية: كلام من القرآن منفصل بفاصل لفظي. الولاية: السياسة. طه وعمران: سورتان في القرآن. وكان الخوارج يعتقدون أن غيرهم على ضلال.

وقال يخاطِب زُفَر بن الحارث الكلابى ، وكان قد نزل به بعد روح بن زِنباع مُخفيا نسبه؛ فلما حاول زفر معرفته هرب وخلَّف له رُقعة فيها :

إنّ التى أصبحتْ يَعيَا بها زُفَرٌ ... أَعْيَتْ عَياءً على رَوحِ بنِ زِنباعِ (١)

ما زالَ يَسألُنى حَولًا لِأُخبِرَه ... والناسُ من بينِ مخدوعٍ وخَدّاعِ (٢)

حتى إذا انقطعَتْ عنِّى وسائلُه ... كَفَّ السؤالَ ولم يُولَع بإهلاعِ (٣)

فاكفُف كما كفَّ عنى إنّنى رَجُل : ... إمّا صَميمٌ ، وإما فَقْعَةُ القاعِ (٤)

واكفُف لسانَك عَنْ لَومِى ومسألَتى ... ماذا تُريد إلى شيخٍ لأَوْزَاعِ ! (٥)

أما الصلاةُ فإنى غيرُ تارِكها ... كُلُّ امرئٍ للذى يُعنَى به ساعِ (٦)

أكرِم بِرَوح بن زِنباعٍ وأُسرتِهِ ... قومٌ دعا أَوَّليهم للعُلا دَاعِ (٧)

جَاوَرتُهم سَنةً فيما أُسَرُّ به ... عِرضى صحيحٌ ونومى غيرُ تَهْجاعِ (٨)

فاعمَل ، فإنك مَنْعِىٌّ بِواحدةٍ ... حَسبُ اللبيبِ بهذا الشيبِ من ناعِ (٩)

---

(١) يعيا بها : يعجز عنها . أعيت عليه : أعجزته . والمراد معرفة ذاته .

(٢) مخدوع : مصدق ما أقول . خداع : ماكر محتال .

(٣) الوسائل جمع وسيلة : السبب . يولع بالشيء : يحبه ويتعلق به جدا . إهلاعى : إفزاعى .

(٤) صميم : خالص النسب الى قومه . الفقعة : الكمأة البيضاء لاعروق لها ولا أغصان . القاع : أرض سهلة . فقعة القاع : لا أصل له .

(٥) الأوزاع : الجماعات . وبطن من همدان

(٦) يعنى به : يهتم به .

(٧) أوليهم جمع أول : أى آباءهم ، فهم أمجاد .

(٨) فيما أسر به : من الأنس والكرم . تهجاع : نوم خفيف .

(٩) منعى : مخبر بوفاتك . حسب : يكفى . ناع : مخبر . هذا : فاعل . الشيب : بدل .

وقال يرثى أبا بلال مِرداس بن أدَيّة من الخوارج :

لقد زادَ الحياةَ إليّ بُغْضًا ... وحُبًّا للخُروج أبُو بِلال (١)

أحاذِرُ أن أَموتَ على فِراشي ... وأرجُو الموتَ تحت ذَرَا العَوالى (٢)

ولو أنّى علِمتُ بأنّ حَتْفِي ... كَحَتْفِ أبى بلالٍ لم أُبَال (٣)

فمَن يَكُ همُّه الدنْيا فإنّى ... لها واللهِ ربِّ البيت قَالِي (٤)

وقال فيه أيضا :

ياعينُ بَكّى لِمِرْداسٍ ومَصرَعِهِ ... يَاربَّ مِرداسٍ اجعلنِي كمرداسِ (٥)

تركْتَنِي هائمًا أبكى لِمَرزِئَتى ... فى مَنزِلٍ مُوحِشٍ من بَعدِ إيناسِ (٦)

أنكرتُ بعدَك ما قد كنتُ أعرِفُهُ ... ما الناسُ بعدكَ يامِرداسُ بالناسِ (٧)

---

(١) الخروج : الانضمام الى الخوارج فى القتال .

(٢) ذرا : ظل . العوالى : جمع عالية ، أعلى القناة .

(٣) الحتف : الموت .

(٤) قال : كاره .

(٥) المصرع : الطرح على الأرض ، يقصد قتله .

(٦) هائما : حائرا . المرزئة : المصيبة العظيمة .

(٧) أنكرت الشيء : أبغضته لأنه تغير الى حال سيئة .

إمّا شربْتَ بكأسٍ دارَ أَوّلُها ، على القُرون فذاقُوا جُرْعةَ الكأسِ (١)
فكُلُّ من لم يَذُقْها شارِبٌ عجِلًا منها بأنفاسِ وِرْدٍ بعدَ أنفاسِ (٢)

(١٦) قال الطِّرِمّاح بن حَكيم من الخوارج : (٣)

وإنى لَمُقتادٌ جَوادِى وقاذِفٌ به وبنفسى العامَ إحدَى المقاذِفِ (٤)
لِأكسِبَ مالًا أوأؤُولَ إلى غِنًى من اللهِ يكفينى عُداةَ الخلائف (٥)
فيارَبِّ إن حانتْ وفاتِى فلا تكُنْ على شَرْجَعٍ يُعْلَى بخُضْرِ المطارِف (٦)
ولكنّ قبْرِي بَطنُ نَسْرٍ مَقِيلُه بجوِّ السماءِ فى نُسورٍ عواكف (٧)
وأُمسِى شهيدًا ثاوِيًا فى عِصابةٍ يُصابُون فى فجٍّ من الأرض خائف (٨)

---

(١) جرعة : بلعة . إما مركبة من أن الشرطيسة وما الزائدة ، والبيت التالى دليل الجواب أى فلا تحزن .

(٢) أنفاس : جمع نفس . الورد : الماء الذى يورد والمقصود الموت .

(٣) الطرماح بن حكيم الطائى شامى النشأة يجيد الفخر والمديح ، ورد الكوفة فى جيوش الشام ، واتصل بأحد الشراة من الخوارج ، فدعاه هذا الى مذهبه حتى اعتقده أشد اعتقاد وأصحه ومات خارجيا سنة ١٠٠ ﻫ .

(٤) مقتاد : قائد . قاذف : رام . المقاذف : الأماكن البعيدة .

(٥) أؤول : أصير . عداة : جمع عاد وهو العدو . الخلائف : جمع خليفة . وكان خلفاء بنى أمية حربا على الخوارج .

(٦) حانت : قربت . الشرجع : السرير أو النعش . المطارف : جمع مطرف : رداء من خز مربع ذو أعلام .

(٧) مقيله : موضع قيلولته . عكفت الطير حول القتيل : استدارت .

(٨) ثاويا : مقيما . العصابة : الجماعة من الرجال أو الخيل أو الطير . الفج : الطريق الواسع بين جبلين . خائف : واق أو مخوف .

(١٧) قال الكُميت فى بَنِى هَاشم : (١)

طَرِبتُ وما شوقًا الى البيضِ أطرَبُ ... ولا لَعِبًا منّى وذو الشَّيبِ يَلْعَبُ ؟ (٢)

ولم يُلهِنِى دارٌ ولا رَسمُ مَنزِلٍ ... ولم يَتَطرّبْنِى بنَانٌ مُخَضَّبُ (٣)

ولا أنا مِمَّن يَزجُرُ الطيرَ همّه : ... أَصاحَ غُرابٌ أم تعرّضَ ثَعلبُ (٤)

ولا السانِحاتُ البارِحاتُ عَشِيّةً ... أَمَرَّ سَليمُ القَرنِ أم مرّ أَعْضَبُ (٥)

ولكن إلى أهلِ الفَضائِلِ والنُّهى ... وخيرِ بَنِى حَوَّاءَ، والخيرُ يُطلَبُ (٦)

إلى النَّفَرِ البيضِ الذين بِحُبِّهم ... إلى اللهِ فيما نَالَنِى أَتَقرّبُ (٧)

بَنِى هَاشِم رهطِ النبي ؛ فإنَّنِى ... بِهِم وَلَهُم أَرضَى مِرارًا وأَغضَبُ (٨)

---

(١) كان الكميت بن زيد الأسدى شاعرا خطيبا نشأ فى الكوفة وتأدب على علمائها وأخذ عن الأعراب وعالج الشعر حتى نبه شأنه واتصل بالولاة والهاشميين يمدحهم وينال جوائزهم . وقد لقى فى سبيل مذهبه الشيعى والعدنانى بلاء كثيرا وتوفى سنة ١٢٦ هـ . وتلمح فى شعر الكميت آثار الحفظ الكثير لأشعار سابقيه مع سبك حسن وإخلاص لرأيه حتى أثار الفتنة بين عدنان وقحطان وفتح للشيعة طريق مناظرة خصومهم بالشعر كما ترى ذلك فى هذه القصيدة التى نشرحها .

(٢) البيض : جمع بيضاء يريد النساء . اللعب : العبث .

(٣) رسم : أثر . يتطربنى : يحملنى على الطرب .

(٤) الزجر : الاستدلال بأصوات الحيوان وحركاته وأحواله على الحوادث المستقبلة .

(٥) السانحات جمع سانح : الطير يمر من اليسار الى اليمين وهذا فأل حسن عند العرب . البارحات : عكس السانحات . الأعضب : المكسور القرن . يقول فيما سبق : ليست تعنينى هذه الأمور التى تشغل الناس والشعراء وإنما همى أهل الفضائل الخ .

(٦) النهى جمع نهية : العقل .

(٧) البيض : المشهورون من الأشراف .

(٨) الرهط : القوم والقبيله .

خفضتُ لهـم منّى جناحَىْ مودّةٍ إلى كَنَفٍ عِطفاهُ أهـلٌ ومرحبُ(١)

وكنتُ لهـمْ من هؤلاءِ وهؤلَا مِجَنًّا عـلى أنّى أُذَمُّ وأُقصَبُ(٢)

وأُرْمَى وأَرْمِي بالعـداوةِ أهلَهـا وإنى لأُوذَى فيهـمُ وأُؤَنَّبُ

فما ساءنى قول آمرئٍ ذى عداوةٍ بعوراءَ فيهـمْ يجتـدينى فأُجذَب(٣)

فقُـل للذى فى ظِل عمياءَ جَونةٍ: ترى الجَور عدلا أين (لا أين) تذهبُ!(٤)

بأىِّ كتاب أم بأية سُـنّةٍ ترى حُبّهـمْ عاراً علىّ وتحسب؟(٥)

* * *

يُشـيرون بالأيدى إلىّ وقولهُـم: ألا خابَ هذا، والمشيرون أخيبُ

فطائفـةٌ قد كفّرتْنى بحُبِّكمْ وطائفـةٌ قالوا: مُسِيءٌ ومُذنب

فما ساءَنِى تكفير هاتيـكَ منهـم ولا عيبُ هاتيـك التى هىَ أعيَبُ

يَعيبوننى من خِبهم وضـلالهم على حُبِّكمْ بل يَسخرون وأَعجَبُ(٦)

وقالوا: تُرَابِىٌّ هَـواهُ ورأيه، بذلك أُدعى فيهـمُ وأُلَقَّبُ(٧)

على ذاك إجرِيّاىَ، فيكم ضَريبتى ولو جَمعوا طُـرًّا علىّ وأجلَبُـوا(٨)

(١) الكنف: الجانب والظل. عطفاه: جانباه، أى أهل لى مرحبون بى.

(٢) المجن: الترس وما يتقى به. أقصب: أشتم.

(٣) العوراء: الكلمة أو الفعلة القبيحة. يجتدينى: يطلب منى اتباعه.

(٤) عمياء: ضلالة. جونة: سوداء.

(٥) كتاب: قرآن. سنة: كلام الرسول، والمراد بأى حق.

(٦) الخب: الخبث.

(٧) ترابى نسبة الى على بن أبى طالب الملقب بأبى تراب

(٨) اجرياى: خلق. طبيعتى: سنتى. ضريبتى: طبيعتى. أجلبوا: جمعوا الجموع أو توعدوا بالشر.

وأحمـلُ أحقادَ الأقارب فيكـمُ ... ويُنصَبُ لِي فى الأَبعدين فأنصَبُ(١)

بِخَاتَمِكم غصـبًا تجوزُ أمورُهم ... فلم أر غصـبًا مثـلَه يُتَغَصَّبُ(٢)

بحقكُم أمست قُـريشٌ تقُـودنا ... وبالفَـذِّ منهـا والرديفَين تركَبُ(٣)

إذا اتَّضَعونا كارهينَ لبَيعـةٍ ... أَنَاخُوا لأخرى والْأَزِمَّةُ تُجـذَبُ(٤)

رِدافًا علينـا لم يُسِـيمُوا رَعيّـةً ... وهَمُّهـمُ أن يَمْتَرُوها فَيَحلُبُـوا(٥)

لِيَنْتِجوها فِتنـةً بعـد فِتنـةٍ ... فَيَفْتَعِـلُوا أفـلاءَها ثم يَركبوا(٦)

أَقارِبُنـا الأدنَون منـكم لِعـلّة ... وساستُنا منهـم ضِباع وأَذْؤُبُ(٧)

لنَـا قائـدٌ منهـم عَنِيفٌ وسائقٌ ... يُقَحِّمُنا تلكَ الجـرائمَ مُتعبُ(٨)

---

(١) نصب له : عاداه وحاربه .

(٢) الخاتم : مايختم به الملك أو سواه . تجوز : تسير وتنفذ يتغصب : يغتصب . يقول : إنهم يحكمون الناس بحكم الذى اسلبوه .

(٣) الفذ : الفرد وأول سهام الميسر . الرديفان : مثنى رديف وهو كل ما تبع شيئا أو الراكب خلف الراكب . والمعنى أنها تحكم مطمئنة وإن كانت دخيلة فى الحكم بلا حق .

(٤) اتضعونا : حكمونا وأصله اتضع البعير خفض رأسه ليضع قدمه على عنقه فيركب . أناخوا لأخرى : دبروا لمسألة أخرى . الأزمة : جمع زمام . والمعنى والأمور تسير .

(٥) ردافا : متتابعين . يسيم الماشية : يخرجها إلى المرعى . يمترى الناقة : يمسح ضرعها للدر . والمعنى أنهم (بنى أمية) يحكمون الناس لينعموا بخيرات الملك دون أن يعنوا بصالح الرعية .

(٦) نتج الفرس : عنى بها حتى تضع . افلاء جمع فلو : الجحش أو المهر الصغير . افتعل : اختلق . والمعنى أنهم يدبرون الفتن ليحكموا .

(٧) أذؤب جمع ذئب .

(٨) يقحم الفرس راكبه : يرميه على وجهه . وقحمه فى الأمر : أدخله فيه من غير روية . الجرائم جمع جرثومة . وهى الأصل أو قرية النمل . متعب : صفة سائق (الخليفة) .

وقالُوا : ورِثنَـاها أبانا وأمَّنـا ، وَمَا ورَّثتْهـمْ ذاكَ أُمٌّ ولا أبُ!(١)
يَرون لهم حَقًّا على النـاسِ واجِبـاً سَـفاهًا ، وحقُّ الهاشِميِّين أوجَبُ(٢)

(١٨) قال جَميل بنُ مَعْمَر(٣) :

ألا ليْت أيامَ الصـفاءِ جَـديدُ ودَهْرًا توَلى يا بُثَيْنَ يعـود
فنغنَى كما كُنّا نكونُ وأنتمُ صـديقٌ وإذ ما تبذُلين زهيـدُ (٤)
وما أنْسَ مِ الأشياءِ لا أنْسَ قوْلَهَا وقـد قرَّبتْ نِضوِى أمِصْرَ تُريدُ؟ (٥)
ولا قولَهـا : لولا العُيونُ التي ترَى أتيتُك ، فاعذِرْنى . فَدَتْك جُدُودُ! (٦)
خليلَيَّ ما أُخْفِي من الوجْدِ ظاهِرٌ ودمعى بمـا أُخفِى الغَداةَ شَهيـدُ (٧)
ألا قد أرَى واللهِ أنْ رُبَّ عَبْرةٍ إذَا الدّارُ شـطَّتْ بيْنَنـا سَتَزيدُ (٨)

---

(١) ورثناها : أى الخلافة . (٢) سفاها : جهلا وباطلا

(٣) يعد جميل بن عبد الله بن معمر العذرى مثال الغزل البدوى العفيف ، نشأ فى البادية وأحب ابنة عمه بثينة ، وعرف بها ، وقال فيها شعرا كثيرا يدل على شعور صادق وحب عفيف طاهر . وقد لقى فى سبيل حبه العنت والنفى حتى لجأ الى مصر أيام ولاية عبد العزيز بن مروان حيث مات سنة ٨٢ هـ وشعره جميل حسن الأسلوب يجمع بين السهولة والرصانة ويعده النقاد فى البادية نظير عمر بن أبى ربيعة فى الحاضرة وكلاهما حجازى خضعا لعوامل متقاربة .

(٤) نغنى : نقيم . نكون : نوجد . ما تبذلين : أى ما تنيلين من الوصل .

(٥) م الأشياء : من الأشياء . النضو : المهزول من الحيوان : يريد ناقته . يقول مهما أنس من شىء فلست أنسى قولها لى وقد قربت ناقتى أتريد مصر .

(٦) الجدود جمع جد بالفتح : وهو أبو الأب تدعو له بالسلامة وتفتديه بالأهل .

(٧) الوجد : الحب الشديد . الغداة : ما بين الفجر وطلوع الشمس .

(٨) العبرة : الدمعة أو الحزن من غير بكاء . شطت : بعدت . أى سيكثر بكائى إذا افترقنا . ستزيد خبر عبرة والجملة خبر أن المخففة .

إذا قلتُ : مَابِي يا بُثَيْنَـــةُ قاتِلِي ... من الحُبِّ ! قالتْ : ثابِتٌ ويَزِيدُ ! (١)

وإن قُلْتُ : رُدِّى بعضَ عَقْلِي أَعِشْ بِهِ ... مع الناسِ ، قالت : ذاكَ منكَ بَعِيدُ

فلا أنا مَرْدُودٌ بمـا جئتُ طالِبًا ... ولا حُبُّهـا فيما يَبِيـــدُ يَبِيـــدُ (٢)

جَزَتْكِ الجَوازِى يا بُثَيْنَ مَلامَةً ... إذا ما خليــلٌ بانَ وهُوَ حَمِيــدُ ! (٣)

وقُلتُ لهـا : بَيْنِي و بَيْنَكِ فاعْلَمِي ... من الله ميثاق لَهُ وعُهُـودُ

وقــد كان حُبِّيكُمْ طَرِيفًـا وتالِدًا ... وما الحُبُّ إلا طارِف وتليدُ (٤)

و إنَّ عَروضَ الوصلِ بيني و بَيْنَها ... و إنْ سَهَّلَتْه بالمُنَى لَصَعُودُ (٥)

فأَفْنَيْتُ عَيْشِي بانتظارى نَوالَهـا ... وأَبْلَيْتُ ذاكَ الدَّهرَ وهْوَ جَدِيدُ

***

أَلَا لَيْتَ شِـعْرِى هل أَبِيتَنَّ ليلةً ... بِوادِى القُــرَى إِنِّى إذًا لَسَـعِيدُ (٦)

وهل أَهْبِطَنْ أرْضًا تَظَلُّ رِياحُهَا ... لهـا بالثَّنَايا القَاوِيات وَئِيــدُ (٧)

---

(١) أى إذا قلت لها إن الحب سيقتلنى قالت : إنه باق ، وسيزيد أيضا

(٢) أى فلم أنل ما طلبت من بعض عقلى ولا الحب يفنى لأستريح .

(٣) الجوازى : جمع جازية وهى المكافئة . يقول : اذا جوزى الأحبة بالثناء عليهم وقت الفراق فليس لك فى نفسى الا العتب واللوم والبيت فى الأصل جملة دعائية

(٤) الطريف : الجديد ، وضده التليد .

(٥) العروض : الطريق فى عرض الجبل . صعود : مرتفع . والمعنى أن الوصل صعب المنال مهما تسهله بالوعود .

(٦) وادى القرى : بالحجاز شمالى المدينة . ليت شعرى : أى ليتنى أعرف ، جواب هذا الاستفهام المذكور بعد . يتمنى المبيت بهذا الوادى حيث كان يقيم الأحبة .

(٧) الثنايا جمع ثنية : وهى طـريق فى الجبل أو الجبل نفسه . القاويات : الخاليات . وئيد : صوت شديد . أى هل أحيا ثانية فى تلك الأرض الخالية التى تعزف فيها الرياح حيث كنت أعيش ناعما بالهوى العذرى .

وهل أَلْقَيَنْ سُعْدَى من الدَّهرِ مرَّةً ... وما رَثَّ مِن حبل الصَّفاءِ جَدِيد (١)

وقد تَلْتَقِي الأهواءُ مِن بعدِ يأسَةٍ ... وقد تُطْلَبُ الحاجاتُ وهيَ بَعِيدُ

وهل أزجُرَنْ حَرْفًا عَلاةً شِمِلَّةً ... بخَرْقٍ تُبَارِيها سَوَاهِمُ سُودُ (٢)

على ظَهْرِ مَرْهوبٍ كأن نُشُوزَهُ ... إذا جازَ هُلَّاكُ الطريق رُقُودُ (٣)

سَبَتْنِي بِعَيْنَيْ جُؤْذُرٍ وسْطَ رَبْرَبٍ ... وصَدْرٍ كفاثُور اللُّجَيْنِ وجِيدُ (٤)

فَمَن يُعْطَ في الدُّنيا قَرِينًا كَمِثْلِها ... فذلك في عَيْشِ الحياةِ رَشِيدُ (٥)

يموت الهَوَى مِنِّي إذا ما لَقِيتُها ... ويحيا إذا فارقْتُها فَيَعُودُ

يقولون: جاهِدْ يا جميلُ بِغَزْوَةٍ ... وأيَّ جِهادٍ غيرَهُنَّ أُرِيدُ؟

لِكُلِّ حديثٍ بَيْنَهُنَّ بَشَاشَةٌ ... وكُلُّ قَتِيلٍ بَيْنَهُنَّ شَهِيدُ (٦)

ومن كان في حُبِّي بُثَيْنَةَ يَمْتَرِي ... فَبَرْقاءُ ذِي ضَالٍ عليَّ شَهِيدُ (٧)

ألم تَعْلَمِي يا أُمَّ ذِي الوَدْعِ أنَّنِي ... أُضاحِكُ ذِكْراكُمْ وأنتِ صَلُودُ (٨)

---

(١) رث: بلى. ما مبتدأ خبره جديد.

(٢) أزجر الناقة: أصيح بها لتسرع. الحرف: الناقة الضامرة أو المهزولة أو العظيمة. العلاة: الناقة الطويلة. والشملة: السريعة. الخرق: القفر والأرض الواسعة تتخرق فيها الرياح. تباريها: تسابقها. سواهم: جمع ساهمة وهي الناقة الضامرة.

(٣) مرهوب: طريق مخوف. نشوز جمع نشز: المكان المرتفع. رقود: نيام. هلاك الطريق: الذين ضلوه. رقود خبر كأن. (٤) سبتني: أسرتني. الجؤذر: ولد البقرة الوحشية. الربرب: القطيع من بقر الوحش. الفاثور: الطست والجفنة. اللجين: الفضة. الجيد: العنق وهو بالرفع على أنه مبتدأ خبره (لها) محذوف.

(٥) القرين: الصاحب، والزوج. رشيد: موفق. (٦) بشاشة: سرور وبهجة.

(٧) يمترى، يشك. البرقاء: أرض غليظة ذات حجارة ورمل وطين أو كل شيء فيه سواد وبياض. وبرقاء ذى ضال إحدى برق بلاد العرب، يتخذ من مواقفه فيها شاهدا على حبه الشديد.

(٨) ذو الودع: طفلها يعلق عليه الودع وقاية، وهو محار صغير أبيض معروف. صلود: بخيلة.

(١٩) وقال عمر بن أبي ربيعة : (١)

قال لي صاحبي ليعْـلمَ ما بي: أتُحِبُّ القَتُولَ أُختَ الرَّبابِ؟ (٢)
قلتُ: وَجْدِي بها كَوجدِكَ بالعذْ ب إذا ما مُنِعْتَ طَعْمَ الشَّرابِ (٣)
مَنْ رَسُولي الى الثُّرَيَّا بأنِّي ضِقْتُ ذَرْعا بهجرها؟ والكِتابِ! (٤)
أزْهَقَتْ أُمُّ نَوْفَـلٍ إذْ دَعَتْهَـا مُهجتي، ما لِقاتِلي من مَتابِ (٥)
حين قالت لها: أجِيبي! فقالَتْ: مَنْ دعاني؟ قالت: أبو الخطَّابِ (٦)
فأجابت عنـد الدُّعَاءِ كما لبَّـ ى رجالٌ يرجون حُسْنَ الثَّوابِ (٧)
أبْرَزُوهَا مِثْـلَ المَهَاةِ تَهَـادَى بَيْنَ خَمْسٍ كَوَاعِبٍ أتْرَابِ (٨)

---

(١) ولد أبو الخطاب عمر بن أبي ربيعة القرشي بالمدينة في بيت ترف ومجد متأثرا بالطبيعة الحجازية الرقيقة وبعوامل سياسية واقتصادية أنضجت الغزل والغناء بالحجاز . فكان عمر غزلا زعيم الغزلين جميعا . يمتاز شعره بسلاسة الأسلوب والافتنان في الغـزل ولا سيما نوعه القصصي الذي تناول به نساء الأشراف في مواسم الحج وغيره حتى تأذى به الناس ونفاه عمر بن عبد العزيز لذلك وكانت وفاته سنة ٩٣ هـ .

(٢) القتول : القاتلة . الرباب : جمع ربابة : وهي السحابة البيضاء ، وبها سميت المرأة .

(٣) كوجدك بالعذب الخ : أي كشوقك الى المـاء العذب حين تعطش جدا .

(٤) الثريا بنت علي : إحدى صواحبات الشاعر . ضقت ذرعا بهجرها : لا أحتمله . والكتاب : أيقسم به .

(٥) أزهقت : أهلكت . مهجتي : روحي . (٦) أبو الخطاب : كنية الشاعر .

(٧) أي أجابت إجابة الحاج يبغي الجزاء الجميل .

(٨) المهاة : البقرة الوحشية . تهادى : تمشي متمايلة . الكواعب جمع كاعب : وهي الفتاة الناهدة الثدي . أتراب : جمع ترب ، وهو من ولد معك ، فهو في سنك .

وهي مَكْنونةٌ تحيَّرَ منها ... في أَدِيمِ الخدَّينِ ماءُ الشباب (١)
دُميةٌ عندَ راهبٍ ذي اجتهادٍ ... صَوَّروها في جانبِ المحراب (٢)
ثم قالوا : تُحبُّها؟ قلتُ بَهْرًا ! ... عَددَ النجمِ والحصى والتراب ! (٣)
حين شَبَّ القتولَ والجيد منها ... حُسنُ لونٍ يَرِفُّ كالزرْياب (٤)
أذكرتني من بهجةِ الشمسِ لما ... طَلَعتْ مِن دُجُنَّةٍ وسَحاب (٥)
فارْجحنَّتْ في حُسنِ خَلقٍ عَميمٍ ... تَتهادى في مَشيِها كالحُباب (٦)
غَصبتني مُجاجةُ المِسكِ عقلي ... فسلُوها ماذا أحلَّ اغتصابي (٧)
قلَّدوها من القرنفُل والدرِّ ... سِخاباً واهاً لَه من سِخاب (٨)

وقال :

أَلَمْ تسأل الأطلالَ والمُتربَّعا ... ببطنِ حُلَيَّاتٍ دوارسَ بَلقعا (٩)
إلى الشَّرْيِ من وادي المغمَّس بُدِّلتْ ... معالمُه وَبْلا ونكباءَ زعزعا (١٠)

(١) مكنونة : مصونة مستورة . تحير : اجتمع وتردد . أديم الخدين : بياضهما أو صفحتهما . ماء الشباب : رونقه وبهجته . (٢) الدمية : الصورة البديعة . الراهب : المنقطع للعبادة المحراب : القبلة أو صدر البيت . (٣) بهرا : حبا قويا . (٤) شبها : زاد في حسنها ، وأظهر جمالها . يرف : يلمع . الزرياب : الذهب . (٥) البهجة : الحسن . الدجنة : الظلمة .

(٦) ارجحنت : مالت واهتزت : عميم : تام . الحباب : الحية . تهادى : تمايل .

(٧) مجاجة المسك : ينتشر منها أريجه . (٨) السخاب : قلادة من قرنفل وغيره . القرنفل : نبات طيب الرائحة . واها له : عجبا من حسنه على جيدها .

(٩) الاطلال جمع طلل : وهو الشاخص من آثار الديار . المتربع : مكان إقامة الربيع . بطن حليات : موضع يظهر أنه قرب مكة . دوارس جمع دارس : أي زائل . بلقعا : قفرا . دوارس بلقعا حالان من الأطلال والمتربع . (١٠) الشرى : النخيل . المغمس : موضع بطريق الطائف . معالمه : معاهده جمع معلم . الوبل : المطر الشديد . النكباء : ريح انحرفت عن مهب الرياح . زعزعا : شديدة . يقول : تلك الأطلال بناحية هذا الوادي الذي بدلت بمعالمه أمطار ورياح .

فيبخلن أو يخبرن بالعلم بعد ما ... نكأن فؤادًا كان قِدمًا مُفجعا(١)

بهند وأتراب لهند إذ الهوى ... جميعٌ وإذ لم نخش أن يتصدعا(٢)

وإذ نحن مثل الماء كان مزاجه ... كما صفّق الساقى الرحيق المشعشعا(٣)

وإذ لا نطيع العاذلين ولا نرى ... لواش لدينا يطلب الصرم مطمعا(٤)

تنوعتن حتى عاود القلب سقمه ... وحتى تذكرت الحديث المودعا(٥)

فقلت لمطريهن بالحسن : إنما ... ضررت ، فهل تسطيع نفعًا فتنفعا؟(٦)

وأشريت فاستشرى وإن كان قد صحا ... فؤادٌ بأمثال المها كان موزعا(٧)

وهيّجت قلبًا كان قد ودّع الصبا ... وأشياعه ، فاشفع عسى أن تشفّعا(٨)

لئن كان ماحدّثت حقًا فما أرى ... كمثل الألى أطريت فى الناس أربعا(٩)

فقال : تعال انظر . فقلت : وكيف بى ... أخاف مقاما أن يشيع فيشنعا؟(١٠)

---

(١) نكأ الجرح : قشره قبل برئه فندى . مفجعا : موجعا بهند وأترابها .

(٢) جميع : مجتمع . يتصدّع : يتفرّق .

(٣) مزاجه : ما يمزج به . صفق : حول الشراب ممزوجا من إناء الى آخر ليصفو . الرحيق : الخمر أو أفضلها . المشعشع : الممزوج . يقول : كنا ممتزجين امتزاج الماء بالخمر فى الشدّة والصفاء .

(٤) العاذلون جمع عاذل : وهو اللائم . الواشى : النمام . الصرم : القطيعة .

(٥) تنوعتن : توصفن . أى أن كلا وصفت لصاحبتها ما تراه فيها من المحاسن . سقم القلب : مرضه من الحب . المودّع : الماضى .

(٦) المطرى : المادح المبالغ . ضررت : باذكاء الغرام فى نفسى . النفع هنا : صلته بهنّ .

(٧) أشريت فؤادى : حركته الى الهوى فتحرّك . صحا : ترك الباطل . موزعا : مولعا .

(٨) الصبا : جهلة الفتوة . الأشياع : جمع شيعة بالكسر وهى الفرقة . تشفع : تقبل شفاعتك فيصلنى .

(٩) أربع نسوة : أى لا أجد فى الناس أربع نسوة كاللواتى وصفت جمالا .

(١٠) مقاما : إقامة معهن . يشنع : يقبح .

فقالَ : اكتفِلْ، ثم التثِم، فأْتِ باغيا   فسلّم، ولا تُكثر بأن تتورّعا(١)

فإنى سأُخفى العينَ عنكَ فلا تُرَى   مخافةَ أن يَفْشُو الحديثُ فيُسمَعا

فأقبَلْتُ أهوِى مثلَ ما قالَ صاحبِي   لِموعِدِه أُزْجى قَعُودًا مُوقَّعا(٢)

فلمَّا تواقفْنا، وسلَّمتُ أشرقَتْ   وُجوهٌ زهاها الحسنُ أن تتقنّعا(٣)

تبالهْنَ بالعِرفانِ لمّا عرفنَني   وقُلْنَ : امرُؤٌ باغٍ أكَلَّ وأوضعا(٤)

وقرّبْنَ أسبابَ الهَوى لمُتيَّمٍ   يَقيس ذِراعا كُلَّما قِسنَ إصبَعًا(٥)

فلمَّا تنازعْنا الأحاديثَ قُلن لِي :   أخِفتَ علينا أن نُغَرَّ ونُخدعا؟(٦)

فبالأمسِ أرسلنا بذلك خالدًا   إليكَ، وبيّنّا لهُ الشأنَ أجمعا(٧)

فما جئتَنا إلا علَى وَفقِ مَوْعِدٍ   علَى ملإٍ منّا خرجْنا له معا(٨)

---

(١) اكتفل : استتر بالكفل وهو فى الأصل كساء يدار حول سنام البعير. التثم : اتخذ اللثام : وهو ما كان على الأنف وما حوله من ثوب أو نقاب . باغيا : طالبا . تورّع : تحشم .

(٢) أهوى : أسرع . أزجى : أسوق . القعود من الإبل : ما يقتعده الراعى فى كل حاجة . الموقع : الذى ظهرت به آثار الدبر لكثرة ما حمل عليه .

(٣) تواقفنا : تقابلنا . زهاها الحسن : استخفها الجمال . أن تتقنع : عن أن تلبس القناع فأسفرت معجبة بجمالها .

(٤) تبالهن : ادّعين البله، وهو الغفلة . العرفان : المعرفة . باغ : طالب . أكل : أعيا وتعب . أوضع : حمل ناقته على السير السريع .

(٥) المتيم : الذى دلّهه الحب .

(٦) تنازعنا : تبادلنا .

(٧) الشأن أجمعا : الأمر جميعه أى رسمنا له الخطة

(٨) الوفق : المطابقة . الملأ : الجماعة .

رأينَا خَلاء من عُيونٍ ومجلسًا دَميث الرُّبا سهلَ المَحَلَّةِ مُمرِعا(١)
وقُلنَ : كريمٌ نالَ وصلَ كرائمٍ فحُقّ لهُ في اليومِ أن يتمَتّعا

وقال :

لَيْتَ هِنْدًا أنجزَتْنا ما تعِدْ وشَفَتْ أنفُسَنا مِمّا نَجِدْ(٢)
واسْتَبدَّتْ مَرَّةً واحِدةً إنّما العَاجِزُ من لا يَستَبِدّ
زَعَمُوهَا سألتْ جارَاتِها وتَعَرَّتْ ذاتَ يومٍ تَبْتَرِد :(٣)
أَكَمَا يَنعَتُنِي تُبصِرْنَني؟ عَمْرَكُنَّ اللهَ ! أم لا يَقْتَصِد !(٤)
فَتَضَاحَكْنَ ، وقدْ قُلْنَ لهَا : حسن في كلِّ عَيْنٍ مَنْ تَوَدّ !(٥)
حَسَدًا حُمِّلْنَهُ من شَأنِها وَقَدِيمًا كانَ في النّاس الحَسَد

---

(١) الدميث : اللين ذو الرمل . الربا : جمع ربوة ، وهي ما ارتفع من الأرض . ممرع : مخصب .

(٢) أنجزتنا ما تعد : وفت بوعدها . مما نجد : أي من الوجد .

(٣) تبترد : قصب الماء البارد على رأسها .

(٤) ينعتني : يصفني . عمركن الله : أي أذكركن الله . يقتصد : يعتدل ، فلا يبالغ .

(٥) أي أن من تحبه تعتقد أنه حسن لدى جميع الناس .

غادةٌ تَفْــتَرُّ عنــ أشنبِهــا ‏ حينَ تجــلُوه أقاحٍ أو بَرَد (١)
ولهــا عينــانِ فى طرفَيْهِــمَا ‏ حَوَرٌ منها، وفى الجيــدِ غَيَــد (٢)
قلتُ: مَن أنتِ؟ فقالتْ: أنا مَنْ ‏ شَــفَّهُ الوجْدُ، وأبلاهُ الكَمَــد (٣)
نحنُ أهلُ الخَيْفِ من أهل مِنًى ‏ ما لِمقْتُــولٍ قتلنــاهُ قَــوَد (٤)
قلتُ: أهــلًا! أنتمُ بُغْيَتُنــا، ‏ فتَسمَّيْنَ! فقالَتْ: أنا هِنــد! (٥)
إنَّمــا ضُــلِّل قلبِى فاحتَــوى ‏ صَــعْدَةً فى سَابِرِىٍّ تطَّــرِد (٦)
إنمــا أهــلُكِ جِيرانٌ لنَــا ‏ إنمــا نحنُ وهُمْ شىءٌ أحَــد (٧)
حَــدَّثونا أنَّهَــا لِى نَفَثَتْ ‏ عُقَدًا، يا حبَّــذا تلك العُقَد! (٨)
كُلَّمــا قلتُ: متى ميعَادُنا؟ ‏ ضحِكتْ هندٌ، وقالتْ: بَعدَ غد!

---

(١) الغادة: المرأة اللينة. تفتر: تظهر. الأشنب: الفم فى أسنانه ماء ورقة وعذوبة. تجلوه تكشفه. الأقاح: جمع أقحوان وهو البابونج البرى من نبات الربيع له نور أبيض. البرد: ماء الغمام يسقط جامدا.

(٢) الحور: شدة سواد العين مع شدة بياضها. الجيد: العنق. غيد: نعومة.

(٣) شفه الوجد: أهزله الحب. الكمد: الحزن الشديد.

(٤) الخيف: ناحية من منى عند مكة. القود: القصاص.

(٥) بغيتنا: مطلبنا.

(٦) ضلل: صار ضالا لا يهتدى. احتوى: اشتمل. الصعدة: القناة تنبت مستقيمة لا تحتاج الى مثقف، شبه بها محبوبته فى اعتدال قدها. السابرى: الثوب الرقيق الجيد. تطرد: تمشى مستقيمة.

(٧) شىء أحد: أى شىء واحد.

(٨) نفثت عقدا: سحرتنى، والنفث: النفخ، والعقد تكون من خيوط وينفث فيها قصد السحر.

(٢٠) قال كُثَيِّر عزة [١] :

خليليَّ هـذا رَبعُ عَزةَ فاعقِلا قلوصيكما ثم ابكيا حيثُ حلَّت [٢]
وما كنتُ أدرِي قبلَ عزَّةَ ما الهوى ولا مُوجِعاتِ الحزنِ حتى تولَّتِ
فقد حلَفتْ جَهدا بما نَحرتْ لهُ قُريشٌ غداةَ المأزمين وصلَّت [٣]
أُناديكِ ما حجّ الحجيجُ وكبّرت بِفَيْفَا غزالٍ رُفقةٌ وأَهلَّت [٤]
وكانَتْ بقطعِ الحبَلِ بيني وبينها كناذرةٍ نذْرا فأوْفت وحلّت [٥]

(١) لم يكن لكثير بن عبد الرحمن من المكانة فى الشرف والشعر الغزلى ما كان لجميل أو عمر أو سواهما من الغزلين ؛ فقد كان فيما يظهر دعيا فى الحب غير مرغوب فيه لقبح صورته وهوان شخصيته فوق نفاقه السياسى وتردّده بين الشيعة و بنى أمية ، أخذ يشهر بعزة بنت حميد الضمرى حتى عرف بها وكانت وفاته سنة ١٠٥هـ . وما بقى من شعر كثير يدل على أسلوب جيد وصنعة حسنة وان كان لا يبلغ فى صدق الشعور مبلغ أضرابه الغزلين .

(٢) الربع : الدار . عقل البعير : شدّ وظيفه الى ذراعه (قيده) . القلوص : الناقة الشابة أو الطويلة القوائم . يدعو صاحبيه المزعومين الى المكث عند ربع صاحبته والبكاء عنده وفاء لها .

(٣) الجهد : الطاقة . حلفت جهدا : بالغت فى اليمين . نحرت : ذبحت الضحايا . المأزم ، و يقال المأزمان : مضيق بين جمع وعرفة وآخر بين مكة ومنى . والمعنى أقسمت بالله لتقطعنى .

(٤) أناديك : أجالسك من النادى والندىّ وهما المجلس كما فى الأمالى . الحجيج : جمع حاج وهو قاصد مكة للنسك . فيفاء الغزال : مكان بمكة لا ماء فيه . الرفقة : مثلثة الراء : الأصحاب . أهلت : رفعت أصواتها بالتلبية والدعاء .

(٥) الحبل : الوصل . أوفت النذر : أدّته ولم تغدر . حلت : خرجت من عهدته لما أوفته .

فقلتُ لها : يا عزَّ كلُّ مُصيبةٍ إذا وُطّنتْ يوماً لها النفسُ ذلّت (١)
ولم يَلقَ إنسان من الحُب مَيْعةً تعُمّ ولا غمّاءَ إلا تجلّت (٢)
كأنى أنادى صخرةً حين أعرضَت من الصُّمّ لو تمشى بها العُصم زلّت (٣)
صَفوحًا فما تلقاكَ إلا بَخيلةً فمن ملّ منها ذلكَ الوصلَ ملّت (٤)
أباحتْ حِمًى لم يَرْعَه الناسُ قبلَها وحلّتْ تِلاعًا لم تكنْ قبلُ حُلّت (٥)
فليتَ قَلوصى عندَ عَزةَ قُيّدت بحبلٍ ضعيفٍ غُرَّ منها فضلّت (٦)
وغُودِرَ فى الحىّ المقيمينَ رَحلُها وكانَ لها باغٍ سِواى فبلّت (٧)
وكنتُ كذى رِجلَينِ رجلٍ صحيحةٍ ورجلٍ رَمَى فيهَا الزمان فشلّت (٨)
وكنتُ كذاتِ الظّلع لما تحامَلت على ظَلعِها بعد العثار استقلّت (٩)

(١) وطنت : مهدت وأعدّت . ذلت : سهلت ولانت .

(٢) الميعة : الشدّة وأوّل الشيء وأصله . الغماء : الكرب تجلت : انكشفت وزالت .

(٣) الصم : جمع أصم : الصلب . العصم : جمع أعصم وهو الوعل فى ذراعيه أو إحداهما بياض وسائره أسود أو أحمر . زلت : زلقت يقول : لما أعرضت عنى لا تجيب ندائى كأنى أدعو صخرة صلبة عظيمة ملساء لا تستقر عليها الوعول .

(٤) الصفوح : المرأة المعرضة الهاجرة . بخيلة بالوصل : لا تبذله .

(٥) الحمى : ما يحمى ويدفع عنه والمراد قلب الشاعر الذى احتلته . يرعاه الناس يدخلون اليه . التلاع : جمع تلعة وهى الأرض المرتفعة أو المنخفضة ، و يريد أنها ملكت عليه نفسه بالحب حين لم يستطع ذلك سواها

(٦) غر منها : قطع .

(٧) رحل الناقة : ما يوضع على ظهرها كالسرج . باغ : طالب . بلت:نجت وذهبت .

(٨) رمى فيها الزمان : أصابها بالتلف . شلت : قطعت أو يبست

(٩) الظلع : العيب والغمز فى المشى . تحاملت على ظلعها . تكلفت الناقة السير على رغمها . استقلت : استقام مشيها . يتمنى لو أتيح له ما يعطل سفره فيبقى مع عزة .

أُريدُ الثواءَ عِنـدها ، وأظنُّها ... إذا ما أطلْنا عندها المكثَ مَلَّت (١)
فما أنصفتْ : أما النساءَ فبغَّضت ... إلَيَّ ، وأمّا بالنوالِ فَضَنَّت (٢)
فإن تكن العُتْبَى فأهلًا ومرحبًا ! ... وحقَّت لها العُتبَى لدينا وقلّت (٣)
وان تكُن الأخرى فإنَّ وراءنا ... مَنادِحَ لو سارت بها العيسُ كَلَّت (٤)
خليليّ إن الحاجِبيّةَ طلَّحت ... قلوصيكما وناقتي قد أكلّت (٥)
فوالله ثم اللهِ ما حَلَّ قبلَها ... ولا بعدَها مِن خُلةٍ حيث حَلَّتِ
وما مرَّ مِن يومٍ عليَّ كيومِها ... وإن عظُمت أيامُ أخرَى وجَلَّت
وأضحتْ بأعلَى شاهقٍ من فؤادِه ... فلا القلب يسلاها ولا العينُ ملَّتِ (٦)
فيَاعجبًا للقلبِ كيفَ اعترافُهُ ... وللنفس لمّا وُطِّنت كيفَ ذلَّت (٧)
وإنى وتَهيامِي بِعزةَ بعدَ مَا ... تخلّيتُ مما بيننَا وتخلَّت (٨)
لكا لمرتجِى ظِلَّ الغمامَةِ كلّما ... تبوّأ منها لِلْمَقِيلِ اضمحلّتِ (٩)

---

(١) الثواء : الاقامة . (٢) ضنت : بخلت .

(٣) العتبى : الإعتاب ، يقال عاتبنى فلان فأعتبته إذا نزعت عما عاتبنى عليه . أى إذا عدلت عن القطيعة والصد سررنا وأعتبناها كذلك . قلت : أى هى شىء قليل محتمل .

(٤) الأخرى : يقصد القطيعة والهجر . المنادح : الواسعة البعيدة من الأرض . العيس : الإبل البيض يخالط بياضها شقرة . كلت : أعيت من السير .

(٥) طلحت : أكلت وأتعبت . والحاجبية : لعله لقب عزة .

(٦) الشاهق : المرتفع من الجبال والأبنية وغيرها .

(٧) اعترافه : صبره . يريد قوة صبره على أهوال الحب . وخضوع نفسه لو يلاته .

(٨) التهيام : كالجنون من العشق . تخلى من الشىء : تركه .

(٩) الغمامة : السحابة أو البيضاء خاصة . تبوأ المكان : نزل فيه . المقيل : النوم نصف النهار . اضمحلت : انقشعت . يشبه تعلقه بعزة بعد القطيعة باللاجئ الى ظل سحابة ، ووجه الشبه الطمع فى غير مطمع .

كأنّي و إياها سحابةُ مُمحلٍ ... رجاها فلمّا جاوزته استهلّت (١)

فإن سأل الواشون : فيم هجرتَها ... فقل : نفسُ حرٍّ سُلّيت فتسلّت!

(ج) النـثر

(١) من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم

كتب الى هرقل ملك الروم :

من محمد رسولِ اللهِ الى هِرَقْل عظيمِ الرومِ ، سلام على مَن اتّبعَ الهُدى . أما بعدُ فإنّي أَدعوك بدعايةِ الإسلامِ ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤتِك اللهُ أجْرَك مرّتين . فإنْ تولّيْتَ فإنّ عليك إثمَ الأَرِيسِيّين (٢) . و يا أَهل الكتابِ تعالَوْا إلى كلمةٍ سواءٍ بيننَا و بينكم ألّا نعبُدَ إلا اللهَ ولا نُشرِكَ به شيئًا ولا يَتّخذَ بعضُنا بعضًا أرْبابًا مِن دُونِ اللهِ فإنْ تولّوْا فقُولُوا اشهدُوا بأنّا مُسلمُون .

وكُتِبَ فى صلح الحُدَيْبِيَة (٣) بينه و بين قريش :

باسمِكَ اللّهُمّ ، هذا ما صالحَ عليهِ محمدُ بنُ عبدالله ، سُهَيْلَ بْنَ عمرٍو ، اصطلحا على وَضْعِ الحربِ عَنِ الناسِ عَشْرَ سِنينَ ، يَأمَنُ فيهِنَّ النّاسُ و يَكُفُّ بعضُهم عن بعض على أنّ مَنْ أتَى محمدًا مِن قُريش بغَيرِ إذْنِ وَلِيّهِ رَدّهُ عليهِمْ ، ومن جاء قريشًا مِمّن مع

---

(١) المحل : المجدب يعوزه المطر . جاوزته : بعدت عنه . استهلت : أمطرت .

(٢) الأريسيون : الفلاحون والعمال لأنهم تبع لساداتهم وكبرائهم .

(٣) الحديبية : قرية صغيرة بينها و بين مكة مرحلة نزل بها النبي عليه السلام سنة ست للهجرة قاصدا مكة لزيارة الكعبة معتمرا فأرادت قريش منعه الدخول مخافة العار و بعد تراسل بينهما تصالحا على ما فى هذه الصحيفة .

محمد لم يردُّوه عليه ، وأن بيننا عَيْبَةً مَكْفُوفةً(١)، وأنه لا إسْلَالَ ولا إغْلَالَ(٢) ، وأنه مَن أحب أن يدخل فى عَقْد محمد وعَهْدِهِ دخل فيه ، ومن أحَبَّ أن يدخل فى عَقْد قُريش وعهدهم دخل فيه ، وأنك تَرْجِعُ عنّا عامَك هذا فلا تَدخُل علينا مكة ، فإذا كان عام قابل خَرَجْنَا عنها فَدَخَلْتَهَا بأصحابك ، فأقمتَ بها ثلاثاً ، وإنَّ مَعكَ سلاحَ الرَّاكب والسُّيُوفَ فى الرُّكب ، فلا تَدْخُلها بِغيرِ هَذا .

خطبته يوم فتح مكة

وقَفَ على بَاب الكعبة ثم قالَ :

لَا إِلَهَ إِلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ ، صدق اللهُ وَعْدَه(٣) ، ونَصَرَ عَبْدَه وهزم الأحزَابَ وحدَه ، أَلَا كُلُّ مأْثَرَةٍ أو دَمٍ أو مالٍ يُدَّعَى فهو تحت قَدَمَيَّ هَاتين(٤) : إلا سدانة البيت وسقاية الحاجّ(٥) ، ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا فيه الدية مُغَلَّظَةً فيها أربعون خَلِفَةً(٦) ، فى بطونها أولادُهَا . يَا معْشَر قُريش إنَّ اللهَ قد أذهب عنكم نَخْوَةَ(٧) الجاهلية وتَعظُّمَهَا بالآباء . الناس من آدمَ وآدمُ خُلِق من تُرابٍ . ثم تلا هذه الآية : ﴿ يأيها النَّاسُ إنَّا خلقناكم من ذَكرٍ وأُنثَى وجعلناكُمْ شُعُوبا وقبائلَ لتعارَفُوا إن أكرمكم عندَ الله أتقاكم إنَّ اللهَ عليمٌ خبيرٌ ﴾ .

---

(١) العيبة : موضع السر أو الخريطة للابس والمراد الأمن .

(٢) الإسلال : السرقة الخفية والرشوة . الإغلال : الخيانة .

(٣) ماوعدهم به من فتح مكة وهزيمة الأحزاب أعدائه .

(٤) المأثرة : الجميل . الدم : القتل .

(٥) سدانة الكعبة : خدمتها . سقاية الحاج وسدانة الكعبة : كانا من عمل الهاشميين منذ الجاهلية .

(٦) الخلفة : الناقة الحامل . (٧) نخوة الجاهلية : جهالتها وسفهها .

يا معشرَ قريش ! ما ترَوْن أنى فاعلٌ بكم ؟

قالوا : خيراً، أخٌ كريمٌ وابنُ أخٍ كريمٍ .

قال : اذهَبُوا فانتم الطُّلَقاءُ (١) .

ومن خطبته فى حجة الوداع (٢)

الحمدُ لله نحمَدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونتوبُ إليه، ونعوذُ بالله من شُرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا . من يَهدِ الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هاديَ له . وأشهدُ أن لا إلَهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أوصيكم عبادَ الله بتقوى الله، وأَحُثُّكُمْ على طاعَتِه، وأَسْتَفتِحُ بالذى هو خيرٌ «أما بعدُ» أيها النّاس اسمعوا مِنّى أُبيّنْ لَكُمْ، فإنّى لا أدرِى لَعلّى لا أَلْقاكُمْ بعدَ عامِي هذا، فى موقِفِي هذا . أيُّهَا الناسُ إنَّ دماءَكم وأموالَكم حَرَامٌ (٣) عليكُمْ الى أن تلقَوا ربَّكم، كحُرْمَةِ يَومِكُمْ هذا فى شَهرِكُمْ هذا فى بَلَدِكم هذا، ألَا هلْ بَلَّغْتُ ؟ اللّهُمَّ اشْهَدْ ! فمن كانتْ عندَهُ أمانةٌ فليُؤدِّها إلى من ائْتَمَنَهُ عليها . وإن رِبَا الجاهلِيةِ مَوضُوعٌ (٤)، وإن أوّلَ رِبًا أبدأ به ربا عَمِّى العباسِ بن عبد المطلب . وإن دماءَ الجاهلِيَّة موضوعة، وإن أوّلَ دمٍ أبدأُ به دمُ عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وإن مآثرَ الجاهلية موضُوعَةٌ

(١) الطلقاء : جمع طليق، وهو الرجل الذى يؤسر ثم يخلى عنه .

(٢) آخر حجة له .

(٣) حرام سفك الدماء واغتصاب الأموال .

(٤) موضوع : ساقط لا حساب عليه .

غير السِّدَانَةِ والسِّقَايَة . والعَمْدُ قَوَدٌ[(١)]، وشِبْهُ العمد ما قُتِلَ بالعصا والحجر، وفيه مائةُ بَعيرٍ، فمن زادَ فهو مِنْ أهل الجاهليَّة . أيها الناسُ : إن الشيطان قد يَئِسَ أن يُعْبَدَ فى أرضِكُم هذه، ولكنَّهُ قد رَضِى أن يُطَاعَ فيما سِوَى ذلك مما تَحْقِرُونَ من أعمالكم .

أيها الناس إن لِنِسائكم عليكم حَقًّا ولكم عليهن حقٌّ . لكم عليهن ألا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ غَيْرَكُمْ، ولا يُدْخِلْنَ أحدًا تَكْرَهونه بيُوتَكُمْ إلا بإذنكم، ولا يَأْتِينَ بِفاحِشَةٍ، فإن فَعَلْنَ فإن الله قد أَذِنَ لكم أن تَعْضُلُوهُنَّ[(٢)] وتَهْجُرُوهُنَّ فى المضاجع وتَضرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غيرَ مُبَرِّحٍ[(٣)]، فإن انتهين وأطعنكُمْ فعليكم رِزْقُهُنَّ وكسوتُهُنَّ بالمعروف، فاتَّقُوا الله فى النساءِ، واستَوْصُوا بِهِنَّ خيرا، ألَا هل بلَّغتُ؟ اللهُمَّ اشهد ! أيها الناسُ إنما المؤمنون إخوة، فلا يَحِلُّ لامرئٍ مالُ أخيه إلا عَنْ طِيبِ نفس مِنه، ألا هل بلَّغتُ ؟ اللهمَّ اشهَد ! فلا تَرْجِعُنَّ بعدِى كُفَّارًا يَضرِبُ بعضُكم رِقَابَ بعض، فإنى قد تركتُ فيكم ما إِنْ أخذتُمْ به لم تَضِلُّوا بعده : كتَابَ الله . ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد ! أيها الناس إن ربكم واحد و إن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، أكرمُكم عند الله أَتْقَاكُمْ، وليس لعربى على عجمى فضلٌ إلا بالتقوى . ألا هل بلغتُ ؟ اللهم اشهد ! قالوا : نعم ! قال فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغائبَ . والسلام عليكم ورحمة الله !

---

(١) القود : القصاص . والمراد بالعمد : القتل عمدا .

(٢) العضل : التضييق .

(٣) الضرب المبرح : الشديد الأذى .

ومن أحاديثه عليه الصلاة والسلام :

إن مَثَلَ ما بَعَثني الله به من الهُــدَى والعِلم كمَثَلِ غَيْث أصابَ أرضًا فكان منها طائفةٌ طَيِّبــةٌ قَبِلَتِ المــاءَ ، فأنْبَتَت الكَلأَ والعُشْبَ الكثيرَ ، وكان منهــا أَجَادِبُ (١) أمسكتِ المــاءَ ، فنفع الله تعالى بها الناسَ فشربُوا منها وسَقَوْا وزَرَعُوا ، وأصاب طائفةً منها أخرى إنمــا هى قِيعانٌ (٢) لا تُمْسِكُ ماءً ولا تُنْبِتُ كَلأً ، فذلك (٣) مثل من فَقِه فى دِين الله تعالى ونَفَعه ما بَعَثني الله تعالى به فَعلِم وعَلَّم ، ومَثَلُ (٤) مَن لم يَرْفَعْ بذلك رأساً ، ولم يَقْبَلْ هُدَى الله الذى أُرْسِلْتُ به .

إنمــا مَثَلِي ومَثَلُكُمْ كمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ (٥) ناراً ، فلما أضاءَتْ ما حَوْلَهُ جعل الفَراشُ وهذه الدَّوابُّ التى تَقَعُ فى النَّارِ تقَعُ فيهــا ، فجَعَلَ يَنْزِعهنّ ويَغْلِبْنَه فيَقْتَحِمْنَ (٦) فيهــا ، فأنا آخُذُ بحُجَزِكُمْ (٧) عن النَّارِ ، وأنتم تَقْتَحِمُونَ فيها .

أَدِّ الأَمَانةَ إلى من ائْتَمَنك ، ولا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ .

إن النــاسَ إذا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأخُذُوا على يَدِهِ أَوْشَــكَ أن يَعُمَّهُم الله تعالى بعقــاب (٨) .

مَثَلُ المُؤْمِنِينَ فى تَوَادِّهِمْ وتَرَاحُمِهِمْ وتَعاطُفِهِمْ مثلُ الجسد إذا اشتكى مِنهُ عُضْوٌ تَدَاعَى (٩) له سائر الجسد بالسَّهرِ والحُمَّى .

(١) أجادب : قيل جمع أجدب ، جمع جدب : القفر الصماء . (٢) القيعان جمع قاع : أرض سهلة مطمئنة انفرجت عنها الجبال . (٣) ذلك اشارة الى المثل الاول : الطائفة الطيبة . (٤) اشارة الى المثل الأخير . (٥) استوقد : أشعل . (٦) اقتحم فى الشىء : دخل فيه من غير روية . (٧) الحجز : جمع حجزة : معقد الازار . (٨) يدل هذا الحديث على قيمة التناهى عن الشر فى الجماعات والشعوب . (٩) دعا بعضها بعضا لمشاركته فى الألم .

انْصُر أخاكَ ظَالِمًا أو مَظْلُومًا : قيل : أَنْصُرُهُ إذا كان مظلومًا ، فكيف أنْصُرُه ظالمًا ؟ قال : تَحْجِزُهُ عن الظُّلم ، فان ذلك نَصْرُه .

ما أَكْرَمَ شابٌّ شيخًا لِسِنِّه إلا قَيَّضَ الله تعالى له مَنْ يُكْرِمُهُ عِنْدَ سِنِّهِ .

مَنْ يُرِدِ الله به خيرا يُفَقِّهْهُ فى الدين .

نَضَّرَ اللهُ امرأً سمع مِنَّا شيئًا فبَلَّغَهُ كما سمعه ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أوعى مِنْ سَامِعٍ .

وَيْلٌ(١) لِلَّذى يُحَدِّثُ بالحديث لِيَضْحَكَ منه القوم فيَكْذِبَ وَيْلٌ له ، وَيْلٌ له !

لا يكن أحدُكُمْ إِمَّعَةً(٢) : يَقُولُ : أنَا مَعَ الناسِ ، إن أحسن الناسُ أحسنتُ ، وإن أساءوا أَسَأْتُ ، ولكنْ وَطِّنُوا أنْفُسَكُمْ إنْ أحسنَ النَّاسُ أن تُحْسِنُوا ، و إن أساءوا أن تَجْتَنِبُوا إساءَتَهُمْ .

لا يؤمن احدكم(٣) حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه .

الْمسلمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانه وَيده(٤) ، والمؤمن من أمنَهُ النَّاسُ عَلى دمائِهِم وأَمْوالِهِم .

مَن لا يَشْكُرُ النَّاسَ لا يَشْكُرُ اللهَ(٥) .

---

(١) ويل له : أى شر أو هلاك يحل به ، تستعمل فى التهويل والإنذار .

(٢) الإمعة : المتردد لا يثبت على رأى ، كما يفسر ذلك سائر الحديث .

(٣) أي لا يكمل إيمان الشخص إلا بذلك .

(٤) أي من شر قوله وعمله .

(٥) أى من لا يشكر الناس على المعروف فكأنه لم يشكر الله تعالى عليه لأن الناس وسيلة الخير اليه .

لاحَسدَ إِلَّا فى اثنتين : رجلٍ آتاه اللهُ الحِكمةَ ، فهُو يَقضِى بهـا و يُعلِّمها ، ورجلٍ آتاه الله مالا ، فسلَّطه على هلَكتِهِ فى الحقِّ .

يَهرَم ٱبنُ آدَمَ و يشُبُّ فيه اثنَتان : الحِرصُ علَى المـال والحِرصُ على العُمُرِ .

إنَّ مِن أحبكم إلىَّ وأقربكُم منِّى مجالسًا يومَ القِيامَةِ أحاسِـنكم أخلاقا ، وإن أبغضَكم إلىّ وأبعدَكم منِى مجلِسًا يوم القِيامةِ الثرثارون والمتشدقون (١) والمتفيهقون قالُوا ! يارسولَ الله : ماالمُتفيهِقُون ؟ قالَ : المتكبِّرونَ .

كُلُّكُمْ رَاعٍ وكُلُّكم مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه : فالإمَامُ رَاعٍ وَمسْئولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، والرَّجُل رَاعٍ فى أَهْلِه ، وَهوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ . والمرأة فى بَيْت زَوْجها راعيةٌ ، وهِيَ مَسْئُولَةٌ عن رعيَّتِها ، والخادِمُ فى مَالِ سيّده رَاعٍ ، وهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّته .

بينما رجلٌ يَمْشى بِطريقٍ اشْتدَّ علَيْـهِ الْعطَشُ ، فَوجد بئرًا فنَزل فيها فشرِبَ ثُمَّ خَرجَ ، و إذا كَلْبٌ يَلْهَثُ (٢) يأْكُلُ الثَّرى من العَطَش ! فقَال الرَّجُلُ : لقَدْ بلَغَ هذا الْكلْبُ مِن العَطَشِ مِثلَ الّذى كان بَلَغ منى . فنَزل البِئْر ، فملأ خُفَّه ماءً ثم أمْسكه بِفيهِ حتى يرْقى ، فَسقى الْكلْبَ ، فشكَرَ الله تعالى له ، فغفَرَ له !

من يُحرَمِ الرِّفقَ يُحرمِ الخيْرَ كُلَّه .

خَيْرُ الصَّدَقَة ماكان عَن ظَهْرِ غِنًى . وابدا بمن تَعُولُ .

إِذا كَانوا ثلاثة (٣) فلا يَتَنَاجَى (٤) اثْنانِ دُون الثّالِث ، فإنَّ ذَلِك يُحْزِنُه .

---

(١) الثرثار : الذى يكثر الكلام تكلفا ومجاوزا وخروجا عن الحق ، المتشدق : الذى يلوى شدقه تعظما .

(٢) يلهث : يخرج لسانه من التنفس الشديد عطشا أو إعياء .

(٣) أى الجمع أو الجلوس . (٤) يتناجى : يتسار .

القضاة ثلاثة : واحد فى الجنة ، واثنانِ فى النارِ ، فأما الذى فى الجنة فرجل عَرَفَ الحق فقضى به ، ورجلٌ عَرَفَ الحق وجار فى الحكم فهو فى النار ، ورجل قضى للنَّاسِ على جَهْلٍ فهو فى النار .

لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ أَحْبُلَه ، ثم يأتِى الجبل ، فيأتِى بحُزمة على ظهرِهِ فيبيعها خيرٌ له مِن أن يَسأل النَّاس : أَعْطَوه أو مَنَعُوه .

(٢) نموذج من كلام أبى بكر الصديق [١]

لما تُوفى الرسول عليه السلامُ واضْطَربَ النَّاسُ خَطَبَهم فقال :

أيُّها النَّاسُ : من كَانَ يَعْبُد محمداً فإنَّ محمدا قَد ماتَ ، ومن كان يَعْبد الله فإن الله حَىٌّ لا يموت ، وإن الله قد تقدم إليكم فِى أمرِهِ [٢] فلا تدعوه جزعا ، وإن الله قد اختار لنبيه ما عِنده على ما عِندكم وقبضه إلى ثوابِهِ ، وخلَّف فيكم كتابه وسنَّة نبيِّه ، فمن أخَذَ بهمَا عَرَف ، ومَن فرَّق بينهما أنكر . يأيُّها الذين آمنوا كونوا قوّامين بِالقِسطِ [٣] ولا يشغلنكم الشيطان بموتِ نبيكم ، ولا يفتننكم عن دينكم فعاجلوه بالذى تعجِزُونَه ولا تَستَنظِرُوه [٤] فَيَلْحَق بكُم .

---

(١) هو عبد الله بن أبى قحافة القرشى نشأ عالما كريما حليما ، وكان أسبق الرجال إسلاما وأشدهم بلاء فى نصرة رسول الله . ولى شئون المسلمين بعد رسول الله فساسهم بحكمة ولين حتى توفى سنة ١٢ هـ .

(٢) أظهركم على نهايته بوفاته فلا تعرضوا عن قضاء الله جزعا .

(٣) القسط : العدل .

(٤) لا تستنظروه : أى لا تتأنوا عليه بل عاجلوه باعتزام الخير وإنفاذه .

خطبـــة له أخرى

وقد جاء مال من البَحْرَيْنِ ساوَى فيه بين الناس فغضب الأنصار [١] .

فحمِدَ اللهَ وأثْنَى عليه وصلَّى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

يامَعْشَرَ الأنْصَارِ ، إنْ شِئْتُم أن تَقُولُوا : إنَّا آوَيْنَاكم فى ظِلَالنا ، وشَاطَرْناكُم فى أمْوالِنا ، ونصَرناكم بأنفُسِنا — قلتم ، وإنَّ لكُم مِنَ الفَضْلِ مالا يُحصِيه العَـدَ وإنْ طَالَ به الأمدُ ، فَنحنُ وأنتُم كما قال طُفيل الغَنَوِىُّ [٢] :

جَزَى اللهُ عنّا جَعْفرا حِينَ أَزْلَقَتْ ... بنا نعلُنا فى الواطِئين فزلَّتِ [٣]

أَبَوْا أن يَمَلُّونا ، ولَوْ أنَّ أُمَّنا ... تُلاقِى الَّذى يَلقَوْنَ مِنَّا لَمَلَّتِ

هُمُ أسكَنونا فِى ظِلَالِ بُيوتِهِمْ ... ظِلَالِ بُيُوتٍ أَدْفأَتْ وَأَظَلَّتِ

خُطبتُه يومَ السقيفَة [٤]

حَمِد اللهَ وأثْنَى عليه ثمَّ قال :

أيُّهــا النَّاسُ : نَحْنُ المُهاجِرُون، أولُ النَّاس إسْلامًا ، وأكْرَمُهم أحْسَابًا [٥] وأَوْسَطُهُمْ دَارًا ، وَأَحْسَنُهم وُجُوهًا ، وأكثرُ النَّاس ولادةً فى العَرب ، وأمَسُّهم رَحِمًا برسُولِ اللهِ

---

(١) الأنصار : الذين نصروا الرسول بعد الهجرة الى المدينة وأكثرهم من الأوس والخزرج ، فقابلهم المهاجرون الذين يحدث أبو بكر بلسانهم .

(٢) شاعر جاهلى من قيس .

(٣) كناية عن الحاجة وسوء الحال .

(٤) يوم السقيفة : يوم اجتماع العرب فى سقيفة بنى ساعدة عقب وفاة الرسول عليه السلام للنظر فيمن يخلفه ، وتنافس فى ذلك المهاجرون والأنصار .

(٥) الحسب : مفاخر الآباء .

صلى الله عليه وسلّم . أَسْلَمْنَا قبلكم ، وقُدِّمْنا فى القرآن عليكمْ ، فقال تبارك وتعالى ﴿والسابقُون الأولونَ من المهاجرين والأنصارِ والذين اتَّبعوهُم بإحسانٍ﴾ فنحنُ المهاجرُون ، وأنتُم الأنصارُ ، إخوانُنا فى الدِّينِ وشُركاؤنا فى الفَىْءِ (١) وأنصارُنا على العَدُوِّ . آوَيْتُم وواسَيْتُم . فجزاكم اللهُ خيرا ! فنحنُ الأمراءُ وأنتُم الوزراءُ . لا تَدِين العربُ إلا لهـذا الحَىِّ من قريش ؛ فلا تَنْفَسُوا (٢) على إخوانِكُمْ المهاجرينَ ما منَحهم اللهُ من فضله .

وصيته عند وفاته لعمر بن الخطاب

إنى مُسْتَخْلِفُكَ مِنْ بعدِى ومُوصِيكَ بتقْوى الله . إن للهِ عملا بالليل لا يقبَله بالنهار ، وعملا بالنهار لا يقبلهُ بالليل . وإِنَّهُ لا تُقبَلُ نافلةٌ (٣) حتى تُؤَدَّى الفريضةُ ؛ فإنما ثَقُلَت موازينُ من ثَقُلَتْ موازينه يوم القيامة باتِّباعِهِمْ الحق فى الدُّنيا وثِقلهِ عليهِمْ ، وحُقَّ لميزَانٍ لا يُوضَع فيه إلا الحقُّ أن يكونَ ثقيلًا ، وإنما خَفَّتْ موازينُ مَنْ خَفَّتْ موازينه يومَ القِيامَةِ باتباعهم الباطلَ وخِفَّتِهِ عليهم ، وحُقَّ لميزانٍ لا يوضع فيه إلا الباطلُ أن يكون خفيفا . إن الله ذكَرَ أهلَ الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوزَ عن سيئاتهم ؛ فإذا ذكرتهم قُلْتَ : إنى أخاف ألَّا أكونَ من هؤلاءِ ، وذكَرَ أهل النار فذكَرُهُمْ بأسوإِ أعمالهم ولم يذكر حَسَنَاتِهِمْ ، فإذا ذَكَرْتَهُمْ قلت : إنى لأرجو ألا أكون من هؤلاء ، وذَكَرَ آيةَ الرحمة مع آية العذاب ليكون العبد راغبا راهبا ،

---

(١) الفىء : الغنيمة والخراج .

(٢) لا تنفسوا عليهم : لا تحسدوهم .

(٣) النافلة : السنة التى لا يلزم أداؤها بل يستحب . والفريضة : ما يلزم أداؤها من أمور الدين .

ولا يتمنى على الله غير الحق ، ولا يُلْقِ بيـده إلى التَّهْلُكَةِ(١) ، فإذا حفظت وصيَّتِي فلا يَكُنْ غائبٌ أَحبَّ اليكَ من الموت وهو آتيكَ(٢) ، و إن ضيَّعْتَ وَصيَّتِي فلا يكن غائب أبغض إليك من الموتِ ولست بِمُعْجِز الله .

ودخل عليه عبـد الرحمن بن عوف فى علته التى مات فيها فقال له أراك بارئا ياخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

أَمَا إنِّى على ذلِكَ(٣) لشديدُ الوجَعِ ، ولَمَّا(٤) لَقِيتُ منكم يا معشر المهاجرينَ أَشَدُّ عَلَيَّ من وجعي . إنى وَلَّيتُ أموركُم خيرَكُم فى نفسي ، فكلُّكُم وَرِمَ أنفُـه(٥) أن يكونَ له الأمرُ من دُونه . والله لتتخذُنَّ نَضائِدَ الدِّيباج(٦) وسُتُورَ الحرير ، ولتأْلَمُنَّ النومَ على الصُّوفِ الأَذْرِبِيِّ(٧) كما يَأْلَمُ أحدُكم النومَ على حَسَكِ السَّعْدَانِ(٨) . والذى نفسي بيَدِه لأن يُقَـدَّمَ أحدُكم فتُضْرَبَ عنقُـه فى غيرِ حَدٍّ خيرٌ له من أن يَخُوضَ غمراتِ الدنيـا(٩) . يا هَادِيَ الطريقِ جُرْتَ(١٠) . إنما هو والله الفَجْرُ أو البَجْرُ(١١) .

---

(١) التهلكة : الهلاك .

(٢) يريد أن العمل بالوصية يجعل الموت أحب اليه كما أن تضييعها يبغضه فى الموت مع أنه حتم .

(٣) ذلك اشارة الى البرء من المرض . (٤) اللام للتوكيد وما موصولة مبتدأ خبره أشد .

(٥) ورم أنفـه : أى امتلأ غيظا ، وذكر الأنف ، لتأثره بالغضب ، كما يقال شمخ بأنفه للتكبر ، أى رفع رأسه . (٦) النضائد : الوسائد ، المفرد نضيدة ، والمراد ما نضد فى البيت من أثاث . الديباج : الثوب سداه ولحمته من حرير ، والمراد الحرير . (٧) الأذربي : نسبة الى أذربيجان .

(٨) الحسك : الشوك . السعدان : نبت كثير الحسك . (٩) غمرات الدنيا : شئونها التى تحير الناس . (١٠) جرت : حدت عن جادة الصواب .

(١١) يقول : ان انتظرت حتى يضىء لك الفجر الطريق أبصرت قصدك ، وان سلكت الظلماء وقعت فى المكروه . وضرب ذلك مثلا لغمرات الدنيا . البجر : الشر والداهية .

(٣) نبذة من كلام عائشة (١)

قالت على قبر أبيها :

نَضَّرَ اللهُ يا أبتِ وَجْهَكَ (٢) وشكَرَ لكَ صالحَ سعيكَ ، فلقد كنتَ للدنيا مُذِلا بإدْبَارِكَ عنها ، وللآخرةِ مُعِزًّا بإقبالك عليها ، ولئن (٣) كان أعظمَ المصائبِ بعدَ رسول الله صلى اللهُ عليه وسلَّمَ رزؤُكَ ، وأكبرَ الأحداث بعده فقدُكَ — إنّ كتابَ اللهِ عزَّ وجلَّ لَيَعِدُنَا بالصَّبرِ عَنْكَ حُسْنَ العِوَضِ مِنكَ ، وأَنَا مُسْتَنجِزَةٌ (٤) مِنَ اللهِ مَوْعِدَه منكَ بالصبرِ عَنْكَ ، ومستَعِينَةٌ كثرةَ الاستغفارِ لكَ . فَسَلامُ اللهُ عليكَ توديعَ غَيْرِ قَالِيَةٍ (٥) لِحَيَاتِكَ ، ولا زَارِيَةٍ على القضاءِ فيكَ .

(٤) من آثار عمر بن الخطاب (٦)

رسالته فى القضاء الى أبى موسى الأشعرى (٧)

بسم الله الرحمن الرحيم

مِنْ عبدِ اللهِ عُمَرَ بنِ الخطّاب أميرِ المؤمنين إلى عبد الله بن قيسٍ : سلامٌ عليك ، أما بعدُ فإنَّ القضاءَ فَرِيضةٌ مُحكَمَةٌ وسُنَّةٌ متَّبعةٌ . فافهمْ إذا أُدْلِىَ (٨) اليكَ ، فإنَّه

---

(١) هى السيدة عائشة بنت أبى بكر وزوج الرسول عليه السلام تزوّجها صغيرة ، فنشأت راوية للحديث عالمة بالدين متأدّبة بالأدب العالى . وقد كان لها فى الأحداث السياسية بعد وفاة الرسول مواقف مشهورة . (٢) نضر وجهك . جعله ناضرا ، أى حسنا جميلا ، كناية عن حسن المثوبة .

(٣) إن : شرطية . أى إن عظم رزؤك وفقدك فان كتاب الله الخ .

(٤) مستنجزة : طالبة الانجاز والوفاء . (٥) قالية : كارهة . زارية : عاتبة أو عائبة .

(٦) هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب القرشى ولد فى الجاهلية وربى فيها وعرف بالشجاعة والحزم والسيادة وقد هداه الله الى الاسلام بعد عداوة قوية ، فكان من أعظم أنصاره . فلما ولى الخلافة بعد أبى بكر قام بأعبائها خير قيام حتى قتل غيلة سنة ٢٣ هـ . و يعدّ عمر بن الخطاب من أبلغ الناس وأقواهم أسلوبا وأنقدهم للشعر وأرواهم له .

(٧) من رجال المسلمين الأعلام ، ولى قضاء البصرة حين بعث إليه عمر بهذه الرسالة . وله معروف فى مسألة التحكيم بين على ومعاوية . (٨) أى تقدّم اليه المتقاضون بحجتهم .

لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له . آس(١) بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك ، حتى لا يطمع شريف فى حيفك(٢) ، ولا ييأس ضعيف من عدلك ، البينة على من ادعى ، واليمين على من أنكر . والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا . لا يمنعنك قضاء قضيته اليوم ، فراجعت فيه عقلك ، وهديت فيه لرشدك أن ترجع الى الحق ؛ فإن الحق قديم ، ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل . الفهم الفهم فيما تلجلج(٣) فى صدرك مما ليس فى كتاب(٤) ولا سنة . ثم اعرف الأشباه والأمثال ، فقس الأمور عند ذلك ، واعمد الى أقربها الى الله ، وأشبهها بالحق . واجعل لمن ادعى حقا غائبا أو بينة أمدا ينتهى اليه ، فاذا أحضر بينته أخذت له بحقه ، وإلا استحللت عليه القضية ، فإنه أنفى للشك وأجلى للعمى . المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلودا فى حد أو مجربا عليه شهادة زور أو ظنينا(٥) فى ولاء أو نسب ، فان الله تولى منكم السرائر ودرأ(٦) بالبينات والأيمان . وإياك والقلق والضجر(٧) والتأذى بالخصوم والتنكر عند الخصومات ؛ فإن الحق فى مواطن الحق يعظم الله به الأجر ويحسن به الذخر ، فمن صحت نيته وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه

(١) آس بين الناس : سو بينهم .

(٢) الحيف : الميل أى ميلك معه لشرفه .

(٣) تلجلج : تردد حتى كان موضع حيرة .

(٤) الكتاب : القرآن الكريم والسنة ما أثر عن النبي من قول أو فعل أو تقرير .

(٥) ظنين : متهم أى ينتسب الى غير أبيه أو يدعى الى غير مواليه ، فليس أهلا للشهادة .

(٦) درأ : دفع يريد منع الحدود .

(٧) القلق والضجر : ضيق الصدر وقلة الصبر .

وبينَ الناسِ . ومن تَخَلَّق (١) للناس بما يعلم الله أنه ليسَ من نفسه شَانَهُ (٢) الله ، فما ظنُّكَ بثوابٍ عند الله عزّ وجلَّ فى عَاجِلِ رِزْقِه وخزائن رحمته (٣) ، والسلام .

وكتب الى أبى عبيدة ومعاذ بن جبل جوابا عن رسالتهما اليه ينصحانه :

بِسم الله الرّحمن الرّحيم

من عُمرَبنِ الخطاب الى أبى عُبيدَة عامر بن الجراح ومُعاذِ بن جَبل ، سلام عليكما فانى أحمد الله الذى لا إلهَ إلّا هُوَ (أما بعد) فقد جَاءنى كتابكما تزعُمانِ أنه بَلَغكما أنى وَلِيتُ أمرَ هذه الأمة أحمرِها وأسودِها (٤) يجلِسُ بين يَدَىَّ الصديقُ والعدُو والشريفُ والوضيعُ ، وكتبتُما أنِ انظُرْ كيفَ أنت يا عُمرُ عند ذلِكَ ، وإنّهُ لا حول ولا قُوَّةَ لِعُمر عندَ ذلك إلا باللهِ . وكتبتُما تُحذِّرانى ما حُذِّرَتْ به الأممُ قبلَنا ، وقديما كان اختلافُ الليلِ والنهار بآجالِ الناس (٥) يُقرِّبانِ كُلَّ بعيد ويُبْليان كُلَّ جديد ، ويأتيان بكل مَوعُود ، حتى يصير الناسُ الى منازِلهم من الجنةِ أو النار ، ثم تُوَفَّى كلُّ نفس بما كسَبت إن الله سريع الحساب . كتبتُما تزعُمان أن أمرَ هذِه الأمة ، يرجع فى آخر زمانها أن يكونَ إخوانُ العَلَانيــة أعْدَاءَ السريرة ولستم بذلك . وليس هَــذا ذَلِكَ الزمان ، ولكنَّ زَمَان ذلك حينَ تظهر الرغبــة والرهبة ؛ فتكون رغبةُ بعضِ الناس الى بعض

(١) أى أظهر للناس فى خلقه خلاف نيته .

(٢) شانه : ضد زانه والمراد قبحه وأظهر نفاقه .

(٣) يريد ماذا يكون ثوابُ الناس بجانب رزق الله فى الدنيا و رحمته فى الآخرة .

(٤) الأحمر كناية عن العجم ، والأسود كناية عن العرب والمراد جميع المسلمين .

(٥) اختلافهما بآجال الناس الخ : تعاقبهما على قضاء الأعمار .

إصلاح دينهم ورهبةُ بعض الناسِ إصلاح دُنياهم . وكَتَبتُما تُعوِّذانى بالله أن أنْزِل كتابكما مِنّى سِوَى المنزل الذى نَزَل من قُلُوبكما . وإنما كتبتما نصيحةً لى . وقد صدقتما . فتعهَّدانى منكما بكتاب، فلا غِنَى بى عنكما . والسلام عليكما !

(٥) من خطب عثمان بن عفّان [(١)] :

إنَّ لكل شيء آفة . وإن لكلّ نعمة عاهةً . وإن آفة هـذه الأمة وعاهة هذه النعمة عَيَّابُون طَعَّانُون، يظهرون لكم ما تحبون، ويُسِرُّون ما تَكْرهُونَ، يقولون لكُم وتَقُولون، طَغَامٌ [(٢)] مثلُ النَّعام، يتبَعُون أوّلَ ناعق، أحبُّ مواردهم اليهم النازح [(٣)]. لقد أقررتم لابنِ الخطّاب بأكثرَ ممَّا نَقَمْتُم علىَّ، ولكنه وقَمَكُمْ [(٤)] وقمَعَكُمْ وزجركم زجر النَعامِ المُخَزَّمةِ، واللهِ إنى لأقربُ ناصرا وأعز نفرا، وأقْمَنُ إن قلتُ هَلُمَّ ! أن تجاب دَعْوتى من عُمَر . هل تَفْقِدُون من حُقوقكم شيئا؟ فما لى لا أفعلُ فى الحق ما أشاء؟ إذًا فلِمَ كنتُ إماما ؟

---

(١) هو أمير المؤمنين عثمان بن عفان الأموى القرشى ، ولد فى الجاهلية وسبق الى الاسـلام، وأبلى فى نصرته . ثم ولى الخلافة بعد عمر بطريق الانتخاب الشورى . وبعد مدة ثار عليه أعراب من مصر والعراق بحجة إيثاره أقاربه . وحاصروه فى داره بالمدينة وقتلوه سنة ٣٥ هـ . وكان من أبلغ الناس وأوجزهم لفظا وأسلسهم أسلوبا بحكم نشأته القرشية ودراسته القرآن الكريم .

(٢) الطغام : أراذل الناس للواحد والجمع .

(٣) النازح : الناضب من نزحت البئر قل ماؤها أو نفد ومن معانيها البعيد جدا .

(٤) وقمكم : قهركم .

كتابُه الى عليّ يستنجده حين أحيط به :

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعدُ فقد بلغ السيلُ الزُّبى[(١)]، وجاوز الحزامُ الطُّبيين[(٢)]، وطمع فيّ من لا يدفعُ عن نفسه، ولم يغلبْك مثلُ مُغلَّب[(٣)] . فأقبلْ إليّ صديقًا كنتَ أو عدُوا .

فإن كُنْتُ مأكُولًا فكُنْ خيرَ آكلٍ   وإلَّا فأدركْني ولمَّا أُمَزَّقِ

(٦) بلغ عليَّ بن أبي طالب[(٤)] أن خَيلا لمعاوية وردت الأنبار، فقتلوا عاملا له يقــال له حسان بن حسان ، فخرج مُغْضَبا وخطب الناس:

أما بعدُ، فإن الجهادَ بابٌ من أبواب الجنة، فتحه اللهُ لخاصَّةِ أوليائه وهو لباسُ التقوى ودِرْعُ اللهِ الحَصينةُ وجُنّتُه[(٥)] الوثيقــةُ ؛ فمن تركَهُ رغبــةً عنه ألْبَسه اللهُ ثوبَ الذُّلّ، وشمِلَهُ البــلاءُ، ودُيِّثَ[(٦)] بالصَّغار والقَماءة، وضُرِبَ على قلبِهِ بالأسداد ، وأُديلَ

(١) الزبى : جمع زبيــة : مصيدة الأسد وتكون فى قلة أو رابية أو هضبة . والتركيب كناية عن بلوغ الشدة أقصاها كما يصل السيل الزبية .

(٢) الطبيان مثنى طبي والجمع أطباء : مواضع الاخلاف (حلمات الضرع) ومجاوزة الحزام الطبيين كناية عن الإشراف على الهلاك . (٣) المغلب : الضعيف الذى يغلب كثيرا ، فاذا قدر عليك لا يرجع عنك . وهــذا معنى ولم يغلبك مثل مغلب .

(٤) ولد على بن أبي طالب قبيل الاســلام ونشأ فى بيت مجد وشرف وكان أول من أسلم من الصبيان ثم صاحب الدولة الاسلامية فى أوليتها مجاهدا وناصرها بعــد وفاة الرسول حتى اذا قتل عثمان و بايعه أهل الحجاز قام فى وجهه معاوية ينازعه الخلافة وكانت بينهما فتن وحروب ومكاتبات الى أن قتل على غيلة سنة ٤٠ هـ بمسجد الكوفة وكانت هذه الحياة العنيفة سبب نبوغه فى الخطابة وتملكه زمام البلاغة التى تنطق بها آثاره الصحيحة . (٥) الجنة : الوقاية . (٦) ديث : ذلل . والقماءة : الذل والمهانة .

الحقُّ مِنهُ بتضييع الجهاد(١)، وسِيمَ الخسفَ، ومُنِعَ النَّصَفَ(٢) . ألا وَإنِّى قد دعوتُكم إلى قتالِ هؤلاء القومِ ليلًا ونهارا ، وسِرًا و إعلانا ، وقلت لكم : اغْزُوهُمْ قبل أن يَغْزُوكُمْ ؛ فوالله ماغُزِىَ قومٌ قط فى عُقْرِ دارهم(٣) إلا ذَلُّوا . فتواكلتم وتخاذلتم(٤) حتى شُنَّتْ الغَارَاتُ عَلَيكُم، ومُلِكَتْ عَلَيْكُمُ الأوطانُ . وهذا أخو غَامِدٍ(٥) قد وردت خيلُه الأَنْبَارَ(٦) ، وقد قَتَلَ حَسَّانَ بن حَسَّانٍ البَكرِىَّ ، وأزال خَيْلَكُمْ عن مَسَالِحِها(٧) . ولقد بلَغَنى أن الرجلَ منهم كان يَدخُل على المرأةِ المسلمةِ والأخرى المُعَاهِدَة ، فيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا(٨) وقُلُبَهَا(٩) وقلائدها ورِعَاثَها(١٠)، ما تمنع عنه إلا بالاسْتِرْجَاعِ(١١) والاسترحام . ثم انصرَفُوا وافِرِين(١٢) ، ما نال رجُلا منهم كَلْمٌ(١٣) ، ولا أُرِيقَ لهم دم، فلو أن امرءًا مُسْلِمًا مات من بعد هذا أسَفًا ما كان به مَلُومًا، بل كان به عندى

---

(١) أى صارت الدولة للحق بدله .

(٢) النصف : العدل .

(٣) عقر الدار : وسطها وأصلها .

(٤) تواكلتم : اتكل كل على الآخر . وتخاذلتم : خذل كل صاحبه .

(٥) هو سفيان بن عوف بعثه معاوية مغيرا على العراق .

(٦) الأنبار : بلدة على الشاطئ الشرقى للفرات .

(٧) المسالح : جمع مسلحة ، وهى الثغر حيث طروق الأعداء .

(٨) الحجل : الخلخال .

(٩) القلب : السوار .

(١٠) الرعاث : جمع رعثة بالفتح وتحرك : القرط .

(١١) الاسترجاع : قول (إنا لله وإنا إليه راجعون) .

(١٢) أى لم ينل أحد منهم فى مال أو بدن .

(١٣) الكلم : الجرح .

جَديرا . فياعَجبا والله يُميت القلب ويَجْلِبُ الهم : اجتماعُ هؤلاء القوم على باطلهم وتفرُّقُكُمْ عن حَقِّكم، فقُبْحا لكم وتَرَحا(١) حين صرتم غَرضًا يُرْمَى، يُغَار عليكم ولا تُغيرون، وتُغْزَوْنَ ولا تَغزون . ويُعْصَى اللهُ وتَرْضَوْن ، فإذا أمرتكم بالسير اليهم فى أيام الحرّ قلتم: هذه حَمَارَّةُ(٢) القيظ، أَمهِلنا ينسلخ(٣) عنا الحَرُّ . وإذا أمرتكم بالسيرِ اليهم فى الشتاء قُلتم : هـذه صَبَارَّةُ القُرِّ(٤)، أمْهِلْنَا يَنْسَلِخْ عنا البردُ . كلَّ هـذا فرارًا من الحر والقُرِّ فأنتم والله من السيف أفَرّ. يا أشباهَ الرجالِ، ولا رِجَال! حُلُومُ الأطفال، وعُقُولُ رَبَّات الحِجَالِ(٥). لوددت أنّى لم أرَكُمْ ولم أعرفْكم! معرفةٌ والله جَرَّتْ نَدَمًا، وأعْقَبَتْ سَدَمًا(٦) . قاتلكم الله! لقد ملأتُم قلبي قَيْحًا، وشَحَنْتُمْ صدرى غَيْظًا، وجرعتمونى نُغَبَ التَّهْمَام(٧) أنفاسًا، وأفسدتُم علَىَّ رأيِي بالعصيان والخذْلان، حتى لقد قالتْ قُرَيش : إن ابنَ أبى طالب رجل شجاع، ولكن لا علْمَ له بالحرب، لله أبوهم ! وهل أحدٌ منهم أشدُّ لهـا مِرَاسًا وأَقْدمُ فيها مَقامًا منّى ؟ لقد نَهَضتُ فيها وما بلَغتُ الْعِشْرين وهأنذا قد ذَرَّفْتُ(٨) على الستين، ولكن لا رَأْىَ(٩) لمن لا يطاع .

---

(١) الترح بالتحريك : الهم أو الفقر.

(٢) حمارة القيظ : شدّة الحرّ .

(٣) ينسلخ : يخف و يسكن .

(٤) أى شدّة البرد .

(٥) ربات الحجال : النساء . والحجال جمع حجلة : القبة ، وموضع يزين بالستور للعروس .

(٦) السدم : الهم أو مع أسف وغيظ .

(٧) النغب : جمع نغبة : الجرعة . التهمام : الهم .

(٨) ذرفت : زدت .

(٩) أى لا ينفع رأى للذى لا يسمع له .

وخطب فى استنفار الناس إلى أهل الشام فقال :

أفٍّ لكم ! لقد سئمتُ عتابكم ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عِوضا ، وبالذُّلِّ من العِزِّ خَلفا . وإذا دعوتكم إلى جهاد عدوِّكم دارت أعينكم كأنكم من الموت فى غمرة ، ومن الذهول فى سكرة . يرتج عليكم حوارى فتعمهون (١) ، فكأنَّ قلوبكم مألُوسة (٢) فأنتم لا تعقلون ما أنتم لى بثقة سجيس (٣) الليالى ولا زوافرُ (٤) عزٍّ يُفتقَرُ إليكم ، وما أنتم إلا كإبلٍ ضلَّ رعاتُها ، فكلما جمعت من جانبٍ انتشرت من آخر ، لبئس لعمرالله سُعرُ (٥) نارِ الحرب أنتم . تُكادون ولا تَكيدون وتُنتَقَص أطرافكم فلا تمتعضون ، لا يُنام عنكم وأنتم فى غفلةٍ ساهون . غُلِب والله المتخاذلون . وايم الله إنى لأَظُنّ بكم أن لو حَمِسَ الوغَى (٦) واستحرَّ الموت قد انفرجتم عن ابن أبى طالب انفراج الرأس (٧) . والله إن امرءا يمكِّن عدوه من نفسه ، يعرُقُ لحمَه (٨) ويهشِم عظْمَه ، ويفرِى جلدَه — لعظيم عجزُه ، ضعيف ما ضُمَّتْ عليه جوانحُ صدرِه (٩) . أنْتَ فكُن ذاك إنْ شئْتَ ، فأمَّا أنا فوالله دُون أن أعطى ذلك ضرب بالمشرفيةِ يطير منه فَرَاش الهام (١٠) ، وتطيح السواعد والأقدام ، ويفعل الله بعد ذلك مايشاء . أيها الناس إن لى عليكم حقا ، ولكم على حق ، فأمّا حقكم علىّ فالنصيحة لكم ، وتوفير فيئكم (١١) عليكم ، وتعليمكم كى لاتجهلوا وتأديبكم كيما تعلموا ، وأما حقى عليكم فالوفاء بالبيعة ، والنصيحة فى المشهد ، والمغيب والإجابة حين أدعوكم ، والطاعة حين آمركم .

---

(١) يرتج عليكم : يغلق فلا تهتدون لفهمه . حوارى : محاورتى .

(٢) مألوسة : مخلوطة . (٣) سجيس الليالى : طول الليالى ، أى أبدا .

(٤) الزوافر : جمع زافرة : عشيرة الرجل أو ركن البناء .

(٥) السعر هنا : الوقود من سعر النار أوقدها .

(٦) حمس الوغى : اشتدت الحرب . استحر : بلغ غاية شدته .

(٧) أى انفراجا لا يلتئم . (٨) أى يأكل لحمه لا يبقى منه شيئا على العظم : و يفرى : يمزق .

(٩) جوانح الصدر : ضلوعه ، والمراد القلب .

(١٠) المشرفية : السيوف تنسب إلى قرى تدنو من الريف مشارف الشام . الهام : الرءوس ، جمع هامة . وفراشها : عظامها الرقيقة . (١١) الفىء : الخراج وما يحويه بيت المال .

وكتب الى مُعاوية جوابا عن كتاب منه (١) :

أَمَّا طَلَبُكَ إلىَّ الشامَ فإنى لم أَكُنْ لأُعطِيَكَ اليوم مامَنَعْتُكَ أَمسِ . وأما قولُكَ إنَّ الحربَ قد أَكَلَتِ العربَ إلا حُشَاشَاتِ (٢) أنفُسٍ بَقِيَت ، ألَا وَمَنْ أَكَلَهُ الحقُّ فإلى الجنة ، ومن أَكَلَهُ الباطلُ فإلى النار . وأما اسْتواؤُنا فى الحرب والرجال فلستَ بأمضى على الشكِّ مِنِّى على اليقين ، وليس أهْلُ الشام بأحرصَ على الدُّنيا من أهل العِراقِ على الآخرة . وأما قولُكَ إنَّا بنو عبد مناف فكذلك نحن ولكن ليس أُمَيَّةُ كهاشم ، ولا حَرْبٌ (٣) كعبد المطلب ، ولا أبو سفيان كأبى طالب . ولا المهاجر كالطليق (٤) ، ولا الصريح كاللَّصيقِ (٥) ، ولا المُحِقّ كالمُبطِلِ ، ولا المؤمن كالمُدْغِلِ (٦) ، ولبئس الخَلَفُ يتبع سَلَفًا هَوَى فى نَارِ جهنَّم . وفى أيدينا بعدُ فَضْلُ النُّبوَّةِ التى أذللنا بها العزيز ونَعَشْنَا بها الذليلَ . ولمَّا أدخل الله العرب فى دينه أَفْوَاجًا أَسْلَمَتْ له هذه الأُمَّةُ طوعًا وكَرْهًا ، وكنتم مِمَّن دخل فى الدِّينِ إما رغبة و إما رهْبَةً (٧) ، على حين فازَ أهلُ السَّبقِ بسبقِهم وذهب المهاجرون الأوّلون بفضلهم ، فلا تَجْعَلْ للشيطان فيك نصيبًا ولا على نفسك سبيلا .

(١) كتب معاوية الى على يطلب منه أن يترك له الشام و يدعوه للشفقة على العرب الذين أكلتهم الحروب و يخوفه و يذكر له أنهما من شجرة واحدة فأجابه على بهذا الكتاب .

(٢) حشاشات : جمع حشاشة : بقية الروح .

(٣) حرب : جدّ معاوية ، وعبد المطلب : جدّ على .

(٤) الطليق : من أسر فأطلق بالمن عليه أو الفدية . ومن ذلك معاوية وأبوه .

(٥) الصريح : صحيح النسب فى ذوى الحسب . واللصيق : من ينتمى اليهم وهو أجنبى .

(٦) المدغل : المفسد .

(٧) أى رغبة فى خير أو خوفا من شر ، أى غير مخلصين

(٧) خطبة معاوية حين قدم المدينة عام الجماعة (١)

حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أما بعد، فإني والله ما وَليتُها (٢) بمحبة علمتُها منكم، ولا مسرةٍ بولايتي، ولكن جَالَدتُكُمْ (٣) بسيفي هذا مُجالَدَةً . ولقد رُضْتُ (٤) لكم نفسي على عمل ابن أبي قُحَافة (٥) ، وأردتها على عمل عُمَرَ فنفرت من ذلك نِفارًا شديدًا ، وأردتها على سُنَيَّات عثمان فأَبَتْ عليَّ . فسلكت بها طريقا لي ولكم فيه منفعةٌ ، مؤاكلةٌ حسنة ومشاربة جميلة . فإن لم تجدوني خيرَكم فإني خيرٌ لكم ولاية . والله لا أحمل السيف على من لا سيف له . وإن لم يكن منكم إلا ما يَسْتَشْفِي به القائل بلسانه فقد جعلت ذلك له دَبْرَ أذني (٦) وتحت قدمي . وإن لم تجدوني أقومُ بحقكم كلِّه فاقبلوا مني بعضَه . فإن أتاكم مني خيرٌ فاقبلوه، فإن السيل إذا جاء أَثْرَى (٧) ، وإن قَلَّ أغنى . وإياكم والفتنةَ فإنها تُفْسِدُ المعيشة وتكدِّر النعمة .

---

(١) هو معاوية بن أبي سفيان بن حرب الأموي القرشي ولد إبان ظهور الاسلام وورث عن أهله حصافة وحسن حيلة . كان يتطلع الى الملك فلما مات عثمان، وكان هو على الشام نازع عليا الخلافة . وكانت بينهما أحداث وفتن استعان معاوية فيها بدهائه حتى إذا قتل على وخلفه الحسن وشغب عليه جنده صالح الحسن ابن على معاوية عام ٤١ هـ . وقد سمي عام الجماعة ، وبذلك قامت الدولة الأموية على يد معاوية وكان معاوية بليغا وإن كان لا يبلغ شأو على ومات سنة ٦٠ هـ .

(٢) أي الخلافة .

(٣) جالدتكم : ضاربتكم .

(٤) ذللتها ومرنتها .

(٥) هو أبو بكر أول الخلفاء .

(٦) دبر أذني : خلفها ، أي أتركه .

(٧) أثرى الناس : جعلهم أثرياء . وأغناهم جعلهم مكتفين لا يحتاجون

(٨) خطبة زياد[١] البتراء بالبصرة حين قدم واليا عليها من قبل معاوية

أما بعدُ، فإن الجهالةَ الجَهْلاءَ[٢]. والضلالةَ العمياءَ[٣]، والغيَّ المُوفِي بأهله على النارِ، ما فيه سُفهاؤكم ويشتملُ عليه حُلَماؤكم[٤]، من الأمور العظامِ، ينبُت فيها الصغيرُ، ولا يتحاشى عنها الكبيرُ، كأنكم لم تقرءوا كتابَ الله، ولم تسمَعُوا ما أعد الله من الثّواب الكريم لأَهلِ طاعتِه، والعذابِ العظيمِ لأهلِ معصيته، في الزمن السَّرْمدى[٥] الذى لا يزول. أتكونون كَمن طرفَتْ عينيْه الدنيا، وسدَّتْ مسامعه الشهواتُ[٦]، واختارَ الفانيةَ على الباقية، ولا تَذكرون أنكم أحدثْتُمْ فى الإسلام الحدَثَ الذى لم تُسبَقوا اليه، مِن تركِكم الضعيفَ يُقهر ويؤخذُ مالُه. ما هذه المواخيرُ[٧] المنصوبةُ، والضعيفةُ المسلوبة فى النهار المبصر، والعددُ غيرُ قليل؟ ألم يكن منكم نُهاةٌ تمنعُ الغُواةَ عن

---

(١) ينتسب زياد ابن أبيه الى أبى سفيان. ولد فى السنة الأولى للهجرة. وكان منذ صغره ذكيا هماما سديد الرأى ولى بعض الأعمال فكان مثال الصرامة والكياسة. ثم استلحقه معاوية أخا له بعد مقتل على. وبقى من رجال الدولة المعدودين حتى مات سنة ٥٣ هـ. وتدل خطبة زياد على شخصية عنيفة فى الدين والسياسة، تعدّ حلقة الاتصال بين عمر بن الخطاب والحجاج ويعتمد فى تأثيره الخطابى على الارهاب والوعيد فى أسلوب جزل. وقالوا: انما سميت خطبته هذه البتراء لعدم بدئها بحمد الله وقيل غير ذلك.

(٢) جهالة جهلاء: شديدة مثل ليلة ليلاء

(٣) الضلالة العمياء: التى لا هدى معها.

(٤) السفيه: سيئ الخلق وضده الحليم.

(٥) السرمدى: الدائم.

(٦) كناية عن تمكن الشهوات من نفوسهم وانصرافهم الى متاع الدنيا.

(٧) المواخير: جمع ماخور: بيت الريبة والفحش.

دَلَجِ الليلِ (١) وغارةِ النهار، قربتم القرابة، وباعدتم الدينَ، تعتذرون بغير العُذر، وتَغُضُّون على المختلس، كلُّ امرئ منكم يذُبُّ عن سفيهه، صنيعَ مَن لا يخاف عاقبةً، ولا يرجو معادًا، ما أنتم بالحلماء، ولقد اتَّبعتم السفهاء فلم يزَلْ بكم ما ترَون من قيامكم دونهم (٢) حتى انتهكوا حُرَم الإسلام، ثم أطرقوا وراءكم كُنوسا فى مَكَانس الرِّيَب (٣). حرامٌ علىَّ الطعامُ والشَّرابُ حتى أُسَوِّيَها بالأرض هَدْمًا وإحراقًا. إنى رأيت آخر هذا الأمر لا يَصلُح إلا بما صَلَح به أوَّلُه: لين فى غَيرِ ضعف، وشِدَّةٌ فى غير عنف. وإنى أُقسِمُ بالله لآخُذَنَّ الوَلِيَّ بالمَوْلَى (٤)، والمُقيمَ بالظَّاعِن، والمُقْبِل بالمُدبِر، والمطيعَ بالعاصى، والصحيحَ بالسقيم، حتى يلقى الرجلُ منكم أخاه فيقول: انجُ سَعْدُ فقد هلك سُعيد (٥) أو تستقيم قَنَاتُكم (٦)! إنَّ كِذْبَةَ الأميرِ بلقاءُ مشهورة، فإذا تعلَّقتم علىَّ بِكذبةٍ فقد حلَّتْ لكم معصيتى، فإذا سمعتُموها منى فاغتمزوها فىَّ (٧)، واعلموا أنَّ عندى أمثالَها. مَن نُقِبَ منكم عليه فأنا ضامنٌ لما ذهب من مَالِه. فإيَّاىَ ودَلَجَ الليلِ، فإنى لا أُوتَى بمُدلِجٍ إلا سَفَكْتُ دمه، وقد أجَّلْتُكم فى ذلك بمقدار ما يأتى الخبرُ الكوفةَ ويرجع اليكم. وإياى ودَعْوَى الجاهلية (٨)، فإنى لا أجد أحدًا دعا بها إلا قَطَعْتُ لسانَه. وقد أحدثتم أحداثًا لم تكن،

---

(١) دلج الليل: السير فيه. والمراد التلصص والفتك.

(٢) قيامكم دونهم: دفاعكم عنهم.

(٣) الكنوس: جمع كانس، وهو الظبي يدخل فى كناسه أى مأواه. والمراد أنهم عكفوا على المعاصى.

(٤) الولى: السيد. والمولى: العبد. والمراد أنه يأخذ السيد بذنب عبده. وكذا الباقى.

(٥) مثل يضرب لتتابع الشر. وأصله أن أخوين خرجا فى طلب إبل لهما فرجع سعد ولم يرجع سعيد.

(٦) المراد حتى تستقيموا. وشبههم بالقناة وهى عود الرمح.

(٧) اغتمزوها فى: عدوّها من عيوبى.

(٨) دعوى الجاهلية: كناية عن التناصر بتأثير العصبية سفها وجهالة، وأصلها يا لفلان استغاثة.

وقد أحدثنا لكلِ ذنب عقوبةً : فمن غرّق قومًا أغرقناه، ومن أحرق قومًا أحرقناه، ومَن نقَب بيتًا نقبنا عن قلبه، ومَن نبش قبرًا دفنّاه فيه حيًا. فكُفّوا عنّي أيديكم وألسنتكم أكْفُفْ عنكم يدي ولساني. ولا تظهرْ من أحدكم ريبةٌ بخلاف ما عليه عامّتكم إلا ضربتُ عنقه. وقد كانت بيني وبين أقوامٍ إحَنٌ (١)، فجعلتُ ذلك دبْرَ (٢) أذُني وتحت قدمي. فمن كان منكم محسنًا فليزددْ إحسانًا، ومَن كان منكم مُسيئًا فلينزعْ عن إساءته. إنّي لو علمتُ أنّ أحدكم قد قتله السلّ من بُغْضي لم أكشف له قِناعا، ولم أهْتِك له سِتْرًا حتى يُبْدِيَ لي صفحته (٣)، فإذا فعلَ ذلك لم أُناظِرْهُ. فاستأنفوا أموركم، وأعينوا على أنفسكم، فرُبَّ مُبتئِس بِقُدومنا سيسرّ، ومسرورٍ بقدومنا سيبتئس. أيها الناس! أنّا أصبحنا لكم ساسةً، وعنكم ذادةً (٤): نَسُوسُكم بسلطان الله الذى أعطانا، ونذُود عنكم بفيْء (٥) الله الذى خوّلنا، فلنا عليكم السمعُ والطاعةُ فيما أحْبَبْنا، ولكم علينا العدلُ فيما وَلِينا، فاستوجِبوا عدلنا وفيأنا بمُناصحتِكُم لنا. واعلموا أنى مهما قصّرت عنه فلن أقصّر عن ثلاث: لستُ محتجبًا عن طالِب حاجةٍ منكم، ولو أتاني طارقًا بليل، ولا حابِسًا عطاءً ولا رزقًا عن إبّانه (٦)، ولا مُجَمِّرًا (٧) لكم بعثًا. فادعُوا الله بالصلاح لأئمّتكم، فإنهم ساسَتُكم المؤدِّبون لكم، وكهفُكم الذى إليه تأوون، ومتى يصلُحُوا

(١) الإحن: جمع إحنة: الحقد.

(٢) أى خلفها: والمراد أنى طرحت ذلك.

(٣) صفحة الرجل: عرض وجهه. والمراد حتى يجهر بالعداوة.

(٤) ذادة: حماة، جمع ذائد أى مدافع.

(٥) الفيء: مال الخراج أو الغنيمة و يطلق على الظل كناية عن الحمى.

(٦) إبان الشيء: أوانه.

(٧) تجمير الجند أو البعث حبسهم فى أرض العدوّ.

تَصلُحُوا . ولا تُشرِبُوا قلوبَكم بُغضَهم فيشتد لذلك غيظُكم، ويطول له حُزنُكم، ولا تُدرِكُوا حاجتكم، مع أنه لو استُجيبَ لكم فيهم لكان شرًّا لكم (١) . أسألُ الله أن يُعين كُلًّا على كُلّ . وإذا رأيتُمونى أُنفِذُ فيكم الأمر فأنفذوه على أَذْلالِه (٢) . وايمُ الله إن لى فيكم لَصرعَى كثيرةً، فليحذَرْ كل امرئ منكم أن يكون من صَرعاى .

(٩) خطبة عبد الله بن الزُّبير بعدَ أن قُتِل أخوه مُصعَب (٣)

الحمد لله الذى لهُ الخَلقُ والأمر ومُلكُ الدنيا والآخرة يُعِزُّ مَن يشاء ويذلُّ من يشاء . ألا إنه لم يَذِلَّ والله مَنْ كانَ الحقُّ مَعَهُ، وإن كانَ مُفْرَدًا ضَعيفًا، ولم يَعِزَّ مَن كانَ الباطلُ مَعَهُ، وإن كانَ في العُدَّةِ والعَدد والكَثْرة . إنه قد أتانا خبرٌ من العراق بلدِ الغَدْرِ والشِّقَاق، فساءنا وسرنا : أتانا أنَّ مُصعَبًا قُتِل، رحمةُ الله عليه ومغفرتُه، فأما الذى أحزننا من ذلك فإن لفراق الحميم لَذْعَةً يجدها حَميمُه عند المصيبة، ثم يَرْعَوِى (٤) بعدُ ذُو الرأى والدين الى جميل الصبر، وأما الذى سرَّنا منه فإنا قد علمنا أن قَتْلَهُ شهادةٌ لَهُ وأنه عز وجل جاعلٌ ذلك لنا وله ذخيرة إن شاء اللهُ تعالى . إن أهلَ

---

(١) أى لو دعوتم عليهم فهلكوا لا تجدون عوضا عنهم .

(٢) أى على طرقه ووجوهه .

(٣) هو عبد الله بن الزبير بن العوام يكنى أبا بكر وأبا خبيب . ولد بعد الهجرة بقليل، وكان شجاعا باسلا خرج على بنى أمية وطلب لنفسه الخلافة . واستمر تسع سنين استولى فيها على الحجاز والعراق واليمن ومصر واستمر يناجز جيوش الدولة حتى أرسل اليه عبد الملك بن مروان الحجاج فحاصره بمكة مدة حتى قتل ابن الزبير سنة ٧٤ هـ . وكان مصعب أخوه واليا على العراق من قبله حتى دهمته جيوش عبد الملك وقتلته نحو السنة الثانية والسبعين للهجرة .

(٤) يرعوى : يرجع .

العراق أسلموه ، وباعوه بأقل ثمن . لقد قُتل أبوهُ وعمُّه وأخوه وكانوا خيار الصالحين . إنَّا والله ما نموت حتْفَ أنوفِنا(١) ، ما نموتُ إلا قتلا ، قَعْصًا بالرِّماح(٢) وتحت ظِلال السُّيوف ، وليس كما يموت بنو مروان ، والله ما قُتل منهم رجل فى جاهلية ولا إسلامٍ قطُّ . وإنما الدنيا عاريةٌ(٣) من الملِكِ القهار الذى لا يزول سلطانه ، ولا يَبيدُ مُلْكُه ، فإن تُقْبِل الدنيا علىَّ لا آخُذها أخذ الأَشِر البَطِر(٤) ، وإن تُدْبِر عنى لا أبْك عليها بكاءَ الخرِف(٥) المهين .

(١٠) خطبة لِقَطَرِىِّ بن الفُجَاءة(٦)

حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أمَّا بعدُ ، فإنى أُحذِّرُكمُ الدُّنيا فإنها حُلْوةٌ خَضِرةٌ ، حُفَّتْ بالشهوات ، وراقتْ بالقَليل(٧) وتحبَّبتْ بالعاجِلة ، وحَليتْ بالآمال ، وتزيَّنتْ بالغرور . لا تَدُوم حَبْرتُها(٨) ، ولا تُؤمَنُ فَجْعتُها ، غَرَّارةٌ ضَرَّارة ، خوَّانة غَدَّارة ، وحائلة(٩) زائلة ، ونافدةٌ بائدة ، أكَّالةٌ غوَّالةٌ .

---

(١) مات حتف أنفه : على فراشه .

(٢) قعصه بالرمح : قتله فى مكانه .

(٣) أى شىء مستعار .

(٤) بطر بالنعمة : طغى بها . والأشر : المرح .

(٥) الخرف : فاسد العقل . والمهين : الذليل الوضيع .

(٦) قطرى بن الفجاءة المازنى خطيب شاعر من أبطال الخوارج وقادتهم وبلغائهم . خرج زمن بنى أمية ، ودعا لنفسه بالخلافة عشرين سنة حتى قتل بطبرستان سنة ٧٩ هـ . وقد ترجمنا له فى قسم شعراء السياسة .

(٧) راقت الأعين بقلة متاعها ، وتحببت الى النفوس بكونها عاجلة ليست آجلة كالأخرى .

(٨) حبرتها : نعمتها . (٩) حائلة : متغيرة .

لا تَعْدُو إذا هى تناهتْ إلى أُمنيَّةِ أهل الرغبةِ فيها والرضا عنها أن تكونَ كما قال الله تعالى (١) ﴿ كماءٍ أنزلناهُ من السماءِ فاختلطَ به نباتُ الأرضِ فأَصْبح هشيما (٢) تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وكان اللهُ على كُلِّ شَيءٍ مقتدرا ﴾ مع أنَّ امرأً لم يكن منها فى حَبْرةٍ إلَّا أعْقبَتْه بعدها عَبْرةً (٣)، ولم يلق من سَرَّائها بَطْناً إلَّا منحتْهُ من ضَرَّائها ظَهراً (٤)، ولم تَطُلَّه فيها غَيْثَةُ رخاء إلا هَطَلت عليه مُزْنَةُ بلاء (٥). وحرِيٌّ إذا أصبحتْ له مُنْتَصِرَةً أن تُمْسيَ له خاذِلةً متنكرةً، وإنْ جانبٌ منها اعْذَوْذَبَ (٦) واحْلَولى. أَمَرَّ عليه جانب وأَوْبا (٧). وإن آتتْ امرأً من غَضَارَتها (٨) ورفَاهَتِها نِعَماً أرهقته من نَوائبها نِقَماً، ولم يُمْس امرؤٌ منها فى جناح أمن إلا أصبح منها على قَوادِم خَوْفٍ (٩). غَرَّارةٌ، غَرُورٌ ما فيها، فانٍ ما عليها، لا خير فى شيء من زادها إلا التقوى. مَن أقلَّ منها استكثر مما يُؤَمِّنه، ومن استكثر منها استكثر مما يُوبِقُهُ (١٠) ويُطيل حُزنه، ويبكى عينيه. كم واثقٍ بها قد فَجَعَتْهُ، وذى طُمَأنينةٍ إليها قد صَرَعتْهُ، وذى احتيَالٍ فيها قد خدعتْهُ، وكم مِنْ ذِى أُبَّهَةٍ بها، قد صيرّته حقيراً وذِى نَخْوةٍ قد ردَّتْهُ ذليلا.

---

(١) أى أنها إذا وصلت بأهل الرغبة فيها إلى أمانيهم فلا تجاوز وصف الله تعالى لها بهذه الآية.

(٢) الهشيم: النبت اليابس المكسر.

(٣) العبرة: الدمعة قبل أن تفيض أى أحزنته،

(٤) كنى بالبطن والظهر عن الاقبال والإدبار.

(٥) طلت السماء: أمطرت. والطل: المطر الضعيف. والمزنة: السحابة المطرة.

(٦) أى عذب. (٧) أوبا: أصله أوبأ أى صار ذا وباء.

(٨) الغضارة: النعمة والسعة والخصب.

(٩) القوادم: الريش الكبير فى مقدم الجناح، ويقابلها الخوافى.

(١٠) يوبقه: يهلكه.

(١١) خطبة للحجاج حين ولى العراق[1]

أنا ابن جَلَا وطلَّاعُ الثَّنَايا ... مَتَى أضعِ العِمامَةَ تعرِفُونِى[2]

يأهل الكوفة ! إنى لأرى رُءوسا قد أينعتْ[3] وحانَ قِطافُها ، وإنّى لصاحِبُها . وكأنى أنظُر إلى الدماء بيْن العمائم واللِّحَى .

ثم قال :

هذا أوان الشَّدِّ فاشْتَدِّى زِيَمْ ... قد لَفَّها اللَّيْلُ بسَوَّاقٍ حُطَمْ[4]

ليس براعِى إبِلٍ ولا غَنَمْ ... ولا بجَزَّارٍ على ظَهْرِ وَضَمْ[5]

ثم قال :

قد لَفَّها الليل بِعَصْلَبِىّ ... أرْوَعَ خَرَّاجٍ من الدَّوِىّ[6]

مُهاجرٍ ليسَ بأعرابِىّ

---

(١) يعدّ الحجاج بن يوسف الثقفى ثالث ثلاثة طبعوا الخطابة الإسلامية طابعا خاصا فى عهدها الأول ، أولهم على بن أبى طالب ، وثانيهم زياد . وقد شب الحجاج شجاعا داهية عنيفا . وحاكما مستبدا . خدم بنى أمية ولا سيما عبد الملك فى توطيد الملك وإسكان الثورات حتى مات سنة ٩٥ هـ . وتدل خطبه على خواصه النفسية ومذهبه فى السياسة والحكم ، وأسلوبه الفنى الذى يعتمد على الإرهاب وعلى التفخيم اللفظى وبهذه الخاصة الأخيرة يمتاز عن زياد كما يمتاز بنفس جاهلية عنيفة .

(٢) ابن جلا : أى ابن رجل جلا الأمور وكشف الصعاب . الثنايا جمع ثنية : وهى الطريق فى الجبل أو الجبل نفسه ، والمراد : القادر الشجاع .

(٣) أينعت : أدركت ونضجت .

(٤) زيم : اسم فرس أو ناقة . ولفها : جمعها . والحطم الذى لا يبقى من السير شيئا .

(٥) الوضم : ما يقطع عليه اللحم .

(٦) العصلبى : الشديد . والأروع : الذكى . والدوى : الصحراء المتسعة . والمراد الخرّاج من كل غماء شديدة .

وقال :

قد شمّرتْ عَن ساقِها فَشُدُّوا وجَدّتْ الحَرْبُ بِكم فَجِدُّوا (١)

والقوسُ فيها وتَرٌ عُرُدٌّ مثلُ ذِراعِ البَكْرِ أو أشدُّ (٢)

لا بُدَّ مِمّا لَيسَ منه بُدٌّ (٣)

إنّي واللهِ يأهلَ العِراقِ ما يُقعقعُ لي بالشِّنان (٤) ، ولا يُغمزُ جانبي كتغمازِ التّين . ولقد فُرِرْتُ عن ذَكاءٍ (٥) ، وفُتِّشْتُ عن تجربة . وإن أميرَ المؤمنين — أطال الله بقاءه — نثر كِنانتَه بين يديه (٦) ، فعجَم عِيدانَها ، فوجدني أمرَّها عُودًا ، وأصلبَها مَكْسِرًا (٧) ، فرماكم بي ؛ لأنكم طالما أوضعتم في الفِتْنة (٨) ، واضطجعتم في مَراقِد الضّلال . واللهِ لأحزِمنّكم حَزْمَ السَّلَمة (٩) ، ولأضرِبنّكم ضربَ غرائبِ الإبلِ (١٠) ؛ فإنكم لكأهلِ قريةٍ كانت آمنةً مطمئنةً يأتيها رِزقُها رَغَدًا من كُلِّ مكانٍ فكفرتْ بأنعُمِ الله فأذاقها الله لباسَ

---

(١) شمر عن ساقه : اهتم وجد ؛ كناية عن قيامها .

(٢) عرد : شديد . البكر : الفتى من الإبل .

(٣) أى لا بدّ من وقوع المحتم .

(٤) الشنان جمع شن : وهو الجلد اليابس إذا قعقع أى ضرب نفرت الابل منه ، يضرب ذلك مثلا لنفسه أى أنه لا يرهبه وعيد أو تخويف .

(٥) فرّ الدابة : كشف عن أسنانها لينظر ما سنها . وفرّ عن الأمر : بحث عنه . والمراد أن الخليفة اختاره حاكما لحدّة ذكائه وصحة تجاربه .

(٦) الكنانة : جعبة السهام . وعجم عيدانها : عضها لينظر أيها أصلب . وهذا وما بعده كناية عن أنه اختبر أعوانه فوجدني أصلح لحكمكم .

(٧) أى أقواها .

(٨) أى أسرعتم فى الشر .

(٩) السلمة : نوع من الشجر تعصب أغصانه وتخبط بالعصى لسقوط الورق وهشم العيدان .

(١٠) وهي تضرب عند الهرب أو الخوض .

الجُوع والخوفِ بما كانوا يصنعونَ . وإنى واللهِ ما أقول إلا وفَيْتُ ، ولا أهُمُّ إلا أَمضيتُ ، ولا أخلُق(١) إلا فَرَيْتُ(٢) . وإن أميرَ المؤمنين أمرنى بإعطائكم أَعْطِياتِكُمْ ، وأن أوجهَكُم لمحاربة عَدُوِّكم مع المُهَلَّب بن أبى صُفْرَة(٣) . وإنى أقسمُ بالله لا أَجِدُ رجلا تَخَلَّف بعد أخذِ عطائه بثلاثة أيام إلّا ضربتُ عنقه .

(١٢) من رسالة عبد الحميد بن يحيى(٤) التى أوصى فيها الكتّاب

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعدُ — حفظكم اللهُ يأهلَ صِناعَةِ الكِتَابةِ وحَاطَكُم ووفقكم وأرشدكم — فإن اللهَ عزّ وجلّ جعلَ الناسَ بعد الأنبياء والمرسَلين صلوات الله وسلامُه عليهم أجمعين، ومِنْ بَعْدِ الملوك المكرَّمين أصنافا ، وإن كانوا فى الحقيقة سواءً، وصَرَّفهم فى صُنُوف الصناعاتِ وضُرُوبِ المحاولات، الى أسبابِ مَعايشهم ، وأبوابِ أرزاقهم، فجعلكم معشرَ الكُتَّاب فى أشرفِ الجهاتِ أهلَ الأدب والمُرُوءات والعِلم والرَّزانة، بكم تَنْتَظِم للخلافة مَحَاسِنُها، وتستقيم أمورُها ، وبنصائحكم يُصْلِحُ الله للخَلْقِ سُلْطَانَهُم ، وتَعْمُر

(١) أقدر . (٢) فريته : قطعته .

(٣) هو أبو سعيد المهلب بن أبى صفرة الأزدى البصرى قائد أموى ولد بالبصرة ونشأ فيها وظهر أمره بمقاتلة الخوارج . وقد ولاه الحجاج خراسان وبها مات سنة ٨٢ ﻫ .

(٤) هو عبد الحميد بن يحيى بن سعيد العامرى نشأ بالأنبار من أرض العراق وشب معلم صبيان ثم صحب مروان بن محمد مدة ولايته أرمينية ثم مدة خلافته واستمر وفيا له فى محنته حتى قتلا سنة ١٣٢ ﻫ . ويعد عبد الحميد شيخ كتاب الرسائل فله الفضل فى تسليس أسلوبها وحسن تقسيمها ، وجعلها واضحة طبعية لايجاريه فى ذلك أحد وله رسائل طوال ، منها رسالته إلى الكتاب التى نورد هنا قسما منها .

بُلْدَانِهِم . لايَسْتَغْنِي الملكُ عنكم ، ولا يُوجَدُ كافٍ إلّا منكم ؛ فموقعكم من الملوك موقعُ أسْمَاعِهِم التى بها يَسْمعون ، وأبصارِهم التى بها يُبصِرُون ، وألسنتِهم التى بها ينطقون ، وأيديهم التى بها يَبطِشُون (١) . فَأَمْتَعَكُمْ الله بمَا خَصَّكُمْ مِن فَضْلِ صِنَاعَتِكُمْ ، ولا نَزَعَ عنكم ، ما أَضْفَاهُ (٢) من النِّعْمَةِ عليكم . وليس أحد من أهل الصناعات كُلِّها أحْوَجَ الى اجتماع خِلال الخير المحمودة وخِصال الفَضْل المذكورةِ المعدودة منكم ، أيها الكُتَّابُ : إذا كنتم على ما يأتى فى هذا الكتاب مِن صِفَتِكُمْ ، فإن الكاتبَ يحتاجُ فى نفسه ويحتاجُ منه صاحبُه الذى يثِقُ به فى مُهِمَّاتِ أموره أن يكونَ حليماً فى موضِع الحِلم ، فَهِيماً فى موضِع الحُكْم ، مِقْداماً فى موضِع الإقدام ، مِحْجَاماً فى مَوْضع الإِحجام ، مُؤثِراً للعَفافِ والعدلِ والإِنْصاف ، كَتُوماً للأَسرارِ ، وَفِيًّا عندَ الشدائد عالماً بمَا يأتِى من النَّوَازِل ، يَضَعُ الأُمور فى مَوَاضِعِها والطَّوَارِقَ فى أماكِنِها ، قد نظر فى كُلِّ فَنٍّ من فُنون العِلْم فأحكَمُه ، وإن لم يُحْكِمه أَخَذَ منهُ بِمقدار ما يُكتَفى به ، يعرِفُ بغَرِيزةِ عَقلِه وحُسْنِ أدبِه وفضلِ تجربتِه ما يَرِدُ عليه قبل وُرُودِه ، وعاقبة ما يَصْدُرُ عنه قَبْلَ صُدُوره ، فيُعِدُّ لكلِّ أمرٍ عُدَّته وعَتَادَه ، ويُهَيِّئُ لكل وجه هيئَتَهُ وعادَتَه .

فتنافَسوا يا معشرَ الكُتّاب فى صُنُوفِ الآداب ، وتَفَهَّموا فى الدِّين وابدءُوا بعلم كتاب الله عزَّ وجل والفرائض ، ثم العربية ؛ فإنها ثِقَافُ أَلسنتِكم ، ثم أجيدوا الخطَّ فإنه حليةُ كُتُبِكُم ، واروُوا الأشعارَ ، واعرفوا غَرِيبَهَا ومَعَانِيهَا وأَيَّامَ العَرَبِ والعجم وأحاديثَهَا وسِيَرَهَا ؛ فإن ذلك مُعِينٌ لكم على ما تسمو اليه هِمَمُكُمْ . ولا تُضَيِّعُوا النَّظر

(١) يبطش : يفتك و يعمل .

(٢) أضفاه : أسبغه .

فى الحِسَاب؛ فإنه قِوَام كُتَّاب الخَرَاج . وارغَبُوا بأنفُسِكم عن المطامِع سَنِيِّها ودَنِيِّها وسَفْسَافِ الأمور ومَحَاقِرِها ؛ فإنها مَذَلَّةٌ للرقاب مَفْسَدَةٌ للكُتَّاب . ونَزِّهُوا صناعَتَكم عن الدناءة وآرْبَئُوا بأنفسكم عن السِّعَاية والنميمة وما فيه أهلُ الجَهَالَاتِ . وإياكم والكِبْرَ والسُّخْفَ والعَظَمة؛ فإنها عداوة مُجْتَلَبَةٌ من غير إِحْنَةٍ . وتحابُّوا فى الله عز وجل فى صناعتِكم وتواصَوْا عليها بالذى هو أليقُ لأهلِ الفضلِ والعدلِ والنُّبْلِ من سَلَفكم .

(د) طائفة من أمثال العرب [١]

فى جاهليتها و إسلامها

إنَّ العَصَا من العُصيَّة [٢] — إن العَوَانَ لاتُعَلَّمُ الخِمْرَةَ [٣] — إنك لَتُكْثِرُ الحَزَّ وتُخْطِئُ المَفْصِل [٤] — أولُ الشَّجَرَةِ النَّواةُ [٥] — إنَّك ريَّانُ فلاتَعْجَلْ بِشُرْبِكَ [٦] أبَرَمًا قَرُونًا [٧] — أحَشَفًا وسُوءَ كِيلَة [٨] — الحقُّ أبلجُ والباطِلُ لَجْلَج [٩] —

(١) الأمثال : جمع مثل وهو قول مأثور يمتاز بحسن التعبير و إصابة المعنى و إتقان التشبيه وحسن الإيجاز . وللمثل مورد أى أصل قيل فيه ، ومضرب ، أى موضع استعمال ، فالغرض منه تشبيه الحال الثانية بالأولى .

(٢) يضرب للشىء يشبه أصله .

(٣) العوان : التى سبق لها زوج ، والخمرة كيفية لبس الخمار (الطرحة) . يضرب للرجل العالم بالأمر المجرب له .

(٤) يضرب لمن يجتهد فى السعى ثم لا يظفر بالمراد . الحز : القطع ، والمفصل : ملتقى كل عظمين فى الجسد حيث يكون القطع .

(٥) يضرب للأمر الصغير يتولد منه الكبير .

(٦) يضرب لمن أشرف على إدراك بغيته فيؤمر بالرفق .

(٧) البرم : الرجل الذى لايدخل مع القوم فى الميسر لبخله . والقرون : الذى يقرن بين الشيئين يأخذهما معا . يضرب لمن يجمع بين خصلتين مكروهتين .

(٨) الحشف : أردأ التمر : والكيلة : طريقة الكيل . مضربه لمن يظلم من وجهين .

(٩) معناه أن الحق واضح بين ليس فيه حيرة .

أَمَكْرًا وأَنْتَ فِي الحَدِيدِ (١) — إِنَّ المُنْبَتَّ لا أرضاً قَطَعَ ولا ظَهْراً أبقَى (٢) — إِنَّ البَلاءَ مُوَكَّلٌ بالمَنْطِقِ (٣) — أن تَرِدَ المَاءَ بِمَاءٍ أَكْيَس (٤) — إن غداً لِناظِرِه قَرِيبٌ (٥) — إِنَّ أخاكَ مَن آساكَ (٦) — يَدَاكَ أَوْكَتَا وفُوكَ نَفَخ (٧) يُصبِحُ ظَمْآنَ وفي البَحْرِ فَمُه (٨) .

بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبَى (٩) — بَيْنَهُم عِطْرُ مَنْشِمَ (١٠) ، تَجُوعُ الحُرَّةُ ولا تأكُلُ بِثَدْيَيْها (١١) — تُغْنِيكَ عَنْ مَجْهُولِهِ مَرْآتُه (١٢) — تَرَى الفِتْيانَ كالنَّخْلِ، وَمَا يُدْرِيكَ ما الدَّخْلُ (١٣) — ثَارَ حَابِلُهُم على

---

(١) يضرب لمن أراد المكر وهو مقهور .

(٢) المنبت : المنقطع عن أصحابه فى السفر بسبب جهاده دابته ، الظهر : الدابة . يضرب لمن يبالغ فى طلب الشيء بافراط حتى يعجز عنه فيضيعه .

(٣) يضرب للكلمة تجلب الشر .

(٤) يضرب فى عدم التفريط فيا تملك اتكالا على الموهوم .

(٥) يضرب فى قرب المأمول .

(٦) يضرب للصديق المخلص .

(٧) أراد رجل عبور النهر على زق فنفخ فيه فلم يحكمه ، فلما توسط النهر خرج منه الهواء فغرق ، فاستغاث برجل ؛ فقال له هذا المثل ، يضرب لمن يجنى على نفسه الحين .

(٨) يضرب لمن يعاشر بخيلا مثريا .

(٩) الزبى : جمع زبية ، وهى مصيدة الأسد تكون فى قلل الجبال اذا بلغها السيل كان مجحفا — يضرب لبلوغ الأمر أشده .

(١٠) يضرب فى الشر العظيم ، ومنشم : عطّارة كانت تطيب المحار بين من طيبها فيفنون فى الحرب . فكان يقال أشأم من عطر منشم .

(١١) أى لا تكون ظئرا ، وان آذاها الجوع : يضرب لمن يصون نفسه عن خسيس المكاسب .

(١٢) أى منظره يخبر عن مخبره (حقيقته) .

(١٣) يضرب لروعة المظهر مع سوء المخبر .

نابلهم (١) — جعجعة ولا أرى طحناً (٢) — جرى المذكيات غلاب (٣) — جوع كلبك يتبعك (٤) — حلب الدهر أشطره (٥) — حذو القذة بالقذة (٦) — حرك لها حوارها تحن (٧) — صار الزج قدام السنان (٨) — عند الصباح يحمد القوم السرى (٩) — عند النطاح يغلب الكبش الأجم (١٠) — عند جهينة الخبر اليقين (١١) — فى بيته يؤتى الحكم (١٢) — قبل الرماء تملأ الكنائن (١٣) — كان كراعاً فصار ذراعاً (١٤) — كلام كالعسل وفعل كالأسل (١٥) — كل الصيد فى جوف الفرا (١٦) — كل فتاة بأبيها معجبة (١٧) .

---

(١) الحابل : صاحب الحبالة . والنابل : صاحب النبل ، أى اختلط أمرهم . يضرب فى فساد ذات البين وتأريث الشر فى القوم .

(٢) يضرب لمن يعد ولا يفى ، أو للظهور الخلاب ليس وراءه نفع . والجعجعة : صوت الطحن .

(٣) المذكية من الخيل : التى مضت سنة أو سنتان على قروحها . والغلاب : المغالبة . يضرب لمن يفوز على أقرانه فى الفضل .

(٤) مثل يضرب فى اللئام وكيف يعاملون .

(٥) معناه : أنه اختبر الدهر شطرى خيره وشره ، فعرف ما فيه .

(٦) أى مثلا بمثل ، يضرب فى التسوية بين الشيئين .

(٧) الحوار : ولد الناقة . والمعنى ذكره بعض أشجانه يهج له . قاله عمرو بن العاص لمعاوية حين أراد أن يستفز أهل الشام ، أى أرهم دم عثمان على قميصه ليفزعوا إلى الحرب .

(٨) الزج : الحديدة فى أسفل الرمح ، ويقابله السنان . يضرب فى سبق المتأخر المتقدم من غير أهلية لذلك .

(٩) يضرب لمن يحمل المشقة رجاء الراحة . والسرى : السير ليلا .

(١٠) الأجم : الذى لاقرن له . يضرب لمن غلبه صاحبه بما أعد له .

(١١) يضرب للرجل يعرف الشىء على حقيقته .

(١٢) يضرب للرجل تذهب اليه لحاجتك .

(١٣) أى تؤخذ أهبة الأمر قبل وقوعه : والكنائن . جمع كنانة : خريطة السهام .

(١٤) يضرب للذليل الضعيف صار عزيزا قويا . والكراع : مستدق الساق .

(١٥) يضرب فى اختلاف القول والعمل . والأسل : الرماح .

(١٦) الفرا : الحمار الوحشى . يضرب لمن يفضل أقرانه .

(١٧) يضرب فى إعجاب الرجل بما يخصه من عمل أو عشيرة .

أَبيات تَجْرى مَجْرى الأمثال

فإنَّك لم يَفْخَر عليك كفاخرٍ ضعيفٍ ولم يغلبك مِثلُ مغلَّب[١]

*
* *

وهل يُنبِتُ الخطِّىَّ إلا وشيجُهُ وتُغرَسُ إلَّا فى مَنابِتها النَّخل[٢]

*
* *

ولستَ بمستبقٍ أخًا لا تَلُمُّهُ على شعثٍ أىُّ الرجال المهذب[٣]

*
* *

حَنانَيْكَ بعضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضٍ[٤]

*
* *

إذا أنتَ لم تُعرِض عَنِ الجَهْلِ والخَنا أصبْتَ حكيماً أو أَصابَكَ جاهلُ[٥]

---

(١) المغلب : الضعيف الذى يغلب دائما ، فاذا قدر عليك لا يتركك (لامرئ القيس) .

(٢) الخطى : الرمح نسبة الى الخط فى البحرين . الوشيج : شجر الرماح ، المفرد وشيجة أى لاينبت القناة الا شجرها ولا تغرس النخل الا بحيث تنبت وتصلح ، والمراد أنه لا يلد الكرام الا الكرام (لزهير) .

(٣) تلمه : تصلحه . والشعث : الفساد ، والمهذب : المنقى من العيوب . (المعنى) ليس رجل مبرءا من العيب ، فاذا قطعت إخوانك بذنب لم يبق لك أخ (للنابغة الذبيانى) .

(٤) لطرفة ، وصدره : أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا . الحنان : الرحمة ، والتثنية هنا لقصد الدوام مثل لبيك وسعديك أى رحمة بعد رحمة . والأكثر اضافتها الى ضمير المخاطب .

(٥) الجهل : السفه والشراسة ، والخنا : الفحش ، ومعنى الشطر الآخر أنك تؤذى كريما أو يؤذيك جاهل لمثلك ، وكلاهما شر .

تم طبع هذا الكتاب فى يوم ٢١ من شعبان
سنة ١٣٦٣ (١٠ من أغسطس سنة ١٩٤٤) م

مدير المطبعة الأميرية

محمد بكرى

المطبعة الأميرية ٤٠٠ / ١٩٤٤/١ – ٦٠٣٠